

وقائع

المؤتمر العالمي السنوي الأول لشاعر شهر

تحت شعار

علي وفاطمة عليهم السلام وساطة فيض بين الحق والخلق

٢٠٢٤ / ٩ / ٢٨ - ٢٣ الموافق ١٤٤٦ هـ ربيع الأول

مراجعة وتدقيق

وحدة البحوث والدراسات والترجمة

(الجزء الأول)

---

دِيَانُ الْوَقْتِ التَّسْبِيحِيِّ  
الْعَتَبَةُ الْكَاظِمِيَّةُ لِمَقْدِيسَةِ  
قِسْمِ الشُّوَوْنِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْقَافِيَّةِ  
١٤٤٧ هـ / ٢٠٢٥ م

# وقائع

المؤتمر العالمي السادس والأربعين لـ الشاشة العيشرة

تحت شعار

علي وفاطمة عليهم السلام وساطة فيض بين الحق والخلق

٢٧-٢٨ / ٩ / ٢٤٠٢٤ م الموافق ١٤٤٦ هـ - ٢٣-٢٤ / ٩ / ٢٤٠٢٤ م

(الجزء الأول)

**هوية الكتاب**

اسم الكتاب: وقائع المؤتمر العلمي الدولي السنوي الثالث عشر (الجزء الأول).

الناشر: الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - وحدة البحوث والدراسات والترجمة.

التاريخ: ١٤٤٧ هـ / ٢٠٢٥ م.

[www.aljawadain.org](http://www.aljawadain.org)

موقع العتبة المقدسة:

fikriya@aljawadain.org

للمراسلة:

# وقائع

المؤتمر العالمي السنوي الأول لشاليس

تحت شعار

علي وفاطمة عليهما السلام وساطة فيض بين الحق والخلق

٢٧-٢٨ / ٩ / ٢٠٢٤ الموافق ٢٣-٢٤ / ٩ / ١٤٤٦ هـ

مراجعة وتدقيق  
وحدة البحوث والدراسات والترجمة



(الجزء الأول)

ديوان الواقع الشيعي  
العتبة الكاظمية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم؛ والصلوة والسلام على منقذ الأمم من الجهل والضلال والظلم، ومنير سبل الحكمة والمعرفة والقيم، محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين النور الأتم، وعلى آلـ الطيبين الطاهرين، عيبة علمه وباب حكمته، لاسيما فرعى الدوحة المحمدية ووساطة فيض الله إلى أهل البرية على المرضى وفاطمة الزهراء صلوات الله عليها .

أما بعد؟

يدرك كلّ من قرأ التأريخ بعين الباحث الفاحص أهمية المفصل التاريخي الذي عاشه أمير المؤمنين والزهراء البتول عليها السلام؛ فهو يمثل النقلة الكبرى من مرحلة التأسيس للرسالة الإسلامية المباركة إلى مرحلة الانطلاق في بُث الحركة في النظام الذي نظر له الله تعالى، ونفذّه على أرض الواقع رسوله الكريم. وكما كان لمرحلة التأسيس الأولى تحدياتها وصعوباتها التي شملت الواقع الجغرافي والتاريخي والبيئي والإنساني لسكان قريش خاصة، وجزيرة العرب عمّامة، فلم تكن تلك النقلة أخفّ وطأة على من عهدت إليه مسؤولية النهوض بأمر الأمة بعد الرسول ص، وهو الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، الذي شاطرته النهوض بذلك العبء السيدة الزهراء عليها السلام بعد أن أدّت دوراً مهماً في ذلك الصراع، مع قصر المدة التي عاشتها عليها السلام.

ونظراً إلى الحاجة الماسة إلى تسليط الضوء على ذلك المفصل التاريخي الحيوي بالذات الذي عاشه أمير المؤمنين عليه السلام والزهراء عليها السلام معاً، وما ترتب عليه من نتائج ومواقف أعقابه، من حيث مسيرة الأحداث التاريخية والإرث الفكري الذي ورثاه للأمة، كان اختيار اللجنة التحضيرية للمؤتمر العلمي الدولي الثالث عشر لمجال الدراسة والبحث والتحقيق في كافة

شُؤونها سلام الله عليهم، محاولة لإثراء هذا الجوانب التي قد تكون مخفية على الكثيرين ما استطاع الباحثون إلى ذلك سبيلاً.

أدار المؤتمر بحوثه على اثنى عشر محوراً حملت ألواناً من الفكر، مثلّت فرصة ثمينة للأساتذة الباحثين لانتقاء ما يلائم تخصصاتهم وإثراء مكتبة المعصومين عليهم السلام بتاجاتهم. وتلقت اللجنة التحضيرية للمؤتمر (١٥٣) بحثاً، استبعد منها (٤٢) بحثاً لعدم التزام أصحابها بالمحاور المحددة. أما البقية الباقية فقد خضعت للفحص الأكاديمي من حيث الالتزام بالمعايير البحثية المعتمدة، ونال منها (٨٢) بحثاً القبول، حيث تحصل كل بحث على درجة سبعين أو أكثر كما هو المعمول به في مؤتمراتنا السابقة، بينما لم يحظ (٢٩) بحثاً منها بدرجة القبول لأنّها كانت دون المستوى المطلوب.

على أنَّ ما حظي بالقبول وفاز بالنشر في هذا الإصدار متفاوت في مستوى طرحوه بلحاظ التقليد والتجديد، متباين في لونه الفكري، تبعاً لخبرة الباحث وإبداعه في البحث والطرح، لذا فإنَّ الآراء المكتوبة في جميع هذه البحوث المقبولة تمثل رأي أصحابها ولا تعني بالضرورة أو التلازم أنَّها متبناة عندنا.

نسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لخدمة تراث أهل البيت عليهم السلام واستخراج كنوزه والانتفاع

. به.

والحمد لله أولاً وآخرأ، وصلى الله على نبينا محمد وآلـه الطاهرين.

### قسم الشؤون الفكرية والثقافية

#### وحدة البحوث والدراسات والترجمة

**الكلمة الملقاة في افتتاحية المؤتمر الدولي السنوي الثالث عشر الذي  
تقييمه العتبة الكاظمية المقدسة في ٢٣ / ربيع الأول / ١٤٤٦ هـ ٢٠٢٤/٩/٢٧ م**

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

الحمد لله بها حمده سيدى أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «الحمد لله غير مقوط من رحمته، ولا مخلو من نعمته، ولا مأيوس من مغفرته، ولا مستنكف عن عبادته، الذى لا تبرح منه رحمة، ولا تفقد له نعمة». وصلى الله على محمد رسول رحمته، وخلفيته على بريته، وآلها بقية الله وخيرته، وعيبة علمه وحجته.

وبعد، السلام عليكم أيها الحضور الكريم، مع حفظ المقامات والألقاب.

إنه لمن دواعي الحمد أن أكون في رحاب الإمامين الكاظمين عليهم السلام، وبين أيدي ثلة طيبة من رجال العلم، فأشكر اللجنة التحضيرية رئيساً وأعضاء على دعوتهم الكريمة.

وإذ أبارك للعتبة الكاظمية المقدسة انطلاق مؤتمرها العلمي الثالث عشر ومهرجانها الشعري العاشر وعرضها لكتاب العاشر، داعياً الله تعالى للجنة التحضيرية بأن يكمل عملها بالنجاح، وللإدارة المؤتمر والباحثين بالموفقة وأن تكون جهودهم في عين صاحب الرمان عليه السلام، اسمحوا لي أن أسهم بهذه الكلمة التي وسمتها بـ «عليٌّ وفاطمة صراطُ الخلقِ إلى الحق».

و قبل البدء لا بد لي من أن أفرأى لا أدعي لنفسي في البحث في آثار أمير المؤمنين عليه السلام كما لاً ولا عنواناً أزيد من طالب علم على سبيل النجاة، فأنى لمثلي القاصر أن يدعي في علي عليه السلام معرفةً، وقد قال في حقه النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما عَرَفَكَ يَا عَلِيٌّ حَقٌّ مَعْرِفَتِكِ إِلَّا

الله وأنا»<sup>(١)</sup>؟ وكيف يمكنني غض النظر والسكوت وهو هو قد ملا الدنيا علمًا وحكمةً وبلاجة وسجايا وفضائل، وما بِرَحْتْ رَئَةُ الزَّمَانِ تَتَنَفَّسُ بِهِ !!

أيها الإخوة والأختوات إنَّ حياة على اللَّهِ كلها عطاء، ولكن حيث كان النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٍ وَاتَّسَعَ شَرَفُهُ موجوداً فهو الماء، وعلى اللَّهِ أبو تراب، وهو القائل: «لِمَنْ يَعْلَمُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٍ أَلْفُ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ يَنْفَعُ لِي مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفُ بَابٍ»<sup>(٢)</sup>.

ولما انقضت أيامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٍ أقام وليه علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما وآلهما هادياً، إذ كان هو المنذر ولكلّ قوم هاد، وكان بعده هدىًّا من الضلال ونوراً من العمى.

ولكن أبت نُفُوسُ قوم إلا بإعاداً له عن مسرح الفعل والتأثير، وهو القائل: «فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قندي، وفي الحلق شجاً، أرى ثانية نهباً»<sup>(٣)</sup>.

ومضى ربع قرن من الزمان حتى عاد الناس إليه، فأبوا إلا أن يكون ولهم فهو جبل الله المتين وصراطه المستقيم.

وفي هذه الأربع من السنين والبضعة من الشهور، حيث كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٍ مسؤولاً عن الفرد والمجتمع والدولة معاً، وضع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٍ منظومة مفاهيمية في بناء الفرد والمجتمع والدولة أسست لحضارة إسلامية فكرية عابرة للعصور»

ماذا أقول لمن حطت له قدمٌ  
في موضع وَضَعَ الرَّحْمَنِ يمناه

(١) مختصر في تعريف أحوال سادة الأنام (النبي والاثنتي عشر إمام) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَلَامٍ، الشيخ راشد بن إبراهيم البحرياني ص ٥٣.

(٢) دلائل الامامة محمد بن جرير الطبرى (الشيعي) ص ٢٣٥.

(٣) الخطبة الشقشقية، نهج البلاغة.

### قراءة سريعة لمحاور المؤتمر:

أيها الأعزاء بقراءة سريعة لمحاور المؤتمر الثاني عشر نجد أن أحدها يعني بالكشف عن التراث وتحقيقه، وإثنين منها تخص سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام؛ وحيث إنّ العمر لم يمتدّ بها عليها السلام فقلّت النصوص الواردة عنها، وأما التسعة الباقية فهي تخص عناوين وضع في البحث عنها فيما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وحيث إنّ عليه السلام امتد به العمر فتوفرت الآثار الواردة عنه - وأعني بها الأقوال والأفعال والتقارير - يُضاف إلى ذلك الفرصة التي أتيحت له عليه السلام خلال فترة أربع سنين وبضعة أشهر كان فيها مسؤولاً عن بناء الفرد والمجتمع وإدارة الحكم، فترك لنا ثراثاً ضخماً استوعبت أبوابه مختلف جوانب الحياة، وهي ضالة الباحثين في المحاور المذكورة.

### الحاجة إلى هذه المفاهيم بعد التغيير في العراق:

أيها الأخوة والأختوات إنّ التغيير الذي حدث في عام ٢٠٠٣ وما نتج عنه من الجمهورية الثالثة، وما رافقها من نجاح وافٍ وخفاق سواء في حركة بناء مؤسسات الدولة، وفي حركة بناء المجتمع أظهر الحاجة الملحة لهذه المفاهيم، وقد عكفت مُنذ قرابة عشر سنوات على التأمل في هذه النصوص ودراستها فيما يُتاح لي من الوقت المستقطع من اشغالاتي الحوزوية وسائر المسؤوليات الأخرى.

وأرى - وأرجو أن أكون موفقاً فيما أرى - أن ألقى على مسامعكم الكريمة في هذه الدقائق بعض النتائج التي وصلت إليها، أملاً أن يكون فيها جدة وتسهُّم في الحركة البحثية إسهاماً نافعاً، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أيها الأعزاء اطلعت على موسوعة حديثة تُعنى بتراث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وفي أحد أجزائها المخصص لاستقصاء سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إبان إمارته، قد صنف

النصوص على ثمانية أبواب، وعبر عن كُلّ باب بالسياسة، مثل السياسة الإدارية، والسياسة الاقتصادية، وهكذا.

وهذا التصنيف، وإن كان مفيداً للإثراء الثقافي، إلا أنه لا ينفع الباحثين، بالإضافة إلى أن بين هذه الأبواب وبين محاور المؤتمر عموماً وخصوصاً من وجه - كما يذكر في الاصطلاح المنطقي - أي دخول بعض المفاهيم وخروج البعض الآخر من كلا الطرفين.

### ولذا رأيت الصحيح ان تقسم النصوص على ثلاثة أبواب:

١. الباب الأول: نظام إدارة الحكم، وقد أودعه الإمام في عهده إلى مالك الأشتر حين ولآه مصر، وهو أطول نص في نهج البلاغة، وهذا العهد أسميه (دستور الحاكم) <sup>(١)</sup>

وفي نص هذا العهد عشرات المفاهيم الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والقضائية والأمنية والعسكرية وال العلاقات الدولية والإعلام وغيرها.

أيها الأحبة، عكفت احدى مؤسسات منظمة الأمم المتحدة في عام (٢٠٠٨) على دراسة هذا العهد، وخلصت إلى نتيجة أعلنتها بوثيقة رسمية: أنه أرقى فكر بشري في إدارة الحكم، وعممت على جميع حكام الدول المنطوية في الأمم المتحدة الحث على الاسترشاد به !!

لقد أجريت عدَّة بحوث في هذا العهد، يختلف كُلّ منها عن الآخر باختلاف موضوع البحث، وخلصت إلى نتائج متعددة أذكر بعضًا منها مما ينسجم مع أحد محاور المؤتمر أو أكثر:

(١) وليس (دستور الدولة)، وهذا خطأ شائع، وقد رأيت أحد الكتب التي اصدرتها العتبة الكاظمية المقدسة لأحد الكتاب يتبنى هذا التوصيف !!.

أولاًً: أن هذا العهد يمثل نظاماً قانونياً للحاكم في إدارة الحكم، يتكون من (٦٧) سع وستين مادةً قانونية، ويتألف من ديباجة وثلاثة فصول وخاتمة، وفق توصيف وتوزيع هو:

أ. بيان المصطلحات بمادة واحدة.

ب. ديباجة بثلاثة مواد.

ج. الفصل الأول عن العامة والخاصة والجهاز الحكومي باشتراك عشرة مادة.

د. الفصل الثاني عن طبقات المجتمع ومنظومة الحقوق والواجبات باثنين وثلاثين مادة.

هـ. الفصل الثالث عن العلاقات العامة بتسعة مواد.

و. الخاتمة بعشرين مواد.

ثانياً: بعد دراسة العهد والبحث فيه من زاوية مكافحة الفساد، حصلت على (٤٣) ثلاثة وأربعين إجراءً يقدمها أمير المؤمنين عليه السلام في مكافحة الفساد.

ولكن المدهش أن (٤٠) أربعين منها إنما هي إجراءات لمكافحة الفساد قبل وقوعه، وهو ما يُطلق عليه (وسائل الوقاية من الفساد)، وأما إجراءات مكافحة الفساد بعد وقوعه فهي ثلاثة فقط.

ومن غرائب المفارقات ما تابعته عن الأمم المتحدة؛ حيث أرسست اتفاقية بين دولها لمكافحة الفساد في العام ٢٠٠٣، ودخلت حيز التنفيذ في العام ٢٠٠٥، ولكنها بعد عشر سنوات أقرت بضرورة التوجه نحو إجراءات الوقاية من الفساد!!

أقول: إن التجارب البشرية هي برهان على عصمة ما أتى به النبيون وأوصياؤهم، وإن هو إلا وحي يوحى).

أكتفي بذكر هاتين التوجيهتين لثلا يطول الكلام بها يخرج عن استحقاق المقام.

### الباب الثاني: بروتوكول الإجراءات الإصلاحية بعد تغيير الأنظمة الفاسدة.

ويتضمن مجموعةً من النصوص والأفعال ذات الطابع الثوري المؤقت التي تعالج تshireيات فاسدة، أو تطبيقات فاسدة لتshireيات صحيحة كانت تؤدي إلى خلل اقتصادي كهدر المال العام، أو خلل اجتماعي كالطبقية، أو خلل أمني.

### الباب الثالث: المنظومة المفاهيمية لبناء الفرد والمجتمع.

ويحتوي هذا الباب على عناوين محورية كثيرة، وقد صنفها بعض الباحثين إلى أكثر من مائة عنوان، وغيره إلى أكثر من ذلك. وفي الحقيقة فإن هذه العناوين من وضع الباحث تبعاً للحقول التي يبحث فيها، وتبعاً لمدى ثقافته، ولا نعدم من العثور على عناوين أخرى مما يستحدث نتيجة تطور العلوم وتجدد حاجات الإنسان والمجتمع.

وبالمناسبة فإن جميع العناوين المذكورة في محاور المؤتمر موجودة في نصوص أمير المؤمنين عليه السلام التي بأيدينا، وقد حاولت قبل إعداد هذه الكلمة على عجلة بها استقطعته من الوقت المتاح أن استقصي النصوص للبحث عن العناوين المذكورة في محاور المؤتمر، فاستخرجت أكثر من مائة وخمسين نصاً بتعطية ثلثي العناوين المذكورة، فلكلم أن تتصوروا عدد النصوص التي نحصل عليها إذا استكملنا البحث عن سائر العناوين.

وعلى العموم أيها الأحبة فإن هذا الباب بعناوينه البالغة ما تبلغ يتضمن مئات المفاهيم التي تعنى ببناء الفرد، أو المجتمع، أو كلية.

واستجابةً لمقتضيات الذائقـة العلمـية نحتاج أن نذكر بعض النـماذج من مفاهـيم هذا الـباب.

وفي الحقيقة كنْت قد أعددت بعض النماذج من المفاهيم التي تخص حقوق الإنسان، مع جنبة بحثية في قواعد وضع الحقوق التي تظهر في نصوص أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن عَدَلْتُ عن ذلك؛ لأنَّه يُخرج الورقة عن سياق الكلمة، ولعل الله يوفق في إتمامها كورقة بحثية، فهو نعم المولى ونعم النصير.

وعلى كل حال فهذه عشرة نماذج من النصوص التي تتضمن مفاهيم من هذا الباب.

١. «إن الناس إلى صالح الأدب أحوج منهم إلى الفضة والذهب»<sup>(١)</sup>، وهذا النص يشير إلى مفهوم من مفاهيم التنمية الحديثة، ألا وهو مفهوم (comunication) التواصل.

٢. «جعل الله سبحانه حقوق عباده مقدمة لحقوقه، فمن قام بحقوق عباد الله كان ذلك مؤدياً إلى القيام بحقوق الله»<sup>(٢)</sup>، وهذا النص يشير إلى أهم مفهوم في بناء المجتمعات.

٣. «لن تُقدسَ أمةٌ لا يُؤخِذُ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع»<sup>(٣)</sup>، وهذا من النصوص التي لا تحتاج إلى بيان.

٤. أسسَ أمير المؤمنين عليه السلام بيتاً سماه: بيت القصص، يُلقى الناسُ فيه رقاعهم. وذكر محمد بن سيرين: اخْذَ عَلَيْهِ بَيْتًا يُلقى فيه القصص، حتى كتبوا شتمه فألقوه فيه، فتركه.

وقال عليه السلام - حين تأسيسه - لأصحابه: «من كانت له إلى منكم حاجة، فليرفعها في كتاب؛ لأصول وجوهكم عن المسألة»<sup>(٤)</sup>. إن هذا النص وإن كان يتضمن مفهوماً من مفاهيم إدارة الحكم؛ حيث يتعرض للعلاقة بين الحاكم والرعية، إلا أن قوله: «لأصول وجوهكم عن المسألة» يتضمن مفهوماً من مفاهيم بناء الفرد.

(١) غر الحكم ودرر الكلم عبد الواحد الآمدي التميمي ص ٢٣٧.

(٢) غر الحكم ودرر الكلم عبد الواحد الآمدي التميمي ص ٢٤٠.

(٣) نهج البلاغة (١٠٢/٣).

(٤) العقد الفريد أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي (١٩٩١/١).

٥. «مَنْ حَسَنَتْ سِيَاسَتَهُ دَامَتْ رِيَاسَتَهُ»<sup>(١)</sup>، وسَقَطَ هَذَا الْمَفْهُومُ عَلَى الْوَاقِعِ فَقَالَ: «آفَةُ الْزُّعَمَاءِ ضَعْفُ السِّيَاسَةِ»<sup>(٢)</sup>، وَهَذَا النَّصُ يُشَيرُ إِلَى مَفْهُومٍ مِّنْ مَفَاهِيمِ بَنَاءِ النَّخْبَةِ السِّيَاسِيَّةِ فِي الْمَجَمُوعِ.

٦. «يُسْتَدِلُّ عَلَى إِدْبَارِ الدُّولَ بِأَرْبَعَ تَضَيِّعِ الْأَصْوَلِ، وَالتَّمْسِكِ بِالْفَرْوَعِ، وَتَقْدِيمِ الْأَرَادَلِ، وَتَأْخِيرِ الْأَفَاضِلِ»<sup>(٣)</sup>، وَهَذَا النَّصُ يَتَضَمَّنُ جَمِيلَةً مِّنْ مَفَاهِيمِ بَنَاءِ الْمَجَمُوعِ مِنْ حِيثِ وَعِيهِ الْاجْتِمَاعِ السِّيَاسِيِّ، وَلَكُمْ أَنْ تَسْتَقْرُئُوا التَّارِيخَ، وَتَبْنَوْهُوا بِمُسْتَقْبَلِ بَعْضِ الدُّولِ الْيَوْمِ.

٧. «رَأْسُ الْجَهْلِ مُعَاوَدَةُ النَّاسِ»<sup>(٤)</sup>، وَهَذَا النَّصُ يَمْكُنُ أَنْ يَسْتَفَادَ مِنْهُ عَدَّةُ مَفَاهِيمٍ، أَقْلَاهَا مَفْهُومُ التَّعَايشِ السِّلْمِيِّ، وَ ثَقَافَةُ الْحَوَارِ.

وَلَمْ أَتُطْرُقْ إِلَى وَصِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِلْكَلِمَةِ لَابْنِ الْحَسَنِ لِلْكَلِمَةِ؛ فَإِنَّهَا مَعْرُوفَةٌ لِدِيْكُمْ.

٨. «خُذُ الْحِكْمَةَ أَنِّي كَانَتْ؛ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ ضَالَّةٌ كُلُّ مُؤْمِنٍ»<sup>(٥)</sup> وَقُولُهُ: «الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ؛ فَلِي طَلَبُهَا وَلَوْ فِي أَيْدِيِّ أَهْلِ الشَّرِّ»<sup>(٦)</sup>، وَقُولُهُ: «خُذُوا الْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ الْمُشْرِكِينَ»<sup>(٧)</sup>، وَهَذِهِ النَّصُوصُ تُشَيرُ إِلَى مَفْهُومِ الْاِسْتِهْمَارِ مِنْ عِلُومِ الْأَجَانِبِ، وَهُوَ مِنْ مَفَاهِيمِ بَنَاءِ الْفَرَدِ وَالْمَجَمُوعِ.

(١) غَرَرُ الْحَكْمُ وَدَرَرُ الْكَلِمُ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْأَمْدِيِّ التَّمِيِّمِيِّ صِ ٦٦٦.

(٢) الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ صِ ٢٧٩.

(٣) الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ صِ ٨٠٠.

(٤) الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ صِ ٣٧٧.

(٥) غَرَرُ الْحَكْمُ وَدَرَرُ الْكَلِمُ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْأَمْدِيِّ التَّمِيِّمِيِّ صِ ٣٦٠.

(٦) تَحْفَ الْعُقُولَ عَنْ آلِ الرَّسُولِ (ص) ابْنُ شَعْبَةَ الْحَرَانِيِّ صِ ٢٠١

(٧) إِثْبَاتُ الْهُدَاءِ بِالنَّصُوصِ وَالْمَعْجزَاتِ الْحَرِّ الْعَامِلِيِّ (٤٥ / ١)

٩. ومن نصوص إرشاداته في العلاقات قوله عليه السلام: «أحب حبيبك هوناً ما؛ عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما؛ عسى أن يكون حبيبك يوماً ما»<sup>(١)</sup>، وقوله: «ابذر لصديقك كُلَّ المودة، ولا تبذل لَهُ كُلَّ الطمأنينة. وأعطيه كُلَّ المواساة، ولا تُفْضِ إِلَيْهِ بِكُلِّ الأَسْرَارِ، توفِّي الحكمة حقها، والصديق واجبه»<sup>(٢)</sup>. وهذا من أروع النصوص التي تشتمل على جملة من المفاهيم التي تُعنى ببناء الفرد والمجتمع. ولشد ما أدهشني أحد المفاهيم المستفادة من هذا النص، وهو مفهوم الأمان الفردي وأمن المجتمع، مع ما نعيشه اليوم من ازدياد قضايا الابتزاز الإلكتروني، وقضايا اختراق المجتمعات.

١٠. وأخيراً قال عليه السلام: «أضر الأشياء عليك أن تُعلم رئيسك أَنَّكَ أَعْرَفُ بالرياسة منه»<sup>(٣)</sup>، وهذا النص يتضمن مفهوماً من مفاهيم التنمية الحديثة.

أيها الأعزاء، أقول: تصوروا لو أن هذه المفاهيم قد شاعت عندنا لكم أن تخيلوا ما حال الفرد والمجتمع والدولة حينها!!

وفي الختامأشكر العتبة الكاظمية المقدسة التي كانت سبباً لأن نجتمع على مائدة أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهما السلام، آملاً أن ينال جهدي رضاهما عليه السلام، وأن يعدها بعض الوفاء لها في زمن قَلَّ الوفاء به.

كُلُّ القُلُوب فتغفو وَهُوَ يَحْتَرُب	أَنِّي نجَازِيكَ يَا قَلْبًا تَنَام بِهِ
وَمِنْهُ يَمْسِح بَطْنًا قُوَّتُهَا جَشَّب	يُزَقُّهَا الْآمِن سَمْنَاً وَالْهَدِي عَسْلَا
فَكُلُّ حَزْبٍ يَنَادِي هَاهُنَا الْذَّهَبُ	صَدَاً جَزِيناكَ عَمَّا كُنْتَ تَنْشُدُهُ

(١) نهج البلاغة (٤/٦٤).

(٢) كنز الفوائد أبي الفتاح الكراجكي (١/٩٣).

(٣) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد (٢٠/٣٣٧) في الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

وَكُلُّ آل طَرِيقٍ قَالَ قَاتِلَهُمْ  
الصَّدْقُ عِنْدِي وَغَيْرِي كُلُّهُمْ كَذَبٌ  
يَبْكِي عَلَيْنَا عَلِيٌّ حِينَ يَصْرَنَا  
وَقَدْ بَكَانَا عَلِيٌّ وَهُوَ مُخْتَضِبٌ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد آل يحيى

النجف الأشرف

٢١ / ربيع الأول / ١٤٤٦

## الفهرست

رقم الصفحة	اسم البحث	الباحث	ت
١١	تأملات في هوية المرأة دراسة مقارنة بين الحركات النسوية والمنظور الإسلامي (سيرة السيدة الزهراء <small>عليها السلام</small> مثلاً ملهمًا)	إبراهيم علي سليمان الحقاني	١
٣٣	أثربiology الخطاب الفدكي «قراءة في العقل المعرفي والسلوك الاجتماعي»	أ.م.د. أحمد حسن قاسم	٢
٦٧	أثر العلاقة الإيمانية بين الزوجين في مستقبل الأسرة والمجتمع «بيت الزهراء <small>عليها السلام</small> إنموذجاً»	الشيخ أحمد عبد الواحد الشويفي	٣
١٠١	حقوق الإنسان في فكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب <small>عليه السلام</small>	أ.م.د. أحمد علي عبود الخفاجي	٤
١٤١	المرأة والدور القيادي «فاطمة الزهراء <small>عليها السلام</small> مرتكزاً»	أزهار جبر هادي الإبراهيمي	٥
١٧٩	المبادئ الأخلاقية لمنهج الإمام علي <small>عليه السلام</small> في تطبيق القانون الجنائي	د. إسراء فاضل كاظم	٦
٢٠٣	تحليل ودراسة خصائص الحكومة الصالحة من وجهة النظر الإمام علي <small>عليه السلام</small> في نهج البلاغة	أ.م.د. أصغر طهه اسيي البُلداجي	٧
٢٣٥	الشخصية الفاعلة في المجتمع وبناؤها العقدي والأخلاقي في ضوء نهج البلاغة	السيد أوس صالح العوادي الموسوي	٨
٢٦٩	الأمن الاجتماعي في حكومة الإمام علي <small>عليه السلام</small>	بسمة محمد صادق الشيباني	٩

٣١٣	الاستراتيجيات التربوية والتعليمية لدى أهل البيت <small>عليهم السلام</small> الإمام أمير المؤمنين علي وسيدة نساء العالمين <small>عليها السلام</small> نموذجاً	ثاني عبد الله أحمد	١٠
٣٤٩	عنوان المعارضة السلمية، وسلمية المعارضة في مواقف السيدة الزهراء <small>عليها السلام</small>	الشيخ جاسم حمزة مطلوك الكركوشي	١١
٣٨١	المعايير الإسلامية للأم المثالية - دراسة تطبيقية في السيرة الفاطمية -	م.د. جنان غالب ظاهر الزيدى	١٢
٤٠٥	فاطمة الزهراء <small>عليها السلام</small> صراط الله ومعدن علمه - قراءات في النص الشعري -	أ.م.د. جنان فاضل علي الجعيفري	١٣
٤٣٧	دور السيدة الزهراء <small>عليها السلام</small> في التأسيس لحفظ المشروع الإلهي بعد حدث السقifica	د. حسين عبد النبي بدر الدين	١٤
٤٦٧	إرث الزهراء <small>عليها السلام</small> استخدام تقنيات خطبتها في إدارة الاحتجاج وتحقيق التأثير الإيجابي	الشيخ حسين محسن علي التميمي	١٥
٤٩٧	مفهوم الأسرة النموذجية للسيدة فاطمة <small>عليها السلام</small> في عصرنا الحديث	الشيخ حسين مناحي عبد العيساوي	١٦
٥٢٣	الخطاب العلوي وأثره في تربية الفرد	م.م حنان فاضل جبير	١٧
٥٣٩	الاتساق المعجمي وأثره في تماسك النص خطب الزهراء <small>عليها السلام</small> أنموذجاً (دراسة وظيفية لسانية)	أ.م.د. حوراء غازي عnad السلامي	١٨
٥٧١	ثقافة الحوار وفعاليته في كلام أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> (الحوار مع الخارج أنموذجاً)	أ.د- حيدر عبد الحسين زوين	١٩

٥٩٩	رسالة في مناقب أمير المؤمنين الهمجي عليه السلام (بحدود: القرن الرابع عشر الهجري)	أ.د: حيدر كريم الجمالي	٢٠
٦٣١	الأهداف الرئيسية للإدارة العامة في عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر عامله على مصر دراسة تشريعية مقارنة	م. د. حيدر ناجي طاهر	٢١
٦٥٧	لسانيات الخطاب في أدعية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (دعاء الصباح اختياراً)	أ.م. د خالد إسماعيل صاحب السعدي	٢٢
٦٧٩	الشواهد التاريخية على فن المعارضة لدى السيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام	م.د. خديجة حسن علي القصیر	٢٣
٦٩٩	المرأة والغزو الثقافي في ضوء المنهج التربوي للصادقة الزهراء عليهما السلام	أ.د. خليل خلف بشير	٢٤
٧٣١	إثمار السيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام مصداق لصور الإثمار القرآني	أ.د. خولة مهدي شاكر الجراح	٢٥
٧٥٧	التأصيل النظري للتنمية البشرية في فكر الإمام علي عليهما السلام	م. د. دنيا جليل محمد	٢٦
٧٨٥	التنمية البشرية من منظور الخلافة العلوية	د. ذو الفقار جواد ناجي جاسم	٢٧



تأملات في هوية المرأة دراسة مقارنة  
بين الحركات النسوية والمنظور الإسلامي  
(سيرة السيدة الزهراء عليها السلام مثلاً ملهمًا)

الباحث  
إبراهيم علي سلمان الخاقاني

العتبة العباسية المقدسة  
قسم مؤسسة الوافي للتوثيق والدراسات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة على نبی الرحمة محمد، وآلہ الطیبین الطاھرین، واللعن  
علی أعداء الدین، والسلام علی خیر بریته إلی قیام یوم الدین.

أما بعد..

أشارت الواقع إلى أنّ شخصية المرأة عبر التاريخ القديم عانت من تقييد دورها في المجتمعات، وتعرضت للأمور اللاإنسانية. وجاء الإسلام لنفي الأفكار الميسئة لشخصية المرأة وحياتها، وغياب وعيها بدورها وبنادتها. وكان له دور في إبراز مكانتها الاجتماعية، وساعدها في تكوين شخصيتها الدينية والثقافية والاجتماعية. لذا تطلب من المؤمنة أن تجد ذاتها بين هذه الاضطرابات والتشكيك بهويتها الإسلامية ، وعليها التأسي وأخذ السيدة الرهراء عليها السلام قدوةً لها ل تستمدّ منها شخصيتها وكيفية بناء هويتها الإسلامية التي تساعدها على مجاراة الحياة والدفاع عن شخصيتها وحياتها في ظلّ الدعوات إلى تحريرها من الهوية التي ميّزها بها الدين الإسلامي السمح.

## المبحث الأول

### الهوية في الإطار المفاهيمي

#### المطلب الأول: الهوية الإنسانية في اللغة والاصطلاح

**أولاً: الهوية في اللغة:** تُعبر الهوية عن الرؤى المتنوعة للجماعة، وتمثل الطبيعة الديموغرافية لهم؛ لذلك حظي الموضوع باهتمام الكثير من العلماء لعرفة المعنى الجوهرى لماهية الهوية في المفهوم اللغوي.

واشتقت لفظ «هوية» (من الضمير الغائب «هو» الذي تحول إلى اسم «هوية» وترادف في اللغة العربية. أمّا في المعاجم العربية، ورد في لسان العرب كلمة (هوى) هُوَّةٌ وَهُوَى. وأُهْوَةً: البئر قال أبو عمرو، وقيل أُهْوَةً الحفرة البعيدة القعر، وهي المهوأة المُهَوَّى العشق، ويكون في مداخل الخير والشرّ).

**والهَوَى:** قال أبو ذؤيب: فهن عكوف كنوح الكريم، فقد شف أكبادهن الهوى؛ أي فقد المِهْوَى.

**وهوى النفس:** إرادتها، والجمع الأهواء، وفي التهذيب ذكر اللغويون أنّ الهوى حبّة الإنسان للشيء وغليبه على قلبه؛ قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾؛ معناه منهاها عن شهواتها وما تدعوه إليه من معاichi لله عزّ وجلّ<sup>(١)</sup> فالنفس راغبة في الشيء الذي فطرت عليه، والدين كابحها.

(١) محمد بن مكرم، المعروف بابن منظور، لسان العرب، دار صادر- بيروت د ط، ٢٠٠٣، ج ٣، حرف الهاء.

وذكر في قاموس المحيط أنّ هذه اللفظة بمعنى «**الهُوَّةُ والأُهُوَّةُ** والماوية، وكلّ فارغ، والجبان، وبالقصر العِشق يكون في الخير والشرّ وإرادة النفس، والمهويّ. وهوت الطعنة فتحت فها، والعقاب هُويًا انتقضت على صيد أو غيره<sup>(١)</sup>.

**ثانياً: الهوية في الاصطلاح:** تشكّل الهوية جملة من الاعتبارات التي يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار من ناحية المكوّنات التي تتألف منها أو المراجع التي تسبّب بانباقاتها، إذ إنّها تُعدّ طابعاً يدلّ على إيديولوجيا تميّز ما يقوم به الفرد عن غيره. ويرى أهل الاصطلاح أنّ الهوية تتحدّد بظروف زمانية، ومكانية. وأضيف إليها لاحقاً المحدد الثقافي الذي جعلها عرضة للتغيير في أيّ وقت. وقد عرّفت الهوية بأنّها (أحد المفاهيم المركزية التي تسجل حضورها الدائم في مجالات متعددة؛ ولا سيما في العلوم وال المجالات الإنسانية ذات الطابع الاجتماعي)<sup>(٢)</sup>؛ عرفت بهذا الشكل لما لها من أبعاد تداخل مع الأدوار الذاتية والجماعية لتأثير فيها بشكل مباشر مع هذه الأدوار. وبهذا فإنّ الهوية بهذه المفاهيم الاصطلاحية تتّسّع وتطرح الموضوعات الشائكة التي وجهت بعض الباحثين للكتابة عنها في ظلّ وجود الهويات المختلفة، إذ يرى عبد الغني أنّ الهوية (تقع في قلب الصراع المادف إلى صياغة تعريف نهائي للإنسان)<sup>(٣)</sup>، وكما ذكر في المعجم الوسيط فإنّ الهوية في الفلسفة تعبّر عن (حقيقة الشيء، أو الشخص التي تميّزه عن غيره)<sup>(٤)</sup>. ومن هذا فالهوية مفهوم لا يمكن

(١) مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، عام ٢٠٠٧، حرف الهاء، مادة (هـ وة).

(٢) اليكس مكشيللي، الهوية، ترجمة على وطفة، دار الوسيم للخدمات الطبعية، دمشق، ١٩٩٣، ط١، ص١.

(٣) عبد الغني عياد، سوسوجيا الهوية: جدليات الوعي والتفكير وإعادة البناء، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ٢٠١٧، م، ص٩.

(٤) مجتمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٤، ط٤، ص٩٩٨.

تكوينه دفعة واحدة، بل يتعرض هذا المفهوم إلى جملة من المراحل، تبدأ بمراحل نشأة الفرد، ومرحلة التعليم، ومرحلة الاعتقاد؛ وهذه المراحل جميعها تتسبب في ترسيخ مبادئ الهوية التي يتبعها الإنسان، ولأنها تعبر عن الخصوصية المجتمعية المنفردة تتعرض للازمات في عصرنا الحديث عندما تكون فاقدة لبعض الوظائف الأساسية التي تحملها الهوية.

### **المطلب الثاني: دور الإسلام إبراز هوية المرأة وبناء شخصيتها**

أولى الدين الإسلامي اهتماماً واضحاً بالمرأة، فقد أضفى عليها من المكارم والمكانة بين المجتمع العربي آنذاك على عكس ما كان عليه قبل بزوغ شمس الإسلام على يد النبي الرحمة محمد ﷺ، فقد كانت المرأة في العصر الجاهلي محروم من أسط حقوقها في الحياة الإنسانية، وتعامل بوحشية، ويتم وأدتها كما ذكر في كتاب الله تعالى: **(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُيِّلَتْ)**<sup>(١)</sup>، وخير مثال على ذلك رواية صعصعة بن ناجية لما جاء الرسول (قال: يا رسول الله إني كنتُ أعمل عملاً في الجاهلية أفينفعني ذلك اليوم؟ قال: وما عملك؟ فأخبره بخبر طويل فيه أنه حضر ولادة امرأة من العرب بنتاً فأراد أبوها أن يدها. فقال: قلت: أتبיעها؟ قال: وهل تبيع العرب أولادها؟ قال: قلت: إنما أشتري حياتها ولا أشتري رفها)<sup>(٢)</sup>، فضلاً عن اعتبارها ملكية خاصة للزوج ومصادرة دورها القيادي، إضافة إلى سلب حقوقها المالية.

لا شك أنّ الإسلام له الفضل في إدخال الإصلاحات الإنسانية والاجتماعية إلى المجتمع، كما أحدث تغييرًا جذرًا في بعض العادات التي تخصّ قضايا المرأة على عكس الأساليب التي استخدمها العرب في العصر الجاهلي. فقد منحها هويتها الإنسانية وحقوقها

(١) سورة التكوير، الآية ٨.

(٢) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأربع في معرفة أحوال العرب، ط٢، ج٣، ص ٤٦.

بشكل تام وتمثل ذلك بشمولها بالميراث، والزواج أو الطلاق، وحضانة الأبناء، وحقّ العمل، ومارست المرأة المسلمة حياتها بحرّية مكفولة وفق الشريعة الإسلامية، وأسهمت في قيادة الأسرة أو مزاولة التجارة كما كانت زوجة الرسول ﷺ خديجة بنت خويلد وابنتها الهراء رض.

إن التزام المرأة بهويتها الدينية من أهم متطلبات بناء شخصيتها الإنسانية في داخل مجتمعها، إذ تهيئ الهوية الإسلامية الظروف المناسبة للتكيف والتفاعل مع الآخرين، ونجد أن فاطمة الزهراء رض حافظت على هويتها الإسلامية لتكون القدوة المتكاملة للنساء المسلمات، فقد التزمت بالتعاليم الدينية والإنسانية وتزوجت بالعلم والمعرفة، وكانت المرأة المؤمنة الصابرة، والابنة البارّة، والزوجة المطيعة، والأم المثالية، إضافة إلى مواجهتها للمصاعب والتحديات في حياتها جعلت أفكارها موضع التطبيق، وأوصلت رسالتها على الرغم من المحن التي تعرضت لها؛ ولهذا عُدت مثلاً حياً لفضائل أهل بيته رض في أحاديثها وأعمالها، وزهدتها وتطبيقها لتعاليم دينها؛ لذلك بلغت الزهراء ذروة الكمال الإنساني في جميع جوانب الحياة فقد أعلى الله تعالى منزلتها وكرّمها في الدنيا والآخرة لتكون سيدة النساء العالمين من الأولين والآخرين، وإن المرأة اذا ما أرادت الالتزام بهويتها عليها أن تتّخذ من الزهراء رض قدوة لأسباب مهمة ومنها:

الالتزام الزهراء بالتعاليم الدينية، وخاصة التعاليم التي تميز المرأة المسلمة عن غيرها.

مثلت سيدة النساء العالمين الهوية الفكرية للمرأة المسلمة؛ وذلك من خلال مشاركاتها العلمية ونقلها الآراء الفقهية عن أبيها النبي محمد ﷺ، وذكرت أم سلمة بقولها عن

الزهراء عليها السلام «وكانَتْ وَاللهِ ادْبُّ مِنِي، وَأَعْرَفُ مِنِي بِالْأَشْيَاءِ كُلُّهَا»<sup>(١)</sup>. وإنَّ هَذِهِ السَّمَاتِ تَدَلُّلٌ عَلَى الْمَكَانَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْمَعْرِفِيَّةِ الَّتِي احْتَلَتْهَا السَّيْدَةُ فَاطِمَةُ.

لَمْ تَتَخلُّ الزَّهْرَاءُ عليها السلام عَنْ هُويَّتِهَا الاجْتِمَاعِيَّةِ، بَلْ كَانَتْ عَلَى تَوَاصُلِ دَائِمٍ مَعَ الْقَاصِدِينَ إِلَيْهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ. وَقَدْ ذَكَرَتِ الرَّوَايَاتُ بِيَانِ الزَّهْرَاءِ لَمْ تَنْسِ دُورَهَا الاجْتِمَاعِيِّ حَتَّى فِي أَثْنَاءِ تَوْجِهِهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَكَانَتْ تَدْعُو لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ. وَذَكَرَ عَنِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ عليه السلام «رَأَيْتُ أُمِّي فَاطِمَةَ قَامَتْ فِي مَحَابِّهَا لَيْلَةً جَمِيعَهَا، فَلَمْ تَزُلْ رَاكِعَةً سَاجِدَةً حَتَّى اتَّضَحَّ عَمُودُ الصَّبَحِ، وَسَمِعَتْهَا تَدْعُو إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَتَسْمِيهِمْ، وَتَكْثُرُ الدُّعَاءَ لَهُمْ، وَلَا تَدْعُو لِنَفْسِهَا بِشَيْءٍ، فَقَلَّتْ لَهَا: يَا أَمَّاهُ، لَمْ لَا تَدْعُنِي لِنَفْسِكَ كَمَا تَدْعُنِي لِغَيْرِكَ؟ فَقَالَتْ: يَا بَنِي الْجَارِ ثُمَّ الدَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

### **المطلب الثالث: المرأة المسلمة بين حرب الحركات النسوية والفكر الإسلامي الناضج**

فِي ظَلِّ التَّقْدِيمِ التَّقْنِيِّيِّ وَالْعُلُومِيِّ نَشَأَتْ بَعْضُ الْمَجَامِعِ الَّتِي تَحَاوُلُ أَنْ تَعَارِضَ الْأَفْكَارِ الَّتِي جَاءَتِ فِي الْمَاضِيِّ، حِيثُ رَكَّزَتْ عَلَى اسْتَغْلَالِ مَصْطَلِحِ الْحَدَاثَةِ لِمُواجِهَةِ الْتَّعَالِيمِ الإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي تَخَصُّ قَضِيَّةَ الْمَرْأَةِ. وَيَعُودُ مَصْطَلِحُ الْحَدَاثَةِ إِلَى التَّطَوُّرَاتِ الَّتِي شَهَدَتْهَا أُورُبِياُّ فِي نِهايَةِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ، وَامْتَدَّتْ إِلَى الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ مِنَ الْمِيلَادِ إِذَا عَمِلَ الْمُفَكِّرُونَ فِي هَذِهِ الْحَقبَةِ عَلَى إِنْشَاءِ مَجَمِعٍ جَدِيدٍ يَعْتَمِدُ عَلَى الْقَوْانِينِ الْحَدِيثَةِ، وَيَقْصِدُ بِالْمَجَمِعِ الْحَدِيثِ (بِأَنَّهُ الْمَجَمِعُ الَّذِي يَخْتَلِفُ جَذْرِيًّا عَنْ كُلِّ مَا جَاءَ قَبْلِهِ، وَمَلَاحِظَةُ النَّقلَةِ الْحَادِثَةِ مِنَ الْطُّرُقِ

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحكم النيسابوري، المستدرك، تحرير: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ج٤، ص٣٠٣.

(٢) أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، علل الشرائع، تحرير: السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ط١، ١٩٦٦، ج١، ص١٨٢.

التقليدية في الحياة إلى الطرق الحديثة<sup>(١)</sup>، ويرى بعض مفكري الغرب ومنهم الكاتب الفرنسي (جيل)، بأن المرأة في الحداثة هي (التي تتسم بالاستقلالية، وتُعد نموذج جديد يجسد قطيعة مع تاريخ المرأة، فهو نموذج لم يظهر من قبل في التاريخ الإنساني، وقد أطلق عليها مسمى «المرأة غير المحددة»). ففي ظل هذا النموذج خرجت المرأة من مصير معروف («كزوجة وربة منزل») إلى مصير آخر مفتوح، ولا يمكن التنبؤ به إلى أين يقود المرأة<sup>(٢)</sup>، بينما هذه الآراء تمثل أشخاصاً لا يمتون للإسلام بصلة، لأن الدين جاء لإنصاف جميع شرائح المجتمع، وبالخصوص المرأة التي كانت تفقد هويتها في العصور السابقة، وأبرزها عصر ما قبل الإسلام حيث شبه الجزيرة العربية؛ كان بعض العرب يغضونها ويعدونها إحدة السلع الخاصة بهم، ووصف القرآن حالم عندما يبشرهن بولادة الأنثى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا﴾<sup>(٣)</sup>.

لقد من الله تعالى على العرب بخاتم الأنبياء ﷺ الذي كان الوسيلة لهدايتهم وإخراجهم من دوامة الشرك إلى عبادة الله تعالى، وكرم المرأة بمنزلة عظيمة بعدما ذاقت المعاناة في بعض المجتمعات، واهتم بها بوصفها الابنة والزوجة والأم الصالحة، ووضع لها هويتها وما تتبعها من حقوق وواجبات، وأوصى برعايتها، وأنزل الآيات المباركة لإيضاح حقوقها وفق الأحكام الشرعية، وبما يتناسب مع طبيعتها الإنسانية. ومن هذه الحقوق، الحق في الحياة، حق المرأة في الزواج، حق المرأة في الميراث كما في منزل كتابه الكريم: ﴿وَلِلِّتَّيْسِاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) تيموتز روبرتس وايمن هايت، من الحداثة إلى العولمة، سلسلة غالم المعرفة، العدد ٣٠٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٤، ص ١٥.

(٢) جيل ليبوتسيكي، المرأة الثالثة، دار جاليهار للنشر، ط١، ١٩٩٧م، ص ٥.

(٣) سورة النحل، الآية ٥٨.

(٤) سورة النساء، الآية ٧.

وطبق النبي محمد ﷺ ذلك عن طريق تكوين الهوية الخاصة بابنته فاطمة الزهراء ؓ وذلك وفق المعايير والرؤى الإسلامية، لتمثل النموذج المثالي والمتكامل لهوية المرأة، ومنحها حقوقها الإنسانية كافة.

مثلت السيدة الزهراء هوية المرأة خير تمثيل، لأنّ حياتها امتازت بالشمولية؛ أي إنّها لم تقتصر على جانب معين لتكون خير قدوة للنساء المسلمات، وحثّت على الالتزام بالتشريعات السماوية على عكس ما دعت إليه الأفكار الحداثوية التي ركزت على الانفتاح غير المحدود للمرأة دون معرفة الأثر الذي يتركه هذا الانفتاح على المجتمع بشكل عام / أو نواتها التي تمثل بالأسرة. وعلى النساء المسلمات أن يتخدن من الزهراء قدوة اذا أردن الحفاظ على هويتهن الإسلامية والاجتماعية من خلال ما التزمت به ووجهت عليه في أثناء حياتها ؓ من الالتزام بالتعاليم الدينية، واتزان الشخصية الاجتماعية، والعفة لحفظ هويتها الدينية والإنسانية كما جاء في الفكر الإسلامي الناضج.

## المبحث الثاني المرأة في منظور ديني تأهيلي

### المطلب الأول: شخصية المرأة المسلمة

صاغ الإسلام الشخصية المناسبة للمرأة ووفق ما يتناسب مع طبيعتها البشرية، وتعامل معها بأوجه عديدة وخاصة في الخطابات القرآنية المباركة ووجه لها الدعوة بشخصية الفرد (الإنسان): ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ﴾<sup>(١)</sup>. وهذا دليل قرآنی على أن الدين تعامل مع البشر بمساواة دون التفریق بينهم، وأنزل الأحكام الشرعية درءاً للمفاسد لا على حساب الجنس البشري ودون التفریق بين ذكر أو أنثى، إضافة إلى أن القرآن خصّ المرأة في بعض الموارض التي تساعدها على التوجّه لتحديد هويتها وشخصيتها ضمن النطاق الذي وضعه لها التكليف، ووفق مقدرتها الإنسانية. يقول الشيخ (جود املي) في كتابه (ليس هناك فرق بين المرأة والرجل في المسائل، لأن محورها الإنسان ولا تختص مسألة الذكورة والأئحة في حقيقة الإنسان والإيمان)<sup>(٢)</sup>. وهذا ما بيّنته الآيات الكريمة من كتاب الله عز وجل أنها تشير إلى شخصية البشر التكوينية بمظهر الإنسانية لا على أساس التفریق بين المرأة أو الرجل.

لقد برزت شخصية المرأة في شتى المجالات، ووفقاً لل تعاليم الدينية والأخلاقية التي جاء بها الإسلام، فقد تسبيبت هذه التعاليم بصياغة عقلية جديدة قائمة على سلوكيات جديدة تساهمن في إبراز هويتها القيمة بين المجتمع الذي تعيش فيه، وظهر ذلك بشكل

(١) سورة الانفطار، الآية ٦.

(٢) الشيخ جود املي، جمال المرأة وجلالها، دار المادي، لبنان-بيروت، ١٩٩٤، ط١، ص ١٧.

واضح وجلٌّ من خلال الأدوار التي مارستها بعد الإسلام، ولا شكّ أنها أصبحت عنصر وعي بناء.

إنَّ للإسلام الفضل في اليقظة الإيمانية التي تعيشها المرأة منذ زمن بعيد، فقد عرفها بشخصيتها الأصيلة التي صاغتها الآيات الحكيمية، وجعل لها هوية قيمة ونبيلة تميّزها بمشاعرها وأفكارها وسلوكياتها عن غيرها، كما ذكر الدكتور محمد علي الهاشمي: (لم يقتصر فضل الإسلام على المرأة بنقلها هذه النقلة الهائلة من وحده التخلف والذلة والضياع إلى علية التقدم والعزّة والأمن والكافية، بل يعني عنایة باللغة أيضًا في تكوين شخصيتها تكونيناً كاملاً شاملاً كُلَّ جانب من جوانب شخصيتها الفردية والأسرية والاجتماعية بحيث غدت إنساناً راقياً جديراً بالاستخلاف في الأرض) <sup>(١)</sup>.

ولوحظ انعكاس ذلك من طريق الأحداث التاريخية التي وجدت فيها بعض النساء والتي كانت لهن شخصية ثابتة، وعقلية واعية، ليؤكّدن مكانتهن الفاعلة والناجحة في المجتمع؛ ومثال على ذلك السيدة مریم، وامرأة فرعون، وما حدثنا التاريخ عنه في شخصية السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهما السلام.

إذا أردنا معرفة الشخصية المثالية للمرأة المسلمة فيجب اختيار نموذج لها، ونرى أنَّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قياس هوية المرأة العابدة والقيادية في مجالات الحياة المختلفة. وعندها نتحدث عن سيدة نساء العالمين يعني بذلك وصف الفكر العالي، والسجايا النبيلة، والأسلوب العالي في التعامل مع البيئة الأسرية والاجتماعية، وهذه الصفات يمكن أن يقاس بها مدى إدراك المرأة المؤمنة لحضور شخصيتها وبراعتها في إثبات ذاتها للعلن وفق ما

نصته شريعة الدين الذي جاء به النبي محمد ﷺ.

(١) الدكتور محمد علي الهاشمي، شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٩، ط٨، ص٩.

لقد أثبتت عليها السلام في مرات عديدة أنها حملت الصفات الإيمانية والانسانية المثل، فقد تفوقت على النساء الآخريات رجحانًا ومكانة، وأكّد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه مكانتها (فاطمة بضعة مني يرضيني ما أرضاها ويغضبنني ما أغضبها)<sup>(١)</sup>. وهكذا تكونت شخصية البتول لتكون قدوة للنساء في بناء شخصياتهن، وذلك عن طريق ما يلي:

التزود من علم ومعرفة السيدة فاطمة عليها السلام، لأنّها مثلت النموذج الأكمل للعلم الذي صاغته الأنوار الإلهية والرسالة المحمدية وطبقته منهجاً وسلوگاً، فقد مثلت المدرسة الفكرية لأبيها وتزورّت من علمه.

لقد امتازت شخصية الصديقة الطاهرة بالعفة والطهارة ولا تخرج من منها إلا والعبادة تحيط بجسدها الشريف من كل جانب؛ وهذا جانب مهم للمرأة لتحصن شخصيتها وتحارب الأفكار الدخيلة التي تدعو إلى التبرج وغيرها من الأشياء المراد بها طمس هوية المرأة المسلمة.

إنّ ما ميّز السيدة الزهراء عليها السلام عن سائر نساء العالمين من الأولين والآخرين، هو نجاحها في إثبات ذاتها في كلّ مراحل حياتها، على الرغم من المنزلة الرفيعة التي كرّمها الله سبحانه وتعالى، فقد كانت الابنة البارّة لأبيها، والزوجة الصالحة، والأم المربيّة فقد كانت عليها السلام تقضي واجباتها المنزليّة. وعليه لا تحتاج المرأة إلى التمرّد أو اتّباع الأهواء لإثبات ذاتها وفرض شخصيتها على المجتمع المحيط بها، فقط عليها الاطلاع على سيرة مولاتنا الصديقة الطاهرة، وأخذ العبر والمواعظ منها فيما يخصّ جوانب الحياة العامة، لأنّها تعدّ الأنموذج الأمثل لهوية المرأة الناجحة في إدارة شؤون حياتها على المستوى الشخصي.

(١) العلامة المجلسي، تحرير: الشيخ علي النهازي، بحار الأنوار، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٨، ط١، ج٤٣، ص٣٩.

اتصفت شخصية السيدة البطلة عليها السلام بالفاعلية الاجتماعية ومثلت الهوية الإسلامية خير تمثيل، فقد كان لها دور كبير في نشر الرسالة الإسلامية مع أبيها عليه السلام، إذ حضرت المناظرات، وأقامت الاجتماعات لتنقل الأحكام الفقهية والشرعية للنساء المسلمات على الرغم من صغر سنّها؛ وبهذا نرى أنها بَيِّنت دور المرأة الاجتماعي وكيفية إبراز شخصيتها وهويتها الفكرية بحسب ما يتناسب مع الطبيعة الإنسانية للمرأة من خلال اتّباعها تعاليم الدين والأنظمة التي شرّعها الله تعالى.

ومن طريق ذلك فقد كان للسيدة الطاهرة عليها السلام دور بارز في تكوين هوية المرأة المسلمة وشخصيتها، فقد بَيِّنت المكانة المرموقة التي وضعها الدين للنساء بشكل عام، وبَيِّنت الفكر الناضج للهوية وتكوين الشخصية التي أرادتها الشرائع السماوية للمرأة.

#### **المطلب الثاني: تأثير هوية السيدة الزهراء عليها السلام في تمكين المرأة أخلاقياً وسياسياً واجتماعياً.**

شكّلت الهوية محوراً مهماً في بناء الشخصية الإنسانية؛ لذا فإن التمسّك بها يعدّ من أكثر المتطلبات القيمة للتعرّيف بالذات البشرية ومكوناتها على الصعيد الشخصي، والتعاليم الدينية والتقاليد المجتمعية على الصعيد العام، وعلى المرأة الدفاع عن هويتها وحمايتها من التعرض للمشكلات التي تقلّل منها أو تمسّها بأيّ حال من الأحوال، ولحمايتها يجب اتّباع الأحكام والقوانين التي خطّتها التشريعات السماوية التي حدّدت من خلاها المساحة الوافرة والمكانة المرموقة التي برّزت دور المرأة وجعلت لها هوية خاصة بصفتها إنساناً.

وضع الدين الإسلامي الركائز المهمة للحفاظ على هوية المرأة المسلمة وحدّدها بعض القوانين الإلهية، وأكّد ذلك لجعل المرأة المسلمة متميزة بين قرينتها من النساء غير المسلمات، ورفض فكرة التبرج ليبعد النظرة السلبية للمجتمع الجاهلي عن المرأة فأوصاها بعدم

التبرج. قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾<sup>(١)</sup> ، كما أراد الإسلام من المرأة الحفاظ على حجابها وعدم إظهار زيتها لآخرين لما يقلل ذلك من شأنها بين المجتمعات و يجعلها مجرد أداة: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبَدِّيَنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبَدِّيَنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعْوَلَتِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعْوَلَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعْوَلَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي أَخْوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَاءِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَانُهُنَّ﴾<sup>(٢)</sup> ، وترك لها المساحة ل تستشعر بالطبيعة الإنسانية والأثرية التي ميزها بها الله جلّ وعلا، وذكر ذلك في القرآن الكريم: ﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالظَّبِيبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي ظلّ الهجمة الشرسة التي قام بها أعداء الدين لضرب هوية العنصر النسوی في المجتمع الإسلامي، ومحاولتهم خلق الأفكار التي لا تمت للتحرر أو التطور بصلة من خلال التشكيك في العقيدة وتشويه المعالم الدينية التي كرم الله تعالى بها المرأة، مثل التحرير على عدم الالتزام بالحجاب الشرعي، والتحرر في إبداء الزينة، وإعطاء الحرية الكاملة لها، وعدم تقييد العلاقات الاجتماعية والاختلاط، إذ تعد هذه الأفكار منافية لما أتى به الإسلام من قيم أخلاقية، ذلك ما يتعارض مع مفاهيم السيدة الزهراء عليها السلام ومنهجها القويم الذي حاولت فيه جعل قيمة عالية لهوية المرأة المسلمة، وهذا على المسلمة التي تريد أن تسمو بهويتها عليها اتباع الأسلوب الحيادي للصديقة الكبرى، لتحافظ على مكانتها المترنة وعلى هوية الابنة الباردة، وهوية الزوجة المسلمة، وهوية الأم الصالحة كما في سيرة البطل الطاهر عليه السلام لأنّها مثال للمرأة المكتملة والهوية الإنسانية الخالصة.

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٢) سورة التور، الآية ٣١.

(٣) سورة الاعراف، الآية ٣٢.

### أولاً: هوية الحجاب في تطبيق السيدة الزهراء عليها السلام

إن قضية الحجاب التي فرضها الله تعالى على المرأة تعدّ ركناً مهمّاً في قضية التعرف على هوية المرأة المسلمة، لذلك طبّقت الزهراء المفاهيم الدينية التي تخصّ موضوع الحجاب بشدّة، وحثّت النساء المسلمات على تطبيقها. قال موسى: حدثنا أبي، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام: «أنّ فاطمة بنت رسول الله عليه السلام، استأذن عليها أمّي فحجّبته، فقال لها النبي عليه السلام: لم حجبته وهو لا يراك؟ فقالت: يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشم الريح، فقال النبي عليه السلام: أشهد أنّك بضعة مني». <sup>(١)</sup>، وهكذا ورثت سيدة نساء العالمين عن أبيها هذه التعاليم الأخلاقية وال عبر التوعوية في ارتداء المرأة للحجاب.

وفي حديث آخر روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «دخل رسول الله عليه السلام ذات يوم على فاطمة عليها السلام وهي حزينة فقال لها: ما حزنك يا بنيّة؟ فقالت: يا أبه ذكرت المحشر ووقف الناس عراة يوم القيمة، قال يا بنيّة إله يوم عظيم... حتى قال : ينادي منادٍ من تحت العرش يسمع الخلق: غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة الصديقة»<sup>(٢)</sup>، فقد كان حجاب السيدة الطاهرة يحتوى على الشكل السليم لحجاب المرأة الدينى، بالإضافة إلى الذوق النسوي السليم.

### ثانياً: هوية الابنة البارزة (أم أبيها)

كانت الزهراء تتصف بأفضل الخصال المتكاملة للإنسان، فهي رببة بيت الرسالة ومهبط الوحي، وهي أفضل النساء بأجمعهن من الأولين والآخرين، وأطلق عليها (أم

(١) الميرزا الطبرسي هو حسين التورى المتوفى سنة ١٣٣٠هـ، مستدرک الوسائل، مؤسسة الـبيت عليه السلام لإحياء التراث، طهران، ج ١٤، ص ٢٨٩.

(٢) فرات ابن إبراهيم الكوفي، تفسير فرات الكوفي، تتح: محمد الكاظم، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ٢٠١١، ط ١، ص ٤٤٥.

أبيها) لأنّها كانت الابنة البارّة بوالدها، وكيف لا وهي من ساعدت النبي ﷺ في المحن وهي صغيرة في السنّ، ومن خلال هذا أرسلت ﷺ رسالة للمرأة المسلمة التي تريد أن تحافظ على هوية الابنة البارّة، فعليها الإحسان لوالديها واتّباع ما مهدت له الزهراء ﷺ فيها يخصّ هذا المضمار. فهي نفذت ما أنزله الله تعالى في الآية المباركة والتي توصي بالوالدين خيراً: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: هوية الزوجة المسلمة

تغّيرت السيدة الزهراء على النساء بأنّها ابنة نبيّ في بداية عمرها وزوجة وصيّه وأشجع الفرسان علي بن أبي طالب ﷺ، فقد رضيت بالمهر القليل وعاشت مع أمير المؤمنين، وشاركته حياته وساندته في السراء والضراء لتبيّن أنّ مسيرة المرأة المتزوجة تكون ذات هوية خاصة وأرسلت رسالة إنسانية ليُقتدى بها من خلال الرضا بالمهر المتواضع، والرضا من يتمتع بالخلق القويم والسلوك الحسن.

### رابعاً: هوية الأم المثالية

حفلت حياة السيدة فاطمة ﷺ منذ صباها وحتى بلوغها شبابها بأدوار متميزة في جوانب الحياة المختلفة، وأبرزها الدور التربوي الذي مارسته بالأفعال قبل أن ترشد الآخريات من النساء، فكانت هي هوية الأم العاملة والعاملة في بيتها على الرغم من منزلتها، والمديرة لأعمال منزلها مثلت هوية الأم المربيّة، فقد غذت أبناءها بالفضيلة والتقوى وحثّتهم على التعبد والتزوّد.

(١) سورة الاسراء، الآية ٢٣.

فكانت الله المرأة المثالية التي بربور هويتها الدينية ودافعت عنها، وكانت أنموذجاً للشخصية المسلمة الكاملة المتميزة والمؤثرة، والقدوة الحسنة للمرأة العراقية الباحثة عن الهوية التي كرّمها الإسلام بها.

وهنا عندما نتحدث عن المرأة العراقية، فإننا نشير إلى رمز للقوة والإلهام والتحدي، فإنّها تعبّر عن تاريخ غني بالتضحيات والنضال، فقد أبقيت على روحها القوية وتصميمها في مواجهة التحديات التي واجهتها على مر العصور. ومن بين الشخصيات التي لها تأثير كبير في الوجدان والثقافة العراقية هي السيدة الزهراء الله، إذ إنّ قصّتها ومكانتها تعكس قدرة المرأة العراقية على تحقيق التفوق والتأثير في مجالات متعددة.

فالسيدة الزهراء الله لم تكن مجرد زوجة وأمّاً، بل كانت رمزاً للقوة والصبر والحكمة، وكانت تتمتع بمعرفة وعلم عميق، وكان لها دور مهم في تعليم أبنائها وتربيتهم ونشر القيم الإسلامية النبيلة بين الناس. وعلى الرغم من مأساة استشهادها ومعاناتها الكبيرة، لم تنكسر إرادتها وثبتتها في الدفاع عن الحق والعدل.

كذلك تاريخ المرأة العراقية يحمل العديد من الشخصيات البارزة والمؤثرة في مختلف المجالات. فقد شهد العراق نساءً قادرات على تحقيق التفوق في المجالات الأكademية والثقافية والسياسية والاجتماعية والفنية، فتأثير المرأة العراقية يمتد إلى الأدب والشعر والفنون، حيث قدمت إسهامات قيمة وإبداعات رائعة، لذا من المهم أن نعمل على تعزيز دور المرأة العراقية في المجتمع وتمكينها من المشاركة الفعالة في صنع القرار وبناء المستقبل، كما يجب أن نعمل على توفير فرص التعليم والتدريب والدعم للنساء، وتعزيز مبدأ المساواة واحترام حقوقهنّ.

في الختام إن المرأة العراقية تمتلك إرثاً عظيماً وتاريخاً مجيداً. وعلى الرغم من التأثيرات والظروف الصعبة والتحديات التي مر بها العراق، فإن المرأة العراقية ما تزال تستمد قوتها وإرادتها من تاريخها العريق وقدرتها على التحمل والصمود، وباستلهامنا مثال السيدة الزهراء عليها السلام، يمكننا أن نجد في المرأة العراقية قدوة ومصدر إلهام.

وإن تمكين المرأة العراقية وتعزيز دورها في المجتمع ليس مجرد واجب أخلاقي واجتماعي، بل هو أيضاً ضرورة لبناء مستقبل أفضل للعراق. عندما تشارك المرأة العراقية في العمل والتعليم وصنع القرار، يتم تعزيز التنمية الشاملة وتعزيز العدالة والاستقرار.

لذلك، يجب علينا أن نعمل جمِيعاً على تعزيز حقوق المرأة العراقية وتمكينها من المشاركة الفعالة في المجتمع، كما ينبغي أن توفر لها فرص عادلة في التعليم والتدريب والعمل، وأن نحافظ على سلامتها وحقوقها الأساسية، ويجب أن تكون هناك جهود مستمرة لتعزيز الثقافة وتعزيز الوعي بأهمية المساواة بين الجنسين واحترام حقوق المرأة.

## الخاتمة

وفي ختام بحثنا المتواضع هذا، توصلنا إلى مجموعة من التائج، وهي:

١. أكّدت الواقع الحياتية أنّ هناك علاقة مؤثرة بين الهوية والذات الإنسانية، ومن دون هوية لا يستطيع الإنسان أن يثبت ذاته.
٢. إنّ الهوية لا تكون وحدتها بل هي خاضعة لنظرية التكوين والتعليم، بالإضافة إلى أنها لا تبقى ثابتة وهي قابلة للتغيير.
٣. إنّ هوية المرأة العراقية تعرضت في الآونة الأخيرة للمحاربة، لذا أراد المفكرون الوصول إلى معرفة ماهية الهوية الإسلامية، وذلك بالرجوع إلى السيدة الزهراء عليها السلام.
٤. إنّ المسلمة التي تريد السمو بسمويتها عليها التزود من الفيض المعرفي للصديقة الكبرى، ل تستطيع الحفاظ على مكانتها المتزنة وهويتها الدينية والاجتماعية.

والله ولي التوفيق...

## المصادر والمراجع

### \* القرآن الكريم

١. العلامة المجلسي، تح: الشيخ علي النهازي، بحار الأنوار، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٨، ط١.
٢. محمد بن محمد، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار المداية، القاهرة، د ط.
٣. فرات بن إبراهيم الكوفي، تفسير فرات الكوفي، تح: محمد الكاظم، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠١١، ط١.
٤. الشيخ جواد آملي، جمال المرأة وجلالها، دار المادي، لبنان-بيروت، ١٩٩٤، ط١.
٥. عبد الغني عمام، سوسوجيا الموية: جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ٢٠١٧.
٦. الدكتور محمد علي الهاشمي، شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٩، ط١.
٧. أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، علل الشرائع، تح: السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ط١، ١٩٦٦.
٨. مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، عام ٢٠٠٧.
٩. محمد بن مكرم، المعروف بابن منظور، لسان العرب، دار صادر- بيروت، د ط، ٢٠٠٣.

١٠. حمود شكري الآلوسي، *بلغ الأرب في معرفة أحوال العرب*، ط٢.
١١. جيل ليبوفتسكي، *المرأة الثالثة*، دار جاليمار للنشر، ط١، ١٩٩٧ م.
١٢. أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، *المستدرك*، تحرير: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
١٣. الوسائل الميرزا الطبرسي هو حسين النوري المتوفي سنة ١٣٣٥ هـ، *مستدرك الوسائل*، مؤسسة آل البيت للتراث، طهران.
١٤. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط٤، ٢٠٠٤.
١٥. تيموتز روبرتس وايمن هايت، من *الحداثة إلى العولمة*، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٠٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الك وي٤، ٢٠٠٤.
١٦. اليكس مكشيللي، *الهوية*، ترجمة على وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ١٩٩٣، ط١.



**أنثروبولوجية الخطاب الفدكي**

**«قراءة في العقل المعرفي والسلوك الاجتماعي»**

**الباحث**

**أ.م.د. أحمد حسن قاسم**

**كلية التربية للبنات / جامعة الشطورة**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

يتفق على أن «الأثربولوجيا» مصطلحاً ظهر في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، ومن رواده الأوائل الذين قاموا بتدريسه في جامعة أكسفورد البريطانية هو Edward Burnett Tylor الذي رواجاً كبيراً في أروقة الجامعات الأمريكية والبريطانية، ليصبح علمًا مستقلًا بذاته. وتعرف «الأثربولوجيا» بأنها: «علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً»<sup>(١)</sup>. فهذا العلم يشكل منهجاً يسعى إلى تجميع المعرفة بالإنسان عبر أسلوب حياته ونمط عاداته وتقاليده وقيمه وأدوات فنونه وتأثيرته الشعبية عبر مدة زمنية محددة. ومن ثم تدرس هذه السلوكيات دراسة تحليلية بهدف تقديم فهم متكملاً ومترابطاً عن النظم الاجتماعية الإنسانية من حيث أصولها وتطورها وتنوعها، وتكون لديها القدرة أيضاً للإنباء عن حياة المستقبل لتلك الجماعات عبر أواصر الارتباط بين الماضي والحاضر من جهة، وعلاقتها بالمستقبل من جهة أخرى.

وعلى ما تقدم فإن دراسة علم الإنسان ليست منحصرة بالأنثروبولوجيا، ولا يمكن أن تختزل في القرن التاسع عشر، فحسب؛ بل دراسة علم الإنسان قديمة بقدم وجوده. فنجد أن المؤرخ اليوناني «هيرودوتس» (ت: ٤٢٥ ق.م) قد قدم لنا وصفاً للحياة الاجتماعية في

(١) سليم، قاموس الانثروبولوجيا: ص ٥٦

مصر، كما قدم لنا وصفاً لحياة بعض الشعوب البربرية. وكذلك الكثير من الرحالة من تناولوا هذا العلم<sup>(١)</sup>. نعم، لم يسم بهذا المصطلح إلا أنه تناول السلوك الإنساني والنظم الاجتماعية وهذه هي «الأنثروبولوجيا». وكذلك نجد بأن السيدة الزهراء عليها السلام في خطابها الفدكي قد تناولت الطبيعية الاجتماعية والسلوك الإنساني بدقة عالية، وتشخيص رائع، استقرأت به ماضي تلك الجماعة واستعرضت حاضرهم وأنبأتهم بمستقبلهم، فخرجت بتائج واقعية منسجمة ومرتبطة بطبيعتهم الإنسانية التي انطلقوا منها في التعاطي مع المواقف الخطيرة.

#### **أهمية البحث: تكمن أهمية الموضوع في أمرين هما:**

١. توظيف المفاهيم العلمية الحديثة في تراث أهل البيت عليهم السلام، وإضافتها بالصبغة الدينية، وهذا ما يعرف بـ«اسلمة العلوم».
٢. تشخيص السيدة الزهراء عليها السلام طبيعة المجتمع وسلوكه في وقت مبكر، وهذا يدل على غزاره علمها ونفاد بصيرتها بما يجري حولها.

#### **هدف البحث: يهدف البحث إلى أمرين هما:**

٣. إظهار علوم السيدة الزهراء عليها السلام التي لا زالت بحاجة إلى جهود علمية حثيثة وتصديرها بصورة أكاديمية تنسجم مع الواقع.
٤. إبراز معالم ذلك المجتمع الذي تنصل عن كل قيمه، وكشف حجم المأساة والمارارة التي تجربها أهل البيت عليهم السلام بعد رحيل النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) الفار، الأنثروبولوجيا الاجتماعية: ص ٣

## مشكلة البحث: أحاوٍ من البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

ما الأثر بولوجيا؟ موضوعها؟ غرضها؟ ما علاقتها بخطاب السيدة الزهراء عليها السلام؟

أين يكمن العقل المعرفي في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام؟

لماذا تدرس طبيعة السلوك الاجتماعي لمجتمع مثالي كمجتمع الصحابة؟!

كيف تتصور العلاقة الرابطة بين المعرفة والسلوك؟.

هل استطاعت السيدة الزهراء استشراف مستقبل ذلك المجتمع عبر تشخيص ملامحه الواقعية؟

متى يتجرد المجتمع من سلوكه الإنساني، وقيمته الأخلاقية؟

**هيكلية البحث:** يتكون بحثي من مقدمة وتمهيد ومبثثين وبهذا الترتيب:

المقدمة، ذكرت فيها: أهمية البحث وهدفه ومشكلته، وهيكليته.

التمهيد: تطرقـت فيه إلى: تعريف المفاهيم الأساسية الواردة في البحث.

المبحث الأول: بـينـت فيه العقل المـعرـفـي في الخطـاب الفـدـكـي.

المبحث الثاني: استعرضـت فيه السلوك الاجتماعي في الخطـاب الفـدـكـي.

الخاتمة: قـيدـت فيها: أهم النـتـائـج التي توصلـت إـلـيـها من خـلـال الـبـحـث.

أسـال اللهـ تعالىـ أـنـ يـمـدـنـيـ بـالـعـونـ فـيـ إـتـامـ بـحـثـيـ، وـإـكـمالـهـ بـأـحـسـنـ صـورـةـ.. فـإـنـهـ وـلـيـ كـلـ نـعـمـةـ وـمـتـهـىـ كـلـ رـغـبـةـ، وـالـحـمـدـ لـلـهـ أـوـلـاًـ وـأـخـرـاًـ.

### **مفاهيم تأسيسية**

بادئ ذي بدء، وقبل خوض غمار الدراسة، لا بدّ من بيان المفاهيم التأسيسية للبحث، فهي تشكّل القواعد العامة في فهم مدلولاته، كما إنّ بيانها يعدّ تفكيكًا لرموز عنوان البحث. ومن هنا يلزم الباحث أن يقدم إيضاحاً يبين فيه، ويفكّك المقاصد التي يروم إليها من دراسته. والمفاهيم التي ينبغي ذكرها أربعة هي:

#### **أولاً: الأنثروبولوجيا.**

البحث في أي موضوع ما ينبغي للباحث أن يعرف ماهية العلم الذي يخوضه وحدوده، كما أعرض موضوعه الذي يتناوله وكذا الغاية من دراسته، وعليه سأبينها تباعاً ص وفق الترتيب المنهجي للبحث.

#### **تعريفها:**

المصطلح يوناني الأصل، أوروبى الاستعمال، متكون من مقطعين: (انتروپس أي الإنسان، ولوچس Logos أي الكلمة أو العلم)، فالأنثروبولوجيا هي: علم الإنسان أو هي علم دراسة الإنسان<sup>(١)</sup>.

ويرد على التعريف أنّه يجعله يلتبس بالعلوم الإنسانية Humanities أو sciences التي يدرس كلّ منها ناحية أو أكثر من نواحي الإنسان والحياة الإنسانية، فالتاريخ والجغرافية البشرية، وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم السياسة وغيرها من العلوم الإنسانية، تدرس الإنسان، ولكنّها في الوقت نفسه لها مجالها الذي يختلف عن مجال الأنثروبولوجيا.

---

(١) سعفان، علم الإنسان (الأنثروبولوجيا): ص ١.

لذا عرف الأنثروبولوجيا أنها «علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً»<sup>(١)</sup>. ووفقاً لهذا التعريف قسمت إلى قسمين هما: الأول الأنثروبولوجيا الفيزيقية، (physical Anthropology) للإشارة إلى دراسة الجانب العضوي والحيوي للإنسان. والثاني، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، (Cultural Anthropology) للإشارة إلى دراسة النواحي الاجتماعية والثقافية والسلوكية لحياة الإنسان<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الصدد، كتبت الباحثة الأنثروبولوجية الأمريكية الشهيرة مارجريت ميد (M. Mead) «نحن نصف الخصائص الإنسانية، البيولوجية والثقافية، للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن. ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية، لأنساق مترابطة ومتغيرة؛ وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطرفة. كما نهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجيا، ونعني أيضاً ببحث الإدراك العقلي للإنسان، وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته»<sup>(٣)</sup>.

### موضوعها:

فعلم الإنسان يتميز بصفة مهمة تجعله فريداً بين العلوم وهو أنه في معالجته للإنسان يحتوي على نوعين من الدراسات: دراسات فيزيائية تبحث في الإنسان من حيث هو كائن، ودراسات اجتماعية تبحث في الإنسان من حيث هو حيوان مفكّر قادر وحده -دون كلّ الحيوانات- على إبداع النظم والثقافات. وهذه الصفة الفريدة هي موضوع علم الأنثروبولوجيا.

(١) سليم، قاموس الأنثروبولوجيا: ص ٥٦

(٢) ينظر: فهيم، قصة الأنثروبولوجيا: ص ١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤.

**غايتها:**

يمكن أن يتحقق غاية علم الأنثروبولوجيا بأهم النقاط:

١. تفسير الطبيعة الإنسانية في شتى مظاهرها عند البدائيين والمتطورين؛ فأساس علم الإنسان هو المقارنة لأنواع العقليات وأنماط التفكير الإنساني<sup>(١)</sup>.
٢. ربط بين الجانبين المعنوي والمادي في دراسة حياة مجتمع معين، في ما يدور في الحياة اليومية للناس، وإبراز الكيفية التي ينظم بها الأفراد والجماعات ووسائل بقائهم؛ لهذا لا تتحقق الأنثروبولوجيا نظاماً أو نشاطاً معيناً إلا في إطار ترابطه وصلاته بالنظم الأخرى<sup>(٢)</sup>.
٣. الفائدة من تحليل القيم الاجتماعية والسلوك الإنساني لإنتاج تجارب صالحة لحل الأزمات الاجتماعية سواء أكانت آنية أم مستقبلية، قد يتعرض لها الإنسان في مساره الحياتي.

**ثانياً: العقل المعرفي.**

وأماماً العقل الذي هو أداة من أدوات المعرفة فهو قوة النفس التي بها تدرك المعاني والمفاهيم المجردة الكلية، وبها تستفيض النفس من عالم المبادئ العلوى، لتتولد الصور العلمية فيها وت تكون العلوم، وبه تحصل مرتبة التعقل في الإدراك المفاهيمي التي تميز الإنسان عن سائر الحيوانات، فيقال عنه إنه حيوان ناطق.

(١) ينظر: سعفان، ص ١٢.

(٢) فهيم، ص ١٩.

وعلى ما تقدم أستطيع تعريف العقل المعرفي على أنه: القدرة الكامنة على انتزاع الصور الذهنية من المادة الذهنية وربط القضايا بعضها لاستحصال التائج. ويقابل العقل المعرفي العقل المقلد الذي هو بناء ذهني لشخص يقوم على أساس محاكاة الغير في الفكر وفي المفاهيم وفي التصورات وللعلم<sup>(١)</sup>. ويساوق العقل المعرفي في علم الاجتماع مصطلح العقلنة، وهي: عملية اجتماعية طويلة المدى، تعوض فيها الأفكار والعقائد التقليدية بقواعد وإجراءات منهجية وتفكير منهجي يتوجّي مبدأ الوسائل المؤدية إلى خيات<sup>(٢)</sup>.

إن التصرف بطريقة عقلانية يعني التصرف بحصافة والتفكير في العمل وعواقبه قبل القيام به. فالتعليم الفلسفـي المعروـف بالـمذهب العـقـلـانـيـ الـذـيـ يـرـجـعـ إـلـىـ الـقرـنـ السـابـعـ عـشـرـ، قـاـبـلـ بـيـنـ الـمـعـرـفـةـ الـمـسـتـنـدـ إـلـىـ الـعـقـلـ وـالـتـفـكـيرـ الـاـسـتـنـتـاجـيـ بـتـلـكـ الـتـيـ هـيـ مـتـجـذـرـةـ فـيـ مـصـادـرـ دـيـنـيـةـ وـفـيـ الـحـكـمـةـ الـمـنـقـولـةـ. وـمـنـ الـواـضـحـ أـنـ أـصـوـلـ الـعـقـلـانـيـةـ تـرـتـبـتـ بـالـتـفـكـيرـ وـالـعـمـلـ وـإـنـتـاجـ الـمـعـرـفـةـ<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: السلوك الاجتماعي.

يعرف السلوك الاجتماعي على أنه: مجموعة من الأشكال السلوكية التي يهتمّ بموجتها الشخص بمصلحة الآخر بداية من مراعاة وجوده وصولاً إلى أرقى صورة منه بإثارة مصلحة ذلك الآخر، شريطة أن يتم ذلك بلا توقع مكافأة أو تدعيم من وراء ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) حجازي، معجم الأنثربولوجيا: ص ١٤٣.

(٢) الذوادي، مفاهيم اساسية في علم الاجتماع: ص ٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٤) بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: ص ٨٥.

وبصورة عامة، يجسّد السلوك الاجتماعي الأفعال التي تهدف إلى إيصال أكبر قدر من الفائدة إلى الآخرين والمجتمع بصورة عامة. ويمثّل في الوقت نفسه تعبيراً سلوكيّاً عن الدافعية إلى الاتّهاء الاجتماعي، وينجم عن تعزيز المكانة الاجتماعية للشخص داخل الجماعة التي ينتمي إليها، على الرغم من قيامه به بصورة إرادية دون انتظار مقابل<sup>(١)</sup>.

والذي أروم إليه في البحث هو الوقوف على سلوكيات المجتمع وحيثياته التي ذكرتها السيدة الزهراء عليها السلام في خطابها بوصفه خطاباً بيانياً إظهارياً للطبيعة المجتمعية التي سادت قبل بعثة النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله وسلامه وبعدها، والمقارنة الحاصلة بين كلا الزمانين، والربط بينهما، واستخلاص التأثير المترتبة عليه. وفي حقيقة هذا المنهج هو غاية علم الأنثروبولوجيا الذي وسمت به البحث ووظيفته لأجل دراسة خطاب السيدة الزهراء عليها السلام.

#### **رابعاً: الخطاب الفدكي.**

للسيدة الزهراء عليها السلام خطباتان خطبتها بعد رحيل أبيها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: الأولى: خطبتها أمام الصحابة في مسجد النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله وسلامه، والثانية خطبتها أمام نساء الصحابة من المهاجرين والأنصار عندما عادها في مرضها. موضوع بحثي هو الخطبة الأولى المسماة بالخطبة الفدكية، وسبب تسميتها نسبة لأرض «فَدَك»<sup>(٢)</sup> التي انتزعها الخليفة الأول من

(١) أبو حلاوة، نموذج بنائي للعلاقات بين جودة الحياة والهوية الاجتماعية، ص ٤٧٠.

(٢) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: فدك. قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه [وآله] وسلم في سنة سبع صلحاً، وذلك أنَّ النبي لما نزل خيبر وفتح حصونها، ولم يبق إلا ثلث واشتد بهم الحصار، راسل رسول الله يسألونه أن ينزلهم على الجلاء وفعل. وبلغ ذلك أهل فدك، فأرسلوا إلى رسول الله أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك، فهي ما لم يوجد عليه بخيل ولا ركاب. فكانت خالصة لرسول الله، صلى الله عليه [وآله] وسلم، وفيها عين فواررة ونخيل كثيرة، وهي التي قالت فاطمة رضي الله عنها: إنَّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم نحلنيها، فقال أبو بكر عنه أريد لذلك شهوداً. ج ٦، ص ٤١٧.

السيدة الزهراء بعد أن نحلها إليها النبي الأكرم ﷺ. والخطبة الفدكية جاءت في مصادر كثيرة من كلا الفريقين، وهي كثيرة، ذكر أهمها هي:

#### مصادر السنة:

١. أبو الفضل ابن أبي طاهر «ابن طيفور» (ت: ٢٨٠ هـ) في كتابه: «بلاغات النساء».
٢. أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري (ت: ٣٢٣ هـ) في كتابه: «السقيفة».
٣. أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٦ هـ) في كتابه: «مروج الذهب».
٤. أبو بكر أحمد بن مردوه (ت: ٤١٠ هـ) في كتابه: «المناقب».
٥. ابن الأثير (ت: ٦٠٦ هـ) في كتابه: «منال الطالب في شرح طوال الغرائب».
٦. ابن أبي الحميد المعترلي (ت: ٦٥٦ هـ) في كتابه: «شرح نهج البلاغة».

#### مصادر الشيعة:

١. أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى الشيعي (ت: ٤١١ هـ) في كتابه «دلائل الامامة».
٢. أبو القاسم الشريف المرتضى علم المهدى (ت: ٤٣٦ هـ) في كتابه: «الشافى».
٣. أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) في كتابه: «تلخيص الشافى».
٤. أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي (ت: ٤٤٨ هـ) في كتابه: «الاحتجاج».
٥. أبو القاسم السيد علي بن موسى بن طاوس (ت: ٦٤٤ هـ) في كتابه «الطرائف».
٦. ابن أبي الفتح بهاء الدين الأربلي (ت: ٦٩٢ هـ) في كتابه «كشف الغمة».

### **المطلب الأول: العقل المعرفي في رسم النظام السياسي للدولة.**

لا شك أن كل نظام سياسي يبني على المبادئ والأصول التي ينطلق منها الواقع أو منشئ ذلك النظام. فمثلاً إذا جاء النظام عن طريق الثورة أو الانقلاب، فيكون النظام أسسه هي أفكار صاحب الثورة أو الانقلاب ورؤاه، وتكون انعكاساً تطبيقياً على النظام؛ وهكذا هو حال الأنظمة السائدة، فهي تستمدّ أصولها ومبادئها من الأفكار التي بنيت عليها. والنظام الإسلامي هو نظام ديني إلهي، فالطبع تكون أسسه وقواعدـه هي الشريعة التي جاء بها النبي ﷺ. وأول أسس الدين وقواعدـه الأساسية التعرف عليه. لذا قال أمير المؤمنين عـلـيـهـالـسـلـطـةـ: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده...»<sup>(١)</sup>.

وعليه، لا يمكن لأحد أن يتتجاهل المعرفة بالمباني الفكرية والعقدية لأي نظام سياسي حاكم في دراسته، لأن النتائج والخرجات مرتبطة بتلك الأسس والمباني التي وضعت لذلك النظام.

وقد يسأل ما علاقة الدين بالسياسة؟ فأجيب: بأن السياسة ولادة الدين، فإذا صحّ الدين صحت السياسة، وسقـمـ الدين سـقـمتـ السياسـةـ. وكلـ ما يـحـدـثـ من استبدادـ سيـاسـيـ فـلهـ أـصـوـلـهـ الـديـنـيـةـ التي يـسـتمـدـ شـرـعيـتـهـ منـهـاـ بـحـسـبـ ماـ يـرـاهـ. لـذـاـ قـالـ عبدـ الرحمنـ الكـواـكـبـيـ: «تضـافـرتـ آراءـ أـكـثـرـ الـعـلـمـاءـ النـاظـرـينـ فيـ التـارـيـخـ الطـبـيـعـيـ لـلـأـدـيـانـ، عـلـىـ أـنـ الـاستـبـادـ السـيـاسـيـ مـتـولـدـ مـنـ الـاسـتـبـادـ الـدـينـيـ، وـالـبعـضـ يـقـولـ: إـنـ لـمـ يـكـنـ هـنـاكـ تـولـيدـ فـهـمـاـ أـخـوانـ؛ أـبـوهـمـاـ التـغلـبـ وـأـمـهـمـاـ الرـيـاسـةـ، أـوـ هـمـاـ صـنـوـانـ قـوـيـانـ؛ بـيـنـهـمـاـ رـابـطـةـ الـحـاجـةـ عـلـىـ التـعاـونـ لـتـذـليلـ الـإـنـسـانـ، وـالـمـاشـاـكـلـةـ بـيـنـهـمـاـ أـنـهـمـاـ حـاـكـمـانـ؛ أـحـدـهـمـاـ فـيـ مـلـكـةـ الـأـجـسـامـ وـالـآـخـرـ فـيـ عـالـمـ القـلـوبـ»<sup>(٢)</sup>.

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة رقم: (١).

(٢) الكواكبـيـ، طـبـاعـ الـاسـتـبـادـ: صـ ١١٤ـ.

وربما سائل يسأل أيضاً: ما علاقة الدين والسياسة من جهة، والمجتمع من جهة أخرى؟ الإجابة بدبيبة بأنّ الدين والسياسة هما موضوعهما تدبير شؤون الإنسان المادية والروحية. ومن هنا صحّ لي أن أبين الأسس التي وضعتها السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها الفدكية منظومةً فكريةً دينيةً ومؤسسةً لمبادئ الحكم السياسي الإسلامي، ويستمدّ منها شرعيته في إدارة دولته.

### أولاً: المعرفة الأساس الفكري للمجتمع.

قالت السيدة الزهراء عليها السلام: «الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألمّ، والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداتها، وتمام منن أولاهما، جمّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أ美的ها، وتفاوت عن الإدراك أبدتها، وتدبرهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزائها، وثنى بالندب إلى أمثاله».

المعرفة تشكل الأساس الفكري لكُلّ ما سواها من العلوم والمعارف الأخرى و«تحتلّ مركزاً رئيساً في الفلسفة وخاصة الفلسفة الحديثة، فهي نقطة الانطلاق الفلسفية لإقامة فلسفة متماسكة عن الكون والعالم، فما لم تحدّد مصادر الفكر البشري ومقاييسه وقيمه لا يمكن القيام بأية دراسة منها كان لونها»<sup>(١)</sup>. والمعرفة منهج العقل في التفكير، فالوقوف عليها لدى شخص معين، أو مدرسة فكرية معينة تمكن الدارس من قراءة عقل الشخص أو المدرسة، وما ذلك إلّا لأنّها تمثّل العمود الفقري لكُلّ منهج أو تفكير<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر، فلسفتنا، ص ٦٧.

(٢) الذهبي، نظرية المعرفة: ص ١٨.

وأول الطرق في معرفة خالق الكون هو لزوم شكر المنعم، لأن العقل النظري يحكم على الأشياء بالنظر إلى ماهيتها فيدرك بلزم ما يترتب عليها من آثار؛ وهذا هو نداء فطري موجود في كل إنسان وتحكم به كل العقول. فكل من أنعم عليك نعمة، يجب عليك شكره بما يتناسب مع النعمة التي منحك إياها. إذا تخلف عن الشكر فيحكم على صاحب العقل بالجحود. وهذا مبدأ عقلائي يتفق عليه كل العقول بغض النظر عن ألوانهم ولغاتهم ومجتمعاتهم. وهذا الطريق - الشكر - هو كفيل بأن يقود صاحبه إلى المعرفة بخالقه وهدایته إلى طريق الصواب.

ولكن المسلمين اختلفوا في هذه البديهيّة المسلمة، فذهب الإمامية والمعتزلة حيث ما ذهب إليه العقلاء بأن الحجّة في المعرفة هو العقل دون غيره، لذا قال الشهريستاني: «وقال أهل العدل<sup>(١)</sup>، المعرف كلّها معقوله بالعقل، واجبة بنظر العقل، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع»<sup>(٢)</sup>. بينما الأشاعرة وأهل الحديث شطّوا عنهم وجاؤوا إلى تقديم النقل على العقل. قال الدكتور السراجي: «فيبالغ هذا الاتجاه في رفض العقل والتمسك بالنقل كأدلة وحيدة للمعرفة الدينية، حتى أنّهم يتباهون ويفتخرون به على غيرهم»<sup>(٣)</sup>. وهذا ما جاء على لسان عبد الله بن أحمد بن حنبل أبياتاً قال فيها:

نعم المطية للفتنى الأخبار

دين النبي محمد آثار

فالرأي ليلى والحديث نهار<sup>(٤)</sup>

لا تُخدعن عن الحديث وأهله

(١) المعتزلة والامامية يسمون بالعدلية لأنهم جعلوا صفة العدل لله تعالى أساساً من أصول الدين.

(٢) الشهريستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٣٨.

(٣) السراجي، الاسس الدينية: ص ١٥٩.

(٤) ابن القيم الجوزية، اعلام الموقعين: ج ١، ص ٦٣.

والسياسية هي العامل الأساسي في ظهور هذه الأفكار وتفشيها في المجتمع وجعل أصحابها أئمة يشار إليهم، فالمتوكل العباسي هو من «انتصر لأهل الحديث، وإمامهم أحمد بن حنبل، بعد ما كان مذهب المعتزلة هو السائد وتبني أفكارهم، إذ أمعن في اضطهاد المعتزلة، وألقى بهم في دياجير السجون، وأعلن براءة الإمام أحمد بن حنبل، وكرمه لقاء ما لقى من سلفه من عنت وقصوة»<sup>(١)</sup>، مما حدا به إلى إصدار فتاوى تقضي بشرعية الحاكم والوقوف معه بكل الأحوال بره وفجوره، قال: «ومن غالب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين لا يحلى لأحد يؤمن بالله أن بيته ولا يراه عليه إماماً، عادلاً كان أو فاجراً، فهو أمير المؤمنين»<sup>(٢)</sup>. فهذه المحطة المهمة التي استغلت من السلطة السياسية انعكست على مسألة الحكم وألت إلى نتائج وخيمة بسبب هذه الأفكار التي لم تُسوق من معينها الحقيقي الذي أسسته السيدة الزهراء بوصفها الامتداد الطبيعي للنبوة، فالشكر الذي انطلقت منه في خطبتها هو ما أوجبه العقل على صاحبه من النعم الظاهرة والباطنة، وأعطاه قابلية الفهم والعلم على معرفتها.

### ثانياً: التوحيد وأنثره في توحيد المجتمع.

قالت السيدة الزهراء: «وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلاها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكير معقوها؛ المتنع من الأبصار رؤيتها، ومن الألسن صفتة، ومن الأوهام كيفيته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امثالها؛ كونها بقدرته، وذرأها بمشيته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلا تشبيطاً لحكمته، وتنبيهاً على طاعته، وإظهاراً لقدرته،

(١) السراجي، الأسس الدينية للاحتجاجات السلفية: ص ٥٣.

(٢) الحنبلي، الأحكام السلطانية: ص ٢٠.

وتعبدًا لبريته، وإعزازًا لدعوه، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته،  
زيادةً لعباده عن نقمته، وحياشةً لهم إلى جنته».

اتفق المسلمون من الفلاسفة والمتكلمين والمتصوفين وسائر المدارس الأخرى على أنَّ الله تعالى واحد لا شريك له متصرف بصفات الكمال الواجبة، وأنَّه يتَنَزَّهُ عن الصفات القبيحة؛ وهذا بمجمله لا غبار عليه لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨]، إِلَّا أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا اخْتِلَافًا كَبِيرًا في تحديد العلاقة بين الصفات والذات الإلهية، وذلك أنَّ الفلاسفة والمعترضة والجهامية قالوا: إنَّ إثبات صفات قديمة وأزلية على الذات لله تعالى يدخل الكثرة والتعدد في الذات الإلهية، فعليه صفاتٍ هي عين ذاته لا زائدة عنها، في حين قالت الأشاعرة والماتريدية إنَّ صفات الله تعالى هي قديمة زائدة على ذاته وإنَّ هذا الإثبات لا يؤدي إلى تعدد وكثرةٍ<sup>(١)</sup>.

وهذا الاختلاف كان عاملاً أساسياً في شتات الأمة حيث مزقها شرٌّ ممزق، وجعل منها جماعات متناحرة يكفر البعض بعضها الآخر، وتطور الخلاف، وظهرت فرق عرفت بالجسمية والجبرية والقدرة والباطنية والحلولية وغيرهم. وكلَّ هذه الفرق كانت تنطلق من منطلق تفسير صفات الخالق؛ ومن شدَّةِ الخلافات وكثرتها عرفت العقيدة الإسلامية بـ«التوحيد والصفات» بوصفه أشهر أجزاءها وأكثرها جدلاً هي العلم<sup>(٢)</sup>.

ولا ننسَ بأنَّ العامل السياسي كان ذا دور بارز في تنمية هذه الخلافات وسقيها، وتقريب أصحابها على حساب الآخر؛ وهذا ما حدث في إبان حكم المأمون والواثق. قال الشيخ أبو زهرة: «فلَمَّا جاء المأمون، وقد كان يعتبر نفسه من علماء المعتزلة، شاع عليهم وقربهم وأدناهم،

(١) ينظر: عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية: ص ٢٣٢.

(٢) ينظر: التفتازاني، سُرُّ المقاصد: ج ١، ص ١٦٤.

وجعل منهم حجابة ووزراءه، وكان يعقد المنازرات بينهم وبين الفقهاء.. ثم انتقل من المنازرات العلمية إلى التهديد بالأذى الشديد بل إزاله بالفعل، فقد كانت فيه المحاولة بالقوة لحمل الفقهاء والمحاذين على رأي المعتزلة.. لقد حاول أن يحمل الفقهاء على القول بأن القرآن مخلوق، فأجابه بعضهم إلى رغبته تقية ورهباً لا إيماناً واعتقاداً. وتحمل آخرون العنت والإهراق والسجن الطويل، ولم يقولوا غير ما يعتقدون، واستمرت تلك الفتنة طول مدة المعتصم والواشق، وذلك لوصية المؤمن بذلك<sup>(١)</sup>. كُلَّ ما حدث إزاء هذه المسألة هي تشظُّ للمجتمع وإرباك لأمنه وتعاشه السلمي بين الأفراد، لأنَّ الكفر له تداعيات خطيرة منها: استباحة الدماء.

فكُلَّ ما ذكرته السيدة الزهراء عليها السلام لم يكن مجرد شهادة تدلُّ للبركة في صدارتها كلامها؛ كُلًا، بل نابعة من فلسفة قوية ما إذا التزم بها المسلمون تكون لهم نجاة في الدنيا والأخرى، وينعمون بمجتمع آمن خالٍ من المناكفات التي تتغذى عليها طلاب السلطة. وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام لهذا المضمون قائلاً: «وكمال توحيد الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات»<sup>(٢)</sup>. فجعل الإخلاص متتماً لنفي الصفات. قال ابن الحديـد: «إِنَّ الإِخْلَاصَ لِهِ تَعَالَى قَدْ يَكُونُ نَاقِصاً وَقَدْ لَا يَكُونُ، فَالإِخْلَاصُ النَّاقِصُ هُوَ الْعِلْمُ بِوجُوبِ وِجُودِهِ، وَأَنَّهُ وَاحِدٌ لَيْسَ بِجَسْمٍ وَلَا عَرْضًا، وَلَا يَصْحُّ عَلَيْهِ مَا يَصْحُّ عَلَى الْأَجْسَامِ وَالْأَعْرَاضِ، وَالإِخْلَاصُ التَّامُ هُوَ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ لَا تَقْوِيمُ بِالْمَعْانِي الْقَدِيمَةِ، مُضَافًا إِلَى تَلْكَ الْعِلْمَوْنِ السَّابِقَةِ؛ وَحِينَئِذٍ تَتَمُّ الْعِرْفُ وَتَكُمُلُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية: ص ١٤٠ .

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة: رقم الخطبة (١) .

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ١٢٥ .

### ثالثاً: النبوة والنظام الأصلح لرئاسة المجتمع.

قالت السيدة الزهراء عليها السلام: وأشهد أنَّ أباً محمداً عبده ورسوله اختاره قبل أنْ أرسله، وسماه قبل أنْ اجتباه، واصطفاه قبل أنْ ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علمًا من الله تعالى بما يأصل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفةً بمواقع الأمور، ابتعثه الله إِيمانًا لأمره، وعزيمةً على إِمضاء حكمه، وإنفاذًا لمقادير حتمه، فرأى الأمم فرقاً في أديانها، عكّفاً على نيرانها، عابدةً لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانها.

آنَّ الإنسان مجبول على حبِّ الذات، وهذا يجرّه إلى تخصيص كل شيء بنفسه من دون أن يراعي غيره، والحياة الاجتماعية بهذا الوصف تنتهي إلى التنافس والتنافر بين أبناء الجنس الواحد، فلأجل ذلك لا يقوم للحياة الاجتماعية أساس إِلا بوضع نظام دقيق ومحكم ومتكملاً، يقوم بتحديد وظائف كل فرد وحقوقه، ويشرع الحدود والقيود التي يجب تحرك الجميع من أجلها<sup>(١)</sup>. وتنفيذ ذلك يقضي بوجود قانون أو شريعة تأمر وتنهى؛ ووجود الشريعة يقتضي وجود مشرع؛ وهذا المشرع يجب أن يكون مؤيداً من الله تعالى للقيام بهذه المهمة الصعبة. ولا يمكن أن يؤتي به عن طريق الانتخاب لأنَّ الانتخاب موقع في الاختلاف<sup>(٢)</sup>. لذا اقتضت حكمة الله تعالى بإرسال الأنبياء لإقامة نظام تنظم فيه حياة الإنسان ويضمن فيه سعادته الدنيوية والأخروية.

وقد اختلف المتكلمون في الاقتضاء هل إِنه واجب على الله تعالى أم إِنه جائز؛ فقد ذهب المعتزلة والماتريدية إلى الوجوب، وذهب الأشاعرة إلى الجواز<sup>(٣)</sup>. ولا أدرى كيف

(١) ينظر: السبحاني، الإلهيات: ج ٣، ص ٢٤.

(٢) مقلد، نظام الحكم في الإسلام: ص ٢٢٠.

(٣) ينظر: التفتازاني، شرح العقائد النسفية: ص ١٦٠.

قالوا بالجواز والنبوة تعني النظام السعيد للإنسان، ويدونها يكون عرضة للضياع، بل تنتفي حكمة الخالق؛ وهذا مستحيل على الله تعالى. فينبغي أن يتزّه عن فعل ما لا ينبغي فعله من اللهو والعبث. لذا قالت السيدة الزهراء عليها السلام: «ابتعثه الله إِتَّامًا لِأَمْرِهِ، وَعَزِيمَةً عَلَى إِمْضَاءِ حُكْمِهِ، وَإِنْفَادًا لِمَقَادِيرِ حُتْمِهِ». فقد بَيَّنت الرؤية الفكرية الصحيحة لتكوين عقل واع ينسج منظومة عقدية يعتقد بها المسلم، حتى لا عرض للضياع وامتناع سياسات الملوك. فهذه الأفكار هي مَنْ ساعدت على إرساء حكم الملوك وقوية شوكتهم وإضفاء الشرعية على سلطانهم بأنَّهم ظلَّ الله في أرضه.

### مخرجات النبوة في الإصلاح المجتمعي:

بَيَّنت السيدة الزهراء عليها السلام الإصلاح المجتمعي الذي مارسه النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله وسلامه خلال نبوته حيث قالت: «فَأَنَارَ اللَّهُ بَأْيَ مُحَمَّدَ ظَلَمَهَا، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بِهِمَا، وَجَلَّ عَنِ الْأَبْصَارِ غَمَّهَا، وَقَامَ فِي النَّاسِ بِالْهُدَى، فَأَنْقَذَهُمْ مِنِ الْغَوَّاَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنِ الْعَمَى، وَهَدَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيِّ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ». فهذه المعلم المشار إليها هي كفيلة في إصلاح المجتمعات وسعادتها كما إنَّها تعكس أسس الفلسفه السياسية لمبادئ الحكم الصالح في الإسلام. وهذه المعلم هي:

١. الاستنارة من الظلم.
٢. الكشف في الإيهام.
٣. الجلاء من الغمّ.
٤. القيام بالأمر.

٥. الهدایة من الضلال.

٦. الإنقاذ من الغيّ.

٧. الإبصار من العمى.

٨. الدعوة إلى جادّة الاستقامة.

هذه النتائج حققها نظام النبوة في إدارة المجتمع، بعدهما كان في ظلم وضلال وعمى، جاء هذه النظام ليبسيط العدالة الإنسانية في المجتمعات؛ وهذا ما ذكرته السيدة الزهراء في لاحق كلامها من الخطبة، إذ بيّنت فيه ملامح المجتمع الجاهلي وصفاته، الذي سبق مجيء النبي الأكرم ﷺ، فكان حريصاً على إفشاء هذه المخرجات وتطبيقاتها في أرجاء المجتمعات لتعمّ السعادة وتخلّ العدالة الاجتماعية؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ الَّذِي يَحِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَابِ وَيَضْطَعُ عَنْهُمْ إِصرَارُهُمْ وَالْأَغْلَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

### **المطلب الثالث: سلوك الرئيس وطبيعة المجتمع.**

من أهمّ المسائل التي تطرح في فلسفة الفكر الاجتماعي والتربوي مسألة سلوك الشخص الذي يتصدّى لقيادة المجتمع، فقد أولى الفلاسفة دون استثناء هذه المسألة بحثاً وتنظيرًا في تحديد ملامح الرئيس التي تؤهله لقيادة الآخرين، وهم في ذلك مذاهب شتّى، فتجد مثلاً الفيلسوف الصيني كونفوشيوس إلى وضع السلطة في يد الإنسان الأرجح عقلاً، الرزين المترن (The Gentleman) في حين نادى أفلاطون تسليم زمامها إلى الفيلسوف. ومال

آخرون إلى وضعها في يد الأقوى؛ وهذا ما ذهب إليه السفسيطائيون اليونانيون. فانطلقوا من مبدأ (القوة هي الحق)، إذ جعلوا همهم تعليم الناس فنون المنطق والجدل والمغالطة، وبحسبان أن الإنسان كلياً كانت له حجّة (أقوى) فإنه سيتصدر لا محالة على الآخرين في أي جدال، ويتمكن من دحض آرائهم. ولا بأس أبداً بأن يكون الإنسان خطئاً، ولكن المهم هو من يفتح خصميه بحججه (القوية). ووفقاً لهذا المبدأ سرت فكرة الأقوى للسلطة السياسية<sup>(١)</sup>. وهناك ثمة آراء لا مجال لذكرها (النخبة المثقفة) وإضاء الإرادة الشعبية).

ولم يغب عن الفلاسفة التنظير لمسألة طبيعة المجتمع وخصائصه في الفلسفة السياسية وادارة نظام الحكم، بل جعلوه من أهم المسائل في أبحاثهم، حيث تناولوا نشأته وخصائصه وأقسامه، وكذلك صفاته التي يقيم على أساسها بأنه مجتمع فاضل أو لا. ومن خلال بحثي ودراستي لخطبة السيدة الزهراء عليها السلام وجدت بأنها قد حددت رئيس الدولة وبينت صفاته التي لم يشاركه أحد فيها، وكذلك بينت طبيعة المجتمع وصفاته وخصائصه. وهذا كله يعطي عملاً إيجابياً بأن هذه الخطبة كانت بحق خارطة طريق للفلسفة الاجتماعية لمبادئ الحكم في الإسلام.

### أولاً: رئيس الدولة.

قالت السيدة الزهراء عليها السلام: «قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفء حتى يطا جناحها بأحمر صوره ويخمد لهاها بسيفه، مكروداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجدداً كادحاً، لا تأخذن في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار، وتنكصون عند التزال، وتفررون من القتال».

(١) ينظر: أحمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية: ص ٢١٧.

ذكرت السيدة الزهراء عليها السلام ملامح القيادة الصالحة في التصدّي للأمر والأخذ بزمام الحكم، وهذه الملامح هي الخاصة بأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الرئيس الشرعي لإدارة الدولة ونظام الحكم بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الامتداد الطبيعي للنظام الأصلح (النبوة) في الإسلام، الضامن الحقيقي لمبدأ سعادة المجتمعات في الدنيا والآخرة، كما تقدم.

والحديث هنا عن صفات الإمام علي عليه السلام بوصفه رئيساً كالمحدث عن ضوء النهار الباهر، والقمر الظاهر، الذي لا يخفى على الناظر، فمهما أسهبت بالحديث وأطلت بالكلام، فهو يتنهى إلى العجز، ولا يصل إلى الغاية. واذكر ما ذكره ابن أبي الحديد المعتزلي: «وما أقول في رجل تعزّى إليه كُلّ فضيلة، وتنتهي إليه كُلّ فرقه، وتجاذبه كُلّ طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها، ومجي حلبتها؛ كُلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتضى، وعلى مثاله احتذى»<sup>(١)</sup>.

أبرزت السيدة الزهراء عليها السلام أهم الملامح القيادية التي ينبغي أن تتوافر في رئيس الدولة لإدارة نظام الحكم في الإسلام، كما بيّنت الملامح المضادة التي تصف بها ممن تقلّد الحكم وساد أمره. فيوجد لدينا اتجاهان من قيم الحاكم وصفاته يختلفان في تحديد مسار الحكم وينعكسان على أفعاله وإدارته للدولة.

**الاتجاه الأول: الشجاعة، الكدّ في ذات الله، الاجتهد في أمر الله، القرب من رسول الله، السيادة، التشمير، النصح، الجدّ، الكدح، الحزم.**

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ٥٩.

هذا الاتجاه الأول هو الأساس الذي انطلق الفلاسفة منه في التنظير لرئاسة الدول، ابتداء من أفلاطون في جمهوريته إلى يومنا هذا. نعم تختلف ألفاظهم وتعبيراتهم إلا أنّ محتوى ما يرمون إليه واحد، فمثلاً بدلاً من أن يذكروا (الله) يعبرون بـ(الفضيلة).

الاتجاه الثاني: الزهد، وكلّ ما ذكر في الاتجاه الأول هو يندرج تحت مفهوم الزهد في الدنيا أو عدم الركون إليها. فاشترط أفلاطون على رئيس الجمهورية «أن يتحرروا من حبّ المال والجاه والأسرة، وأن يندرروا أنفسهم لخدمة البلاد فقط، فلا يجوز أن يكون لهم مال أو عقار أو مخزن، وينبغى أن يتقادموا أجراً لهم بحيث لا يحتاجون إلى مزيد ولا يستفاضلون. وليرباءوا بأنفسهم عن الحرص والطمع بالذهب والفضة»<sup>(١)</sup>.

ومن صفات الإمام علي عليه السلام الذاتية التي لم تنفك عنه طيلة عمره، زهده التام في الدنيا، فلم يخضع لمعنة من متع الدنيا، ولم ينعم بنعيمها، حتى إنهم ذكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز، فقال قائلون: فلان وفلان. فقال عمر بن عبد العزيز: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>. بل شهد بذلك ألد أعدائه معاوية بن أبي سفيان عندما جاءه التقفي فقال له: جئت من البخيل. ويقصد به الإمام علي عليه السلام، فرده معاوية قائلاً: «فو الله لو كان له بيتان أحدهما من تبر والآخر من تبن، لأنفدي تبره قبل تبني»<sup>(٣)</sup>.

ولم نجد رئيساً في هذا العالم فعل كإمام علي عليه السلام يكشف عن ذمته المالية كما كشف هو، فقال أبو مخنف: لما توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة قام في أهل البصرة. فقال: ما تنقمون عليّ يا أهل البصرة؟ وأشار إلى قميصه وردائه، فقال: والله إنهم لمن غزل أهلي. ما تنقمون

(١) مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية: ج ١، ص ١٤٥.

(٢) الدمشقي، جواهر المطالب: ج ١، ص ٣١٦.

(٣) الدنوري، الامامة والسياسية: ص ١١٢.

مني يا أهل البصرة؟ . وأشار إلى صرّة في يده فيها نفقته. فقال: والله ما هي إلّا من غلتي بالمدينة؛ فإن أنا خرجت من عندكم بأكثر ما ترون فأنا عند الله من الخائنين<sup>(١)</sup>.

فهذه الملامح التي ذكرتها السيدة الزهراء عليها السلام هي كفيلة للحكم الصالح لإدارة الدولة، وضامنة لسعادة المجتمع الإنساني لأن الحكومة في نظر هذا الاتجاه ليست سوى وسيلة لخدمة المجتمع وصلاحهم، فلم تكن هي المطلوبة بذاتها. أمّا الاتجاه الثاني فمُؤهلاً له هي رفاهية العيش، والترف، والتربّص بالصالحين، والنكوص، والجبن في المنازلة، والفرار من الجهد. وهذه كلّها في الفلسفة السياسية من مظاهر الرذيلة.

### ثانياً: طبيعة المجتمع

قالت السيدة الزهراء عليها السلام: وكتتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونبزة الطامع، وقبضة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القد أذلةً خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأقدكم الله تبارك وتعالى بـمحمد صلوات الله عليه وآله وسلامه.

الركيزة الثانية الأساسية في إصلاح المجتمع هو الطبيعة المجتمعية والخصائص التي تميّزه فيما بينه. فكان الهدف التنظيري الفلسفـي السياسي هو إيجاد المدينة الفاضلة ضمن شروط هم يضعونها، وإذ لم تتحقق تلك الشروط فيحلّ مكانها المدن الأخرى (التغلب)، و(اليسار)، و(الجماعـية) وغيرها.

بـيـّنت السيدة الزهراء عليها السلام طبيعة المجتمع الذي سبق مجـيـء النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه فهو مجـتمع مفكـك متـفرقـ، كـشـرـبةـ مـاءـ لـلـعـطـشـانـ، وـسـهـلـ كـالـأـكـلـ لـلـجـائـعـ، فـيـطـمـعـ بـهـمـ كـلـ مـنـ يـرـيدـ

(١) المفید، الجمل: ص ٢٢٤

ذلك، فهو مجتمع ذليل خسيس لهم من العادات السيئة والأعراف المقيمة هتك كلّ المعايير الإنسانية.

إنّ ثمّة عوامل مختلفة كالجهل وضيق ذات اليد، وجشوبة العيش، وعدم وجود قانون صحيح يحكم الحياة الاجتماعية، وحالة البداونة الموجبة للتوحش، والكسل والبطالة وغير ذلك من الرذائل الأخلاقية كانت قد حولت جو الجزيرة العربية إلى جوّ فاسد قاتم، حتى إنّ أموراً يندى لها الجبين قد أخذت طريقها إلى حياة الجماعة، وراحت تتخذ شيئاً فشيئاً صفة العادات المتعارفة. فكانت الغارات وعمليات النهب، والقمار، والربا، والأسر، والسيبي، والوأد، والاعتداء من الأعمال والممارسات الرائجة في حياة ذلك المجتمع، وكان شرب الخمر ومعاقرتها لا حدود له الآخر من الأعمال القبيحة الشائعة لديهم، ولقد ترسخت هذه العادة القبيحة في حياتهم إلى درجة أنها صارت جزءاً من طبيعتهم<sup>(١)</sup>. حتى قال شاعرهم:

إذا مِتْ فادفَنِي إِلَى جنْبِ كرْمَةٍ  
تروي عظامي بعْد موْتِي عروقها

أَخَافُ إِذَا مَاتْ أَنْ لَا أَذْوَقُهَا<sup>(٢)</sup>  
ولا تدفَنْتِي فِي الْفَلَّا فَإِنِّي

جاء النبي الأكرم ﷺ فغير تلكم الطبيعة المترسخة، والأعراف الاجتماعية، والعادات القدرة إلى أمة مباركة مرحومة مدحها الله تعالى، بل جعل منها خير الأمم. قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. والحاصل الذي ذكرته السيدة الزهراء عليها السلام من طبيعة المجتمع وتحوله لأكمل مجتمع هو راجع إلى القيادة الصادقة التي بذلت ما عندها في هدياته، ولذلك أصرت السيدة الزهراء على أن تواصل القيادة ذات المشروع الذي بذله النبي الأكرم ﷺ حتى تضيع جهوده، وفعلاً عندما تسمّن هؤلاء النفر

(١) ينظر: السبحاني، سيد المرسلين: ج ١، ص ٦٦.

(٢) الجزرى، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٣، ص ٤٧٥.

غير المؤهلين أول ما فعلوه هو الهجوم على دار منقذهم من الضلال وحرقه، وقتل السيدة الزهراء ومصادرها حقّها. فهذا ما دعاها إلى أن تنتفض وتضع الخطوط الأساسية لمسألة الحكم وإدارة الدولة لأنّ التنازل عنها له تبعات وخيمة يدفعها الإسلام.

### ثالثاً: العدالة الاجتماعية. (The Social Justice)

قالت السيدة الزهراء عليها السلام: «وأنتم الآن ترعمون: أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون! أفلا تعلمون؟! بل قد تجلّ لكم كالشمس الضاحية، أني ابنته. أيّها المسلمون أغلب على إرثي؟ يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريأاً!».

إنّ التنظير لمسألة العدالة أحد الركائز الأساسية في الفلسفة السياسية، وهي -العدالة- أهم مسألة بحثها الفلاسفة في التأصيل لإدارة الحكم وبناء الدولة. نجد بأنّ أفلاطون الذي اشترط أن يكون الحاكم في المدينة حكيماً، يجعل العدالة هي الحكمة التي هي شرط أساسى في الحاكم قال: «إنّ العدالة حكمة وفضيلة والتعدى جهل مطبق، فبسهولة يثبت أنها أقوى من التعدي»<sup>(١)</sup>، وقد أسهب الكلام عنها وتناولها بكلّ حيشاتها.

والعدالة في الفكر الفلسفى الاجتماعى هي: فضيلة نفسانية تقوم على ثلاثة أوجه: إذا نسبت إلى صاحبها سميت فضيلة، وإذا نسبت إلى من يعامله سميت عدالة، وإذا اعتبرت بذاتها سميت ملكرة نفسانية، فاستعمال الماء العاقل العدالة على نفسه وعلى غيره واجب عليه، وذلك بأن يعدل قواه الكثيرة، لأنّها إن غلبته أهلكته. وهكذا سبيل كلّ مركب من كثرة، إذا لم يكن له رئيس واحد ينظمها ويقوده نحو سعادة الوحدة، التي هي ظل الله،

(١) أفلاطون، الجمهورية: ص ٣٧

هلك. تتمحور العدالة عند الفلاسفة بالطبع، حول الرئيس العادل الذي يعرف كيف يحكم بين الناس بعدل. وليس العدالة غاية ب نفسها، بل هي وسيلة لبلوغ السعادة<sup>(١)</sup>.

أما تحقيقها في المجتمع «إن حفظ العدالة فيما بين الناس لا يتصور بدون هذه الأشياء الثلاثة أي الناموس الإلهي، والحاكم الإنساني، والدينار. وقد أرسطاطاليس : إن الدينار ناموس عادل. ومعنى الناموس في لغته هو التدبير والسياسة»<sup>(٢)</sup>.

إن الفكرة الأساسية من مضامين العدالة التي طالبت السيدة الزهراء عليها السلام بتحقيقها في النظام السياسي يتجلّ بأنجاء ثلاث:

**الأول:** طالبت بتحقيق العدالة على المستوى الشخصي، وهي إرجاع أرضها المسماة (فدي) فقد صادرتها السلطة الحاكمة دون وجه حق. وهذا الفعل الشنيع يعدّ خرقاً لمبادئ الحكم في ظلم أفراد المجتمع.

**الثاني:** أرادت تحكيم كتاب الله تعالى بوصفه الدستور الذي يلتجأ إليه المختصون في تحقيق العدالة، والمحور الأساسي في استقامة النظام السياسي الإسلامي، لذا قدمت الكثير من الآيات القرآنية في تحقيق مبادئ العدالة في مسألة الحكم والإرث إلا أن السلطة الحاكمة أغفلت قلوبها قبل أسماعها، ولجأت إلى تحكيم الأهواء النفسية وأضاعوا العدالة.

**الثالث:** إن السيدة الزهراء عليها السلام شخصت المشكلة الحقيقة في النظام الذي عقب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه يفتقر إلى العدالة في نفوذ حكمه وسلطته، وهذه المسألة المهمة التي بحثتها الفلسفة السياسية في التنظير لمسألة الحكم والمجتمع. وعليه لا يمكن تحقيق السعادة

(١) ينظر: مقلد، نظام الحكم في الإسلام: ص ١٥٢.

(٢) الطوسي، أخلاق ناصري: ص ١٩٣.

الاجتماعية للمجتمع إذا تعرّى الحاكم عن العدالة، لأنّ الحكم لا يطلب لذاته، بل يطلب غيره، وهو تحقيق العدالة ليضمن به السعادة للمجتمعات. وهذا ما قاله أفلاطون: «إنّ الضرورة تتحم علينا أن نسلم أنّ كلّ حكومة لا تطلب كحكومة، الا ما هو لخير المحكومين، الذين أنيط بها أمرهم»<sup>(١)</sup>.

وهذا ما أكدّته حكومة الإمام علي عليه السلام الصالحة؛ قال ابن عباس: «دخلت على أمير المؤمنين عليهما بذى قار، وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها. فقال عليهما: والله هي أحبّ إلىّ من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلًا»<sup>(٢)</sup>. هذه الفلسفة التي سار عليها الإمام علي في ترسیخ مبادئ الحكم وإدارة الدولة. وهذا ما أرادته السيدة الزهراء عليهما من الحكومة التي خلفت النبي الأكرم عليهما.

(١) أفلاطون، الجمهورية: ص ٣٠.

(٢) الشريف الرضي، نهج البلاغة: رقم الخطبة: (٣٣).

## النتائج

توصلت من خلال ما تقدم إلى أهم النتائج الآتية:

أولاًً: إن مفهوم الأنثروبولوجيا من المفاهيم الثرة التي يمكن للباحثين الاستفاده منها وتوظيفها في مجال تخصصاتهم الإنسانية والتطبيقية للوصول إلى نتائج جديدة ومشرمة في مجال تلك التخصصات.

ثانياً: توظيف تراث أهل البيت عليهم السلام ودمجه في العلوم الغربية يعطي بعدها رائجاً في الأوساط الأكاديمية لما فيه -التراث- نكات علمية تسجم مع تلك العلوم؛ هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى نشر التراث بطرق تتلاءم مع طريقة التفكير المعاصرة.

ثالثاً: رسمت السيدة الزهراء عليها السلام ملامح الفكر الاجتماعي في تأصيل الحكم بعد رحيل النبي الأكرم ص، وهذا الفكر نابع من تلك الأسس التي خطّها النبي الأكرم ص في حياته العملية التي مارسها في إدارة دولته. فكانت عليها السلام تمثل الخطط الطويلي في امتداد رسالته والحلقة التكميلية لما أراد ص. فنهضتها في حقيقة الأمر هي استرداد تلك الجماعة التي شطّت عن جادة الصواب، وإرجاع النصاب إلى محله الذي أراده الله له. فعليه نستطيع القول بأن رؤية السيدة الزهراء الاجتماعية هي رؤية الإسلام لمسألة الحكم بعينه، وكل ما عدّها هو انحراف عن طريق الإسلام الأصيل.

رابعاً: أولت السيدة الزهراء عليها السلام في توجيه خطابها الفكر اهتماماً بالغاً، وقد فصلت القول بمسألة التوحيد وصفات الخالق وأفعاله. كما اشترط من قبل فيلسوف اليونان «أفلاطون» في فلسفة جمهوريته أن يكون رئيس المدينة حكيمًا أي يكون ذا فلسفة ونظرة إزاء الوجود. فالتفكير له علاقة مباشرة في مسألة النظام الدولة، فيكون مدعماً لدمها أو ركيزة بنائها. وإذا نظرنا نظرةً سريعةً إلى التاريخ الإسلامي نحكم بأهمية الفكر وعلاقته بالأنظمة السياسية وكيف و كيف وظفت السلطة الفكر في تدعيم الدولة.

## المصادر

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد الدنوي (ت: ٢٧٦ هـ):

١- الإمامة والسياسية: (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت)، ط١، ٢٠٠٦ م.

ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المعذري (ت: ٦٥٦ هـ):

٢- شرح نهج البلاغة: (انوار الهدى - قم المقدسة)، ط١، ١٤٢٩ هـ.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت: ٧٢١ هـ):

٣- إعلام الموقعين عن رب العالمين: (دار الكتب العلمية - بيروت)، ط١، ١٩٩١ م.

ابو حلاوة،

٤- نموذج بنائي للعلاقات بين جودة الحياة والهوية الاجتماعية، مجلة الدراسات التربوية والإنسانية، كلية التربية، جامعة دمنهور، سنة ٢٠١٩.

أبو زهرة، محمد:

٥- تاريخ المذاهب الإسلامية: (دار الفكر العربي - القاهرة)، ط١، ٢٠٠٩ م.

أحمد، محمد وقيع الله:

٦- مدخل إلى الفلسفة السياسية: (دار الفكر - دمشق)، ط١، ٢٠١٣ م.

أفلاطون:

٧- جمهورية أفلاطون: ترجمة، حنا خباز، (دار القلم للطباعة والنشر - بيروت)، د.ط.  
د.س.

بدوي، أحمد زكي:

٨- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: (مكتبة لبنان - بيروت) ط١، د.س.

التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (ت: ٧٩١هـ)

٩- شرح العقائد النسفية: (انتشارات امام ربانی - إيران)، ط١، ١٣٩٣هـ. ش.

الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد (ت: ٦٠٦هـ):

١٠- النهاية في غريب الحديث والأثر: (المكتبة العلمية - بيروت)، ط١، ١٩٧٩م.

حجازي، سمير سعيد:

١١- معجم الأنثربولوجيا: (دار الطلاق للنشر والتوزيع - د.م)، د.ط، د.س.

الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ):

١٢- معجم البلدان: (دار إحياء التراث العربي - بيروت)، د.ط، د.س.

الحنبي، أبو يعلى محمد بن الحسين الحنبي (ت: ٤٥٨هـ):

١٣- الأحكام السلطانية: (دار الكتب العلمية - بيروت)، ط١، ٢٠٠٠م.

الدمشقي، أبو البركات محمد بن أحمد الشافعي (ت: ٨٧١هـ):

١٤- جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب: (مجمع إحياء الثقافة الإسلامية- قم المقدسة)، ط١٤١٦ هـ.

الدمنهوري، أحمد سعد:

١٥- نظرية المعرفة عند أهل السنة والجماعة: (دار النور- د.م)، ط٢٠١٨، م٢٠١٨.

الذوادي، محمود:

١٦- مفاهيم أساسية في علم الاجتماع: (المركز العربي للأبحاث- قطر)، ط٢٠١٨، م٢٠١٨.

السبحاني، جعفر:

١٧- الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل: (دار هشام- بيروت)، ط١،

م٢٠٠٥.

١٨- سيد المرسلين: (مؤسسة النشر الإسلامي- قم المقدسة)، ط٣، ١٤٢٧ هـ.

السراجي، كريم:

١٩- الأسس الدينية للاحتجاهات السلفية: (دار السلام- بيروت)، ط١٠، م٢٠١٠.

سعفان، حسن شحاته:

٢٠- علم الإنسان: (منشورات مكتبة العرفان- بيروت)، ط١٠٦٦، م٢٠٠٦.

سليم، شاكر مصطفى:

٢١- قاموس الأنثروبولوجيا: (جامعة الكويت- الكويت) ط١، ١٩٨١ م.

الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين (ت: ٤٠٦ هـ) :

٢٢- نهج البلاغة: (مؤسسة دار الهجرة- قم المقدسة)، ط٣، ١٤٢٥ هـ.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت: ٤٨٥ هـ) :

٢٣- الملل والنحل: (دار الكتب العلمية- بيروت)، ط٨، ٢٠٠٩ م.

الصدر، محمد باقر:

٤- فلسفتنا: (مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر- قم المقدسة)، ط٢، ١٤٢٧ هـ.

الطوسي، نصير الدين (ت: ٦٧٢ هـ) :

٢٥- أخلاق ناصري: (دار الهادي- بيروت)، ط١، ٢٠٠٨ م.

عبد الحميد، عرفان:

٢٦- دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية: (مطبعة أسعد- بغداد)، ط١، د.س.

الفار، علي محمود اسلام:

٢٧- الأنثروبولوجيا الاجتماعية: (المئية المصرية العامة للكتاب- الإسكندرية)، د.ط، ١٩٧٦.

فهيم، حسين:

٢٨- قصة الأنثروبولوجيا: (علم المعرفة للكتب- الكويت)، ط١، ١٩٨٦.

الكواكي، عبد الرحمن:

٢٩ - طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: (دار الكتاب العربي- القاهرة)، ط١،

م٢٠١٢.

مرحبا، محمد عبد الرحمن:

٣٠ - من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية: (عوائدات للنشر والطباعة-

بيروت)، د.ط، م٢٠٠٧.

المفید، أبو عبد الله محمد بن محمد النعیان (ت: ٤١٣ هـ):

٣١ - الجمل: (د.ن- د.م)، ط١، ١٩٨٣ م.

مقلد، علي:

٣٢ - نظام الحكم في الإسلام: (دار الأصوات- بيروت)، ط١٩٨٦، ١ م.



**أثر العلاقة الإيمانية  
بين الزوجين في مستقبل الأسرة والمجتمع**

**«بيت الزهراء عليه السلام إنموذجاً»**

الباحث

الشيخ أحمد عبد الواحد الشويفي

العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

مركز الدراسات والمراجعة العلمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المبحث الأول: تمهيد

إنّ الأسرة هي لبنة الوحدة الاجتماعية الأولى والأساسية التي يقوم عليها البناء الاجتماعي<sup>(١)</sup>، فإذا كانت متواسكة بعضها بعضًا أمام صعوبات الحياة، تتمكن حينها من أن تكون أساس المجتمع ومصدر قوته وتفوقه في شتّي الميادين، والعلاقة السيئة الشيطانية بين الزوجين في الحقيقة تعتبر أكثر فتكاً في خراب الأسرة والمجتمع عموماً من الحرث بمحنة المرض والأوبيمة الصحية، لأنّ الأسرة عمد المجتمع الأول، والركيزة الأساس التي يستند إليها، والملاذ الآمن الذي يجد فيه الفرد السكينة والطمأنينة؛ لذلك فالاهتمام بالأسرة بكلّ أفرادها ابتداءً من الزوجين وانتهاءً بالأبناء اليوم هو نتيجة للوصول إلى غدٍ مشرق في ظلّ مجتمعٍ مثاليٍ ومؤمن. والزوجان هما أول أفراد هذه الركيزة، إذ بما تُبني الأسرة أو تُهدم، فالعلاقة الجيدة المبنية على أساسات إيمانية مصدرها القرآن الكريم وروايات المعصومين عليهم السلام تعطي ثماراً إيمانية في مستقبل الأسرة، ثم يتأثر إيجاباً المجتمع بهذا الخير الذي أُنتج من تلك الأسرة المؤمنة.

إنّ الأنموذج الأكمل للبيت الإيماني هو بيت علي وفاطمة عليهم السلام، فهو البيت الذي اجتمع فيها المعصومون وأُنتج المعصومون (صلوات ربِّ عليهم أجمعين) حيث ذكره الله تعالى في

(١) دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة للسيد محمد باقر الحكيم سنة الوفاة ١٤٢٥، سنة الطبع ١٤٢٥، الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ردمك ٩٦٤ - ٨٦٨٦ - ١٤ . ٥٠٢، الطبعة الثانية، ج ١ ص ٩

القرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظْهِرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(١)</sup>. فهذا البيت سيكون محطة رحاب البحث وراحته، وأقصد بالبيت ليس بخصوص بيت الإمام علي والزهراء الواقع في المدينة بجوار مسجد النبي ﷺ فحسب، بل كل بيوت المعصومين الذي هو من ثم بيت للزهراء ﷺ، فسيكون المبحث الأول عن مفاهيم مفرداته المفتاحية (العلاقة، الأسرة، بيت الزهراء ﷺ) وسيختص المطلب الأول منه عن معنى (العلاقة الإمامية والأسرة) في اللغة والاصطلاح، وسينفرد المطلب الثاني عن العلاقة الإمامية بين الزوجين، ثم سيعرج المبحث الثاني في مطلبها الأول عن مكانة الزهراء ﷺ بالخصوص في المجتمع الإسلامي، وسيذكر المطلب الثاني شواهد وقواعد عن بيت الزهراء ﷺ ومعلم بيتهما، ثم خاتمة وفهرس.

### **المطلب الأول: ما معنى العلاقة الإمامية والأسرة، في اللغة والاصطلاح**

#### **معنى (العلاقة) في اللغة:**

العلاقة من: تعلق بـ يتعلّق، تعلقاً، فهو متعلق، والمفعول متعلق به. تعلق بالحياة: علق بها، استمسك بها «تعلق الصغير بأمه» - تعلقت الفكرة بالموضوع: كان بينهما رابطة تربطها وعلاقة (الفتح) / وعلاقة (بالكسر) من علاقات وعلاقتين: رابطة تربط بين شخصين أو شيئاً»<sup>(٢)</sup>، وعلاقة المحبة والخصومة ونحوهما، فالملفتوح يستعمل في الأمور الذهنية، والمكسور في الأمور الخارجية<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة للمؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م مج ٢ ص ١٥٣٨.

(٣) ينظر: إيضاح شواهد الإيضاح لأبي علي الحسن بن عبد الله القيسى، دراسة وتحقيق د. محمد بن حمود الدعجاني؛ الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط١ سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م، بيروت / لبنان، ج١، ص ٤١٧.

وأما معنى العلاقة باصطلاح علم الاجتماع فلا يوجد فرق كبير بين معنى العلاقة في اللغة والاصطلاح، حيث أنّ الربط والترابط بين أفرادها هي السمة البارزة في تعريفات علم الاجتماع للعلاقة، حيث عُرفت بأئمّها الرابط بين الأشياء<sup>(١)</sup>.

واعتبرها آخر أنّ فيها خصائص عدّة؛ منها مركبة ومتميزة ومتعددة ومتتشابكة، وهذه الخصائص لا تظهر فقط في العلاقات القائمة بين عدد كبير من الأفراد وإنما تظهر أيضاً حتى لو كانت العلاقات قائمة بين شخصين فقط<sup>(٢)</sup>.

وعرّفها آخر بأئمّها الروابط والأثار المتبادلة بين الأفراد في المجتمع، وهي تنشأ من طبيعة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم وأحساسهم، واحتكاك بعضهم البعض الآخر، ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع<sup>(٣)</sup>.

وييمكن أن نعرّف العلاقة من الناحية الاجتماعية وفق ما مرّ من التعريفات بأئمّها تحصل بين شخصين أو جماعة بينها توافق وترتبط معنوي ومادي معاً، مما يعود أثره الإيجابي على الفرد والمجتمع، وأخصّ بالذكر علاقة الزواج.

ثم توجد ملاحظة مهمة وهي أنّ العلاقات الاجتماعية قد تختلف؛ فمنها ما يؤدي إلى التجمع والتآلف، وهي التي تسمى بالعلاقات المجمعة، وتسمى أحياناً بالعلاقات البناءة، وقد تسمى أيضاً العلاقات الإيجابية. ومن أمثلة هذه العلاقات التعاون، الزواج، الشاء...،

(١) ينظر: (تخطيط علم العلاقات) عالم النفس الأمريكي بيرشيد إلين (أبريل ١٩٩٩). هاتف ٥٤-٢٦٠-٢٦٦. مؤرشف من الأصل في ٢٠٢٢-٠٣-٢٠٠٨. اطلع عليه بتاريخ ٢٠١٢-٠٩-٢٦ (ويكيبيديا) ج ٤، ص ٥٤.

(٢) دراسة في المجتمع، مصطفى الخشاب، مكتبة الانجلو سكسونية، الاسكندرية، سنة الدراسة ١٩٧٧. ص ١.

(٣) معجم العلوم الاجتماعية، إبراهيم مذكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة الطبع ١٩٧٩، ١٩٧٩، ص ٢٨٣.

وهناك علاقات تسمى بالعلاقات المفرقة أو الهدامة، وقد يطلق عليها السلبية؛ ومن أمثلتها الكراهية، الصراع، الطلاق...<sup>(١)</sup>.

من هذا التعريف المتبني نفهم علاقة الإنسان بالإنسان الآخر، فهي عبارة عن أنظمة حية وحيوية، وتعرض للتغيير بشكل مستمر أثناء ذرورتها وجودها. فعلى هذا الأساس نستطيع القول بأنّ لها بداية وقتية وعمرًا افتراضياً محدداً وأيضاً في النهاية، إن لم تنم هذه العلاقات وتحسن تدريجياً، فهي معرضة للزوال والأفول، فقد طرح العالم النفسي والاجتماعي جورج ليفينجر (George Levinger) أحد النماذج الأكثر تأثيراً لنمو العلاقات، فجعل العلاقة يسري مفعولها إذا مررت بمراحل خمس:

١. التعارف؛ يمكن أن يستمر إلى ما لا نهاية.
٢. البناء؛ أثناء هذه المرحلة يبدأ الأشخاص بالثقة والرعاية المتبادلين.
٣. الاستمرار؛ تأتي هذه المرحلة عقب التزامات متبادلة في مدة طويلة المدى مثل الزواج، وعادة ما تطول هذه الفترة وتتسم بالاستقرار النسبي. وعلى أية حال فإن النمو المستمر للعلاقة وتطورها سيحدث في أثناء هذه الفترة.
٤. الثقة المتبادلة بين الطرفين؛ هذا الأمر يعد من الضروريات في الحفاظ على العلاقة.
٥. التدهور، ليس حتمياً أن تمر جميع العلاقات بهذه المرحلة، ولكن العلاقات التي تتدحرج تبدو عليها سمات المشاكل مسبقاً، كحدوث نوع من الملل أو الاستياء أو عدم الرضا وحيثند يضعف التواصل ولا يحدث الكشف عن الذات. وقد يحدث نوع من فقدان

(١) ينظر: معجم العلوم الاجتماعية، إبراهيم مذكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة الطبع ١٩٧٩ ص ٢٨٣.

في الثقة كاستمرار لتدور العلاقة. وفي النهاية تنتهي هذه العلاقة، (أو قد يجد بعض الأطراف طريقة حل المشاكل وإعادة توطيد الثقة).

الإنهاء، تمثل المرحلة الأخيرة انتهاء العلاقة بالانفصال<sup>(١)</sup>.

افتراض هذا العالم أن العلاقة السليمة تكون خالية من الخلل والمشاكل، وجعل بيئه العلاقة صحية ومستمرة ومستدامة إذا مررت بالمراحل الخمس دون حدوث طارئ يعكر صفو حياة الطرفين كأصحاب العلاقة الطويلة كالزوجين، ونبي أو تناصي رعاية الله تعالى لعباده، حيث جعل الله تعالى الزواج آية من آياته حيث قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوْدَةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. ثم إن أهل بيت الوحي (صلوات الله عليهم) أوضحاوا لنا أهمية هذا الرابط العظيم والآية الإلهية، وأعني (الزواج). فقد روي عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام. قال: قال النبي ﷺ: ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله<sup>(٣)</sup>، وأيضاً ما روي عن أحمد بن محمد، عن معاوية بن حكيم، قال: خطب الرضا عليه السلام... ولو لم يكن في المناصحة والمصاهرة آية محكمة ولا سنة متبرعة ولا أثر مستفيض، لكن فيما جعل الله من بر القريب وتقريب البعيد وتأليف القلوب، وتشبيك الحقوق<sup>(٤)</sup> وتكثير العدد وتوفير الولد لنواب

(١) ينظر: التطوير والتغيير لـ(جورج ليفينجر). سنة الطبع (١٩٨٣) وآخرون. (ص / ب ٣١٥-٣٥٩).

نيويورك: الناشر دبليو.إتش. فرييان وشركاه، ص ١٧.

(٢) سورة الروم الآية ٢١.

(٣) كتاب الكافي للشيخ الكليني الوفاة ٣٢٩، سنة الطبع ١٣٦٧ ش / الناشر دار الكتب الإسلامية - طهران تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثالثة، ج ٥، ص ٣٢٧.

(٤) شبَّكَ الشيءُ شبَّكَ شبَّكًا: تداخلَ بعضُهُ في بعضَ، وشبَّكَ الشيءَ: أَشَبَّ بعْضَهُ في بعْضٍ، يقال: شبَّكَ أَصَابِعَهُ (المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية / جمهورية مصر العربية / الطبعة الرابعة ١٤٢٥-٢٠٠٤) مكتبة الشرقي الدولية، مادة: شبَّكَ

الدهر وحوادث الأمور ما يرغب في دونه العاقل الليب ويسارع إليه الموفق المصيب<sup>(١)</sup>.  
 أما تعريف الأسرة لغة، فهي أهل الرّجل وعشيرته<sup>(٢)</sup>، وبأنّها الدّرع الحصينة<sup>(٣)</sup>،  
 والأُسرة بالضمّ: أقاربُ الرّجل من قبلِ أبيه<sup>(٤)</sup> أمّا اصطلاحاً فعرفت الأسرة بأنّها «عبارة  
 عن جماعة من الأفراد يرتبطون معاً بروابط الزوج والدم والتبنّي، ويتفاعلون معاً، وقد يتّم  
 هذا التفاعل بين الزوج والزوجة، وبين الأم والأب، وبين الأم والأب والأنبياء، ويكون  
 منهم جمِيعاً وحدة اجتماعية تميّز بخصائص معينة»<sup>(٥)</sup>.

أمّا من المنظور السوسيولوجي السلوكي تشير كلمة «أسرة» إلى معيشة الرجل والمرأة  
 معاً على أساس الدخول في علاقات جنسية يقرّها المجتمع -أي المجتمع الإسلامي- وما  
 يتربّ على ذلك من حقوق وواجبات كرعاية الأطفال وتربيتهم<sup>(٦)</sup>؛ فأساس قيام الأسرة  
 هو الزواج، فيشكّل بذلك الرجل والمرأة جزأين متكمالين، أساس العلاقة بينهما المودة  
 والرحمة والسكنينة، والإسهام في إنتاج جيلٍ مُحافظٍ يبّهم الله تعالى في المستقبل، وهذا لقوله

(١) كتاب الكافي للشيخ الكليني الوفاة ٣٢٩، سنة الطبع ١٣٦٧ ش / الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثالثة، ج ٥، ص ٣٧٤.

(٢) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية / جمهورية مصر العربية / الطبعة الرابعة ١٤٢٥-٢٠٠٤، مكتبة الشروق الدولية (الأسرة)

(٣) لسان العرب للمؤلف أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنباري الرويغري الإفريقي المتوفى سنة ٧١١ هـ / الناشر: دار صادر - بيروت / لبنان، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، مادة (أَسْرَ).

(٤) كتاب تاج العروس لمرتضى الزبيدي الوفاة ١٢٠٥ م سنة الطبع ١٩٩٤، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت تحقيق علي شيري، ج ٦ ص ٢٣.

(٥) قاموس علم الاجتماع، جوزيف سوميف وميشيل هوج، مكتبة لاروس، باريس، سنة الطبع ١٩٧٣، ص ١٣١.

(٦) ينظر: إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والسكان، سيد رمضان، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية مصر، ١٩٩٩، ص ٢٥.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(١)</sup>.

إنّ في علم الاجتماع أنواعاً كثيرة من الأسرة، ولكن نحن نركز على الأسرة الزوجية أو (الأولية) حيث يطلق عليها أيضاً «الأسرة النووية» أي النواة الأولى لتكوين مجتمعات، فت تكون هذه الأسرة «الزوجية» من الزوجين (ذكر وأنثى) والأطفال غير المتزوجين الذين لم يبلغوا السن القانوني، أو بلغوا ولم يتزوجوا وهم في البيت نفسه، والتي تكون مستقلة كلياً أو نسبياً عن أقارب الوالدين وعن الأسر الأخرى بشكل عام والتي تحافظ على روابط قرية مع الأنسباء<sup>(٢)</sup>. وهناك أنواع أخرى مثل الأسرة وحيدة الوالد<sup>(٣)</sup> أو الأسرة «الأمومية» أي المرتكزة على الأم<sup>(٤)</sup> وهناك أنواع أخرى يزعم أنها من أنواع الأسر ويطلق عليها مصطلح «الأسرة المختارة»، الذي يُشار إليها أحياناً أيضاً باسم «الأسرة المكتشفة»<sup>(٥)</sup>، وتكثر في بعض المجتمعات الغربية حيث اعتبروها من الأسر، وهي بعيدة كلّ البعد عن الأسرة الفطرية

(١) سورة النساء الآية ١.

(٢) ينظر: قاموس علم الاجتماع، سكوت جون، المحرر في سنة (٢٠١٤) م لرجع أكسفورد الورقي الطبعة الرابعة، مطبعة جامعة أكسفورد، ص. ب ٢٣٧، ردمك: ٩٧٨-٠٩٦٨٣٥٨-١٩٠-١. (ويكيبيديا) ج ٤. ص ٢٣٧.

(٣) ينظر: مقال (في الدفاع عن الأسر ذات الوالد الواحد) دود نانسي إي في سنة (١٩٩٧) م مطبعة جامعة نيويورك، ردمك: ٠٨١٤٧-٨١٨٦٩-٨٠٨.

(٤) ينظر: (الأمومية وقوه المرأة على ساحل ميسكينتو) هيرليهي لورا هوبسون ص، ب. ١٣٤ ن. ٣، الناشر جامعة كانساس سنة الطبع ٢٠٠٧ ج ٤٦، ص ٢.

(٥) ينظر: مقالة (استكشاف الشبكات الداعمة للمثليات والمثليين ومزدوجي التوجه الجنسي) ديوبيل الكسيس، في فبراير (٢٠١١) المشورة في مجلة علم النفس الاجتماعي التطبيقي (باللغة الإنجليزية) عدد .٤١ (٢): ٣١٢-٣٣١.

الصحيحة، التي أراد الله تعالى لهذه المنظومة المهمة أن تساهم في بناء المجتمع حاضراً ومستقبلاً. وهذا نلاحظ التفسخ الاجتماعي بين أفراد هذه الجماعات ولا أطلق عليها أسرة لأنها مفككة، هزيلة المشاعر في ما بينها، مما يعود بالسلب على ترابط أفراد المجتمع الواحد، فيعمّ خراب البلدان الأخلاقية والروحية، وإن كثر عمرانها المادي الظاهري.

وقد دعّمت هذا المجتمع كثيراً من قبل الإعلام الغربي<sup>(١)</sup> والمجلات والصحف والمواقع الغربية، لكي يكسبوا حقوقهم المزعومة زيفاً وكذباً على حساب باقي أنواع الأسر الراقية في الأخلاق، والمفيدة لمجتمعاتها ولبلدانها مستقبلاً، مما سبب نشوء فهم مغلوط هوية الأسرة عند أولئك، وإرباكاً في تعريفاتهم للأسرة اجتماعياً. إنّ الخاسر الأكبر في هذه الحرب الشيطانية هم الأطفال، حيث إنّ قوة الشرّ وعيّاد الشيطان أجبروا الأطفال على تغيير الهوية المستقبلية، وزرعوا في عقولهم أنّهم ليسوا على طبيعتهم الجسدية والنفسية، وهو توهّم دفعهم إلى التفكير بالانتحار بسبب عدم فهم هويته بالمستقبل، وإجبارهم على اتخاذ هويات مخالفة لجنسهم الذي خلقهم الله تعالى بها<sup>(٢)</sup>.

### **المطلب الثاني: العلاقة الإيمانية بين الزوجين هي السبيل الوحيد لرقي الأسرة الإسلامية.**

إنّ الإسلام جاء ليأخذ بيد الفرد ليرتقي به ويجعل شخصيته قوية وفريدة، وخلالية عن كلّ نقص وعيوب اجتماعي، حيث إنّ الله تعالى جهز الفرد بقواعد<sup>(٣)</sup> كثيرة منها الإدراك والسلوك السليم الملائم مع خلقه وصلاحه، وزوّده تعالى كذلك بخصائص جسدية

(١) (المثلية الجنسية على شبكة تفلكس العلمية- عينة مختارة من المسلسلات أنموذجاً) رسالة ماجستير- إعداد الاستاذة ديمة لطفي محمود حمدان- إشراف الدكتور محمود الرجبي في قسم الصحافة والإعلام- كلية الإعلام- جامعة الشرق الأوسط- حزيران ٢٠٢١.

(٢) للاستزادة ينظر مقالة (سيكون الأطفال بخير حتى بدون العائلة النووية) مايكل فيتزجيرالدم، التي نشرت بتاريخ: ١٤ يونيو ٢٠١٧ في مجلة باسيفيك ستاندرد.

(٣) ستكلم إن شاء الله تعالى عن هذه القواعد في البحث الثاني- المطلب الثاني منه.

وخصائص نفسية، وبرامج سلوكية يسير عليها. وهذه التعليمات للإنسان تشبه مفاتيح العمل التي تشغل البرامج الإلكترونية في الأجهزة الصناعية، وذلك لبيان استعمالاتها وجهات استخدامها؛ أو قُل على حد الإعدادات التي تذكر كيفية عمل الجهاز. فالكتابات الحية أيضاً ذات إعدادات داخلية وبرامجنظم عليها كيانها<sup>(١)</sup>. إن سلوك الإنسان الخارجي يمثل الصورة الحقيقية لباطن الإنسان وضميره، وقد عُرف السلوك بأنه: كل ما يصدر عن الإنسان من قول وفعل<sup>(٢)</sup>. إن أكثر ما يحدث بين الناس التي تجمعهم علاقات ارتباطية -ونخص بالذكر الزوجين- في ما بينهم إذ الدين هو الضابط لسلوك الإنسان؛ وهذا الأمر -أعني الزواج- جعله تعالى آية من آياته الكريمة، حيث جعل الله تعالى الأزواج بعضهم سكناً وأماناً. وهذا اللطف الإلهي يترجم بين الأزواج أنفسهم إذ إن الزوجين مخلوقان لبعضهما البعض، حيث قال (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مُوَدَّةً وَرَحْمَةً)؛ وبعبارة أخرى: أي لطمئنوا إليها وتآلفوا بها ويستأنس بعضكم ببعض<sup>(٣)</sup>. إن كلاً من الذكر والأنثى مكمل لوجود الآخر، وعاملًا على إشباع احتياجات الطرف الآخر من الناحيتين الجسمانية والنفسية<sup>(٤)</sup>. وروي عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ، ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله تعالى من التزويج<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: كتاب (تكامل الذكر والأنثى في الحياة، دراسة ميسرة في تكامل الجنسين، ونقد الاتجاهات الشاذة الحديثة) للسيد محمد باقر السيستاني، الناشر: مركز فجر عاشوراء الثقافي سنة الطبع ١٤٤٥ / ٢٠٢٣، ص ٢٣.

(٢) (أساليب تعديل سلوك الأبناء - رؤية إسلامية) عيسى محسني، الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، مراجعة مركز الدراسات والمرجعية العلمية، المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، شهر ربيع الأول ١٤٤٥ هـ - أيلول ٢٠٢٣ م، ص ١٠.

(٣) تفسير مجتمع البيان، المؤلف: أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، عدد الأجزاء: ١٠، جزء، مصدر الكتاب: المجمع العالمي لأهل البيت ج ٨ ص ٤٧.

(٤) (الأمثال في تفسير كتاب الله المنزل) للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج ١٩، ص ٣٢٩.

(٥) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق ج ٣، ص ٣٨٣

من هذا المنطلق نقرأ هذه الرواية عن النبي ﷺ. فعن أبي حمزة، قال سمعت جابرًا الأنصارىً يحدّث قال: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرْنَا النِّسَاءَ وَفَضَلَ بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَلَا أَخْبِرُكُمْ؟ فَقُلْنَا: بَلَّ يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَخْبَرْنَا.

فَقَالَ ﷺ: إِنَّ مِنْ خَيْرِ نِسَائِكُمُ الْوَلُودَ، الْوَدُودَ، السَّتَّيرَةَ، الْعَزِيزَةَ فِي أَهْلِهَا الدَّلِيلَةَ مَعَ بَعْلِهَا، الْمُتَبَرِّجَةَ مَعَ زَوْجِهَا، الْحَصَانَ عَنْ غَيْرِهِ، الَّتِي تَسْمَعُ قَوْلَهُ، وَتُطِيعُ أَمْرَهُ، وَإِذَا خَلَّ بَهَا بَذَلتْ لَهُ مَا أَرَادَ مِنْهَا، وَمَمْبَذَلَ لَهُ بَذَلُّ الرَّجُلِ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِشَرِّ نِسَائِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَّ. قَالَ ﷺ: إِنَّ مِنْ شَرِّ نِسَائِكُمُ الدَّلِيلَةِ فِي أَهْلِهَا الْعَزِيزَةِ مَعَ بَعْلِهَا، الْعَقِيمِ، الْحَقُودِ، الَّتِي لَا تَتَوَرَّعُ مِنْ قَبِيحِ الْمُتَبَرِّجَةِ إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلِهَا، الْحَصَانَ مَعَهُ إِذَا حَضَرَ، الَّتِي لَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ، وَلَا تُطِيعُ أَمْرَهُ، وَإِذَا خَلَّ بَهَا بَعْلِهَا تَمَعَّنَتْ مِنْهُ تَمَعَّنَ الصَّعْبَةِ عِنْدَ رُكُوبِهَا، وَلَا تَقْبِلُ لَهُ عُذْرًا، وَلَا تَغْفِرُ لَهُ ذَنْبًا. ثُمَّ قَالَ ﷺ: أَفَلَا أَخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ رِجَالِكُمْ؟

فَقُلْنَا: بَلَّ. قَالَ ﷺ: إِنَّ مِنْ خَيْرِ رِجَالِكُمُ التَّقِيَّ، النَّقِيَّ، السَّمْحَ الْكَفِيَّ، السَّلِيمَ الْطَّرَفَيِّينَ، الْبَرَّ بِوَالِدِيهِ، وَلَا يُلْجِئُ عِيَالَهُ إِلَى غَيْرِهِ. ثُمَّ قَالَ ﷺ: أَفَلَا أَخْبِرُكُمْ بِشَرِّ رِجَالِكُمْ؟

فَقُلْنَا: بَلَّ. قَالَ ﷺ: إِنَّ مِنْ شَرِّ رِجَالِكُمُ الْبَهَاتَ، الْفَاحِشَ، الْأَكِلَ وَحْدَهُ، الْمَانِعِ رِفْدَهُ، الْضَّارِبَ أَهْلَهُ وَعَبْدَهُ، الْبَخِيلَ، الْمُلْحِيَّ عِيَالَهُ إِلَى غَيْرِهِ، الْعَاقِ بِوَالِدِيهِ<sup>(١)</sup>.

هذه العلاقة الإيمانية التي حددتها القرآن الكريم والنبي ﷺ بين الزوجين تعطي صوراً ناصعة، بيضاء لونها تسر الناظرين، عن حدود العلاقة بين الزوجين المؤمنين بالإسلام

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، للشيخ محمد باقر المجلسي، المتوفى سنة: ١١١٠ هجرية، طبعة مؤسسة الوفاء، بيروت / لبنان، سنة: ١٤١٤ هجرية ج ٧٥، ص ٢٣٧.

الحنيف، والنموذج الواضح التطبيقي لهذه التعاليم هو بنطلق من بيت الزهراء عليها السلام. فقرأ هذه الرواية (يا أبا الحسن، إني لأستحي من إلهي أن أكلف نفسك ما لا تقدر عليه<sup>(١)</sup>).

للمرأة وزن اجتماعي مهم في الإسلام، فهي الأم والبنت والأخت والزوجة، فقد ساوي الدين الإسلامي الحنيف بينها وبين الرجل من حيث تدير شؤون الحياة بالإرادة والعمل فإنّهما متساويان من حيث تعلق الإرادة بما تحتاج إليه البنية الإنسانية في الأكل والشرب وغيرهما من لوازم البقاء. وقد قال تعالى: ﴿..بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ..﴾<sup>(٢)</sup>، فلها أن تستقلّ بالإرادة ولها أن تستقل بالعمل ومتلك نتاجهما كما للرجل ذلك من غير فرق، ﴿..لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا أَكْسَبَتْ..﴾<sup>(٣)</sup>، فهما سواء فيما يراه الإسلام ويتحقق القرآن والله يحقّ الحق بكلماته، وقد أعطى الله تعالى حق المرأة في الحياة، حيث حرم وأد البنات فقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُلِّمَتْ يَأْيَ ذَنِبٍ قُتِلَتْ﴾<sup>(٤)</sup>، وبدأ بالإثاث قبل الذكور في قوله تعالى: ﴿يَهُبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهُبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾<sup>(٥)</sup>.

غير أنه قرر فيها خصلتين ميزها بها الصنع الإلهي؛

إحداهما: أنها بمنزلة الحرش في تكون النوع ونمائه، فعليها يعتمد النوع في بقاءه، فتحتخص من الأحكام بمثل ما يختص به الحرش، ومتاز بذلك من الرجل.

(١) أعلام الهدایة، المؤلف المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام - لجنة التأليف، الوفاة معاصر، الموضوع مصادر سيرة النبي والأئمة عليهم السلام سنة الطبع ١٤٢٥ هـ الناشر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام - قم (ایران)

الطبعة ٢ ج ٣ ص ٩٩

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩٥.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

(٤) سورة التكوير الآية ٩ - ٨.

(٥) سورة الشورى الآية ٤٩

والثانية أنّ وجودها مبني على لطافة البنية ورقة الشعور، ولذلك أيضاً تأثير في أحواها والوظائف الاجتماعية المحولة إليها.<sup>(١)</sup> ولم يكتفي الإسلام بذلك، بل أنكر الله تعالى التزمر والخجل عندما يبشر أحدهم بالأنثى، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ \* يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسِكُهُ عَلَىٰ هُونِ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: الميزان للطباطبائي، ج ٢، ص ٢٧١

(٢) سورة النحل: الآية: ٥٨ - ٥٩.

## المبحث الثاني

### المطلب الأول: مكانة بيت الزهراء عليها السلام في نفوس المسلمين

عندما نزلت هذه الآية الكريمة: ﴿فِي بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾<sup>(١)</sup> قام رجل -وهذه الرواية رواها العامة والخاصة- فقال: أيّ بيت هذه؟ فقال النبي ﷺ: بيوت الأنبياء. فقام رجل آخر وأشار إلى بيت علي وفاطمة عليهم السلام وقال: هذا البيت منها؟ فقال النبي ﷺ: نعم من أفضلها<sup>(٢)</sup>.

إنّ بيت الزهراء عليها السلام في مدخل مسجد النبي حيث يوجد قبر النبي ﷺ، فهو البيت المنصل بمسجد النبي، والذي كان يسكن فيه الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام.

بيت فاطمة عليها السلام هي مسكن السيدة فاطمة عليها السلام في المدينة المنورة، وقد ورد ذكر فضيلتها<sup>(٣)</sup>.

وكانـت دار فاطمة مكان ولادة أبنائـها، ووفقاً لإحدى الروايات كانت كذلك مكان ولادة الإمام السجاد عليه السلام. وفي حديث روي في كتاب الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام الصلاة في بيت فاطمة أفضل من الصلاة في روضة النبي. كما كان الإمام الجواد عليه السلام يصلـي كل يوم في بيت فاطمة.<sup>(٤)</sup>

(١) سورة النور: ٣٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٣٢٥.

(٣) ينظر: الكافي للشيخ الكليني الوفاة ٣٢٩ سنة الطبع ١٣٧٦ ش / الناشر دار الكتب الإسلامية - طهران، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري الطبعة الثالثة. ١٤٠٧ق، ج ١، ص ٤٩٣، ٤ج، ٥٥٦.

(٤) الطبرسي، إعلام الورى بأعلام الهدى، ١٣٩٠، ص ٧١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١٤٠٣ق، ج ١٩، ص ١١٣.

ففي واقعة سد الأبواب، بأمر من الله، أمر النبي ﷺ بإغلاق جميع أبواب البيوت المتصلة بالمسجد باستثناء هذه الدار، وتعتبر واقعة سد الأبواب فضيلة منحصرة بالإمام على ﷺ.<sup>(١)</sup>

إن التعبير بـ(إِنَّمَا) والذي يدل على الحصر، دليل على أن هذه المنقبة، خاصة بأهل بيت النبي ﷺ. وبجملة (يريد) إشارة إلى إرادة الله التكوينية، وإلا فإن الإرادة التشريعية، ويعتبر آخر لزوم تطهير أنفسهم، لا تنحصر بأهل بيت النبي ﷺ، فإن كل الناس مكلفوون بأن يتطهروا من كل ذنب ومعصية.<sup>(٢)</sup>

أي إن إرادة الله سبحانه قد قطعت بأن يكون أهل البيت متزهين عن كل رجس وخطأ، وهذا هو مقام العصمة.<sup>(٣)</sup>

وهذا الكلام واضح عند المسلمين كافة، لأنهم يعرفون اللغة العربية جيداً، ومن هم أهل البيت الحقيقيون، بحيث لا يكون لابساً بين غيرهم من الناس. ولقد وردت روايات كثيرة جداً في شأن حديث الكسae، يستفاد منها جميعاً أن النبي ﷺ دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام - أو أنهم أتوا إليه - فألقى عليهم عباءة وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»، فنزلت الآية: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ...». وقد روى العالم المعروف «الحاكم الحسکاني النیسابوری» هذه الروايات في (شواهد التنزيل) بطرق مختلفة عن رواة مختلفين<sup>(٤)</sup>.

(١) الحكم النیسابوری، المستدرک على الصحيحین، بیروت، ج ٣، ص ١٢٥ .

(٢) تفسیر الامثل ج ١٣ ص ٢٣٦

(٣) تفسیر الامثل ج ١٣ ص ٢٤١

(٤) تفسیر الامثل ج ١٣ ص ٢٤٣

بيت الزهراء عليها السلام في المدينة هو من البيوت نستطيع ان نقطع بشهادة القرآن والنبي ص بأنه بيت (أهل البيت) حيث نقرأ في روایات عديدة أخرى أنّ النبي ص بقي ستة أشهر بعد نزول هذه الآية ينادي عند مروره من جنب بيت فاطمة  عليها السلام وهو ذاہب إلى صلاة الصبح: «الصلاحة يا أهل البيت! إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرًا». وقد روى الحاكم الحسکاني هذا الحديث عن أنس وروى ابن عباس أيضًا هذا الحديث عن النبي ص.<sup>(١)</sup>

إن ركائز الفرد الروحية والأخلاقية تستند إلى بوادر تربيته وبيئته الذي نشأ فيه، وكان منبت الصديقة الزهراء عليها السلام في أول بيت حمل لواء الإسلام ونشر راية التوحيد ونادى بمكارم الأخلاق، وهو البيت الذي وصفه أمير المؤمنين عليه السلام في خطبه القاصعة: «ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ص وسلام وخدیجه وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة».<sup>(٢)</sup>.

### **المطلب الثاني: قواعد استشرافية مستقبلية ايجابية مستفادة من بيت الزهراء عليها السلام**

#### **تمهيد**

لدى الفرد استعدادات ودوافع ونزعات وغرائز فطرية وبيولوجية، أو قل هي استجابة الفرد المميز للمثيرات الاجتماعية وكيفية توافقه مع المظاهر المختلفة للبيئة، وهذه الأمور لها محددات كثيرة تدخل وتأثير في تكوين شخصية الفرد يمكن حصرها في محددتين:

(١) تفسير الامثل ج ١٣ ص ٢٤٣

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليها السلام (تحقيق صالح)، ص ٣٠٠

١- المحددات البيولوجية للشخصية كالوراثة، والتكون الغدي، كالغدة الدرقية والتي من أهم إفرازاتها هرمون (الثيروكسين)، والغدة النخامية والتي من إفرازاتها هرمون النمو، والغدد الجنسية: والتي عند البلوغ تأخذ العدد إفراز هرموناتها وتأخر نموها وتبكيّرها تؤثر في شخصية الفرد.

٢- المحددات الاجتماعية للشخصية، كالثقافة الدينية والدينوية، وكالأسرة، والمدرسة.<sup>(١)</sup>

يكاد يجمع علماء الاجتماع على أنّ موضوع علم الاجتماع هو دراسة المجتمع في ظواهره ونظمها وبنيتها والعلاقات بين أفراده، دراسة علمية وصفية تحليلية ونقدية؛ الغرض منها الوصول إلى فهم الوظيفة التي تؤديها هذه الظواهر واستخلاص القواعد والقوانين العامة التي تحكمها<sup>(٢)</sup>. ولما كنا ندرس ونحلّل حياة بشر مثاليين معصومين جعلهم الله تعالى لنا قدوة نسلك مسلكهم الذي لا شك بفائدة لنا في الدارين.

فلو أخذنا روایة الرجل الأعمى الذي أراد أن يدخل على الزهراء عليها السلام بحضور النبي صلوات الله عليه وآله وسالم والإمام علي عليه السلام؛ فعن الإمام موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال علي عليه السلام استأذن أعمى على فاطمة عليها السلام فحجبته، فقال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسالم لها: لم حجبيه وهو لا يراك؟ فقالت عليها السلام: إنْ لم يكن يراني فإني أراه وهو يشم الريح. فقال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسالم: أشهد أنك بضعة مني.<sup>(٣)</sup>

(١) ينظر: دراسة بعنوان (الشخصية السوية في علم النفس) حوراء عباس كرماش السلطاني بتاريخ ٢٠١٧/٠١/٢: كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل المفتوحة (<https://repository.uobabylon.edu.iq/papers/publication.aspx?pubid=17576>)

(٢) مبادئ علم الاجتماع، احمد رافت عبد الجماد، مكتبة هضبة الشرق، جامعة القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣ ص ٢٣

(٣) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، للشيخ محمد باقر المجلسي، المتوفى سنة: ١١١٠ هجرية، طبعة مؤسسة الوفاء، بيروت / لبنان، سنة: ١٤١٤ هجرية، ج ٤٣، ص ٩٣.

معنى يشم الريح.

لكل إنسان رائحة تميزه عن غيره.

تميز العطور بتأثيرات تكون للرائحة أهمية شخصية إذا ارتبطت بشيء له معنى. فمع المواجهة الأولية رائحة أي عطر، الدماغ في تكوين روابط عصبية تشابك الرائحة مع العواطف، وتتجذر قدرات كل من الرائحة والعاطفة في نفس شبكة هيكل الدماغ، والجهاز الحوفي، حيث يتفاعل مركز حاسة الشم أيضاً بشكل مباشر مع الحصين، وهي منطقة دماغية تشارك في تكوين ذكريات جديدة<sup>(١)</sup>.

وعلى المستوى العملي، يكون الإنسان قادرًا على استخدام حاسة الشم لتحفيز ذاكرته، فقدرة عقل الإنسان على تذكر المعلومات قد تحسن عن طريق استنشاق رائحة تنفسها أثناء تخزين المعلومات.<sup>(٢)</sup>

من هذا التقريب، نفهم المنع الذي جاء من الزهراء عليها واحتاجها من الرجل الأعمى لكي يأتي ولو بقدر ضئيل من التفكير في ذهن الرجل الأعمى شكل الزهراء ، ولو كان توهماً وخيالاً. من هنا استشرفت الزهراء  مستقبل المرأة التي لا تتحجب عن الرجال الأجانب، وهم أصحاب عيون، وتلك النساء التي لا تتورع عن وضع العطور القوية التي تجذب انتباه الرجال وحاسة شمهم، مما يعود على المجتمع بالويل والثبور، وكثرة النظر

(١) بحث بعنوان (الدائرة الموزعة داخل القشرة الكمثرية تجعل تميز الرائحة قويًا) المنشور في ٢٤ تموز، ٢٠١٨ في مجلة JOURNAL لعلم الأعصاب المقارن TITLE للمؤلف د. ونشيم سرينيفاسان ود. تشارلز إف ستيفنز في موقع (سالك salk). ت: ٤٥٣ - ٤٠٠ (٨٥٨).

(٢) مجلة (سيديتي) الالكترونية مقالة بعنوان (تأثير العطور على الصحة النفسية لا يصدق) للكاتبة، سارة نبيل ٢١ يونيو ٢٠٢١، للشركة السعودية للأبحاث.

إلى ما حرم الله تعالى، وهي القائل - روحى فداتها-: (خير للنساء أن لا يرین الرجال ولا يراهن الرجال)<sup>(١)</sup>.

### شكر الزوجة والامتنان لها

مرضت فاطمة عليها السلام مرضًا شديداً، ومكثت أربعين ليلة في مرضها إلى أن توفيت (صلوات الله عليها)، فلما نعيت إليها نفسها دعت أم أيمن وأسماء بنت عميس ووجهت خلف علي وأحضرته، فقالت: يا ابن عم إلهي قد نعيت إلى نفسي، وإنني لا أرى ما ي إلا أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي.

قال لها علي عليه السلام: أوصيني بما أحببتي يا بنت رسول الله! فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت، ثم قالت: يا ابن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عشرة مني فقال عليه السلام: معاذ الله أنت أعلم بالله وأబر وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله [من] أن أوبخك بمخالفتي. قد عز على مفارقتك وتفقدك، إلا أنه أمر لا بد منه، والله جددت على مصيبة رسول الله عليه السلام وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنما الله وإنما إليه راجعون من مصيبة ما أفععها وألمها وأمضها وأحزنها هذه والله مصيبة لا عزاء لها، ورذية لا خلف لها.<sup>(٢)</sup>

إن الامتنان للزوجة وشكرها من الصفات العالية للرجل، فقد تناولت دراسة علمية شملت ٤٠ ألف حالة زواج على مدار ٥٠ عاماً بغرض وضع الأسس الرئيسة لضمان استقرار العلاقات الزوجية، وتجنب حدوث حالات الطلاق. أجرى الدراسة دكتور چون غومان وزوجته دكتورة چولي شوارتز، وهما مؤسسا معهد غومان لدراسات علم النفس، وهما أيضا مؤلفا كتاب «المبادئ العشرة للعلاج الفعال للأزواج».

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٥٤ ح ٤٨

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - الصفحة ١٩١

وبحسب ما نشره موقع شبكة CNBC، قال عالما النفس إنه في حين أن كل ارتباط أو علاقة زوجية فريدة من نوعها، مع مجموعة من التحديات الخاصة بها، فإن هناك عاملاً مشتركاً واحداً بين جميع الأزواج يتلخص في أنهم يريدون أن يكونوا موضع تقدير، وأن يتم الاعتراف بجهودهم، ومن ثم فإن كلمة السر في نجاح العلاقات الزوجية هي كلمة «شكراً». تتطلب العلاقة الزوجية المزدهرة التمتع بثقافة التقدير والامتنان، حيث ينبغي إجادة ملاحظة ما يقوم به شريك الحياة بشكل صحيح بمعنى التركيز على الإيجابيات وليس السلبيات. يمكن اكتساب تلك الثقافة من خلال التخلص من أساليب التفكير السام حيث يتم البحث عن الإيجابيات وقول «شكراً».<sup>(١)</sup>

إن مفهوم العلاقات الأسرية يعتبر من المفاهيم القديمة كقدم الإنسان على الأرض<sup>(٢)</sup> فيدخل هذا المفهوم حيز التنفيذ في كل المجتمعات الإنسانية بمجرد حصول علاقة ارتباطية بين رجل وامرأة بالزواج، فيكونان الأسرة بالأطفال ليحصل تجمع عائلي صغير، ثم بعد فترة تتكون المجتمعات الإنسانية الكبيرة، حيث تبدأ المشاكل بالبروز والظهور مما يعكر صفو حياة الأسرة فتتعطل حركة نجاحها وتقدمها في الحاضر والمستقبل. وقد أشارت بعض الأبحاث والدراسات إلى أن الأسرة وقعت تحت ضغط هائل من التغيرات مما سبب نقلة تاريخية للأسرة بسبب المشكلات والتوترات التي أصابت النظام الأسري في المجتمعات الغربية في ظل تغيرات الانقلاب الصناعي، وما عاصره وترتب عليه من التغيرات الاجتماعية عميقة وبعيدة المدى<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر موقع الحدث الإخباري في الأحد ٢١ محرم ١٤٤٦ هـ - ٢٨ يوليو ٢٠٢٤.

(٢) ينظر: علم النفس الأسري د.أحمد الكندرى ص ٢١

(٣) ينظر: الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، عالية شكري ص ١٧

بعد إجراء دراسة على مجموعة من الأزواج لعدة سنوات، طرح العالم النفسي جون جوتنان (John Gottman) نظرية «المعدل السحري» للزيجات الناجحة. تشرط النظرية لنجاح الزواج أن يكون الزوجان في متوسط خمسة تعاملات إيجابية إلى تفاعل سلبي واحد. وإذا انتقل المعدل إلى ١:١، أصبح الطلاق أكثر احتمالاً<sup>(١)</sup>.

لو لم نأخذ من بيت الزهراء إلاّ هذا الاستشراف المستقبل مجتمعنا لكتفي، وهو الامتنان وقول الشكر لهذه الزوجة الطيبة المؤمنة، وكيف بذلت غاية جهدها لتحقيق الخدمة الحسنة في البيت المؤمن.

---

(١) ينظر البحث مجلة (علم النفس الإيجابي) عن موضوع (الاستكشافات العلمية والعملية ل نقاط القوة البشرية. لـ سنایدر سی آر، ولویز شین جیه في مجلة (ثاوزند أوكس، كالیفورنيا).

## المبحث الثاني

### بيت الزهراء عليها السلام عند المسلمين

#### مقومات بيت الزهراء عليها السلام

##### ١. بيت لا توقعات فيه:

البيت الذي لا توقعات فيه بيت سعيد، والمجتمع الذي لا توقعات فيه مجتمع سعيد، فالتوقعات من المناشئ المهمة للمشاكل والخلافات العائلية، وهي أيضاً من مناشئ النزاعات والحرروب الدولية.

وحيث إن المنظومات الفكرية للأفراد تختلف، وحيث إن الطبيعة النفسية والبدنية للرجل تختلف عن الطبيعة النفسية والبدنية للمرأة، فمن الطبيعي أن لا يفهم أحد الطرفين بعض توقعات الآخر أو لا يقنع بها. ومن هنا تنشأ المشاكل بين الطرفين، وهذا لا يصدق على الحياة العائلية فقط، بل ينسحب على الحياة الاجتماعية أيضاً. فعدم فهم التوقعات أو عدم الاستجابة لها قد يؤديان بعلاقة عمرها ثلاثة عاماً!

وكم ستكون علاقاتنا لطيفة إذا حصلت عندنا القناعة وقللنا من توقعاتنا من الآخرين؟! وبيت علي وفاطمة (صلوات الله عليهما) كان بيتأ خالياً من التوقعات.

فلقد روي (أن الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) طلب طعاماً من الزهراء عليها السلام) فقالت: منذ يومين ولا يوجد عندنا طعام! فقال لها: ولم لم تخبريني؟ قالت: إني لأستحيي من إلهي أن أكلفك ما لا تقدر عليه).<sup>(١)</sup>

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج ٨، السيد البروجردي، ص ٣٨٠

هذه قاعدة وفائدة مهمة للمجتمع إذ التوقعات العالية من الآخر تسبب عكس التوقعات فتكون الانتكاسة في العلاقة الإيمانية والانتقاد الشريك من شريكه، فأين هذا النموذج من واقع مجتمعاتنا، حيث يكلف كلّ من الرجل والمرأة، الآخر ما لا يطيق في كثير في الأحيان؟

وفي رواية أخرى: فقال لها (أمير المؤمنين عليه السلام) يوماً: يا فاطمة هل عندك شيء؟ قالت: والذي عظم حُقُّك ما كان عندنا منذ ثلاث إلّا شيء أثرتك به. قال: أفلا أخبرتني؟ قالت: كان رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ نهاني أن أسألك شيئاً فقال: لا تسألي ابن عمك شيئاً إن جاءك بشيء عفواً وإلا فلا تسأليه<sup>(١)</sup>. حقاً لو وُجدت هذه الحالة في العوائل، فكم ستشعر بالسعادة والهناء؟

## ٢. بيت لا توتر فيه

إن التوتر أصبح معلماً من معالم العصر، فالعلاقات بين الدول يشوبها التوتر، وال العلاقات الاجتماعية يشوبها التوتر، وعلاقة الرجل والمرأة في داخل البيت يشوبها التوتر، وحديثنا فعلاً في البند الأخير، فالرجل يتتقدّم المرأة وهي تتقدّمه وكلّ منها يهجر الآخر، ولا شك أن وضع الغرب أسوأ بكثير منا في هذا المجال، وكلّما اقتربنا من الغرب وثقافته أكثر تفاقمت هذه المشكلة في بلادنا أكثر.

صحيح أنّ الغرب متقدّم علينا من الناحية المادية، ولكنه يعيش خواءً معنوياً في كلّ المجالات، والحديث عن الخواء المعنوي والروحي في الغرب حديث طويل لا مجال له الآن، ولكن تكفي الإشارة إلى بعض مظاهر ذلك الخفاء من قبيل التوتر والقلق والكآبة وحالة السمية والعدوانية؛ حيث إنّ كلاً يريد افتراس الآخر، إلى غير ذلك.

(١) مسنـد الإمام الباقر عليه السلام، ج ٢، الشـيخ عزيـز الله عـطـارـديـ، ص ٤٩٠

لقد صدر كتاب يؤرخ لحياة عبكري من عباقرة الغرب العظام. وقد ورد في هذا الكتاب أنَّ هذا العبكري لم يستطع أن يعيش مع زوجته طويلاً فسرعان ما طلقها. (لقد بلغ الحال بعض الغربيين أَنَّهم لا يطيقون العيش مع زوجاتهم إلَّا فترة محدودة فيطلق الزوج زوجته ولما يمضي على زواجهما أكثر من سنتين، وبعضهم يطلق زوجته قبل ذلك خلافاً للعوائل المتدينة التي يعيش فيها الزوجان عادةً معاً إلى آخر عمرهما وإن بلغا أكثر من ثمانين سنة! فهكذا كان يعيش آباءنا وأمهاتنا). ولم يكتف هذا العبكري بطلاق زوجته بل أخذ يؤذيها واستمر على إيدائها حتى أصبت بخلل نفسي ظللت تعاني منه إلى أن ماتت.

هذا مع أنَّ الله تعالى يقول لنا في القرآن الكريم: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾ أي إن أردت أثينا الرجل أن تحفظ بزوجتك فاحفظ بها، ولكن ليكن تعاملك معها بمعرفة، وإن شئت طلاقها فليكن طلاقك لها بإحسان، ولا يحل لك أن تلحق بها الأذى في حالة الزوجية أو تلاحقها بالإيذاء بعد الطلاق، بل فوق ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أي أعطوهنَّ ما يمتنع به بعد الطلاق ويجب خاطرهنَّ الكسير، من دار أو خادم أو خاتم أو غيرها. يقول الكاتب: ولقد ابتدى الابن الأصغر لهذا العبكري بالجنون؛ وحقَّ له ذلك وهو يرى عائلة مفككة وتتوتر أدائماً في البيت مع أن المفترض أن يكون البيت واحدة يستريح في ظلها الإنسان بعد عنائه في صحراء الحياة القاحلة.

حقاً إنَّ الحياة كالصحراء القاحلة، والإنسان بعد أن يطوي مسافة في هذه الصحراء ويدوّق فيها الحرّ والبرد والغبار يحتاج إلى واحة يأوي إليها ويرتاح في ظلّها، والبيت هو الواحة المفترضة في صحراء الحياة القاحلة. فالرجل يتعب خارج البيت ويتضرر أن يجد الراحة في البيت، حيث تملأ المرأة والأطفال البيت بهجة وسروراً. والمرأة تتعب في إدارة شؤون البيت والأطفال، وهي الأخرى تنتظر قدوم الرجل لتشعر بالسعادة في ظلّه.

فإذا لم يكن البيت واحة وسكنًا، بل كان الزوجان يعيشان في نكد ونزاع وخصام، فهذا ليس بيتاً ينعم فيه الزوجان بالسعادة بل هو جحيم وشقاء!

يقول أحد العلماء عن أحد المؤمنين حيث قال (سألت صديقًا) كيف حالك؟ فقال: الحمد لله أعيش في الجنة. قلت: كيف؟ قال: لأن زوجتي سافرت فصارت البيت جنة! إذا كان الرجل يتعامل مع المرأة هكذا، والمرأة تعامل مع الرجل هكذا، بحيث يشعر كل منها أنه أصبح سعيداً بغياب الآخر وأمكنه أن يتنفس الصعداء بغيابه أفحىاه هذه أم جحيم؟! وقد رأينا حال ذلك العقري الذي طلق زوجته وأذاها حتى مرضت وماتت، ثم أصيب ابنه الأصغر بالجنون وأودع المستشفى، ولم يقم هذا العقري الكبير بزيارة حتى مررة واحدة إلى أن مات<sup>(١)</sup>.

ولقد كان من معلم البيت العلوي الفاطمي أنه بيت لا توتر فيه. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل ولا أغضبني ولا عصت لي أمراً). فلا على عليه السلام يغضب فاطمة عليها السلام ولا فاطمة ثُغضب علياً (صلوات الله عليهما). وفي وصية الزهراء عليها السلام قالت: (ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني). فقال عليه السلام: معاذ الله أنت أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله من أن أوبّخك بمخالفتي). ولقد اقتنى بها -صلوات الله عليهما- الكثير من أسلافنا فعاشوا حياة هانئة طيبة ولم يكن أحد الزوجين يفترق عن الآخر حتى الموت.

---

(١) مسموعات من أحد الطلبة

#### ٤. بيت لا تعقید فيه

لقد كان بيت علي وفاطمة عليهم السلام بسيطاً في كل شيء، بل لم يكونا يملكان في البداية بيتاً أصلاً، فلقد تزوج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة عليها السلام، ولم يكن عندهما بيت، فقدم إليهما الحارثة بيتاً ثم بني الإمام عليه السلام بيتاً له بعد الزواج.<sup>(١)</sup>

قميص ليلة الزفاف فقد تصدقت به الزهراء عليها السلام، على السائل، ولم يكن عندها قميص جديد آخر فلبست - صلوات الله عليها - القميص العتيق!<sup>(٢)</sup>

ونحن إذا اقتدينا في بيتنا بيت الزهراء وعلى عليها السلام أفنظل نعاني بعد ذلك من المشاكل التي نعاني منها اليوم؟! وقد قسم المهر إلى ثلاثة أقسام، ثلث لثلاث وثلث للطيب وثلث للوليمة - على ما يستظهر من بعض الروايات - فيكون المبلغ المتصوف في الجهاز ثلث المجموع فقط! وكان من الجهاز إهاب كبس ينامان عليه في الليل ويُعلف عليه الناضح في النهار<sup>(٣)</sup>.

(١) بحار الأنوار: ٤٠ / ٣٤٣.

(٢) أما قميص ليلة الزفاف فقد تصدقت به الزهراء عليها السلام، على السائل، ولم يكن عندها قميص جديد آخر فلبست - صلوات الله عليها - القميص العتيق! ونحن إذا اقتدينا في بيتنا بيت الزهراء وعلى عليها السلام أفنظل نعاني بعد ذلك من المشاكل التي نعاني منها اليوم؟! هذه كانت بعض معالم بيت الزهراء (صلوات الله عليها) ونوكل الحديث عن المعالم الأخرى إلى فرص أخرى.

(٣) بحار الأنوار: ٤٠ / ٣٤٣.

## الخاتمة

الكلام يقصر والقلم يكسر عن إيفاء حقها (صلوات الله عليها) لكن هذا ما جاد به وقتي وجهدي ومنا الوفاء وإليها روحني فداتها.

### **وتوصيات:**

- ١ - ضرورة الإفادة من سيرة السيدة الزهراء عليها السلام لتعزيز دور المرأة في المجتمع الإسلامي.
- ٢ - تضمين بعض من مواقف الزهراء عليها السلام في حياتها عامّة ضمن المناهج الدراسية وبخاصة في كليات التربية للبنات لإفادة بنات هذا الجيل من تلك المواقف للاقتداء بها عليها السلام.
- ٣ - إفادة وسائل الإعلام من سيرة الزهراء بعد زواجهما من أمير المؤمنين عليه السلام لبيان أهمية مؤازرة الزوجة لزوجها، وهو ما يدفع النساء إلى الاقتداء بالزهراء عليها السلام لتحمل مسؤولياتها.
- ٤ - الاقتداء بسيدة نساء العالمين للمرأة المسلمة في عصرنا هذا؛ فمع تعدد الأدوار التي لعبتها الزهراء في المجتمع إلا أنها عليها السلام بقيت ملتزمة بأحكام دينها وأدّت كلّ دور من أدوارها على أكمل وجه.
- ٥ - إفادة مؤسسات الدولة، وبخاصة المراكز الإرشادية من سيرة الزهراء ونشر مواقفها الاجتماعية والتربوية، للتقليل من حالات الطلاق التي باتت تهدّد مجتمعنا اليوم.

## المصادر

### القرآن الكريم

١. ميزان الحكم للشيخ محمد الريشهري الناشر دار الحديث، تحقيق دار الحديث، الطبعة الأولى.
٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، للشيخ محمد باقر المجلسي، المتوفى سنة: ١١١٠ هجرية، طبعة مؤسسة الوفاء، بيروت / لبنان، سنة: ١٤١٤ هجرية.
٣. الإخوة الإيانيّة من منظور الثقلين للسيد محمد باقر الحكيم، الوفاة: ١٤٢٥، سنة الطبع ١٤٢٥ هـ. ق الناشر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، مركز الطباعة و النشر - قم (ایران).
٤. دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة للسيد محمد باقر الحكيم؛ سنة الوفاة ١٤٢٥، سنة الطبع ١٤٢٥ هـ، الناشر: مركز الطباعة و النشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، الطبعة الثانية.
٥. الكافي للشيخ الكليني الوفاة ٣٢٩، سنة الطبع ١٣٦٧ ش / الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثالثة.
٦. من لا يحضره الفقيه، المؤلف الشيخ الصدوق، الوفاة ٣٨١ هـ، الطبع ١٤٠٤، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسین بقم المشرفة. تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري الطبعة الثانية.

٧. كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، الوفاة ١٧٥، سنة الطبع ١٤١٠، الناشر: مؤسسة دار الهجرة. تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي.
٨. المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية / جمهورية مصر العربية / الطبعة الرابعة ١٤٢٥، ٢٠٠٤، مكتبة الشروق الدولية.
٩. كتاب تاج العروس لمرتضى الزبيدي، الوفاة ١٢٠٥ م، سنة الطبع ١٩٩٤ م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت. تحقيق علي شيري.
١٠. مقالة اتصال العلاقة، عن موضوع (إعادة إحياء دور التفكير وجودة الشعور بالخصوصية في تعزيز التقارب) لـ(جون إتش هارفي، وباؤلز، بي جي) سنة (٢٠٠٩) [محرون] سنайдر، سي دي، ولوبيز، إس جيه. في دليل أكسفورد لعلم النفس الإيجابي: الطبعة الثانية. أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد. ٣٨٥-٣٩٢.
١١. مجلة «علم النفس الإيجابي»، الموضوع (الاستكشافات العلمية والعملية لنقاط القوة البشرية) لـ(سنайдر سي آر، ولوبيز شين جيه) سنة (٢٠٠٧)، مدينة ثاووزند أوكس ولاية كاليفورنيا، منشورات سايدج، ٢٩٧-٣٢١.
١٢. معجم اللغة العربية المعاصرة للمؤلف: د.أحمد خثار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
١٣. إيضاح شواهد الإيضاح لأبي علي الحسن بن عبد الله القيسي، دراسة وتحقيق د. محمد بن حمود الدعجاني، الناشر: دار الغرب الإسلامي ط ١ سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، بيروت / لبنان.

١٤. الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، علياء شكري، الناشر دار المعارف للطباعة والنشر ١٩٨١.
١٥. علم النفس الأسري، د. أحمد محمد مبارك الكندي، النشر والتوزيع مكتبة الفلاح، ط٢، سنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م / الكويت - شارع بيروت، مقابل بريد حولي القديم / ص ب ٤٨٤٨.
١٦. (تحضير علم العلاقات) عالم النفس الأمريكي بيرشيد إلين (أبريل ١٩٩٩). هاتف ٥٤ : ٢٦٠-٢٦٦ . مؤرشف من الأصل في ٢٢-٢٠٢٣-٠٨ . اطلع عليه بتاريخ ٢٠١٢-٠٩-٢٦ (ويكيبيديا).
١٧. التطوير والتغيير لـ (جورج ليفينجر). سنة الطبع (١٩٨٣) وأخرون. (ص/ب ٣٥٩-٣١٥). نيويورك: الناشر دبليو.إتش. فريمان وشركاه.
١٨. موقع الحدث الإخباري في الأحد ٢١ محرم ١٤٤٦ هـ - ٢٨ يوليو ٢٠٢٤.
١٩. معجم العلوم الاجتماعية، إبراهيم مذكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة الطبع ١٩٧٩.
٢٠. دراسة في المجتمع، مصطفى الخشاب، مكتبة الانجلو سكسونية، الإسكندرية، سنة الدراسة ١٩٧٧.
٢١. قاموس علم الاجتماع، جوزيف سومبف وميشيل هوج، مكتبة، لاروس، باريس، سنة الطبع ١٩٧٣.
٢٢. إسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والسكان، سيد رمضان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر، ١٩٩٩.

٢٣. قاموس علم الاجتماع، سكوت جون، المحرر في سنة (٢٠١٤م) لمراجع أكسفورد الورقي الطبعة الرابعة، مطبعة جامعة أكسفورد، ص.ب ٢٣٧ . (ويكيبيديا).
٢٤. مقال (في الدفاع عن الأسر ذات الوالد الواحد) دود نانسي إي في سنة (١٩٩٧م) مطبعة جامعة نيويورك.
٢٥. الأًمومية وقوة المرأة على ساحل ميسكتيو، هيرليهي لورا هويسون ص، ب. ١٣٤ ن. ٣، الناشر جامعة كانساس سنة الطبع ٢٠٠٧ .
٢٦. مقالة (سيكون الأطفال بخير حتى بدون العائلة النووية) مايكل فيتزجيرالدم، التي نشرت بتاريخ: ١٤ يونيو ٢٠١٧ في مجلة باسيفيك ستاندرد.
٢٧. (المثلية الجنسية على شبكة نتفلكس العالمية، عينة مختارة من المسلسلات أنموذجاً) رسالة ماجستير إعداد الأستاذة ديمة لطفي محمود حمدان، إشراف الدكتور محمود الرجبي في قسم الصحافة والإعلام، كلية الإعلام جامعة الشرق الأوسط، حزيران ٢٠٢١ .
٢٨. مقالة (استكشاف الشبكات الداعمة للمثليات والمثليين ومزدوجي التوجه الجنسي) ديفيل الكسيس كوكس، في فبراير (٢٠١١) المنشورة في مجلة علم النفس الاجتماعي التطبيقي (باللغة الإنجليزية) عدد ٤١ (٢): ٣١٢-٣٣١.
٢٩. كتاب الميزان في تفسير القرآن للمؤلف السيد الطباطبائي الوفاة ١٤٠٢، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسین بقم المشرفة.
٣٠. كتاب الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، معاصر، الناشر: الأعلمی للطباعة والنشر بیروت- لبنان.

٣١. كتاب لسان العرب للمؤلف أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنباري الرويفعي الإفريقي المتوفى سنة ٧١١هـ/ الناشر: دار صادر - بيروت / لبنان، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.

٣٢. مجلة (سيدي) الالكترونية مقالة بعنوان (تأثير العطور على الصحة النفسية لا يصدق) للكاتبة، سارة نبيل ٢١ يونيو ٢٠٢١، للشركة السعودية للأبحاث.

٣٣. مقالة بعنوان (خطر المبالغة في المظهر الجميل في مكان العمل) للكاتبة ويندي إل باتريك، دكتوراه في القانون، ومحامية محترفة، ومتقدمة دولية عامة، مؤلفة، ومؤلفة، ومعلقة إعلامية. نُشرت المقالة في موقع <https://www.psychologytoday.com/us> في ١٨ أغسطس ٢٠٢٤ تمت المراجعة بواسطة غاري دريفيتش.

٣٤. مبادئ علم الاجتماع، أحمد رافت عبد الجود، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣.

٣٥. (أساليب تعديل سلوك الأبناء - رؤية إسلامية) عيسى محسني، الناشر، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، مراجعة مركز الدراسات والمراجعة العلمية، المطبعة دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، شهر ربيع الأول ١٤٤٥هـ - أيلول ٢٠٢٣م.

٣٦. دراسة بعنوان (الشخصية السوية في علم النفس) حوراء عباس كرمash السلطاني بتاريخ ٢٠١٧/٠١/٢: كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل. المفتوحة <https://repository.uobabylon.edu.iq/papers/publication.>) .17576=aspx?pubid

٣٧. (تكامل الذكر والأنثى في الحياة، دراسة ميسرة في تكامل الجنسين ونقد الاتجاهات الشاذة الحديثة) للسيد محمد باقر السيستاني، الناشر مركز فجر عاشوراء الثقافي سنة الطبع ٢٠٢٣ / ١٤٤٥.

٣٨. تفسير مجمع البيان المؤلف: أمين الإسلام أبي على الفضل بن الحسن الطبرسي، الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت.

٣٩. الأمثل في تفسير كتاب الله المتزل، للشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

٤٠. أعلام الهدایة، المؤلف المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام - لجنة التأليف، الوفاة: معاصر، الموضوع: مصادر سيرة النبي والأئمة عليهم السلام، سنة الطبع ١٤٢٥ هـ، الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام - قم (ایران) الطبعة ٢.

٤١. الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، بيروت / لبنان.

٤٢. نهج البلاغة المؤلف خطب الإمام علي عليه السلام (تحقيق صالح) الوفاة ٤٠، سنة الطبع: ١٣٨٧ - ١٩٦٧ م تحقيق ما اختاره وجمعه الشريف الرضي / ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: الدكتور صبحي صالح، الطبعة الأولى.

٤٣. جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي.

٤٤. سند الإمام الباقر عليه السلام، المؤلف الشيخ عزيز الله عطاردي، الوفاة: معاصر الموضوع مصادر الحديث الشيعية - القسم العام، الجزء ٢، سنة الطبع ١٣٨١ ش. الناشر عطارد - تهران، الطبعة الأولى.



# حقوق الإنسان

في فكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

الباحث

أ.م.د. أحمد علي عبود الخفاجي

العتبة العباسية المقدسة

هيئة التربية والتعليم العالي - جامعة الكفيل

عميد كلية القانون / جامعة الكفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَكْمَلَ لَنَا الدِّينَ، وَأَتَمَّ عَلَيْنَا النِّعْمَةَ، وَرَضِيَ لَنَا إِلَّا سَلَامًا؛ فَمَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ أَوْ خَالِفَهُ، أَوْ انْحَرَفَ عَنْهُ، فَهُوَ الظُّلْمُ بَعْيَنِهِ، لَأَنَّهُ خَلَفَ مَا شَرَعَ اللَّهُ مِنَ الْأَحْكَامِ لِعِبَادِهِ، الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ بِهَا، وَبِمَا يَصْلِحُ حَالَهُمْ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(١)</sup>. لَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أَنْ يَتَمَسَّكُوا بِدِينِهِمْ، وَيَعْمَلُوا بِأَحْكَامِهِ وَشَرَائِعِهِ وَآدَابِهِ، وَيَجْعَلُوهَا حَكِيمًا بَيْنَهُمْ، فَسِيَّجُودُونَ الْأَمْنَ وَالْعَافِيَةَ، وَالْطَّمَآنِيَّةَ، وَالْعَدْلَ، وَالسُّعَادَةَ، وَالرُّضَا، وَالْقُوَّةَ، وَالتَّقْدِيمَ، وَسْتَأْتِي إِلَيْهِمُ الدُّنْيَا رَاغِمَةً، وَسِيَّأْتِيهِمْ رِزْقُهُمْ رَغْدًا، لَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ لِعِبَادَتِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

إِنَّ الَّذِينَ يَتَفَارَّخُونَ بِالإعلَانِ الْعَالَمِيِّ لِحُوقُوقِ الْإِنْسَانِ عَامَ ١٩٤٨م، وَيَعْدُونَهُ الْمُثُلَّ الْأَعْلَى فِي الْرَّوَابِطِ الإِنْسَانِيَّةِ، وَيَعْتَقِدونَ أَنَّهُ لَمْ يَنْسُجْ عَلَى مِنْوَاهِهِ شَيْءٌ مِنْ قَبْلِهِ، وَيَنْظَرُونَ إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ قَمَةُ الْحَضَارَةِ؛ إِنَّ أُولَئِكَ يَتَجَاهِلُونَ إِلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَمُعَالَمَتَهُ الْكَرِيمَةُ لِلْإِنْسَانِ، وَحْفَظُهُ لِحُوقُوقِهِ، وَتَنظِيمُ شَؤُونِ حَيَاتِهِ، عَلَى نَحْوِ يَكْفِلُ لَهُ الْحَيَاةُ الْكَرِيمَةُ، وَيَهْدِيهِ سَبِيلَ الرَّشادِ، وَيَجْنِبُهُ مَهَاوِيَ الرَّدِّيِّ وَالْمَهَلَّكِ. كَمَا إِنَّهُمْ يَتَجَاهِلُونَ الدُّورَ الْبَارِزَ لِأَئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام فِي إِرْسَاءِ دِعَائِمِ حُوقُوقِ الْإِنْسَانِ وَحَرَيَاتِهِ فِي ضَوْءِ تَعْلِيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمِنْ خَلَالِ معْطَياتِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْحَنِيفِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَنْبُغِي الكَشْفُ لِأُولَئِكَ الْجَهَلَةِ أَوِ الْمُتَجَاهِلِينَ عَنْ

(١) سورة الملك، الآية ١٤.

(٢) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

ووجه الإسلام الناصع، والدور الكبير لأنّة أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال. وبطبيعة الحال، فلا وجه للمقارنة بين ما في الإسلام من ذلك، وبين إعلانهم الذي يتقدّمون ويتفاخرون به.

وما لا شكّ فيه أنَّ الإسلام كان له فضل السبق على المواثيق والإعلانات، والاتفاقيات الدولية كافة، في تناوله لحقوق الإنسان وتأصيله وتحديده لتلك الحقوق منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان. وما جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والاتفاقيات والمواثيق الدولية مما فيه مصلحة مُحْكمة للإنسان، وللمجتمع الإنساني ما هو في حقيقته إلَّا تردّد بعض ما تضمّنه الإسلام في هذا الخصوص، الذي تميّز عنها بكافالته لحقوق الإنسان كافة وحمايته لها؛ فجاءت تشريعاته في هذا الخصوص جامعاً مانعاً، فاقت بذلك كُلَّ ما عرفه وتعرفه المدنية بكلِّ هيئاتها ومنظماتها وفروعها.

وليس أدُلُّ على ذلك من عهد سيد البلغاء والمتكلمين أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى مالك الأشتر النخعي لما وله على مصر. فقد جمعت هذه الوثيقة أمهات السياسة وأصول الإدارة في قواعد حوت من فصاحة الكلم وبلاهة الكلام وحسن الأسلوب ما لا يمكن وصفه، ولكن قد يُدْهش المرء إذا ما عُلِمَ أنه ليس بهذه الوثيقة تداول على ألسن المتكلمين بالعربية، مع أنه كان من الواجب أنَّ مثل هذه الوثيقة تحفظ في الصدور لا في السطور، وقد يكون السبب في ذلك أنه يرجع إلى أحد أمرتين؛ أو لهما ندرة وجود المصادر التي تشتمل على هذه الوثيقة وعدم تيسير الحصول عليها. ثانيهما ما اعتقدناه من التكاسل عن مطالعة الكتب إذا كانت كبيرة الحجم. فأخذت على نفسي أن أزيل هذين المانعين وأنتناول بشيء من الإيجاز أهمَّ الحقوق الواردة في هذه الوثيقة العظيمة.

## المبحث الأول

### الحقوق الأساسية عند الإمام علي

إنَّ حقوق الإنسان منظومة متكاملة؛ وكلَّ جزء منها لا يتجزأ عنها، كونها تصبُّ لصالح الإنسان. ولكنَّ هذه الحقوق تتفاوت من حيث الأولوية والأهمية. فالمهم منها يعدُّ أساساً لغيره، فإذا فقد الأساس والأصل فقد البناء والفرع. وعليه، فستتطرق من خلال هذا المبحث إلى ما يمكن عدُّه حقوقاً أساسية للإنسان عند الإمام علي عليه السلام في هذه الوثيقة العظيمة. لذلك سنقسم هذا المبحث على مطابقين؛تناول في الأول (حق الإنسان في الحياة)، ونبحث في الثاني (حق الإنسان في أن يُحكم بالعدل).

#### المطلب الأول: حق الإنسان في الحياة

شدَّدت الوثيقة على احترام الحق في الحياة، وحدَّر الوالي من أن يعتدي على هذا الحق، أو يتهاون في معاقبة من يسلبه من أحد من الناس، فإنَّ الحياة في فكر الإمام علي عليه السلام لها قيمة علياً تتغلب على الموت، وأنَّ أي اعتداء لإزهاق حياة إنسان، هو اعتداء على الإرادة الإلهية الموجدة والمانحة الوحيدة للحياة من جهة، وجريمة بحق الإنسانية جماء، وسلب حق أساس من حقوق الإنسان ألا وهو (حق الحياة) من جهة أخرى. لذا فإنَّ الإمام علي عليه السلام نظر إلى القتل على أنه جريمة كبرى فيحدِّر عليه الأستر قائلاً «ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأنَّ فيه قود البدن»<sup>(١)</sup>.

بل إنَّ الإمام علي عليه السلام وقف بالضد من التهديد باستخدام القتل وما دونه من تعذيب وإهانة وما شابه من وسائل انتهاص الإنسان، تحت أي ذريعة، ليقر بذلك (حق الأمان) أي القصاص.

(١) أي القصاص.

للمجتمع<sup>(١)</sup>. فقد أشار البيهقي إلى أنَّ من سلبيات مجتمع الجاهلية، قبل عهد الرسالة الإسلامية، هو تفشي ظاهرة انعدام الأمن وشيوخ سفك الدماء فيتوجه بخطابه إلى العقول أين ما كانت أو وجدت فيقول: «فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإنَّ ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيشه وينقله»، وإنَّ سمات الدنيا في ظلِّ انعدام الأمن تكون «متوجهة لأهلها، عابسة في وجه طالبها، ثمرة الفتنة وطعامها الجيفة وشعارها الخوف ودثارها السيف»<sup>(٢)</sup>.

وقد كان البيهقي - على الصعيدين الفكري والعملي - حاسماً في موضوع القصاص من الدماء على وفق تفاصيل فقهية قانونية متعددة من جهة، والمساواة في حق الحياة للجميع من جهة أخرى، إذ أعلن الإمام أنَّ رئيس الدولة وولاته وكبار موظفيه وصغارهم يخضعون على حد سواء لقانون صيانة الدماء؛ أي القصاص. فيقول البيهقي في عهده للأشرter ((إياك والدماء وسفكها بغير حلّها، فإنَّه ليس شيء أدعى لنقمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أخرى بزوال نعمة، وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقّها، والله سبحانه مبتديء بالحكم بين العباد، فيما تسافكون من الدماء يوم القيمة))<sup>(٣)</sup>.

والحقيقة هنالك جملة من الأمور يمكن استنتاجها من هذا النصّ، منها:

- تأكيد حرمة الدماء وأنَّ حقَّ الحياة مكفول للجميع، إذ كان الحديث عن الدماء بصورة عامة وليس دماء المسلمين دون غيرهم.

(١) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)، ج ١، تحقيق علي الشيري، مطبعة أمير، إيران، ط ١٤١٣ هـ، ص ١٧٤.

(٢) محمد بن الحسين الموسوي البغدادي الشريف الرضي، نهج البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي الصالح، تحقيق فارس تبريزيان، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ١٣٨٠ هـ، خطبة ٨٨، ص ١٤٠.

(٣) المصدر نفسه، كتاب ٥٣، ص ٤١.

- المساواة بين الحاكم والمحكوم، من حيث لا ضمانات للمنصب أو شاغله في موضوع التعدي على الدماء والحياة.

- إن سفك الدماء يثير الغضب والنقطة بين الشعب، مما يؤدي إلى الاضطراب، وهو من الأسباب المهمة للثورات لأن «كل دم ثائراً، ولكل حق طالباً»<sup>(١)</sup> على وفق وصف الإمام.

وبناءً على احترام الإمام لحق الحياة نلاحظ أنه حكم على جريمة التحرير أو الأمر بالقتل أو بعقوبة أخرى تتناسب مع الجرم والشكل القانوني للجريمة<sup>(٢)</sup>. وكان عليهما يقول: «من أعان على مؤمن فقد برأ من الإسلام»<sup>(٣)</sup> وأشار الإمام كذلك إلى عملية القتل المعنوي، وذلك بهدم كرامة الإنسان. إذ تضمنت هذه الوثيقة: «وابياك والاستئثار بها الناس فيه أسوة، والتغابي عنها تعنى به. مما قد وضح للعيون؛ فإنه مأخوذ منك لغيرك؛ وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، ويتصف منك للمظلوم».

ومن بين المميزات الرئيسية للرؤية العلوية لحقوق الإنسان تبرز مسألة تقديسه للحياة وانعكاس ذلك على إقراره مبدأ مسؤولية الحكومة والمجتمع اتجاه حياة الإنسان وأنه «لا يبطل دم امرئ مسلم»<sup>(٤)</sup> وأن «الدم لا يبطل في الإسلام»<sup>(٥)</sup>، فإن الانعكاس النظري

(١) محمد بن الحسين الموسوي البغدادي الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج ١، شرح محمد عبدة، دار الذخائر، قم، ١٤١٢ هـ، ص ٢٠١.

(٢) ينظر: أبو بكر أحمد بن الحسن البهقي، السنن الكبرى، ج ٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ، ص ٤١.

(٣) كاظم مدیر، الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين علي عليهما السلام، ج ٢، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ١٤١٧ هـ، ص ٣٦٥.

(٤) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليهما السلام، سنن الإمام علي عليهما السلام، نور السجاد، قم، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ص ٤٧٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٧٥.

لهذا المبدأ كان على صعيدين: الأول حفظ دماء المسلمين وإن كانوا في غير بلاد الإسلام، والثاني حفظ دماء من هم تحت حكم الإسلام كافة، وبغض النظر عن ديانتهم وانتهاءاتهم.

وأما على الصعيد العملي، فإن النموذج العلوي في الحكم كرس مبدأ حق الحياة وجعل منه حقاً للشعب إزاء الحكومة، إذ تعامل مع حفظ الحياة، بصفته مبدأً وليس عملية يمكن له استغلالها سياسياً أو تتدخل فيها عوامل ذاتية لحدوث الاعتداء على الحياة، ومن ثم تخرج عن الهدف المتمثل بصيانة الدماء ابتداءً.

وفقاً لما تقدم يمكننا القول إن حفظ الدماء، وصيانتها وإحراق القصاص بالمعتدين، مهما كانت أسماؤهم أو مناصبهم، كان من الروافد المهمة للسياسة العلوية على أرض الواقع. ولا بدّ من الإشارة في هذا المجال إلى مبدئين على جانب من الأهمية بشأن حفظ الحياة؛ وهما مسألة التقية، وأن حفظ النفس الإنسانية أولى من تطبيق النصوص الشرعية.

إن هذين المبدئين يتشكلان نتيجة للفهم العلوي العميق للإسلام، فقد روي عن الإمام علي عليه السلام قوله: «التقية ديني ودين أهل بيتي»<sup>(١)</sup>، والتقية - وهي المبدأ الأول - بمعناها العام هي «التحفظ عن ضرر الظالم بموافقته في فعل أو قول مخالف للحق»<sup>(٢)</sup> وهي أداة لحفظ النفس والعرض والمال من الهلاكة من قبل العدو سواء كان مسلماً وغيره<sup>(٣)</sup>.

(١) ميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج ٢١، تحقيق مؤسسة آل البيت، مؤسسة آل البيت، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٥٢؛ وحول جملة من أقوال الإمام علي عليه السلام حول التقية ينظر: حسن القبانجي، مسند الإمام علي عليه السلام، ج ٩، تحقيق الشيخ طاهر السلامي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠، ص ٧٣-١٦٠.

(٢) أبو القاسم الموسوي الخوئي، مصباح الفقاهة، ج ١، إعداد وتحقيق محمد علي التوحيدی، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٤، ص ٤٥٣.

(٣) محمد حسن البجنوردي، القواعد الفقهية، ج ٥، تحقيق مهدي المهرizi، دار المدادي، إيران، ١٤١٩ هـ، ص ٧٥.

ويستمد مبدأ التقية أهميته في حفظ الحياة، ولا سيما في وقت الاضطهاد وجود الخطر والتحدي مع ضعف القدرة أو انعدامها للتصدي له، من كونه رخصة شرعية<sup>(١)</sup> فضلاً عن كونها رخصة عقلية أيضاً. فقد روى عن الإمام علي عليه السلام قوله موصياً رجلاً من شيعته: وامرك أن تستعمل التقية في دينك، فإن الله عز وجل يقول ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَةً﴾<sup>(٢)</sup>.

وأما المبدأ الثاني، فليس بعيداً عن الأول، بل هو امتداد له. فحينما يوجد تقاطع بين نصوص الشريعة مع الوجود الإنساني، فالاولوية تكون اضطراراً لحفظ الحياة عند الإمام علي عليه السلام.

ومن هذا كله يتضح أن حق الحياة هبة من الله تعالى إلى الإنسان، وقد أجمع على الشرائع والأديان، وهو مأخوذ من الحديث النبوى الشريف (كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه). وهو ما جاء في خطبة الوداع (إِنَّ دَمَاءَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا). وينبني على هذا الحق مجموعة من الأحكام الشرعية المهمة؛ منها تحريم قتل الإنسان، لقوله تعالى: ﴿... وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِيقِ ذَلِكُمْ وَصَاحِبُكُمْ بِهِ لَعْلَكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وأن هذا الحق

(١) ينظر: سورة النحل، الآية ١٠٦ وسورة المؤمن، الآية ٢٨ وسورة آل عمران، الآية ٢٨ إضافة إلى أحاديث الرسول ﷺ وسيرة الأنبياء ﷺ والصحابة. حول هذه التفاصيل ينظر: محمد حسن القزويني، الإمامة الكبرى والخلافة العظمى، ج ١، تعليق: مرتضى القزويني، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٥٨، ص ١٩٦-١٦٥؛ مرتضى الأنصاري، التقية، تحقيق فارس الحسون، مؤسسة قائم آل محمد، قم، ١٤١٢ هـ، ص ٢٤ وما بعدها.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٥١.

يتساوى فيه الناس جميعاً بمجرد الحياة، لا فرق بين شريف ووضيع، وبين عالم وجاهل، وبين عاقل وجنون، وبين بالغ وصبي، وبين ذكر أو أنثى، وبين مسلم وذمّي.

**المطلب الثاني: حق الإنسان في أن يحكم بالعدل**

تعد العدالة إحدى القيم الرئيسة التي يجب أن تتحققها للناس أي حكومة ناجحة؛ ولا يمكن أن يكون هناك حكم ناجح إلا إذا كان عادلاً. وانتشرت في عهد الإمام علي رض أفكار العدالة وضرورة تحقيقها في أكثر من موضع، لذا يمكن القول إن حق الإنسان في أن يُحكم بالعدل يعد أحد أهم الحقوق التي وردت في هذه الوثيقة.

ويجد هذا الحق أساسه في ضرورة أن ينعم الإنسان بها كون القضاء العادل هو انعكاس مهم لحق الإنسان في المساواة العادلة من جهة، وأداة لرفع الظلم والحيف عن المظلومين واسترداد حقوق المستضعفين من جهة ثانية؛ فضلاً عن أن القضاء العادل هو الضمانة الإجرائية في مواجهة أي انتهاك لتلك الحقوق من جهة ثالثة.

لقد أبرز الإمام علي عليه السلام التقاضي ضرورةً وحقاً مهماً من حقوق الإنسان، وحمل عليهما  
الحاكم الشرعي مسؤولية صيانة (حق التقاضي) بكل تفروعات هذا الحق ومتطلباته المادية  
والمعنوية. لذا نجده عليهما الأشرف في بداية الوثيقة إلى أنه سيحكم مصر، وهي بلد كبير  
سبق أن حكمها قبله حضارات وأمم سابقة، يجب التنبه إلى كيف ساسوا هذه البلاد ليتعظ  
بتجربتهم ويحكم بخبرتهم، وبالذات في مسائل العدل والإنصاف. وتقول الوثيقة: «اعلم،  
يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس  
ينظرون من أمرك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنت  
تقول فيهم. وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده. فليكن أحباب

الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح. فاملك هواك وشحّ بنفسك عما لا يحلّ لك، فإنّ الشحّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت... » وهنا يأمر الإمام عليهما الأثر أن يشحّ بنفسه، وفسّر له الشحّ ما هو؟ فقال عليهما: «أن تتصف منها فيما أحببت وكرهت، أي لا تمكنها من الاسترسال في الشهوات، وكن أميراً عليها، ومسطراً وقاماً لها من التهور والانهاك»<sup>(١)</sup>.

إنّ تأكيد الإمام عليهما ضرورة وجود القاضي هو المدخل لمعرفة الشروط الدقيقة التي وضعها الإمام عليهما لن يتبوأ هذا المنصب، فالسلطة القضائية «من أعظم سلطات الدولة، بها يفرق بين الحقّ والباطل، وبها يتتصف للمظلوم من الظالم، وإذ تجنب الظروف بهذه السلطة إلى الإسفاف، فإنّها لا تنزل إلى الحضيض وحدها، وإنما تجرّ معها المجتمع كلّه أو بعضه، حين تسفّ وتصير في عون الظالم وتعضد المجرم وحيث أنّها تنطق باسم العدالة، فإنّها تسكت كلّ فم وتطفئ جذوة الحياة في كلّ إنسان يتصدى لها، وماذا يحدث حينئذ؟ يستشرى الفساد، ويعظم الجور، وتعتم الفتنة، ويكون المظلوم في الخيار بين أن يرفع أمره إلى هذه السلطة فيسلب حقّاً باسم العدل بعد أن سلبته إياه القوة، وبين أن يسكت حتى تخين الفرصة فيستعيد حقّه عن طريق العنف، وفي بعض هذا شّرّ عظيم»<sup>(٢)</sup>. وحتى لا يصل الأفراد داخل المجتمع إلى هذه النتيجة، وضع الإمام نظاماً تُصان من حالاته المؤسسة القضائية، ومن ثم تحفظ حقوق الأفراد.

لقد دعا عليهما إلى صيانة منصب القضاء واستقلاله؛ فإذا لم يكن القاضي مستقلاً في حكمه لا يخضع لتأثير هذا وإرادة ذاك، لم تكن هناك سلطة قضائية مستقلة بالمعنى الصحيح. لذلك

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج ١٧، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٤٢٥ هـ، ص ٢٣.

(٢) محمد مهدي شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، دار الزهراء، بيروت، ط ٢، ١٩٧٢، ص ٦٠.

بعد أن وضّح الإمام الشروط التي ينبغي توافرها في القاضي، فقد يَنْبَغِي ضرورة توافر الوضع المتميز لمنصب القضاء، إذ يوصي الأشتر قائلاً: «ثم أكثر تعاهد قضايه وأفسح له في البذل ما يزيل عنده وقل معه حاجته إلى الناس وأعطيه من المنزلة لديك ما لا يطمئن فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال عندك»<sup>(١)</sup> وفي هذا النص يضع الإمام الأشتر ثلاثة صيغات لمنصب القضاء وهي:

أولاً. أن يتعاهد الحاكم قضاة قاضيه، وينظر فيما يصدره من أحكام، فإن ذلك «كفيل في أن يمسك القاضي عن الانحراف ويستقيم به على السنن الواضحة لـ الله حينئذ يعلم أن المراقبة ستكتشف أمر الحكم الجائز؛ ووراء ذلك ما وراءه من عار الدنيا وعذاب الآخرة»<sup>(٢)</sup>. ومن الواضح أن الإمام أنشأ عملية توازن بين السلطة السياسية والسلطة القضائية من جهة، وبين أهمية أن يخضع جميع أبناء الأمة للسلطة القضائية بما فيهم الحاكم نفسه، كما فعل الإمام ذلك عملياً عندما وقف إمام القضاء - وهو الخليفة - مع شخص من أهل الذمة - غير مسلم ولكنه مواطن - حول ملكية درع، ومن ثم كان الحكم لغير صالحه بسبب انعدام البيئة<sup>(٣)</sup>. ويذهب محمد مهدي شمس الدين إلى «إن الإمام أقرّ مبدأ فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية، وأعطى للقضاء شخصية مستقلة ومنفصلة عن شخصية الحاكم السياسي أو الحاكم الإداري؛ وهذه خطوة متقدمة في تنظيم الدولة والمجتمع السياسي في الإسلام»<sup>(٤)</sup>.

(١) محمد بن الحسين الموسوي البغدادي الشيرفي الرضي، نهج البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي الصالح، مصدر سابق، كتاب ٥٣، ص ٥٥٧.

(٢) محمد مهدي شمس الدين، مصدر سابق، ص ٦٤.

(٣) محمد طي، الإمام علي ومشكلة نظام الحكم، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٠٣.

(٤) محمد مهدي شمس الدين، عهد الأشتر، المؤسسة الدولية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٠، ص ١٢٠.

ثانياً. تحقيق الكفاية المادية والاقتصادية لمن يتولى مركز القضاء من جميع النواحي لينقطع الطمع من نفسه، فيجلس للقضاء وليس في ذهنه شيء من أحلام الثروة والمال، أو يلقي خوف الفقر بظلاله على فكر القاضي وسلوكيه؛ لذلك جاء في عهده لِلَّهِ لِلْأَشْتَرِ: «وأفسح له في البذر ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس»<sup>(١)</sup>. وقد أجزل لِلَّهِ العطاء لولاته الذين يؤدون وظائف القضاة ورفع حاجتهم الاقتصادية<sup>(٢)</sup> كما إن تأكيد الإمام ضرورة تحقيق اكتفاء مادي ومستوى اقتصادي جيد للقضاة إنما كان لإزالة أي تبرير أو توسيع أو دافع لأخذ رشوة في الحكم؛ إذ عد الإمام الرشوة بآثارها السلبية أداة لتحطيم المجتمع وقيمته، ولا سيما في مجال القضاة، إذ يقول لِلَّهِ: «إِنَّمَا أَهْلُكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنْهُمْ مَنْعَلُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاَشْتَرُوهُ»<sup>(٣)</sup>. وحين سُئل عن تفسير قوله تعالى سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلسُّحْتِ: «السُّحْتُ في الآية الرشا، فقيل له في الحكم؟ قال ذاك الكفر»<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً. تعزيز المكانة المعنوية للقاضي، إن القاضي في رؤية الإمام لِلَّهِ إنسان يخاف على ماله أن ينهب ويختلف على مكانته أن تذهب، ويختلف على كرامته أن تنال، ويختلف على حياته أن يتعدى عليها بعض من حكم عليهم من الأقوياء؛ فإذا لم تكن لديه ضمادات تؤمنه من

(١) حسن القبانجي، مستند الإمام على لِلَّهِ، ج ٩، مصدر سابق، ص ٤٩٦.

(٢) ينظر: باقر شريف القرشي، موسوعة الإمام أمير المؤمنين، ج ٩، تحقيق مهدي باقر القرشي، مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية، قم، ١٤٢٢ هـ، ص ٢٨، وما بعدها.

(٣) محمد بن الحسين الموسوي البغدادي الشريف الرضي، نهج البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي الصالح، مصدر سابق، كتاب ٧٩، ص ٦٠٠.

(٤) سورة المائدة، من الآية ٤٢.

(٥) باقر شريف القرشي، مصدر سابق ج ٣، ص ٦٥. وكذلك ينظر: ميرزا حسين التوري، مصدر سابق، ج ١٧، ص ٣٥٤؛ حسن القبانجي، مصدر سابق، ج ٦، ص ٤٩٥-٤٩٦.

كُل ذلك اضطربه الخوف إلى أن يصانع القوي لقوته والشرير لشّره، وحينئذ يطبق القانون من جهة واحدة.. يطبق على الفقراء والضعفاء الذين يؤمن جانبهم<sup>(١)</sup>.

ولقد أكد الإمام عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ضرورة تحقيق العدل القضائي لأصحاب الديانات الأخرى في ظل الدولة الإسلامية، وكان الإمام عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يوصي الأشتراطات: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم». وقد لجأ الإمام إلى القضاء حين كان خليفة مع رعايا الدولة من أصحاب الديانات الأخرى سواء كانوا يهوداً أو نصارى<sup>(٢)</sup>. وكان النظام القضائي في عهد دولة الإمام يساوي بين رعايا الدولة مع مراعاة الخصوصية الدينية لهم<sup>(٣)</sup>، حتى روى آنَّه عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ «كان يستحلف اليهود والنصارى في كنائسهم والمجوس في بيوت نيرائهم»<sup>(٤)</sup>: ولعل من أهم سبل تدعيم العدالة القضائية هو المبدأ الذي دعا إليه عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وهو تقنين الجرائم والعقوبات، إذ يعد هذا المبدأ مطلباً مهماً للفئات الاجتماعية المضطهدة، وقد رفع شعاراً لمنع التحكم الكيفي وإنزال العقوبات الانتقامية بالناس، ولا سيما بالمعارضين منهم لأنظمة الحاكمة<sup>(٥)</sup>.

(١) محمد مهدي شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٦٥. وحول هذه الفكرة ينظر أيضاً: د. نوري جعفر، فلسفة الحكم عند الإمام علي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٤٢٠٠٤، ص ٥٨.

(٢) حول هذه المواقف والحوادث ينظر: أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، المجموع، ج ٢، دار الفكر، بيروت، ١٤١٩ هـ، ص ١٢٩؛ علي بن الحسن الشافعي (ابن عساكر)، تاريخ مدينة دمشق، ج ٧، دراسة وتحقيق علي الشيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ص ٤٨٧؛ أبو الفدا إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، تحقيق وتعليق علي الشيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٨، ص ٥.

(٣) حول بعض تفاصيل الخصوصية القضائية ينظر: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني، الكافي، ج ٨، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨ هـ، ص ٢١٥.

(٤) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، مصدر سابق، ص ٤٨٦.

(٥) محمد طي، مصدر سابق، ص ١١٧.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ من أسس العدالة، والمساواة بين الناس، والإحسان إلى المحسن، والإساءة إلى المسيء وأخذه بذنبه، ما ينبه سيد البلغاء والمتكلمين عليهم السلام الأشرف إليه فيقول: «ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء؛ فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة! وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه». ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح هذه الفقرة: «وإذا لم يكن للمحسن ما يرفعه، وللمسيء ما يضعه، زهد المحسن في الإحسان، واستمرّ المسيء على الطغيان»<sup>(١)</sup>.

(١) عز الدين بن هبة الله بن محمد ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط٢، ١٩٦٧، ص٣٣.

## المبحث الثاني

### الحقوق السياسية عند الإمام علي عليه السلام

يُقصد بالحقوق السياسية هي تلك الحقوق التي تنظم علاقة الإنسان بالدولة، أو بالمجتمع باعتبار أنّ الإنسان مدني واجتماعي بطبيعة، لذلك فإنّ ظاهرة الحكم هي حالة إنسانية وأنّ الحقوق السياسية هي حقوق للإنسان بشكل عام، وإنْ تطلب بعض الشروط الخاصة لمارستها، وميدان الحقوق السياسية واسع جداً. وسيقتصر بحثنا في هذا المبحث على مطلبين؛تناول كلّ منها حقاً سياسياً من حقوق الإنسان عند الإمام علي عليه السلام، فالطلب الأول تناول (حق الإنسان في اختيار عناصر صالحة لحكمه). أما المطلب الثاني فانفرد بـ (حق الإنسان في حرية الرأي والتعبير).

#### المطلب الأول: حق الإنسان في اختيار عناصر صالحة لحكمه

مع ما دعا إليه الإمام علي عليه السلام حول حق الحرية والمشاركة السياسية، إلا أنه تميز باهتمام خاص بمسألة (الحاكم) و(الحكم) والتي يمكن أن نفهمها بشكل أوسع لتعني «كيان الدولة وكامل مؤسساتها، وتشمل تبعية جهازها بالكتفاءات وتطبيق شريعتها وإدارة أمورها بالشكل الذي يجعلها حقيقة لغايات وجودها في النظام السياسي»<sup>(١)</sup>. وقبل أن نتناول ماهية هذا الحق في وضع ضوابط خاصة لمن يشغل منصب الحاكم الأعلى في الدولة لا بدّ لنا أن نتطرق إلى أهمية الحاكم والحكومة عند الإمام علي عليه السلام.

(١) أحمد حسين يعقوب، النظام السياسي في الإسلام، مؤسسة أنصاريان، قم، ط٣، ١٤٢٤ هـ، ص ١٨٩؛ ومن الجدير بالذكر أن النظم في اللغة هو الخطط الذي ينظم فيه اللؤلؤ ونحوه ينظر: محبي الدين الفيوض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، ج ١٧، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤، ص ٦٨٩.

هناك عدة أبعاد يمكن من خلالها تلمس أهمية الحاكم والحكومة - عند الإمام - لعلّ أولاً مسألة وجود الحاكم، إذ إنّ من موارد الاتفاق بين المسلمين وجوب تنصيب الحاكم، إلّا من شدّ عن ذلك منهم<sup>(١)</sup>. وفي ذلك الوجوب قال الإمام: «أنّه لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتأمن به السبل ويؤخذ به للضعف من القوي. حتى يستريح برّ ويستراح من فاجر»<sup>(٢)</sup>. وعلى الرغم من السلبيات المفروضة للحكومة الظالمة إلّا أنّ الإمام يعدّ هذه الحكومة مع الاضطرار أفضل من استمرار الفوضى التي قد تحدث جراء انعدامها، فيقول: «أسد حطوم خير من سلطان ظلوم، وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم»<sup>(٣)</sup>.

وينطلق الإمام بتأكيد مهمّ لضرورة الحكومة ووجوبها في عهده للأشر (واعلم أنّ الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلّا بعض، ولا غنى ببعضها عن بعض: فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل...).

(١) حول هذا الموضوع ومن شذ عنه ينظر: أبو محمد علي بن احمد (ابن حزم)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٣، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٧٥، ص ٨٧؛ علي بن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ج ٢، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٥٠، ص ١٣٣؛ عبد القاهر بن طاهر البغدادي، أصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٩٨١، ص ٢٧٧-٢٧٨. ومن الكتب الحديثة التي تناولت الموضوع بشيء من التفصيل ينظر: محمد ضياء الدين الرئيس، النظريات السياسية الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ١٩٦٧، ص ١٤٥ وما بعدها؛ وحول أدلة الجوازات ينظر: علي عبد الرزاق، الإسلام وأصول الحكم، دراسة محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢، ص ١١٣ وما بعدها.

(٢) لييب بيضون، تصنيف نهج البلاغة، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط ٣، ١٤١٧ هـ، ص ٣٢٥، وفي المعنى نفسه ولكن باختلاف يسير ينظر: أحمد بن محبي بن جابر البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق وتعليق الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٩٧٤، ص ٣٥١.

(٣) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج ١، دار الحديث، قم، ط ١، ١٤١٦ هـ، ص ٩٨؛ أبو عبد الله بن سلامة، دستور معلم الحكم وما ثر مكارم الشيم، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٧.

ولأهمية قيام علاقة الحاكم بالمحكومين على أساس حسن الظن فإن الإمام عليه السلام في هذه الوثيقة يوصي الأشر قائلًا: «واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم وتخفيه المؤونات عليهم». وقد روي أن الإمام سأله الرسول صلوات الله عليه: «وهذا السؤال مع ما تشوّبه الرغبة بالمعرفة إلا أنه يحوي إثارة الموضوع وترسيخه في أذهان الأمة حتى يستوعب البعد السياسي في الدين الإسلامي» حين قال الإمام: «يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما منزلة إمام جائر معتدٍ لم يصلح لرعايته ولم يقم بهم بأمر الله تعالى؟ أجاب الرسول صلوات الله عليه: «هو رابع أربعة من أشد الناس عذاباً يوم القيمة: إبليس وفرعون وقاتل النفس ورابعهم الإمام الجائز»<sup>(١)</sup>.

وبعد أن عرفنا بإيجاز أهمية السلطة الحاكمة عند الإمام، فإن مسألة الشروط التي يجب أن يتمتع بها من يشغل هذا المنصب غاية في الأهمية عند الإمام، بل إن النظر إلى هذه الشروط المفترضة - فضلاً عن كونها مؤهلات ومتطلبات لقيادة أمّة صاحبة رسالة إنسانية عالمية - فإنها حق للأئمة أن لا يحكمها إلا أشخاص يمتلكون هذه المؤهلات. وهذه ميزة أخرى تضاف لصالح منهج الإمام في مجال حقوق الإنسان، ألا وهو اهتمامه بمن يحكم بوصفه أساساً لمعرفة كيفية الحكم.

ويمكن إجمال أهم الصفات التي طالب الإمام أن يتخلّى بها خاصةً الإمام وأهل شوره بما يأتي:

- ١- من الذي يقول لك الحق ولو كان مرّاً، «ليكن آثرهم عندك أقوفهم بمّر الحق لك».
- ٢- من لا يساعدك على ما تهوى مما يكره الله، «وأنقلهم مساعدة فيها يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً (ذلك) من هو لك حيث وقع».

(١) محمد الريشهري، مصدر سابق، ج ٤، ص ٣٣٨٣.

٣- أن يكون من أهل الورع والصدق، «والصق بأهل الورع والصدق».

وقد عَبَرَ عن ذلك الإمام السجاد عليه السلام في رسالته للحقوق، إذ قال «وَأَمَا حَقُّ رَعِيْتِكَ بِالسُّلْطَانِ: فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ إِنَّمَا اسْتَرْعَيْتُهُمْ بِفَضْلِ قُوَّتِكَ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَحَلَّهُمْ مَحْلَ الرُّعْيَةِ لَكَ ضَعْفَهُمْ وَذَلَّهُمْ. فَمَا أَوْلَى مِنْ كُفَّاكَهُ ضَعْفُهُ وَذَلَّهُ - حَتَّى صِيرَهُ لَكَ رُعْيَةً وَصِيرَ حُكْمَكَ عَلَيْهِ نَافِذًا، لَا يَمْتَنَعُ عَنْكَ بَعْزَةً وَلَا قُوَّةً، وَلَا يَسْتَنْصِرُ فِي مَا تَعَاوَظُهُ مِنْكَ إِلَّا بِاللَّهِ - بِالرَّحْمَةِ وَالْحِيَاةِ وَالْأَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

ولعَلَّ الْجَزْءُ الْأَهْمَّ مِنْ عَمْلِيَّةِ الْوَعِيِّ السِّيَاسِيِّ وَالَّتِي شَدَّدَ عَلَيْهَا الْإِمَامُ هُوَ مَسْأَلَةُ اخْتِيَارِ مَكَوْنَاتِ الْمَجَمُوعَةِ الْحَاكِمَةِ وَعَنَاصِرِهَا مِنْ شَاغِلِيِّ الْوَظَائِفِ الْمَهْمَةِ، وَهُمْ رُؤَسَاءُ الْهَيَاكِلِ الرَّئِيسَيةِ لِإِدَارَةِ الْبَلَدِ، وَالَّذِي أَطْلَقَ عَلَيْهِمْ اسْمَ الْعَمَالِ، وَالَّذِينْ يَمْثُلُونَ الْمَحَافِظِينَ وَرُؤَسَاءَ الدَّوَائِرِ الْعَامَةِ فِي الْبَلَدِ، وَالْمُشْرِفِينَ عَلَى الْأَعْمَالِ الإِدارِيَّةِ وَالْقَرِيبِينَ مِنَ الْحَاكِمِ فِي إِدَارَةِ الْبَلَادِ بِتَنْوِيعِهِمْ كَافِةً<sup>(٢)</sup>.

إِنَّ تَكَامُلَ هَذِهِ الْأَبْعَادِ فِي الْوَعِيِّ السِّيَاسِيِّ لِلْحَالِمَةِ سَيُؤْدي بِالْتِيْجَةِ إِلَى النَّهْوِ بِرَسَالَةِ الْحَقْوَقِ الْأُخْرَى كَافِةً، لَذَا نَرَى أَنَّ سِيدَ الْبَلَغَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ عليه السلام يَضْعِفُ خَبْرَتِهِ فِي النَّاسِ لَوْلَيْهِ عَلَى بَلْدِهِمْ كَمَصْرُ، وَيَعْطِيهِ خَصَائِصَ مِنْ يَتَوَلِّ مَشُورَتِهِ فَيَسْتَبِعُهُ هُؤُلَاءِ مِنَ الْمَشُورَةِ: «وَلَا تَدْخُلْنِّ فِي مَشُورَتِكَ بِخِيَالٍ يَعْدِلُ بَكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعْدِكَ الْفَقْرُ، وَلَا جَبَانًا يَضْعِفُكَ عَنِ الْأَمْرِ، وَلَا حَرِيصًا يَزِينَ لَكَ الشَّرِهِ بِالْجُورِ، فَإِنَّ الْبَخلَ وَالْجُبْنَ وَالْحَرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمِعُهَا سُوءُ الْظَّنِّ بِاللَّهِ».

(١) رسالة الحقوق، الحق رقم (١٨).

(٢) عبد الرضا الزبيدي، في الفكر الاجتماعي عند الإمام علي، مكتبة فدك، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص٢٣٦؛ وينظر كذلك: توفيق الفكيكي، الراعي والرعية، المعرفة للنشر والتوزيع، بغداد، ط٣، ١٩٩٠، ص١٠٦.

## المطلب الثاني: حق الإنسان في حرية الرأي والتعبير

من السمات الواضحة في تجربة الإمام علي عليه السلام السياسية، هو سعيه لبيان الحديث نحو إيجاد دائرة الحرية السياسية وتوسيعها، وفتح سبل التعبير سواء بحرية القول والفكر والرأي أو بالعمل وتبني الموقف إزاء الأحداث السياسية. فقد كَفَلَ <sup>لله</sup> حق اختيار الخط السياسي لكل مواطن في أصقاع دولته، وشملت هذه الحرية حتى مناوئيه في ظل مبدأ: «دعوهם وما اختاروا لأنفسهم»<sup>(١)</sup>، إذ كتب <sup>لله</sup> في عهده للأشرتر: «وألزم كلاً منهم [المحسن والمسيء] ما ألزم نفسه»<sup>(٢)</sup>. ويشير البعض إلى هذا البعد في مسيرة الإمام أنه <sup>لله</sup>: «كان يفتح باب الحوار أمام الأفراد والجماعات حرصاً منه على حرية المجتمع وأسباب تطوره؛ بمعنى إنه لم يعزل الحرية الفردية عن الحرية العامة في مجرى قيادته لشؤون المجتمع الإسلامي». وفي أصعب المحن التي مرّت بها خلافة الإمام علي، ظلّ تمسكه المبدئي الصارم بالحرية، ورفضه الخامس للإكراه من أي نوع كان»<sup>(٣)</sup>.

لقد أكد الإمام <sup>لله</sup> بأقواله وخطبه وأدائه سواء أكان بصفته مواطناً أم حاكماً، مسألة الحرية السياسية، حيث يُعدّ حرية الرأي والتعبير جزءاً منها، ومناهضته الاستبداد والظلم والتجبر.

(١) خالد محمد خالد، في رحاب الإمام علي <sup>لله</sup>، دار الإسلام، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٢٤-١٢٥. حول هذا المبدأ ينظر: ابن أبي الحميد، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٣٠٩-٣١١.

(٢) محمد بن الحسين الموسوي البغدادي الشيريف الرضي، نهج البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي الصالح، مصدر سابق، كتاب ٥٣. ص ٥٥١.

(٣) محمد حسين فضل الله، علي ميزان الحق، تحرير صادق الع Jacquobi، دار الملاك، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣، ص ٦.

ففي هذه الوثيقة العظيمة يفتح الإمام عليه السلام باب حرية الرأي على مصراعيه، وكذلك النقد والمحاسبة أمام مجاهير الأمة، بل إنّ الإمام يدعو إلى توفير الأمان للمجاهرين بالحقّ، ويجعل من قبل الرأي الآخر دعوة لمراجعة الذات بالنسبة للحاكم وتصحيح الخطأ وتغيير مسيرة العمل نحو الحقّ والعدل، فتراء عليه السلام يمجد الداعين للحقّ بقولهم وفعلهم، ويطالع بمعاملتهم بأقصى سبل الاحترام كونهم المرأة الكاشفة عن مواطن الضعف في العملية السياسية؛ فيوصي عليه السلام الأستر قائلاً: «ثم ليكن أثرهم عندك أقوالهم بمِرْ الحقّ لك وأفَّائهم مساعدة فيها يكون منك ما كره الله لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع»<sup>(١)</sup>.

وهنا يبرز الإمام عليه السلام ويؤكد حقّ الأفراد في إبداء آرائهم والتعبير عن معتقداتهم وأفكارهم السياسية في ظلّ جوّ من الأمان واحترام الرأي الآخر إشاعة حكومة الإمام، حتى إنّه كان يأمر عماله بإيجاد روح النقد وتغذيتها وحرية الرأي لتكون ركيزة رئيسة في تربية الأمة، فيوجه رسالته إلى أحد ولاته حول صيغ التعامل مع الأمة في عصر دولة الإمام وتطبيق الإسلام قائلاً: «احلل عقدة الخوف عن راهبهم بالعدل والإنصاف إن شاء الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

وفي سبيل تجاوز الأبعاد السلبية وما يتربّ عنها من آثار، وضع الإمام بعض القيود المحدّدة على حرية الرأي والتعبير، تتجسد بالآتي:

١ - صيانة حقوق الآخرين، إذ إنّ حرية القول والفعل تقف عند خطّ لا يمكن أن يتعدّاه، إلّا من كان ظالماً، وهو الكيان المادي والمعنوي للإنسان فـ«المسلم من سلم المسلمين من يده ولسانه إلّا بالحقّ»<sup>(٣)</sup>، على وفق قول الإمام.

(١) محمد بن الحسين الموسوي البغدادي الشريف الرضي، نهج البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي الصالح، مصدر سابق، كتاب ٥٣، الصفحة ٥٥١. ولشرح هذه الفقرة بشيء من التوسيع ينظر: توفيق الفكيكي، مصدر سابق، ص ١٤٣-١٣٣.

(٢) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، مصدر سابق، ص ١٥٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٠٢.

٢- العلم، أي الإحاطة والتعمق بالشيء أو الشخص قبل إطلاق الأحكام والآراء فيؤكد الإمام مسألة العلم إذ قول: «لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كُلَّ ما تعلم»<sup>(١)</sup>. والجهل آفة من آفات النقد والأراء الخاطئة، فيقول عليهما: «من جهل شيئاً عابه»<sup>(٢)</sup>، «ولا خير في القول بالجهل»<sup>(٣)</sup>؛ بل قد تصل حالة الجهل إلى إيجاد نوع من العداء فـ«الناس أعداء ما جهلوها»<sup>(٤)</sup> على وفق رؤية الإمام.

٣- الإنصاف في إطلاق الآراء واتخاذ المواقف، فيقول الإمام «قلمًا ينصف اللسان في نشر قبيح أو إحسان»<sup>(٥)</sup>.

٤- الأسلوب، لما كان الرأي حقًّا، فإنّ عرضه بنحو مناسب هو من شروط نجاح توظيف الحرية لصالح المجتمع. فيجب أن يراعى نوع التعامل واللفظ وأسلوب التعبير والظروف الزمانية والمكانية والمخاطب والمتغيرات الأخرى، فإنّ «من أسرع للناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون»<sup>(٦)</sup>. ويحذر الإمام كذلك من الاندفاع فيقول: «هذا اللسان جموح بصاحبِه»<sup>(٧)</sup>، و«اخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورفك، فرُبّ كلمة سلبت

(١) المصدر نفسه، ص ٧٠٥.

(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأبرار، ج ٦٦، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ١٩٨٣، ص ٧٩.

(٣) لييب يخصوص، مصدر سابق، ص ٧٠٥.

(٤) محمد بن الحسين الموسوي البغدادي الشريف الرضي، نهج البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي الصالح، مصدر سابق، حكمة ٤٢٨، ص ٦٩٦.

(٥) عبد الواحد بن محمد بن تيم الأدمي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق المصطفى الدرائي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط ١٤١٦ هـ، ص ٢١٣.

(٦) محمد بن الحسين الموسوي البغدادي الشريف الرضي نهج البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي الصالح، مصدر سابق، حكمة ٣١، ص ٦٠٩.

(٧) لييب يخصوص، مصدر سابق، ص ٧٠٥.

نعمه وجلبت نعمة<sup>(١)</sup>. وينصح الإمام كذلك بتجنب الإطلاقية في اتخاذ المواقف والأراء، فيقول عليهما: «أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغرضك يوماً ما، وبغض بغرضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما»<sup>(٢)</sup>.

وأجاز الإمام عليهما حرية تبني المواقف السياسية للأفراد والجماعات، فكان يقول لعارضيه، وهم تحت سلطانه: «كن من أمرك ما بدا لك»<sup>(٣)</sup>، وفي ضمن حرية الرأي والكلمة، مع مراعاة الضوابط السابقة وكانت الساحة السياسية لدولة الإمام تعجّ بعملية تساؤل وشفافية في شتى القضايا التي قد تهمّ الفرد والجماعة<sup>(٤)</sup>.

(١) ويقول عليهما: «هانت عليه من أمر عليها لسانه» محمد بن الحسين الموسوي البغدادي الشريف الرضي، نهج البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي الصالح، مصدر سابق، حكمة ٢، ص ٦٠٢.

(٢) المصدر نفسه، حكمة ٢٥٩، ص ٦٦١.

(٣) ابن قتيبة الدنوري، مصدر سابق، ج ١، ص ٧٤.

(٤) فقد سأله الإمام من قبل مختلف الأشخاص عن شتى القضايا، مثل موقفه من الخلفاء، والحراب التي خاضها، ومستقبل الأمة، وشرعية حكومته.... الخ من مسائل السياسة. ينظر: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ص ٩٧؛ أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبرى)، ج ٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩، ص ٥٥ وما بعدها؛ نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ط ١٣٨٢ هـ، ص ٣٢١.

### المبحث الثالث

## الحقوق الاجتماعية والاقتصادية عند الإمام علي عليه السلام

وتعد الحقوق الاجتماعية والاقتصادية من المواضيع المهمة في منظومة حقوق الإنسان كونها أسلوباً لحياة الفرد وآلية لتنظيم المجتمع. وستتناول أهم هذه الحقوق عند الإمام عليه السلام في عهده مالك الأشتر، وذلك في مطلبين، إذ سنخصص المطلب الأول لدراسة (حق العامل في أجر يكفيه) وندرس في المطلب الثاني (حق الإنسان في الضمان الاجتماعي).

### المطلب الأول: حق العامل في أجر يكفيه

وهو من حقوق الإنسان التي ترتبط تماماً بالحق في العمل، والحق في أجر يكفي الحاجة. وخطاب الإمام علي عليه السلام يبيّن إلى أهمية هذا الحق، وإلى ضرورة أن يعطي الوالي من يقومون على أمر الناس حقّهم من بيت المال. تقول الوثيقة: «واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا بعض، ولا غنى ببعضها عن بعض: فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل ومنها عمال الإنفاق والرفق، ومنها أهل الجزية والخارج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلية ذوي الحاجة والمسكنة، وكل قد سمي الله (له) سنه، ووضع على حدّه فريضة في كتابه أو سنة نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - عهداً منه عندنا محفوظاً». فلقد دعا الإمام عليه السلام في عهده للأشرت إلى تهيئة الأحوال المساعدة على إنشاء فرص العمل واحتضان طاقات الأمة. فعلى الدولة الإسلامية تنمية كل الطاقات الخيرة لدى الإنسان وتوظيفها لخدمة الإنسان... واستئصال الدولة الإسلامية لكل علاقات الاستغلال التي تسود مجتمعات الجahليّة، وتحرير الإنسان من استغلال أخيه الإنسان في كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية

والفكرية ستتوفر للمجتمع طاقتين للبناء؛ إحداهما طاقة الإنسان المستغل الذي تم تحريره لأن طاقته كانت تهدر لحساب المصالح الشخصية لآخرين، والأخرى طاقة المستغل الذي كان يجد إمكاناته في تشديد قبضته على مستغليه، بينما تعود هذه الإمكانيات بعد التحرير إلى وضعها الطبيعي وتتحول إلى إمكانات بناء وعمل<sup>(١)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن العمل يعد العنصر الأساس والفعال في عملية الإنتاج. فبالجهد البشري سواء أكان ذهنياً أم بدنياً يمكن للإنسان السيطرة على أجزاء من الطبيعة عبر مراحل تطوره الاجتماعي والاقتصادي، ومن ثم تمكن من سد حاجاته الضرورية في المأكل والملابس والمسكن وغيرها. وكان العمل هو السمة البارزة لهذه المسيرة وتطورها، والأساس الذي تقوم عليه مهمة عمارة الأرض التي تطيب بها حياة الإنسان، فيحقق وعيه وحرفيته وحاجاته، بل ويتحقق ذاته الإنسانية والحضارية. وإن استمرار العمل يعني استمرار الإنتاج وديمومته التطور، ولا سيما إذا ما كان العمل مخططاً له ويسنته العلم ويسعى لخدمة البشر.

ولأهمية العمل في المسيرة البشرية، أكد القرآن الكريم القيمة العليا للعمل ودوره في النشاط الاقتصادي، فقد قال تعالى: ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. فالعمل بالمفهوم الاقتصادي الإسلامي الذي يؤكده القرآن الكريم هو (العمل الصالح) الذي يأتي قرين الإيمان دائمًا، والذي هو بجوهره (العمل المنتج)؛ ذلك أن كل (عمل صالح) يتضمن بالضرورة (عملاً متجهاً)، إلا أنه ليس كل (عمل منتج) بالمفهوم الوضعي هو بالضرورة (عمل صالح). وهنا ينفرد الاقتصاد الإسلامي في مفهومه (للعمل المنتج)، وذلك نابع من طبيعة الارتباط بين العمل - ليس كنشاط اقتصادي فقط

(١) محمد باقر الصدر، مصدر سابق، ص ٩٣.

(٢) سورة التوبة، من الآية ١٠٥.

وإنما كفعل عبادي - وبين (عماره الأرض) التي ليست هي إنجازاً دنيوياً مجرداً، وإنما إنجاز مرتبط بعد آخر وري كذلك<sup>(١)</sup>.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنَّ الإمام عليه السلام يُكَفِّرُ للعمل المتوج الصالح احتراماً عميقاً ذلك الاحترام انعكس على عدّة أوجه إذ بين عليه السلام في هذه الوثيقة أهمية العمل الصالح بقوله «فليكن أحبُّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح» وأنَّ الإسلام هو دعوة للعمل وفقاً لقول الإمام: «لأنَّسَنَنَّ الإسلام نسبَةً لم ينسبها أحدٌ قبلَيْهِ: الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل»<sup>(٢)</sup>، ويصف عليه السلام المؤمنين أنَّ «قلوبهم في الجنان وأبدانهم في العمل»<sup>(٣)</sup>.

والبعد الاجتماعي للعمل، كان حاضراً عند الإمام عليه السلام إذ سعى إلى الرفع من شأن العمل بصفته قيمة اجتماعية علياً، فإنَّ من عوامل الافتخار عند الإمام «صناعة لا يُستحي منها»<sup>(٤)</sup>. وعنده ما سئل عليه السلام عن الصنعة قال هي: «أخت النبوة وعصمة المرؤة»<sup>(٥)</sup>. ويرفض الإمام المعيار الأسري الذي يتخذه بعضهم حائلاً من دون العمل إذ يقول عليه السلام: «من أبْطأَ به عمله لم يسع به حسنه»<sup>(٦)</sup>.

(١) جاسم محمد شهاب البخاري، دراسات في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، مطبعة الجمهور، الموصل، ١٩٩٠، ص ٣٨.

(٢) محمد بن الحسين الموسوي البغدادي الشريف الرضي، نهج البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي الصالح، مصدر سابق، حكمة ١٢٠، ص ٦٢٧.

(٣) المصدر نفسه، خطبة ١٩٢، ص ٣٧٩.

(٤) ميرزا حسين التوري، مصدر سابق، ج ٢١، ص ٩٢.

(٥) محمد تقى التسترى، قضاء الإمام على، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٢٣.

(٦) محمد بن الحسين الموسوي البغدادي الشريف الرضي، نهج البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي الصالح، مصدر سابق، حكمة ٢٩، ص ٦٠٥.

ويضع الإمام عليه السلام مبدأً (خلق المجتمع المتح) للتغلب على العوائق التي تقف في وجه الارتقاء بالعمل بالنسبة للأفراد إذ «إنّ الأمة الإسلامية ليست مجرد تجمّع عددي للمسلمين وإنّما تعني تحمل هذا العدد لمسؤوليته الربانية على الأرض. فالآمة الإسلامية مسؤولة داخلياً أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؛ أي أن تحول عقيدتها إلى عملية بناء.. فالإيمان ليس هو العقيدة المحنطة في القلب، بل الشعلة التي تتقد وتشع بضوئها على الآخرين»<sup>(١)</sup>.

ومهما يكن من أمر، فهناك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد هذا الحقّ، ومنها قول رسول الله ﷺ «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه».

### **المطلب الثاني: حق الإنسان في الضمان الاجتماعي**

كذلك تولي هذه الوثيقة الطبقة الضعيفة عناية خاصة، ويوجب أن يعطوا ما يكفيهم من بيت المال، إذ لكلّ فئة حقوق فيه، وهذه عبارة الوثيقة: «ثمّ الطبقة السفلی من أهل الحاجة والمسکنة الذين يحقّ رفدهم ومعونتهم وفي الله لكلّ سعة، ولكلّ على الواي حقّ بقدر ما يصلحه. وليس يخرج الواي من حقيقة ما ألمّ به الله من ذلك إلّا بالاهتمام الاستعana بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحقّ، والصبر عليه فيما خفّ عليه أو ثقل»، فهذا هو الحقّ في الضمان الاجتماعي يجب على الواي أن يعطيه الفقراء والمحاجين، فهو إذن ليس حقاً مستحدثاً وإنّما له أصل في الإسلام منذ وقت طويل. وبذلك يقتصر الإمام على عليه السلام ميداناً آخر في معركته للدفاع عن حقوق الإنسان، وينبّري عليه السلام مؤكداً (حق الضمان الاجتماعي)، شارحاً أبعاده ومدافعاً ومعززاً لوجوده.

(١) محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، وزارة الإرشاد الإسلامي، إيران، ط٢، ١٤٠٣ هـ، ص ٩٧.

وينبع حق الضمان الاجتماعي عند الإمام علي عليه السلام من نظره الإسلام إلى الإنسان وأحترامه له، وفلسفته للحياة وسر وجود الإنسان على هذه الأرض ومهمته الأساسية التي تتمثل بالعبادة، وما يتبع ذلك من أسس ووسائل تجعل الإنسان مستعداً لتجسيد الهدف الإلهي والحكمة الإلهية في وجوده وحياته. لذلك فقد فرض الإمام علي عليه السلام على الحكام والولاة والموظفين مساعدة المجتمع وأفراده لتحقيق الأهداف الإلهية والأخذ بيده نحو الكمال والتحرر والرفاه. ومن هذه المسؤلية تنطلق كل الأسس والقرارات التي تتخذ في جميع الأصعدة والتي تصب لصالح إنجاز حق الضمان الاجتماعي<sup>(١)</sup>.

لقد عَزَّ الإمام علي عليه السلام حق الضمان الاجتماعي، وذلك في ضمن عدّة أبعاد هي:

أولاًً. بعد الشرعي الإسلامي<sup>(٢)</sup>، إذ يقول عليه السلام: «ثُمَّ تفقد من أمرهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به ولا تحقرنْ لطفاً تعاهدتم به وإنْ قلّ».

وعد الإمام الأموال التي تصرف في سبيل إنجاز حق الضمان الاجتماعي جزءاً من الأموال التي فرضها الله تعالى لصالح بعض فئات الأمة، فهي ليست هبة أو منحة من أحد، إنما هي حقوق يجب أن يعطوها، وكانت أوامرها عليه للأشر عندهما ولاه على مصر تكرّس هذه الحقيقة.

ثانياً. بعد الإنساني، يهدف الإمام علي عليه السلام من السعي لتحقيق الضمان الاجتماعي إلى تخفيف العبء عن المحرمين والبؤساء من أبناء الأسرة البشرية ليكون معياراً لتقدير

(١) فاضل الموسوي الجابري، العدالة الاجتماعية في الإسلام، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم، ١٤٢١هـ، ص ٢٦٤.

(٢) هناك آيات قرآنية تحارب الفقر وتدعوا إلى تحقيق الضمان الاجتماعي، سورة البقرة، الآيات (١٧٧، ٢٦١)؛ سورة الحشر، الآية ١٤؛ سورة المعارج، الآية ٢٤.

الإنسان وسموه النفسي، إذ يقول ﷺ في عهده للأشراف: «واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتواضع فيه الله الذي خلقك، وتتعذر عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعن، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن: (لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعن)».

ويجعل الإمام ﷺ من تحقيق الضمان الاجتماعي أسلوباً لتفعيل التماسك بين فئات المجتمع، بل هو السبيل إلى تحقيق العلاقة السامية بين أبناء الأسرة البشرية بأجمعها. فيقول ﷺ: «فول من جنودك أنسحهم في نفسك الله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جياباً وأفضلهم حلماً: من يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقواء»<sup>(١)</sup>. ولعل خير من يجب أن يمتلك هذا الحسّ الإنساني هم قادة المجتمع وحكامه، وهنا سيظهر لنا بعد السياسي.

ثالثاً. بعد السياسي، يذهب الإمام إلى أنّ القيام بحقّ الضمان الاجتماعي من واجبات الحاكم الأساسية، إذ يقول ﷺ في عهده للأشراف محدداً أهتمّ واجباته بـ«استصلاح أهلها»، ويقول ﷺ: «حقاً على الوالي إلاّ يغيره على رعيته فضل ناله ولا طول خصّ به، وأن يزيده ما قسم الله له من نعمة دوناً من عباده وعطفاً على إخوانه»<sup>(٢)</sup>.

ويجعل الإمام ﷺ من تعزيز حقّ الضمان الاجتماعي أحد محاور حركته السياسية إذ يقول ﷺ: «وتعهد أهل اليتم وذي الرقة في السن من لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة

(١) كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين الحسيني، دار الحديث، قم، ١٣٧٦ هـ، ص ٢٨.

(٢) كاظم مدیر، مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٣.

نفسه، وذلك على الولادة ثقيل، والحق كله ثقيل... واجعل لذوي الحاجات منك قسمًا تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً، فتتواضع فيه لله الذي خلقك». ويعد هذا الجزء من العهد الذي كتبه الإمام عليه السلام للأشر من أوضح وأدق ما في تراث الإمام على عليه السلام بشأن حق الضمان الاجتماعي، ويمكن أن نستنتج من خلاله أكثر من إشارة مهمة، وعلى النحو الآتي:

١- رسم آلية وصيغ تنفيذ حق الضمان الاجتماعي، ونقله من النظرية المثالية إلى الواقع العملي الملمس.

٢- تحديد الفئات الاجتماعية المستفيدة من حق الضمان الاجتماعي، والمساحات التي يعمل فيها والأهداف التي يسعى لإنجازها هذا الحق<sup>(١)</sup>.

ولعل من أهم صيغ حفظ كرامتهم إعطاءهم حقوقهم من دون أن يشعر الآخرون بضعفهم. وهنا تبرز فلسفة صدقة السر التي شجّع عليها الإمام بوصفه لها «تطفيف الخطيئة وتطفيف غضب رب»<sup>(٢)</sup>. ويعطي الإمام المثال العملي لصيانة الكيان المعنوي للمحتاجين للضمان الاجتماعي. فحين قال له رجل أحتاج إلى مساعدة أجابه الإمام: «اكتب حاجتك على الأرض. إنّي أكره أن أرى ذلّ السؤال في وجهك»<sup>(٣)</sup> ويقول عليه السلام: «الموت أهون من

(١) د. خضير كاظم حمود، السياسة الإدارية في فكر الإمام علي بن أبي طالب، مؤسسة الباقي، بيروت، ١٩٩٩، ص ١١. ويقول محمد مهدي شمس الدين في حديثه من طبقات المحروميين في المجتمع: «لقد لاحظ الإمام هذه الفئات جميعاً وأمر بإنشاء مرجعية خاصة لهم في الدولة...» ينظر: محمد مهدي شمس الدين، عهد الأشر، مصدر سابق، ص ١٥٢.

(٢) محمد بن الحسن الحر العاملی، وسائل الشیعة إلى تحصیل مسائل الشريعة، ج ٨، تحقيق عبد الرحيم رباني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣، ص ٥٢٣.

(٣) محمد باقر المجلسي، مصدر سابق، ج ١٧، ص ٤٠٧.

ذلِّ السؤال<sup>(١)</sup> فـ«السؤال يضعف لسان المتكلم ويكسر قلب الشجاع ويوقف الحرّ العزيز موقف العبد الذليل، ويدهّب بهاء الوجه»<sup>(٢)</sup>.

إنَّ فلسفة الضمان عند الإمام عليه السلام هي لصيانة حياة الإنسان المادية والمعنوية، والرفع من شأنه وليس الإساءة إليه أو إهانة كرامته. ويوجز الإمام عليه السلام مفهومه لآلية العمل في تحقيق الضمان الاجتماعي بقوله عليه السلام: «المعروف كنز من أفضل الكنوز وزرع من أركى الزروع، فلا يزهدنكم في المعروف كفره وجحد من جحده.. إنَّ المعروف لا يتم إلَّا بثلاث خصال: تصغيره، وستره، وتعجيله؛ فإذا صغرته فقد عظمته، وإذا سترته فقد أتمته، وإذا عجلته فقد هنأته»<sup>(٣)</sup>. وهذا العمل الضخم المراد إنجازه في المجتمع يستدعي متطلبات مادية توظف لصالح هذا الهدف؛ وهذا ما كان حاضراً عند الإمام عليه السلام.

ومن الجدير بالذكر أنَّ هذا الحقُّ عُرِفَ في الفكر الإسلامي المعاصر تحت عنوان (العدالة الاجتماعية في الإسلام) أو (التكافل الاجتماعي في الإسلام). ويُذكر أنَّ رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ أعلن حقَّ التكافل الاجتماعي بقوله «ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع».

(١) كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد الليثي الواسطي، مصدر سابق، ص ٣٢.

(٢) كاظم مدیر، مصدر سابق، ج ١، ص ٥٢٨.

(٣) أحمد بن يعقوب اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣، ص ٢١٠ ويقول عليه السلام: «لا يستقيم قضاء الحوائج إلَّا بثلاث: باستصغارها لتعظم، وباستكتامها لظهور، وبت تعجيلها لتهنأ». يراجع: محمد بن الحسين الموسوي البغدادي الشريف الرضي، نهج البلاغة، تعلق وفهرسة د. صبحي الصالح، مصدر سابق، حكمة ٩٥، ص ٦٢١.

## الخاتمة

وهكذا حاولنا أن نستخلص ما ورد في الوثيقة من الحقوق، ولكنّ الوثيقة في الواقع من أبلغ الوثائق معنى ولفظاً، ويجب أن تدرس هي وغيرها، ويركز على ما فيها من قواعد ومبادئ أخرى، لا تتصل بالضرورة بحقوق الإنسان وحرياته، وإنما تتصل بدستور العلاقة بين الحاكم والمحكوم بشكل عام. وهي تتناول فنوناً واضحة للتعامل تبع من تعاليم الإسلام وأسسه، ويدخل غالبها في باب السياسة الشرعية، وعبر ما تطرقنا إليه، يمكننا التوصل إلى جملة من الاستنتاجات والتوصيات:

### أولاً. الاستنتاجات:

- ١- إنّ أهمّ ضمان للحقوق هو تقوى الله سبحانه وتعالى والإحساس أنّه يراقبنا في السرّ والعلن، وتقوية المحكومين بالثقة فيهم والبرّ بهم وتعويدهم على مجاهرة الحاكم بالخطأ، وأهم من كل ذلك الحكم فيهم بشرعية الله سبحانه وتعالى.
- ٢- اتّضح بكلّ جلاء من خلال هذا العهد العظيم (وغيره من الوثائق) أنّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يُعدّ تجسيداً حياً للشريعة الإسلامية برافقها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مضافاً إليها إبداع الإنسان المتميز في تطبيق النصّ على أرض الواقع، ولا سيما في مجال حقوق الإنسان؛ إذ شملت رؤيته مساحة واسعة من تلك الحقوق دعا إليها وجسدتها في ميدان التطبيق العملي.
- ٣- دعا الإمام علي عليه السلام في عهده للأشرت إلى أن ينعم الإنسان بحقّ المساواة العادلة في أبعاده كافة، سواء بعد الإنساني أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو القضائي؛

إلا أن الدعوة النظرية والممارسة العملية للإمام عليه السلام لترسيخ هذا الحق لم تكن على حساب المعاير الموضوعية للفاضل بين الناس والتي عمل بمحبها استناداً إلى الشريعة الإسلامية.

٤- في إطار حقوق الإنسان ذات البعد السياسي يبرز حق حرية الرأي والتعبير سواء في رؤية الإمام النظرية أو ممارسته العملية، مؤكداً عليه السلام في عهده للأشربة جملة من الضمانات لهذا الحق بهدف تفعيله، كونه مقصداً إلهياً شرعاً، وآلية مهمة لاطلاق الحكومة على سليمياتها وأخطائها، وإنشاء وترسيخ الوعي السياسي، والتخلص من سبات العقل والركود الفكري للوقوف بالضد من ظهور الاستبداد في الواقع السياسي الإسلامي والإنساني على حد سواء.

٥- لقد منح الإمام عليه السلام الإنسان في هذه الوثيقة حق المشاركة السياسية في شؤون وطنه واختيار حكامه وتقديم الشورى والنصيحة، وتبادل الآراء بين الحاكم والمحكوم لإيجاد أفضل الوسائل الممكنة وصياغتها عبر قرارات تخدم الإنسان والمجتمع، بالإضافة إلى حق الأمة في قبول أو رفض السياسات العامة والتي تتکامل مع حقها الأصيل بالرقابة الشعبية لعمل السلطة والقائمين عليها.

٦- إن العمل حق من حقوق الإنسان على وفق رؤية الإمام عليه السلام؛ لذلك دعا عليه السلام في هذه الوثيقة إلى احترام العمال، وخلق المجتمع المتدرج، والسعى الجاد لتوفير فرص العمل عبر ضبط الحياة الاقتصادية، وتعزيز دور القضاء الاقتصادي، وتنظيم العمل في المجتمع، وتشجيع العمران والتخطيط الاقتصادي، ومنع السخرة، وضرورة حصول العمال على حقوقهم بالأجور العادلة والحياة الكريمة.

٧- يُعدّ حق التقاضي من أبرز الحقوق التي دعا إليها الإمام علي عليهما السلام من خلال هذه الوثيقة، مؤكداً لعلة ضرورة أن ينعم الإنسان بحتمية إيجاد القضاء العادل من خلال تحديد مواصفات مميزة للقضاء تتمثل بالعدالة والعلم وجملة من السمات الشخصية النبيلة. ومن جهة أخرى، فإن الإمام أكد نزاهة القضاء وحياديته عبر الموازنة بين السلطة السياسية الحاكمة والسلطة القضائية، وتحقيق الكفاية المادية، وتعزيز المكانة المعنية لمن يتولى منصب القضاء مؤكداً لعلة شرط العدالة وتطوير القضاء ومراعاة آدابه، وكل ذلك صيانة للإنسان ورعايته في شتى شؤون الحياة.

### ثانياً. التوصيات:

١- إن إشاعة وتعيم تجربة الإمام علي عليهما السلام ورؤيته لحقوق الإنسان ببعديها النظري والعملي، عبر نشرها، والأخذ بها منهجاً للعمل في المؤسسات الرسمية والدينية والاجتماعية في مجتمعنا ستسهم بلا شك في تطور الوعي والممارسة لحقوق الإنسان من أجل تقديم نموذج حضاري.

٢- نحتاج إلى الكشف عن كنوزنا واستخدام بضاعتنا بدلاً من الجري وراء غرنا، واستخدام معايير حياتنا تختلف عن الأصالة التي نجدها في تاريخنا وتراثنا.

٣- نقترح فتح باب مهم لدراسات وثائق مهمة موجودة بكثرة في تاريخنا وتحتاج إلى كثير من الصبر للكشف عن معانيها، ولبيان ما فيها من أحكام تفصل المجمل من أحكام الكتاب والسنة، وترينا كيف فهم الأئمة والعلماء والقادة هذه النصوص، وكيف قاموا بتطبيقها في حياة الأمة الإسلامية.

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- ١- ابن أبي الحميد المعزلي، شرح نهج البلاغة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،  
بمقدمة العالج العاجي للستيني الوفي الشافعى، ط٢، ١٤٢٥ هـ.
- ٢- أبو الفدا إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق وتعليق علي الشيري، دار إحياء  
التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٨.
- ٣- أبو القاسم الموسوي الخوئي، مصباح الفقاهة، إعداد وتحقيق محمد علي التوحيدى،  
المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٤.
- ٤- أبو بكر أحمد بن الحسن البهجهى، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت،  
١٤٢٤ هـ.
- ٥- أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبرى)، دار  
الفكر، دمشق، ١٩٧٩.
- ٦- أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني، الكافي، تصحیح وتعليق على أكبر  
الغفاری، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨ هـ.
- ٧- أبو زکریا محبی الدین بن شرف النووي، المجموع، دار الفكر، بيروت، ١٤١٩ هـ.
- ٨- أبو عبد الله بن سلامة، دستور معالم الحكم وما ثر مكارم الشيم، المكتبة الأزهرية،  
القاهرة، ١٩٨٠.

- ٩- أبو محمد علي بن أحمد (ابن حزم)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٥.
- ١٠- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٩٧٤.
- ١١- أحمد بن يعقوب اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣.
- ١٢- أحمد حسين يعقوب، النظام السياسي في الإسلام، مؤسسة أنصاريان، قم، ط٣، ١٤٢٤هـ.
- ١٣- باقر شريف القرشي، موسوعة الإمام أمير المؤمنين، تحقيق مهدي باقر القرشي، مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية، قم، ١٤٢٢هـ.
- ١٤- توفيق الفكيكي، الراعي والرعاية، المعرفة للنشر والتوزيع، بغداد، ط٣، ١٩٩٠.
- ١٥- جاسم محمد شهاب البخاري، دراسات في الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، مطبعة الجمهور، الموصل، ١٩٩٠.
- ١٦- حسن القبانجي، مسند الإمام علي عليه السلام، تحقيق الشيخ طاهر السلامي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.
- ١٧- خالد محمد خالد، في رحاب الإمام علي عليه السلام، دار الإسلام، القاهرة، ١٩٩٧.
- ١٨- د. خضير كاظم حمود، السياسة الإدارية في فكر الإمام علي بن أبي طالب، مؤسسة الباقي، بيروت، ١٩٩٩.

- ١٩- عبد الرضا الزبيدي، في الفكر الاجتماعي عند الإمام علي، مكتبة فدك، بيروت، ط ١٩٩٨.
- ٢٠- عبد القاهر بن طاهر البغدادي، أصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٩٨١.
- ٢١- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)، تحقيق علي الشيري، مطبعة أمير، إيران، ط ١، ١٤١٣ هـ.
- ٢٢- عبد الواحد بن محمد بن تيم الأ Amendy، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق المصطفى الدرائي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط ١٤١٦ هـ.
- ٢٣- عز الدين بن هبة الله بن محمد ابن أبي الحميد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٦٧.
- ٢٤- علي بن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلحين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٥٠.
- ٢٥- علي بن الحسن الشافعي (ابن عساكر)، تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق علي الشيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.
- ٢٦- علي عبد الرزاق، الإسلام وأصول الحكم، دراسة محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢.
- ٢٧- فاضل الموسوي الجابري، العدالة الاجتماعية في الإسلام، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم، ١٤٢١ هـ.

- ٢٨- كاظم مدیر، الحکم من کلام الإمام أمير المؤمنین علی علیه السلام، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ١٤١٧هـ.
- ٢٩- کافی الدین أبو الحسن علی بن محمد الليثي الواسطي، عيون الحکم والمواعظ، تحقيق حسین الحسینی، دار الحديث، قم، ١٣٧٦هـ.
- ٣٠- لبیب بیضون، تصنیف نهج البلاغة، مکتب الإعلام الإسلامي، قم، ط٣، ١٤١٧هـ.
- ٣١- لجنة الحديث في معهد باقر العلوم علیه السلام، سنن الإمام علی علیه السلام، نور السجاد، قم، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ٣٢- محمد الريشهري، میزان الحکمة، دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٦هـ.
- ٣٣- محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، وزارة الإرشاد الإسلامي، إیران، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- ٣٤- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأبرار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.
- ٣٥- محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصیل مسائل الشريعة، تحقيق عبد الرحيم رباني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣.
- ٣٦- محمد بن الحسين الموسوي البغدادي الشریف الرضی، نهج البلاغة، تعلیق وفهرسته: د. صبحی الصالح، تحقيق فارس تبریزیان، مؤسسة دار الهجرة، إیران، ١٣٨٠هـ.

- ٣٧ - محمد بن الحسين الموسوي البغدادي الشريف الرضي، نهج البلاغة، شرح محمد عبدة، دار الذخائر، قم، ١٤١٢ هـ.
- ٣٨ - محمد تقى التسترى، قضاء الإمام علي، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٢.
- ٣٩ - محمد حسن البجنوردى، القواعد الفقهية، تحقيق مهدي المهرizi، دار الهادى، إيران، ١٤١٩ هـ.
- ٤٠ - محمد حسن القزويني، الإمامة الكبرى والخلافة العظمى، تعليق: مرتضى القزويني، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٥٨.
- ٤١ - محمد حسين فضل الله، علي ميزان الحق، تحرير صادق اليعقوبي، دار الملاك، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣.
- ٤٢ - محمد ضياء الدين الرئيس، النظريات السياسية الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، ١٩٦٧.
- ٤٣ - محمد طي، الإمام علي ومشكلة نظام الحكم، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ١٩٩٧.
- ٤٤ - محمد مهدي شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، دار الزهراء، بيروت، ط ٢، ١٩٧٢.
- ٤٥ - محمد مهدي شمس الدين، عهد الأشتر، المؤسسة الدولية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٠.

- ٤٦ - محبي الدين الفيض محمد مرتضى الحسيني الزيدى، تاج العروس في جواهر القاموس، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤.
- ٤٧ - مرتضى الأنصارى، التقية، تحقيق فارس الحسون، مؤسسة قائم آل محمد، قم، ١٤١٢هـ.
- ٤٨ - ميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت، مؤسسة آل البيت، بيروت، ١٩٨٧.
- ٤٩ - نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٣٨٢هـ.
- ٥٠ - نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.
- ٥١ - د. نوري جعفر، فلسفة الحكم عند الإمام علي عليه السلام، دار المادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٤٢٠٠.



**المرأة والدور القيادي**

**«فاطمة الزهراء عليها السلام مرتكزاً»**

الباحثة

**أزهار جبر هادي الإبراهيمي**

ماجستير / الفكر الإسلامي

العتبة العلوية المقدسة - شعبة المكتبات والإصدارات

وحدة المكتبة النسوية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي هدانا إلى سواء السبيل على يد مصطفاه النبي الأمين، سيدنا محمد بن عبد الله، أشرف الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تعهتم بإحسان إلى يوم الدين؛

وبعد...

من قديم الزمان، كانت هناك تصورات خاطئة تميّز بين الرجل والمرأة في القيمة الإنسانية، بل وتشكك في إنسانيتها، وفي هدفية وجودها، إن كان لذاتها أو من أجل الرجل. لكن انشاق نور الإسلام شكل منعطفاً، ونقلة تاريخية، في مسألة النظر إلى المرأة، وتحديد موقعها ومكانتها في المجتمع الإنساني، إذ أكد الإسلام وحدة النوع الإنساني، وتساوي شقيقه الذكور والإناث في القيمة الإنسانية، وفي مصدر الخلقة وأصل التكوين؛ فيقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (١). ويقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (٢). والخطاب للإنسان - ذكرًا وأنثى - بأن الله تعالى قد خلق من نفس جنسه ونوعه زوجاً تتكامل به حياته.

إن الاصطفاء الإلهي الذي يعني وجود أفراد من البشر يجسدون المبادئ والقيم في حياتهم، ويبلغون مستوى الطهارة والكمال، ويكونون قدوة وهداة لبني الإنسان على امتداد التاريخ، لم يجعله الله تعالى رتبة خاصة بالرجال دون النساء، بل اصطفى عينات من

النساء كـما اصطفى من الرجال، مما يدلّ على قابلية المرأة وأهليتها لأعلى درجات الكمال، وأن تكون في موقع الريادة والقيادة، وفي مستوى التفوق والامتياز على سائر البشر نساءً ورجالاً.

ومن النساء التي مثلت هذا الاصطفاء الإلهي واختارها الله سبحانه وتعالى رمزاً وقدوة للأمة الإسلامية جماعه هي السيدة الزهراء عليها السلام موضوع بحثنا، فإنَّ معها ارتباط (رضاء الله رضاها، وغضب الله غضبها)، يدلّ على عصمتها ونراحتها وكما لها، وأنَّ سلوكها ومارستها، بل وحتى مشاعرها وعواطفها منسجمة مع القيم الإلهية، لا تحيط عنها شعرة؛ وإنَّا كيف يرتبط رضا الله تعالى وغضبه بمن يصحّ عليه الرضا والغضب النابع من الهوى والانفعال؟ ومن الإشكاليات التي تثار حول فاطمة الزهراء عليها السلام هي مسألة النبوة والإمامية. لذلك جاء هذا البحث الموسوم بـ(المرأة والدور القيادي فاطمة الزهراء عليها السلام مرتكزاً)، والذي يهدف إلى تصحيح بعض المفاهيم التي تحفظ السلامة والاستمرار للنمو السوي لكيان العقيدة الإسلامية في المنطقة، لأنَّ صحة الأمة الإسلامية ترتبط باطراد التوسيع الثقافي الذي يحقق المصالح والأهداف المشتركة بين الرجل والمرأة، مع وجود المعادلات الاتجاهية التي تحقق الأثر الإيجابي في الدور القيادي الذي تتحلى به المرأة في المجتمع. وتكون مشكلة البحث فيما تواجهه المرأة المسلمة في هذا الزمن من الصعب من تحديات كبيرة، جعلت أفكارها التي تؤمن بها بكلِّ بساطة موضع اختبار، وعرضت شخصيتها الإسلامية إلى محاولات شتى من التمزيق والتشويه، لذلك كانت الأمة بحاجة إلى وجود نهادج قيادية كالسيدة الزهراء عليها السلام تسير على خطتها في إثبات الحقّ، وردّ الاعتبار الإسلامي وتعديل الانحراف الذي لحق بالشخصية المسلمة في الساحة. وقد اعتمدت في بحثي على المنهج الوصفي الذي لا يخلو من إعطاء وجهة نظر في بعض المواقف.

ومن أجل تحقيق ذلك كله، قسم البحث إلى مقدمة ومبثتين وخاتمة. جاء المبحث الأول (المرأة والعمل القيادي) بثلاثة مطالب: الأول كرس لتعريف مفهوم القيادة في اللغة والاصطلاح؛ أما الثاني فكان عن المرأة المسلمة والمرجعية؛ وكان الثالث عن المرأة والنبوة. أما المبحث الثاني (فاطمة الزهراء عليها السلام ومظاهر القيادة في المجتمع الإسلامي): فقد جاء على مطلبين؛ الأول منها تضمن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مظهراً من مظاهر النبوة، والثاني ذكرت فيه فاطمة الزهراء عليها السلام مظهراً من مظاهر الإمامة.

## المبحث الأول

### المرأة والعمل القيادي

#### المطلب الأول: مفهوم القيادة

يشكّل استعراض مفاهيم الدراسة والتعابير والمصطلحات المرتبطة بالظاهرة موضوعة البحث توسيعًا في غاية الأهمية للتعقّل لاحقًا في تفاصيل الظاهرة وتفاعلاتها وارتباطها، وسيتناول هذا المطلب المفهوم الأساس المتصل بموضوع الدراسة، كالقيادة من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية؛ وهو محاولة لبناء مدخل نظري يمكن عن طريقه التوصل إلى المعنى المطلوب في البحث.

#### القيادة في اللغة:

القيادة مصدر قاد، يقال: قاد الجيش قيادة إذا رأسه ودبّره، والقود في اللغة نقىض السوق، يقال يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها<sup>(٣)</sup>. وفي هذا المعنى اللغوي إشارة لطيفة مفادها أنَّ المكان الطبيعي للقائد هو المقدمة ليكون دليلاً لجماعته وأمّته إلى الخير، ومرشدًا لهم إلى الصواب، وقدوة في التزامه وسلوكه وتميذه.

#### القيادة في الاصطلاح:

يعاني مفهوم القيادة من غياب تعريف متّفق عليه من أغلبية الباحثين والممارسين، وذلك بسبب تباين منطلقاتهم الفكرية والإدارية؛ أي إنَّ لكلَّ منهم زاوية ينظر عن طريقها إلى القيادة، وهي تتأثر بالاتجاه الذي ينحاز إليه كلَّ منهم والبيئة التي عاش فيها. لذلك ستتطرق إلى تعريف القيادة بشكل عام، والمرأة القيادية بشكل خاص.

فقد عرفها الصغير: «هي الجهة الإنسانية التي تصدر القرار في الحياة السياسية والاجتماعية والدولية وشئون الحياة العامة؛ وهذه الجهة هي التي تحمل مسؤولية هذا القرار سلباً وإيجاباً»<sup>(٤)</sup>.

إنَّ الصيغ في هذه التعاريف واضحة الأبعاد لدى العرب والمسلمين، سواءً أكان القرار سياسياً أم اجتماعياً، داخلياً أم خارجياً، جزئياً أم كلياً لتنظيم حياة الناس والدولة.

إذن تتمثل عناصر القيادة التي أجمعـت عليها أغلب التعاريف: القائد بسماته وسلوكـه، الجماعة بخصائصـها، الموقف أو الظروف التي تمـ فيها القيادة، ثم عملية التفاعل بين العناصر الثلاثة السابقة، التأثير غير القسري الذي يمارسـه القائد على الجماعة، وأخيراً الأهداف التي تسعىـ الجماعة والقائد إلى تحقيقـها<sup>(٥)</sup>.

بناء على ذلك، يمكن تعريف القيادة: هي تأثير غير قسري للسلوك الذي يمارسـه فرد معين (القائد) على جماعة (مرؤوسـين) نتيجة التفاعل بين خصائصـ كل من القائد، الجماعة والظروف التي تتمـ فيها القيادة بهدف تحقيقـ أهدافـ الجماعة.

أمـا المرأة القيادية: وهي صاحبة المنصب العالـي الذي يخولـ لها القدرة على اتخاذ القرارات وإعطاء الأوامر، نجدهـا في مختلف القطاعـات (قطاعـ الخدمات، الأمـن، القضاء\* الصحة...)<sup>(٦)</sup>.

لقد شاركت المرأة، في كثيرـ من بلدان العالم الإسلامي، مشاركة واسعة في المجالـس التشريعـية (البرلمـان)، ومارست التدريسـ في المدارس والجامعـات، وتولـت إدارتها، كما مارست الطبـابة والتمريضـ في المستشفـيات، ومارست التمثيلـ الدبلومـاسي، وتولـت شئونـ الأمـن، ودخلـت الصحـافة والإعلامـ والسينـما والمسرحـ، ومارست أدوارـ كبيرة في

العمل الإعلامي والسياسي والفنى والعلمى والرياضى والدبلوماسى؛ وكان الرأى الفقهي في هذه المسألة، يتراوح بين السلب والإيجاب. وقد حاولت في هذا البحث، إلقاء نظرة فقهية على هذه المسألة في فعلين: المرجعية والنبوة، وليكون مقدمة في الدخول لمترنّز هذا البحث -السيدة فاطمة الزهراء<sup>عليها السلام</sup>- تلك المرأة القيادية، والتي تمثّلت في حياتها كلّ جوانب الشريعة، لأنّها نموذج صادق وحاكيًّا عن شخصية أبيها الرسول الأكرم محمد<sup>صلوات الله عليه وآله وسلامه</sup> قولاًً وفعلاًً و موقفاًً، فلذا تقدّلت الوسام النبوى للسيدة، وتشعبت كينونتها بهذا الفيض النبوى، فما نطقت إلا بكتاب الله تعالى، ولا عملت إلا بسنة نبيه<sup>ص</sup>. وهذا ما سنحاول أيضًا عن طريق المبحث الثاني من هذا البحث.

### **المطلب الثاني: المرأة والمرجعية الدينية**

إنَّ مصطلح المرجعية الدينية أخذ شكله الواضح في عصر الغيبة، وذلك بعد أن انقطع الاتصال بالإمام<sup>عليه السلام</sup>، فكان التواصل مع شيعته عن طريق السفراء الأربع فقط؛ ثم بعد ذلك، قطع الاتصال مع الإمام<sup>عليه السلام</sup> فتصدّى الفقهاء لقيادة الأمة. ولكنَّ هذا لا يعني عدم وجود جذور لهذا النوع من القيادة قبل عصر الغيبة، بل كان هناك نوع من المرجعية عند بعض الفقهاء في عصر الأئمة<sup>عليهم السلام</sup>. فقد كان الشيعة يرجعون إلى فقهاء بلادهم بإرشاد من الأئمة<sup>عليهم السلام</sup>(٧). بعد هذا التعرّيف البسيط عن المرجعية الدينية يطرح السؤال: هل يجوز تصديّي المرأة لمنصب المرجعية فيجوز تقليلها؟ وهل اشترطت الرجولة في المقلّد؟

في الحقيقة، ناقش العلماء والفقهاء مسألة أهلية المرأة للتصدّي للمرجعية والتقليل، بأن يعتمد الآخرون على فتواها، وتصبح مرجعية دينية توُّخذ منها الأحكام الشرعية. والرأى السائد لدى الفقهاء كما يذكرون في رسائلهم العملية، هو عدم جواز تقليل المرأة، وإن اجتمعت فيها كلُّ الشروط والمواصفات، على أساس أنَّ الذكرورة شرط في المرجعية.

أما البعض الآخر فذهب إلى مقوله رائحة بين الفقهاء، مفادها أنّ الفقيه لا يفهم بعض مسائل الحجّ حتّى يحجّ، وعلى ضوء هذه المقوله، يفسر بعضهم صعوبة الإفتاء في مسائل الدماء الثلاثة (الحيض والاستحاضة والنفاس). وعلى الرغم من تضييق دائرة المشكلة بهذه الحدود، إلا أنه يمكن من توسيع دائرة التعقيد إلى مسائل المرأة جميعها<sup>(١)</sup>.

وبهذا الشأن يقول أحد الباحثين: «لا بدّ للفقيه من إشراك المرأة الفقهية في البحث الفقهي، وفي عملية تفسير النصوص المتعلقة بالمرأة، وللعمور على ما بين السطور مما يتعلق بها، ومن دون هذه المشاركة لن يكون لها أي نصيب في التغلب على هذه التبعية للرجل وكونها نصف الرجل لا أكثر»<sup>(٨)</sup>. ويقول أيضاً في موضع آخر: «ويبدو لي أن الوضع لم يكن كذلك في صدر الإسلام، فكثيراً ما كانت المرأة تسأل رسول الله ﷺ عن كثير من الأحكام المتعلقة بالطهارة وغيرها؛ بل إنّ نساء النبي ﷺ كنّ في كثير من الأحيان نقلة وشارحات لكلمات النبي ﷺ وما يوحى إليه»<sup>(٩)</sup>.

ويوجد مثال آخر، يكشف عن الفرق بين حضور المرأة وغيابها: يفتني عدد من الفقهاء باشتراط الذكورة في مرجع التقليد ويستندون في هذه الفتوى إلى أنّ روح الشريعة والذوق الفقهي يقتضيان ضرورة التزامها بيتها وتحرزها من الاختلاط بالرجال، فيقول السيد أبو القاسم الخوئي: «والصحيح أن المقلّد يعتبر فيه الرجولة، ولا يسوغ تقليد المرأة بوجهه، وذلك لأنّا قد استفدنا من مذاق الشارع أنّ الوظيفة المرغوبة من النساء إنما هي التحجب والتستر، وتصدي الأمور البيتية، دون التدخل في ما ينافي تلك الأمور ومن الظاهر أنّ

(١) الشؤون الفكرية: يردّ على هذا الكلام بأنّ الفقيه أشار إلى التلبّس الفعلي بالشيء في بعض القضايا الجزئية حتى يحيط بالحكم الشرعي، إن لم يوجد نصّ شرعي بذلك. فلا يمكن تعليم «دائرة التعقيد إلى مسائل المرأة جميعها» وفق تعبير الكاتبة، لأنّ الأحكام الشرعية لم تترك شاردة ولا واردة إلا ذكرتها نصّاً أو إشارة.

التصدي للإفتاء -بحسب العادة- جعل للنفس في معرض الرجولة والسؤال ... ولا يرضي الشارع بذلك»(١٠).

ولكتنا نجد إحدى الباحثات تحلّل الموضوع بشكل مختلف: «يقولون إنّ ذوق الشارع يقتضي تحريز المرأة من الاختلاط بالرجال؛ ولذلك لا يحقّ لها تسنّم منصب الإفتاء والمرجعية، وهذا الذوق المُكتشف للشريعة هو الذي يقيّد الأدلة المطلقة التي لا تميّز بين الرجل والمرأة في جواز رجوع الجاهم إلى العالم. ولكنّ السؤال هو، هل هذا مقيد؟ من الواضح أنّه لا يصلح للتقييد والمنع من تقليد المرأة. وأضرب مثلاً لتوضيح هذا التصور: لو أنّ امرأة درست الطبّ وصارت من أكثر الناس خبرة فيه، فهل يحرم على الرجال الرجوع إليها لمعالجة أمراضهم؟! من الواضح أنّه لا يحرم، بل يجب عليهم الرجوع إليها. ومن هنا أقول: لو صارت المرأة فقيحة فما المشكلة في تصدّيّها للمرجعية؟! وما المشكلة في رجوع الناس إليها رجالاً ونساءً؟! وإذا كان العائق هو الاختلاط، فإنّ وسائل الناس المعاصرة حلّت هذه المشكلة، فمن الميسور جداً للمرأة أن تتصل بمن تشاء دون أيّ اختلاط؛ ولذلك أقول: لو أنّ امرأة حازت على شرائط المرجعية يجوز تقليدها والرجوع إليها، على الأقل تقليد النساء لها، وقد نقل التاريخ بعض النهازج في هذا المجال»(١١). والغرض من طرح هذا الأمر، هو بيان أنّ المرأة قادرة على الوصول إلى أعلى المراتب العلمية، وقد مهدّ الدين لها السبيل، ولكن ما يحول بينها وبين ذلك، هو مذاقنا وتصوّرنا الخاص عن المرأة والدين.

ويذهب في الاتجاه نفسه السيد محمد حسين فضل الله فيرى أنّ: «القواعد الأصولية لا تمنع من أن يرجع إلى المرأة في الأحكام الشرعية، إذا كانت على مستوى عالٍ من الاجتهاد والعدالة؛ وكانت الأعلم بين الفقهاء، إذا اشتربطنا الأعلمية؛ أو كنت مجتهدة بين المجتهدين،

لأنّ قضية التقليد ليست من القضايا الشرعية، كي تحتاج إلى نص شرعي، بل هي قضية عقلائية»(١٢).

لكنّ المشاع بين المسلمين، أنّ المرأة لا تصلح أن تتبواً مراكز عالية، سواء في المجال الديني أو الاجتماعي، سياسياً كان أم غيره، بل ذهبوا إلى حرمة ذلك مستندين في ذلك على بعض الروايات منها:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: اتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر وإن أمرنكم بالمعروف فخالفوهن كيلا يطمعن منكم في المنكر»(١٣).

وعن البارق عليه السلام عن آبائه في وصية النبي عليه السلام قال: «يا علي: ليس على النساء جمعة ولا جماعة، ولا أذان ولا إقامة، ولا عيادة مريض ولا اتباع جنازة، ولا هرولة بين الصفاء والمروءة ، ولا استلام الحجر، ولا حلق ، ولا تولى القضاء، ولا تستشار، ولا تذهب إلا عند الضرورة، ولا تجهر بالتلبية، ولا تقيم عند قبر، ولا تسمع الخطبة، ولا تتولى التزويج بنفسها، ولا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه، فإن خرجت بغير إذنه لعنها الله وجبرئيل وMicahiel ، ولا تعطى من بيت زوجها شيئاً إلا بإذنه...»(١٤).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى الحسن عليه السلام إياك ومشاورة النساء فإن رأيْن إلى أفن، وعزمْهُن إلى وهن، واكتفِ عَلَيْهِنْ من أبصارهُنْ بحجابك إياهُنْ فإن شدة الحجاب خير لك ولهن من الارتياب، وليس خروجهن بأشدّ من دخول من لا يوثق به علَيْهِنْ، فإن استطعت أن لا يعرِفَ غيرك من الرجال فافعل»(١٥).

وعن البارق عليه السلام: «إن المرأة لا تولى القضاء ولا تولى الإمارة»(١٦).

في الحقيقة، توجد طائفة أخرى من الروايات من هذا المنوال، لكن لا يمكن الاستناد إليها دليلاً، ويمكن الاستفادة منها في التأييد، والحكم فيها حكم تكليفي، والقدر المتيقن منه الكراهة بقرينة السياق، ولا يفهم منه حكم وضعي، بمعنى اشتراط الذكرة في القضاء والأمراء، والرؤوية الإجمالية للأدلة قد تختلف عن الرؤية التفصيلية(١٧).

وقد يقال من مصلحة المرأة عدم تولي القضاء، وذلك لما يغلب عليها جانب العاطفة ورقة الإحساس والانفعال السريع، فربما تحيد بها تلك الصفات عن تطبيق العدل أو الإحجام عنه نهائياً، وإذا كان لا بدّ من توليهما القضاء فلا بدّ أن يكون في غير الحدود والدماء، لأنّ التولي أو الخطأ فيها يؤدي إلى فساد كبير وضياع حقوق كثيرة(١٨).

ومن المعلوم أنّ منصب الإفتاء والمرجعية العامة هو أرقى وأعلى من منصب القضاء، وأن القضاء حكم شخصي بين اثنين أو بين جماعة رفعاً للتنازع، والفتوى من المرجع هي حكم كلي ينطلي به عامة المسلمين، بالإضافة إلى قيادة الأمة التي يقوم بها المرجع، فإذا ثبتت الرجولة في باب القضاء كانت الرجولة معتبرة في باب المرجعية بطريق أولى(١٩).

في الحقيقة، ثمة خلط في بعض المصنفات الفقهية، عبر حشد معطيات فقهية كثيرة، آخذين هذا الحشد بنصوصه الدينية أخذ المسلمات، من دون تفكيرك معطياته كلاماً على حدّه، وهذا ما أوجب في بعض الموضوعات التباساً هائلاً، بل أوجب التورط في ما يشبه القياس من دون دراسة متأنية، فقد اتخذوا من القضاء والشهادة والإمامية ... وغيرها، عناصر ردع فقهي للمرأة عن مجالات أخرى، فلا يصح إرسال المسلمات والتمسك في كلّ محور بالمحور الآخر، والاتكاء على نصوص ضعيفة سندًا، وبعضها ضعيف دلالة، لتعيم أحکام في مجالات مختلفة، يسُوَّغ ذلك كله الارتياح النفسي المنبع من موافقة المشهور عند المتأخرین (٢٠).

وعلى سبيل الختم: يوجد رؤيتان متبaitan بين الفقهاء حول مرجعية المرأة، أحدهما موافقة والأخرى مخالفة، لكنَّ الخلاف بينهما ليس خلافاً نظرياً وواقعاً، لأنَّ كُلَّ واحدة من هاتين الرؤيتين فسّرت المرجعية بتفسير مغاير لآخر، وفي النتيجة يمكن القول: إذا أريد بالمرجعية التصدّي لمقام الإفتاء وبيان الأحكام الشرعية وحسب، فلا أحد من الفقهاء يرفض مرجعية المرأة، وإنْ قصد بها -فضلاً عن الإفتاء- معنى مشتملاً على نحوِ من الرعامة وحق التدخل المحدود أو الواسع في الأمور الولائية، يوافق أساساً على مثل هذه المرجعية (٢١).

وبناءً عليه، فتصدّي المرأة الجامحة لسائر شرائط الإفتاء، للمرجعية الإفتائية، جائز لا محذور فيه، وتقليلها كذلك، على أن لا يلزم أي محذور شرعي آخر.

وينبغي التذكير أن عدم تصديها عملياً مثل هذا المنصب لا يجرّ منها الكثير، بل قد يكون ذلك رأفة بها ورحمة؛ إذ إنَّ المرجعية مسؤولية عظيمة تحتاج إلىبذل جهد وتعب من ناحية، وإلى وقت معتدّ به من ناحية أخرى. نعم، قد يقال إن وصلت إلى الاجتهاد، فلها أن تتصدّي إلى المرجعية في باب أحكام النساء إذا لم يكن في المعرض العام، بناء على جواز تقليل المجتهد المجنزاً، وهذا الموضوع يحتاج إلى بحث واستدلال عميق يصلح أن يكون موضوع بحث مستقل.

### المطلب الثالث: المرأة والنبوة

قبل بيان رؤية الإسلام حول نبوة المرأة، لا بد لنا بدايةً من الإشارة إلى نقطتين بشأن مفهوم النبوة والفرق بينهما وبين الرسالة.

النقطة الأولى: إن المفسّرين لم يتفقوا على رأي واحد في باب معيار التمايز بين المفهومين؛ فذهب بعضهم إلى اتحادهما في المفهوم، على الرغم من أنّ أغلبهم وافق على التمايز بينهما، معداً النبوة أعمّ من الرسالة(٢٢).

وفي هذا الإطار، يرى البعض أنّ معيار التمايز بين النبي والرسول أنّ مفهوم الرسالة قد أخذ فيه قيد التبليغ بالرسالة الإلهية، في حين لم يؤخذ هذا القيد على النبي، على أنّ الطباطبائي رفض هذا التمايز، رفض هذا الرأي استناداً إلى عدد من الآيات القرآنية، ذاهباً إلى أنّ المعيار في التمايز بين المفهومين هو محتوى الرسالة الإلهية، ببيان أنّ النبي بعث لينبئ الناس بما عنده من نبأ الغيب، والرسول هو الحامل لرسالة خاصة مشتملة على إثبات حجّة، يستتبع مخالفته هلاكة أو عذاباً(٢٣).

النقطة الثانية: إنّ فعل الإرسال بحسب قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا ذَاتَمَّنَى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمُّنِيهِ﴾ (٢٤)، لا يختص بالرسل، بل ورد في الأنبياء أيضاً، وقد استشهد الطباطبائي بهذه الآية على كُلّ من النبي والرسول مرسل من الله تعالى إلى الناس، وإن اختلف محتوى الرسالة(٢٥). إذ إنّه لا يستفاد من هذه الآية أكثر من أنّ النبي يكون مرسلاً من الله جلّ وعلا، لأنّ كُلّنبي مبعوث من قبل الله تعالى حتّماً، ويمكن التدليل على هذه الرؤية بشواهد من الروايات الصحيحة، إذ قرأ أمّة أهل البيت للّٰه هذه الآية بعد إضافة كلمة «مَحَدَّث» إليها(٢٦).

في الحقيقة أنّ الروايات المأثورة عند الشيعة تسالت على أن التحديث، أي سماع صوت الملائكة دون مشاهدتهم، قد طبق على أفراد لم يكونوا من الأنبياء جزماً (كالأئمة المعصومين للّٰه، والسيدة الزهراء للّٰه، ويوشع بن نون، وأصفف بن برخيا، وذي القرنين(٢٧).

ومن كلّ ما تقدم: وبقطع النظر عن احتمال كون إرسال النبي والمحّدث إرسالاً مجازياً، نستنتج أنّها قد يكونان مرسلين إلى الناس من قبل الله تعالى، لا أنّها مرسلان منه دائماً.

ونعود إلى صلب الموضوع، أي نبوة المرأة من منظور إسلامي؛ في الحقيقة ذهب أغلب علماء المسلمين إلى أنّ المرأة لم تبلغ النبوة مطلقاً. وفي المقابل، قال بعضهم كالقرطبي وابن حزم وابن حجر بنبوة بعض النساء، والسيدة مريم على وجه الخصوص، لكنّ المهم في المسألة بحث أدلة المواقفين والمخالفين، مع العلم أنّ مراجعة تلك الأدلة تثبت عدم وجود دليل متيقن وبرهان قوي على أي من القولين (٢٨).

ومن أهم الأدلة التي تمسك بها الموافقون من الآيات والروايات هي:

آيات من القرآن ذكرت حديث الملائكة إلى بعض كبار النساء نحو مريم وسارة (٨)، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمٍ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٢٩)

آية اصطفاء السيدة مريم من بين نساء العالمين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَظَاهَرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٠).

الروايات التي بيّنت صفات الأنبياء ومراتبهم واختلافهم عن الرسل من دون الإشارة إلى قيد الرجولة.

الروايات التي دلت على كمال بعض النساء (٣١).

الكلمات المقتبسة من كتب العهددين التي عبرت عن بعض النساء بلفظ «نبيّة» (٣٢).

وقد ناقش بعض الباحثين هذه الأدلة فيذكرون أن الروايات الصحيحة أكدت نمطاً آخر من الارتباط بين الإنسان والملائكة تحت عنوان «المحدث» يتبيّن أنّ حديث الملائكة إلى السيدة مريم عليها السلام وغيرها من النساء لا يعُد شاهداً على نبوتها، ومن الجدير بالذكر أنّ بعض الروايات التي أشارت إلى سبب تلقيب فاطمة عليها السلام بـ«المحدثة». ذكرت أنّ الملائكة كانت تهبط عليها وتتناديها بنداء السيدة مريم عليها السلام، أي النداء الحاكي عن اصطفائها من بين نساء العالمين. فروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّمَا سُمِّيَتْ فاطمة مُحَدَّثَةً لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَهْبَطُ مِنَ السَّمَاوَاتِ فَتَنَادِيهَا كَمَا تَنَادِي مَرِيمَ بْنَتَ عُمَرَانَ، فَتَقُولُ: «يَا فَاطِمَةُ، إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكَ وَطَهَرَكَ وَاصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، يَا فَاطِمَةُ، اقْتَنِي لِرَبِّكَ وَاسْجُدْيِي وَارْكِعْيِي مَعَ الرَّاكِعِينَ»). (٣٣).

ومن القضايا الإشكالية المطروحة في المقام، أنّه لماذا كان اختيار الأنبياء من الذكور؟ إذ لم نجد امرأة واحدة اختيرت لمقام النبوة، ما قد يرى دليلاً أو مؤشراً على أنّ المرأة غير مؤهلة لهذا المقام، ويرى فيه آخرون ظلماً وتهميشاً للمرأة من قبل الدين نفسه، ويعلّق على ذلك الكاتب حسين الخشن\* فيقول: «إنّ عدم إرسالنبي من صنف النساء ليس مردّه إلى قصور المرأة عن بلوغ هذه الرتبة، بل مردّه إلى سبب آخر، وهو أن المجتمعات البشرية في الأزمنة الغابرة كانت مجتمعات ذكورية ولم تكن لتقبل أن يكون النبي من النساء». (٣٤).

فضلاً عن: أنّ النسوة في ذلك الوقت مقتنعتات بذلك. فقد حدثنا القرآن الكريم أنّ امرأة عمران نذرت ما في بطنه لله تعالى، وكانت تقدر أنه سيكون ذكراً، لأنّ المرأة لا تصلح -في نظر اليهود- لخدمة المعبد والقيام بمهمة الإرشاد الديني، وهذا فإنّ هذه المرأة الطاهرة الجليلة لم تستوعب أن ترى مولودة أنثى فتوجهت إلى الله تعالى توجهاً لا يخلو من ذهول وحسرة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعْتُهَا قَالَ رَبِّي إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ﴾.

وَلَيْسَ الدَّكَرُ كَالْأَنْثى» (٣٥). فـكـانـ الأنـثـى لـيـسـ مؤـهـلاـ لـلـقـيـامـ بـالـمـهـاـمـ الـدـيـنـيـةـ. وـأـمـاـ ذـهـنـيـةـ ذـكـورـيـةـ مـسـتـحـكـمـةـ إـلـىـ هـذـاـ الحـدـ، كـانـ مـقـتـضـىـ الـحـكـمـ الـإـلهـيـةـ أـنـ تـتـمـ مـرـاعـاـتـ هـذـاـ الـأـمـرـ، نـزـعـاـ للـذـرـائـعـ وـإـقـامـةـ لـلـحـجـةـ عـلـىـ الـعـبـادـ» (٣٦).

وـعـلـىـ هـذـاـ الـأـسـاسـ، وـانـطـلـاقـاـ مـنـ اـنـتـفـاءـ اـحـتـيـالـ الـنـبـوـةـ بـحـقـهـاـ، فـلاـ مـكـالـمـةـ الـمـلـائـكـةـ لـلـسـيـدةـ مـرـيمـ (عـلـيـهـ السـلـامـ)، وـلـاـ اـصـطـفـائـهـاـ، وـلـاـ مـفـهـومـ الـكـمـالـ يـتـلـازـمـ مـعـ الـنـبـوـةـ، وـأـبـرـزـ شـاهـدـ عـلـىـ هـذـاـ الـمـدـعـىـ وـجـودـ أـنـاسـ بـلـغـواـ أـقـصـىـ مـرـاحـلـ الـكـمـالـ، وـهـمـ الـأـئـمـةـ الـمـعـصـومـينـ (عـلـيـهـ السـلـامـ)، وـلـمـ يـكـونـواـ أـنـبـيـاءـ. أـمـاـ التـعـابـيرـ الـوـارـدـةـ فـيـ الـكـتـبـ الـمـقـدـسـةـ «ـنـبـيـةـ»ـ، فـمـنـ الـمـحـتمـلـ أـنـ تـكـوـنـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ فـيـ هـذـهـ الـكـتـبـ مـعـاـدـلـةـ لـكـلـمـةـ «ـمـحـدـثـةـ»ـ فـيـ الـرـوـاـيـاتـ الـإـسـلـامـيـةـ» (٣٧).

فـيـ الـحـقـيقـةـ أـنـ الرـؤـيـةـ الـإـسـلـامـيـةـ الـمـتـمـيـزةـ لـلـمـرـأـةـ، وـالـتـيـ تـقـوـمـ الـمـرـأـةـ عـنـ طـرـيـقـ إـنـسـانـيـتـهـاـ وـإـنـجـازـاتـهـاـ، وـلـاـ تـعـدـ أـنـوـثـاـتـهـاـ مـعـوـقاـ، وـلـاـ نـقـطةـ ضـعـفـ تـقـعـدـ بـهـاـ عـنـ بـلـوغـ أيـ مـسـتـوـيـ منـ التـقـدـمـ وـالـكـمـالـ...ـ هـذـهـ الرـؤـيـةـ دـفـعـتـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ إـلـىـ النـقـاشـ حـولـ مـوـضـوعـ نـبـوـةـ الـمـرـأـةـ، وـأـنـهـ لـاـ مـانـعـ مـنـ أـنـ يـمـنـحـ اللـهـ تـعـالـىـ رـتـبـةـ الـنـبـوـةـ لـبـعـضـ النـسـاءـ؛ـ فـمـنـ النـاـحـيـةـ الـعـقـلـيـةـ حـينـ يـبـحـثـ الـعـلـمـاءـ الـكـلـامـ وـالـصـفـاتـ الـتـيـ يـجـبـ أـنـ تـتوـافـرـ فـيـ النـبـيـ (صـلـيـلـهـ السـلـامـ عـلـيـهـ)ـ،ـ فـإـنـمـاـ لـاـ يـعـدـونـ الـذـكـورـةـ شـرـطاـ،ـ إـذـ لـاـ يـمـتـنـعـ عـقـلاـ أـنـ تـكـوـنـ الـمـرـأـةـ نـبـيـةـ،ـ وـإـذـ كـانـتـ هـنـاكـ آـيـاتـ فـيـ الـقـرـآنـ تـقـيـدـ أـنـهـ مـنـ النـاـحـيـةـ الـفـعـلـيـةـ كـانـ الرـسـلـ رـجـالـاـ كـقـوـلـهـ تـعـالـىـ:ـ «ـوـمـاـ أـرـسـلـنـاـ مـنـ قـبـلـكـ إـلـاـ رـجـالـاـ نـوـحـيـ إـلـيـهـمـ» (٣٨).

فـقـدـ ذـكـرـ ابنـ عـاشـورـ فـيـ تـفـسـيرـهـ:ـ وـالـرـجـالـ:ـ اـسـمـ جـامـدـ لـاـ مـفـهـومـ لـهـ.ـ وـأـطـلـقـ هـنـاـ مـرـادـ بـهـ أـنـاسـاـ كـقـوـلـهـ (صـلـيـلـهـ السـلـامـ عـلـيـهـ):ـ «ـوـرـجـلـ ذـكـرـ اللـهـ خـالـيـاـ فـخـاطـرـتـ عـيـنـاهـ»ـ أـيـ إـنـسـانـ أوـ شـخـصـ،ـ فـلـيـسـ المـرـادـ الـاحـتـراـزـ عـنـ الـمـرـأـةـ» (٤٠)ـ.

ويؤيد ذلك حسن موسى الصفار\* فيرى: «أنّ ما ورد في القرآن من استعمال كلمة (رجل) بمعنى إنسان كقوله تعالى: ﴿ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبِينَ فِي جَوْفِهِ﴾ (٤١)، وقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَظَاهِرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُضَهِّرِينَ﴾ (٤٢).. وغيرها. فإنّ المقصود هنا بالرجال ليس الذكور في مقابل الإناث كما هو واضح» (٤٣).

ومن هذا المنطلق، يبدو أنّ الرأي النافي لنبوة المرأة أيضاً غير مستند إلى دليل رصين، سوى في الموارد التي يعدّ النبي حاملاً لرسالة من الله إلى الناس، فيبقى تحتمال نبوة المرأة قائماً في مرد النبوة المحضة، التي تقتصر على الارتباط الوحياني بين الله تعالى والنبيّ، وقد صرّح بهذه النقطة بعض المفكرين المعاصرين (٤٤).

وبناءً على ذلك، فحتى عند ثبوت شواهد تاريخية مؤكدة نبوة بعض النساء في الأمم الغابرة، فإنّها لا تثبت أكثر من النبوة المحضة للمرأة، وأما النبوة المقرّونة بالرسالة الإلهية فمختصة بالرجال.

## المبحث الثاني:

### فاطمة الزهراء ومظاهر القيادة في المجتمع الإسلامي

**المطلب الأول: فاطمة الزهراء مظاهر من مظاهر النبوة.**

ورثت السيدة فاطمة عليها السلام أبعاد شخصية أبيها النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه على المستويات كافة، أخلاقاً وسلوكاً وسيرة / حتى آنه صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «فاطمة بضعة مني» (٤٥)، أي بضعيته النبوية والأخلاقية؟ فقد ورد عن عائشة قالت: «ما رأيت أحداً من خلق الله أشبهه حديثاً وكلاماً برسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه. وكانت إذا دخلتأخذ بيدها فقبلتها ورحب بها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه ورحت به وأخذت بيده فقبلتها» (٤٦). فقامت بينهما وشائع أبوية فائقة للوصف، كان خلالها يغذيها بالسجايا النبوية العظيمة حتى أصبحت جزءاً من البناء النبوي المقدس (٤٧).

والشواهد القرآنية التي قرنت فيها الزهراء عليها السلام بالرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه في ذكر مناقب عدّة، منها:

العصمة والطهارة: وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٤٨). أجمع المفسرون أن الآية نزلت في رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وعلى الزهراء وعلى الحسن والحسين.:

النورانية: كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ مِصْبَاحٌ فِي زُجَاجَةِ الزُّجَاجَةِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةِ مُبَارَكَةٍ﴾ (٤٩). الطاعة: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ﴾ (٥٠).

الحجية: في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِيْنَ﴾ (٥١). إذ تدل آية المباهلة على الاحتجاج بالزهراء عليها السلام مقروناً بإحتجاج النبي صلوات الله عليه، فقد أجمع المفسرون على أن الذين صح بهم الرسول لمباهلة نصارى نجران هم أهل بيته الطاهرون (عليه وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم).

وعليه، فإن هذه الأدلة تثبت لها مجموعة من المقامات الإلهية في سياق إثباتها للنبي صلوات الله عليه.

لقد كان حسّ المسؤولية عند السيدة الزهراء عليها السلام عالياً جداً، إذ كانت تحمل مسؤولية الأمة جماء. يقول الإمام الخامنئي في هذا الإطار: «قامت فاطمة الطاهرة (سلام الله عليها) بدور قائد حقيقي؛ كما قال إمامنا الخميني الجليل: «لو كانت الزهراء رجلاً لكان نبياً» (٥٢).

ولكن على الرغم من ذلك فإن النبوة مختصة بشخص النبي صلوات الله عليه، كما ورد في حديث الرمانتين الذي ذكر في بحار الأنوار، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر رض يقول: «نزل جبريل على رسول الله صلوات الله عليه برمانتين من الجنة فأعطاه إياهما فأكل واحدة وكسر الأخرى بنصفين، فأعطي علياً عليه السلام نصفها فأكلها، فقال: يا علي أما الرمانة الأولى التي أكلتها فالنبوة، ليس لك فيها شيء، وأما الأخرى فهو العلم فأنت شريكي فيه» (٥٣). وقال المجلسي: «لعل المراد أن إحدى الرمانتين بإزار النبوة والأخرى بإزار العلم ويحتمل أن يكون لأحد هما مدخل في تقوية النبوة، والأخرى في تقوية العلم» (٥٤).

في الحقيقة أن أهم فائدة من هذا الحديث هو بيان الفرق بين ما اختص به النبي صلوات الله عليه ولم يشاركه الأئمة عليهم السلام فيه. كما أن الرواية بتمثيلها بالرمانتين تنص على أن الرسول صلوات الله عليه مستوعب لمقامي النبوة والإمامية، وأما الأئمة: فيفارقه على صعيد مقام النبوة ويتفرقون معه في تسليم الضوء على مقام الولاية والإمامية المطلقة (٥٥).

ومن كُلّ ما تقدّم: فعلى صعيد النبوة فلم يتوهم أحد بنبوة فاطمة الزهراء عليها السلام، وأمّا على صعيد الإمامة، فهذه المسألة تحتاج إلى تحليل علمي كي نقف على فهمها بشكل قاطع، وهذا ما نحاول الوقوف عليه عن طريق المطلب الثاني من هذا البحث.

### المطلب الثاني: فاطمة الزهراء عليها السلام مظہر من مظاهر الإمامة.

في البداية، نود أن نشير إلى ملاحظة في غاية الأهمية، وهي أنّ الإمامة تنقسم إلى (الإمامية التنفيذية، والإمامية المقامية)، ويقصد بالإمامية التنفيذية: مسؤولية المرجعية الحركية والسلطة الظاهرية التي تشمل التبليغ والحكم السياسي والقضاء بين الخصوم... وغيرها من الوظائف الإجرائية. أما الإمامة المقامية: فهي في اصطلاح أهل المعرفة نظرية الاستخلاف للإنسان لاحتوائه على ملكات معرفية وفضائل أخلاقية نورانية تمكّنه من تمثيل الله تبارك وتعالى في أرضه، وهو معنى نظرية الأسماء الإلهية عند العرفان، والتي عبر عنها القرآن الكريم بعنوان الخليفة. ومن الواضح أنّ الإمامة بالمعنى الأول لا تُناسب إلى فاطمة الزهراء عليها السلام باعتبار الخصائص الأنثوية فيها؛ أما في المعنى الثاني فتساوی فيه فاطمة الزهراء عليها السلام مع الأئمة المعصومين (٥٦). فيجب علينا التمييز بين الإمامة التنفيذية والإمامية المقامية، ولا نخلط بينهما.

ورد في حديث الكسأء، وهو الحديث القدسي المروي عن سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام أنّ الأمين جبرائيل قال: يا ربّ، ومن تحت الكسأء؟ فقال عزّ وجلّ: «هم أهل بيته، ومعدن الرسالة هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها» (٥٧). ورد في حديث الكسأء إثبات لمقام فاطمة عليها السلام، وبيان أنّ الله عرف لجبرائيل من لأجلهم خلقت العوالم بقوله: هم أهل بيته، ومعدن الرسالة، ثم عرّف أهل البيت عليها السلام قائلاً: هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها.

فأثبتت لفاطمة المقام في سياق الإثبات للنبي ﷺ مع تقدير حفظ اسمها. هذا الأسلوب غير معروف وغير مسبوق؛ إذ إنّ المعروف يعرف بالأفضل والأشرف، فلمَ غير الله عزّ وجلّ طريقة التعريف بفاطمة ؓ مع التسليم بأنّها تلحق أباها ﷺ ولا تسبقه. ويمكن القول بأن الابتداء بفاطمة ؓ لا يغاير الابتداء برسول الله ﷺ، بل الابتداء بها ابتداء بأشرف جوانب وأبعاد النبي ﷺ فهي روحه وقلبه، فإنّ الرسول ﷺ حينما عرف فاطمة قال: «هي بضعة مني وروحني التي بين جنبي» (٥٨).

هذا من جانب، إما من جانب آخر فإنه يثبت لفاطمة الزهراء ؓ أبعاد الإمامة، وتتمثل في كونها نبع الإمامة والأئمة، وأهم أبعاد الإمامة في مدرسة أهل البيت ؓ كالآتي (٥٩):

**البعد الأول:** الاختطفاء من قبل الله تعالى. فقد دلّت الروايات على بعد الاختطفاء فيها ؓ روایات الحوراء الإنسية، فعن النبي ﷺ أنه قال: «فاطمة حوراء إنسية، فكلّما اشترت إلى رائحة الجنة شمتت رائحة ابنتي فاطمة» (٦٠).

**البعد الثاني:** امتداد مهام الرسالة من الرسول ﷺ إلى الإمام، دلّ على بعد الامتداد روایات البضعة، فقد قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني» (٦١).

**البعد الثالث:** بلوغ الإمام الكمال في صفات العلم وصفات العمل. دلّ على ذلك روایات التشبيه بينها وبين رسول الله ﷺ.

**البعد الرابع:** الولاية العامة والتصدّي للشّؤون كافة. دلّ على بعد الولاية والطاعة، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «إنّ الله يغضّب لغصّبها ويرضى لرضاها» (٦٢).

**البعد الخامس:** وجوب مودته وتقديسه بنحو خاص. دل على وجوب مودتها عليه السلام، هو قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى﴾ (٦٣).

**البعد السادس:** تمثيل الخلافة الإلهية على الأرض. دل على بعد التمثيل لخلافة الله في الأرض رواية سبقتها إلى الجنة، فقد قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «أول شخص يدخل الجنة فاطمة» (٦٤).

إذن كل تلك الأبعاد في الروايات دلت على توافرها في الزهراء البتول عليها السلام.

ويبقى بعد واحد، وهو **البعد الاجتماعي** الذي يخضع للتنظيم الاجتماعي وليس لهوية المرأة، فإنه لم يجعل للزهراء عليها السلام، ولعل لذلك لم تسم عليها السلام إماماً، أي لعدم وجود البعد الاجتماعي، كما احتمل آخرون سراً آخر لعدم تسميتها بالإمامية، وهو أن المانع من فاعلية إمامتها وجود الرسول صلوات الله عليه وسلم وجود علي عليه السلام، وبالتالي لم تسم بالإمامية (٦٥).

وفي الحقيقة لو لا أن الإمامة كانت بالنص، والأوصياء خاصة بالذكر دون الإناث، وكانت الزهراء عليها السلام إماماً، فيقول السيد محمد علي السيد هاشم العلي: «لو لا أن الإمامة كانت بالنص، وأن أوصياء الرسول صلوات الله عليه وسلم منصوص عليهم بأسمائهم، وأن السنة الجارية في الأوصياء جميعاً أن يكونوا من الذكور خاصة دون الإناث، لما كانت دعوى الإمامة للسيدة الزهراء عليها السلام مجازفة في القول، ولما كانت الإمامة شيئاً زائداً على مقامها، مع أنها تملك أهم عنصريين من العناصر المقومة للإمامية وهما العصمة والعلم، ولا ينقصها سوى الإرادة والاختيار الإلهي والكشف عن ذلك بالنص، وهذا هو الذي لم يتحقق» (٦٦).

ولكن على الرغم من ذلك، فهذا سوف يكون من أوضح الأدلة على ع神性 السيدة الزهراء عليها السلام وعلوّ مقامها، فإننا في الوقت الذي نعلم فيه أنّ الإمامة لا تكون ثابتة للسيدة الزهراء عليها السلام لأنّ الإمامة خاصة بالذكر، نرى أنّ الله تعالى منحها أهم ما يتميّز به الإمام: العصمة والعلم.

هكذا تجسّد لفاطمة الزهراء عليها السلام الدور القيادي في المجتمع، المسؤولة عن تبليغ الرسالة الإلهية للناس جيّعاً، والمستعدة دائمًاً لمواجهة كلّ الظروف وتحمّل المسؤوليات التي يتطلّبها المجتمع الإسلامي.

## الخاتمة

تتمتع المرأة المسلمة بأنواع الأهلية الدينية والاقتصادية والاجتماعية والقيادية، ولا علاقة للأنوثة في واحد مما ذكر إن وجد فرق بين الجنسين، بل إنما يتبع ذلك التفاوت في النشاط الإنساني فيها ذكر الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَثْقَالُكُمْ﴾ . سورة الحجرات: آية ١٣.

يوجد رؤيتان متباثتان بين الفقهاء حول مرجعية المرأة؛ أحدهما موافقة والأخرى مخالفة، لكنَّ الخلاف بينهما ليس خلافاً نظرياً وواقعاً، لأنَّ كُلَّ واحدة من هاتين الرؤيتين فسرت المرجعية بتفسير مغاير لآخر.

رغم عدم توسيع النساء لمنصب النبوة والمرجعية، بمعنى الخلافة أو القيادة السياسية، إلا أنَّ النساء في الإسلام كنَّ ولا زلن يؤدين أدواراً دينية مهمة بصفة مفتيات، معلمات، وعلماء. وقد أثرت العديد من النساء الفقيهات في التراث الإسلامي.

لم تكن فاطمة الزهراء نبية، إلا أنَّ النبي محمد أشار إليها بأ منها عليها السلام سيدة نساء العالمين.

إنَّ عدم وصول المرأة إلى مقام النبوة لا يعني أنها ناقصة القدر والقيمة، لكن ضرورة أنَّ لكل دوره المناسب مع أهليته ومقامه. وإذا ما كان وجود الأنبياء لطفاً بالعباد فلا يعني هذا اختزال الأمم بأشخاص الأنبياء عليهم السلام فكما أنَّ للأنبياء أدوارهم، كذلك للأمم أدوار، وهي متكاملة مع أدوار الأنبياء، وكذا متكاملة مع أدوار الأئمة عليهم السلام، مضافاً قد اقتربت من مقام النبوة، كما مع السيدة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، وزوج أمير المؤمنين عليه السلام وأم الحسن والحسين عليهم السلام.

تبين من البحث أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام جزء أساسيٌّ من منظومة الإمامة عند الشيعة، إذ يعزّز وجودها وأبناؤها من أهل البيت عليهم السلام الفكر الأساسية للإمامية بصفتها خلافة إلهية مستمرة.

ثبت للبحث أنّ لفاطمة الزهراء عليها السلام أبعاد الإمامية، وتمثل في كونها نبع الإمامة والأئمة، وأهم أبعاد الإمامة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

أنّ ما يصدر عن السيدة الزهراء عليها السلام من قول أو فعل أو موقف، فإنه يكون كاشفاً عن الأمر والتشريع الإلهي، فهي حجّة شرعية على جميع الناس.

### الوصيات

تأمين الأجراء العلمية والثقافية المساعدة لوصول المرأة إلى مرتبة الاجتهاد، ومشاركتها في البحث الفقهي بشكل فاعل.

علينا أن نقود نهضة حتى نستطيع إعادة المرأة إلى الميدان القيادي، وذلك بتذكيرها بأروع نموذج قيادي قدّمه التاريخ لنا.

جعل ولادة فاطمة الزهراء عليها السلام يوماً عالمياً للمرأة.

هناك فراغ في مخاطبة العقل الجامعي؛ نعم، يوجد لدينا كتب ومؤلفات جيدة، لكن لكلّ جيل عقلية معينة، فيجب أن نؤلف مؤلفات وكتبًا عن فاطمة الزهراء عليها السلام تخاطب عقلية الجامعيات.

إنّ نداء فاطمة عليها السلام للمرأة في العالم: هو كوني إنسانة ولا تكوني مجرد أنثى تتحرك بأقوالها لتسقط إنسانيتها، كوني إنسانة مع الله ومع الناس، كوني إنسانة بالمعنى الروحي والعقلي والحركي، وكوني رسالية تفكّر بالرسالة لا بالذات، فتقديم الذات فداءً للرسالة.

## الهوا من

١. سورة النساء: آية ١.

٢. سورة النحل: آية ٧٣.

٣. ينظر: الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ط١، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٨٨م، ج ٥، ١٩٦، ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصارى (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار أحياء التراث العربي، ١٩٨٨م، ج ١١، ص ٣٤١؛ وينظر: الفيروز آبادى، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨٠٧هـ)، القاموس المحيط، ط١، بيروت: الأعلمي للمطبوعات، ٢٠١٢م، ص ١٠٤٦.

٤. الصغير، محمد حسين علي، الإمام الحسن عليه السلام رائد التخطيط الرسالي، ط١، (بيروت: مؤسسة البلاغ، ٢٠١٢م)، ص ١٥.

٥. ينظر: الغرباوي، شهدان، القيادة الإدارية كوسيلة لتحسين أداء العاملين في المؤسسات الاقتصادية، (الاسكندرية: دار الفكر الجامعي، د.ت)، ص ١٥.

\* اختلف الفقهاء في اشتراط الذكورة فيمن يتولى القضاء على ثلاثة آراء: الرأي الأول: ويمثله محمد بن الحسن من الحنفية، ومحمد بن جرير الطبرى، وابن حزم، وابن القاسم من المالكية، فيجوز للمرأة أن تكون حاكماً على الإطلاق. الرأي الثاني: ذهب الحنفية إلى جواز تولي المرأة القضاء فيما تجوز شهادتها فيه دون الحدود والقصاص. الرأي الثالث: ذهب جمهور الفقهاء (المالكية والشافعية والحنابلة وبعض الحنفية)، وأكثر العلماء المعاصرین،

إلى أنه لا يجوز تولية امرأة على القضاء مطلقاً، لأنّ الذكورة شرط في صحة التقليد ونفاذ الحكم. للمزيد ينظر: أبو حجير، مجید محمود، المرأة والحقوق السياسية في الإسلام، ط١، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٩٩٧م)، ص٣٥٩-٣٢٦؛ وينظر: الدولة، حكم عبد الله، المرأة والولايات السيادية، ط١، (عمان: دار كفاءة المعرفة، ٢٠٢١م)، ص١٦٩-١٧١.

٦. ينظر: رجاء، بوزيدي، المرأة القيادية والتنمية في خيال الفرد الجزائري، مجلة الحكمة/المجلد الثاني/ العدد ٤ / ٢٠١٤م، ص٨٠.

٧. ينظر: الشامي، حسين بركة، المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة، ط١، (مؤسسة دار الإسلام، ١٩٩٩م)، ص٣٥-٣٧.

٨. ساشاديان، عبد العزيز، السنن العقلانية في الإسلام، مقالة المرأة نصف الرجل، ص٢٠٠.

٩. المصدر نفسه، ص١٨٥.

١٠. الخوئي، أبو القاسم الموسوي، التنقیح في شرح العروة الوثقى (كتاب التقليد)، د.ط، (النجف: مطبعة الأدب، د.ت)، ج١، ص٢٢٦.

١١. مهدي، مهرizi، مسألة المرأة (دراسات في تجديد الفكر الديني في قضية المرأة)، ط١، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠٠٢م)، ص١٤٦. نقلًا عن مجلة حوزة الإيرانية العدد ٤١، ص٥١.

١٢. فضل الله، محمد حسين، دنيا المرأة، ط٢، (بيروت: دار الملاك، ١٩٩٧م)، ص١٢٤.

١٣. الكليني (ت:٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق، على أكبر الغفاري، ط٣، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٧ش، ج٥، ٥١٧.
١٤. الطوسي (ت:٣٨١)، من لا يحضره الفقيه، ط٢، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ٤٣٦٤)، ج٤، ص٣٦٤. باب النوادر، وهو آخر الأبواب، وصية رسول الله ﷺ على عشيته.
١٥. العاملي، الحرّ (ت: ١١٠٤)، وسائل الشيعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت للإحياء التراث، ط٢، (قم: مطبعة مهر، ١٤١٤هـ)، ج٢٠، ص٥٦. باب استحباب حبس المرأة في بيتها أو بيت زوجها.
١٦. المجلسي، بحار الانوار، ج١٠١، ٢٧٥.
١٧. للمزيد ينظر: آصفي، ولاية المرأة في الفقه الولاية العامة والفقه، ضمن كتاب فقه دراسات نقدية ومنطلقات التجديد المنهجي، ط١، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠٠٨م)، ص٦٠-٦١.
١٨. ينظر: باجلان، محمد رسول، المرأة في الفكر الإسلامي، ط٢، (بيروت: دار المعرفة، ٢٠١٧م)، ص٤٢٣.
١٩. ينظر: الجواهري، حسن، أوضاع المرأة المسلمة ودورها الاجتماعي من منظور إسلامي، ط١، (قم: منشورات الاجتهد، ٢٠٠٧م)، ص١٥٩.
٢٠. ينظر: حب الله، حيدر، المرأة ومرجعية الإفتاء، دراسة فقهية استدلالية في شرعية تقليد المرأة، ضمن كتاب فقه المرأة- دراسات نقدية ومنطلقات التجديد، ط١، (بيوت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠٠٨م)، ص١٢٤.

٢١. ينظر: يحفوني، نادين، مرجعية المرأة المسلمة بين الجواز وعدمه، ضمن كتاب نحن ومسألة المرأة، ط، (النجم: المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ٢٠٢٠م)، ج ٢، ص ١٩١-١٩٩.

٢٢. ينظر، الأندلسبي، عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: محمد أمين قره علي، وأسامه الرفاعي.. وآخرون، د.ط، (دمشق: دار الوفاء، د.ت)، ج ١، ص ٤٨٦-٤٩٠.

٢٣. ينظر، الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، د.ت، ج ٢، ص ١٣٩-١٤٠.

٢٤. سورة الحج: آية ٥٢.

٢٥. ينظر: الطباطبائي، الميزان، ج ٢، ص ١٤٠.

٢٦. على سبيل المثال: «وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبِيٍّ ولا مَحْدُثٍ». الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٧٧. ح ١.

٢٧. ينظر: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، علل الشرائع، ط ٢، بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٩٦م، ج ١، ص ١٨٢-١٨٣.

٢٨. ينظر: النجفي، حسين بستان، الإسلام والجنوسية- التمايز بين الجنسين في المؤسسات الاجتماعية، تعریف رعد الحجاج، ط ١، (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٢م)، ص ١٩١.

٢٩. سورة آل عمران: آية ٤٥.

٣٠. سورة آل عمران: آية ٤٢ .
٣١. الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٢ م، ج ٣، ص ١٨٠ .
٣٢. الزيدى، علي، المرأة والنبوة، التوراة — الإنجيل — القرآن، ط ١ ، بيروت: دار سحر القلم، ٢٠٢١ م، ص ١٠ .
٣٣. المجلسى (ت ١١١ هـ)، بحار الأنوار، تحقيق، محمد الباقر البهبوي، ط ٣، بيرت، دار إحياء التراث العربى، ج ٢٨ ، ص ٣٨ .
- \* الشیخ حسین أحمد الخشن، عالم دین شیعی لبنانی من موالید ۱۹۶۶ م، له العدید من المؤلفات منها: الإسلام والعنف، الإسلام والبيئة، فی فقه السلامۃ الصحیۃ، ظواهر لیست من الدین ... وغيرها.
٣٤. الخشن، حسن، المرأة في النصّ الديني - قراءة نقدية في روایات ذم المرأة ، ط ١ ، (بيروت: الانشار العربي، ٢٠١٧ م)، ص ٧٢ .
٣٥. سورة آل عمران: آية ٣٦ .
٣٦. ينظر: الخشن، المرأة في النصّ الديني، ص ٧٣؛ وينظر: علوية، توفيق حسن، المرأة في ظلّ العولمة بين تحجر الشرق وابتذال الغرب - جدلية الهوية والدور، أين يكمن الحل؟ ط ١، (بيروت: دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٨ م)، ص ٢٣٧ — ٢٣٩ .
٣٧. ينظر: النجفي، الإسلام والجنوسية، ١٩٣ .

. ٣٨. سورة يوسف: آية ١٠٩.

. ٣٩. الغزالى (ت ٥٠٥ هـ)، إحياء علوم الدين، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت، ج ٣، ص ٥٣٦.

. ٤٠. ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ط ١، بيروت: مؤسسة التاريخ، د.ت، ج ١٢٧، ص ١٢٧.

\* حسن بن الشيخ رضي الصفار (١٩٥٨ — ...)، رجل دين مسلم شيعي، وأستاذ خطيب وكاتب سعودي معاصر، من مؤلفاته: تمكين المرأة.. الفرص والتحديات، العقلانية والتسامح نقد جذور التطرف، في التنمية الأسرية... وغيرها.

. ٤١. سورة الأحزاب: آية ٤.

. ٤٢. سورة التوبة: آية ١٠٨.

. ٤٣. الصفار، حسن موسى، أحاديث في الدين والثقافة والمجتمع، ط ١، (بيروت: دار الواحة، ٢٠٠٣م)، ج ٣، ص ٩٦.

. ٤٤. آملي، جوادی، المرأة في مرآة الجلال والجمال، ص ١٤٤.

. ٤٥. الصدوق(ت ٣٨١ هـ)، الأملی، تحقیق، قسم الدراسات، ط ١، قم: مؤسسه البعثة، ١٤١٧، ص ١٦٥.

. ٤٦. الفیض الكاشانی (ت ١٠٩١ هـ)، المحجّة البيضاء في تهذیب الأحياء، تحقیق: علی أكبر الغفاری ط ٢، قم، دفتر انتشار اسلامی، د.ت، ج ٤، ص ٢٠٧.

٤٧. معاش، كمال، فاطمة عليها السلام بين النبوة والإمامية ، ط١ ، (بيروت: مؤسسة التبلیغ العالمية العالمية، ٢٠٠٣م)، ص ٧٣.
٤٨. سورة الأحزاب: آية ٣٣.
٤٩. سورة النور: آية ٣٥.
٥٠. سورة النساء: آية ٥٩.
٥١. سورة آل عمران: آية ٦١.
٥٢. الخميني، تراث الإمام الخميني، ط١ ، (طهران: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، ٢٠٠٩م)، ج٧، ص ٢٥٠.
٥٣. المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٦، ص ١٣٧.
٥٤. المصدر نفسه، ج٢٦، ص ١٣٧.
٥٥. ينظر: العالی حسن، فاطمة الزهراء عليها السلام مظہر النبوة وتجلي الإمامة، ط١ ، (بيروت: دار المحجة البيضاء، ٢٠١٤م)، ج١، ص ٤١.
٥٦. ينظر: العالی، حسن، فاطمة عليها السلام مظہر النبوة وتجلي الإمامة، ص ٤١—٤٢.
٥٧. المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٦، ص ١٦٧.
٥٨. النجفي، هادی، موسوعة احادیث أهل البيت عليها السلام، ط١ ، بيروت: دار أحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م، ج١، ص ١٩١.

- . ٥٩. ينظر: العالى، حسن، فاطمة ﷺ مظهر النبوة وتحلي الإمامة، ص ٣٣٥ — ٣٣٨.
- . ٦٠. الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، الاحتجاج، تحقيق: محمد باقر الحرسان، النجف الأشرف: دار النعيم، ١٩٦٦م، ج ٢، ص ١٩١.
- . ٦١. المجلسى، بحار الأنوار، ج ٣٧، ص ٦٦.
- . ٦٢. المصدر نفسه، ج ٢٧، ص ٦٢.
- . ٦٣. سورة الشورى: آية ٢٣.
- . ٦٤. ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦م، ج ٣، ص ١١٠.
- . ٦٥. ينظر: العالى، حسن، فاطمة ﷺ مظهر النبوة وتحلي الإمامة، ص ٣٣٧.
- . ٦٦. العلي، محمد علي السيد هاشم، هذه فاطمة الزهراء ﷺ، (قم: المؤسسة الإسلامية، ١٤٣٠هـ)، ص ٨١.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦ م، ج ٣.
٢. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ط ١، بيروت: مؤسسة التاريخ، د.ت، ج ١٢.
٣. ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١ هـ)، لسان العرب، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨ م، ج ١١.
٤. أبو حجير، مجید محمود، المرأة والحقوق السياسية في الإسلام، ط ١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٩٩٧ م.
٥. آصفی، ولایة المرأة فی الفقه الولایة العامة والفقہ، ضمن كتاب فقه دراسات نقدیة ومنظلمات التجدد المنهجي، ط ١، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠٠٨ م.
٦. آملي، جوادی، المرأة في مرآة الجلال والجمال.
٧. الأندلسی، عیاض بن موسى الیحصی، الشفا بتعريف حقوق المصطفی، تحقيق: محمد امین قره علی، وأسامه الرفاعی .. وآخرؤن، د، ط، دمشق: دار الوفاء، د.ت، ج ١.
٨. باجلان، محمد رسول، المرأة في الفكر الإسلامي، ط ٢، بيروت: دار المعرفة، ٢٠١٧ م.

٩. الجواهري، حسن، أوضاع المرأة المسلمة ودورها الاجتماعي من منظور إسلامي، ط١، قم: منشورات الاجتهد، ٢٠٠٧ م.
١٠. حب الله، حيدر، المرأة ومرجعية الإفتاء، دراسة فقهية استدلالية في شرعية تقليد المرأة، ضمن كتاب فقه المرأة دراسات نقدية ومنطلقات التجديد، ط١، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠٠٨ م.
١١. الخشن، حسن، المرأة في النصّ الديني - قراءة نقدية في روایات ذم المرأة ، ط١ ، بيروت: الانتشار العربي، ٢٠١٧ م.
١٢. الخميني، تراث الإمام الخميني، ط١ ، طهران: مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، ٢٠٠٩ م، ج٧
١٣. الخوئي، أبو القاسم الموسوي، التنتقيق في شرح العروة الوثقى (كتاب التقليد)، د.ط، النجف: مطبعة الأدب، د.ت، ج١ .
١٤. الدولة، حكم عبد الله، المرأة والولايات السيادية، ط١ ، عمان: دار كفاءة المعرفية، ٢٠٢١ م.
١٥. رجاء، بوزيدي، المرأة القيادية والتنمية في مخيال الفرد الجزائري، مجلة الحكمة/المجلد الثاني / العدد ٤ / ٢٠١٤ م.
١٦. الزيدبي، علي، المرأة والنبوة، التوراة — الإنجيل — القرآن، ط١ ، بيروت: دار سحر القلم، ٢٠٢١ م.
١٧. ساشاديان، عبد العزيز، السنن العقلانية في الإسلام، مقالة المرأة نصف الرجل.

١٨. الشامي، حسين بركة، المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة، ط١، مؤسسة دار الإسلام، ١٩٩٩ م.
١٩. الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، الأمالي، تحقيق، قسم الدراسات، ط١، قم: مؤسسة العبيضة، ١٤١٧ هـ.
٢٠. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، علل الشرائع، ط٢، بيروت: دار احياء التراث، ١٩٩٦ م، ج١.
٢١. الصغير، محمد حسين علي، الإمام الحسن عليه السلام رائد التخطيط الرسالي، ط١، بيروت: مؤسسة البلاعنة، ٢٠١٢ م.
٢٢. الصفار، حسن موسى، أحاديث في الدين والثقافة والمجتمع، ط١، (بيروت: دار الواحة، ٢٠٠٣ م)، ج٣.
٢٣. الطباطبائي (ت ٤٠٢ هـ)، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، د.ت، ج٢.
٢٤. الطبرسي (ت ٤٨٥ هـ)، الاحتجاج، تحقيق: محمد باقر الخرسان، النجف الأشرف: دار النعمان، ١٩٦٦ م، ج٢.
٢٥. الطبراني، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٢ م، ج٣.
٢٦. الطوسي (ت ٣٨١)، من لا يحضره الفقيه، ط٢، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤ هـ)، ج٤.

٢٧. العالى حسن، فاطمة الزهراء عليها السلام مظهر النبوة وتجلي الإمامة، ط١، بيروت: دار المحجة البيضاء، ٢٠١٤م، ج١.
٢٨. العاملی، الحرّ (ت: ١١٠٤)، وسائل الشيعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام للإحياء التراث، ط٢، قم: مطبعة مهر، ١٤١٤هـ، ج٢٠.
٢٩. علوية، توفيق حسن، المرأة في ظلّ العولمة بين تحجر الشرق وابتذال الغرب- جدلية الهوية والدور، أين يكمن الحلّ؟، ط١، بيروت: دار المحجة البيضاء، ٢٠٠٨م.
٣٠. العلي، محمد علي السيد هاشم، هذه فاطمة الزهراء عليها السلام ط١، قم: المؤسسة الإسلامية، ١٤٣٠هـ.
٣١. الغرباوي، شهدان، القيادة الإدارية كوسيلة لتحسين أداء العاملين في المؤسسات الاقتصادية، الاسكندرية: دار الفكر الجامعي، د.ت.
٣٢. الغزالي (ت ٥٥٠هـ)، إحياء علوم الدين، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت، ج٣.
٣٣. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ط١، بيروت: مؤسسة العلمي، ١٩٨٨م، ج٥.
٣٤. فضيل الله، محمد حسين، دنيا المرأة، ط٢، بيروت: دار الملاك، ١٩٩٧م.
٣٥. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨٠٧هـ)، القاموس المحيط، ط١، بيروت: الأعلمي للمطبوعات، ٢٠١٢م.
٣٦. الفيض الكاشاني (ت ٩١٠هـ)، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، تحقيق: على أكبر الغفاري ط٢، قم، دفتر انتشار إسلامي، د.ت، ج٤.

٣٧. الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، الكافي، تحقيق، على أكبر الغفاري، ط ٣، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٧ ش، ج ٥.
٣٨. المجلسي (ت ١١١١ هـ)، بحار الانوار، تحقيق، محمد الباقر البهبوبي، ط ٣، بيرت، دار إحياء التراث العربي، ج ٢٨.
٣٩. معاش، كمال، فاطمة عليها السلام بين النبوة والإمامية، ط ١، بيروت: مؤسسة التبلیغ العاملية، ٢٠٠٣ م.
٤٠. مهدي، مهرizi، مسألة المرأة (دراسات في تجديد الفكر الديني في قضية المرأة)، ط ١، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠٠٠ م.
٤١. النجفي، حسين بستان، الإسلام والجنوسية التهايز بين الجنسين في المؤسسات الاجتماعية، تعریف: رعد الحجاج، ط ١، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٢ م.
٤٢. النجفي، هادي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ط ١، بيروت: دار أحياء التراث العربي، ٢٠٠٢ م، ج ١.
٤٣. يحمني، نادين، مرجعية المرأة المسلمة بين الجواز وعدمه، ضمن كتاب نحن ومسألة المرأة، ط، النجف: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ٢٠٢٠ م، ج ٢.

**المبادئ الأخلاقية لنهج الإمام علي عليه السلام**

**في تطبيق القانون الجنائي**

الباحثة

د. إسراء فاضل كاظم

كلية القانون والعلوم السياسية

جامعة ديالى

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.... أما بعد كان الإمام علي عليه السلام معروفاً بمبادئه وقيمته الأخلاقية العالية التي لها تأثير كبير في المجتمع بشكل عام، والقانون الجنائي بشكل خاص. فقد كان الإمام ملهمًا بجميع العلوم والمعارف حتى قيل بأنه عليه السلام أعلم الناس بعد الرسول ﷺ. وقال ﷺ «أعلم أمتي من بعدي علي». ومن أهم المبادئ الأخلاقية للإمام عليه السلام العدل والمساواة. فقد كان الإمام يؤمن بأهمية العدل والمساواة فيعد العدل أساساً للقانون، ويعمل على توفير المساواة بين جميع أفراد المجتمع بغض النظر عن اختلافاتهم الاجتماعية والعرقية، فضلاً عن حثه على الشفافية والتزاهة في الحكم والقضاء، حيث قال رسول الله ﷺ: «أقضى أمتي علي». فقد كان يتطلع إلى تطبيق القانون بشكل عادل ومنصف دون أي تحيز أو تلاعب، وعین القضاة والمسؤولين الذين يتمتعون بالتزاهة والأمانة في أداء مهامهم، وفي الوقت ذاته، كان الإمام عليه السلام يؤكد أهمية احترام حقوق الإنسان والتعامل الحسن مع الناس في القانون، فكان يحث على حماية حقوق الفرد ويعتبر ضمان حقوق الإنسان أساساً للعدالة الاجتماعية والقانون العادل.

و كان الإمام علي عليه السلام يعد الرحمة والعطف أساساً في تنفيذ القانون، فكان يشجع على ممارسة الرحمة والعدل في العقوبات، والإصلاح بدلاً من العقاب القاسي، ويعتبر هذا التوجه الإنساني في تطبيق القانون جانباً مهمًا من تأثيره في القانون.

### **أولاً: أهمية البحث**

تأتي أهمية البحث من أهمية المبادئ الأخلاقية لمنهج الإمام علي عليه السلام في كونها تشكل أساساً للنظام القانوني الذي يهدف إلى تحقيق المساواة والعدل بين الناس وحماية حقوقهم.

### **ثانياً: أهداف البحث**

يهدف البحث إلى بيان أهم المبادئ الأخلاقية لمنهج الإمام علي عليه السلام وبيان أثرها في تطبيق القانون الجنائي، سواء في مجال المعاملة المتساوية للمتهمين وفرض عقوبات عادلة على الجميع، أو في تأثيرها الكبير على حقوق المتهمين.

### **ثالثاً: منهجية البحث**

من خلال استقراء موضوع البحث وجدنا أنّ أنساب منهج نستعين به في موضوع بحثنا هو المنهج الوصفي التاريخي، من خلال وصف مفاهيم البحث وتعزيزها بالشاهد والأدلة التاريخية.

### **رابعاً: تقسيم البحث**

سوف نقوم بتقسيم بحثنا إلى مبحثين؛ نتناول في المبحث الأول منه المبادئ الأخلاقية لمنهج الإمام علي عليه السلام من خلال تقسيمه إلى مطلبين؛ نوضح في المطلب الأول منه المبادئ المتعلقة بالعدالة والمساواة، ونوضح في الثاني منه المبادئ المتعلقة بالتعامل مع الأفراد ونخصص المبحث الثاني لآثار المبادئ الأخلاقية لمنهج الإمام علي عليه السلام في تطبيق القانون الجنائي. وقسمناه أيضاً إلى مطلبين؛ خصصنا المطلب الأول لأثر المبادئ الأخلاقية المتعلقة بالعدالة والمساواة في تطبيق القانون الجنائي، ووضخنا في المطلب الثاني أثر المبادئ الأخلاقية المتعلقة بالتعامل مع الأفراد في القانون الجنائي.

## المبحث الأول

### المبادئ الأخلاقية لمنهج الإمام علي عليه السلام

ونحن في صدد البحث عن المبادئ الأخلاقية لإمام المتقين وخليفة المسلمين علي بن ابي طالب عليهما السلام، استوقفتنا مبادئ كثيرة لا يمكن حصرها في بحث مصغر بصفحتين معدودات، إلا أننا سنتطرق بعضها بشكل مختصر وموجز، ولعل أهمها العدل، المساواة، حقوق الإنسان، الرحمة، التسامح والمسؤولية الشخصية.

لذلك، سنقوم بتقسيم هذا البحث إلى مطليبين؛ نخصص المطلب الأول منه للمبادئ المتعلقة بالعدالة والمساواة، ونخصص الثاني منه للمبادئ المتعلقة بالتعامل مع الأفراد.

#### المطلب الأول: المبادئ المتعلقة بالعدالة والمساواة

يهدف القانون إلى غاية مهمة جداً، ألا وهي تحقيق العدل. وهذا يبين بشكل جليّ أنّ فكرة القانون مرتبطة تماماً بفكرة العدل، فالقانون يجب أن يكون رديفاً للعدل ومكملاً له لأنّ القانون بدون عدل سيكون سخرية، وكذلك المساواة مرتبطة بفكرة العدل، بل إنّ البعض يجعل من المساواة جوهر العدل، ولكن في الحقيقة إنّ تحقيق المساواة -وليس الحفاظ على عدم المساواة- هو ما تعتبره الفلسفة القانونية الأخلاقية الحديثة الوظيفة الحيوية للعدل<sup>(١)</sup>. وللوقوف على هذا المطلب بشيء من التفصيل، سنقوم بتقسيمه إلى فرعين؛ نخصص الفرع الأول منه لبيان العدل وترك الثاني للمساواة.

(١) ينظر: د. دينيس لود، فكرة القانون، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨١، ص ١١٢.

### الفرع الأول: العدل

العدل هو إحساس يرسل الارتياح في النفوس إلى كلّ ما من شأنه يدفع الجور والظلم، ويتحقق المساواة؛ لذلك قيل إنّ العدل تحقيق للمساواة المحكمة في كلّ شيء من غير زيادة أو نقصان، ورمز له بالميزان الذي يجب أن يكون مستقيماً والذي لا يجوز أن تختل كفته لأنّ باختلال الأخير سيؤدي إلى الظلم والجور. وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى:

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾<sup>(١)</sup>.

ويتحقق العدل بالقاعدة القانونية الملزمة المقررة من السلطة الحاكمة بالنسبة للقانون البشري الذي يختلف تماماً عن القانون الإلهي الذي لا يتأثر بالمصالح والأهواء البشرية، ومن ثمّ فهو لا يخلو من جور أو ظلم. أما القانون الإلهي فهو قانون عادل لأنّ الله ليس له مصلحة في ظلم أحد، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾<sup>(٢)</sup> وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾<sup>(٣)</sup> وكذلك في قوله الكريم: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَيَسِّرُ بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وكان الإمام علي عليه السلام رائداً في ترسیخ مبادئ العدل في المجتمع الإسلامي منذ لحظة تسمّنه الحكم، فسعى بجدية كبيرة إلى تحقيق العدالة ومحاربة الفقر، حيث أمر بتوزيع الحقوق على المواطنين بشكل متساوٍ لا فرق بين غني وفقير؛ وكذلك أمر بدفع حقوق الأموال إلى بيت المال ورفض الرشوة والاحتياكار. فقد كانت عدالته نموذجاً يحتذى به على

(١) ينظر: الآية (٩) من سورة الرحمن.

(٢) ينظر: الآية ٤٤، سورة يونس.

(٣) ينظر: الآية ٤٠، سورة النساء.

(٤) ينظر: الآية ٥١، سورة الانفال.

مر العصور، فضلاً عن أنها تمثل تجسيداً للتكامل الإنساني للمسلم الحقيقي. وهذا ما يدفعنا إلى البحث أكثر في تلك الشخصية العظيمة التي ظلت مغيبة لفترات طويلة عن البحث العلمي الحقيقي.

لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يرضى بالتوقف عن تطبيق العدالة، والتراجع عنها منها كلفه من ثمن، ولم يرض أن يتجاوز العدالة، حتى من أجل تثبيت أركان حكمه في دولته الفتية، وأبى أن يتبع المصالح السياسية منها بلغ الشمن، كما إنه لم يرض أن يضحي بالعدالة ويعين تحت تأثير الرحمة والشفقة، فيعرض بذلك هذا الركن للانهيار.

فإن عدالته عليه السلام كانت ذكرأ يلهج به لسان العام والخاص، والصديق والعدو، حتى كانت كثرة عدالته هي السبب في قتله عليه السلام.

ونحن إذا أردنا التعرض لنهاج لعدالته عليه السلام لاحتجنا إلى عدد كبير من المجلدات، ولكن نقول إن العدالة كانت أمامه، وملأت كيانه وجوده في كل وقت وحين، فقد كان عليه السلام يرى أنه في العدل صلاح البرية، فكان عليه السلام يسد رمق جوعه بكسرة من الخبز اليابس، ويأكل الملح ليكون مستوى معيشته كأفق وأضعف الناس في وقته.

فإن مثل هذا السلوك لا يمكن أن يصدر إلا من علي عليه السلام، فهو نتاج تربية رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى إن عدالة الإمام علي عليه السلام تكونت من العدل الإلهي وسعى جاهداً لتطبيقها، ولذا أصبحت عدالته عليه السلام نموذجاً واضحاً لكل طلاب العدالة والقادة على مر العصور، ومصداقاً متميزاً للإنسان المتكامل المسلم الذي يستطيع أن يكون قدوة مشرفة في جميع المجالات.

## الفرع الثاني: المساواة

فرق الله سبحانه وتعالى بين العدل والمساواة في كتابه الكريم في آيات كثيرة منها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾<sup>(١)</sup> وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجِدُونَكُمْ شَانًّا قَوْمٌ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وقد نص على المساواة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمُ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوهُمَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ إِنْ خِفْتُمُ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكْتُمْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾<sup>(٣)</sup>.

وعلى الرغم من الترابط الكبير بين العدل والمساواة إلا أن الأخيرة هي ليست العدل، بل ربما قد تكون قمة الظلم والجحود، وأحياناً يكون التمييز بين الناس أو التمييز بين فئة وأخرى قمة العدل. وعلى مقتضى أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، فإن الجميع متساوون أمام القانون دون تمييز في التكليف والمسؤولية، وحتى في الحقوق الشخصية، ومتتساوون أمام القانون والقضاء، وتطبق على جميع الأفراد، الجاهل والمتعلم. وكان أمير المؤمنين عليه السلام من أكثر الناس تطبيقاً للمساواة في عهده؛ وتأكيداً لذلك، إنه في إحدى الجلسات القضائية قال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب للإمام علي عليهما السلام: قم يا أبا الحسن فاجلس مع خصمك فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام: «كنتي بيحضرة خصمي، هلا قلت: قم يا علي، فاجلس مع خصمك» فاعتنيت الخليفة علياً وقبل وجهه.<sup>(٤)</sup>

(١) ينظر: الآية ٩٠ من سورة النحل.

(٢) ينظر: الآية ٨ من سورة المائدة.

(٣) ينظر: الآية ٣ من سورة النساء.

(٤) ينظر: د. صبحي الصالح، شرح نهج البلاغة، ج ٥، دار المجرة للنشر، ايران، ٢٠٠٣، ص ٤٨.

ومن أفضل صور المساواة أمام القانون وفي العدالة، أنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رض وقف مع خصم له من النصارى أمام القضاء، وهو في وقتها خليفة المسلمين، فحكم القاضي للنصراني عليه، لأنَّه لم يأت ببينة على ملكيته للدرع<sup>(١)</sup>.

فالمساواة كانت من القيم الأساسية التي رسخها الإمام علي رض في فترة حكمه، وكذلك في فلسفته السياسية والاجتماعية، وتجلى تطبيقاتها في عدد من كبير من جوانب المجتمع سترافق إليها عند بيان آثار المساواة في تطبيق القانون الجنائي بشيء من الإيجاز.

### المطلب الثاني: المبادئ المتعلقة بالتعامل مع الأفراد

ضرب الإمام علي رض أروع الأمثلة في الرحمة والتسامح والعفو، والتي كان لها انعكاسات كبيرة على تطبيق القانون الجنائي في وقتنا الحاضر. وللوقوف على المبادئ الأخلاقية المتعلقة بالأفراد، سنقوم بتقسيم هذا المطلب إلى فرعين نخصص الأول منه للرحمة والتسامح، ونبين في الثاني منه المسؤولية الشخصية.

#### الفرع الأول: الرحمة والتسامح

كانت الرحمة من الصفات الأسمى لشخصية الإمام علي رض فعاش رض حياة مليئة بالرحمة والعاطفة نحو جميع الناس فقد كان رحيمًا اتجاه الفقراء والمحتاجين في المجتمع، حيث كان يعمل جاهدًا على توزيع الصدقات والزكوة على المستحقين.

وأوضح أمير المؤمنين الإمام علي رض أنَّ التعامل في ظل الدولة الإسلامية يجب أن يكون بمنطق الرحمة مع جميع الناس، سواء أكانوا مسلمين أم من ديانات أخرى. وقد أشار رض

(١) ينظر: د. جمال ابراهيم الحيدري، ملامح السياسة الجزائية في القرآن الكريم، ط١، مكتبة السنهروري، بغداد، ٢٠١٣، ص٦٩.

إلى ذلك في كتابه إلى مالك الأشتر لما وَلَّهُ مصر بقوله: «وأشعر قلبك الرَّحْمَةً لِلرَّعِيَّةِ، والمحبةُ لِهِمْ، واللطفُ لِهِمْ، ولا تكونَ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضارِياً تَغْتَيْمُ أَكْلَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ صِنَافَانِ: إِمَّا أَخْ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلْلُ، وَتَعْرِضُهُمُ الْعِلْلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمَدِ وَالْخَطَا، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوَّهُمْ، وَوَالِي الْأُمْرِ عَلَيْكَ فَوَّقَكَ، وَاللَّهُ فَوَّقَ مَنْ وَلَّكَ!»<sup>(١)</sup>

فقد كان أمير المؤمنين يتعامل بالرحمة حتى مع الأسرى والأعداء، ومنها ما ذكر في معركة الجمل حيث أشيع بين أهل البصرة أن الإمام علي عليه السلام لو تمكن منهم ليجعلنَّ أعزَّة أهلها أذلةً «وأقبل الأحنف بن قيس في جماعة من قومه إلى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ أهل البصرة يقولون بأنك إن ظفرت بهم غداً قتلت رجالهم، وسببت ذريتهم ونساءهم؛ فقال له علي: ليس مثلي من يخاف هذا منه، لأنَّ هذا لا يحلُّ إلا من تولى وكفر، وأهل البصرة قوم مسلمون». وكذلك «عن محمد بن حاطب الجمحي، وكان قد شهد الجمل مع علي، قال: قال علي عليه السلام: يا ابن حاطب هل في قومك جراح؟ قلت: أبي والله. قال: مره بالسمن فإني لم أرَ علوًّا مثل السمن للجرح»<sup>(٢)</sup>.

وعليه، نرى مدى الرحمة التي كان يتعامل بها الإمام علي عليه السلام مع الجرحى والأسرى من أصحابه وأعدائه في الحياة بعد تركهم لأنَّ من صفاته فقد الجرحى للتخفيف من ألم الجراح التي طبعت بأجسادهم.

كما كان أمير المؤمنين عليه السلام يتمتع بمستوى عاليٍّ من التسامح؛ ومن أبرز الشواهد التاريخية على ذلك تسامحه مع خصومه في واقعة صفين وعفوه عنهم. فمنذ البداية لم يكن يخبر أحداً

(١) ينظر: صبحي الصالح، شرح نهج البلاغة، ج ٥، دار الهجرة للنشر، ايران، ٢٠٠٣، ص ٥٣.

(٢) ينظر: محمد عيدان العبادي، أخلاق الحرب عند الإمام علي، دار الأمين للطباعة، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٠١ و ١٠٠.

على أن يوافقه في أفكاره، بل كان يحفظ حقوق الجميع ودعا جميع أصحابه إلى تجاوز الخلافات من أجل وحدة المسلمين وإلى التصالح والمساحة.

### الفرع الثاني: المسؤولية الشخصية

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رض كان يعدّ الحكم فرصة لتحقيق مصلحة المجتمع والمساواة والعدل بين الناس، وهو بهذا ينأى بنفسه عن تحقيق أي مآرب شخصية لنفسه أو لعائلته أو أولاده. وفي الوقت ذاته، كان مبدأ المسؤولية الشخصية هو السائد في فترة حكمه؛ بمعنى أن يجازي كل إنسان على فعله أو سلوكه الذي اقترفه ولا يأخذ أحداً بجريرة أحد مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرْ وَازْرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَقَوْفُهُمْ إِلَّا هُمْ مَسْئُولُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجَمِيعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن الآيات الكريمة نرى أن المسؤولية مقررة بشكل عام جراء الأفعال التي يقومون بها، فيسأل كل إنسان بما يقوم به من تصرفات أو أعمال، ومن ثم يتحمل تبعه أفعاله، وهو من المبادئ المهمة التي أقرّتها شريعتنا الإسلامية الغراء مع وجوب توافر شرط أساسي، وهو الأهلية، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾<sup>(٥)</sup> وشرط الأهلية هو ما أخذت به القوانين الوضعية في عصرنا الحاضر.

(١) الآية ١٨ من سورة فاطر..

(٢) الآية (٢٤) من سورة الصافات.

(٣) الآيتين (٩٢ و ٩٣) من سورة الحجر.

(٤) الآية ٢٣٣ من سورة البقرة.

(٥) الآية ٧ من سورة الطلاق.

## المبحث الثاني

### أثر المبادئ الأخلاقية لمنهج الإمام علي عليه السلام على تطبيق القانون الجنائي

للوقوف على آثر تلك المبادئ الأخلاقية لخليفة المؤمنين ويعسوب الدين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام على تطبيق القانون الجنائي، وكيف كان لها الأثر الكبير في القانون بشكل عام، والجنائي بشكل خاص، كونه الفرع الأخطر من أفرع القانون لتعلقه بحقوق الله وحقوق الأفراد وحرياتهم. سنقوم بتقسيم هذا المبحث إلى مطلبين؛ نخصص الأول منه لأثر المبادئ الأخلاقية المتعلقة بالعدالة والمساواة على تطبيق القانون الجنائي، والمطلب الثاني لأثر المبادئ الأخلاقية المتعلقة بالتعامل مع الأفراد على القانون الجنائي.

#### المطلب الأول: أثر المبادئ الأخلاقية المتعلقة بالعدالة والمساواة على تطبيق القانون الجنائي

حقيقة مبادئ العدالة والمساواة لمنهج الإمام علي عليه السلام لها انعكاسات عدّة في مجال القانون الجنائي. ولعلّ أبرز انعكاساتها كان في مجال المعاملة المتساوية للمتهمين وفرض عقوبات عادلة على الجميع؛ فضلاً عن تأثيرها الكبير في حقوق المتهمين، وكذلك الضحايا. لذلك سنقوم بتقسيم هذا المطلب إلى فرعين؛ نخصص الأول لأثره في المعاملة المتساوية والعقوبات العادلة، ونخصص الثاني لأثره في حقوق المتهمين.

#### الفرع الأول: أثره في المعاملة المتساوية والعقوبات العادلة

للإمام علي عليه السلام تطبيقات عديدة في مجال القانون الجنائي، فقد كان رمزاً للعدالة والمساواة في فرض القانون. فعندما نقول المعاملة المتساوية لا نقصد بذلك أنَّ الإمام

علي عليه السلام كان يعامل الجميع بنفس العقوبات دون أدنى مجال للتفريغ العقابي، بل على العكس تماماً، كان يراعي الفوارق الفردية بين المتهمين فيحكم على كلّ شخص بمقتضى ظروفه الشخصية، وبذلك سبق الإمام علي عليه السلام القانون في إرساءه لنظرية الظروف الشخصية حتى قيل عن محمد بن فرات عن الإصبع بن نباتة، قال «أتى عمر بخمسة نفر أخذوا في الزنا، فأمر أن يقام على كلّ واحد منهم الحدّ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام حاضراً، فقال: يا عمر ليس هذا حكمهم، قال: فأقم أنت الحدّ عليهم، فقدم واحد منهم فضرب عنقه، وقدم الآخر فرجمه، وقدم الثالث فضربه الحدّ، وقدم الرابع فضربه نصف الحد، وقدم الخامس فعزرّه، فتحيرّ عمر وتعجب الناس من فعله، فقال عمر: يا أبا الحسن خمس نفر في قضية واحدة أقمت عليهم خمس حدود، ليس شيء منها يشبه الآخر. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما الأول فكان ذمياً فخرج عن ذمته، لم يكن له حد إلا السيف، وأما الثاني فرجل محسن كان حدّه الرجم، وأما الثالث غير محسن جلد الحدّ، وأما الرابع بعد ضربناه نصف الحدّ، وأما الخامس فمجنون مغلوب على عقله»<sup>(١)</sup>.

ومن الرواية أعلاه يتبيّن لنا عدالة الإمام علي عليه السلام في إصدار الأحكام، وتبنيه مبدأ التفريغ العقابي؛ فأصدر خمسة أحكام مختلفة للمتهمين على الرغم من أنّ القضية واحدة آخذًا بمبدأ الظروف الشخصية والاجتماعية لكلّ متهم، فضلاً عن تعزيزه للمجنون بعدم إقامة الحدّ عليه كونه فاقد الإدراك والإرادة، وعده مانعاً من موانع المسؤولية الشخصية، وبذلك سبق الإمام عليه السلام القانون الوضعي في تلك المبادئ.

وكان الإمام عليه السلام لا يميز بين الخصوم في المحاكمات، وكان يعاملهم بالعدل والمساواة ولا يفرق بين أحد منهم أياً كانت مكانته بالمجتمع ووضعه؛ فالقانون واحد ويطبق على

(١) ينظر: د.ناهدة جليل الغالي و واثم علي القرغولي، الفقه الجنائي في قضاء الإمام علي واثره في بناء الدولة الإسلامية، مؤسسة علوم هرج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة - كربلاء، ط١، ٢٠١٠، ص. ١٣١.

الجميع. ومن صور المساواة ما ذكرته إحدى الروايات «أنَّ يهوديًّا شكا الإمام علي عليهما السلام إلى عمر بن الخطاب، فقال عمر للإمام علي عليهما السلام ساوي خصمك يا أبا الحسن، فوقف الإمام عليهما السلام إلى جوار اليهودي، وعندما قضى عمر وانصرف اليهودي، قال عمر: أكرهت يا علي أن تساوي خصمك؟ قال : بل كرهت أن تمييزني عنه فتناديوني بكنيتي أبا الحسن»<sup>(١)</sup>.

وكان الإمام علي عليهما السلام يؤكد دائمًا المساواة في القضاء، ويستخلص ذلك من وصيته للقاضي شريح بن هانئ حيث جاء فيها «وآس بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك حتى لا يطمع قريبك من حيفك، ولا يأس عدوك من عدلك»<sup>(٢)</sup>.

وجعل أمير المؤمنين المساواة بين الخصوم قاعدة أساسية في حل القضايا التي تعرض عليه، وتجلى المساواة في أجمل صورة في رواية نقلها ابن فردون حيث ذكر «أنَّ علياً عليهما السلام خاصم يهوديًّا عند القاضي شريح، فجلس على كرسيه في صدر المجلس وجلس شريح والذمي دونه، وقال علي عليهما السلام: لو لا أنَّ النبي عليهما السلام عفا عن مساواتهم في المجالس جلست معه». ومن ذلك يتضح تماماً وجوب التساوي بين الخصوم. كما عزل الإمام علي عليهما السلام أبا الاسود الدؤلي لما بلغه أنَّ صوته علا صوت خصمه، فقال للإمام علي عليهما السلام: «لما عزلتني وما خنت وما جنיתי؟ فقال الإمام علي عليهما السلام: إني رأيت كلامك يعلو كلام خصمك»<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: نور الله الحسيني المرعشبي التستري، شرح احراق الحق وازهاق الباطل، مطبعة الحافظ، قم، ط ١، ١٤١٧ هـ، ٣٢ / ١٤٧.

(٢) ينظر: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الموسوي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٤، ١٣٦٥ هـ، ٦ / ٢٢٦.

(٣) ينظر: د. عباس زبون العبودي، تأملات قانونية في رسالة القضاء للأمام علي، بحث منشور في مجلة أهل البيت، العدد السابع، ص ٣٧.

ومن هنا يبيّن لنا التأكيد الكبير لأمير المؤمنين عليه السلام على العدالة والمساواة في تطبيق القانون لما لها من أثر كبير في المجتمع والأفراد على السواء.

### الفرع الثاني: أثره في حقوق المتهمين

كان لمبادئ العدالة والمساواة لمنهج أمير المؤمنين عليه السلام انعكاس كبير على الجوانب المتعلقة بحقوق المتهمين، وكذلك الضحايا. فمن أثراها في حقد المتهمين أنّه كان يستمع إلى المتهم ويعطيه الحق في الدفاع عن نفسه قبل إصدار الحكم، كون ذلك أدّى إلى كشف الحقيقة وملابساتها، كما له الأثر الكبير في صحة الحكم وعدالته باعتباره ضمانة من ضمانات المتهم. وتؤكدًا لذلك ما رواه الشيخ المفيد «أنّ امرأة شهد عليها شهوداً لهم وجدوها في بعض مياه العرب مع رجل يطئها ليس بجعل لها، فأمر عمر برجها، وكانت ذات بعل. فقالت اللهم تعلم أنّي بريئة، فغضب عمر. وقال: وتجرب الشهود أيضًا؟ فقال أمير المؤمنين: ردّوها واسألوها لعلّ إليها عذر، فردّت وسئلّت عن حالها فقالت: كان لأهلي إبل فخرجت في إبل أهلي وحملت معي ماء، ولم يكن في إبل أهلي لبن، فنفذه مائي فاستقيته فأبى أن يسقيني حتى أمكنه من نفسي، فأبى، فلما كادت نفسي تخرج أمكنته من نفسي كرهاً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله أكبر. قال تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ عَيْرَ بَاغَ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> فلما سمع عمر خليّ سبيلها»<sup>(٢)</sup>، واضح من القضية أنّ المرأة كانت متّهمة بالزنا، لكن الإمام عندما أعطاها الفرصة للدفاع عن نفسها، انتهى الحكم إلى حقيقة أن المرأة بريئة من فعل الزنا، وأن فعلها كان اضطرارياً. فنلاحظ من الرواية أعلاه أهمية إعطاء الحق للمتهم في الدفاع عن نفسه ضمانةً من ضمانات المتهمين.

(١) ينظر: الآية ١٧٣ من سورة البقرة.

(٢) ينظر: د. ناهدة جليل الموسوي ووئام علي القرغولي، المصدر السابق، ص ١١٧.

ومن ضمانت المتهمين التي كفلها الإمام علي عليه السلام في القضاء والتي سبق بها القوانين الوضعية علنية جلسات المحاكمة التي تجعل من الجمهور رقيباً على القضاة؛ وبالتالي ضمان عدم انحرافهم في إصدار الأحكام وبالتالي تتحقق التراهنة في إصدار الحكم<sup>(١)</sup>. فقد كان للإمام علي عليه السلام مكان خاص في مسجد الكوفة يجلس فيه للقضاء، ومنع الإمام عليه السلام إقامة القضاء في الأماكن الخاصة لأنّها تكون بعيدة عن مراقبة الناس حتى إنّه عندما بلغ الإمام عليه السلام أنّ القاضي شريح يحكم في بيته قال له: «يا شريح اجلس في المسجد، فإنّه أعدل بين الناس، وإنّه وهن بالقاضي أن يجلس في بيته»<sup>(٢)</sup>. والغاية المبتغاة من منع المحاكمة في البيت كونها ستكون بعيدة عن مراقبة الناس، وربما تجعل القاضي يحكم وفقاً لأهوائه الشخصية. كما أعطى أمير المؤمنين عليه السلام الأفراد حقّ الاعتراض على قرار القاضي، وهو يشبه ما يعرف الآن بحق الطعن في الأحكام؛ وبذلك أيضاً سبق القوانين الوضعية في ذلك. ومنها ما روی بأنّ الإمام علي عليه السلام «أعطى حقاً للشاب الذي اعترض على حكم شريح القاضي في تبرئة الرجال الذين شاركوا أباه في رحلة التجارة، حيث قُتل في الطريق، وكان الشاب على يقين بأنّهم هم الذين قتلواه، فاعتراض على ذلك الحكم عند أمير المؤمنين عليه السلام الذي قام بتفریق الشهود ومساءلتهم، كلّ على انفراد، حتى اكتشف التناقض في أقوالهم، وبالتالي ثبت له صحة اعتراض الشاب على حكم شريح»<sup>(٣)</sup> فأسلوب تفریق الشهود وعزّلهم بعضهم عن بعض كشف حقيقة الجريمة وأظهر التناقض الكبير بين الأقوال؛ وهذه إحدى مزايا الإمام علي عليه السلام في التحقيق التي سبق بها القانون الوضعي بقرابة ألف وثلاثمائة سنة.

(١) ينظر: د. عصام عفيفي عبد البصير، مبدأ الشرعية الجنائية (دراسة مقارنة في القانون الوضعي والفقه الجنائي الإسلامي)، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠٠٤، ص ١٢٤.

(٢) ينظر: د. محسن باقر الموسوي، القضاء والنظام القضائي عن الإمام علي عليه السلام، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ١٩٩٩، ص ٣٨.

(٣) ينظر: د. عبد الله علي بن عبد الله المهدى، منهاج الأمام علي في التحقيق الجنائي، بحث منشور في مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد (٤٨)، يونيو ٢٠١٦، ص ٢٦١.

كما اهتم الإمام عليه السلام بحق المجتمع والجماعة، فأقر نظام القساممة وهي عند الإمام عليه السلام «القساممة جعل في النفس على العهد خمسين رجلاً، وجعل في النفس على الخطأ خمسة وعشرين رجلاً»<sup>(١)</sup> بمعنى أن يضمن خمسين رجلاً القاتل. والحكمة من ذلك تعديل التضامن الاجتماعي حماية لأفراد المجتمع وإشاعة الأمان والنظام، وعن المحقق الحلي قال: «لو كانوا أقل من الخمسين كررت عليهم الأيمان حتى يكملوا العدد»<sup>(٢)</sup>.

مما ذكر أعلاه نرى التأكيد البالغ لضمائر المتهمين من قبل الإمام علي عليه السلام في القضاء، وهو بهذا يكون سبق القوانين الوضعية بقرون عديدة في تطبيقها، لما لها من أهمية كبرى في الوصول إلى الحقيقة وتحقيق العدالة.

#### **المطلب الثاني: أثر المبادئ الأخلاقية المتعلقة بالتعامل مع الأفراد في القانون الجنائي.**

كان للمبادئ الأخلاقية للإمام عليه السلام المتعلقة بالتعامل مع الأفراد التي سبق أن تطرقنا لها كالاعفو والتسامح والإحسان للأفراد والمسؤولية الشخصية، كان لها الانعكاس الكبير على تطبيق القانون عامه والجنائي خاصة فقد كان لها عظيم الأثر في إقرار مبادئ قانونية متعددة منها الإعفاء من العقاب وجود بدائل للعقوبات، وكذلك المصالحة بين الخصوم فضلاً عن تأثيرها الكبير في الإصلاح والتأهيل الجنائي، وللوقوف عليها بشيء من الإيجاز سنقوم بتقسيم هذا المطلب إلى فرعين نخصص الفرع الأول للإعفاء من العقاب ونوضح في الثاني منه الإصلاح والتأهيل الجنائي.

(١) ينظر: د. زهراء مهدي كاطع وهبة مرتضى علي، سلامه القضاة عند الإمام علي عليه السلام-الفقه الجنائي إنموذجاً، بحث منشور في مجلة أهل البيت، العدد ٣٠، ص ٩٠.

(٢) ينظر: د. زهراء مهدي كاطع وهبة مرتضى علي، المصدر اعلاه، ص ٩٠.

### الفرع الأول: أثره في الإعفاء من العقاب

أخذ الإمام عليه السلام بمبدأ إعفاء المتّهم من العقوبة التي تصدر بحّقه، ومن تتبع الروايات لأمير المؤمنين عليه السلام، وجدنا أهّمها سقطت في عدّة موارد منها التوبة والإكراه والخطأ والتحذير المسبق، والذين رفع عنهم القلم، وحالة الدفاع عن النفس والمال والعرض، وكذلك المجاعة والتّأديب، وكذلك عدم العلم بالحكم. ولأنّ موضوعنا متعلق بالمبادئ الأخلاقية لمنهج الإمام عليه السلام فستتطرق إلى بعض الروايات المتعلقة بالمنهج مدار البحث، ولعلّ أهّمها التسامح؛ فإشاعة مبدأ التسامح والرحمة سينعكس على العفو عن المتّهم إذا ما تاب مختاراً عن فعله. ومنها ما روي «أنّه جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأقرّ بالسرقة وهو نادم على فعله، تائب من عمله، فطلب منه الإمام أن يقرأ سورة البقرة، فقرأ، فوهب له الإمام يده. فقال الأشعث: أتعطل حدّاً من حدود الله؟ قال: وما يدريك ما هذا؟ إذا قامت البيينة فليس للإمام أن يعفو، وأن أقرّ الرجل على نفسه فذاك إلى الإمام أن شاء عفا وأن شاء قطع»<sup>(١)</sup>. فالإمام عليه السلام أقرّ بمبدأ التوبة ومن ثمّ العفو عن المتّهم، لكن بشرط قبل إقرار البيينة، لأنّه إذا قامت البيينة أصبح للإمام خيارات إما أن يعفو أو أن يقيم عليه حد السرقة، وهو القطع. واضح بشكل كبير مدى الحكمة الكبيرة من هذا الشرط، فالشخص الذي يتوب مختاراً وقبل أن يصل العلم بجريمته إلى القضاء وقبل شهادة الشهود دليل كبير على أنّه تاب مختاراً فعلاً، في حين أنّ الشخص الذي يعدل عن جريمته بعد علم الإمام والشهود فهو يتوب مجرّباً وخوفاً من العقاب. وهذا المبدأ قانوني وأخذ به القانون الوضعي في وقتنا الحالي حيث اشترط المشرع للإعفاء من العقاب في بعض الجرائم أن يتقدم الشخص مختاراً للإبلاغ عن الجريمة بشرط قبل أن تشرع السلطات المختصة بالعمل التحقيقي في الجريمة موضوع التبليغ.

(١) ينظر: أبو هلال ابراهيم، قضاة أمير المؤمنين، منشورات الشـرـيف الرـضـيـ، طـ٥ـ، قـمـ، صـ٣٩ـ.

## الفرع الثاني: الإصلاح والتأهيل الجنائي

إن الإمام عليه السلام قد اتبع أساليب متعددة في قضائه الجنائي بحسب نوع الجريمة المعروضة أمامه؛ فقد فرق في العقوبة بين الحدود التي تعد حقاً خالصاً لله تعالى وبين القصاص المتعلقة بحقوق الأفراد وبين التعزير، ولم يستعمل العنف في حكمه إلا في حالات محدودة لأن هدفه في القضاء كان الإصلاح والتأهيل وليس التنكيل بالمتهمين.

ففي رواية عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن أمير المؤمنين أتي برجل اخترس درةً من أذن جارية فقال: هذه الدغارة المعلنة<sup>(١)</sup> فضربه وحبسه»<sup>(٢)</sup>.

ومستفاد من الرواية أعلاه هو سقوط حد القطع عن السارق، وإيجاد بديل للحد باستعادة المال منه وتعزيره بما يراه الحاكم مناسباً لظروف المتهم، ومن ثم ستكون الغاية من الحكم هو الإصلاح والتأهيل، وليس التعذيب والتنكيل.

كما أقر الإمام عقوبة الحبس إلا أنها كانت من العقوبات الثانوية التي تفرض على الجرائم البسيطة، في حين أن القوانين الوضعية قد جعلتها من العقوبات الأساسية، لذلك فالبلدان التي تطبق عندها أحكام الشريعة الإسلامية تقل عندها عقوبة الحبس بشكل كبير.<sup>(٣)</sup>

(١) الدغارة المعلنة بمعنى السرقة الظاهرة، ينظر: أحمد فتح الله، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، مطبعة المدخل، الدمام، ط١، ١٤١٥ هـ ص ١٨٩.

(٢) د. ناهدة جليل الموسوي ووئام علي الرغولي، المصدر السابق، ١٧٤.

(٣) ينظر: عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي، مطبعة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠١ هـ.

وبين الإمام علي من يجوز حبسه حيث قال «يجب على الإمام أن يحبس الفساق من العلماء، والجهال من الأطباء، والمفاليص من الأكرياء»<sup>(١)</sup>. فمن الحديث نرى أن الإمام عليه السلام قد وجب الحبس على الإمام الفاسق، وكذلك الطبيب الجاهل، والمفاليص من الأكرياء بمعنى من يتظاهر بالغنى. ففي الشخصيات الثلاثة التي أعطى الصلاحية للإمام بحبسها إنما أراد مصلحة المجتمع. ففرض عقوبة تعزيرية تتمثل بالحبس لدورهم الكبير في إفساد المجتمع، كون كل واحد منهم له دور في جانب. فالعالم يتوقف عليه نصح الناس وإرشادهم وليس تضليلهم، والطبيب إنما مسؤول عن صحة المجتمع وسلامته وأرواح الناس، فإن كان جاهلاً سيكون دوره معاكساً، ومن يدعى الغنى إنما يستعمل التدليس فيتظاهر بالغنى ومن ثم سيؤثر في الحقوق الاقتصادية للمجتمع ويسبب له الضرر. فالإمام عليه السلام ركز على صلاح الفرد والمجتمع؛ فبفرضه عقوبة الحبس التعزيرية أراد منها الإصلاح والتهدیب وحماية المجتمع في الوقت ذاته. هذه هي المبادئ الأخلاقية لأمير المؤمنين التي سبق القوانين بها في تشرعها وكذلك في تنفيذها وتطبيقاتها. في الوقت الذي يكون في الغالب تطبيق القانون صعباً في وقتنا الحالي كان الإمام يطبق القانون على المجتمع في عصره بكل عدالة ونزاهة وحيادية؛ لذلك وجب علينا بصفتنا باحثين أن نؤكد بشكل مستمر تلك المبادئ، وندعو إلى الاقتداء بمبادئ الإمام عليه السلام في تشرع القانون وتطبيقه.

(١) ينظر: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي الصدوق، من لا يحضره الفقيه، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٢، ٣/٣٢.

## الخاتمة

في نهاية بحثنا الموسوم بـ(المبادئ الأخلاقية لمنهج الإمام علي عليه السلام في تطبيق القانون الجنائي) لا يسعنا إلّا أن نقوم ببيان ما توصلنا له من نتائج وتوصيات:

### أولاً: النتائج

- ١- توصلنا إلى أنَّ الإمام علي عليه السلام كان رائداً في ترسیخ مبادئ العدل في المجتمع الإسلامي منذ لحظة تسلمه الحكم، فسعى بجدية كبيرة إلى تحقيق العدالة ومحاربة الفقر، حيث أمر بتوزيع الحقوق على المواطنين. فقد كانت عدالته نموذجاً يحتذى به على مر العصور، فضلاً عن إنّها تمثل تجسيداً للتكامل الإنساني للمسلم الحقيقي.
- ٢- تأكيد الإمام علي عليه السلام للعدالة في إصدار الأحكام، وتبنيه مبدأ التفريذ العقابي، وأخذه بنظرية موانع المسؤولية الجزائية؛ وبذلك سبق الإمام علي عليه السلام القانون الوضعي في تلك المبادئ القانونية المهمة.
- ٣- وضحنا كيف أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد سبق القوانين الوضعية في كفالة حقوق المتهمين بتوفير الضمانات التي تؤمن حقوقهم وتصون كرامتهم؛ ومنها حقه في الدفاع عن نفسه ومبدأ علنية المحاكمات، وحق الاعتراض على الحكم، وحق الاستئناف إلى الشهود على انفراد وغيرها.
- ٤- كما اهتمَ الإمام علي عليه السلام بحق المجتمع وتبنيه مبدأ التضامن الاجتماعي لحماية المجتمع وأفراده، فأقرَ نظام القسامات.

٥- يَبْيَنُ أَنَّ الْإِمَامَ لِعَلَيْهِ الْكَفَالَةِ قد اتَّبَعَ أَسَالِيبًا مُتَعَدِّدةً فِي قَضَائِهِ الْجَنَائِيِّ بِحَسْبِ نَوْعِ الْجَرِيمَةِ الْمُعْرُوضَةِ أَمَامَهُ، فَقَدْ فَرَقَ فِي الْعَقُوبَةِ بَيْنَ الْمَحْدُودِ النِّيَّ تَعْدَّ حَقًا خَالصًا لِلَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ الْقَصَاصِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِحَقْوقِ الْأَفْرَادِ وَبَيْنَ التَّعْزِيرِ، وَلَمْ يَسْتَعْمِلْ الْعَنْفَ فِي حُكْمِهِ إِلَّا فِي حَالَاتِ مُحَدَّدَةٍ لَأَنَّ هُدْفَهُ فِي الْقَضَاءِ كَانَ الإِصْلَاحَ وَالتَّأْهِيلَ وَلَا يَسْتَكِيلُ بِالْمُتَهَمِّمِينَ.

### ثانية: التوصيات

١- تَبْيَنُ النَّهَجُ الْأَخْلَاقِيُّ لِلْإِمَامِ عَلَيْهِ الْكَفَالَةِ فِي تَطْبِيقِ الْقَانُونِ الْجَنَائِيِّ بِحَسْبِهِ الْأَنْمُوذِجِ الْأَرْقَى فِي تَشْرِيعِ الْقَانُونِ وَتَطْبِيقِهِ بِكُلِّ عَدْلَةٍ وَنِزَاهَةٍ وَحِيَايَةٍ؛ الْأَمْرُ الَّذِي يَتَرَبَّعُ عَلَيْهِ تَحْقِيقُ الْأَمْنِ الْاجْتَمَاعِيِّ وَالْقَضَاءِ عَلَى الْفَوْضِيِّ وَاللامْسَاوَةِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمَجَمِعِ.

٢- دُعْوَةُ الْمَؤْسِسَاتِ التَّرْبُوِيَّةِ وَالْتَّعْلِيمِيَّةِ إِلَى إِقَامَةِ الدُّورَاتِ وَالْوَرَشِ وَالْحَلْقَاتِ النَّقَاشِيَّةِ لِلطلَّابِ لِتَعْرِيفِهِمْ بِعِلْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِعَلَيْهِ الْكَفَالَةِ وَقَضَائِهِ وَبِبَيَانِ دُورِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ الْكَفَالَةِ الْكَبِيرِ فِي إِرْسَاءِ مَعَالِمِ الْفَقْهِ الْجَنَائِيِّ الْإِسْلَامِيِّ وَالْقَضَاءِ خَصْصَوْصًا لِلطلَّابِ كُلِّيَّاتِ الْقَانُونِ وَالْحَقُوقِ.

وَمِنْ اللَّهِ التَّوْفِيقُ

## المراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

- ١- أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي الصدوق، من لا يحضره الفقيه، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٢، ٣/٣٢.
- ٢- أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الموسوي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤، ١٣٦٥ هـ.
- ٣- أبو هلال إبراهيم، قضايا أمير المؤمنين، منشورات الشريف الرضي، ط٥، قم.
- ٤- أحمد فتح الله، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، مطبعة المدخل، الدمام، ط١، ١٤١٥ هـ.
- ٥- د. جمال إبراهيم الحيدري، ملامح السياسة الجزائية في القرآن الكريم، ط١، مكتبة السنهوري، بغداد، ٢٠١٣.
- ٦- د. دينيس لود، فكرة القانون، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨١.
- ٧- د. صبحي الصالح، شرح نهج البلاغة، ج٥، دار الهجرة للنشر، إيران، ٢٠٠٣.
- ٨- عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي، مطبعة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠١ هـ.

- ٩- د. عصام عفيفي عبد البصير، مبدأ الشرعية الجنائية (دراسة مقارنة في القانون الوضعي والفقه الجنائي الإسلامي)، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ٢٠٠٤.
- ١٠- د. محسن باقر الموسوي، القضاء والنظام القضائي عن الإمام علي عليه السلام، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ١٩٩٩.
- ١١- محمد عيدان العبادي، أخلاق الحرب عند الإمام علي، دار الأمين للطباعة، بيروت، ٢٠٠٥.
- ١٢- د. ناهدة جليل الغالبي و وئام علي القرغولي، الفقه الجنائي في قضاء الإمام علي وأثره في بناء الدولة الإسلامية، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية، كربلاء، ط١، ٢٠١٠.
- ١٣- نور الله الحسيني المرعشبي التستري، شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل، مطبعة الحافظ، قم، ط١، ١٤١٧هـ.

### ثالثاً: البحوث والمقالات

- ١- د. زهراء مهدي كاطع وهبة مرتضى علي، سلامة القضاء عند الإمام علي عليه السلام- الفقه الجنائي أنموذجاً، بحث منشور في مجلة أهل البيت، العدد ٣٠.
- ٢- د. عباس زبون العبودي، تأملات قانونية في رسالة القضاء للإمام علي، بحث منشور في مجلة أهل البيت، العدد السابع، ص ٣٧.
- ٣- د. عبد الله علي بن عبد الله المهدي، منهاج الإمام علي في التحقيق الجنائي، بحث منشور في مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد (٤٨)، يونيو ٢٠١٦.



# تحليل ودراسة خصائص الحكومة الصالحة

من وجهة النظر الإمام علي عليه السلام

في نهج البلاغة

الباحث

أ.م.د. أصغر طهماسبي البُلداجي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

إن الإنسان ذو طبيعة مدنية، وقد بنى عيشه منذ بداية حياته على أساس المجتمع، كما إن الحياة في ظل المجتمع والحكمة الجماعية لها آلياتها الخاصة وتنطلب التماسك الاجتماعي في ظل الرقابة الشاملة. يذكر القرآن الكريم الأنبياء باعتبارهم الذين كان لهم دور توجيه المجتمع وقرروا إزالة الخلافات والانقسامات من المجتمع: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحُقْقِ لِيَحُكُّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾<sup>(١)</sup>. في هذه الآية المباركة، يبدو الدور الرئيس للأنبياء عليهما في حل الخلافات في المجتمع واضحاً تماماً. لذلك يمكن من خلال هذه الآية المباركة أن نذكر الأنبياء عليهما باعتبارهم أول من وضعوا المجتمع في عملية توجيه خاص ونظام اجتماعي. يذكر القرآن الكريم الأنبياء الذين أعطاهم الله منصب الخلافة حتى يحكموا بالحق: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحُقْقِ وَلَا تَتَّبِعِ الْهُوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>. في هذه الآية المباركة لمحنة عامة عن خصائص الحكومة الصالحة، وتقدم الحكومة على أساس الحق باعتبارها المؤشر الأبرز في هذا الصدد. لذلك فإنّ مبدأ تشكيل الحكومة وإعطاء النظام للمجتمع، هو أحد الأسس القرآنية في هذا الصدد. ومن الناحية الفكرية، لكي يستمر الإنسان في الحياة الاجتماعية، يحتاج بالضرورة إلى حكومة تنظم المجتمع وتحكم فيه.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٦.

إن الإمام علي عليه السلام يصف وجود الحكومة بأنّها من ضروريات حياة الإنسان سواء كان فاجراً أو مؤمناً: «وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرًّا أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَاتِهِ الْمُؤْمِنُ وَيَسْتَمْتَعُ فِيهَا الْكَافِرُ وَيَبْلُغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ وَيَقْاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرًّا وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ»<sup>(١)</sup>. ومعنى كلام الإمام عليه السلام هذا هو أنّه إذا كانت الحكومة ضرورية لحياة الإنسان، فما أجمل أن تكون هذه الحكومة ذات أصل إلهي، حتى تنفذ في هذه الحكومة الأوامر الإلهية ويصل الحق إلى صاحب الحق. في كثير من الأحيان يعدد الإمام علي عليه السلام خصائص الحكومة الصالحة. إنّ حكومة أمير المؤمنين عليه السلام منذ عدّة سنوات هي مظهر ملموس واضح لهذا النوع من الحكم الذي اعترف به الأصدقاء والأعداء على حد سواء. إنّ نهج البلاغة باعتباره مظهراً من مظاهر سيرة الإمام علي عليه السلام العلمية والعملية، هو مثل جيد لخصائص الحكومة الصالحة والتي من المهم الاهتمام بها في نمذجتها وبيان أسلوب الحياة العلوى في هذا المجال. ولذلك فإنّ هذا البحث بهذا المنهج، وبمحور نهج البلاغة، يتناول مؤشرات الحكومة الصالحة بأبعاد مختلفة. في المحور الأول، بينا خصائص الحكومة الصالحة في بعد المعرفي؛ وفي هذا الصدد ذكرنا أهمّ أساساً ومبدأ في تكوين الحكومة الصالحة، وهو ألوهيتها. في المحور الثاني، ذكرنا الخصائص السياسية للحكومة الصالحة. في المحور الثالث، ذكرنا المؤشرات الاجتماعية المبنية على علوّ المجتمع وسعادته، وفي المحور الرابع والأخير تطرقنا إلى المؤشرات الاقتصادية للحكومة الصالحة في تحقيق العدالة الاقتصادية وإزالة الفقر من المجتمع. ومن الجدير بالذكر أنّه قد تناولنا في بحثنا الحالي هذه القضية بمنهج جديد شامل لتكامل الأبعاد، ولم يكتب أي بحث سابق بهذا المنهج.

(١) نهج البلاغة: خطبة ٤٠.

## مؤشرات الحكومة الصالحة على أساس نهج البلاغة:

ولم تكن الحكومة الصالحة ذات بعد واحد، بل تشمل جميع جوانب الحياة؛ بعبارة أخرى، إنّ الحكومة الصالحة هي حكومة شاملة. في هذه الحكومة لا تؤخذ في الاعتبار الظروف المادية والاقتصادية فقط، بل إنّ الظروف الاقتصادية والمادية هي وسيلة لتحسين الحياة حتى يتمكن الإنسان من الوصول إلى الهدف الأسمى للخلق وهو القرب من الله. فيما يلي نبحث أهم المؤشرات:

### أولاً: المؤشرات المعرفية:

إنّ الحكومة الصالحة التي تكون موضع اهتمام الله، هي الحكومة المبنية على وصايات الله. بعبارة أخرى هي حكومة يكون فيها الله مركزاً. ومن الممكن أن تكون بعض الحكومات خصائص مرغوبة في أبعاد مختلفة، لكنّ أساس هذه الحكومات ليس الله. قد ذكر القرآن الكريم هذه الأمور حيث يقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْفُرْقَانَ إِذْلِمْ وَأَهْلُهُمْ مُصْلِحُون﴾<sup>(١)</sup>. ومن الممكن أن يكون أهل منطقة ما ليسوا متدينين، بل هم أهل إصلاح، وإصلاحهم يمنع أن يتزل عليهم العقاب؛ ولكن في الحكومة الصالحة ذات مركبة إلهية، فإنّ مبدأ وأساس تلك الحكومة هو الله وفي سبيل الله ومبدأ تشكيلاها هو تنفيذ أوامر الله. والمؤشرات المعرفية للحكومة الصالحة تدلّ على هذا الأمر؛ وهو ما سنذكره فيما يلي مع التركيز على نهج البلاغة:

(١) سورة هود، الآية: ١١٧.

## الإيمان بالله:

الحكومة الصالحة لها أساس إلهي. الهدف الأساسي لتشكيل الحكومة الإلهية هو تنفيذ الأوامر الإلهية؛ لا يمكن مقارنة حاكم الحكومة الإلهية بأي حال من الأحوال بالحكومة الملكية. إنّ الحكومة الإلهية في الإسلام لا تقوم على الربح والوصول إلى المناصب والمقام، وهو ما لا يتحقق إلّا بانتهاك حقوق الناس وظلمهم. حكم الله في الإسلام، يقوم على تنفيذ أوامر الله في المجتمع وتحرير الناس من الظلم وظلمات الجهل. إنّ سيرة حكومة النبي الكريم ﷺ والإمام علي عليهما السلام يذكر قطعاً هذا الأمر. يتحدث الإمام علي عليهما السلام عن المعاملات غير الإلهية معه ويوضح صفات الحاكم الإسلامي: «فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبْدُ مُمْلُوكٍ لِرَبِّ لَرَبَّ غَيْرِهِ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا تَمْلِكُ مِنْ أَنفُسِنَا وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ فَأَبَدَنَاهُ بَعْدَ الصَّالَةِ بِالْهُدَى وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى»<sup>(١)</sup> في هذا الخطاب يقدم الإمام علي عليهما السلام نفسه حاكماً إلهياً، بعيداً عن سيرة الملوك والطغاة. إنّ الحكومة الإلهية في نظر أمير المؤمنين عليهما السلام تقوم على المعتقدات التوحيدية والله وإقامة دين الله؛ فيقول عن هذا: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ذَيْدِي كَانَ مِنَّا مُنَافِسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا اتِّمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمُعَالَمَ مِنْ دِينِكَ»<sup>(٢)</sup>. يذكر أنّ وجود الإمام العادل من عند الله عامل في إحياء السنن الإلهية والقضاء على البدع<sup>(٣)</sup>. ومن ناحية أخرى، فإنّ تشكيل حكومة جديرة على أساس المعتقدات الإلهية،

(١) نهج البلاغة، خطبة ٢١٦.

(٢) المصدر نفسه، خطبة ١٣١.

(٣) «فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدِيٌّ وَهَدِيٌّ فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً وَأَمَاتَ بِدُعَةً مُجْهَوَّلَةً وَإِنَّ السُّنَّةَ لَنِيَّرَةً لَهَا أَعْلَامٌ وَإِنَّ الْبَدْعَ لَظَاهِرَةً لَهَا أَعْلَامٌ وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً وَأَحْيَا بِدُعَةً مُتْرُوكَةً وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ يُؤْتَى يَوْمُ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَازِرٌ فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحْيَ ثُمَّ يَرْبَطُ فِي قَعْرِهَا». (نهج البلاغة، خطبة ١٦٤).

بالإضافة إلى المساعدة في توجيه الناس وتوضيح طريق السعادة لهم، يساعد أيضًا في تطبيق الأحكام والحدود الإلهية.<sup>(١)</sup> وهذا من أهم مؤشرات الحكومة الصالحة التي أساسها الإيمان بالله تعالى.

### حكومة مبنية على الأخلاق الإلهية

ومن أهم أسس الحكومة الإسلامية هي الحكومة المبنية على الأخلاق. السياسة في الإسلام مبنية على الصدق، واجتناب الظلم والخداع؛ فالنفاق والخداع والوصول إلى المنافع في ظل القضايا السياسية يعتبر أمراً مرفوضاً في التعاليم الإسلامية. يقول الإمام علي عليه السلام في خطابه لمعاوية وسياساته المبنية على الخداع والنفاق: «وَاللَّهُ مَا مُعَاوِيَةٌ بِأَدْهَى مِنِي وَلَكِنَّهُ يَعْدُرُ وَيَفْجُرُ وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ عُذْرَةٍ فُجْرَةٌ وَكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ وَلِكُلِّ عَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مَا أُسْتَعْفَلُ بِالْمُكْبَدَةِ وَلَا أُسْتَعْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ».<sup>(٢)</sup> في هذا الخطاب، يعرف الإمام عليه السلام السياسة المبنية على الخداع والنفاق بأئتها فجور وإثم. يصف الإمام عليه السلام سيرته الحكومية بعيداً عن السرية والكذب، وأنئتها سياسة سليمة ومبنية على الأخلاق: «وَاللَّهُ مَا كَتَمْتُ وَشَمَّهَ وَلَا كَدَبْتُ كِذْبَةً».<sup>(٣)</sup> وفي حالات مختلفة، ينصح الإمام عليه السلام موظفيه بالأخلاق في السياسة.<sup>(٤)</sup> يطلب الإمام عليه السلام من مالك الأشتر الالتزام بأخلاق الله في جميع الأحوال ومراعاة الأخلاق والأمانة والإخلاص للوعد حتى مع

(١) المصدر نفسه، رسالة ٥٣.

(٢) المصدر نفسه ، خطبة ٢٠٠.

(٣) المصدر نفسه، خطبة ١٦.

(٤) يقول مخاطبا مالك الأشتر النخعي: «وَأَشْعَرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعْيَةِ وَالْمُحَبَّةَ هُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَ عَلَيْهِمْ سَبْعًا صَارِيًّا تَغْتَمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخْ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا تَظِيرُ لَكَ فِي الْخُلُقِ» المصدر نفسه. الرسالة ٥٣.

الأعداء.<sup>(١)</sup> في مخاطبته «عما له على الخراج» يؤكّد مراعاة الأخلاق والعدالة ومراعاة الله في الأمور.<sup>(٢)</sup> ولذلك، فإنّ الحكومة المبنية على الأخلاق هي من أهمّ الخصائص الضرورية للحكومة الصالحة.

### ثانياً: المؤشرات السياسية:

السياسة في الحكومة الصالحة هي سياسة بعيدة كلّ البعد عن النفاق والظلم. إنّ السياسة في الحكومة الصالحة هي في إطار التعاليم الإلهية، وقائد هذه الحكومة لا يسلك سوى طريق الحقّ وإلى الحقّ. المؤشرات السياسية للحكومة الصالحة يُؤتمن بها على المستويين المحلي والدولي. ومن أهمّ المؤشرات السياسية في هذا الصدد:

### التنفيذ الشامل للعدالة:

إنّ أحد أهمّ المؤشرات السياسية للحكومة الصالحة والتي تؤكّدتها التعاليم الدينية هو إقامة العدالة. ومن أهمّ أهداف رسالات الأنبياء، كانت العدالة الاجتماعية. يقول القرآن الكريم عن هذا: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا إِلَيْبِنَاتٍ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُوْمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُولُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(٣)</sup>. ومن الفلسفات المهمة للبعثة النبوية، تنفيذ القسط

(١) وَإِنْ عَدَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ [عَدُوِّكَ] عَدُوِّكَ عُقْدَةً أَوْ أَبْسَتَهُ مِنْكَ ذَمَّةً فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ وَأَرْعَ ذَمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَاحَ دُونَ مَا أَعْطَيْتَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ قَرَائِبِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُ عَلَيْهِ اجْتِمَاعًا مَعَ تَفْرِقَ أَهْوَاهِهِمْ وَتَشَتَّتَ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَقَدْ لَوِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا يَبْتَهِمُونَ دُونَ مُسْلِمِينَ لِمَا اسْتُوْبُلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَيْرِ فَلَا تَغْرِيَنِ بِذَمَّتَكَ وَلَا تَخْيِسَنِ بِعَهْدَكَ وَلَا تَخْتَلَّنِ عَدُوِّكَ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِي عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيقٌ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَذَمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ يَبْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ(المصدر نفسه).

(٢) المصدر نفسه، رسالة ٥١.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

والعدل: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾<sup>(١)</sup>. لقد كان تحقيق العدالة بين الناس، أحد الاحتياجات الأساسية، وكان الإنسان دائمًا بحاجة إلى هذا الشيء المهم في حياته. الإمام الصادق عليه السلام يعتبر العدل من احتياجات الناس كافة: «ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ يَجْتَاجُ النَّاسُ طُرًّا إِلَيْهَا الْأَمْنُ وَالْعَدْلُ وَالْخِصْبُ»<sup>(٢)</sup>. وفي المجتمع الإسلامي، تعدّ عدالة الحكام من ضروريات الحكومة الإسلامية. لقد كانت سيرة النبي الكريم العلمية والعملية، مثالاً كاملاً للعدالة المركزية وتنفيذ العدالة.<sup>(٣)</sup> كانت سيرة الإمام علي عليه السلام أيضاً نموذجاً كاملاً لطلب العدالة والعدالة المركزية مستوحاة من النبي الأكرم. كان الإمام علي عليه السلام يؤكد في سنوات خلافته مسألة العدل والعدالة، ويدرك أنّ أحد الأسباب الرئيسية لقبول الخلافة، هوأخذ حقوق المظلومين ومواجهة الظالمين.<sup>(٤)</sup> وكان الإمام علي عليه السلام يرى أنّ إقامة الحق والعدل أحب من أي شيء آخر: «وَاللَّهُ لَهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَاتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًاً أَوْ أُدْفَعَ بَاطِلًا»<sup>(٥)</sup>. الإمام علي عليه السلام لم يستسلم للنفعية ولم يضحي بالعدل؛ كان يصرّ دائمًا على العدالة والصمود.<sup>(٦)</sup> قد لوحظت العدالة في سيرة الإمام علي عليه السلام بسبب آثارها المهمة؛ الآثار التي تظهر في المجتمع الإسلامي بموازين الدنيا والآخرة.<sup>(٧)</sup> مبدأ العدالة في الثقافة العلوية، يقوم على عدالة الحكام<sup>(٨)</sup> والعدالة المركزية

(١) سورة الاعراف، الآية: ٢٩.

(٢) الحراني، تحف العقول: ص ٣٢٠.

(٣) انظر: الكليني، الكافي: ج ٢، ص ٦٧١.

(٤) نهج البلاغة: خطبه ٣.

(٥) المصدر نفسه: خطبة ٣٣.

(٦) «أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجُهْرِ فِيمَنْ وُلِيتُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ لَا أَطْلُرُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا - [وَ] لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَتَمَ الْمَالُ مَالُ اللَّهِ» المصدر نفسه: خطبة ١٢٦.

(٧) انظر: المجلسي، بحار الأنوار: ج ٨٧، ص ٨٣.

(٨) نهج البلاغة: خطبة ٢١٦.

مع الشعب<sup>(١)</sup>. يقول الإمام علي عليه السلام عن تحقيق العدالة الشاملة ومساعدة المظلومين: «وَإِنْمَّا اللَّهُ لَا يُنْصِفُ الْمُظْلُومَ مِنْ ظَالِمٍ وَلَا قُوَّدَنَ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهِهَا». <sup>(٢)</sup> كان الإمام عليه السلام يأمر وكلاه دائمًا بالعدالة والعدل مع الناس، ويطلب منهم أن يعاملوا الناس بالعدل والإنصاف. <sup>(٣)</sup> العدل هو الأصل الذي يثبت المجتمع ويوصله إلى الاعتدال ويضمن صحته وراحته وسلامه. <sup>(٤)</sup> فإن من الخصائص المهمة للحكومة الصالحة هو إقامة العدل، العدل الذي عند الإمام علي عليه السلام يضع كل شيء في مكانه، كما يقول الإمام علي عليه السلام: «الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا وَالْجُودُ يُحْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌ وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌ فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا». <sup>(٥)</sup> إن تشكيل الحكومة الإسلامية وجود الحاكم العادل من أهم أسس إقامة العدل.

### محاربة الظلم ونصرة المظلومين:

ومن أهم المعارف السياسية للإسلام هي الجهاد في سبيل الله وتدمير الظلم والطاغية، وقد شجع القرآن الكريم المؤمنين على القيام في سبيل الله: ﴿فُلِّ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ

(١) المصدر نفسه، رسالة: ٢٧.

(٢) المصدر نفسه: خطبة: ١٣٦.

(٣) يخاطب في هذا الصدد مالك الأشتر النخعي: «وَأَنِّي لَمْ يَكُنْ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْعَيْدِ وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا حُتَّسِبًا وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَ[خَوَاصِكَ] حَاصِبَتِكَ حَيْثُ وَقَعَ وَأَبْتَغَ عَاقِبَتِهِ بِمَا يَنْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ فَإِنَّ مَغْبَةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفًا فَأَصْحَرْهُمْ بِعُذْرِكَ وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ وَرِفْقًا بِرِعْيَاتِكَ وَإِعْدَارًا بَلْغُ بِهِ حَاجَاتِكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ». ويقول في هذه الرسالة عن أهمية الاهتمام بالحق والعدل: «وَلَيْكُنْ أَحَبَ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطَهَا فِي الْحَقِّ وَأَعْمَمُهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا [لِرِضا] لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجِحِّفُ [بِرِضا] بِرِضَى الْخَاصَّةِ وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُتَقَبَّرُ مَعَ [رِضا] رِضَى الْعَامَّةِ». المصدر نفسه.

(٤) المطهري، سير في نهج البلاغة: ١٢.

(٥) نهج البلاغة: حكمة ٤٣٧.

تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى<sup>(١)</sup> وأهم نتائج القيام في سبيل الله هو القضاء على الظلم والقهر، وبعدها ستهدى العديد من الأضرار الاجتماعية والسياسية. في نهج البلاغة، يذكر في كثير من الأحيان أن محاربة الظلم هي إحدى الخصائص السياسية للحكومة الصالحة. يقول الإمام علي عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليهما السلام لنصرة المظلوم ومكافحة الظالم: «وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصِّمًا وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا»<sup>(٢)</sup>. يقول الإمام علي عليه السلام أن محاربة الظلم وأخذ حقوق المظلومين من أهم أسباب قبول الخلافة؛ وهذا يدل على محاربة الظلم والدفاع عن حقوق المظلومين، كأساس مهم للسياسة الإسلامية. يعبر الإمام علي عليه السلام عن سيرته الحكومية بأنّها أخذ حق المظلوم من الظالم؛ حيث يقول: «الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ وَالْقَوِيءُ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ»<sup>(٣)</sup>. لمحاربة الظلم أبعاد قد تكون داخلية أو خارجية. ما تم تأكيده في سيرة الإمام علي عليه السلام هو روح مناهضة الاستبداد وعدم التعاون مع الظالمين.

#### الاهتمام بالواجبات المتبادلة بين المسؤولين والشعب:

إن الشعب وقادة المجتمع، هما كيزان مترابطان لأي حكومة. وفي الحكومة الإسلامية، لها مكانة خاصة بحيث تكون هناك علاقة ثنائية ومتبادلة بينهما. لقد اهتم الإمام علي عليه السلام كما في نهج البلاغة بالواجبات المتبادلة بين مسؤولي المجتمع والناس؛ وقد ذكرت مسؤوليات كل منها في سبيل رفعة المجتمع وازدهاره. في سيرة الإمام علي عليه السلام من أهم الفرائض، الاهتمام بحقوق الوالي والرعية، كما يقول الإمام عليه السلام في هذا الصدد: «وَأَعْظُمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي، فَرِيقَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ

(١) سورة سبا، الآية: ٤٦.

(٢) نهج البلاغة: رسالة ٤٧.

(٣) المصدر نفسه: خطبة ٣٧.

لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ». <sup>(١)</sup> وفيما يلي يبين الإمام عليه السلام الحقوق المتبادلة بين الوالي والشعب تجاه بعضهم البعض، ومراعاة هذه الحقوق هي إقامة الرابطة وعز الدين: «فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأَفْتَهُمْ وَعِزَّاً لِدِينِهِمْ». <sup>(٢)</sup> يوضح أمير المؤمنين عليه السلام هذه السمة السياسية للمجتمع الإسلامي على النحو التالي: رفاهية الرعية والولي وسعادتهم، يعتمدان على بعضهما البعض؛ وفي هذا الصدد، فإن استقامة الوالي والرعية وصمود الفريقين واستقرارهما شرط لصلاح المجتمع وكماه: «فَلَيْسْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَالِحِ الْوُلَاةِ وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ». <sup>(٣)</sup> إن رعاية واجبات الرعايا والولاة تجاه بعضهم البعض لها آثار ونتائج اجتماعية واقتصادية وسياسية كثيرة، ذكر الإمام بعضها ومنها: «فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِيِّ حَقَّهُ وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحُقْقُ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاجِعُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ» <sup>(٤)</sup> يشير أمير المؤمنين عليه السلام كذلك إلى النتائج النهائية للقيام بالواجبات المتبادلة بين الشعب والقائد، والتي إذا تم تنفيذها بشكل صحيح ستؤدي إلى نتائج قيمة، بما في ذلك: «فَصَالَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الْحُكُومَةِ وَيَسَّرَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ». <sup>(٥)</sup> ويشير الإمام عليه السلام أيضاً إلى النقطة المقابلة للمدينة الفاضلة، أي المدينة الجahلة التي لا تتحقق فيها الحقوق المتبادلة بين القائد والشعب أو يتم التصرف فيها من جانب واحد؛ والتוצאה النهائية لها هي تدمير الحكومة وانعدام الأمن وانعدام السعادة والكمال في المجتمع. كان الإمام على عليه السلام يعرّف أمهه بالحقوق المتبادلة بين الحكام والشعب في كل فرصة وأوضح حدودها ليتمكن الجميع من التحرك ضمن حدود حقوق بعضهم البعض والحفاظ على حدودها.

(١) المصدر نفسه، خطبة ٢١٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

من أهمّ سياسات أمير المؤمنين على ﷺ دفع المجتمع والحكومة نحو سيادة القانون.<sup>(١)</sup> سيكون الاهتمام بالحقوق المتبادلة بين الناس وقادرة المجتمع عاملاً مهماً في تميز ذلك المجتمع وازدهاره في مختلف المجالات. تبيّن هذا الأمر المهم وأساسته في المجتمع بؤدي إلى الثقة المتبادلة بين الشعب والمسؤولين ويوفر الظروف الملائمة لحل النزاعات في ضوء هذه الثقة.

### اختيار الوكالء الأكفاء والإشراف عليهم:

لا يمكن للمجتمع الإسلامي أن يستمر في حياته دون وجود القوانين و منفذى القانون؛ لذلك على المستوى المجتمع الإسلامي الواسع بالإضافة إلى وجود زعيم ديني وجامع الشرائط، فإن وجود الوكالء و منفذى القانون ضروري أيضاً. قد أكدت تعاليم الإسلام مسألة اختيار الأشخاص الأجرد في المناصب الحكومية والتنفيذية في المجتمع الإسلامي. إن وجود العناصر الفاسدة في المجتمع الإسلامي والمناصب الحكومية والقضائية يعني دفع المجتمع الإلهي نحو مجتمع استبدادي وشيطاني، بدلاً من تنفيذ الأوامر الإلهية تنفذ الأوامر الشيطانية والشهوانية. لذلك فإن الاهتمام بعنصري الالتزام الديني والأخلاقي والتخصص الرسمي والوظيفي من أهم الأمور التي ينبغي مراعاتها عند اختيار المسؤولين، وأساس هذا الموقف هو القرآن. عندما عرض النبي يوسف عليه السلام منصب مسؤول الخزانة على ملك مصر، اعتبر خصلتين من الالتزام والتفاني وقدم نفسه على أنه أهل لقبول هذا المنصب: «قَالَ اجْعُلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظْتُ عَلَيْمٌ»<sup>(٢)</sup> كما أولى سيرة حكومة النبي محمد ﷺ والإمام علي عليهما السلام اهتماماً كاملاً بهذين العنصرين و اختيار الأشخاص المستحقين

(١) دلشاد الطهراني، التفسير الموضوعي لنهاج البلاغة: ص ١٣٢.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٥٥.

للمناصب الحكومية. ويسبب هذه الاختيارات كانت هناك اعترافات كثيرة عليهم. يطلب الإمام علي عليه السلام من مالك الأشتأن أن يختار أفضل الأشخاص وأكثرهم علمًا ورحمة ليكونوا مسؤولين.<sup>(١)</sup> وفي هذه الرسالة يشرح طرق اختيار المسؤول المستحق.<sup>(٢)</sup> يشير في مكان آخر إلى صفات المسؤول والحاكم الإسلامي، ويدرك القدرة والعلم، بصفتها أهم المؤشرات في هذا الصدد: «أَئُمُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ»<sup>(٣)</sup>. يذكر الإمام علي عليه السلام أهم صفات الموظف ومسؤول الحكومة في أبعاد مختلفة: الحياة البسيطة ونمط الحياة مثل عامة الناس في المجتمع.

وقد خاطب الإمام علي عليه السلام أحد أصحابه بهذا الخصوص: «إِنِّي لَسْتُ كَائِنَّا؛ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةَ [الْحُقْوَقِ] الْعَدْلِ أَنْ يُقْدِرُوا أَنفُسَهُمْ بِضَعْفَةِ النَّاسِ كَيْلًا يَتَبَيَّنَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ»<sup>(٤)</sup>، واستقرار الشخصية في زمن السلطة والثروة والاهتمام بشؤون الناس هو سمة أخرى من سمات المسؤولين في الحكومة الصالحة.<sup>(٥)</sup> الوعي الكامل بمشاكل الناس ومع الناس<sup>(٦)</sup>، حسن الخلق مع الناس والتواضع أمامهم<sup>(٧)</sup>، المساواة مع الجميع وعدم التمييز

(١) نهج البلاغة، رسالة ٥٣.

(٢) «ثُمَّ انظُرْ فِي أُمُورِ عَمَالَكَ فَاسْتَعْمَلْهُمْ [اخْتِيَارًا] اخْتِيَارًا وَلَا تُوَهِّمْ مُحَابَةً وَأَثْرَةً فَإِنَّمَا جَمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجُوْرِ وَالْخِيَانَةِ وَتَوَرُّخَ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْبِرَةِ وَالْحَيَاةِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْوَاتِ الصَّالِحةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا وَأَصْحَّ أَعْرَاضًا وَأَقْلَى فِي الْمَطَاعِمِ [إِشْرَافًا] إِشْرَافًا وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَرًا» المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه: خطبة ١٧٣.

(٤) المصدر نفسه، خطبة ٢٠٩.

(٥) المصدر نفسه، رسالة ٥٠.

(٦) المصدر نفسه، رسالة ٥٣.

(٧) المصدر نفسه.

بينهم حتى في النظر<sup>(١)</sup> والاهتمام التام بالعدل وإحقاق الحق<sup>(٢)</sup> من أهم صفات الموظفين الحكوميين والتي أكدتها الإمام علي عليه السلام في مناسبات عديدة.

بالإضافة إلى الاختيار الجيد للموظفين الحكوميين، كان للإمام علي عليه السلام رقابة دقيقة ومستمرة عليهم. بمعنى آخر إنَّ اختيار المسؤول جزء من القضية والإشراف عليه جزء آخر؛ وإنَّ هذين الركين قد تم تطبيقهما بشكل صحيح في حكومة الإمام علي عليه السلام. ومن الألفاظ التي يمكن ملاحظتها في رسائل نهج البلاغة عبارة «فَقَدْ بَلَغَنِي» التي تدلُّ على أنَّ الإمام عليه السلام كان له السيطرة القصوى على شؤون وكلائه، وذلك أيضًا في عصر لم يكن فيه خبر عن تقنيات اليوم؛ وبهذا الرصد الدقيق كان الإمام عليه السلام يذكر أحواله بأخطائهم ويأمرهم بتتصحیحها. رسالة إلى محمد بن أبي بكر<sup>(٣)</sup>، ورسالة إلى بعض المسؤولين<sup>(٤)</sup>، ورسالة إلى عثمان بن حنيف محافظ البصرة<sup>(٥)</sup>، ورسالة إلى عبد الله بن قيس<sup>(٦)</sup> ورسالة إلى سهل بن حنيف الأنصاري<sup>(٧)</sup> من الرسائل التي تدلُّ بوضوح على أنَّ الإمام عليه السلام كان شديد الحراسة والإشراف على شؤون موظفيه. كما إنَّ الإمام عليه السلام يطلب صراحة من قادته الإشراف الكامل على شؤون العملاء والمسؤولين والتعامل بجدية مع المخالفين، كما يقول الإمام عليه السلام في مخاطبته مالك الأشتر النخعي: «ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَاهُمْ وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ».

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، رسالة ٣٤.

(٤) المصدر نفسه، رسالة ٤٠.

(٥) المصدر نفسه، رسالة ٤٥.

(٦) المصدر نفسه، رسالة ٦٣.

(٧) المصدر نفسه، رسالة ٧٠.

عَلَيْهِمْ<sup>(١)</sup>. ومن الواضح أن الإمام عَلَيْهِ الْكَلَم ي يريد في هذا الخطاب التعامل بجدية مع المسؤولين المتخلفين، والسبب في ذلك هو الحفاظ على صحة الحكومة وثقة الناس بها، حتى لا يتسبب فساد المسؤولين في عدم ثقة الناس. لذلك، فإن اختيار الوكلاه الأكفاء لتولي مسؤوليات المجتمع المهمة والمراقبة الدقيقة لهم يعدّ من المؤشرات المهمة للحكومة الصالحة في البعد السياسي.

### التسامح مع المعارضين وجذبهم:

تواجه كل حكومة في طريقها خصوماً يشكلون جزءاً من المجتمع. إن كيفية التعامل مع المعارضين أمر مهم في الحكومة الصالحة. وفي الحكومة الصالحة، ليس الهدف تدمير الحكومة والوصول إليها في ظل القتل، بل إن الهدف الرئيس للحكومة الصالحة هو سعادة المجتمع وكماه. في الحكومة الصالحة، وطالما أن مصالح المجتمع والشعب ليست في خطر، فإن أسلوب هذه الحكومة هو التسامح مع المعارضين وجذبهم وتوجيههم؛ وهذا الأمر المهم واضح في سيرة الإمام علي عَلَيْهِ الْكَلَم.

يروي ابن أبي الحديد سيرة الإمام عَلَيْهِ الْكَلَم في التسامح والعفو عن أصحاب الجمل على النحو التالي: «قال أبو جعفر: ثم أجمع علي على المسير من الربدة إلى البصرة فقام إليه رفاعة بن رافع فقال يا أمير المؤمنين أي شيء تريدين وأين تذهب بنا؟ قال: أما الذي نريد وننوي فإصلاح إن قبلوا منا وأجابوا إليه. قال فإن لم يقبلوا؟ قال ندعوههم ونعطيهم من الحق ما نرجو أن يرضوا به. قال: فإن لم يرضوا؟ قال ندعهم ما تركونا. قال: فإن لم يتركونا؟ قال: نمتنع منهم قال فنعم إذا». <sup>(٢)</sup> ذكر الإمام علي عَلَيْهِ الْكَلَم الزبير بحديث النبي الذي قال:

(١) نهج البلاغة: رسالة ٥٣.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١٤ / ١٧.

«يا زبير إنك تقاتل عليا وأنت له ظالم؟ قال: اللهم نعم، قال علي عليه السلام: فعلى م تقاتلني؟ قال الزبير: نسيتها والله لو ذكرت ما خرجت اليك ولا قاتلتك». <sup>(١)</sup>؛ ذكر بحديث الغدير لطحمة: «شدةك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه (والله) وسلم يقول: من كنت مولاه فعل مولاه اللهم وال من والا وعاد من عاده؟ قال: نعم، قال: فلم تقاتلني؟ قال: لم أذرك، قال: فانصرف طحمة» <sup>(٢)</sup>؛ هدايتهم بالقرآن <sup>(٣)</sup>؛ نصيحة مشفقة <sup>(٤)</sup> وإعطاء خطاب ثقة وضمان سلامتهم <sup>(٥)</sup>، حاولوا إعادة هذه المجموعة من مصيرها السيئ ومنع نشوب الحرب.

قبل بدء الحرب يكتب الإمام علي عليه السلام إلى طحمة والزبير ويطلب منها التوبة عن أفعالهما: «كُنْتُمَا بِأَيْمَانِي طَائِعَيْنِ فَارْجِعَا وَتُوَبَا إِلَى اللَّهِ مِنْ قَرِيبٍ» <sup>(٦)</sup> ويحذرهم الإمام علي عليه السلام من عواقب سيئات هؤلاء حتى ينذرهم ويرجعوا عن سيرتهم: «فَارْجِعَا إِلَيْهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأِيكُمَا فَإِنَّ الْآنَ [أَعْظَمُ أَعْظَمَ أَمْرِكُمَا الْعَارُ مِنْ قَبْلِ أَنْ] [يَجْتَمِعَ يَتَجَمَّعَ الْعَارُ وَ النَّارُ وَ السَّلَامُ]» <sup>(٧)</sup>. وصل هذا النهج الإرشادي للإمام علي عليه السلام إلى نهايته لدرجة أنه بعد الحرب تعامل مع أسرى حرب الجمل بهذا النهج، وبدلًا من معاقبتهم يحاول أن يجد الطريق الصحيح وينال الهدایة الإلهية؛ بينما يرسل رسالة سلام إلى اثنين من أبناء عثمان، سعيد وأبان، وبدلًا من قتلهم أجرى محادثة سلمية معهم، فيقبلون. يروي الشيخ المفيد قصة هذين الشخصين وحديث الإمام معهما بهذا الشكل: «وَأَسْرَ يَوْمَئِذٍ سَعِيدٌ وَأَبَانٌ ابْنَاءُ عُثْمَانَ فَجِيءُ بِهِمَا إِلَى عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١ / ٩٢.

(٢) الفيروزآبادي، فضائل الخمسة في صحاح السنّة: ج ١ / ٣٥٣.

(٣) المفيد، المعرفة: ج ١٤١٣ / ص ٣٣٦.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١ / ٩٥.

(٥) نهج البلاغة: ص ٣٦٥.

(٦) الشريفي الرضي، نهج البلاغة: رسالة ٥٤.

(٧) المصدر نفسه.

فَلَمَّا وَقَفَا بَيْنَ يَدِيهِ قَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ - : اقْتُلْهُمَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَلَيْهِ الْمُبَشِّلُ : «بَسْ مَا قُلْتُمْ آمَنْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ وَأَقْتُلُ هَذِينَ الرَّجُلَيْنِ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا وَقَالَ لَهُمَا : «اْرْجِعَا عَنْ عَيْكُمَا وَانْزِعَا وَانْطَلِقا حَيْثُ شِئْتُمَا فَإِنْ أَحْبَبْتُمَا فَأَقِيمَا أَصِلْ أَرْحَامَكُمْ» فَقَالَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ نُبَايِعُ وَنَنْصَرِفُ فَبَايِعَا وَانْصَرَفَا .<sup>(١)</sup>

وفي حرب صفين، حيث لم يكن هناك شك في بطلان الطرف الآخر، حاول الإمام عليه السلام إيقاظ جهلة الشاميين بطرق عديدة. في هذه الحرب نفسها، عندما بدأ أصحاب الإمام بشتم العدو تم الكشف عن استراتيجية الإمام عليه السلام التربوية للرفاق والنهج النهائي للحوار الإسلامي لتوجيه الأعداء. بدلاً من سب الأعداء يضع الإمام عليه السلام استراتيجية الدعاء المهمة أمام أصحابه. عندما لا يكون لإتمام الحجة والوعظ والنصيحة أي تأثير، لا يزال الإمام عليه السلام يعلم أتباعه الاستراتيجية النهائية لتوجيه هذه المجموعة والتي يمكن اعتبارها أساساً لجميع حقوق الإنسان. يتطلب الإمام عليه السلام من أصحابه الدعاء لهدايتهم وتحويل الحرب إلى الصلح.<sup>(٢)</sup> وفي معركة النهر وان ذكر الإمام عليه السلام الخوارج وحذرهم من أخطائهم بالنصيحة والحجج. حاول الإمام عليه السلام معاقبة هذه المجموعة بطرق مختلفة: أولاً إرسال أشخاص مختلفين لإجراء محادثة سلمية وإقناع الخوارج وأهمهم ابن عباس.<sup>(٣)</sup> ثانياً: إزالة الشبهة عن الخوارج؛ يذكر الإمام عليه السلام شك الخوارج عن الحكم في مواقف مختلفة بأسلوب محادثة ومناظرة، بما في ذلك: تذكير بالشرعية والإيمان والجهاد عند قدمي الرسول: «بَعْدَ إِيمَانِي بِاللَّهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَ أَشَهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ لَقَدْ ضَلَّلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا

(١) المفيد، الجمل: ص ٣٨٢ .

(٢) المصدر نفسه: خطبة ٢٠٦ .

(٣) ابن اعثم، الفتوح: ج ٤ / ٢٦٨ .

من المُهتدِين»<sup>(١)</sup>؛ شرح خلفية الشرعية وخطأ الخوارج في هذا الشأن وعدم اهتمامهم برأي الإمام عليه السلام: «وَقَدْ كُنْتُ نَهِيَّتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكْمَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ [الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِدِينَ] حَتَّى صَرَفْتُ رَأِيِّي إِلَى هَوَاهُكُمْ»<sup>(٢)</sup>؛ الاستراتيجية الثالثة للإمام عليه السلام في توجيهه ومنع وقوع الحرب هي عقاب مستقبلهم المهن: «أَمَا إِنْكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا وَسَيْفًا قَاطِعًا وَأَثْرًا يَتَّخِذُهَا الطَّالِبُونَ فِيْكُمْ سُنَّةً»<sup>(٣)</sup> الحل الرابع للإمام عليه السلام في هذا الصدد هو نهج نفسي؛ من خلال التعبير عن الحقيقة وصدق نواياه تجاه إحسان الخوارج يؤثر الإمام عليه السلام في مشاعرهم وعواطفهم: «فَإِنَّا نَزِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَشْتَاءِ هَذَا النَّهَرِ وَبِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ عَلَى عَيْرِ بَيْتَنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا سُلْطَانٍ مِنْ مَعَكُمْ»<sup>(٤)</sup> عبارة «فَإِنَّا نَزِيرٌ لَكُمْ» يعبر عن هذه الحقيقة.

أمر الإمام عليه السلام أصحابه بعدم بدء الحرب بأي شكل من الأشكال حتى أطلق الخوارج النار على جنود الإمام عليه السلام ثلاث مرات وقتلو بعض أصحاب الإمام عليه السلام حتى الإمام على عليه السلام أمر بالقتال معهم.<sup>(٥)</sup> إن جهود الإمام عليه السلام قبل بدء الحرب لتوجيه هذه المجموعة وتقديم حوار سلمي وسلام لها أدت إلى هداية ثانية آلاف شخص من الخوارج. كما روى ابن اعثم وقف أربعة آلاف شخص فقط من جيش الخوارج البالغ عددهم اثنى عشر ألفاً والباقي مهتدين.<sup>(٦)</sup> هذه غاية المحادثة حول هذا الأمر الذي يمنع هذا العدد الكبير من القتل في ضلال مبين والواضح. تظهر هذه التقارير بوضوح أن هدف الحكومة الصالحة هو سعادة وخلاص الناس من جميع المسلك والمذهب. النقطة اللافتة في هذا الأمر هي

(١) شريف الرضي، نهج البلاغة: خطبة ٥٨.

(٢) المصدر نفسه: خطبة ٣٦.

(٣) المصدر نفسه: خطبة ٥٨.

(٤) المصدر نفسه: خطبة ٣٦.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ٢ / ٢٧٣-٢٧٢.

(٦) ابن اعثم، الفتوح: ج ٤ / ٢٧٠.

أن التسامح مع المعارضين لا يعني منحهم الفرصة لتدمير المجتمع والحكومة، بل يعني الخصوم الذين يمكن إرشادهم وإعادتهم عن الطريق الخطأ من خلال منحهم الفرصة والمرونة والأسلوب الجذاب.

### **ثالثاً: المؤشرات الاجتماعية:**

إن أسلوب الحكم في الحكومة الصالحة يقوم على تنمية المجتمع؛ والغرض من هذا المهم هو رسم المدينة الفاضلة وتوجيهه أبناء هذا المجتمع نحو الكمال والسعادة في الدنيا والآخرة. ومن أهمّ ما ورد في نهج البلاغة مسألة النظم في العمل: «أُوصِيكُمَا وَجَيْعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَنَظَمْ أَمْرِكُمْ»<sup>(١)</sup>. النظم يعني وضع كلّ شيء في مكانه؛ وفي موضوع المؤشرات الاجتماعية للحكومة الصالحة، يوجد هذا الأمر؛ بمعنى أنّ كلّ شيء في مكانه في المجتمع الإسلامي ويؤدي المهام المتعلقة به بشكل صحيح. ومن أهم المؤشرات الاجتماعية للحكومة الصالحة بناء على نهج البلاغة:

### **الاهتمام بآراء الناس:**

أحد المؤشرات الاجتماعية للحكومة الصالحة هو الاهتمام بالناس وآرائهم؛ ومبدأ تشكيل الحكومة الإسلامية هو من أجل سعادة الشعب. إنّ فلسفة إرسال الأنبياء وجهودهم كانت كلّها من أجل إصلاح المجتمع وسعادة الإنسان وكماله، ومشاورة الناس وأخذ آرائهم قمة الديمقراطية الإسلامية. النبي الكريم في قمة العلم والفهم، لكنه مع ذلك يشاور الناس في الشؤون الاجتماعية والسياسية: «فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِنَتَ هُمْ وَلَوْ كُنْتَ

(١) نهج البلاغة، رسالة ٤٧.

فَظًا غَلِيظًا القلب لانفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ إِذَا عَزَّمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ<sup>(١)</sup> إن الاهتمام بالناس وآرائهم أمر مهم لدرجة أن الإمام علي عليه السلام يقول إن من أسباب قبول الخلافة وجود الناس.<sup>(٢)</sup> كان الإمام علي عليه السلام يتشاور مع فئات مختلفة من الناس في مناسبات عديدة ويطلب آراءهم.<sup>(٣)</sup> الإمام علي عليه السلام في رسالته إلى مالك الأشتر مع تأكيده الاهتمام بآراء الناس، ينهى عن استشارة البخلاء والجبناء والجشعين.<sup>(٤)</sup> وفي هذه الرسالة يطلب الإمام عليه السلام من مالك الأشتر أن يتشاور ويناقش أهل العلم والفضل. بعبارة أخرى بين الإمام عليه السلام في هذه الرسالة حدود الاهتمام بآراء الناس وكيفية مشاورتهم، كما حرم استشارة من ليس له أهليه. فيؤكّد في هذه الرسالة احترام آراء الناس وتقديرها: «وَإِنَّمَا «عَمُود» عِمَادُ الدِّينِ وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَالْعُدَدُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ فَلَيَكُنْ صِعْوَكَ لَهُمْ وَمَيْلَكَ مَعَهُمْ». لذلك فإن الاهتمام بآراء الناس ونظراتهم يعد من سمات الحكومة الصالحة في البعد الاجتماعي.

### ارشاد المجتمع وتفوقه:

إن من أهم مؤشرات الحكومة الصالحة تجاه المجتمع هو توجيهه أفراد المجتمع وتمييزهم. كان الهدف من إرسال الأنبياء عليهما السلام ونزول الكتب الإلهية هو هذا الموضوع، وهذا من المؤشرات المهمة للحكومة الإلهية: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَيِّرُوا فِي الْأَرْضِ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) انظر: نهج البلاغة: الخطبة الثالثة.

(٣) المصدر نفسه: رسالة ٥٠.

(٤) انظر: المصدر نفسه: رسالة ٥٣.

(٥) المصدر نفسه.

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ<sup>(١)</sup> يُبيِّنُ القرآنُ الْكَرِيمُ هدْفَ رِسَالَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ فِي تِزْكِيَّةِ النَّاسِ وَتَعْلِيمِهِمْ: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَّيَّنَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُرِيكُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفْنِ ضَلَالٍ مُبِينٍ»<sup>(٢)</sup> إِنَّ الْهَدْفَ وَالْغَايَةَ النَّهَايَةُ لِلْحُكْمَةِ الصَّالِحةِ هُوَ دُفْعُ الْمَجَمُوعِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ الْفَاضِلَةِ أَوِ الْحَيَاةِ الْطَّيِّبَةِ الَّتِي وَعَدَ بِهَا الْقُرْآنُ الْمُؤْمِنِينَ؛ هَذَا السَّبَبُ فَإِنَّ أَحَدَ أَهْدَافِ تَشْكِيلِ الْحُكْمَةِ الإِلَهِيَّةِ هُوَ تَوْفِيرُ مَنْصَةٍ لِهُدَايَةِ وَسُعَادَةِ أَفْرَادِ الْمَجَمُوعِ. كَانَتْ سِيرَةُ حُكْمَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا تَقْوِيمًا عَلَى هَذَا الْمَبْدَأِ. وَيُعْتَقِدُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ هَدْفَهُ الْأَسْمَى هُوَ هُدَايَةُ النَّاسِ وَتَخْلِيصُهُمْ مِنَ الشَّرِّ وَالضَّلَالِ، فَهُوَ يُوضَّحُ حَقًّا لِلنَّاسِ فِي تَعْلِيمِهِمْ وَتَأْدِيهِمْ: «إِنَّمَا النَّاسُ إِنَّمَا عَلَيْكُمْ حَقًا وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقًّا. فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ وَتَوْفِيرُ فَيْئُوكُمْ عَلَيْكُمْ وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا وَتَأْدِيُوكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا»<sup>(٣)</sup> إِنَّ الْهُدَايَةَ وَالْتَّحْرُرُ مِنَ الْجَهَلِ لَا يَقْتَصِرُانْ عَلَى فَتَّةٍ مُعَيْنَةٍ مِنَ الْمَجَمُوعِ فَحَسْبُ، بَلْ تَشْمَلُ جَمِيعَ الْمَجَمُوعِ عَلَى اخْتِلَافِ تَوْجِهَاتِهِمُ الْفَكَرِيَّةِ؛ وَهَذَا الْأَمْرُ الْمُهُمُ وَاضْعَفَ فِي سِيرَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامِ. يُبَيِّنُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُدَايَةَ الشَّامِيِّينَ وَإِرْشَادَهُمْ بِأَنَّهُ سَبَبَ تَأْخِيرَ الْحَرْبِ مَعَهُمْ، حَتَّى يَهْتَدِيَ بِتَأْخِيرِ الْحَرْبِ مِنْ لَمْ يَزُلْ عَلَى ضَلَالٍ وَلَا يَقْتَلُونَ فِي الْجَهَلِ.<sup>(٤)</sup> إِنَّ هَذِهِ سِيرَةَ حُكْمَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامِ تَعْبُرُ عَنِ خَاصِيَّةِ اجْتِمَاعِيَّةِ وَسِيَاسِيَّةِ مُهِمَّةٍ، وَهِيَ أَنَّهُ حَتَّى الْجَهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَتَأْخِرُ حَتَّى يَجِدُ أَحَدُ مِنَ الْضَّالِّينَ طَرِيقَ الْهُدَى وَلَا يَمُوتُ عَلَى الضَّلَالِ. لِذَلِكَ فَإِنَّ الْاِهْتِمَامَ بِتَعْلِيمِ الْمَجَمُوعِ عَلَى مُخْتَلَفِ مَسْتَوَيَّاتِهِ وَالْاِهْتِمَامَ بِسُعَادَةِ

النَّاسِ بَعْدَ مَنْ يَعْدُ مِنَ الْمُؤْشِرَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ الْمُهُمَّةِ لِدُّولَةِ الصَّالِحةِ.

(١) انظر: سورة النحل / ٣٦.

(٢) انظر: سورة الجماعة / ٢.

(٣) نهج البلاغة، خطبة ٣٤.

(٤) «وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكًا فِي أَهْلِ الشَّامِ فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ اخْرُبَ يَوْمًا إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةً فَتَهَدِيَ بِي وَتَعْشُو إِلَى ضَوْئِي وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَفْتَأْلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِأَنَّا هُنَّا» المَصْدَرُ نَفْسَهُ.

خطبة ٥٥

## ضمان أمن المجتمع:

إنّ ضمان الأمن في أي مجتمع، مسلماً كان أم غير مسلم، جزء لا يتجزأ من ذلك المجتمع. إنّ المجتمع الذي لا يوجد فيه الأمن سوف يتسبب في أضرار ومشاكل كثيرة لأفراد ذلك المجتمع، وتختفي الحياة القائمة على الحيوية والجاذبية من ذلك المجتمع. قد أكد كثيراً في تعاليم الإسلام على أهمية الأمن، كما في رواية عن النبي الرحمة تم التأكيد على أهمية هذه النعمة: «نِعْمَتَانِ مَكْفُورَتَانِ الْأَمْنُ وَالْعَافِيَةُ»<sup>(١)</sup>. إنّ توفير الأمن في المجتمع من أهم الواجبات لأي حكومة، وفي الحكومة الصالحة يعدّ أحد المؤشرات الأساسية في هذا الصدد: «فَيَأْمَنُ الْمُظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ». <sup>(٢)</sup> يؤكّد الإمام علي عليه السلام في رسالته إلى مالك الأشتر أنه إذا كان السلام مفيداً للمسلمين والمجتمع الإسلامي، فعليه أن يفضلّه على الحرب، لأنّ أحد آثار السلام المهمة وأولويته على الحرب هو الأمن والسلام الاجتماعي: «فَإِنَّ فِي الصُّلُحِ دَعَةً لِحُسْنِ دُكَ وَرَاحَةً مِنْ هُمُوكَ وَأَمْنًا لِبَلَادِكَ»<sup>(٣)</sup> ومن الناحية النفسية فإنّ غياب السلام في المجتمع يعني ظهور أمراض نفسية تضر بالنفس البشرية وتسبّب العديد من الإصابات والمشاكل. مما لا شك فيه أن للضمان الاجتماعي آثاراً كثيرة في المجتمع، وسيكون الوقاية من الأضرار الاجتماعية والصحة الاجتماعية من أهمها.

## رابعاً: المؤشرات الاقتصادية:

إنّ أحد الأجزاء الأساسية في حياة كلّ إنسان هو موضوع الاقتصاد وتوفير احتياجات الحياة. إنّ الاقتصاد السليم الإسلامي هو أحد أهم مؤشرات الحكومة الصالحة. بناء على

(١) الصدوق، الخصال: ج ١/٦٢.

(٢) نهج البلاغة: خطبة ١٣٠.

(٣) نهج البلاغة: رسالة ٥٣.

هذا، فقد ورد في تعاليم الإمام علي عليه السلام مبدأ الاقتصاد الإسلامي على المستويين الجزئي والكلي. هدف الاقتصاد الإسلامي هو توفير الراحة العامة وإزالة الفقر وتحقيق العدالة الاقتصادية من جهة، والاستقلال الاقتصادي من جهة أخرى. الغرض منه هو وسيلة للوصول إلى الله وتحقيق مُثُل الحكومة الإسلامية.

#### **محاربة الفساد الاقتصادي:**

من أهم واجبات الحكومة الإسلامية محاربة الفساد الاقتصادي في المجتمع. هناك العديد من الأمثلة على الفساد الاقتصادي الذي يمكن أن يوجد في أي مجتمع. فالمفاسد الاقتصادية تتعارض مع الاقتصاد الإسلامي وتؤثر في اقتصاد سليم وдинاميكي. تعد التجارة غير الصحيحة والدخل غير المشروع من بين أهم الأمثلة على الفساد الاقتصادي. فإنّ من أهم مفاسد المجتمع الاقتصادية في نهج البلاغة هو الاحتكار. إنّ الاحتكار في المواقف الحساسة، قد يؤدي إلى أضرار جسيمة على اقتصاد الأسرة والمجتمع؛ خاصة في زمن العقوبات الاقتصادية، حيث يتزايد الاحتكار من قبل بعض المتنفعين. إنّ القرآن الكريم يحِرِّم الاقتصاد غير الصحي والزائف ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا مَوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَّحِيمًا﴾<sup>(١)</sup> في هذه الآية المباركة يعرف أكل بعضنا البعض بطريقة كاذبة حراماً، وفي مقابلها يُوصى بالتجارة السليمة والمتبادلة. في التعاليم الدينية يعتبر الربا والقمار والغلاء والسرقة والإحتلاس أمثلة على الاقتصاد غير الصحي والفساد الاقتصادي، وقد أكد مكافحتها والقضاء عليها من المجتمع. في الرسالة ٥٣ من نهج البلاغة إلى مالك الأشتر، يطلب منه الإمام عليه السلام معالجة الأضرار الاقتصادية في المجتمع، ومنها: الاحتكار

(١) سورة النساء، الآية: ٢٩.

والغلاء في البيع، لأنّ هذه الأشياء تعطل النظام الاقتصادي للمجتمع وتضرّ باقتصاد الناس.<sup>(١)</sup> بالإضافة إلى هذه التأكيدات وبحسب بعض الروايات عارض الإمام عليه السلام أيضًا مع المحتكرين.<sup>(٢)</sup> تؤدي الأضرار الاقتصادية في المجتمع إلى اضطراب السوق الاقتصادية وعدم استقرار الأسعار في المجتمع. إنّ البيع والغلاء والاحتكار والربا بالإضافة إلى تعزيز ثقافة اقتصادية غير صحية في المجتمع، يزيد من الفجوة الطبقية ويضرب الطبقة الفقيرة والمتوسطة. يؤدي الاختلاس على المستوى الكلي إلى الإضرار باقتصاد البلاد وإهانة الخزينة، مما يسبب أيضًا أضرارًا ثقافية واجتماعية. إنّ وضع قوانين متسقة في هذا الصدد وتعزيز هيئات التنظيمية والتنفيذية في السوق والنظام الاقتصادي، يمكن أن يساعد في تقليل الأضرار الاقتصادية في هذا الصدد، وهي إحدى خصائص الحكومة الصالحة.

#### **الدعم الاقتصادي للفئات الضعيفة:**

من أهم الواجبات الاقتصادية للدولة الصالحة، هو دعم الفئات الضعيفة في المجتمع، لأنّ المجتمع فيه طبقات، والطبقة الفقيرة والمحرومة واحدة منهم. والإسلام لديه حلول مشكلة هذه الطبقة، وأهمها الصدقة والإنفاق والإطعام والزكاة والخمس. لهذا السبب فإنّ من أهم مؤشرات الحكومة الصالحة مكافحة الفقر وإرساء العدالة. في تعاليم الإمام عليه السلام في نهج البلاغة وغيره، هناك ثلات طرق أساسية للقضاء على الفقر في المجتمع:

الحل الأول: يتعلق بالقراء، حيث يؤكّد عليهم العمل بشكل صحيح في أي حالة والابتعاد عن الكسل. أي إنّ من له القدرة على العمل وغير معاق بدنياً، عليه أن يتوجه إلى العمل والجهد والكسب الحلال؛ حيث إنّ واجب الحكومة الإسلامية في المرحلة الأولى هو

(١) نهج البلاغة، رسالة ٥٣.

(٢) ابن حزم الأندلسي، أبو محمد، المحلي بالأثار، ج ٧، ص ٥٧٣.

تقديم المساعدة التوظيفية للفقراء، وليس المساعدة المالية. بمعنى توفير ظروف خلق فرص العمل للمحتاجين بحيث لا يحتاجون إلى المساعدة المالية.

الحل الثاني هو أن يقضي الأغنياء على الفقر من خلال الإنفاق من ثرواتهم. إن إنفاق المال بالإضافة إلى الوقاية من أي مخاطر اجتماعية ونفسية، يعود ببركات الله تعالى الدائمة ويمكن أن يكون أحد عوامل تحقيق التنمية الاقتصادية المنشودة. وقد أولت التعاليم الدينية اهتماماً خاصاً لأهمية الإنفاق وأثاره. يقول الإمام علي عليه السلام في توصية الفقراء وتلبية احتياجاتهم وآثار إعانة المحتاجين: «وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُوَافِيكَ بِهِ عَدَّاً حَيْثُ نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَاهُ وَأَكْثِرُ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَلَا تَطْلُبْهَ فَلَا تَجِدُه»<sup>(١)</sup> وهذا قول الإمام عليه السلام يدل على الصدقة والاهتمام بالمحاجين. في الواقع بالإضافة إلى توفير الدعم الاقتصادي للفئات الضعيفة؛ فإن الصدقة ستؤدي أيضاً إلى التنمية الاقتصادية.

الحل الثالث في حياة الإمام علي عليه السلام، القضاء على الفقر هو واجب الحكومة تجاه المحتاجين. كتب الإمام عليه السلام عن هذا رسالته إلى أحد ولاته: «وَإِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نِصْبًا مَفْرُوضًا وَحَقًا مَعْلُومًا وَشَرْكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَهُ وَضُعْفَاءَ ذُوِي فَاقَةٍ وَإِنَّا مُوْفُوكَ حَقَّكَ فَوَفِيهِمْ حُقُوقَهُمْ وَإِلَّا تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُومًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup> ركز الإمام عليه السلام في رسالته إلى مالك الأشتر النخعي بشكل خاص وهام على الفئة المحتاجة في المجتمع ويطلب منه قضاء حوائجهم من الخزانة.<sup>(٣)</sup> بحسب ما ورد فإن أحد أهم مؤشرات الحكومة الصالحة في المجال الاقتصادي هو استئصال الفقر من المجتمع وإيلاء الاهتمام الأساسي لاحتياجات

(١) نهج البلاغة، رسالة ٣١.

(٢) المصدر نفسه، رسالة ٢٦.

(٣) المصدر نفسه، رسالة ٥٣.

المحتاجين في المجتمع، وفي هذا الصدد أولى الإمام علي عليه السلام اهتماماً خاصاً بالفقراء في حكومته، كما أولى اهتماماً خاصاً لعملائه في تلبية احتياجاتهم وإزالة الفقر من المجتمع.

### حماية الاستقلال الاقتصادي للمجتمع:

من أهم سمات الحكومة الصالحة هو الحفاظ على الاستقلال الاقتصادي للمجتمع؛ وهذا يعني أنّ المجتمع لا يحتاج إلى الآخرين لتلبية احتياجاته الأساسية. وفي الظروف الحرجة والصعبة يمكنه حماية اقتصاد المجتمع. إذا لم يتم الحفاظ على الاستقلال الاقتصادي في المجتمع، فسوف يسبب الفوضى الاقتصادية وانعدام الأمن في المجتمع، ولا يمكن للناس أن يثقوا بالحكومة في حالات الأزمات. وهذا السبب هنالك تأكيد على الاستقلال الاقتصادي والحفاظ على التوازن الاقتصادي للمجتمع في التعاليم الإسلامية. قد ذكر القرآن الكريم سلطة المجتمع الإسلامي واستقلاله في آيات مختلفة من خلال تشجيعه على ذلك: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلٍ ثُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنَّمَا لَا تُظْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

في هذه الآية المباركة يأمر الله المسلمين بالمحاولة لتنمية القاعدة العسكرية ضد الأعداء لأنّه يمنع العدو من التسلل إلى المجتمع الإسلامي. لا شك أنّ تعزيز القوة العسكرية والتعبير عن الاستقلال السياسي بدون الاستقلال الاقتصادي أمر مستحيل؛ وربما على هذا الأساس وفي استمرار الآية هناك حديث عن الإنفاق في سبيل الله، حتّى يمكن باستخدام ذلك الإنفاق تقوية القوة العسكرية للمجتمع الإسلامي؛ لأنّ تلبية احتياجات

(١) سورة الانفال، الآية: ٦٠.

الجيش وتوفير المعدات العسكرية يتطلب قوّة ماليةً. يؤثّر الاستقلال الاقتصادي لأيّ مجتمع بشكل كبير في جميع أقسام المجتمع. قد أكدّ نهج البلاغة أيضًا الاستقلال الاقتصادي للمجتمع. في رسالة إلى مالك الأشتر يصف الإمام على عليهما السلام القوة العسكرية لل المجتمع الإسلامي بأنّها حصون للرعايا و كرامة الدين و يتحسن عمل الرعايا بالاستخدام منها: «فَاجْتُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ وَزَيْنُ الْوُلَاةِ وَعَزُّ الدِّينِ وَسُبُّلُ الْأَمْنِ وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ»<sup>(١)</sup> فيمضي في وصف الجزية عاملًا في تعزيز القوة العسكرية للمجتمع: «ثُمَّ لَا قَوَامٌ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ هُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقُولُونَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ وَيَكُونُونَ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ». <sup>(٢)</sup> في هذا الجزء يصف الإمام على عليهما السلام الاقتصاد عاملًا في تقوية القوة العسكرية للمجتمع الإسلامي، بحيث يمكن أن يكونوا أقوىاء أمام العدو وينظمون عملهم بهذه الجزية المالية. بمعنى آخر يعتمد الاستقلال السياسي للمجتمع على قوّة عسكرية قوية يمكنها الوقوف في وجه الأعداء؛ كما إنّ وجود القوة العسكرية وتعزيزها يعتمدان أيضًا على الاقتصاد القوي للمجتمع الإسلامي، والذي بالإضافة إلى تلبية الاحتياجات المادية للأفراد، يساعد أيضًا على تحكيم القوة العسكرية. يشير الإمام على عليهما السلام كذلك إلى الدور الاقتصادي للتجار في تعزيز الأساس الاقتصادي للمجتمع: «وَلَا قَوَامٌ هُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالْتُّجَارِ وَدَوِيِ الصِّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ وَيُقْيِمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَيَكْفُوئُهُمْ مِنَ التَّرَفِّ بِأَيْدِيهِمْ». <sup>(٣)</sup> يرى أمير المؤمنين عليهما السلام أنّ استقرار جميع شرائح المجتمع من الرعايا والقوة العسكرية والقضاة مرهون بوجود التجار الذين تلبى معهم الحاجات الاقتصادية للمجتمع وهم يسبّبون الرخاء الاقتصادي للمجتمع. لذلك فإنّ استقلالية

(١) نهج البلاغة: رسالة ٥٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

المجتمع وتطوره الاقتصادي عامل مهم في الاستقلال السياسي للمجتمع الإسلامي وازدهاره، وهو ما يمكن تتحققه وفق الاستراتيجيات المعبّر عنها في التعاليم الدينية. ولذلك فإنّ الاهتمام بالاستقلال الاقتصادي والحفاظ على التماسك الاقتصادي للمجتمع يعدّ من مؤشرات الحكومة الصالحة.

## النتيجة

وبناء على ما سبق، يمكن أن ندرج فيما يلي أهم نتائج هذا البحث:

إنّ الحكومة الصالحة هي دولة تشمل جميع أبعاد الحياة الإنسانية، وتوجه جميع هذه الأبعاد نحو هدف إلهي. بناء على هذا، فالحكومة الصالحة في التعاليم الدينية ليست أحادية البعد أو متعددة الأبعاد، لكنها شاملة وتوجه جميع جوانب المجتمع وترشده إلى طريق الكمال والسعادة. وبحسب تعاليم نهج البلاغة، للدولة الصالحة أبعاد مختلفة، أهمّها المؤشرات المعرفية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام الحكومة الصالحة هي أساسها الله وتنفيذ التعاليم الإلهية، بحيث تعطى هذه المؤشرات لوناً إلهياً للأبعاد الأخرى أيضاً. بين الإمام علي عليه السلام غاية حكومته القائمة على دين الله وتنفيذ أحكام الله ونصرة المظلومين؛ فتظهر هذه الحالات بوضوح أنّ الحكومة إلهية وأئمّتها الله. الحكومة الصالحة بعيدة كل البعد عن النفاق والسياسات الرائفة؛ بل لأنّ الله هو مركزها، فإنّ الأخلاق المبنية على المعتقدات التوحيدية هي أساس هذه الحكومة.

المؤشرات السياسية للدولة الصالحة لها أبعاد متعددة، كل منها حول الأوامر الإلهية. إنّ تحقيق العدالة الاجتماعية ومحاربة الظلم وحماية المظلومين، والاهتمام بالواجبات المتبادلة بين المسؤولين والشعب، والاهتمام بالالتزام والتخصص في اختيار المسؤولين، من أهمّ المؤشرات التي تنظم الشكل العام للسياسات الداخلية والخارجية للحكومة الصالحة.

إن المؤشرات الاجتماعية هي التماسك بين الفرد والمجتمع، والتي بالإضافة إلى توجيهها للمجتمع والمؤشرات الاجتماعية، فإنها تربط حياة الفرد بالحياة الاجتماعية. وقد ورد في نهج البلاغة العديد من المؤشرات الاجتماعية للدولة الصالحة. إن الاهتمام بآراء الناس وتعزيز الوحدة والاندماج في المجتمع وتوجيه المجتمع وتنميته من أهم المؤشرات الاجتماعية التي تسعى إلى تميز المجتمع وازدهاره ووضع المجتمع في مجموعة كأعضاء جسم الإنسان.

الاقتصاد والمؤشرات الاقتصادية من أهم مؤشرات الحكومة الصالحة. في الحكومة الإلهية كل جهود الحاكم الإسلامي هي القضاء على الفقر والفجوة الطبقية. إن للفقر في نفسه آثاراً اجتماعية وثقافية سيئة، يجب على الحكومة الصالحة، أن تحاول القضاء عليها أو على الأقل التقليل منها، وهو من أهم برامج هذه الحكومة. قد ورد في نهج البلاغة عدة مؤشرات اقتصادية للدولة الصالحة. ومن أهم هذه المؤشرات تعزيز الاستقلال الاقتصادي ومكافحة الفساد الاقتصادي ومساعدة الفئات الضعيفة في المجتمع. ومن المهم الاهتمام بهذه المؤشرات في اتجاه الاقتصاد الإسلامي والقضاء على الفقر والفجوة الطبقية والتماسك الاقتصادي للمجتمع.

إن حكومة الإمام علي عليه السلام لعدة سنوات بعد النبي ﷺ هي مظهر كامل لخصائص الحكومة الصالحة، وهو ما يظهر في نهج البلاغة وسيرة الإمام علي عليه السلام. وعليه لا بد من الاهتمام بهذه المؤشرات وشرحها وأسسها في العصر الحاضر لتعزيز المؤشرات المرغوبة في الحكومة الصالحة، تساهم في تميز المجتمع وازدهاره.

## المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. ابن أبي الحميد، شرح نهج البلاغة، قم: مكتبة آية الله مرعشی نجفی.
٣. ابن أثيم الكوفي، الفتوح، بيروت: دار الكتب الإسلامية.
٤. ابن حزم الاندلسي، أبو محمد، المحتلي بالآثار، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ.
٥. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، بيروت: دار الأضواء، ١٤١٠ هـ.
٦. الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، دلائل النبوة، بيروت، دار النفائس، ١٤١٢ هـ.
٧. الآمدي، عبدالواحد، غرر الحكم و درر الكلم، قم: منشورات محدث، ١٣٧٩ شـ.
٨. حر عاملی، محمد بن حسن، وسائل الشيعة، قم: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١١ هـ.
٩. الحرّانی، محمد بن شعبة، تحف العقول، طهران: منشورات اسلامیه، ١٤٠٢ هـ.
١٠. دلشاد الطهراني، مصطفی، التفسیر الموضوعي لنهج البلاغة، قم: منشورات نشر معارف، ١٣٨٧ شـ.
١١. الدیلمی، حسن بن علی، إرشاد القلوب إلى الصواب، قم: منشورات شریف رضی، ١٤١٢ هـ.

١٢. شريف رضي، نهج البلاغه، قم: منشورات هجرت، ١٤٠٤ هـ.
١٣. الصدوق، محمد بن بابويه، عيون اخبار الرضا عليه السلام، طهران: منشورات جهان، ١٣٧٨ هـ.
- ١٤.عروسى الحوزي، شیح عبد علی بن جمعه، تفسیر نور الثقلین، قم: مطبعة العلمية.
١٥. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٨ هـ.
١٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، طهران: منشورات دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٢ شـ.
١٧. مسلم، صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١٨. المفید، محمد بن محمد، الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة، قم: منشورات المؤتمر الشیخ المفید، ١٤١٣ هـ.
١٩. المطہري، مرتضی، سیر فی نهج البلاغة، طهران: منشورات صدراء، ١٣٥٨.
٢٠. الفیروزآبادی، سید مرتضی، فضائل الخمسة من الصحاح الستة، طهران، المنشورات الإسلامية، ١٣٩٢ هـ.

**الشخصية الفاعلة في المجتمع**

**وبناؤها العقدي والأخلاقي**

**في ضوء نهج البلاغة**

**الباحث**

**السيد أوس صالح العوادي الموسوي**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين النور المبين والرحمة المهداء للعالمين، البشير النذير، السراج المنير، المحمود الأحمد، أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد..

لموضوع البحث أهمية كبيرة لتسليط الضوء على أبرز الأسس والمرتكزات العقدية والأخلاقية لبناء الشخصية الإسلامية الناجحة على الصعيد الذاتي، والفاعلة على الصعيد الاجتماعي لا سيما أننا في زمن يعيش صراعات فكرية وعقدية خطيرة ونزاعات ثقافية وأخلاقية تستدعي الوقوف بوجهها من خلال العودة إلى أمات الكتب الإسلامية لاستخراج أهم الأصول العقائدية من بطون تلك الكتب، لتصل إلى أبناء هذا الجيل الذي يعاني من أزمة فكرية حادة، ونقص معرفي واضح. ولا يمكن بناء شخصية فاعلة من دون أن نقف على تلك الأصول كونها الأساس المعرفي القوي لبناء العقدي والأخلاقي الصحيح.

ونهج البلاغة، هذا الكتاب الذي حوى معارف الإسلام العظيم، بلسان عربي بلغ مبين، خير راقد ننهل منه تلك المعارف الأصيلة الأساسية لتحصين الفرد والمجتمع من الأفكار المضللة بعيدة عن الصواب والمخالفة للفطرة والعقل؛ لذا اتجه البحث إلى تسليط

الضوء على بعض الأسس العقائدية والأخلاقية في نهج البلاغة، فكانت الدراسة على مباحثين؛ الأول منها: البناء العقدي للشخصية الفاعلة في المجتمع في ضوء نهج البلاغة، والثاني: البناء الأخلاقي للشخصية الفاعلة في ضوء نهج البلاغة، تلتها خاتمة بأهم النتائج؛ ثم ذكرت أهم روافد البحث من مصادر ومراجع.

## المبحث الأول

### البناء العقدي للشخصية الفاعلة في المجتمع في ضوء نهج البلاغة

توطئة:

لا شك ولا ريب في كون الفرد المؤمن بحاجة ماسية إلى تنمية البعد الفكري والعقدي في شخصيته وروحه كي ترتقي في مدارج الكمال لتكون بحق شخصية رسالية مؤمنة فاعلة، واثقة الخطى، تؤدي مهامها الرسالية بشكل مثالى؛ هذا بالإضافة إلى أن هذا النوع من التنمية والبناء في شخصية الإنسان يشكل عنصرا أساسياً من عناصر قوته النظرية<sup>(١)</sup>. فقد روى أن المؤمن القوي خير من الضعيف<sup>(٢)</sup>، وقوة الاعتقاد والمعرفة بالله تعالى من أبرز مظاهر قوة الفرد المؤمن.

إن البناء العقدي القويم للشخصية الإسلامية الفاعلة يؤدي دوراً حيوياً في نضوج روح الاعتقاد في وسط المجتمع الإسلامي الذي يواجه في الوقت الراهن أزمة معرفية عقدية خطيرة تتطلب الوقوف عندها بصورة حازمة وجادة. فحضور مثل هذه الشخصيات المؤمنة الفاعلة داخل المجتمع، وفي خضم هذا التوترات العقدية والفكرية المهمة، قد يخلق نوعاً من التوازن، يعيد من خالفهم بـ الحقائق ونشرها، والتي يحاول طمسها الكثير من الناس والجهات والمنظمات على اختلاف مسمياتها وأهدافها. فإيقاظ شعلة المجتمع العقدية والإيمانية منوط بالأفراد الذين توقدت ضمائرهم بالحياة غيره وحرضاً منهم على الإسلام

(١) ينظر: بداية المعرفة: الشيخ حسن مكي العاملی: ١٦.

(٢) ينظر: السنة لابن أبي عاصم: ١٥٧ / ١.

وال المسلمين، بتنبيه الناس بالحرب الناعمة المسلطـة عليهم والمخاطر المحدقة بهم؛ قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

إن وجود هذه الأفراد في المجتمع أصبح اليوم ضرورةً ملحة للتصدي للأفكار الخبيثة والجماعات المتطرفة، خصوصاً الأفكار الإلحادية والاستشراقية وغيرها التي تُبث في بين أوساط الشباب المسلم لغرض حرفهم عن نقاء فطريتهم التي فُطروا عليها من الرابطة الإيمانية قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فالحفظ على فطرة الناس وإيمانهم بالله تعالى وبدينهم بشكل عام يقع واجبه على كلّ فرد من جهة، وعلى الأفراد الفاعلين من جهة أخرى، سواء أكانوا علماء أم مفكرين أم طلبة علم، أم مبلغين أم خطباء؛ فاجمـيع يقع على عاتقه الحفاظ على عقائد الناس.

لذا يتوجه هذا البحث ليسـلط الضوء على أهم الأسس والمرتكزات العقدية، التي يبني الفرد المؤمن عليها نفسه لتوسيع مداركه المعرفية، ويشدّ عمق إيمانه بخالقه وربّه.

ونهج البلاغة، هذا الكتاب العظيم الذي ضمَّ في ثناياه خطبَ سيد الموحدين ويعسوـب الدين أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله وحكمـه، زاخرـ بأهم الاعتقادات الأساسية الضرورية التي ينبغي أن يتعرف عليها الإنسان ويؤمن بها ويعقد قلبه عليها. وسنذكر أهم دُور أمير المؤمنين عليه السلام في المـعارف الإلهـية التي وردت في نهجـ البلاغـة لنـبينـ كيفيةـ الـبناءـ العـقـديـ للـشخصـيةـ الإـسـلامـيـةـ الفـاعـلـةـ:

(١) سورة الذاريات: الآية: ٥٥.

(٢) سورة الروم: الآية: ٣٠.

وأهمُ تلك الأسس العقدية هي كما يأقِي:

### معرفة الله تعالى:

الحقيقة أنّ في نهج البلاغة الكثير من النصوص العلوية المباركة، عالية المصامين، عميقه الدلاله في بيان المعرفة بالله تعالى وذكر حدودها. فهو ليس نهجاً للبلاغة فقط، بل نهجاً للمعرفة والتوحيد والدين والحياة والأحكام والأخلاق، يتلو كتاب الله تعالى في شموليته وعلوّ منزلته. ولكن نشير إلى أبرز النصوص التي لها صلة ببحثنا فقد ورد عن أمير المؤمنين قوله: (أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَةٌ وَكَمْلُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ) <sup>(١)</sup>. في هذا النص المبارك يبين فيه أمير المؤمنين عليه السلام أولية المعرفة بالله تعالى وأسبقيتها علىسائر معارف الدين الأخرى، إذ إنّ لكلّ شيء بداية وأساس، فإذا نهض واشتد وأثمر فإنما يعود الفضل إلى نقطة البداية وإلى ذلك الأساس. فالدين ذلك النظام الشامل بعقيدته وفكرة وأخلاقه إنما يبدأ من نقطة واحدة ويرتكز على ركن واحد. فإذا انطلق من تلك النقطة ونهض على ذلك الأساس فإنه ينهض قوياً متيناً ومفيداً، وتلك هي معرفة الذات الإلهية المقدسة والإيمان بالأحدية المطلقة <sup>(٢)</sup>، فمعرفة الله تعالى هي الأساس المتيقن الذي يبدأ فيه الإنسان نموه الفكري والعقدي، وبدونها يكون البناء واهياً ضعيفاً على شفا جرفٍ من أن ينهار، لذا جعل الإمام عليه السلام أولية للمعرفة ليكون السير التكاملي للفرد المؤمن صحيحًا كي ينجو من الضلال والتهي. فقد ورد عن مولانا صاحب الزمان عليه السلام هذا الدعاء الذي يؤكّد هذا المعنى: (اللهم عرّفني نفسك، فإنك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك. اللهم عرّفني رسولك، فإنك إن لم تعرّفني رسولك، لم أعرف حجّتك. اللهم عرّفني حجّتك فإنك إن لم تعرّفني حجّتك، ضللتك عن ديني) <sup>(٣)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١): ٢٢.

(٢) الموعظ والحكم: الشهيد مرتضى مطهرى: ١٥.

(٣) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ٥٣.

فالإمام هنا يطلب بتضرع إلى الله عز وجل أن يعرف نفسه بما هو ممكن للإنسان أن يعرفه عنه، وإلا ضلّ الإنسان وهو في مكان سحيق لا يُخرجه من ذلك المأزق إلا هو سبحانه وتعالى، بأن ينير روح الإنسان بجليل معرفته، وورد أيضًا عن إمامنا الرضا عليه السلام قوله (أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده)<sup>(١)</sup>، فأصل العبادة قائمة بالمعرفة؛ فلا دين ولا عبادة من دون معرفته تعالى.

وأشار أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة نفسها، وغيرها من خطب نهج البلاغة، إلى استحالة الإحاطة بالذات المقدسة لقصور النفس وفقرها؛ إذ قال: (الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهَمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطْنَ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌ مَحْدُودٌ، وَلَا نَعْتُ مَوْجُودٌ، وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجْلٌ مَمْدُودٌ)<sup>(٢)</sup>. فمهما بلغ الإنسان علمًا ومعرفة وفضله لن يستطيع أبدًا أن ينال من كنه الذات المقدسة شيئاً، وهو القائل في كتابه الكريم في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿لَا تُنْدِرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُنْدِرُكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْحَسِينُ﴾<sup>(٤)</sup>، كي يعلم المؤمن حدوده وفقره أمام الله تعالى، ويبني مرتکزات معرفته على هذا الأساس العقدي الصحيح.

وقال عليه السلام في الموضوع نفسه: (الحمد لله الذي انحرست الأوصاف عن كنه معرفته، وردعت عظمته العقول فلم تجد مساغاً إلى بلوغ غاية ملكته؛ هو الله الملك الحقّ المبين، أحقّ وأين ما ترى العيون، لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبهًا، ولم تقع عليه الأوهام

(١) ميزان الحكم: ٦ / ١٢، حديث: ١١٣١٤.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١): ٢١.

(٣) سورة طه: الآية: ١١٠.

(٤) سورة الأنعام: الآية: ١٠٣.

بتقدير فيكون مثلاً<sup>(١)</sup>، وقال عليه السلام: (لا تناه الأوهام فتقدره، ولا تتوهم الفطن فتصوره. ولا تدركه الحواس فتحسّه ولا تلمسه الأيدي فتمسّه. لا يتغير الحال، ولا يتبدل بالأحوال)<sup>(٢)</sup>، وغيرها الكثير من النصوص المباركة في هذا المجال مؤكداً عليه استحالة الإحاطة بكلنه الذات المقدسة، كي يغرس عمق هذا المعنى في قلب الإنسان ووعيه لتكون معرفته نقية خالصة.

أما قوله عليه السلام: (وَكَمْ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ)، فتشير إلى أنّ كمال المعرفة بالتصديق به. وقد ذكروا أن المعرفة هنا تختلف عن المعرفة في عبارته الأولى (أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ)، إذ إنّ المعرفة الأولى (هي المعرفة الفطرية، والمقصود بالتصديق المعرفة العلمية والاستدلالية، أو إنّ المراد بالمعرفة هنا المعرفة الإجمالية، والمقصود بالتصديق المعرفة التفصيلية، أو إنّ المعرفة تشير إلى العلم بالله، والتصديق يشير إلى الإيمان، لأنّ العلم لا يفارق الإيمان، فالإنسان قد يوقن بشيء إلا أنه لا يؤمن به قليلاً - بمعنى التسليم له والإذعان به قليلاً، أو بتعبير آخر الاعتقاد به)<sup>(٣)</sup>. وبناءً على الرأي الأول والثاني نستنتج أنّ المعرفة الفطرية الأولى للفرد المؤمن غير كافية في رقيه الكمالى، بل لا بدّ من العمل على تحصيل المعرفة العلمية القائمة بالدليل والبرهان، إذ إنّ المعرفة الأولى حاصلة لكل إنسان يولد في العالم، كما ذكر ذلك رسول الله ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة)<sup>(٤)</sup>. وأما الثانية فتأتي بالبحث والتحقيق في تحصيلها، وهي المعرفة التي يستطيع بها الفرد الفاعل في المجتمع الدفاع عن معتقداته وعارفه في تصديقه للأفكار المُضلة التي تنتشر في المجتمع. فالإمام عليه السلام يضع المعرفة التفصيلية أساساً كمالاً للفرد في بناء عقيدته.

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٥٤): ٢٤٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٨٥): ٢٩٩.

(٣) نفحات الولاية: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١ / ٥٠.

(٤) الكافي: الشيخ الكليني: ٢ / ١٣.

أما الرأي الثالث الذي قصد بالتصديق هنا الإيمان والإقرار القلبي بمضمون المعرفة التي اكتسبها الفرد، فهو رأيٌ صحيح أيضًا وإلاً ما فائدة المعرفة من دون الإيمان؟.

ولا شكّ أيضًا أنَّ الإيمان أصعب منالًا من المعرفة، فأيُّ إنسان بإمكانه التعلم والتعرف على هذه المعرفة، ولكنَّ الأهم هو أنَّ القلب يُعقد بالإيمان، لذا ساق الإمام التصديق كماً للمعرفه كي تكون ذا قيمة وفاعلية في النفس، ولأنَّ آثار معرفة الله المكتسبة بالتحصيل كثيرة جدًا سواء الدنيوية أو الأخروية، منها أنَّ المعرفة بالله تعني القرب الإلهي فضلاً عن الشعور بالاطمئنان<sup>(١)</sup> الذي يدفع الوساوس النفسية التي تطال روح الإنسان في حياته حينما تعصف المشاكل والمصاعب.

ومن الآثار الأخرى أنَّ المعرفة تُولّد في الإنسان الخوف من الله تعالى؛ يقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ لأحد أصحابه في صورة توحّي بالتربيـة الـقويمـة التي أساسـها المـعرفـة: (يا إسحـاقـ، خـفـ اللـهـ كـانـكـ تـرـاهـ، وـإـنـ كـنـتـ لـا تـرـاهـ فـإـنـهـ يـرـاكـ، فـإـنـ كـنـتـ تـرـى أـنـهـ لـا يـرـاكـ فـقـدـ كـفـرـتـ، وـإـنـ كـنـتـ تـعـلـمـ أـنـهـ يـرـاكـ ثـمـ بـرـزـتـ لـهـ بـالـمـعـصـيـةـ فـقـدـ جـعـلـتـهـ مـنـ أـهـوـنـ النـاظـرـينـ عـلـيـكـ)<sup>(٢)</sup>، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ مبيناً آثاراً أخرى للمعرفة: (لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عزّ وجّلّ ما مددوا أعينهم إلى ما متع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعمتها، وكانت دنياهم أقل عندهم مما يطاؤنه بأرجلهم، ولعموا بمعرفة الله جلّ وعزّ، وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله. إنَّ معرفة الله عزّ وجّلّ آنس من كلّ وحشة، وصاحب من كلّ وحدة، ونور من كلّ ظلمة، وقوة من كلّ ضعف، وشفاء من كلّ سقم).<sup>(٣)</sup>

(١) ينظر: دروس في العقائد الإسلامية: مكارم الشيرازي: ١٦.

(٢) الكافي: ٢ / ٦٧.

(٣) المصدر نفسه: ٨ / ٢٤٧.

فجعل الإمام المعرفة أساساً للدين ليس اعتباطاً بل لتكون مرتکزاً ومنطلقاً ينال من خلاله المؤمن كل تلك الآثار بمعرفة ورؤيه صحيحة، لذا قال عليهما مفصحاً عن هوية تلك الرؤية لما سئل عن رؤية ربها: (لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان) <sup>(١)</sup>.

وبناءً على ما تقدم نجد أن الإمام أمير المؤمنين عليهما مفعلاً وضع الأسس الصحيحة لتنمية الشخصية الإسلامية من خلال أولية المعرفة بالله تعالى بتحصيلها البرهاني، وملء النفس بشعور التصديق الحقيقي بمضامين هذه المعرفة. فحتى يحصل تأثير الفرد في المجتمع لا بد له من كسب هذه المعرفة ويوصلها للناس بأمانة لأنهم -خصوصاً في زماننا هذا- في أمس الحاجة إليها ليعرفوا خالقهم معرفة صحيحة فإن هذه المعرفة ستقود المجتمع نحو الكمال المنشود، وذلك بحسبان أن رأس الخير في أن يبني المجتمع بمعرفة خالقهم ورازقهم الذي بيده زمام أمرهم في الدنيا والآخرة.

### توحيد الله تعالى:

ثم إن الإمام عليهما أكّد كثيراً في خطبه وكلامه عظيم الارتباط بالله تعالى من خلال توحيده توحيداً خالصاً نقياً من الشوائب، حيث صرّح بأن كمال التصديق بالله تعالى بأن يكون الفرد قد غمر نفسه بالتوكيد الحقيقى لله تعالى إذ قال: (وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصَّفَاتِ عَنْهُ) <sup>(٢)</sup>. وبعد حصول المعرفة الصحيحة والإيمان الوثيق يأتي دور تنزيه الله سبحانه وتعالى من كل شرٍّ وكبته وعديله؛ لأن الإنسان لم يبلغ مرحلة التوحيد الكامل على أساس معرفته التفصيلية لله، أو

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٧٨): ٢٨٥.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١): ٢٢.

بتعبير آخر، بالمعرفة القائمة على أساس الدليل والبرهان. فالتوحيد التام في أن ينْزَهُ الذات الإلهية عن كُل شبه ومثيل ونظير؛ وذلك لأنّ من جعل له شبيهه وصنو لم يعرفه، فالله وجود مطلق غني بالذات عِمّا سواه وليس كمثله شيء، ومن طبيعة الأشياء التي لها أشباه وأمثال أن تكون محدودة، لأنّ أيّاً من الشبيهين منفصل عن الآخر وفائدتكما لاته؛ إذن فالإنسان لا يبلغ مرحلة الكمال إِلَّا بالتصديق بذاته المترفة في أنه واحد؛ واحد لا عن عدد، بل واحد بمعنى خلوه من الشبيه والمثيل)<sup>(١)</sup>، وعليه فإنّ الأساس الثاني من أسس بناء العقيدة الصحيحة في الإنسان بأن يكون موحداً لله، منزهاً إِيّاه من الشريك والمثيل، بأن تكون تلك معرفة نابعة عن شعور بالتقديس والتنتزه وهذا هو الأخلاص الذي قصده الإمام بقوله: (وَكَمْ تَوْحِيدِهِ الْأَخْلَاصُ لَهُ، وَكَمْ الْأَخْلَاصُ لَهُ نَفْيُ الصَّفَاتِ عَنْهُ).

وتكمّن أهمية التوحيد الخالص الحقيقي من جوانب عدة للمؤمن الفاعل والمؤثر، ولكنّ أهم سبب اجتماعي في الوقت الراهن يدعوه إلى ذلك هو لغرض التصدي الفكري الساحق بنفي الاعتقادات الباطلة حول وجود شريك لله تعالى، كما هو الحال من النصارى الذين ما زالوا يروّجون لمعتقداتهم الباطل والآثم حول التشليث بزعم أنّ السيد المسيح عليه السلام -والعياذ بالله- ابن الله. وقد رد القرآن الكريم مصرحاً ببطلان وفساد قولهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُو اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ..﴾<sup>(٢)</sup>. الغريب أنّ التشليث ثقافة ومعتقداً ما زال رائجاً ومنتشرًا في الغرب رغم وضوح بطلانه، والأغرب أنّ الثقافة المسيحية بدت تغزو مجتمعنا الإسلامي من خلال الوسائل المرئية ووسائل التواصل الاجتماعي، فحرّي بال المسلمين وخصوصاً المؤثرين الذين ملئت قلوبهم بمعرفة الله وتوحيده أن يقفوا أمام هذا الغزو وكل ثقافة شركية دخلية.

(١) نفحات الولاية: ١/٥١.

(٢) سورة المائدة: الآية: ٧٢.

فهذا التأكيد من أمير المؤمنين عليه السلام على موضوع التوحيد ليس لغرض الإخبار والتعليم والذكرى فقط، بل لغرض التأسيس البنائي الصحيح لل المسلم وترسيخ الأفكار السليمة في أعماقه كي يواجه سيل الأفكار الملوثة لفطرة الإنسان؛ ولذا -لشدة أهمية التوحيد في حياة الإنسان- نرى أنّ رجلاً أعرابياً قام إليه يوم الجمل وسأله عن الله تعالى بقوله: (يا أمير المؤمنين! أتفقول: إنّ الله واحد؟ قال: فحمل الناس عليه قالوا: يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسم القلب؟! فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه، فإنّ الذي يريده الأعرابي هو الذي يريد من القوم! ثم قال: يا أعرابي! إنّ القول في أنّ الله واحد على أربعة أقسام؛ فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّ وجلّ، ووجهان يثبتان فيه؛ فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل: واحد، يقصد به باب الأعداد، وهذا ما لا يجوز، لأنّ ما لا ثانٍ له لا يدخل في باب الأعداد. أما ترى أنه كفر من قال: إنه ثالث ثلاثة، وقول القائل: هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز عليه، لأنّه تشبيه، وجلّ ربّنا عن ذلك وتعالي. وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه: فقول القائل: هو واحد ليس له في الأشياء شبه، كذلك ربّنا، وقول القائل: إنه عزّ وجلّ أحدي المعنى، يعني به أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، كذلك ربّنا عزّ وجلّ)<sup>(١)</sup>، فالإمام أجابه بشكل مفصل في دلالة على محورية التوحيد في حياة الفرد والمجتمع، ولم يقبل على أصحابه اعتراضهم على الرجل الأعرابي لأنّ الذي ذكره هو روح الخلاف بيننا وبين القوم، ولو كان التوحيد حاضراً في نفوسهم لما وصل الأمر إلى الاقتتال.

ونلاحظ كثرة النصوص التوحيدية في نهج التوحيد والبلاغة منها قوله عليه السلام: (ما وحده من كيّفه، ولا حقيقته أصاب من مثله. ولا إيه عنني من شبّهه. ولا صمدّه من أشار إليه وتوهّمه)<sup>(٢)</sup>، وغيرها من النصوص المباركة التي أفصحت عن مكانة التوحيد.

(١) التوحيد: الشيخ الصدوقي: ٨٣

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٨٥): ٢٩٩

فتتحقق أنّ الأساس التوحيدى في تكوين الشخصية الإسلامية الفذّة ركن وثيق ترتكز عليه لتصل إلى كمالها الفكرى بإثبات الوحدانية الحقيقة لله تعالى والدفاع عنها برد المشركين بالله.

### الإيمان بالأنبياء والأوصياء والاقتداء بهم:

إنّ الإيمان بالرسل والأنبياء والأوصياء جميعاً يُعدُّ من الركائز العقدية الأساسية والمُهمة في البناء الاعتقادي للفرد المسلم، ولا مناص له الا الاستجابة لأمر الله تعالى بالإيمان بهم: ﴿...وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَنْ رَسَلَ إِلَيْهِمْ فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَقَوَّلُوكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، فالمؤمن الحقيقي هو من وافق إيمانه بما آمن به الرسول الخاتم ﷺ وعَصَدَ هذا الإيمان بالسمع والطاعة يقول سبحانه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ وَرَسُولٌ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا..﴾<sup>(٢)</sup>، فكُلُّ مسلم ينبغي عليه أن يؤمّن بجميع الرسل ﷺ من آدم إلى نبينا الخاتم الذي أمر المسلمين بطاعته والانتباد لتوجيهاته، وهو غير ناطق بالهوى، بل ينطق بالحق عن أمر ربه تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾<sup>(٣)</sup>، فطاعته هي عين طاعة الله سبحانه وتعالى.

وكذلك طاعة ولاة الأمر الذي فرض الله طاعتهم علينا بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَمْرٌ مِنْكُمْ..﴾<sup>(٤)</sup>، وهم الأئمة الاثنا عشر من أهل

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٧٩.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٨٥.

(٣) سورة النجم: الآية: ٣.

(٤) سورة النساء: الآية: ٥٩.

البيت الله. لذا نرى الإمام الْبَاقِرُ الله قَالَ: (أَوْصَى النَّبِيُّ الله إِلَى عَلَىٰ وَالْحَسَنِ وَالْحُسْنِ<sup>(١)</sup> ثُمَّ قَالَ فِي قَوْلِ اللَّهِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ قَالَ أَلِئِمَّهُ الله مِنْ وُلْدٍ عَلَىٰ الله وَفَاطِمَةَ (سلام الله عليها) إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةِ)<sup>(٢)</sup>، لذا معرفة الأئمة الله ومقاماتهم والاعتراف بحجيتهم على الخلق وأنهم مفترضو الطاعة من أسس الدين وأعمدته الرئيسة التي لا ينبغي التقصير فيها، لذا يسأل أحدهم الإمام الصادق الله عن دعائم الإسلام الأساسية الواجبة: (قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الله أَخْبِرْنِي بِدَعَائِمِ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا يَسْعُ أَحَدًا التَّقْصِيرُ عَنْ مَعْرِفَةِ شَيْءٍ مِنْهَا الَّذِي مَنْ قَصَرَ عَنْ مَعْرِفَةِ شَيْءٍ مِنْهَا فَسَدَ دِينُهُ وَلَمْ يَقْبِلِ اللَّهُ مِنْهُ عَمَلُهُ وَمَنْ عَرَفَهَا وَعَمِلَ بِهَا صَلَحَ لَهُ دِينُهُ وَقَلَّ مِنْهُ عَمَلُهُ وَلَمْ يَضْقُ بِهِ مِمَّا هُوَ فِيهِ جَهْلٌ شَيْءٌ مِنَ الْأُمُورِ جَهْلُهُ فَقَالَ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ الله وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَحْقٌ فِي الْأُمُوَالِ الزَّكَوَةِ وَالْوَلَايَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا وَلَالِيَّةُ آلِ مُحَمَّدٍ الله قَالَ فَقُلْتُ لَهُ هَلْ فِي الْوَلَايَةِ شَيْءٌ دُونَ شَيْءٍ فَضْلٌ يُعْرَفُ لِمَنْ أَخْدَى بِهِ قَالَ نَعَمْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَلْمَرِ مِنْكُمْ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ الله مَنْ مَاتَ وَلَا يَعْرِفُ إِمَامَهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً<sup>(٣)</sup>، فالولاية لأهل البيت عليهم واجبة كما هي ولاية الله تعالى وولاية رسوله الله.

أمّا نهج البلاغة فيضمّ نصوصاً عظيمة تبيّن قداسة النفوس الطاهرة للرسل والأنبياء جميعاً، وجلالة قدرهم، وكثرة مسؤولياتهم إذ قال الله: (واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أmantهم لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه)<sup>(٤)</sup>، قوله الله في أحد ميثاق الأنبياء إشارة إلى قول الله

(١) كمال الدين ونهام النعمة: الشيخ الصدق: ١ / ٢٥٠.

(٢) بحار الانوار: محمد باقر المجلسي: ٦٥ / ٣٣٧.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١): ٢٧.

تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، فالمسوؤلية العظمى عليهم النبيّين هي التبليغ وتذكير الناس بعبادة الله تعالى ونبذ الأنداد.

ومن هذا نقتبس بعدها معرفياً مُهماً من حياة الأنبياء وسيرتهم العظيمة، وهو مسوؤلية التبليغ والدعوة إلى الحق والتبصرة بتبيان الحقائق في حال الجهل بحق الله تعالى، وتجاوز حدوده وأحكامه التي شرعها للناس، فاللازم على الفرد أن يستضيء بهدى الأنبياء في توعية الناس وبذل قصارى الجهد لإنقاذهم من وهم الضلال والفكير المنحرف بعيد عن خط الرسالات الإلهية، خصوصاً في هذا الزمان الذي انطمست فيها الحقائق على الناس عن عميد بالترويج لأفكار أخرى خبيثة كي ينحرف الناس. فالفرد الرسالي الفاعل بمجرد أن يتحسس ضعف إيمان الناس وجهلهم وغياب وعيهم ومعرفتهم بدينهم يتصدّى لذلك منيراً درب التائهيمن من الناس متأسياً بذلك بالرسل الكرام النبيّين.

ثم أبان الإمام النبيّين الغايات من بعث الأنبياء بقوله: (بعث فيهم رسلاه وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسيّ نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ. ويثيروا لهم دفائن العقول)<sup>(٢)</sup>، هذه المهام العظام وقعت على عاتق الأنبياء بإعادة إرشاد المنحرفين عن الحق إلى فطرتهم السليمة، وتذكير الإنسانية جماء بنعم الله تعالى عليهم التي هي في الواقع لا تعد ولا تحصى، وإلزام الناس الحجّة فلا حجّة للناس بعد تبليغ الأنبياء والرسل، وإثارة العقول: (ليكشفوا للناس كنوز العلوم والمعارف الكامنة في عقولهم، فقد أودع الله هذه العقول كنوزاً عظيمة قيمة، لو ظهرت واستغلت لشهدت العلوم والمعارف نهضة

(١) سورة الأحزاب: الآية: ٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١): ٢٨.

عظيمة وجباره، غير أنّ هذه الكنوز اختفت واستترت إثر هذه الغفلة وال تعاليم الفاسدة والذنوب والمعاصي والتلوث الأخلاقي؛ ومن هنا فإنّ إحدى وظائف الأنبياء تكمن في إزالة هذه الحجب وإثارة تلك الكنوز المفعمة بالعلوم والمعارف<sup>(١)</sup>.

هذا ما يخصّ عموم الأنبياء، أما يخصّ النبي الخاتم محمد ﷺ فقد أكثر مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الحديث في خطبه عن مكانة رسول الله في موارد عديدة منها قوله عليه السلام: (إلى أنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ وَإِتَامِ نُوبَتِهِ مَأْخُوذًا عَلَى النَّبِيِّنَ مِيثَاقُهُ مَشْهُورَةً سِيَاهَتُهُ، كَرِيمًا مِيلَادُهُ، وَأَهْلَ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِيلُ مُنْتَرَقَةٍ وَأَهْوَاءً مُنْتَشِرَةً وَطَرَايِقٌ مُشَتَّتَةٌ، يَنْ مُشَبِّهٌ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحِدٌ فِي اسْمِهِ أَوْ مُشَيِّرٌ إِلَى غَيْرِهِ فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الصَّلَاتَةِ وَأَنْقَدَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ لِقَاءَهُ وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدُهُ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا وَرَغَبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ الْبُلْوَى فَقَبَصَهُ إِلَيْهِ كَرِيمًا ﷺ وَخَلَفَ فِيْكُمْ مَا خَلَفَتِ الْأَنْبِيَاءِ فِي أُكْمَاهَا إِذْمَأْيِرُوكُوْهُمْ هَمَلًا بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضْطَرَّ بِهِمْ وَلَا عَلَمْ قَائِمٍ<sup>(٢)</sup>). وقال أيضًا في بيان مهمات المصطفى ﷺ: (وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمُشْهُورِ وَالْعَلَمِ الْمَأْتُورِ وَالْكِتَابِ الْمُسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ وَالصَّيَاءِ الْلَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ وَاحْتِجاجًا بِالْبَيِّنَاتِ وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ وَتَحْوِيفًا بِالْمُثَلَّاتِ)<sup>(٣)</sup>، وغيرها من النصوص المباركة بهذا الشأن.

أمّا النصوص العلوية في بيان منزلة العترة الطاهرة، وكلّها نصوص بنائية في تكوين العقيدة الصحيحة من الجوانب كافة كي يعلم الناس مكانتهم عليهم السلام، من تلك النصوص:

(١) نفحات الولاية: ١٤٢ / ١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١): ٢٨-٢٩.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢): ٣٢.

(هم موضع سرّه، وجلأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبار دينه)<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: (أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلَ مُحَمَّدٍ، كَمَثَلِ بُجُومِ السَّمَاءِ، إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ)<sup>(٢)</sup>، ثم أشار ﷺ في عبارة ملؤها التوجيه والدعوة إلى التمسك بال محمد ﷺ للنجاة من الضلالة والسير في طريق الحق والهدایة: (انظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَّمُوا سَمْتَهُمْ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدَىٰ، وَلَنْ يُعِدُوكُمْ فِي رَدَىٰ، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبَدُوا، وَإِنْ نَهَضُوا فَإِنْهَضُوا، لَا تَسْقِفُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا)<sup>(٣)</sup>، وأكثر عبارة فيها ترسیخ قوي في النفوس هي أنّ اتباعهم هداية على كلّ حال وتحت أي ظرف، لأنّه ما يصدر شيء منهم إلا كان فيه خيراً للناس واستنقاذًا لهم من الحيرة والضلاله، لذا طلبوا منا ﷺ أن نبين للناس محسناتهم، وعظيم خلقهم، وجليل مواقفهم، وقوة حجتهم، فإنّ الناس لو عرفوهم لاتّبعوهم وأمنوا بهم وتعلّقوا بهم تعلقاً شديداً.

فتحصل أنّ أمير المؤمنين ﷺ أفاد بوضوح أهمية معرفة الأنبياء والأوصياء ومقاماتهم ودورهم الجوهري في مسيرة البشرية بالهدایة والدعوة والتبلیغ، وكل ذلك ترسیخ عقائدي مهمّ أبانه الإمام للفرد والمجتمع.

### الإيمان بالقرآن الكريم والتعلق به:

من الأصول العقائدية المهمة التي نوّه إليها الإمام علي عليه السلام هي الإيمان بالقرآن الكريم والتمسك بآياته وأحكامه؛ لأنّ القرآن هو الثقل الأكبر والحلب الممدود من السماء إلى الأرض، كتاب لا يرقى إليه كتاب في عمقه وعلو مضامينه؛ كيف لا، وهو العجزة الخالدة

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢): ٣٢.

(٢) المصدر نفسه: الخطبة رقم (١٠١): ١٦٩.

(٣) المصدر نفسه: الخطبة رقم (٩٧): ١٦٥.

لسيد المرسلين الدالة على صدق نبوته ﷺ، فالقرآن ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾<sup>(١)</sup>، ولا يقع الريب فيه، فيه أكثر الطرق استقامة لبلوغ الهدایة ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(٢)</sup>، لذا نرى الإمام أكّد مراراً وتكراراً وفي مناسباتٍ عديدة عظمة القرآن الكريم، منها قوله ﷺ: (فَالْقُرْآنُ آمُرٌ رَّاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَّاطِقٌ، حُجَّةٌ اللّٰهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ؛ أَخْدَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ، وَارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ. أَتَمْ نُورُهُ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ)<sup>(٣)</sup>، فالقرآن الكريم من حجج الله تعالى على خلقه، فهو النور المبين الذي بينَ فيه المولى أحکامه، وأمر المؤمنين بالتمسك به، وتدبر آياته، والعمل بها، إذ من خلال التدبر ينطق القرآن ويحاكي الصمائر التي تتفاعل معه بما جاء فيه من الأمر، وتنزجر بها ورد فيه من الزجر، لأن تلك المعاني القرآنية لو دخلت روح الإنسان تركت الأثر الإيجابي المعنوي الذي يحقق السعادة في الدارين<sup>(٤)</sup>.

وقال ﷺ في معرض التعريف بالعمق الدلالي والمعنوي لظاهر القرآن وباطنه، وأنّ عجائب هذا الكتاب لا تنتهي إذ يقول: (وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَا تَنْفَنِي عَجَابُهُ، وَلَا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ)<sup>(٥)</sup>، وكشف الظلمات التي تعترى الفرد والمجتمع منوطه بالقرآن الكريم والإعتماد به يقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ حَمِيعًا وَلَا تَقْرَرُوا﴾<sup>(٦)</sup>، وقال الرسول ﷺ: (إِذَا التَّبَسَّتْ عَلَيْكُمُ الْفَتْنَ كُقْطِعَ اللَّيْلُ الظَّلِيمُ

(١) سورة فصلت: الآية: ٤٢.

(٢) سورة الاسراء: الآية: ٩.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٨٢): ٢٩٣.

(٤) ينظر: القرآن الكريم في فكر الإمام علي شواهد من نهج البلاغة، الشيخ سجاد الريسي: ١١٨.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٨): ٥٤.

(٦) سورة آل عمران: الآية: ١٠٣.

فعليكم بالقرآن فإن شافع مشفع وما حل مصدق. ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل<sup>(١)</sup>، فالإمام أشار بلغة واضحة إلى أنّ أهّم مواطن الاعتصام من الضلال هو الرجوع إلى التعاليم والأحكام الإلهية في القرآن الكريم.

وقال عليه السلام: (واعلموا أنّ هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضلّ، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان من عمى)<sup>(٢)</sup>، فمجالسة القرآن الكريم تعود بالفائدة الأكيدة على الفرد المؤمن سواء بزيادة هداية أو نقصان عمى.

وهذا الإرشاد العلوي المبارك حول القرآن الكريم والتعلق به والأخذ بتعاليمه وأحكامه أصل أصيل لبناء الشخصية الإسلامية الفذّة العاملة.

هذا ما يتعلّق بالقرآن الكريم، أما سائر الأصول العقدية الأخرى فلم تتعرّض لها خشية الإطالة والخروج عن حدود المسموحة لهذا البحث.

(١) الكافي: ٥٩٩ / ٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٧٥: ٢٧٨.

## المبحث الثاني البناء العقدي للشخصية الفاعلة في المجتمع في ضوء نهج البلاغة

إن التنمية الأخلاقية هي الركيزة الأساسية في بناء الإنسان بعد التنمية الفكرية والعقدية، ولن تكون شخصية الفرد متكاملة من دون نموها السلوكي الصحيح والقويم، لأن النفس الإنسانية تميل إلى الهوى واللعب واللهو، تأمر الإنسان بالسوء: ﴿...إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾<sup>(١)</sup>، فلا مناص من تربية هذه النفس من خلال تحليتها لأمارة بالسوء إلا ما رحمة ربها، فلا مناص من تربية هذه النفس من خلال تحليتها وتركيتها بمكارم الأخلاق التي فيها فلاح الإنسان ونجاحه في الدنيا والآخرة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّاها﴾<sup>(٢)</sup>، فهذه التربية للنفس بالخلق الرفيع والسلوك الحسن وتطويقها إلى كما لها هو ما يسمى بالجهاد الأكبر الذي عبر عنه النبي ﷺ حينما عاد من إحدى غزواته بقوله: (رجعنا من jihad al-asghar إلى jihad al-kabir)<sup>(٣)</sup>، الذي هو جهاد النفس الأمارة بالسوء.

لقد عظم الإسلام الحنيف مسألة الأخلاق تعظيمها كبيراً، إذ نجد أن الله تعالى في كتابه الكريم قد امتدح وأثنى على رسوله الكريم محمد ﷺ بخلقـه العظيم، وهو المعروف قبل الإسلام بصدقـه وأمانـته: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>، فهو الصادق الأمين الذي عرف بخلقـه الرفيع، وأصبح الرحمة المهدـة للـعالـمين، الموصـوف في القرآن بالرأفة والرحمة بالـمؤمنـين، وهو المـنبـع الأصـيل لـخلقـ القـويم والـسلوكـ الحـسن، وصارـ أسوـة حـسنة لـمن أرادـ الـاقـداء

(١) سورة يوسف: الآية: ٥٣.

(٢) سورة الشمس: الآية: ٩.

(٣) بحار الانوار: ٦٧ / ٧١.

(٤) سورة القلم: الآية: ٤.

والتأسي به ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

فلا مناص للفرد المؤمن القوي من أن يؤدب نفسه ويروضها بالفضائل والمكارم الأخلاقية؛ لأنّ من ثمار ذلك السعادة والشعور بالكمال الروحي الذي يجعل من الإنسان قريباً من ربّه، وقريباً من المجتمع محبّاً محبوباً، يرغب الجميع في التواصل معه، ولكن لن يكون الفرد مؤثراً فاعلاً من دون أن يتخلّى بالخلق الرفيع الذي يجعل منه مرآة لآخرين يقتدون به ويسلكون سلوكه، بل ويأخذون منه ما يصلح حاهم وأخلاقهم، ويحظى بالقبولية، وهي مهمة جداً لصناعة التغيير والتأثير في المجتمع، لأنّ (الإنسان ليس وحدة حياتية مستقلة عن بقية أفراد المجتمع، بل لا بدّ له أن يعيش ضمن دائرة المجتمع، ويتبادر المنافع والمصالح، وينشئ العلاقات)<sup>(٢)</sup>، لذا كان الرسول ﷺ مقبولاً في الوسط الاجتماعي في صدر الإسلام: ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيلَ الْقُلُبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾<sup>(٣)</sup>.

ولا أريد أن أطيل الحديث في تبيان شرفية الأخلاق وعلوّ منزلتها فهي روح وجود هر الإنسانية الحقيقية، لذا نرى الأئمة عليهم السلام أكثروا من الحديث عن الأخلاق في تراث ضخم ضمّ ما لا يحصى من الروايات الشريفة التي تبيّن مكانة الأخلاق. فقد روى عن النبي ﷺ آنه قال: (أفضلكم أحسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلغون وتوطأ رحابهم)<sup>(٤)</sup>. وعن الإمام الباقر عليه السلام: (إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الأحزاب: الآية: ٢١.

(٢) مبادئ في تربية النشاء المسلم: لجنة التأليف مؤسسة البلاغ: ١٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية: ١٥٩.

(٤) الكافي: ١٠٢ / ٢.

(٥) المصدر نفسه: ٩٩ / ٢.

أما النصوص الأخلاقية في نهج البلاغة فهي كثيرة ومتنوعة، وأكبر من يحاط بها بحثاً ودراسة، ولكن نشير إلى بعض كلامه عليهما في مجال الأخلاق والسلوك ضمن المحورين هما: الأول معرفة النفس وتركيتها بمكارم الأخلاق، والثاني معرفة الدنيا والغاية منها:

### المحور الأول: معرفة النفس وتركيتها بمكارم الأخلاق:

أهم أساس أخلاقي تنموي يبدأ فيه الإنسان إصلاح نفسه هي من خلال معرفة النفس وعيوبها ونقصها إلى الفضائل والمكارم التكاملية التي تسهم في بناء الشخصية الحقيقة للفرد المؤمن.

وهذه المعرفة بالنفس مقدمة ليعرف الإنسان ربّه. فقد روي عن أمير المؤمنين عليهما: (من عرف نفسه فقد عرف ربّه)<sup>(١)</sup>، وهذا فيه دلالة على أن الإمام يحثّ الإنسان على تأديب النفس بالتحلي بالمكارم الأخلاقية، وذلك أنّ هذه المعرفة ستؤدي إلى أن يتبصر الإنسان بعيوبه ونقصه؛ ومن ثم يلتفت إلى حاجته الماسّة إلى التكميل النفسي ومجاهدة تلك النفس بردعها عن الرغبات الشهوانية. يقول عليهما: (من عرف نفسه جاهدها، ومن جهل نفسه أهملها)<sup>(٢)</sup>، فعلى الإنسان أن يعرف نفسه كي يعرف كيف يكبح جماحها من خلال جهادها، لذا يقول عليهما: (املكوا أنفسكم بدوام جهادها)<sup>(٣)</sup>، بل الإمام يؤكّد فاعلية هذه المعرفة من خلال ذكر آثارها منها: (من عرف قدر نفسه لم يهnya بالفانيات)<sup>(٤)</sup>. وهذا الأثر جليل القدر في حياة الإنسان، فأصل مجاهدة النفس قائمة بصرفها عن الفانيات من الشهوات الحيوانية

(١) ميزان الحكمة: ١٨٧٧ / ٣.

(٢) ميزان الحكمة: ١٨٧٧ / ٢.

(٣) المصدر نفسه: ٣٣٣٣ / ٤.

(٤) المصدر نفسه: ١٨٧٧ / ٣.

وعدم طمس النفس بها. وقال: (من عرف نفسه جل أمره)<sup>(١)</sup>، وقال: (أكثر الناس معرفة لنفسه أخوهفهم لربه)<sup>(٢)</sup>، وقال: (من عرف الله توحد، من عرف نفسه تجرد، من عرف الدنيا تزهد، من عرف الناس تفرد)<sup>(٣)</sup>. ومن ثم الجهل بالنفس له تبعات وخيمة منها: (من لم يعرف نفسه بعد عن سبيل النجاة، وخطب في الضلال والجهالات)<sup>(٤)</sup>.

وأشار أمير المؤمنين إلى سايكولوجية الأخلاق، وأنّ النفس الإنسانية فيها ملكات باطنية روحية متضادة بقوله (لقد علق بنياط هذا الإنسان بجموعة هي أعجب ما فيه وذلك القلب. وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها. فإن سمح له الرجاء أذله الطمع. وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص. وإن ملكه اليأس قتله الأسف. وإن عرض له الغضب اشتدّ به الغيظ. وإن أسعده الرضى نسي التحفظ. وإن ناله الخوف شغله الخدر)<sup>(٥)</sup>. فهذه النفس لها من الملكات ما تدفع الإنسان إلى الكمال والرشد والخير، ولها ما يقابلها من ملكات إن نمت هوى الإنسان إلى أسفل سافلين ودفعته إلى الشر<sup>(٦)</sup>.

وفي نهج البلاغة يتحدث الإمام عن العديد من الجوانب الأخلاقية المهمة التي من اللازم على الفرد أن يتكمّل روحيًا بتزكية النفس بها منها:

(١) ميزان الحكم: ١٨٧٧ / ٣.

(٢) المصدر نفسه: ١٨٧٧ / ٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٨٧٧ / ٣.

(٤) المصدر نفسه: ١٨٧٦ / ٣.

(٥) نهج البلاغة: الكلمات القصار رقم (١٠٩): ٥٢٣.

(٦) ينظر: التكمّل الأخلاقي في نهج البلاغة: د. يحيى رمزي محسن: ٢.

### التقوى:

تحظى التقوى بموقع عالٍ في تعاليم الإسلام العظيم بما ورد في شأنها من النصوص القرآنية، والسنّة الشريفة، والكلمات المباركة من أهل بيته عليهما السلام، إذ تبرز أهمية تقوى الله عزّ وجلّ في كلّ صغيرة أو كبيرة من قول أو فعل؛ لذا نرى المولى، يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقًّا تُقَاتَهِ﴾<sup>(١)</sup>، فإنّها أعظم المدارك والمنازل والمكتسبات الأخلاقية والروحية التي يجب على الإنسان الوصول إليها، فإنّ الله تعالى قد أثني على المتقين بذكر معية له خاصة بهم بقوله: ﴿..وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وخصّهم بالعاقبة العظيمة: ﴿..فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وأنّه سبحانه وتعالى يحبّهم: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ وَأَتَقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، فنقوى الله تعالى تكون بـ(حفظ النفس عمّا يؤثم)، وذلك بترك المحظور، ويتمّ ذلك بترك بعض المباحثات لما روي: «الحلال بين، والحرام بين»، ومن رتع حول الحمى فحقيقة أن يقع فيه)<sup>(٥)</sup>، وفي نهج البلاغة أشار الإمام علي عليه السلام في مناسبات مختلفة إلى عظم تقوى الله تعالى، وأنّ (التقى رئيس الأخلاق)<sup>(٦)</sup>، إذ رئاسة الأخلاق وذرتها بصنون النفس عن محرمات الشرع الحنيف، والالتزام بالأوامر الإلهية، فنرى حضور التقوى في وصايا الإمام منها في وصيته لابنه الحسن عليه السلام، إذ قال: (إنّي أو صيك بتقوى الله أيبني ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله)<sup>(٧)</sup>،

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٠٢.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٩٤.

(٣) سورة هود: الآية: ٤٩.

(٤) سورة آل عمران: الآية: ٧٦.

(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٨٨١.

(٦) نهج البلاغة: الكلمات القصار رقم (٤٠٤): ٥٨٦.

(٧) المصدر نفسه: ٤٢١.

وتؤدي هذه الوصية أن التقوى لها محورية في حياة الإنسان؛ لأنّ لها آثاراً غزيرة تدعو لصلاحه في الدنيا ونجاته في الآخرة، وفيها نيل ذروة الشرف والعزّة والكرامة في الدارين.

إذا أراد الفرد بناء نفسه بناءً صحيحاً قوياً لا بدّ له من جعل التقوى أساساً لذلك البناء الخلقي، فالنجاة من مهالك الدنيا، وصعوباتها مرهون بتقوى الله عزّ وجلّ والتمسك به، وهذه الوصية من الإمام - وإن كانت موجهة إلى الإمام الحسن - إلّا أنها وصية عامة لكلّ فرد مسلم، لأنّ الميزة الأخلاقية للتقوى تحمل في ثناياها التأثير البالغ في المجتمع الإسلامي. وبطبيعة الحال، إنّ تأثير الفرد المتّقى في مجتمعه أشدُّ وأبلغُ من أيّ تأثير آخر لأيّ فرد كان مهماً علا شأنه وكبر منصبه.

وقال عليهما السلام مخاطباً الناس: (أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاد زاد مبلغ ومعاد منجح، دعا إليها أسمع داع واع، فأسمع داعيها فاز واعيها. عباد الله إنّ تقوى الله حمت أولياء الله محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسررت لياليهم، وأظمأت هواجرهم، فأخذوا الراحة بالنصب، والري بالظلم واستقربوا الأجل فبادروا العمل، وكذبوا بالأمل فلا حظوا الأجل).<sup>(١)</sup>

### الصدق:

من الفضائل الأخلاقية العالية التي دعا إليها الإسلام هو الصدق سواءً أكان الصدق اللساني أم الصدق القلبي في كلّ مراتبه، صدق الإنسان مع نفسه، ومع ربّه، ومع مجتمعه. فينبغي على المؤمن أن يرى مدى فاعلية صدقه مع نفسه بما ألزم به نفسه للقيام به على صعيد بناء شخصيته بناءً صحيحاً، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى، ينبغي أن تكون علاقته مع

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤): ١٩٣.

ربّه علاقة الصدق، من خلال صدق الإيمان وصدق العبادة وصدق الاستغفار والتوبة وصدق سائر دعواته ومناجياته، ففاعلية هذه العلاقة بكونها ناشئة عن حالة من الصدق العميق الروحي؛ ومن جهة ثالثة، صدقه مع الناس، فإنَّ أساس العلاقات الاجتماعية قائمة على مجموعة من الركائز الأخلاقية التي منها الصدق. فلكي يكون للفرد الفاعل حضور اجتماعي قويٍّ لا بدَّ أن يكون صادقاً مع الناس بأن يطابق قوله فعله، وأنْ يُعرف بصدقه في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه كي يؤدي التأثير المناسب فيه.

وفي نهج البلاغة يبين الإمام أهمية الصدق، وكونه وسيلة للنجاة في معرك هذه الحياة، وأنَّ في الكذب هلاكاً وضلالاً، يقول عليهما: (جانبوا الكذب فإنه مجانب للايمان الصادق على شفا منجاة وكرامة، والكاذب على شرف مهواه ومهانته)<sup>(١)</sup>، فملازمة الصدق كرامة، وملازمة الكذب ينال به الإنسان الذل والهوان.

وقال عليهما: (الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضررك، على الكذب حيث ينفعك، وألا يكون في حديثك فضل عن عملك، وأن تتقى الله في حديث غيرك)<sup>(٢)</sup>، وغيرها من الأحاديث الدالة على شرفية الصدق.

### الأمانة:

هي من الفضائل الأخلاقية المهمة التي ينبغي أن يسلط الضوء عليها اجتماعياً بسبب أنَّ ضياع المجتمعات وخرابها يعود لعدم تحمل المسؤوليات والأمانات الملقاة على عاتق الأفراد؛ ولعدم حضور صفة الامانة في النفوس حضوراً فاعلاً ومؤثراً، فكلّ صاحب

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم (٨٦): ١٣٤.

(٢) نهج البلاغة، الكلمات القصار رقم (٤٥١): ٥٩٥.

منصب هو مسؤول عن أداء وظيفته وعمله بصورة مثلى؛ فالمعلم مثلاً مسؤول عن تلاميذه، والطبيب مسؤول عن مرضاه، والخطيب والملحق مسؤول عن تبليغ دين الله عز وجل بإرشاد الناس إلى الهدى والصلاح، وهكذا باقي الأفراد كلهم ينبغي عليهم أن يؤدوا الأمانات. يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا..﴾<sup>(١)</sup>.

ولعظم شأن أداء الأمانة يقول الإمام عليه السلام: (ثم أداء الأمانة، فقد خاب من ليس من أهلها إنها عرضت على السموات المبنية، والأرضين المدحورة، والجبال ذات الطول المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض، ولا أعلى ولا أعظم منها، ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوّة أو عزّ لامتنع، ولكن أشتفقن من العقوبة، وعقلن ما جهل من هو أضعف منه، وهو الإنسان إنَّه كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا<sup>(٢)</sup>)، فقد خاب وهو كل من لم يكن أميناً، هذا على الصعيد الفردي؛ وأماماً على صعيد المجتمعات، فقد خاب وهو المجتمع الذي لا يسود فيه الصدق والأمانة اللذين هما من أعمدة بناء المجتمعات وصلاحها.

### الإحسان:

دعا الإسلام إلى الإحسان والتفضيل على الغير كونها من مكارم الأخلاق سواء أكان المقابل محسناً لك أم مسيئاً، فقد ورد في التنزيل الحكيم الكثير من الآيات الداعية إلى الإحسان، منها قوله تعالى: ﴿...وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وأنَّ الله خصّهم بمعية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، فالإحسان إلى الناس

(١) سورة النساء: الآية: ٥٨.

(٢) نهج البلاغة، خطبة رقم (١٩٨): ٣٤٤.

(٣) سورة البقرة: الآية: ١٩٥.

(٤) سورة النحل: الآية: ١٢٨.

من مكارم الأخلاق العظيمة التي تدلّ على سموّ النفس وكماها، إذ نجد أنَّ القرآن الكريم قد عظَّم أولئك الذين يدفعون السيئة بالحسنة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالْتِقَى هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَبْتَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةً كَانَهُ وَلِيٌ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَا هَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَا هَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، فدفع السيئة بالحسنة صفة أخلاقية عظيمة لا ينالها إلَّا من تخلّى بالصبر، وتحمّل المصاعب والمشاكل، فنرى الإمام علي عليه السلام يقول: (ازْجُرِيْ المُسِيءَ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ)<sup>(٢)</sup>، وقال عليه السلام: (أَحْسَنُوا فِي عَقْبِ غَيْرِكُمْ تَحْفَظُوا فِي عَقْبِكُمْ)<sup>(٣)</sup>، والإحسان إلى الناس جاء ثمرة إحسان السريرة والعلاقة بينه وبين الله تعالى، فيقول الإمام عليه السلام: (وَمَنْ أَحْسَنَ فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ)<sup>(٤)</sup>.

### الصبر:

وهو من مكارم الأخلاق التي يجب أن تتحلى بها النفس، فركبة النفس وتهذيبها إنما يكون بالصبر، فلا يمكن للفرد أن يبلغ التمام في مكارم الأخلاق ما لم يعُضَّد نفسه بالصبر؛ لأنَّه رأس الإيمان، فلا إيمان لمن لا صبر له كما جاء ذلك في حديث أهل البيت عليهم السلام.

ونجد أيضًا في القرآن الكريم ثناءً على الصابرين وأئمَّهم خُصُّوا بمعية كما هو الحال في المتقين والمحسنين، إذ بقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّابِرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، فبلغ الغايات العظمى، ومنها القرب الإلهي، إنما يكون بالاستعانة بالصبر، فقد بلغ الأنبياء العظام مقاماتهم العالية بالصبر والتصبر على أذى أقوامهم، ومشقة

(١) سورة فصلت: الآيات: ٣٤-٣٥.

(٢) نهج البلاغة، الكلمات القصار رقم (١٧٧): ٥٣٩.

(٣) المصدر نفسه، الكلمات القصار رقم (٢٦٦): ٥٥٩.

(٤) المصدر نفسه، الكلمات القصار رقم (٤١٨): ٥٨٩.

(٥) سورة البقرة: الآية: ١٥٣.

تبليغ رسالة السماء، ودعوة الناس إلى عبادة الله سبحانه وتعالى. فالفرد الفاعل عليه أن يكون صبوراً متأسياً بالأنبياء العظام والأولياء الكرام كي ينال الحظوة الاجتماعية التي تليق به، والتي لن ينالها ما لم يصبر صبر الأكارم. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (إِنْ صَبَرْتْ صَبْرَ الْأَكَارِمِ، وَإِلَّا سَلُوتْ سَلُوْجَ الْبَهَائِمِ) <sup>(١)</sup>، وقال عليه السلام: (مَنْ صَبَرْ صَبْرَ الْأَحْرَارِ، وَإِلَّا سَلُوْجَ الْأَغْمَارِ) <sup>(٢)</sup>، وقال عليه السلام: (وَإِنْ ابْتَلَيْتَهُمْ فَاصْبِرُوهُمْ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَقِينَ) <sup>(٣)</sup>.

### نظم الأمر:

من الأمور التي أوصى بها أمير المؤمنين عليه السلام ولديه الحسن والحسين عليهما السلام بعد التقوى، هو نظم الأمر، بقوله: (أُوصِيكُمَا وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَنَظَمَ اُمْرِكُمْ) <sup>(٤)</sup>، إذ تحوي هذه الوصية أهم مقومات الشخصية الناجحة والفاعلة في المجتمع، فأشار علماء التنمية إلى أهمية أن ينظم الإنسان أموره، وذلك بحسن إدارة الإنسان لذاته ووقته وعلاقاته وأفكاره وما يمتلكه من قابليات وإمكانيات، فلا يمكن بلوغ الفرد النجاح المطلوب على الصعيد الشخصي والتأثير الفاعل على الصعيد الاجتماعي، وقوله عليه السلام (وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي) رسالة إلى جميع المسلمين، بل كل البشرية، لأن نظم الأمر من الأولويات السلوكية التي تهدف إلى بناء الفرد بناءً صحيحاً.

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار رقم (٤٠٨): ٥٨٧.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها. الكلمات القصار رقم (٤٠٧).

(٣) المصدر نفسه، خطبة رقم (٩٨): ١٦٧.

(٤) نهج البلاغة: ٤٥٢.

## المحور الثاني: معرفة الدنيا والغاية منها:

من أولويات تنمية الفرد المؤمن أن يعلم أنه غير باقٍ في هذه الحياة، وأن هذه الدنيا إلى زوال، فهي دار فناء وزوال.

إن هذه النظرة لو ترسخت في قلب الإنسان ستبيّن له بوضوح أهدافه في هذه الحياة، وتنعكس إيجاباً على عمله وسلوكه، وتبيّن ملامح شخصيته، وتتصحّح عن مصيره؛ لذا نجد أمير المؤمنين عليه السلام قد أبان بصورة مكثفة حقيقة الدنيا وأئمّها دار غرور يجب على الإنسان الحذر منها بأن يكون منها شاكّصاً زاهداً فيها، فيقول عليه السلام: (إِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسِّرَهُ دُرُكٌ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفْوَتِهِ، وَيَسُوءُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَدْرِكِهِ، فَلَيْكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نَلَتْ مِنْ أَخْرَتِكَ، وَلَيْكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نَلَتْ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تَكْثُرْ بِهِ فَرْحًا، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسِ عَلَيْهِ جُزْعًا، وَلَيْكُنْ هَمّكَ فِي مَا بَعْدِ الْمَوْتِ) <sup>(١)</sup>.

وفي إحدى خطبه عليه السلام نراه يحذّر من الدنيا بقوله: (وَاحْذَرُوكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزُلٌ قُلْعَةٌ ولَيْسَ بِدارٍ نَجْعَةٍ قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِيَّتِهَا. دَارُهَا هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلَالُهَا بِحرامِهَا، وَخَيْرُهَا بَشَرُّهَا وَحَيَاةُهَا بِمَوْتِهَا، وَحَلَوْهَا بِمَرْهَا، لَمْ يُصْفِهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضْنَ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ. خَيْرُهَا زَهِيدٌ وَشَرُّهَا عَتِيدٌ، وَجَعْلُهَا يَنْفَدُ، وَمَلْكُهَا يُسْلِبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرُبُ) <sup>(٢)</sup>، وَقَالَ أَيْضًا: (عَبَادُ اللَّهِ أَوْصِيَكُمْ بِالرُّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تَحْبُوا تَرْكَهَا، وَالْمُبْلِيَةُ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كَتَمْتُمْ تَحْبُونَ تَجْدِيدَهَا، فَإِنَّمَا مُثِلُّكُمْ وَمُثِلُّهَا كَسْفُرُ سَلْكُوْسا سَبِيلًا فَكَأْنُوهُمْ قَدْ قَطَعُوا، وَأَمْوَالُهُمْ فَكَأْنُوهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ... وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مِنْ لَهِ يَوْمٌ لَا يَعْدُهُ وَطَالِبٌ حَيْثُ مِنَ الْمَوْتِ يَحْدُوْهُ وَمَزْعِجٌ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَفَارِقَهَا رَغْمًاً، فَلَا تَنَافِسُوا فِي عَزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا) <sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر نفسه: ٤٠٦-٤٠٧.

(٢) المصدر نفسه: الخطبة رقم (١١٣): ١٩١.

(٣) المصدر نفسه: الخطبة رقم (٩٩): ١٦٧.

فتحصل أنَّ الإمام عليه السلام يحذر بشدَّةٍ من أن يغترَّ الإنسان بالدنيا، فإنَّها دار غُشٌّ وخداعٌ تزَّين لِلإنسان كُلَّ قبيحٍ بصورةٍ بُهْيَةٍ كي ينجذب إليها ويتمسَّك بحطامها، ومن ثُمَّ يقع في مهالكها، فيخسر خسرًا مبينًا.

إنَّ معرفة الدنيا مقدمة معرفية تعطي ثمارًا أخلاقية للفرد المؤمن في هذه الحياة؛ ليعرف حدود اتصاله بها بأن يأخذ منها ما ينفعه ويصلح وخصوصًا الصلاح الذي به ينجو يوم القيمة، فهي دار مرّ تعب بالإنسان إلى دار مقرٌّ يمتحن بها الإنسان بالبلاء والصعوبات والتکاليف الإلهية الملقاة عليه، فإنَّ شخص عن الدنيا فلح ونجح وتجاوز تلك العقبات، وإن شخص إلى الدنيا ومال إليها هوى إلى أسفل سافلين.

## خلاصة البحث

خلص البحث إلى نتائج عده منها:

١. أهمية كتاب هجر البلاغة في الدراسات الإسلامية؛ فهو يُعدّ كنزًا معرفياً ينهل منه الباحثون في مجالات عديدة في العقيدة والفقه والأخلاق والمجتمع واللغة.
٢. إنَّ بناء الشخصية الإسلامية يرتكز على محاور مختلفة؛ أهمها الأساس العقدي، وأساس الأخلاقي، وأنَّ أحدهما يستند إلى الآخر.
٣. أهمية البناء العقائدي في الشخصية الإسلامية الفاعلة وأنَّ هذا البناء هو الأساس لتكوين فرد فاعل مؤثر في المجتمع، ولا سيما التزود بالمعارف الإلهية الأساسية.
٤. أهمية معرفة أولياء الله من الأنبياء والأوصياء والوقوف على سيرتهم ومهامهم وأهدافهم، فهو الأسوة الحسنة، والقدوة النموذجية للأفراد الفاعلين.
٥. ينبغي للفرد أن تكون له علاقة وثيقة بالقرآن الكريم، وتنمية شخصيته بتعاليمه وأحكامه، وأن تكون له علاقة مستمرة مع القرآن بتلاوته وتدبره.
٦. أهمية التنمية الأخلاقية في بناء الفرد من الجوانب كافة بأن تتحلى بمكارم الأخلاق التي ستنتج شخصية فاعلة مقبولة مؤثرة.
٧. معرفة النفس مقدمة لمعرفة ربّ، وهذه المعرفة تولّد في النفس انصرافاً عن الدنيا وانشغالاً بتهذيب النفس بتزكيتها.
٨. أثر معرفة الدنيا في نقاء النفس من الرذائل، لأنَّ معرفة الدنيا بحقيقة تجعل النفس تنشغل عن الشهوات والرغبات.

## المصادر

### القرآن الكريم

١. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١ هـ)، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ١٤٠٣ هـ.
٢. بداية المعرفة - منهجية حديثة في علم الكلام، الشيخ حسن مكي العاملي، ط ١، الدار الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤١٣ هـ.
٣. التكامل الأخلاقي في نهج البلاغة، د. يحيى رمزي محسن، كلية الأمام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعية.
٤. التوحيد، الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، علّق عليه وحققه السيد هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسین في الحوزة العلمية في قم المقدسة.
٥. دروس في العقائد الإسلامية، آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي، ط ٥، دار النشر الإمام علي بن أبي طالب ع، ١٤٣٣ هـ.
٦. السنة، أبو بكر بن أبي عاصم، وهو أحمد بن عمرو بن الصحاح بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧ هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٠ هـ.
٧. القرآن الكريم في فكر الإمام علي - شواهد من نهج البلاغة، الشيخ سجاد الريعي، ط ١، مؤسسة نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء - العراق، ١٤٣٩ هـ.

٨. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٨ هـ)، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفارى، ط ٣، دار الكتب الإسلامية، طهران - ايران ١٣٨٨ هـ.
٩. كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفارى، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم المقدسة، ١٤٠٥ هـ.
١٠. مبادئ في تربية النشاء المسلم، لجنة التأليف - مؤسسة البلاغ، مؤسسة الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، ١٤٣٠ هـ.
١١. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط ١ ، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ١٤١٢ هـ.
١٢. ميزان الحكم، محمد الريشهري، ط ١ ، دار الحديث، قم، ١٤١٦ هـ.
١٣. نفحات الولاية - شرح عصري جامع لنهج البلاغة، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، إعداد عبد الرحيم الحمراني، ط ١ ، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب - دار جواد الأئمة ١٤٢٦ هـ.
١٤. نهج البلاغة، الشريف الرضي، شرح الشيخ محمد عبده، خرج مصادره، فاتن محمد خليل، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

**الأمن الاجتماعي**

**في حكومة الإمام علي عليه السلام**

**الباحثة**

**باسمة محمد صادق الشيباني**

**خبير متلاعنة / وزارة التخطيط**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

تعاني أغلب المجتمعات في هذا الزمان من الاضطهاد والظلم وغياب العدالة التي كانت رمزاً للإمام علي عليه السلام والمحشمة والتقوى التي تمثل بالسيدة الزهراء عليها السلام.

تعتبر التنمية البشرية وبناء الشخصية من أهم مقومات التنمية والأمن الاجتماعي لتطور أي بلد، فقد شهد العالم تغيرات واضطرابات ومشاكل لا حصر لها لغياب العدل والإنصاف والتنمية والأمن الاجتماعي في أغلب الدول النامية؛ والعراق واحد من هذه الدول الذي مر عليه العديد من التغيرات، سواء الاقتصادية منها أو السياسية التي أثرت في المجتمع.

حين رأيت إعلان الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة بإقامة المؤتمر، راودني الأمل في أن أدرس سيرة الإمام علي عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء وأعمل شيئاً يظهر مناقبها وما ثرّها الجليلة، وكوفي اقتصادية ليس لي اطلاع على الدراسات التاريخية إلا أنّ مكانة الإمام علي عليه السلام عند الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم محمد ﷺ جعلتني أطرق كلّ الوسائل الممكنة من بحوث ومقالات لأقف ولو بعض الشيء على مكانة وعظمّة الإمام علي عليه السلام وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء.

هناك بالتأكيد العديد من الجوانب التي لم أتمكن من الولوج فيها نظراً لحدودية البحث، وسأظل أبحث واستقصي كلّ الجوانب التي تمكّني من التقرب لمعرفة إمام المتقين الذي كثُرت فيه الأحاديث النبوية والآيات القرآنية في فضله ومناقبه التي لا تعدّ ولا تحصى.

فنحن اليوم بحاجة ماسة إلى فهم سيرة سيدة نساء العالمين وأفكار الإمام على عليه السلام وسياساته في إدارة شؤون الدولة الإسلامية في مختلف الجوانب التي عالجها الإمام في حكومته الرائدة حتى أصبح نموذجاً للحاكم العادل في الدولة الإسلامية، بالرغم من وجود مختلف الديانات التي وجدت في حكومته. فالجميع يعيش في سلام وأمان، وإن ثورته على الاحتكار والاستغلال هي ثورة على الظلم والظالمين وانتصاره لأهل الفقر وال الحاجة انتصار للمظلوم، فضلاً عن إدارته للوقت التي تعتبر بحق برنامجاً للبشرية أجمع، فما نحن الآن من عدلك وإنصافك يا أمير المؤمنين؟!

نحاول في هذا البحث أن نقف جاهدين على بعض مقومات شخصية الإمام، بوصفه الرائد الأول لبناء الشخصية والتنمية البشرية، لكونه الشخصية المتكاملة التي تصلح أن تكون أنموذجاً للعالم أجمع.

اختبرنا المحور التاسع من محاور المؤتمر: دراسات في نهج البلاغة / بناء الشخصية، التنمية البشرية وإدارة الوقت، وكون تخصصي في هذا المجال، فقد اختارت هذا المحور للتعرف على وجهة نظر الإمام عليه السلام فيها، وربطها بما هو عليه الوضع حالياً.

تضمن محور دراسات في نهج البلاغة العديد من الفقرات، لذا قسّمنا البحث إلى أربعة فصول.

**الفصل الأول: تحليلات ومفاهيم في بناء الشخصية** تضمن مبحثين؛ الأول تحليلات في شخصية الإمام علي وشخصية سيدة نساء العالمين عليها السلام، وتطرق البحث الثاني إلى بناء الشخصية في فكر الإمام علي عليه السلام.

الفصل الثاني: التنمية والتنمية البشرية ومواجهة الفقر والبطالة في فكر الإمام علي عليه السلام وحوكمه. تضمن ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول: مفاهيم في التنمية والتنمية البشرية، وعرج المبحث الثاني على اتجاهات التنمية البشرية من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام، وتطرق المبحث الثالث إلى الفقر. ومنهج الإمام في صناعة التكافل الاجتماعي ومعالجة الفقر وما ورد من توجيهات وأقوال وردت في نهج البلاغة لتحقيق التنمية والتنمية البشرية.

الفصل الثالث: الوقت ماهيته وأهمية إدارته / تضمن مبحثين؛ الأول تطرق إلى ماهية الوقت وأهميته في القرآن الكريم؛ إذ أقسم سبحانه وتعالى بأجزاء كثيرة من الوقت، مع التطرق إلى أهمية تنظيم إدارة الوقت. وتطرق المبحث الثاني إلى مفهوم الوقت من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام وما جاء في نهج البلاغة بهذا الخصوص؛ تضمن مجموعة مبادئ قدّمتها الإمام علي عليه السلام في تنظيم الوقت وإدارته في حياة الإنسان، حدد فيها ثلاثة أوقات. وإنني حقيقة انبهت بهذا التنظيم الذي طرحته الإمام في ذلك الزمان، والذي يعتبر منهاجاً لحياة البشر على مدى العصر والزمان.

الفصل الرابع: خصص للاستنتاجات والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث بفصوله الثلاثة.

اعتمدت في إعداد هذا البحث على العديد من المصادر أهمها:

القرآن الكريم، نهج البلاغة للإمام علي / شرح الإمام محمد عبده،

دراسات وبحوث متفرقة.

عسى الله جل في علاه أن يتقبل منا هذا العمل المتواضع.

## الفصل الأول

### بناء الشخصية - تحليات ومفاهيم

#### المبحث الأول: تحليات في شخصية الإمام علي وسيدة نساء العالمين

إنّ البحث والكتابة في سيرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام عاجزة عن أن تلمّ بشخصية هذين العمالقين؛ هي فرة عين الرسول الأكرم، وهو ابن عم الرسول زوج البتوّل، ولكلّ منها سيرته الخاصة ومناقبه العامة.

#### ١. سيد الأوصياء الإمام علي عليه السلام

لم تعرف الدنيا رجلاً جمع الفضائل ومكارم الأخلاق بعد الرسول الأعظم ص  
 كالأمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد سبق الأولين، وأعجز الآخرين، ففضائله أكثر من أن تُحصى، ومناقبه أبعد من أن تُتَناهى. كانت أخلاقه قبساً من نور خلق النبي الأكرم ص الذي تربى في حجره وعاش على مكارم أخلاقه. يكفيه فخرًا أنه ولد في الكعبة المشرفة، واستشهد في المسجد؛ وهذا شرف لم يدركه من قبله أحد، ولم يلتحقه من بعده أحد. وهو شهيد المحراب في أعظم الأشهر شهر رمضان المبارك، وأعظم الليالي، ليلة القدر، فهل أحد من الأولين والسابقين له هذه المكانة.

شاءت عنانية الله أن تختضنه منذ ولادته لتعده لإمر جلل لا يحتمله أحد. هو أول القوم إسلاماً وأول من لبّى دعوته واعتنق دين الإسلام منذ نشاته، وفدى بروحه رسول الله عندما نام في فراشه، عندما قرر حكام قريش قتل النبي ص، لكنّ الله شاء أن يحميه من كيد الأعداء عند هجرته إلى المدينة المنورة. ويعدّ أفضل هذه الأمة بعد النبي ص وأعلمها

بالكتاب والسنّة، وأكثُرهم إخلاصاً لله تعالى وعبادة له، وجهاداً في سبيل دينه، فهل لأحد  
له هذه المكانة المباركة، فضلاً عن إِنَّه من أعظم المسلمين إيماناً بالله تعالى، وأكثُرهم معرفة به  
وهو القائل: «لَوْ كَشَفْتُ لِي الْغُطَاءَ مَا زَدَدْتُ يَقِيناً». (١)

وقد ورد في مناجاته لله تعالى قوله عليه السلام: «إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك، ولا طمعاً في ثوابك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».<sup>(٢)</sup>

ولذا فإنّ مكانة الإمام على اللّٰه عند الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم محمد ﷺ، لا يمكن أن يصلها أي من الصحابة أو الخلفاء، ويكتفيه شرفاً لأنّ الله سبحانه وتعالى نصبه ولّيًّا للمؤمنين، كما جاء في القرآن الكريم: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الظَّاهِرِ﴾** (٣).

فضلاً عن قول الرسول الأمين فيه: «يا علي ما عرف الله حقّ معرفته غيري وغيرك، وما عرفك حقّ معرفتك غير الله وغيري»<sup>(٤)</sup>.

هذا قول الرسول محمد خاتم النبيين والمرسلين فكيف لنا أن نحيط بما عرفه الله  
رسوله. فهو صاحب البلاغة والعلم الرفيع البليغ في كتابته وخطبه التي وردت في نهج  
البلاغة. سأطرق في هذا البحث إلى ما ذكره معظم المفسرين والصحاح في فضل ومكانة  
الإمام عليه السلام.

## (١) العتبة الحسينية المقدسة / شبكة الإمام علي.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) سورة المائدة: الآية: ٥.

(٤) العتبة الحسينية المقدسة / شبكة الإمام علي.

## ٤. مناقب الإمام علي عليه السلام

إن مناقب الإمام علي لا تعد ولا تحصى فهو العالم بأحكام القرآن وأحاديث الرسول الكريم صلوات الله عليه وآله وسلامه كونه تربى في كنفه وتتلمذ على يديه، فتخلق بأخلاقه وأسلوبه في الحياة. فقد قضى حياته بين عبادة وقوى وورع وزهد وعلم وجهاد وقضاء، وحكم بالعدل والإنصاف. عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «أنا مدينة العلم وعلي بابها؛ فمن أراد العلم فليأتها من بابها». ولذا لقب بباب مدينة العلم.

وردت العديد من الأحاديث النبوية المروية في فضل الإمام علي عليه السلام ومكانته عند النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله وسلامه/ وذكر معظم المفسرين من السنة: ابن كثير، الرازي، الآلوسي وغيرهم كثير بأنه الخليفة والوصي، وهو الإمام المشرع من الله عز وجل، فضلاً عن ما جاء في الصحيحين البخاري ومسلم، سأورد لكم بعضًا من هذه الأحاديث الصحيحة المروية في حق الإمام علي عليه السلام التي تدل على فضله وقربه من الرسول ودوره الرئيس في أغلب المعارك وغزوات النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ومكانته عند المسلمين التي تبين واجب وده وموالاته التي وردت في الصحيحين: عن النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه قال لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»<sup>(١)</sup>

روى البخاري عن ابن عباس: أن عمر بن الخطاب قال (وأقضانا على)<sup>(٢)</sup>.

إن تصريح الخليفة الثاني عمر بن الخطاب هذا أمام مجتمع الصحابة الذين هم أهل العقد والحل أنّ -أقضاهم هو على عليه السلام-، فهذه شهادة بأنّ ينال إنسان رتبة أقضى الناس فإن ذلك مكانة عظيمة، فضلاً عن التقوى والورع (إنه قد بلغ أعلى المراحل العلمية وأسمى

(١) صحيح البخاري / كتاب الفضائل.

(٢) صحيح البخاري / كتاب التفسير.

درجاتها فالقضاء هو الاستناد إلى الفهم الصحيح والعلم، ولا يمكن أن يكون المرء أقضى من غيره إلا إذا كان أعلى علمًا ومتزلة.

الله درك يا أمير المؤمنين لهذه الشهادة التي يشهد لك الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بأنك أقضى القضاة، والعديد من الأقوال التي تشهد بعدلاته وقضائه في العديد من المسائل التي كانت تعترض الخلفاء فلم يكن لها إلا أبو الحسن، وهذا ما شهد به الخليفة عمر من الأقوال:.

وروي عن ابن عمر قال: «آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه في المدينة بعد الهجرة إليها فجاء علي تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد، فقال له رسول الله ﷺ: أنت أخي في الدنيا والآخرة».

عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ يوم خير: لأعطي الرأبة غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فبات الناس كلهم يرجوه، فقال: أين علي، فقيل يشتكي عينيه فدعاه وبصق في عينيه ودعا له فبرئ، كأن لم يكن به وجع، وأعطاه الرأبة، وقال له: امش حتى يفتح الله عليك<sup>(١)</sup>.

هذا غيض من فيض ما ورد في الصحيحين عن فضل الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، فهذه الفرادة الخاصة لعلي عليه السلام قد أقرها الشیخان البخاري ومسلم. وهذا ما يؤكّد حب الإمام ومكانته عند المذاهب الأخرى، فضلاً عن الآيات المحكمات في القرآن الكريم التي تؤكّد محبة أهل البيت عليه السلام: «قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى»<sup>(٢)</sup>

(١) صحيح مسلم / جزء ٧ / كتاب الفضائل.

(٢) سورة الشورى الآية ٢٣.

وبذا يقطع دابر الذين ينكرون مكارم وفضائل أمير المؤمنين الإمام عليه السلام ما بيته الأحاديث النبوية لمعظم المفسرين من أهل السنة، وما ورد بالصحيحين من الجاهلين، ومن بحملون العداء والبغض لعلي وأآل البيت الكرام عليهم السلام.

من الصفات التي تميز بها أمير المؤمنين علي عليه السلام إقامة العدل، خصوصاً في أيام خلافته، فقد تجبرد عن جميع المحسوبيات، وأثر رضا الله تعالى ومصلحة الأمة على كل شيء، فهو بحق صوت العدالة ورائد نهضتها الإصلاحية في جميع الأزمان، ولذا لا يمكن لأي من البشر أن يكون قد ادعى أنه وصفه أو تداني منه بوصف، غير الاستسلام والتسليم بأنه أعوجوبة الكون وأنموذج الأرض من الأوصياء، إذ لا يتسع لبعض سطور أن تختصر فضائل وعالماً رحباً من الكمالات، بل إنّ تعداد مناقب علي منقصة له، لأنّ علياً عليه السلام عالم متراحمي الأطراف من المناقب، وينبع كمالات لا ينضب.

### **نهج البلاغة موعظ علم الإمام عليه السلام وبلايته:**

نهج البلاغة هي موسوعة لنتاج فكر الإمام عليه السلام وتوجيهاته ووصاياته إلى الأمة وعماله على الأمصار إبان حكمه العادل، فهي بحق استراتيجية عمل يجب الاقتداء بها.

يعدّ موضوع العدالة وتوزيع خزانة بيت المال من المواضيع المهمة التي اهتمّ بها الإمام علي عليه السلام في إدارة الدولة الإسلامية والعمل على إشباع حاجات الناس الأساسية خاصة خلال سنوات حكمه عليه السلام، إذ طبق العدل والعدالة بكل أشكالها ولم يميز بين الغني والفقير، المسلم وغير المسلم، فالكل عنده سواء. وكان الإمام عليه السلام حريصاً على أموال المسلمين، دقيقاً في صرفها، ولم يستأثر منها بشيء لنفسه؛ فقد أشار إلى ذلك في أول بيعته: «لم تكن بيعتكم إِيَّاي فلتة، وليس أمركم وأمرني واحد. إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِللهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونِي لِأَنفُسِكُمْ». أهيا الناس،

أعينوني على أنفسكم؛ وأيم الله، لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولاقو دن الظالم بخزامته، حتى  
أورده منهل الحق وإن كان كارهاً<sup>(١)</sup>.

هذا وقد طبق الإمام العدل على كل من تجاوز على أموال الدولة وعمل على  
استعادتها من التجاوزين والمتغذين بالدولة قبل توليه الحكم<sup>(٢)</sup>.

فلينظر حكام البلاد الذين يدعون الانتهاء للإمام أين هم من عدله وإنصافه، بل هم من  
تجاوز على أموال الدولة بكل الوسائل؛ سلام الله عليك يا أمير المؤمنين، لو ترى ما آل إليه  
الوضع لشاب رأسك من أفعالهم.

سؤورد بعض ما جاء في نهج البلاغة من أقواله وحكمه في مختلف المجالات والمواضيع:  
«إنما هي نفسي أرودها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وثبتت على جوانب  
المزلق، ولو شئت لا هتديت الطريق إلى مصفي هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا  
القرز، ولكن هيئات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعيا إلى تخير الأطعمة. ولعل بالحجاز أو  
اليمامة مَن لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشعب، أو أبى مبطاناً وحولي بطون غرثى  
وأكباد حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت بيطنة  
وحولك أكباد تحن إلى القد

أَقْعَنْتُ مِنْ نَفْسِي بَأْنَ يُقَالُ: «هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أَشَارُكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونْ  
أَسْوَةً لَهُمْ فِي جَسْوَبَةِ الْعِيشِ». «اَحْذِرْ أَنْ يَرَاكَ اللَّهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ وَيَفْقَدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ فَتَكُونُ  
مِنَ الْخَاسِرِينَ؛ وَإِذَا قَوَيْتَ فَاقُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَإِذَا ضَعَفْتَ فَاضْعَفْتَ عِنْدَ مَعْصِيَةِ اللَّهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) نهج البلاغة جزء ٢، ص ١٩.

(٢) المصدر السابق نفسه الجزء ٣، ص ٧٢.

سلام الله عليك يا أمير المؤمنين تجوع وترك ملاذ الدنيا وتعيش عيشة الفقراء وأنت أمير الأمة فكيف لو رأيت وسمعت عن قوم يدعون الولاء لك وليس لهم ذرة ما فيك هم شبعى وقومهم يعانون الفقر والحرمان هم متمتعون بكل أنواع النعم ويسكنون القصور الفارهة، وقومهم يسكنون العشوائيات؟ شبابهم عاطل عن العمل يفترشون الشوارع للحصول على لقمة العيش، وأولادهم متمتعين بكل أنواع النعم.

#### ٤- مقاطع من عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر:

تضمن نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام العهد الذي كتبه الإمام علي إلى مالك الأشتر بن النخعي عندما وله الحكم على مصر، احتوى هذا العهد على عدّة محاور لإدارة وسياسة الدولة، الاهتمام بحق الشعب وعدم إهمالهم وتلبية طلباتهم، تشريع القوانين النافعة في الزراعة والحساب، كيفية القضاء على الفقر، احترام الديانات الأخرى والمعاملة بالحسنى، جبایة خراج الأرض وجihad عدوها، استصلاح وعمارة بلادها. من شدة إعجابي بهذا العهد، اخترت بعض هذه المقاطع منه لنقارن ما وصل إليه الحكام الجائرون في هذا الزمن وما تفشت فيه من فساد وحب المال والجاه، وعدم الاكتتراث لهموم الناس ومشاكلهم ومعاناتهم، سواء كان حاجتهم للسكن والعمل ولأبسط متطلبات الحياة مع انتشار الفقر والارتداد إلى الأمية، وانتشار عالة الأطفال المتسربين من المدارس ليعنوا أهاليهم في استحصال لقمة العيش؛ هذا فضلاً عن انعدام العدالة في توزيع الدخول، فهناك اختلاف واسع وكبير في الرواتب والامتيازات التي يتلقاها الحكام والسياسيون وبين رواتب الموظفين العاديين فضلاً عن استمرار شمول الحكم والبرلمانيين السابقين بكل الامتيازات التي كانوا مشمولين بها، مما سبب فجوة واسعة بينهم وبين طبقات الشعب الأخرى، أضعف

إلى ذلك الفساد المستشري بين الأحزاب السياسية من خلال المشاريع الوهمية التي تطرح وليس لها وجود على أرض الواقع.

سأختار مقاطع من هذا العهد الوارد في نهج البلاغة الذي يمثل نظماً سياسية وقوانين مختلف مجالات الحياة، تجاوز هذا العهد أكثر من ١٧ صفحة في نهج البلاغة الجزء الثالث<sup>(١)</sup>:

### بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر حين ولاه مصر:

١. «فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك وشحّ بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنفاق منها فيما أحبت أو كرهت. وأشار قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق؛ يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطيهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك واستكفاك أمرهم، وابتلاك بهم».

٢. «أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل ظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصميه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجّته وكان الله حرباً حتى يتزع ويتوب».

٣. «ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله».

(١) انظر نهج البلاغة ج ٣ عهد الأمير مالك الأشتر.

٤. «ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإنّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة. والزم كلاً منهم ما ألزم نفسه».

٥. «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك من لا تضيق به الأمور، ولا تحكمه الخصوم، ولا ينخدع في الرّلة، لا يحصر من الفيء إلى الحقّ إذ عرفه».

٦. «ثم انظر في أمور عمالك، فاستعملهم اختباراً، ولا تولّهم محابة وأثرة، فإنّهم جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخى منهم أهل التجربة والحياة، ومن أهل البيوتات الصالحة».

٧. «وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإنّ في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلاّ بهم لأنّ الناس كلّهم عيال على الخراج وأهله».<sup>(١)</sup>

٨.. «واعلم أنّ الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلاّ بعض، ولا غنى ببعضها عن بعض. فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخرج من أهل الذمة و المسلمون الناس، ومنها أهل التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلی من ذوي الحاجة والمسكنة...» ثم يوصيه عليه بالتجار وذوي الصناعات وتفقد أمرهم ومنع الاحتكار، ويكون البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بفريقيين من البائع والمبتاع. هذا فقد فصل أمير المؤمنين طبقات الرعية، وشرح كلّ منها عمله، وما عليه وما إليه من واجبات منوطه بكلّ واحد منهم، واعتهد كلّ منها على الآخر.

نموذج للحاكم العادل في الدولة الإسلامية بالرغم من وجود مختلف الديانات التي وجدت في حكومته؛ فالجميع يعيش في سلام وأمان.

---

(١) نهج البلاغة / ج ٣ / الصفحات ٨٣، ٨٥، ٨٧، ٩٤، ٩٥، ٩٠، ٩٦، ٩٨.

للّه درّك يا أبلع البلّغاء! فأين الناس من هذه التوصيات والتعليمات التي يعجز أي إنسان أن يصل إليها، فنحن اليوم بحاجة إلى ما دعا إليه عليه عليه السلام من أفكار وسياسات في إدارة شؤون الدولة الإسلامية في مختلف الجوانب التي عالجها الإمام في حكومته الرائدة حتى أصبح فضلاً عن ثورته على الاحتياط والاستغلال، هي ثورة على الظلم والظالمين وانتصاره لأهل الفقر وال الحاجة انتصار للمظلوم، فأين نحن الآن من عدلك وإنصافك يا أمير المؤمنين.

### سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام

الحديث عن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء هو الآخر يفتقر إلى الإمام بكل جوانب حياتها المباركة عليها السلام. نشأت فاطمة الزهراء عليها السلام في أحضان الوحي والنبوة، في بيت انتشرت فيه كلمات الله وآيات القرآن المجيد. أخذت على عاتقها وهي طفلة صغيرة لا يتتجاوز عمرها الشريف ست سنوات رعاية والدها بعد ما توفيت أمّها خديجة الكبرى، فكانت تسعى ملء الفراغ الذي نشأ عن رحيل والدتها، وهي الصغيرة. شاركت أباها محته وهو يواجه أذى المشركين في مكة، وكانت تسلي خاطره وتدخل الفرحة إلى قلبه، ولهذا سماها نبينا محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه: «أم أبيها» لف्रط عطفها على أبيها عليه السلام.

كانت حياتها مع زوجها أمير المؤمنين عليه السلام مثالاً للحياة الزوجية الكريمة، تسعى إلى إرضائه وإدخال الفرحة إلى قلبه. كان التعامل بينهما غاية في الأدب والاحترام. على الرغم من حياتها القصيرة، كانت حافلة بالخير والبركات، فكانت قدوة في كل شيء وأسوة للنساء، فهي بحق سيدة نساء العالمين، قدوة في كل شيء. يوم كانت فتاة تسهر على راحة أبيها وتشاركه آلامه، ويوم كانت زوجة ترعى زوجها وتتوفر له سكناً يطمئن إليه ويلوذ به عندما تعصف به الأيام، ويوم كانت أمّاً تربّي صغارها على حبّ الخير والفضيلة والخلق

الكريم. فكان الحسن والحسين وزينب عليهم السلام قدوة في دنيا الأخلاق والإنسانية. فقد كانت حقاً قدوة للنساء كافة في خلقها وحسن تربيتها<sup>(١)</sup>.

ويكفيها فخرًا أنها يوماً، ومن شدة ما تعانى من أعباء المنزل، طلبت من أبيها النبي ص المرسل أن ينصح لها خادمة تساعدها في شؤون البيت فأخبرها ص لا أعلمك عملاً هو خير لك في الدنيا والآخرة، فقالت بلى يا رسول الله فقال لها (أن تقولي ٣٤ مرة الله أكبر و٣٣ مرة الحمد لله و٣٣ مرة سبحان الله) فهي تسبيحة الزهراء عليها السلام باقية من ذلك اليوم إلى يومنا هذا ول يوم الدين.

فالحديث عن حياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يستعمل على حوادث كلّها عبر وحكم ودروس، فهي من حفظت كرامتها وتعتبر نموذجًا للعفة والطهارة، تربت في بيت النبوة ومن بعدها في بيت الإمام زوجة وأما ومربي لأولادها الأئمة الأطهار. ولدت فاطمة الزهراء عليها السلام وهي تحمل روح رسول الله ص وصفاته وأخلاقه، فكانت الوارث والشبيه.

إذ لم يكن في الدنيا أحد يشابه الرسول في صفاته وشمائله كفاطمة عليها السلام، إذ لفت هذه العلاقة والرابط بين رسول الله وابنته فاطمة أنظار الذين عايشوها فتحدثوا عن ذلك الشبه، فتحدثت زوجة رسول الله ص عائشة عن هذه العلاقة والرابطة الجسدية والروحية والأخلاقية بين رسول الله ص وابنته فاطمة الزهراء عليها السلام فتقول (ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودللاً وهدياً برسول الله ص في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ص). وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي ص إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها). أما تسميتها بفاطمة، فإنّها مصدق للحقيقة، بل مناسبة الاسم مع المسمى، فقال في ذلك الإمام الصادق عليه السلام: (الفاطمة تسعة أسماء عند

(١) العتبة العلوية المقدسة / شذرات من حياة فاطمة الزهراء / ٢٠١٦.

الله عز وجل «فاطمة، الصديقة، المباركة، الطاهرة، الزكية، الراضية والمرضية، المحدثة والزهراء»<sup>(١)</sup>.

ورد في أحاديث رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَطَمَ ابْنَتِي وَوَلَدَهَا وَمِنْ أَحْبَبِهِمْ عَنِ النَّارِ» وقوله: «وَأَمَا ابْنَتِي فَاطِمَةُ إِنَّهَا سِيَّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَهِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَهِيَ نُورٌ عَيْنِي، وَهِيَ ثُمَرَةُ فَوَادِي، وَهِيَ رُوحِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبِيِّي، وَهِيَ الْحُورَاءُ الْإِنْسِيَّةُ، مَتَى قَامَتْ فِي مُحَرَّابِهَا بَيْنَ يَدِيِّ رَبِّهَا جَلَّ جَلَالَهُ، زَهْرَ نُورِهَا لِمَلَائِكَةِ السَّمَاوَاتِ، كَمَا يَزَهِرُ نُورُ الْكَوَاكِبِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ»<sup>(٢)</sup>. وشاء الله سبحانه وتعالى أن تبدأ فاطمة طفولتها الطاهرة في أشد مراحل الدعوة الإسلامية قساوة وضراؤه وأذى لأبيها وأمها، وبين شدة الصراع بين الإسلام والجاهلية. وعايشت أيام المقاطعة الجائرة التي فرضتها قريش على النبي وبني هاشم وأصحابهم وحصروهم في شعب أبي طالب الحصار الذي استمر ثلاث سنوات بعد السنة السابعة للبعثة النبوية الشريفة. وأدى هذا الحصار الجائر إلى وفاة والدتها خديجة الكبرى في العام العاشر للبعثة النبوية. وعانت ما عانت من ألم فراق أمها، وهي في ذلك العمر الصغير. وفي العام نفسه، فقد النبي الأكرم عمّه أبو طالب الذي كان ناصراً وحامياً للدعوة الإسلامية، فسمى ذلك العام بعام الأحزان. على الرغم من حياتها القصيرة، فقد كانت حافلة بالخير والبركات، وكانت قدوة وأسوة للنساء، فكانت الفتاة المثالية والزوجة المثالية، والمرأة المثالية. ولهذا أصبحت سيدة نساء العالمين.

(١) العتبة العلوية المقدسة / شذرات من حياة فاطمة الزهراء / ٢٠١٦.

(٢) محمد باقر الكجوري / الخصائص الفاطمية / ج ٢ / ص ٤.

## المبحث الثاني

### بناء الشخصية في فكر الإمام علي عليه السلام

#### مفهوم تكوين الشخصية وعواملها

تعرف الشخصية: بأنها مجموع من الخصال والصفات الطبيعية والمكتسبة الخاصة بأي فرد والتي تميزه عن غيره وتنعكس على تفاعله في مختلف مجالات علاقاته الاجتماعية. وترتبط العلاقات الاجتماعية بين الناس على أساس متينة ثابتة كالصدق والأمانة والوفاء بالعهد، أي بناء الشخصية القوية والمتمسكة، الملتزمة بالقيم والمثل التي دعا إليها الدين الحنيف والأنبياء والمرسلون عليهم السلام.

يرى علماء النفس أنّ تكوين شخصية كُلّ إنسان تعتمد على ثلاثة عوامل مهمة لها تأثير عميق في تكوين وبناء الشخصية هي:

١ - الوراثة.

٢ - التعليم والثقافة.

٣ - البيئة والمحيط.

فكُلّ ما يتصف به المرء من صفات حسنة أو قبيحة، عالية أو وضيعة تنتقل إلى الإنسان وتنمو فيه عبر هذه العوامل الثلاثة، حيث يؤكّد العلماء أنّ عامل الوراثة يودع في النسل الإنساني صفات مشابهة لصفات الأبوين وخصائصهما من حيث إكساب الشخص الصفات التي تؤثر في تكوين شخصيته، حيث يتفاوت الناس في قدراتهم العقلية والنفسية بناء على تفاوت كفاءة مراكزهم العصبية ودقة عملها. فالبعض يتميّز بقوّة الفهم والتركيز

والجرأة، والبعض يتميز بالمهارات الحسية والحركة كالخطّ والرسم وغيرها، فضلاً عن تأثير الأسرة في تنشئة الفرد بعد الوالدة من خلال السلوكيات والمهارات والقدرات التي تؤثر في نموه النفسي إيجاباً أو سلباً حسب نوعيتها وكميتها؛ منها يكتسب الطفل الكثير من الخبرات والمعلومات في المراحل المبكرة في حياته لأنها البيئة التي تشكل سلوك الفرد. كذلك، فالاستقرار الأسري له دور كبير في ذلك؛ فكلما كانت الأسرة أكثر استقراراً، صار الفرد فيها أكثر أماناً وطمأنينة وثقة في نفسه؛ والعكس صحيح؛ فضلاً عن تأثير تربية الوالدين التي لها أثر كبير في شخصية الفرد، فضلاً عن العادات والأعراف والتقاليد والقيم والمعتقدات.<sup>(١)</sup>

## ٢. بناء الشخصية في نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام

إنّ المتبع لنصوص نهج البلاغة يرى بوضوح استراتيجية أمير المؤمنين عليه السلام التي ينطلق منها لبناء شخصية الإنسان السويّ، فهو عليه السلام، يروض النفس الإنسانية بإلزامها بالقيم والعمل والتقوى، ويتهجّج نهج الطبيب الحكيم، الذي يشخص المرض بدقة لا تقبل احتماليّة الخطأ، ثم يضع له العلاج المناسب. وهذه خصوصية أمير المؤمنين عليه السلام في بناء الشخصية حيث لا يمكن بناؤها إلا على قاعدة القيم، فدور القيم في بناء الشخصية مهم وثابت، لأنّ هذه القيم لا تتبدل ولا تحول ولا تغير، لأنّها سنة الله، وسنة الله تعني طريقة الثابتة في إدارة الكون: ﴿فَلَن تَحِدْ لِسُنْتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَحِدْ لِسُنْتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>

كما إنّ الحقّ لا يتبدل إلى الباطل، كذلك الأسس التي لا بدّ من الاعتماد عليها في بناء الشخصية لا تتبدل. ومن أهم تلك الأسس لتكوين شخصية متماسكة ليكون البناء الداخلي

(١) إبراهيم الموسوي / الغوص في أعماق الشخصية.

(٢) سورة فاطر الآية: ٤٣.

لها قائماً على الثبات، الالتزام بالحق والابتعاد عن الباطل، الصدق في المعاملة، الأمانة، الوفاء بالوعد، وبقية القيم الأخلاقية، وهي قيم حقيقة يجب الالتزام بها كي يعيش الإنسان عيشة سوية.

ولذا يوصي أمير المؤمنين علي عليه السلام بالتمسك بالصدق فيقول: «إلزم الصدق وإن خفت ضرّه، فإنّه خير لك من الكذب المرجو نفعه»<sup>(١)</sup>

وعليه فإن التركيز على الصفات الروحية والفضائل الإنسانية القيمة تقوى شخصية الفرد بالتقوى والعلم. في هذا الصدد قال الرسول الأعظم محمد ﷺ: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى». فالشخصية التي لا تتمسك بالتقوى لا قيمة لها في نظر الإسلام، لأن التقوى تشكل باعثاً على تكوين شخصية قوية عميقه. فمن يتقي تعكس تقواه على عمله وتعامله. وهذا ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام في خطبة له حول التقوى: «فإن تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد، وعتق من كل ملكة، ونجاة من كل هلكة. بها ينفع الطالب، وينجو المارب، وتثال الرغائب؛ فاعملوا والعمل يرفع..»<sup>(٢)</sup>.

كذلك فيما يرتبط بالعلاقات الاجتماعية التي لا يمكن إقامتها إلا على أساس الصدق، والأمانة والوفاء، فالكذاب والخائن والذي لا يلتزم بأصول التعامل مع الآخرين لن ينجح في حياته. من هنا، فمن يريد أن يمتلك شخصية قوية، فعليه أن يلتزم بالصدق حتى وإن أدى ذلك إلى خسارته شخصياً، ذلك قوله عليه السلام: «الصدق يُنجيك وإن خفته».

(١) نهج البلاغة / جزء ٢ / ص ٩٤.

(٢) المصدر السابق نفسه / جزء ٢ / ص ٢٢٣.

## الفصل الثاني

### التنمية البشرية ومواجهة الفقر والبطالة في فكر الإمام على الطباطبائي

#### المبحث الأول: مفاهيم في التنمية والتنمية البشرية:

##### ١. مفهوم التنمية

يعد مفهوم التنمية من أهم المفاهيم العالمية في القرن العشرين، حيث أطلق مفهوم التنمية على عملية تأسيس نظم اقتصادية وسياسية واجتماعية تنمية متباينة فيما يُسمى بـ«عملية التنمية»، وتبرز أهمية مفهوم التنمية في تعدد أبعادها ومستوياتها، وتشابكها مع العديد من المفاهيم الأخرى مثل التخطيط والإنتاج والتقدم. وعليه فإن التنمية تعرف بأبنائها «العملية التي تجعل المجتمع قادرًا على استخدام موارده المادية والبشرية استخداماً فعالاً لتحسين مستوى المعيشة». وهي عملية تغير أو تحول من وضع إلى آخر بصورة واعية ومنظمة عن طريق وضع الآليات والسياسات المادفة إلى إيجاد التطورات أو التبدلات الاقتصادية والاجتماعية كما يريدها المجتمع بواسطة التخطيط والعملية التخطيطية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلد، حيث يعتبر التخطيط من أكثر المفاهيم التي لها علاقة بالتنمية، كما يعرفها بعض المتخصصين بأبنائها «العملية التي تستهدف رفع مستوى دخول الأفراد وزيادة الدخل القومي وإعادة توزيع الدخل الكلي بين أفراد المجتمع بصورة تؤدي إلى تقليل الفوارق بينهم»<sup>(١)</sup>.

مفهوم التنمية البشرية: فقد تبني هذا المفهوم البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة وأدى دوراً فعالاً في اعتماده ونشره الذي ظهر أول الأمر في تقرير التنمية الصادر عن البرنامج

(١) المعهد العربي للتخطيط في الكويت / مجلة جسر التنمية.

الإنمائي للأمم المتحدة سنة ١٩٩٠ بأتّها «عملية توسيع اختيارات الشعوب» والدخل هو أحد هذه الاختيارات، ولكنّه ليس الخيار الوحيد على الإطلاق، فالصحة والتعليم والبيئة المادية الجيدة وحرية العمل والتعبير أمور لها نفس الأهمية.<sup>(١)</sup>

وفي التقرير الدولي للتنمية لسنة ١٩٩٥ أشار بأن عملية التنمية البشرية تتعلق بالحياة التي يعيشها الناس وأتّها تتعلق «بقدرة الناس على أن يعيشوا حياة طويلة، ويتمتعون بصحة جيدة» من خلال وقايتهم من الإصابة بالأمراض، وإعطائهم حق التعليم وتحررهم من الأمية والجوع وقلة الأغذية إضافة إلى تعمّهم بالأمن والاستقرار، لذا فالتنمية البشرية تعطي جميع خيارات الناس.<sup>(٢)</sup>

وهناك حقيقة أساسية أشار إليها تقرير التنمية الدولي لسنة ١٩٩٦ الصادر عن الأمم المتحدة وهي «أنّ الناس الأصحاء والمتعلمين جيداً يجعلون الاقتصاد أكثر إنتاجاً» وإنّ كلّما تحسنت حصة وتغذية الأفراد فإنّ ذلك يساهم في تحقيق إنتاجية أكبر، وإنّ كلّ زيادة في السعرات الحرارية المتناولة يمكن أن تؤدي إلى زيادة في إنتاجية العمل تصل إلى ٤٧٪. وتوّكد معظم الدراسات تحسن إنتاجية الفرد عندما يحصل العاملون على مزيد من السعرات الحرارية أو على مزيد من المغذيات كالفيتامينات أو المعادن.<sup>(٣)</sup>

وتوضح دراسة أخرى بأنّ المساهمة الإجمالية للسكان الأصحاء في النمو الاقتصادي تحدث زيادة بنسبة ١٠٪ في متوسط العمر المتوقع. يتضح مما تقدم أهمية التنمية البشرية في تحقيق التنمية الاقتصادية والتي تساهُم في زيادة معدلات النمو الاقتصادي.<sup>(٤)</sup>

(١) تقرير التنمية البشرية ١٩٩٠ / البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة.

(٢) تقرير التنمية البشرية ١٩٩٥ / البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة.

(٣) تقرير التنمية البشرية ١٩٩٦ / البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة.

(٤) ورقة نقاشية عن مفاهيم في التنمية / دائرة تحطيط القوى العاملة / هيئة التخطيط / ١٩٩٩.

وعليه تعتبر الموارد البشرية من أحد أهم مصادر التنمية، يساهم العناء بها واستثمارها الاستثمار الأمثل في تحقيق تنمية شاملة في كل القطاعات والأنشطة الاقتصادية كونها الحجر الأساس في العمل. إن الشعوب التي تولي اهتماماً بمواردها البشرية وتقدم لها كل التسهيلات لتنميته من خلال التعليم والدورات التدريبية والمكافأة المالية والمعنوية نراها تقدم في كل مجالات تحقق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، إذ يعتبر التعليم بمختلف مستوياته الركيزة الأساسية في بناء المجتمع وتطوره من خلال الاستثمار الأمثل للموارد البشرية بشكل يتناسب مع طموحاته والحصول على العوائد الاقتصادية والاجتماعية.

يعتبر التعليم لأفراد المجتمع ضرورة ملحة لأجل تكوين الشخصية وبناء المستقبل، والكفاءات العليا في البلد إذا استغلت بالشكل المناسب فإنها ستعمل على تطوير البلاد في مختلف المجالات مع اعطائها الاستحقاق والاهتمام الذي يناسب مكانتها في مجتمع يتوجه نحو مصاف الدول المتقدمة.<sup>(١)</sup>

(١) وزارة التخطيط / دائرة التنمية البشرية / دور التعليم والتدريب في تطوير الموارد البشرية / ٢٠٠٩.

## المبحث الثاني

### اتجاهات التنمية البشرية من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام

#### ١. آراء الإمام ومبادئه في تحقيق التنمية

يعتبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام رائداً للتنمية البشرية الإسلامية وواضع أسسها، قبل أن تؤسس الأمم المتحدة لتقارير التنمية البشرية منذ عام ١٩٩٠ وهذا ما نحاول أن نثبته خلال هذا البحث فقد تناولت فيه آراء الإمام علي عليه السلام في مجال التنمية وتطبيقاته على أرض الواقع خلال فترة حكمه خليفة للمسلمين، وما كتبه لعماهه من خطب ورسائل وردت في نهج البلاغة ليكون منهاج عمل لهم في سياسة الأمة، والارتقاء بالإنسان المسلم كما أمر الله تعالى، وبهذا يمكن اعتبار الإمام علي عليه السلام رائداً للتنمية البشرية.

وحيث نقرأ سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام أثناء توليه للخلافة والحكم، ونتأمل رسائله للولاة والموظفين، وخطابه لجمهور الناس، نجد أنه كان مهوماً بتطوير حياة أبناء الأمة، وتنميتها في مختلف المجالات، وحسب مصطلح اليوم كان مهتماً بالتنمية من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية، إذ لم يكن مجرد زعيم ديني يعنيه نشر العقيدة وتطبيق الشريعة فحسب، ولا مجرد حاكم سياسي يهمه توسيع سلطته وحكمه، بل كان صاحب مشروع حضاري يستهدف إسعاد الإنسان وتغيير طاقتهم وكفاءاتهم ليتجهوا إلى العمل والإنتاج والتمتع بحياة كريمة، وذلك هو المقصد الأساس للعقيدة والشريعة.<sup>(١)</sup>

كان المهد الأسمى الذي سعى إليه أمير المؤمنين علي عليه السلام، تحقيق العدالة الاجتماعية، وصيانة حقوق الرعية، مثلما أراد الله سبحانه ورسوله ﷺ، فأراد أمير المؤمنين علي عليه السلام،

(١) م٠م علي فاخر حسن / التنمية البشرية في نهج البلاغة / مجلة دراسات تاريخية.

بناء الفرد المسلم بناء صحيحاً، وأن يكون هذا الإنسان من القوة بحيث لا يدع مجالاً لأي حاكم أن يظلم، ولا لأي جبار أن يطش ويغطرس، وأن يكون المسلمين نداء قوياً للحكام في قول الحق، وتعديل الأعوجاج، تصحيح المسار، والمحافظة على الدين وصون كرامة الإنسان.<sup>(١)</sup>

٢. منهج الإمام في تحقيق التنمية الإنسانية: ويمكن ملاحظة توجهات الإمام علي عليه السلام في تحقيق التنمية الإنسانية التي تسمى في يومنا هذا التنمية البشرية في مختلف أبعادها ومواجهة الفقر والقضاء عليه من خلال توجهات الإمام في هذا الصدد والتي تعتمد على ثلات مناهج وكالآتي:

**المنهج الأول:** استنهاض الإنسان ليمارس دوره الفاعل في الحياة، وليفجر طاقاته الكامنة، وليسلاح بالطموح وعلو الهمة. يبينه كلام الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة الذي يعتبر منهاج حياة وثروة هائلة عظيمة على هذا الصعيد.

**المنهج الثاني:** دعوة الناس للتعاون فيما بينهم، والتطوع لخدمة بعضهم بعضاً، والاهتمام بمناطق الضعف وحاجة المجتمع، كالعمل التطوعي، كقوله في وصيته للحسين: «أوصيكم بتقوى الله، وألا تتبعوا الدنيا وإن بعثكم، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكم، وقولا بالحق، واعملوا للأجر، وكونوا للظلم خصماً وللمظلوم عوناً». أوصيكم وبجميع أولادي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم، فإني سمعت جدكم يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام. الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضر تكم». <sup>(٢)</sup>

(١) رحيم علي صباح / التنمية البشرية في فكر الإمام علي ابن أبي طالب.

(٢) نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٦.

ما أعظم هذه الوصية التي تدعو إلى التقوى ونبذ التلاهي في الحياة الدنيا ومحاربة الظلم ونصرة المظلوم وصلاح ذات البين الذي يقوم عليه صلاح المجتمع، والدعوة إلى مساعدة الأيتام وإعطائهم الحقوق التي أودعها الله في أموال الأغنياء.

**النهج الثالث:** وضع سياسة الدولة في خدمة التنمية، وهذا ما تؤكده سيرة الإمام مع الناس وتوجيهاته للولاة والموظفين، كان أبرزها وأشملها عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر حين ولاه مصر، حيث يؤكد الإمام بفقرات هذا العهد تطبيق العدل والمساواة بين الناس وحفظ حقوقهم المادية والمعنوية. سأورد هنا بعض المقتطفات والتي تهم الموضوع الذي نبحث عنه وكما يأتي<sup>(١)</sup>: أكد الإمام علي عليه السلام مبدأ العمل الصالح الذي يساهم في عمارة الأرض وإنصاف الرعية فقال: «فليكن أحّب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك وشحّ بنفسك عما لا يحلّ لك، فإن الشّح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت وكرهت، وأأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان، إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق».

ما أعظم ما أراد الإمام أن يكون به الحاكم. لو ترى يا أمير المؤمنين ما أصبح عليه الحكم من طمع وجشع، وليس في قلوبهم رحمة للرعية ولا إنصاف، فقط مصالحهم التي أصبحت شغلهم الشاغل واستيلاؤهم على ما ليس لهم به حق، فأصبحوا كمن ليس لديه رحمة ولا شفقة.

طلب الإمام من الحكم أن يكونوا منصفين، ولا يحابوا أهل خاصتهم فإن ذلك سبب في سخط الله عليهم فيقول: «أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إن لا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمك دون عباده...»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر الجزء الثالث من نهج البلاغة عهد الإمام إلى مالك الأشتر.

(٢) نهج البلاغة ج ٣ ص ٨٥.

فهل يعي حكام البلاد بأنّ من ظلم العباد سيكون الله خصمهم في الدنيا والآخرة.

وأشار الإمام في هذا العهد حول دور كُلّ طبقة من طبقات المجتمع، كال العسكريين والقضاة والموظفين والصناعيين والمزارعين والتجار، في صناعة التنمية، وتحقيق التقدم، محدداً واجبات الدولة في دعمهم والتعامل معهم حيث يقول: «واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلّا ببعض، ولا غنى بعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنفاق والرفق، ومنها أهل الجزية والخارج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلية من ذوي الحاجة والمسكبة، وكلاً قد سمي الله سنه ووضع على حدّه فريضة في كتابه أو سنة نبيه ﷺ عهداً منه عندنا محفوظاً...»<sup>(١)</sup>.

هذا وقد فصل عليه السلام كلاً من هؤلاء أعمّاهم وفضلهم في تحقيق الأمن والتنمية بالتفصيل وتأكيد مساندة البعض للبعض، ولا تقوم الأعمال إلا بالتعاون والتنسيق مع بعض. فالمزارع يحتاج إلى الصناعي والصناعي يحتاج إلى الناجر؛ كذلك المجتمع يحتاج إلى تحقيق العدالة والأمن إلى القضاة والعسكريين.

في مجال التنمية وزيادة الإنتاج أكد الإمام مبدأ الأولوية في العمل قائلاً: «ول يكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلّا بالعمارنة، ومن طلب الخراج بغير عمارة خرب البلد وأهلك العباد»<sup>(٢)</sup>.

هذه النّظرة الثاقبة للإمام عليه السلام في عمارة الأرض وإحيائها لأنّها السبب في تحصيل الموارد الطبيعية وتحقيق الإنتاج الزراعي ليسدّ حاجة المجتمع واستخراج كُلّ ما تحويه الأرض من

(١) المصدر السابق نفسه ج ٣ ص ٩٦.

(٢) المصدر السابق نفسه ج ٣ ص ٩٥.

مواد طبيعية، وتصنيعه وتحويله إلى مواد يستفاد منها لتنويع الزراعة والصناعة واستثمارهم في التجارة جلب الموارد المادية للدولة.

أكَد الإمام علي عليه السلام سياسة اختيار موظفي الدولة بناء على الكفاءة والخبرة، وليس بداع المحسوبية والاستئثار الفئوي، ثم متابعة الإشراف والرقابة عليهم، حتى لا يقصروا في مهامهم ولا يسيئوا استخدام مواقعهم فيقول سلام الله عليه: «ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا توشّم محاباة وأثره، فإنّها جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخّ منهم أهل التجربة والحياة من أهل البيوتات الصالحة. ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم...»<sup>(١)</sup>.

الله يا أمير المؤمنين! هذا يعكس الواقع الحالي، إذ إنّ التعيينات في الدولة العراقية لا تعتمد على الكفاءة والخبرة بل على المعارف والأقرباء والمصالح الفئوية، وأصبحت الوزارات والدوائر مرتعًا للأهل والأقارب دون مؤهلات لتولي المناصب. قد تم اتخاذ مبدأ الشخص غير المناسب بالمكان المناسب مع غياب الرقابة والمتابعة والمحاسبة مما أدى إلى تردي تقديم الخدمات وسوء الأوضاع سواء الاقتصادية أو الاجتماعية خلال السنوات العشرين السابقة على الرغم من الميزانية الانفجارية التي تعادل موازنات أربع دول أو أكثر.

ووجه الإمام الحكام إلى الاهتمام بالفقراء والمحاجين وذوي الأمراض المزمنة، وأنّ عليها أن تبحث عن موقع الضعف وال الحاجة في المجتمع، وتعتمد في رعايتهم على ذوي الثقة وحسن التعامل. بقوله: «ثم الله في الطبقة السفلية من الدين لا حيلة لهم من المساكين والمحاجين، وأهل البؤس والزمني، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعترضاً، واحفظ الله

(١) نهج البلاغة ج ٣ ص ٩٥.

ما استحفظك من حَقّه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك.. وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم من تقتحمه العيون -أي تستصرفه- وتحقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم.<sup>(١)</sup>

لله درك يا امير المؤمنين! لا تنسى حتى الضعفاء من المساكين والمحاجين فتوصي بهم خيراً، عكس واقعنا الحالي، إذ إن الإهمال لهذه الفئة من المجتمع يساهم في شدة معاناتهم ولا يوجد من يتبع أمرهم ويسأل عنهم. يشكل عهد الإمام علي عليه السلام مالك الأشتر وثيقة سياسية اجتماعية رائعة، ولا ينبغي أن نقرأه باعتباره برنامجاً للحاكم فقط، بل علينا أن نستلهم منه الرؤية ونجعله برنامج عمل لنجاح المجتمع في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

٣. واقع التنمية في مجتمعاتنا: يوجد تفاوت كبير وشاسع بين ما توفره البلاد المتقدمة مواطنوها من ظروف الحياة الكريمة، فرص التعليم، العمل والإنتاج، الرعاية الصحية والاجتماعية وأجواء الحرية والديمقراطية، وبين واقع البلدان النامية والعالم الثالث، حيث الواقع المتختلف، وافتقار قطاع كبير من المواطنين للحد المعقول من الحياة الكريمة، بسبب الفقر، وتفضي الأمية، وانعدام فرص التعليم والعمل. إلى جانب افتقاره أبسط مقومات الحرية، وغلبة القمع الفكري والسياسي، مما دفع هذا التفاوت الملايين من شباب البلاد النامية والعالم الثالث، إلى البحث بكلّ السبل عن أي فرصة للهجرة، والعمل في البلاد المتقدمة، ويكتفي مثلاً على ذلك ما نراه من الحوادث المميتة والمكررة التي يتعرض لها آلاف الشباب من المنطقة العربية، بالمخاطر بأرواحهم وأموالهم للهجرة غير الشرعية، عبر البحار في ظروف غير آمنة، وغير مضمونة للوصول إلى البلدان المتقدمة في أوروبا الغربية واستراليا.

(١) نهج البلاغة ج ٣ ص ١٠٠-١٠١.

### المبحث الثالث

#### منهج الإمام علي عليه السلام في صناعة التكافل الاجتماعي وانعكاسه بالقضاء على الفقر

وضع لنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم دستوراً واضحاً لمكافحة الفقر والقضاء عليه وازالة التمايز بين أفراد المجتمع، وهي التعاليم والروافد ذاتها التي استخدمها الإمام علي في القضاء على الفقر، وهي من أعظم الروافد والآليات التي شهدتها التاريخ في مكافحة الفقر، وخطوات عملية واضحة وصالحة لأي زمان ومكان، يقدمها لنا الإمام عليه السلام لتفادي مشكلة الفقر والقضاء عليه. فلو عملنا بهذه الآليات العظيمة والحلول السحرية التي تركها لنا الإمام ليعمّ الغنى في كل بلد، ولما بقي فقير واحد على وجه الكرة الأرضية.

حدّد الإمام علي عليه السلام ثلاثة روافد لتعطية نفقات الضمان الاجتماعي باعتبارها من أهم الأموال التي تستقيها الدولة لحق الفقراء الذي أوجبه الله سبحانه وتعالى.

**الرافد الأول:** الزكاة، وهي إحدى أركان الدين الإسلامي؛ فقد جاء أمر الزكاة مقررناً بأمر الصلاة في العديد من سور القرآن الكريم؛ ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَنُونَ﴾<sup>(١)</sup>

تعتبر الزكاة من أعلى درجات التكافل الاجتماعي. فالزكاة هي أول نظام شرعه الدين الإسلامي وعرفته البشرية لتحقيق العدالة الاجتماعية لإنصاف الفقراء والمساكين والمحتاجين باستقطاع جزء من ثروات الأغنياء لتوزع على الطبقات الفقيرة لتسود العدالة بين أفراد المجتمع.

(١) سورة البقرة الآية: ٢٧٧.

حدّد الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أبواب الزكاة والمشمولين بها ليحصل التوازن بين أفراد المجتمع الإسلامي؛ وهي أفضل طريقة للقضاء على الفقر. أما مصارف الزكاة، فهي ثمانية أصناف مخصوصة في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

**الرافد الثاني:** الخامس حدّد الله سبحانه الخمس المشمولين به بقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَنِّيهَا مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ هُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾<sup>(٢)</sup>.

والخمس من المصادر المهمة التي دعا إليها الإمام عليه السلام وتفعيله ليصبح مورداً للضمان الاجتماعي ويتضمن خمس المكاسب سواء (الأرباح، التجارة، الصناعة، العمل، الوظائف والهدية) ولو أدى الأغنياء زكاة أموالهم وخسها لما بقي فقير في أي بلد إسلامي، ولما حصل اضطراب واختلاف في طبقات المجتمع وقضى على الفقر والبطالة.

**الرافد الثالث:** إشاعة فلسفة البذل والعطاء: يعد الإمام علي عليه السلام سدّ حاجة الفقراء المعوزين واجباً دينياً على كلّ الأغنياء لمساعدة الفقراء واعانتهم على المعيشة، إذ أشار عليه السلام لأحد ولاته بذلك: «اجعل لهم قسمًا من بيت المال وقسمًا من غلات صوافي الإسلام في كلّ بلد»

وأشار الإمام عليه السلام بأن الاختبار الحقيقي لمدى تمكّن الفرد بمبادئ الإسلام هو إسهامه الفاعل في تحقيق الضمان ضد الفقر إذ يقول: «اخترعوا شيئاً بخصلتين، المحافظة على أوقات الصلاة والمساواة لإخوانهم بالمال».<sup>(٣)</sup>

(١) سورة التوبة الآية: ٦٠.

(٢) سورة الانفال الآية: ٤١.

(٣) الإمام علي صوت العدالة ص ١٨٤.

«إنّ لأصل الدين علامات يعرفون بها، ومنها طرق الحديث ورحمة الضعفاء».<sup>(١)</sup>

هذا وقد حمل الإمام السلطة الحاكمة مسؤولية الفقر في الأمة ببعدين:

**البعد الأول:** الممارسة السلبية للحكام، والتي تسهم في إفقار المجتمع، حيث شخص الإمام الحالة السلبية في التوظيف السياسي للفقر وأشار إلى حقيقة جوء بعض الساسة إلى هذا الأسلوب لكسر إرادة الأحرار في الأمة، فقد ردّ على من أشار عليه بتولية طلحة والزبير على البصرة والكوفة قائلاً: «ويحک إنّ العراقين بها الرجال والأموال ومتى تملّكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع ويضرّوا الضعيف بالبلاء ويقوّوا على القوي بالسلطان»<sup>(٢)</sup>.

سلام الله عليك يا أبلغ البلوغاء كأنك تعيش حاضر هذه الأمة التي ساد فيها الفساد وتولية من لا يمتلك خبرة أو علم بالأمور التي يتولاها.

**البعد الثاني:** حالة الإسراف للحاكم وبطانته والابتعاد عن آلام فقراء المجتمع وأمامهم، وما يسببه ذلك من إهدار للمال العام وضعف في رؤية الحكام لحقيقة معاناة فقراء الأمة، ذلك بقوله عليه السلام لأحد ولاته المسرفين: «دع الإسراف مقتضاً واذكر في اليوم غداً، وامسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك، أتريد أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين؟ وتطمح وأنت متمنع في النعيم تمنعه الضعيف والأرمدة أن يوجب لك ثواب المتصدقين؟ وإنما المرء مجزي بما سلف وقادم على ما قدم والسلام»<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) الإمام علي صوت العدالة / ص ١٨٦.

(٣) نهج البلاغة ج ٣ ص ١٩.

وإني أرى أن الإمام منذ ذلك العصر والزمان يرى ما عليه حكام البلاد الذين يدعون  
الانتهاء للإمام علي وهم أبعد ما يكونون عن مبادئه وسياسته عليها السلام، يتمتعون بالنعيم  
ويصرفون بالنفقات، ولا يبالون وشعبهم يعني الأمراء من فقر وبطالة.

### الفصل الثالث الوقت ماهيته وإدارته

الوقت هو الفترة الزمنية التي نعيشها ونجرب فيها ما نريد إنجازه وتحقيقه من مهام  
وأعمال تقل أو تكثّر؛ هذه الإنجازات بناء على قدرتنا على إدارة الوقت بطريقة صحيحة،  
إذ يعتبر الوقت من أهم النعم والثروات التي أنعم الله بها علينا. وعليه فيجب على الإنسان  
أن لا يضيع حياته ووقته بلا فائدة. فالإنسان العاقل هو الذي يحرص على استغلال الوقت  
الاستغلال الأمثل، بما يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة، وذلك لأنّه من أثمن الموارد  
التي منحها الله تعالى للإنسان ودعاه إلى المحافظة عليها وجعله من الأمور التي سيسأل  
عنها يوم القيمة<sup>(١)</sup>.

#### المبحث الأول: أهمية الوقت في القرآن الكريم:

لأهمية الوقت وعظمته، أقسم الله عزّ وجلّ بالوقت في العديد من سور القرآن  
الكريم، وخصّ بهذا القسم بأجزاء من الوقت في فواتح العديد من السور القرآنية التي  
يقسم بها الله جلّ في علاه، بصيغ مختلفة، ويدرك المفسرون بأنّ الله سبحانه وتعالى إذا أقسم  
بشيء ما فإنّ ذلك يشير إلى أهمية ذلك الشيء وعظمته.

(١) الشيخ عبد الله يوسف / ندوة استشار الوقت وصناعة النجاح

ففي سورة العصر أقسم الله سبحانه وتعالى بالعصر: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابَرِ﴾<sup>(١)</sup>

وجاء القسم في هذه السورة المباركة بالعصر، والتي تبين بأنّ الإنسان هو في خسارة دائمّة لأنّه ينفق عمره في توافه الأمور باستثناء أولئك الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات بالتوافق والتناسخ فيما بينهم على الحقّ والصبر، وهي الجماعة الرابحة في الحياة الدنيا والآخرة، في سور آخر يقسم جل وعلا بالوقت فاقسم بالفجر وأقسام بالليل والنهار في سور الفجر والليل والتوكير: ﴿وَالْفَجْرِ وَيَالِ عَشْرِ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾<sup>(٥)</sup>

جاءت هذه الآيات الكريمة لتدلّ على عظمة هذه النعمة؛ فالوقت هو عمر الإنسان، وعليه أن يجدّ ويجهد في العبادة ويسعى إلى الحصول على متطلبات الحياة، ولا يقعد عن طلب العيش ليصبح ملوماً محسراً.

(١) سورة العصر: الآيات: ٣-١.

(٢) سورة الفجر: الآيات: ٢-١.

(٣) سورة الليل: الآيات: ٢-١.

(٤) سورة التوكير: الآيات: ١٨-١٧.

(٥) سورة الفرقان: الآية: ٦٢.

إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَنَهُ وَتَعَالَى سَخَرَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ لِيُعِيشَ عِيشَةً طَيِّبَةً وَيَتَفَكَّرُ فِي آيَاتِ اللَّهِ، فَقَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ سَبَّحَنَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ التَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَأْبِينَ وَسَخَرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ وهو يعظ رجلاً: «اغتنم خمساً قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

هنا يوصينا الرسول الأعظم بوصية هي كبيرة في شأنها ويدعونا إلى اغتنام الفرصة. وبعد الشباب يأتي الهرم؛ فمن فرط في العمل أيام شبابه لا يستطيع أن يعيشها أيام هرمه، ومن فرط فيه لا يستطيع العمل أيام سقمه، ومن لا يعمل أيام غناه فهو لا يستطيع إدراك العمل الصالح أيام فقره، ومن فرط في العمل أيام حياته لا يستطيع عمل شيء بعد فوات الأولان وحلول الموت. فعند ذلك يتمنى الرجوع إلى الحياة الدنيا للعمل؛ فهيهات ذلك، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمُوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَالِهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرَزَ حٍ إِلَيْهِ يَوْمٌ يُبَعَثُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة إبراهيم الآياتان: ٣٢ و ٣٣.

(٢) سورة المؤمنون الآيتان: ٩٩ و ١٠٠.

## المبحث الثاني

### الوقت من وجهة نظر الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة

قدم أمير المؤمنين علي عليه السلام مجموعة مبادئ تصورية تدخل في صميم إدارة الإنسان لنفسه في وقته المتاح له في الحياة الدنيا، وذلك لأجل اغتنام القدر الأكبر الموفور من الوقت قبل فواته وتصدر منه تدريجياً، بحيث يجد الإنسان حاله وقد مضى عليه عامل الوقت من غير رجعة ونفاذ خزينه من القدرة والجهد والطاقة والقوة، مما يعرضه للحساب والندامة والخسران.

#### برنامج الإمام علي عليه السلام في إدارة الوقت وتنظيمه:

وضع الإمام علي عليه السلام ثلاث ساعات، اختصر فيها حياة الناس وتوجههم في أيام حياتهم: «للمؤمن ثلاث ساعات، ساعة ينادي فيها ربّه، وساعة يروم فيها معيشته، وساعة يخلی بين نفسه ولذتها فيما يحکّ ويجمّل، وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلّا في ثلاث، مرّة معاش أو خطوة في معاد أو لذة في غير محظوظ».

هو يعني ثلاث أوقات التي هي أساس الحياة؛ كل وقت مخصص لشيء؛ وقت للعبادة، وقت للعمل واستحصال الرزق، وقت للترفيه عن النفس بما حلّ الله سبحانه وتعالى.

**الوقت الأول:** وقت العبادة: هناك العديد من الآيات في سور القرآن الكريم تحث الناس على العبادة وذكر الله. وقد اخترت بعضًا من الآيات التي تحثّ الإنسان على التفكّر والتمسّك بعبادة الله، وذكر الله واليوم الآخر للنجاة من النار، وهي عديدة لم أتمكن من

الإمام بكلّها.. أوجزت لكم منها الآتي: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّيْ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.  
 ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(٥)</sup>.

هذا في مجال العبادة والوقت المخصص لعبادة الله سبحانه وتعالى، وخاصة في هذا الزمان زمن التكنولوجيا والتطور العلمي في مختلف المجالات. فكلما تقدم العلم الحديث واستمرت الاستكشافات العلمية، ظهرت معجزات الكون المذكورة في سور القرآن الكريم. إذ لم تنته هذه المعجزات سواء الكونية منها أو اللغوية التي أظهرت قدرة الخالق في خلق الكون المترامي الأطراف مما أدى إلى دخول العلماء الملحدين في الدين الإسلامي لظهور الحق إمام أعينهم، في حين انتابت الغفلة والتلاهي أغلب المسلمين في هذه الأيام بدخول وسائل التواصل الاجتماعي واتخاذها ملجاً لصرف أغلب أوقاتهم فيها دون النظر إلى ما أراد الله من عبادة بالتفكير في خلق الله وآياته.<sup>(٦)</sup>

**الوقت الثاني:** وقت المعاش واكتساب الرزق: أن يخصص كلّ امرئ وقتاً للمعاش وتحصيل القوت والعمل على عمارة الأرض بالزراعة أو امتهان أية صنعة ليعمل بها ويحصل

(١) سورة الذاريات الآية: ٥٦.

(٢) سورة النساء الآية: ٣٦.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢١.

(٤) سورة مرثيم الآية: ٣٦.

(٥) سورة الانبياء الآية: ٩٢.

(٦) م. مرتضى علي الحلي / مبادئ ادارة الوقت .

على قوت أهله، لأن يتسكع ويمدّ يده لطلب المال، بل عليه العمل بأية وسيلة طالما يستطيع العمل.

حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا التَّهَارَ مَعَاشًا﴾<sup>(١)</sup>.

الوقت الثالث: وقت الترفيه عن النفس: يدعو الإمام عليه السلام أن نجعل لأنفسنا حظاً من الدنيا بإعطائها ما تشتهي من الحلال وما لا يثلم المرأة، وما لا سرف فيه، والاستعانة بذلك على أمور الدين فإنه روي: «ليس من ترك دنياه أو ترك دينه لدنياه».

---

(١) سورة النبأ الآية ١١.

## الفصل الرابع

### الاستنتاجات والتوصيات

#### أولاً: الاستنتاجات:

بيّنت الدراسة بأنّ الإمام علي عليه السلام جمع الفضائل ومكارم الأخلاق بعد رسول الله ﷺ، أول القوم إسلاماً، العالم بأحكام القرآن وأحاديث النبي الأكرم.

و مكانته عند الله ورسوله لا يمكن أن يصل إليها أي أحد من الصحابة والخلفاء، وبينت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة في السنن والصححين مكانة الإمام علي ومنزلته ووجوب محبته وموالاته. ويكتفيه فخرًا أنه ولد في الكعبة المشرفة التي لم يولد فيها أحد من قبله ومن بعده، وختم له الله سبحانه بالشهادة في محراب المسجد.

أظهرت الدراسة بأن فاطمة الزهراء عليها السلام هي بحق سيدة نساء العالمين لما تميزت به من العفة والخلق الرفيع والصبر على الأذى. فكانت تواسي والدها النبي محمد ﷺ في محنته وأذى قريش لهم، وخاصة بعد وفاة والدتها خديجة الكبرى، فسماها والدها النبي الأكرم -بأم أبيها- يا لها من عبارة شفقة ورحمة من الوالد لابنته الصغيرة التي لا يتجاوز عمرها الشري夫 أكثر من ٦ سنوات ذلك الحين.

أظهرت الدراسة بأن شخصية كلّ إنسان تتأثر بثلاثة عوامل تعمل على تكوين شخصيته وبنائها؛ الوراثة.. التعليم والثقافة.. البيئة والمحيط..؛ فكلّ الصفات التي يتتصف بها الشخص هي نتاج هذه العوامل الثلاثة.

حدد الإمام علي عليه السلام أهم أسس تكوين شخصية الإنسان السوي وبنائها من خلال التزام بالحق والابتعاد عن الباطل، والصدق والأمانة والوفاء بالعهد، والتمسك بالتفوّى والتركيز على الصفات الروحية التي تقوّي شخصية الفرد.

يعتبر الإمام علي رائداً للتنمية البشرية الإسلامية، وواضع أسسها، في ضوء الرسائل والآدلة التي كان يرسلها إلى عماله في الأمصار تتضمن التوجيهات والإرشادات للنهوض بالمجتمع الإسلامي وتنميته حيث كان الهدف الأسمى الذي سعى إليه أمير المؤمنين عليه السلام تحقيق العدالة الاجتماعية وصيانة حقوق الرعية، قبل أن تؤسس الأمم المتحدة لتقارير التنمية البشري قبل عام ١٩٩٠.

شخص الإمام عليه السلام مشكلة الفقر وال الحاجة، ووضع لها حلولاً ملائمة للقضاء عليه، ومنح المحتاجين والقراء حقهم الذي أمر به الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم؛ وبذلك حدد الإمام ثلاثة روافد لرغبة نفقات النظام الاجتماعي: «الزكاة، الخمس، إشاعة فلسفة البذل والعطاء».

حمل الإمام عليه السلام السلطة الحاكمة مسؤولية الفقر في الأمة من خلال بعدين ساهمت في تفاقم مشكلة الفقر والبطالة؛ تمثل البعد الأول في الممارسة السلبية للحكام في التوظيف السياسي للفرد، والبعد الثاني تمثل في حالة الإسراف للحاكم وبطانته وهدر المال العام وعدم الإحساس بمعاناة الفقراء والمحتاجين.

أظهرت الدراسة بأنّ الوقت من أثمن الموارد والنعم التي أنعم الله علينا، لذا كان القسم في القرآن الكريم بالوقت وبمختلف أوقاته، فأقسام سبحانه وتعالى بالعصر والصبح والليل والنهار، مع التأكيد من الرسول الأكرم أن يغتنم الإنسان خمساً قبل خمس (الشباب قبل الهرم، الصحة قبل السقم، والغنى قبل الفقر، الفراغ قبل الشغل، والحياة قبل الموت).

حدّد الإمام علي عليه السلام ثلاثة أوقات بين فيها مسار حياة البشر؛ وقتاً مخصصاً للعبادة، ووقتاً مخصصاً للعمل واكتساب الرزق، والأخير للراحة والترفيه عن النفس.

### ثانياً: التوصيات

أن يكون الإمام علي عليه السلام قدوة لكل حاكم، والعمل بالعهود والرسائل التي كان يرسلها إلى عماله للنهوض بالمجتمع وتنميته. وكان الهدف الذي سعى الإمام إليه تحقيق التنمية الاجتماعية وصيانة حقوق الرعية.

أن تكون السيدة فاطمة الزهراء قدوة لكل نساء العالم، لأنّها مصدر العفاف والتقوى والالتزام بكل القيم السماوية، مع معاناتها في تحمل مسؤولية الاعتناء بالنبي محمد ﷺ في بداية الدعوة الإسلامية، وهي صغيرة، وتحملها لإدارة شؤون بيتها والسهر على إسعاد عائلتها، وتشجيعها وتربيتهم التربية الصالحة.

الالتزام ببناء الشخصية كما أرادها الإمام علي عليه السلام من خلال ترويض النفس على القيم والتقوى لما من دور فعال في بناء شخصية الفرد المسلم.

الالتزام بتعاليم الإمام علي عليه السلام في القضاء على الفقر من خلال التوزيع العادل لأموال الركاة والخمس لمحققيها من الفقراء والمحاجين، وكل الفئات المشمولة بهذه الأموال، كما ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم. وهي حقوق واجبة يلزم الفرد المكلف بإخراجها على الصعيدين الشرعي والأخلاقي، لأنّها لا تعتبر جزءاً من أمواله الشخصية، بل هي حقوق الآخرين أو دعوها الله سبحانه وتعالى في أمواله؛ وهذا ما سار عليه إمامنا أمير المؤمنين علي عليه السلام.

اختيار المسؤولين من يتصفون بالأمانة والصدق والعمل على خدمة الناس، والابتعاد عن الغلو، وأن لا يكونوا أعواناً للظالمين، ويحافظوا على خزانة مال الدولة، وأن لا تكون لهم سابقة في معاونة أهل الظلم، وكما حدد ذلك الإمام في عهده لمالك الأشتر.

الاستفادة من الموارد البشرية والتي يعدها الإمام علي عليهما السلام مصدراً أساسياً للعمل والبناء والتنمية من خلال العمل على عمارة الأرض، والتي تساهم في تحقيق فرص عمل جديدة ضمن القطاعات الاقتصادية المختلفة، والعمل على تكثيف الجهد لتتوسيع قاعدة الإنتاج وزيادته، سواء الإنتاج الزراعي أو الإنتاج الصناعي، والانتفاع بالموارد الطبيعية التي وهبها الله سبحانه وتعالى من أرض وموارد أولية.

وضع سياسات للرعاية الاجتماعية، والتي تستهدف التنمية الاجتماعية ورفع مستويات المعيشة للأسر والمجتمعات الريفية، وحماية الشرائح الضعيفة ومكافحة الفقر. وهذا ما يوصي به الإمام علي عليهما السلام من خلال رسم السياسات، وبشكل خاص البرامج والمشاريع الصغيرة، وبرامج الأسر المستجدة، وتشغيل الخريجين العاطلين عن العمل، ورعاية الطلاب المتفوقين، مع تحقيق احتياجات مختلف الفئات في المجتمع والتي تحتاج إلى رعاية.

ولأجل تحقيق عدالة الحصول على العمل على أن تعمل على تعزيز آلية القروض الصغيرة التي تعتبر الأداة الاقتصادية للتنمية الفاعلة والتي تشكل جزءاً من اقتصاديات العالم النامي، باعتبارها أحد الحلول الناجعة للحد من الفقر، والعراق اليوم أكثر حاجة للتوسيع في تطبيق هذه الآلية.

## المصادر

كتاب الله سبحانه وتعالى (القرآن الكريم).

١. نهج البلاغة للإمام علي / شرح الشيخ محمد عبده / الجزء الأول، الجزء الثاني، الجزء الثالث / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت.
٢. العتبة الحسينية/ شبكة الإمام علي/ قبسات من حياة علي بن أبي طالب.
٣. محمد بن اسماعيل البخاري / صحيح البخاري / كتاب الفضائل.
٤. محمد بن اسماعيل البخاري / صحيح البخاري / كتاب التفسير.
٥. مسلم بن الحجاج النيسابوري / صحيح مسلم / كتاب الفضائل.
٦. العتبة العلوية المقدسة / شعبة التبلیغ / شذرات من حياة فاطمة الزهراء / ٢٠١٦.
٧. محمد باقر الكجوري / الخصائص الفاطمية / ج ٢.
٨. إبراهيم الموسوي / الغوص في أعماق الشخصية.
٩. المعهد العربي للتخطيط في الكويت / مجلة جسر التنمية.
١٠. البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة / تقارير التنمية البشرية / ١٩٩٠.
١١. البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة / تقرير التنمية البشرية / ١٩٩٥.
١٢. البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة / تقرير التنمية البشرية / ١٩٩٦.
١٣. هيئة التخطيط / دائرة تخطيط القوى العاملة / ورقة نقاشية لمفاهيم التنمية/ ١٩٩٩ .

١٤. وزارة التخطيط / دائرة التنمية البشرية / دراسة دور التعليم والتدريب في تطوير الموارد البشرية / ٢٠٠٩.
١٥. م.م. علي فاخر حسن / التنمية البشرية في نهج البلاغة / جامعة البصرة / مجلة الدراسات التاريخية / عدد ٢٨٠، ٢٠٢٠ / ٠.
١٦. رحيم علي صباح / التنمية البشرية في فكر الإمام علي.
١٧. الشيخ عبد الله يوسف / ندوة استشار الوقت وصناعة النجاح / ملتقى الجواب.



## الاستراتيجيات التربوية والتعليمية

لدى أهل البيت عليهم السلام الإمام أمير المؤمنين علي

وسيدة نساء العالمين عليها السلام نموذجاً

الباحث

ثاني عبد الله أحمد

محاضر بكلية التربية بولاية جنوب دارفور

### الاستهلال:

قال رسول الله ﷺ: «يا عليٌ ثلاث خصال من حفائق الإيمان: الإنفاق في الإقتار وإنصاف الناس من نفسك، وبذل العلم للمتعلم»<sup>(١)</sup>

### الملاخص:

تتمتّع مهنة التعليم في كل دين ومجتمع بمنزلة عالية جداً. فالمجتمع من دون المعلم لن يحقق الكمال والصلاح. وللمعلم في الدين الإسلامي المبين، مكانة أرفع بحيث عرفت الآيات الأولى النازلة على قلب رسول الإسلام العظيم الشأن بالمعلم الأول للبشرية، ألا وهو الله تعالى: ﴿أَفَرَا إِلَيْنَا رَبُّكُمُ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ أَفَرَا وَرَبُّكُمُ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَنِ عِلْمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(٢)</sup>. والمعلم الثاني للبشرية هو رسول الإسلام المكرم ﷺ نفسه الذي يقول «إنما بعثت معلماً»<sup>(٣)</sup>. وورد في تعاليم الأنّمّة الأطهار عليهم السلام وقاده الدين أيضاً في شأن التعليم، وبنحو متكرر، أنه مهنة مهمة وبالغة التأثير في المجتمع.

إنّ الإنسان يرتبط بالتربيّة والتعليم، وكذلك أخلاقه ترتبط بالتربيّة والتعليم. إنّ من شروط التقدّم أن يكون للإنسان قدوة، لأنّ بعض الأشخاص بسلوكهم وعملهم ومنطقهم يصبح نموذجاً سلبياً للإنسان، إلا أنّ صناعة النموذج القدوة هو الأصل الأهمّ من بين جميع الأعمال. التربيّة والتعليم لدى أهل البيت عليهم السلام مسألة مهمة بالنسبة إلى المسلم. إنّ أهمّ المسائل التي سيتعرّض لها الباحث تتعلّق بالتربيّة والتعليم لدى أهل البيت عليهم السلام، وت تكون الدراسة

(١) المجلسي، بحار الأنوار - محمد باقر المجلسي، ج ٧٤ ص ٥٢ .

(٢) سورة العلق: الآيات: ١-٥ .

(٣) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية / دار الكتب العلمية - لبنان (ب ت) ح ١٤٧٨ .

من مبدئها بالمقدمة ثم الاستراتيجيات التربوية والتعليمية، ومن بينها لدى أهل البيت، ومن ثم معالم التربية والتعليمية النبوية لأمير المؤمنين، ثم معالم التربية والتعليمية النبوية للسيدة فاطمة عليها السلام لأنّها قدوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. فاستراتيجياتهم وحركتهم ومنهجهم وحياتهم هي منهج القرآن والدين الإسلامي الأصيل، وعليه، يجب السير والاقتداء بهم وبهداهم للوصول إلى الحق في الدنيا وجنة النعيم في الآخرة. ومن أهمية هذه الدراسة ستنتهي أهمية التعليم والتربية في كلام رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وأهل بيته عليهم السلام ويؤكد أهمية هذه المكانة ويعرفها بصفتها مهنة منقطعة النظير في المجتمع. إنّ الدور الذي يمكن أن يؤديه المعلم في التأثير الفكري والروحي والمعنوي في هوية طفل ورجل وامرأة جدّي في مرحلة الطفولة والفتولة، هو دور لا نظير له ولا بديل حتى الأب والأم والبيئة المحيطة لا يمكن لأيّ منها أن يقوم بهذا الدور من حيث التواصل مع البيئة والحياة اليومية للناس. فإنّ التربية والتعليم بصفتها جهازاً له التواصل الأكبر والأكثر. إذن ينبغي السعي الحثيث في الحفاظ على قداستها.

أخيراً يستخدم الباحث المنهج الاستقرائي لتحليل هذه الدراسة. وبالله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله.

الكلمات المفتاحية: (الاستراتيجية، التربية، التعليمية، أهل البيت النبوي الشريف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

تعتبر التربية من أهم الأهداف للرسالات الإلهية قاطبة، لأنها تتسامى بالإنسان إلى مراتب الكمال النهائي الذي أراده الله سبحانه للإنسان؛ وهذا نجد أن القرآن الكريم حينما تحدث عن هدف بعثة النبي الخاتم ﷺ أعطى للتزكية والتربية المكانة الأولى، ومن ثم أردف بالتعليم. قال تعالى: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتَّلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»<sup>(١)</sup>، بل يمكن القول إن القرآن الكريم كتاب فريد في منهجه التربوي، وكذلك سيرة الرسول الأعظم والأئمة خلفاؤه من أهل بيته عليهم السلام. ولا تخفي الحاجة الماسة في مجتمعنا اليوم إلى منهج تربوي ثابت في أصوله، واضح في مقوماته وموازيته، بل قد تصل هذه الحاجة إلى حدّ الضرورة، لأن التربية هي التي تحدد القيم الصالحة والسامية في الواقع الإنساني، وتنشر قيم الفضيلة والرقي والتكامل في المجتمع، وتوسّس المدينة الفاضلة التي كان وما يزال يتمناها كل إنسان ذو لب وإيمان وعدل. وقد بذل المصلحون على مرّ التاريخ جهوداً مضنية لتوسيع منهج تربوي يستندون إليه في انطلاقتهم نحو تربية الإنسان والمجتمع على أسس سليمة وصالحة. وفي بيئتنا الإسلامية كان النبي ﷺ وأهل بيته القدوة الصالحة والمربيين الذين أناروا الطريق لل المسلمين بكلماتهم وسلوكياتهم العملي الذي يعتمد على الأسس والمفاهيم والقيم الإسلامية السمحاء، فإنّهم أهل بيت قد زقّوا العلم زقاً. فاستراتيجياتهم وحركتهم ومنهجهم وحياتهم هي منهج القرآن والدين الإسلامي الأصيل؛ ومن ثم يجب السير والاقتداء بهم وبهداهم للوصول إلى الحق في الدنيا، وجنة النعيم في الآخرة.

(١) سورة الجمعة: الآية: ٢.

وفي هذه الدراسة المختصرة سيحاول الباحث أن يسلط الضوء على بعض جوانب القيم التربوية والتعليمية لوصي الرسول الإمام أمير المؤمنين وسيدة النساء العالمين(عما) التي اعتمدتها أهل البيت للبيت، وهي كثيرة جداً، ولكن سيقتصر الباحث في الإشارة إلى بعضها، آملاً أن تكون نبراساً يقتدي بها الناس في حياتهم وسلوكياتهم وواقعهم الحياتي اليومي لينالوا بها سعادة الدارين، إنه سميع مجيب.

## المبحث الأول

### الاستراتيجيات التربوية والتعليمية

يحتوي هذا المبحث على التمهيد ثم توضيح معاني الاستراتيجية والتربية والتعليم بصورة عامة حيث يعرض تعريفات مختلفة ثم التعليق.

التمهيد: التربية والتعليم مصدر حياة بالنسبة إلى المجتمع، سواءً أكان ما يتعلق بحاضر المجتمع أم بمستقبله. يمكن الاستفادة من كلمات أمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين عليهم السلام وخطاباتها المهمة لتكون الدليل والطريق المعد لسلوك هذا المسير الصعب الحساس البالغ الأهمية بنحو صحيح، على أساس التعاليم الدينية. فال التربية إذن توجيه للحياة أو تشكيل طريقة معيشتنا أو بمعنى آخر التربية وسيلة أو عملية تتحدد بها طرق معيشتنا. نلاحظ في العبارات التي عرف بها الأقدمون التربية مثل إعطاء الجسم والروح وإعداد المثل لكسب العلم وإعداد الفرد كلّها ترمي إلى إعداد الفرد وتكتوينه بالطرق والوسائل الملائمة لاكتساب خبرات تمكن الفرد من العيش في مجتمع ما متكيفاً مع عاداته وتقاليده وظروفه الطبيعية ومكانته الاجتماعية. ولا يوجد قطاع أكثر أهمية من التربية والتعليم؛ بمعنى أن كلّ ما ننفقه على التربية والتعليم مادياً ومعنوياً وبشرياً سيكون جديراً بالانفاق.

#### الاستراتيجية:

فكُلُّ متعلم له طريقته أو طرقُه الخاصة في الحصول على المعرفة أو التعامل معها؛ وهذه الطريقة أو الطرق هو ما نطلق عليه: إستراتيجيات التعلم. والإستراتيجيات بدورها حظيت بتعريفات وإليك بعضها:-

وإستراتيجية التعلم الفاعلة تقوم على مجموعة من العمليات أو الخطوات التي تسهل للمتعلم التعرف على المعلومات وتخزينها واستخدامها<sup>(١)</sup>.

ولقد عرَّف براون الإستراتيجية: «بأنَّها طريقةٌ معينةٌ لمعالجة مشكلةٍ أو ل مباشرةً مهمةً ما، أو هي أسلوبٌ عمليٌ لتحقيق هدفٍ معينٍ، أو تدابيرٌ مرسومةٌ للتحكُّم في معلوماتٍ معينةٍ والتعُّرف عليها».

ونرى براون يفرق بين الأساليب والإستراتيجيات؛ حيث يرى أن الأساليب هي سماتٌ عامَّة تفرُّق الشخص عن غيره من الأشخاص، أما الإستراتيجيات: فهي تلك الطرق المحدَّدة التي تواجه بها المشكلات.<sup>(٢)</sup>

هي: «وضع الخطط الحربية وإدارة المعارك». والقول السابق نفسه يمكن أن نطلقه على المعلم الذي يخطط لدرسه، وينجزه بصورة طيبة. ويطلق أيضًا على الأداة الخاصة التي يقوم بها المتعلم ليجعل عملية تعلمه أسهل وأسرع وأكثر تشويقًا وفعالية، وأكثر استقلالية، وتوجّهاً نحو الذات. ويعرفها لومبردي: «بأنَّها عمليات أو أساليب يستخدمها المتعلم لإنجاز مهمة محددة، ويصفها بأنَّها خريطة لعملية التفكير».<sup>(٣)</sup>

### التربية:

أمر التربية، قد شغل الإنسان منذ قديم الزمان. كان الفرد في المجتمع البدائي يعمل على توريث ابنه، ما عرف عن البيئة المحيطة به التي يعيش فيها من أعمال وعادات

(١) العسيري، محمد علي آل مانع، «إستراتيجيات التعلم المنظم ذاتيًّا، وعلاقتها بعض متغيرات الشخصية»، الرياض رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٢٣هـ ص ٣٨.

(٢) براون، دوجلاس، «مبادئ تعلم وتعليم اللغة»، ترجمة الدكتور إبراهيم القعيد، والدكتور عبد الشمري، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٩٤م، ص ١٦١.

(٣) الزيات، فتحي، صعوبات التعلم، القاهرة، دار النشر للجامعات، ط١ ت ١٩٩٨، ص ٤٠.

وتقاليد فيدرِب ابنه ويعلمه ويوجهه منذ الطفولة حتى يبلغ مبلغ الرجولة، ويصبح قادرًا على مواجهة ظروف الحياة، والفترة على التغلب على البيئة. ولما توسيع الحياة وتشعبت مناحيها وتعددت أغراضها، أصبح أمر التربية من الأمور التي تشغِل الأفراد والحكومات والجماعات على السواء، وصار الوقود على ماهيتها أمراً مهماً. وسوف نستعرض آراء رجال هذا الحقل. حاول رجال التربية أن يعرفوها تعريفاً جاماً مانعاً على حد المنطقة، ولكن ذلك لم يحدث لاختلاف أغراضها. وإليك بعض ما جاء فيها من تعاريف:

التربية في اللغة: الزيادة والنمو والنشوء والترعرع والإصلاح والرعاية والسياسة

وتولي الأمر.<sup>(١)</sup>

عرفها أفلاطون بقوله: «ال التربية إعطاء الجسم والروح كلّ ما يمكن من الجمال، وكلّ ما يمكن من الكمال ».<sup>(٢)</sup>

ويقول جون ميلتون: «ال التربية هي التي تجعل الإنسان صالحًا لأداء عمل، عاماً كان أم خاصاً بدقة وأمانة ومهارة في السلم والحرب ».<sup>(٣)</sup>

كيل يعرفها بقوله: «ال التربية تهذيب القوى الطبيعية للطفل كي يكون قادرًا على أن يقود حياة خلقية صحيحة سعيدة ».<sup>(٤)</sup>

(١) لسان العرب، ابن منظور ج ١٤، ص ٣٠؛ تاج العروس، الزبيدي، ج ١، ص ٢٦١؛ الرائد معجم لغوي عصري، حبران مسعود ج ١، ص ٧١٤.

(٢) دروس في التربية وطرق التدريس، نور الدين حسن محمد، دار المكتب التربوي الإسلامي، ت: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص ٧.

(٣) دروس في التربية، مرجع نفسه، ص ٧.

(٤) نفس المرجع، ص ٨.

وعند هيل: «التربيـة الكـاملـة هي تلكـ التي تحـفـظ الصـحة الـبدـنية الـجـسـمية للـلـتـلـمـيـذ وـتمـكـنـه منـ السيـطـرـة عـلـى قـواـهـ العـقـليـة وـالـجـسـمية، وـتـزـيدـ في سـرـعـة إـدـرـاكـه وـحـدـة ذـكـائـه، وـتـعـوـدـ سـرـعـة الحـكـم وـدـقـقـته، وـتـعـوـدـ أـنـ يـكـونـ دـقـيقـ الشـعـورـ يـؤـديـ وـاجـبـاتـه بـذـمـةـ وـضـمـيرـ»<sup>(١)</sup>.

من تلك التعاريف التي ذكروها سوف يعرض الباحث مثلاً تظاهر به حقيقة التربية. إنَّ الأمَّ ترَضُّع ولدها ثم نفطمه بعد عامين، ثم تعوده تناول طعام البيئة، فنرى تغييرًا طرأً من الحال التي كان عليها عند ولادته في كُلِّ من النمو والتغيير(تربيـة). وعندما تراه عمل شيئاً لا يتفق والعادات وتقاليـد الجـمـاعـة وـتـنـهـاءـ، فـيـرـكـ وـيـسـلـكـ الطـرـيـقـ الـذـي أـوـضـحـتـهـ لهـ هـذـاـ (تربيـةـ).

و من رجال التربية المحدثين من أعطى تعريفها نوعاً من الشمول، قال الدكتور عطيـةـ الإبراشـيـ في كتابـهـ رـوـحـ التـرـبـيـةـ وـالـتـعـلـيمـ: «إنَّ التـرـبـيـةـ هيـ إـعـدـادـ المـرـءـ لـيـحـيـاـ حـيـاةـ كـامـلـةـ، وـيـعـيـشـ سـعـيـداـ حـبـبـاـ لـوـطـنـهـ، قـوـيـاـ فـيـ جـسـمـهـ، كـامـلـاـ فـيـ خـلـقـهـ، مـنـظـمـاـ فـيـ تـفـكـيرـهـ، رـقـيقـاـ فـيـ شـعـورـهـ، مـاهـراـ فـيـ عـمـلـهـ، مـتـعـاـوـنـاـ مـعـ غـيـرـهـ، يـخـسـنـ التـعـبـيرـ بـقـلـمـهـ وـلـسـانـهـ، وـيـجـيدـ الـعـمـلـ بـيـدـهـ. فـعـلـيـ الـهـيـئـاتـ الـمـشـرـفـةـ عـلـىـ التـعـلـيمـ وـالـأـسـرـ وـالـمـجـتمـعـ أـنـ تـعـمـلـ عـلـىـ تـحـقـيقـ ذـلـكـ»<sup>(٢)</sup>. أما التربية للفرد المسلم -يضاف إلى ما ذكر- تعزـزـ الإـيمـانـ بـالـلـهـ وـالـيـومـ الـآـخـرـ، وـتـجـعـلـهـ يـوـقـنـ بـأـنـ الدـارـ الـآـخـرـةـ خـيرـ وـأـبـقـيـ، وـيـعـمـلـ وـفـقـاـ لـتـوـجـيـهـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿وَابْتَغُ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ وَلَا تَنْسَ نَصِيبِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغُ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup>، وذلك بتعويـدـ الطـفـلـ عـلـىـ الـخـيـرـ، وـحـمـلـهـ عـلـىـ الـمـكـارـمـ، وـصـونـهـ مـنـ الـآـثـامـ، وـتـعـوـيـدـهـ تـرـكـ الزـيـنةـ

(١) دروس في التربية مرجع السابق، ص: ٨.

(٢) دروس في التربية مرجع السابق: ص: ٨.

(٣) سورة القصص: الآية: ٧٧.

وأسباب الرفاهية، وحفظه عن قرناء السوء، وأن يكون طموحاً إلى الخيرات، ومتناضاً في طرق الخير.

ومن أغراضها: اتخاذها سبيلاً لإيجاد المواطن الصالح برعاية الأمور الآتية:- (تهذيب أخلاق التلاميذ، تربية أرواحهم، تقوية عقيدتهم، بثّ الفضيلة في نفوسهم، تعويذهم الآداب السامية، حملهم على حبّ الشرف والكرامة، الوطنية الصادقة، إعدادهم لحياة كريمة شريفة، تكيفهم مع البيئة الاجتماعية) <sup>(١)</sup>.

وما يهم الباحث هنا في تعريف التربية هو ما أراده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كلماته والتي تفسّر حقيقة مفهوم التربية من وجهة نظر إسلامية دينية. فالإمام يرى أنّ الإنسان هو غاية الوجود، والهدف من خلقته هو الوصول إلى الكمال النهائي الذي أراده الله تعالى له، وجعله خليفة في أرضه. ولكي يصل إلى كماله يجب عليه الالتزام في أقواله وأفعاله ومقاصده، وفق أحكام الله وهداه، كما قال الله تعالى لأبينا آدم عند هبوطه من الجنة ﴿قُلْنَا هِيَطْلُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ <sup>(٢)</sup>.

يرى الباحث هنا أن ليس الغرض من التربية حشو أذهان التلاميذ بالمعلومات، وما لم يعرفوه وتغذية عقولهم بما لم يعلمه من معلومات و المعارف، بل أغراضها مساعدة التلاميذ و توجيهه ميولهم إلى النافع والمفيد الذي يكسبهم عادات حسنة ومهارات نافعة و القدرة على الاستفادة مما تعلموه في تكوين خبرات، والتفاعل مع ظروف بيئتهم وفقاً للعادات والتقاليد والقوانين. يمكن أن نفسّر معناها من خلال أغراضها وأهدافها، إذ ليس من

(١) دروس في التربية، مرجع السابق، ص: ٧.

(٢) سورة البقرة: الآيات: ٣٨-٣٩.

السهل تحديد معنى دقيق لها، فهي الأشياء التي شغلت العالم منذ القدم؛ مثلاً لو أطلقنا كلمة تربية في مفهوم كلمة (هوسا) يمكن أن يعطينا معنى قريباً لها، وهو العناية بالناحية الأخلاقية ورعاية العادات والتقاليد والسلوك العام المستقيم. وحقيقة معنى التربية أعمق من ذلك. جاء عن معناها أيضاً في كتاب التربية وطرق التدريس لصالح عبد العزيز أنه قال: «التربية هي المؤثرات المختلفة التي توجه وتسيطر على حياة الفرد».<sup>(١)</sup>

**التعليم:** كل إنسان قابل للتعلم وفقاً لما قرره علم النفس وكذا الحيوان غير العاقل بناء على التجارب التي قام بها علماء النفس. الإنسان منذ طفولته ماضٍ في طريق التعلم، فالطفل يكتسب عادات سلوكية مثل المهارات والعادات الانفعالية والإتجاه الخلقي العام، فقد يكتسب هذه الصفات نتيجة التصاقه ببيئة، فالبيئة التي نعيش فيها تتحمي على أمور كثيرة يمكن أن نتعلم منها، لأن التعليم عملية أساسية في الحياة؛ بل وسيلة تمكن الإنسان من أن يعيش في سلام واطمئنان. فإذا أصابه الجوع أو العطش أو الحرّ أو البرد فإنه يتعلم الطريقة التي يسدّ بها رمقه، والتي يطفئ بها ضمائه، ويلطف بها جسده، ويدفع بها جسمه. إذن التعلم وفقاً لما يقول بعض التربويين سلوك يسلكه الفرد بحيث يؤثر في سائر سلوكه فيحسنه ويكون سبباً في تعلمه. فلا بأس أن نسوق بعض التعريف من التعلم:

**التعلم:** عملية النمو المضطرد للفرد وتحسينه المستمر حتى يستطيع أن يعيش في بيئته، أو هو كسب سلوك معين.

**التعلم:** هو حثّ التلميذ وإلهامه ليصل وحده وليجرب بنفسه حتى يحصل على فوائد معينة وينمو نمواً محسوساً بدنيا وأخلاقياً.

---

(١) دروس في التربية، مرجع السابق، ص: ٧.

والتعلم عند كثير من علماء النفس هو الوظيفة الرئيسية الأولى للعقل البشري.

يرى الباحث: العملية التعليمية - كما يصفها علماء التربية - أنها إشباع روحاني يبُث من نفسية المربّي ويستقر في نفسية المربّي؛ أي إشعاع يصدر من فكر المدرس ويستقر في ذهن الطالب وفكرة، بمعنى أنه تغيير في ذهن المتعلم طرأ على شيء فبدل معالمه من حال إلى حال.

### الاستراتيجية التربوية والتعليمية لدى أهل البيت عليهم السلام

تاريجياً، بنى الشيعة رؤاهم التربوية ومناهجهم التعليمية على أساس تصوّرهم العقائدي، حيث دمجوا ما بين الديني والدنيوي، لاعتبارهم أن التربية والتعليم الدينيين قادران على منع الانحراف عن المذهب والشريعة. فتربيتهم ومناهجهم عبارة عن «مجموعة من المفاهيم المتراقبة في غطاء فكري واحد، مستندة في مبادئها وقيمها إلى القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة. قد تنوّعت طرق واستراتيجيات التربية والتعليم التي اعتمدتها أهل البيت عليهم السلام والتي يستلهم الشيعة منهم حركتهم وعقائدهم لأنّهم كتاب الله الناطق، فكما قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمكّنتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا على الحوض».<sup>(١)</sup> فاستراتيجياتهم وحركتهم ومناهجهم وحياتهم هي منهج القرآن والدين الإسلامي الأصيل، وعليه يجب السير والإقتداء بهم وبهدائهم للوصول إلى الحق في الدنيا وجنة النعيم في الآخرة.

فيما يلي بعض الإستراتيجيات والأساليب والأسس التربوية التاريجية التي اعتمدها

أئمة أهل البيت عليهم السلام:

المناظرة: هي من أهم وسائل التعليم والتربية واستراتيجياتها عند الشيعة، حيث ناظر الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه أهالي نجران وباهلهم، وكذلك مسار الإمام أمير المؤمنين وسيدة نساء

(١) الحر العامل، محمد بن الحسن، ١٤١٤هـ، وسائل الشيعة، مؤسسة النشر الإسلامي ، ص: ٣٤.

العالمين عليهم السلام عندما كانا يناظران الحكام الظالمين. فهذه الاستراتيجية التربوية تساهم في الزيادة بالثقة بالنفس عند المتعلم، حيث يعتاد على حسن التفكير والإبداع، وقوّة الرد، وسرعة البديهة، اعتماداً على البراهين والأدلة. وعليه فقد تحولت المناقضة إلى أسلوب حواري بتأكيد صحة وأصالة منهج أهل البيت عليهم السلام الذي هو منهج الإسلام الأصيل؛ ولكن مع التأكيد على أن هذه الإستراتيجية لها شرط أساسي لنجاحها والوصول إلى مرادها، وهو إظهار الحقّ، وذلك عبر قبول الطرف الذي تتم مناظرته للحقّ إن تبيّن خطأه.<sup>(١)</sup>

اعتماد أسلوب الحفظ والفهم: حيث يتم التركيز على حفظ حرفيّة الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، مع عدم إغفال فهم المضمون، لأنّ المناظرات والأساليب البلاغية للدعوة الإسلامية بحاجة إلى إنسان متعمّق، ويعي مضمون الآيات والأحاديث وشرحها لكي يكون النقل دقيقاً، ومتّجحاً لمعرفة وعلم إسلامي أصيل. والمثال على ذلك: «لما هبط جبرائيل عليه السلام بالأذان على رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه كان رأسه في حجر على عليه السلام فأذن جبرائيل وأقام، فلما انتبه رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: يا علي سمعت؟ قال: نعم، قال: حفظت؟ قال: نعم، قال: ادع بلا لاً فعلمته، فدعا علي عليه السلام بلا لاً فعلمته».<sup>(٢)</sup>

استخدام أسلوب التقويم الشفهي من قبل المعلم: وذلك بهدف قياس مدى اكتساب المتعلم وفهمه للمعلومات، حيث كانت عملية الترفع من مرحلة لأخرى ليست بحاجة لامتحاناتٍ خطّية، بل يتم تقييمها شفهياً، ويختار بعدها المتعلّمون مادةً جديدةً وأستاذًا بحسب قدراتهم العلمية.

(١) الجباعي العاملی، ١٤٠٩ھ، ص: ١٤٠.

(٢) الكليني، أصول الكافي، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران - إيران، ت: ١٣٦٧، ش: ٣، ج: ٣، ص:

يتضح للقارئ من خلال كلّ ما تقدّم المسار التربوي التابعي لأهل البيت عليهم السلام، فإنّهم «أهل بيت قد زقوا العلم زقاً»<sup>(١)</sup> وقد استلهم علماء الشيعة اللاحقون من استراتيجياتهم في الدعوة والتربية والتعليم التي تنوعت بين أساليب عدّة من مناظرة، لاعطاء حرية التعلم واعتماد الحفظ والتقويم الشفهي، وغيرها من الاستراتيجيات التي ثبتت وتبين مفاهيم الدين الإسلامي الأصيل.

---

(١) الحائرى، جعفر الحائرى. ١٤٢٥ هـ، بlagة الإمام علي بن الحسين عليهم السلام، خطب ورسائل وكلمات. قم: دار الحديث، ١٤٢٥ هـ، ص: ٩٦.

## المبحث الثاني

### المعالم التربوية والتعليمية النبوية لأمير المؤمنين عليه السلام

المجتمع من دون معلم لن يحقق الكمال والصلاح. وللمعلم في الدين الإسلامي المبين مكانة أرفع بحيث عرفت الآيات الأولى النازلة على قلب رسول الإسلام العظيم الشأن عليه السلام بالمعلم الأول للبشرية، ألا وهو الله تعالى: «عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»<sup>(١)</sup> والمعلم الثاني للبشرية هو رسول الإسلام عليه السلام نفسه، الذي يقول: «إِنَّمَا بَعَثْتُ مِنِّي»<sup>(٢)</sup>. وورد في تعاليم الأئمة الأطهار عليهم السلام وقادة الدين أيضاً في شأن التعليم، وبنحو متكرر، أنه مهنة مهمة وبالغة التأثير في المجتمع. وأهمية مهنة التدريس في كلام رسول الأكرم عليه السلام، وأهل بيته عليهم السلام يؤكّد أهمية هذه المكانة ويعرّفها على أنها مهنة منقطعة النظير في المجتمع. وقد وضع الإمام علي عليه السلام اللبنة الأولى لركيزة الفكر التربوي عندهم (أهل البيت)، حيث تربى وتعلم على يدي رسول الله عليه السلام الذي قال فيه «أنا مدينة العلم وعلى باهها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»<sup>(٣)</sup>. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إن رسول الله عليه السلام أدبه الله وهو أدبني، وأنا أؤدب»<sup>(٤)</sup>. والإمام علي عليه السلام يحدّثنا عن ذلك فيقول: «وضعني في حجره وأنا ولد يضمّني إلى صدره، ويشمّني عرفة، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، ولقد كنت أتبعه إثر أخلاقه

(١) سورة العلق: الآية: ٥.

(٢) ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار احياء كتب العربية، (بـ-ت) ح ٢٢٩.

(٣) السيوطي، جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء الإصدار: القاهرة: مطبعة المدى، ت: ١٩٦٤ م صفحه ١٧٠.

(٤) تحف العقول، محمد الحسن بن الحسين بن شعبة الحراني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان، ط٧، ت: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ص ١١٤.

علمًاً، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراً». <sup>(١)</sup> ففي رحاب علي عليه السلام تكون آفاقنا أرحب، وحركتنا أوعى، وحياتنا أثري، وعلمنا الحق دائمًا.

ولقد اختصت إستراتيجية أمير المؤمنين عليهما السلام بخصائص متميزة، حيث نرى أنَّ أمير المؤمنين عليهما السلام جعل قاعدة لمنهجه التربوي في بناء الشخصية، هو أساس قيمته أنَّه جاء في تشریعاته ومفاهيمه من أجل أن يعمق إنسانية الإنسان، فلا تطغى حاجاته ولا تسقط مصالحة. فالإسلام يفتح للإنسان أبواب الحياة، فليس هناك أفق مغلق على الإنسان في العلم: ليس هناك علم محرم. وفي التجربة: لا توجد منطقة محرمة، بل أمرنا أن ننطلق لنكتشف الحقّ، نستطيع أن نكتشفه بالتأمل. وفي السلوك أرادنا الله أن نعيش مع الإنسان الآخر بسلام. عنى النبي ﷺ عنانية باللغة بتربية أخيه وابن عمّه الإمام عليهما السلام فغرس في أعماق ذاته صفاته الكريمة، ونزعاته الشريفة، حتى يحكي طباعه وأتجاهاته وقيمه من بعده، علمًا لأمته ورائدًا لتبلیغ رسالته. لقد حفلت تربية النبي ﷺ بجميع مقومات الارقاء وسموّ الذات؛ وكان من برامجها هذه الصور الرائعة <sup>(٢)</sup>:

قوله: «يا عليّ إنَّه لا فقر أشدَّ من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا وحدة أو حش من العجب، ولا عمل كالتدبر، ولا ورع كالكفر أَي عن محارم الله، ولا حسب كحسن الخلق؛ إنَّ الكذب آفة الحديث وآفة العلم النسيان، وآفة السماحة المن» <sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع نفسه، ص: ١٩٢.

(٢) باقر شریف القرشي، موسوعة أمير المؤمنین علی بن ابی طالب التربیة النبویة لأمیر المؤمنین علیهم السلام. الجزء: ٧٩، والصفحة: ج ١، ص: ٧٢.

(٣) أصول الكافی، محمد بن یعقوب الكلینی، دار المرتضی، بیروت. ج ٦ ص: ٢٩٨ ط ١، ت ١٤٢٦ هـ.

يرى الباحث: بهذه الحكم المشرقة التي تمثل معايير الآداب ومحاسن الأخلاق ربّي النبي ﷺ وصيّه وباب مدينة علمه ليكون مثالاً له في حياته وبعد وفاته.

نكران الذات: ربّي النبي ﷺ أخاه على الواقعية ونبذ الأنانية ونكران الذات، وكان من بين ذلك أنَّ الإمام عَلِيًّا طرق باب النبي فقال الرسول: من هذا؟ قال: أنا؛ وقال النبي ﷺ أنا أنا قول له: أنا أنا وفهم الإمام كراهة النبي هذه الكلمة فلم يفه بها بعد ذلك، وتكشف هذه البداية عن سمو التربية الإسلامية التي أمدّت الحياة بالاشراق والنهوض وظلّ الإمام متأثراً بهذه التربية الرفيعة طيلة حياته. ففي أيام حكومته وقيادته للأمة نبذ نبذًا تامًاً جميع مظاهر الحكم والسلطان التي تلازمها الإبهة والاستعلاء على الناس، وعامل نفسه كبقيّة أفراد الشعب لا ميزة له عليهم. وقد روى المؤرّخون أنَّه اجتاز على أهل المدائن فأقاموا له مهرجاناً شعبياً وذبحوا له الذبائح، فنفر من ذلك وخطبهم أنَّه كأحدهم، ومنع جيشه من أكل لحوم الذبائح حتى يعطي أهلها ثمنها. وهكذا كان على صورة لا ثاني لها في تاريخ البشرية على الإطلاق سوى الرسول ﷺ.

من معالم التربية النبوية للإمام عَلِيًّا قوله: «يا علي إياك والكذب؛ فإنَّ الكذب يسوّد الوجه ثم يكتب عند الله كذباً؛ وإنَّ الصدق يبْيَض الوجه ويكتب عند الله صادقاً. واعلم أنَّ الصدق مبارك والكذب مشؤوم. إنَّ الكذب مفتاح الشر وبه فساد الدنيا وهلاك العباد، وأما الصدق فإنه مصدر لكل فضيلة وسبب للنجاة من كل شر»<sup>(١)</sup>.

من روائع التربية الإسلامية التي غذى بها النبي ﷺ الإمام عَلِيًّا قوله: «يا علي احذر الغيبة والنّيمنة»<sup>(٢)</sup>.

(١) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ط٢، ج٤٥، ٤٥: بيروت: مؤسسة الوفاء. ط٢، ت: ١٩٨٣م، ص٤٥.

(٢) المرجع نفسه: ج٧٤، ص٦٧.

يبدو أنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَذَرَ مِنَ الْغَيْبَةِ لِأَنَّهَا تُوجِبُ نَشَرَ الْأَحْقَادِ وَالضَّغَائِنَ بَيْنَ النَّاسِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى الْحَطَّ مِنْ سَخْصِيَّةِ الْمُغَتَابِ فِي الْمُجَتَمِعِ. وَالإِسْلَامُ يُحِرِّصُ كُلَّ الْحَرَصِ عَلَى كَرَامَةِ الْمُسْلِمِ وَأَنْ لَا يَنْالَ بُسْوَةً. وَقَدْ ذَكَرَ الْفَقَهَاءُ تَعرِيفَ الْغَيْبَةِ وَتَحْرِيمَهَا الْمُشَدَّدِ فِي الْإِسْلَامِ وَاسْتَشَنُوا مِنْ ذَلِكَ مَا إِذَا كَانَ الْمُغَتَابُ مُتَجَاهِرًا بِالْفَسْقِ وَالْفَجُورِ، فَتَجُوزُ غَيْبَتُهِ بِالْجَهَةِ الْمُتَجَاهِرَةِ بِهَا وَلَا يَجُوزُ قَدْفُهُ بِغَيْرِهِ مِنَ الْمُعَاصِيِّ. وَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنِ النَّمِيَّةِ، وَهِيَ مِنْ مَوْجَاتِ نَشَرِ الْكُرَاهِيَّةِ بَيْنَ الْمُجَتَمِعِ. وَقَدْ تَظَافَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنِ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام: «أَنَّ النَّمِيَّا مِنْ شَرِّ أَنْوَارِ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى»<sup>(١)</sup>.

مِنَ الْوَصَايَا التَّرَبُوِيَّةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَوْلُهُ: «يَا عَلَيَّ لَا تَغْضِبْ؛ فَإِذَا غَضِبْتَ فَاقْعُدْ وَتَفَكَّرْ فِي قَدْرَةِ الرَّبِّ عَلَى الْعِبَادِ وَحَلْمِهِ عَنْهُمْ. وَإِذَا قَلَ لَكَ: اتَّقِ اللهَ فَانْبَذْ غَضْبَكَ وَرَاجِعْ حَلْمِكَ»<sup>(٢)</sup>.

يُسْتَنبَطُ الْبَاحِثُ أَنَّ الْغَضَبَ مُفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ وَسَبِيلُ كُلِّ جُرْيَةٍ. وَقَدْ حَذَرَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ لِأَنَّهُ يُؤَدِّيُ إِلَى دِمَارِ الْشَّخْصِ وَهَلاْكِهِ. وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ كَيْفِيَّةَ عَلاَجِهِ وَالْوَقَايَا مِنْ شَرِّهِ، وَهُوَ أَنْ يَتَفَكَّرُ الْإِنْسَانُ فِي حَالَةِ غَضَبِهِ بِقُدرَةِ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ وَمَا يَعْقِبُهُ الْغَضَبُ مِنَ الْأَضْرَارِ وَالْمَفَاسِدِ.

مِنْ غَرِّ الْوَصَايَا التَّرَبُوِيَّةِ الَّتِي عَهَدَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِلْإِمَامِ قَوْلُهُ: «يَا عَلَيَّ أَنْهَاكَ أَنْ تَخْفِرَ عَهْدَأَيْ (تَنْقُضَ عَهْدَأَيْ) وَتَعْيِنَ عَلَيْهِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الْمَكْرِ، فَإِنَّهُ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الْبَغْيِ، فَإِنَّهُ مَنْ بَغَى عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللهُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) مِيزَانُ الْحِكْمَةِ، الْمَرْجَعُ السَّابِقُ، ج ٣٦٨١.

(٢) تَحْفَ الْعُقُولِ، الْمَرْجَعُ السَّابِقُ، ص: ١٤.

(٣) بَحَارُ الْأَنْوَارِ، مَرْجَعُ السَّابِقِ، ج ٣٢ ص: ١٥٤.

من الوصايا الرفيعة التي عهد به النبي ﷺ قوله: يا عليّ ثلاثة تحت ظل العرش يوم القيامة: رجل أحب لأخيه ما أحب لنفسه؛ ورجل بلغه أمر فلم يتقدم فيه ولم يتأخر حتى يعلم أن ذلك الأمر لله رضى أو سخط؛ ورجل لم يعب أخيه بعيوبه حتى يصلح ذلك العيب من نفسه، فإنه كلما أصلح من نفسه عيوباً بدا له منها آخر؛ وكفى بالمرء في نفسه شغلاً. ما أروع هذه الصفات التي يسمو بها الإنسان إلى أرقى مستويات الرشد والكمال! وقد تغذى بها الإمام عليه السلام، فكانت من برامج حياته.

من معالم التربية للإمام عليه السلام هذه الوصية: «يا عليّ إن من اليقين أن لا ترضي أحداً بسخط الله ولا تحمد أحداً بما آتاك الله ولا تزد أحداً على ما لم يؤتوك الله؛ فإن الرّزق لا يجرّه حرص حريص ولا يصرفه كراهة كاره. إن الله بحكمه وفضله جعل الروح والفرج في اليقين والرضا، وجعل الحمّ والحزن في الشك».<sup>(١)</sup>

وبهذه الخصال الثمينة من النبي ﷺ لوصيّه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نطوي الحديث عن بعض معالم التربية النبوية للإمام والتي استهدفت أن يكون ممثلاً للنبي ﷺ لأهدافه وقيمته التي تنشد صالح الإنسان وتطور حياته، وتكون له منهجاً في سلوكه مع غيره، وهي أحد برامج التربية النبوية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام. وبها أصبح الإمام على عليه السلام المؤسس الأعلى للعلوم والمعارف في دنيا الإسلام. أسس أمير المؤمنين على عليه السلام مدرسة توجيهية في المدينة المنورة استمرت لمدة ٢٤ عاماً بعد وفاة رسول الله ﷺ، حيث كان يقوم بتعليم الناس على اختلاف مللهم، أحكام الشريعة من حلال وحرام، والتدريب على الصلاة، وكذلك اهتمّ بمرحلة الطفولة لما لها من أثر على تكوين الناشئة. فقد ورد عنه

(١) تحف العقول، المرجع السابق، ص: ١٤.

«علّموا صبيانكم الصلاة، وخذلهم بها إذا بلغوا ثانوي سنوات».<sup>(١)</sup> وقد بذل جميع جهوده في إشاعة العلم ونشر الآداب والثقافة بين المسلمين. وكان يذيع بين أصحابه قوله: «سلوني قبل أن تفقدوني عن طرق السماء فإنّي أبصر من طرق الأرض»<sup>(٢)</sup>.

ومن المؤسف أنّهم لم يستغلوا وجود هذا العملاق العظيم فيسألوا منه عن حقيقة الفضاء وال مجريات التي تسيّح فيه وغيرها من أسرار الطبيعة التي استمد معارفها من رسول الأعظم ﷺ لم يسألوا في أي شيء من ذلك. وإنّما راحوا يهزّون. وقد قال بعضهم بسخرية كم طاقة في رأسي من شعر؟ وعلى أي حال فإن الإمام عاش في وسط ذلك المحيط الجاهل الذي لم يع أي شيء من أهدافه ومثله، ولم يعرف حقاً قيمته ولم يثمن عبقريته وموهبه.

### بعض خصائص الاستراتيجية التربوي في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام

هناك خصائص كثيرة يمتاز بها الاستراتيجية التربوي للإمام عليه السلام تعتبر الأساس والمنهج في تربية الإنسان المؤمن نشير إليها هنا باختصار:

١ تقوية قوى الخير في نفس الإنسان: في أعماق نفس الإنسان تتصارع قوى الخير والشرّ، فهو يجمع إلى جانب العواطف والأهواء والغرائز العقل والفطرة، وحياته تعورها حالات متضادة نتيجة للصراع بين قواه العقلية والعاطفية. يقول الإمام علي عليه السلام: «العقل صاحب جيش الرحمن، والهوى قائد جيش الشيطان، والنفس متجادلة بينهما؛ فأيّها غالب كانت في حيزه»<sup>(٣)</sup>. لذا أكد الإسلام مراراً على أهمية التوازن بينهما ليكون الإنسان الكامل الذي جعله الله تعالى خليفة في أرضه. والتربية هنا هي ضرورة تقوية قوة العقل والتوازن بينهما وبين العواطف والغرائز وإعطاء كلّ منها حقّه في الكمال.

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ١٩٨٠، صفحة ٢٢٦.

(٢) ميزان الحكمة، المرجع السابق، ج ٤ ص: ٣٦٨١.

(٣) ميزان الحكم، محمد الري شهري، دار الحديث - قم، ط٥، ت ١٤٢٦ هـ / ١٣٨٤ م، ص: ٤٠٥.

٢ مقارنة العلم بالعمل: هذه ميزة وخصيصة مهمة في المنهج التربوي وهذه الحقيقة أكدتها الإمام عليه السلام كثيراً فيقول: (خير القول ما نفع، واعلم أنه لا خير في علم لا ينفع)<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: (أوضع العلم ما وقف على اللسان، وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان)<sup>(٢)</sup>.

٣ التفكير والتدبر: التفكير ضرورة تربوية مهمة في المنهج التربوي العلوي؛ فهو مقدمة ومحرك للعمل الصالح. وقد أشاد الإمام أمير المؤمنين بالتفكير الصحيح ودعا إلى تنميته، لأنّ الفكر جلاء للعقل، كما إنّه يفيد الهدایة والرشد واليقظة والإستبصار، ويعصم عن الضلال والشك. وكثيرة هي الكلمات والحكم التي صدرت عنه بهذا الخصوص حيث يقول: (الفكر يهدي (و) الفكر عبادة، (و) الفكر رشد، (و) الفكر ينير القلب)<sup>(٣)</sup>.

والإمام عليه السلام يجد في التفكير إنارة للقلب ومن خلالها تكون لدى الإنسان القدرة على كشف الحقائق وتخلص العقل من الأوهام والأساطير، كما وإنّه يرى فيه الهدایة والرشد والرأي السديد؛ ليس ذلك فحسب، بل إنّ العلم عن التفكير هو من أشرف العلوم وأكثراها ثباتاً ودقة، لذلك كان التفكير أحد العوامل الرئيسية في عملية التربية والتعليم. وقد قرن عليه السلام بين التفكير والرشد والهدایة، وبين العلم الرفيع الذيبني على أساس التفكير الحاصل وجعل أفضل العلم هو المستند على الفكر والتأمل. قال عليه السلام: لا علم كالتفكير<sup>(٤)</sup>.

٤. تقوى الله: إنّ مفهوم التقوى في المنهج التربوي عند الإمام أمير المؤمنين هو بمعنى قوة روحية تتولد للإنسان من التمرّن العملي الذي يحصل من الحذر المعقول من الذنوب، فالحذر المعقول والمنطقي يكون مقدمة للحصول على هذه الحالة الروحية، وهو -من ناحية

(١) نهج البلاغة، المرجع السابق، خ ١٦، ص ٦٤.

(٢) المصدر السابق، ج ١٨، ص ٢٤٥.

(٣) الغرر والدرر، الأمدي، ص ٤٣.

(٤) المرجع نفسه، ج ١٨، ص ٢٧٦.

أخرى - من لوازم حالة التقوى ونتائجها. إنَّ هذه الحالة تهب للروح قوة ونشاطاً، وتصونه من الانحراف والسقوط والانزلاق نحو الهاوية، وكلما حصلت الروح الإنسانية على ملكة التقوى، حفظ نفسه من دون أن يخرجها عن المجتمع.

ويصف الإمام عليه السلام التقوى بأنَّها قوة معنوية روحية، تحصل على أثر التمرин والممارسة، ولها آثار ونتائج، منها تيسير الحذر من الذنب. ولقد تناول الإمام عليه السلام في كلماته وموعظه آثار التقوى كثيراً. ومن أهم آثار التقوى الذي أشار إليها أثران مهمان، أحدهما البصيرة النيرة والرؤى الواضحة، والأخر القدرة على حل المشاكل والخروج عن المضائق والشدائد<sup>(١)</sup>.

يرى الباحث أنَّ التقوى تهب للإنسان حرية معنوية، تحرره من أسر عبودية الهوى، وترفع عن رقبته جبال الحسد والخذل والطمع والشهوة، ولا يخضع التقى لأعباء هذه العبودية. إنَّ التقوى لا تعني ترك المجتمع واعتزاله، بل هي توحى إلى الإنسان بأن يتقي الله في دنياه، ويعمل لدنياه كما لآخرته، ويعيش حياته بكل بساطة وقناعة، ويؤدي المسئولية والوظيفة التي تحملها بأمانة وعدم الاستفادة غير المشروعة من الفرص المتاحة أمامه من خلاها، بل يكتفي بما يأتيه من الحال. وهذه هي التقوى الاجتماعية التي يريد لها أمير المؤمنين، فهي تقوى تفاعلية اجتماعية ورابطة حيوية تنبع من المسئولية بالتعهدات الاجتماعية والمطالب الحياتية للناس كافة؛ هذه المشاركة في الحياة تفرض على الإنسان أن يعيش لغيره كما يعيش لنفسه، وأن يرضي لآخرين ما يرضى لنفسه.

٥. ذكر الله تعالى واحدة من الأصول التربوية المهمة في المنهج التربوي عند أمير المؤمنين هو ذكر الله تعالى في كل وقت وحال، ويعتبر هذا الذكر أساس لجميع الآثار التربوية والمعنوية والأخلاقية والاجتماعية. ويشير القرآن الكريم إلى الأثر التربوي والروحي

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٣٢.

للعبادة وللصلوة على وجه الخصوص، فيقول سبحانه ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى أيضاً ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾<sup>(٢)</sup>. إن ذكر الله يجعل القلب ويصفيه ويزكيه ويطهّره، ويعده لإجراء الحكمة فيه وعلى لسانه، وقد بين الإمام عليه السلام في هذا الكلام الأثر الغريب لذكر الله في القلوب، حتى إنها قد تستعد بذلك لتلقّي الإلهام من الله سبحانه والكلام معه.

هذه باختصار هي أبرز معلم التربية الأخلاقية التي اعتمدتها الإمام علي عليه السلام في سبيل إعداد الإنسان العالم المؤمن الذي اهتدى بنور العلم والإيمان إلى نهج السبيل الحق وتغلب على نفسه الأمارة بالسوء وسلك طريق العلم والعمل.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية: ٤٥.

(٢) سورة طه: الآية: ١٤.

### المبحث الثالث

## المعالم التربوية والتعليمية النبوية للسيدة فاطمة عليها السلام

مثلّت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام الأنموذج الأكمل والمثل الأعلى الذي صاغته الأنوار الإلهية والرسالة المحمدية منهجاً وسلوكاً في واقع المجتمع الإسلامي، فجسّدت المرأة المؤمنة الكاملة. وتلمس هذا جلياً واضحاً خلال استقراء سيرتها في مختلف الأبعاد الاعتيادية. فلم تكن المرأة ذات الأخلاق العادية، بل امرأة روحانية ملكوتية تحلى بأخلاق الوجود الإنساني من خلال ما قدمه الرسول ص من صيغ التعظيم والتجليل لشخص الزهراء في سنته، فكانت أحب الناس إليه. وعليه، فإنّها مثلّت المدرسة العلمية التي تبقى تعطينا ثمارها عبر مراحل الحقب التاريخية بأفكارها الوقادة، ومشعلًا تنهل منه الأجيال. فجاءت دراستنا لسلسلة الضوء على جانب مهمٍ من إسهاماتها القيمة الفعالة المتمثلة بدورها التربوي وأثره في واقع المجتمعات.

من القضايا والمؤشرات المهمة في حياة سيدتنا ومولاتنا الصديقة الزهراء عليها السلام قضية التربية، حيث إنّ ما عرفناه عنها أنها أنجبت الذرية الطيبة التي لا تدان بها ذرية إنسانية أخرى في الصلاح على مدى التاريخ، فهي القمة فوق القمم، وهي المثل الأعلى في الخير والأصالحة. ومن الطبيعي أن كانت لهذه التربية قواعد وأصول وضوابط قد أحملها الله للصديقة الزهراء، كما أعلّمها أبوها ص. فالحقيقة تؤكّد لنا أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام قد أنشأت بطريقها التربوية أعلى مدرسة مثالية؛ تخرج فيها الحسان ووزينب عليهما السلام.

ولمعرفة أبعاد كل ذلك، تطالعنا بادئ ذي بدء قصة عبادة الزهراء وتهجدتها، حيث كانت تحرص كلّ الحرص على اصطحاب أولادها إلى محراب عبادتها في آناء الليل وأطراف

النهار، وتعلّمهم بذلك أنواع التبلي والتهجد، حيث يروي الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أن والدته الزهراء البتول قد أجلسته إلى جانب سجادتها غارقة في التضرع إلى الله تعالى من أول الليل إلى انفلاق عمود الصبح، وهي آخذة بالدعاء لـكُل الناس؛ الأقرب فالأقرب من حيث الجيرة؛ ولكنها لم تشمل بدعوتها تلك أولادها، مما أثار فيه الإمام الحسن السؤال عن السرّ وراء ذلك، فأجابته بنظرة ملؤها العطف والحنان: يا بني الجار ثم الدار.

من معالم التربية النبوية لها أنه أوصاها بها يلي: «ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه. من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت إن الله يحب الخير الحليم المتعطف، ويبغض الفاحش الضئين السائل الملحق. إن الحياة من الإيمان والإيمان في الجنة، وإن الفحش من البداء، والبداء في النار»<sup>(١)</sup>.

وأوصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيدة النساء فاطمة بَتِّيَّةَ بضعرته أن لا تلحّ على زوجها بأن يأتي لها بأي شيء من الدنيا. فقد قالت له: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهاني أن أسألك شيئاً فقال: «لا تسألي ابن عمك شيئاً، إن جاءك بشيء عفواً، وإلا فلا تسأليه»<sup>(٢)</sup>.

يرى الباحث أن هذه الوصية الذهبية تحمل قيم الإسلام ومبادئه وآدابه من الوصية بالجار، وذلك بالإحسان إليه، ومواساته في السراء والضراء وعدم الإساءة إليه، وقد أكد الإسلام ذلك في كثير مما أثر عن النبي لله، وما أثر عن سيدة فاطمة الزهراء لله، من أجل أن تسود المحبة والودة بين المسلمين، وتصان الروابط الاجتماعية فيه، وأن يتكلم المسلم بالكلام الطيب النافع، ويجتنب في حديثه عن كلمةسوء والفحش التي تؤدي إلى شیوع

(١) دلائل الإمامة، محمد بن جرير بن رستم الطبرى، ٥٣

(٢) فاطمة الزهراء بَتِّيَّةَ قدوة الصديقين، آية الله السيد محمد تقى المدرسي، الناشر: دار محبي الحسين عليه السلام، قطع: رقعي، الطبعة الأولى.

الرذيلة بين الناس، وأن يتسلح المسلم بأفضل الصفات وهو الحياة الذي هو من شعب الإيمان، والإيمان في الجنة. هكذا كان يغذى النبي بضرعاته بهذه المثل العليا والقيم الكريمة. وهذا بطبيعة الحال لم يكن ليحدث أو ليكون لولا ما بذله سيدة نساء العالمين فاطمة البتوط عليها السلام من جهود جبارة في تربية أولادها الكرام البررة؛ هذا من ناحية التربية الدينية التي تكاد تكون فريدة من نوعها.

أما من الناحية العلمية، فقد ذكرت لنا روايات التاريخ الفاطمي على صحتها كيف أن الزهراء كانت تعلم الإمامين الحسن والحسين عليهم السلام خطب رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، وهمما لما يبلغوا الخامسة من العمر بعد، حيث كانت تطلب إليهما كطريقة من طرق التعليم إعادة ما سمعاه من خطاب الرسول الأكرم على مسامعها، ثم إنها كانت تعيد الكلمة بحضور أمير المؤمنين عليه السلام ليطمئن قلبها على سيرتها التربوية.

ولقد شاهد التاريخ المستوى الغريب من نوعه الذي بلغه هذان الإمامان الفذان في العبادة والخطابة، حتى إن العباد والخطباء كانوا في ذلك الزمن وما تلاه يقررون لها بالفضل والأولوية في هذين المجالين. فمعاوية على جرأته القاسية المعهودة كان يتمنى ولو لمرة واحدة أن يتتفوق على الإمام الحسن في الحديث أو يحرجه في الكلام، فكان يجمع إليه أشد العتاة المردة، أمثال عمرو بن العاص ومروان والمغيرة وغيرهم من لا تأخذهم في الباطل لومة لائم، فيبدوون بمحاوراتهم الكلامية محاولين إيقاع الإمام الحسن المجتبى في المطبات الكلامية، إلا أنهم لم يكونوا ليجدوا منه سوى الحكمة والعلم والأخلاق ورباطة الجأش، حتى يقول قائلهم: لقد رُزقَ الحسن بن علي العلم زقاً، وأن الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وهذا هو الحسين الشهيد عليه السلام نراه في واقعة الطف الدامية كالأسد المتصور في خطاباته كما هو في نزاله، حيث لم يكن بوسع فرد من أفراد جيش الأمويين الجرار الذي تکالب على

قتاله، أن يدانيه في الخطاب وإلقاء الحجّة والبيان، مما اضططرهم في نهاية المطاف إلى رمي  
بالحجارة والنبل عن بعد، تحاشياً لمواجهة هيبته عن قرب.

وها هي الزهراء أيضاً نجدها في خطبتها الفدكية الشهيرة تخصّ ابنته زينب بالاصطحاح  
إلى مسجد أبيها النبي الأكرم لتقارع الردة والعناد والطمع الذي أصاب نفوس القوم بعد  
وفاة الرسول؛ الأمر الذي يشير إلى وعي الزهراء للحقائق والأحداث التاريخية،  
والمستقبلية، حيث كانت بذلك تبني قابليات ابنته زينب لتحدي الطغيان والفساد الذي  
سيصيب الأمة الظالمة في عهد الإمام الحسين عليه السلام.

وما أروع عقيلة الهاشميين حيث وقفت إلى جانب أخيها سيد الشهداء محامية عنه وعن  
أطفاله وعوائل سائر الشهداء، بالإضافة إلى وقوفها إلى جنب الإمام المعصوم زين العابدين  
في محنـة، حتى آنـه وصف قلب عمه بقوله: «قلبها كزبر الحديد».

ولقد سجلت صفحات التاريخ بأحرف من نور خطابات السيدة زينب عليه السلام في مسجد  
الковفة، وهو مسجد أبيها، كما كان مسجد المدينة مسجد النبي أبي الزهراء، حيث قارعت  
فيه طغيان عبيد الله بن زياد، وكشفت مفاسده على مرأى وسمع من الناس. وكذلك لا  
ينسى التاريخ خطاباتها الأخرى التي ألقتها في شوارع الكوفة ودمشق، وفي قصر يزيد (لعنة  
الله عليه)، تلكم الخطب التي إن نمت عن شيء، فإنما تنمّ عن مستوى الوعي والحكمة  
والعظمة التي تحملتها زينب بنت علي لدى خوضها معرك السياسة والولاية. وهذا بطبيعة  
الحال لم يكن ليحدث أو ليكون لولا ما بذلتـه سيدة نساء العالمين فاطمة البتول عليه السلام من  
جهود جبارة في تربية أولادها الكرام البررة. وبين هذا وذاك، لا يسعنا سوى القول بأنـّ  
بداية الانطلاق في تربية الأطفال وتنشـئـتهم إنـما تكون منذ أن يروا نور الحياة.

فالزهراء عليها السلام كانت على درجة رفيعة للغاية في امتلاكها لثقافة الأمة التي من أول معطياتها النظر باحترام بالغ إلى الأولاد الأطفال، ومن ثم التعامل مع كل فرد منهم على أنه إنسان مكتمل مؤهل لتلقى التربية والتعليم، وليس الإنتظار به حتى يكمل السادسة والسبعين من عمره حتى يعلم أو يربى، كما هو حادث في زماننا المعاصر. فإن تتعلم البنت قبل أن تكون أمًا -ثقافة الحياة وثقافة الأمة، خير لها من أن تتعلم علوم الحياة الأخرى، رغم عدم وجود المانع من ذلك.

فالبنت مسؤولة قبل كل شيء -سواء أمام الله تعالى أو أمام مجتمعها- عن تعلم أساس التربية والتعليم، بما في ذلك القواعد الصحية خاصة بسلامتها وسلامة طفلها، ومن النواحي الروحية والعاطفية التي لا بد للطفل من أن يأخذ نصيحة الوافر منها، للحيلولة دون ابتلائه وتعرضه للأزمات النفسية التي تجبر عليه الويالات الاجتماعية فيما بعد.

وكذلك من الأبعاد الدينية، حيث يتوجب على الأم، ومنذ فترة انعقاد نطفة جنينها، الإلتزام بتعاليم الدين الخاصة بطهارة المولد ونقاء الجنين أو الوليد أو الطفل اليافع من الحرام؛ فهذا كلّه ذو تأثير بالغ في حياته ومستقبله. فالخادمة الكافرة أو المسلمة غير الملزمة على الأقل، وللتأن نراهما بكثرة في بيوت المسلمين لا يمكنهما بحال من الأحوال أن تأخذنا مكان الأم ومنزلتها، سواء على صعيد إرضاع الطفل أو تربيته والشفقة عليه.

وفي نهاية المطاف أود القول بأن الأم المسلمة لا بد لها أن تعني موقعها الحساس في المجتمع، إذ أن كل حركة أو سكتة تصدر منها لها الأثر البالغ على طبيعة أولادها وأجيالهم فيما بعد. وهذا الوعي من طبيعته أن يشمل النواحي الصحية والعاطفية والدينية والعلمية.

ولا يمكن بشكل من الأشكال أن تعني المرأة الأم كل ذلك بمجرد أنها أصبحت أمّاً، بل لا بدّ من التمهيد لذلك عبر نشر ثقافة الأمومة، التي هي تجسيد لثقافة الحياة على وسعها، حيث تتكرس ضرورة تلقي البنات -ومنذ نعومة أظفارهنّ- تلكم الثقافة، لتجري فيهنّ مجرى الدم في العروق. ولا أحسن من تدوين تفاصيل ثقافة الأمومة عبر الدراسة الدقيقة والواعية لحياة قدوّات النساء المسلمات، وفي مقدمتها الزهراء البتول وابنتها السيدة زينب

البيهقي.

## خلاصة

أهل البيت عليهم السلام هم الأئمة من آل محمد الطاهرين، إذ أخبر عنهم النبي الأكرم ص بأسمائهم وصرح بفضيلتهم حسب أدلتنا الكثيرة؛ وهذه عقيدة الشيعة الإمامية. وهم امتداد النبي الأكرم ص من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى الإمام الحجة الغائب عليه السلام؛ هذا الإمتداد تاريخ حافل بالعطاء الإنساني والأخلاقي والديني؛ فكل إمام من الأئمة الكرام الطاهرين كان مدرسة من العلم والأدب والأخلاق استطاع أن ينقد أمةً كاملةً من الظلم والجور والفساد، رغم التهميش والظلم والأبعاد الذي حصل تجاههم من الحكومات الظالمة. ولو تتبعنا تاريخ أهل البيت لما رأينا أنهم ضلوا في أي جانب من جوانب الحياة، أو أنهم ظلموا أحداً، أو غضب الله عليهم، أو أنهم عبدوا وثنًا، أو شربوا حمراً، أو عصوا الله، أو أشركوا به طرفة عين أبداً. وقد شهد القرآن بطهارتهم، وأنهم المطهرون الذين يمسون الكتاب المكنون، كما أنعم الله عليهم بالاصطفاء للطهارة، وبولاية الفيء في سورة الحشر، وبولاية الخمس في سورة الأنفال، وأوجب على الأئمة مودتهم واتباعهم لأنهم قدوة حسنة لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر.

لم يعهد عن أحد من الخلفاء أنه عني بالناحية التربوية أو بشؤون التعليم كالأمام أمير المؤمنين عليه السلام، وإنما عنوا بالشؤون العسكرية وعمليات الحروب وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية وبسط نفوذها على أنحاء العالم؛ ومن ثم كانت حقول التربية الدينية ضعيفة للغاية؛ الأمر الذي أدى إلى انتشار القلق الديني وقلة الوعي الإسلامي. وكان من نتائجه ظهور الحركات الإلحادية والمبادئ الهدامة في العصر الأموي والعباسي. كان من نتائجه شيوخ الخلاعة والمجون في كثير من أنحاء البلاد؛ أما بيوت الخلفاء والوزراء فكانت مراكز للهو والدعارة والتفسخ. وقد أولى أمير المؤمنين عليه السلام المزيد من اهتمامه بهذه الناحية؛ فاتخذ

من جامع الكوفة معهداً يلقي فيه محاضراته الدينية والتوجيهية، وكان يشغل أكثر أوقاته بالدعوة إلى الله وإظهار فلسفة التوحيد وبيث الآداب والأخلاق الإسلامية؛ هادفاً من ذلك إلى نشر الوعي الديني وخلق جيل يؤمن بالله إيماناً عقائدياً لا تقليدياً. وكانت مواضعه تهزّ أعماق النفوس خوفاً ورعباً من الله. وقد تربى في مدرسته جماعة من خيار المسلمين وصلحائهم، أمثال: حجر بن عدي وميثم التمار وكميل بن زياد وغيرهم من رجال التقوى والصلاح في الإسلام. وكانت وصاياه إلى ولديه الحسن والحسين عليهما السلام وسائر تعاليمه من أهم الأسس التربوية في الإسلام؛ فقد قُنِّنت أصول التربية ووضع مناهجها على أساس تجريبية، كانت من أثمن ما يملكون المسلمون في هذا المجال. أما التعاليم فقد كان الإمام عليه السلام هو المعلم والباعث للروح العلمية، فهو الذي فتق أبواب العلوم في الإسلام، كعلم الفلسفة والكلام والتفسير والفقه والنحو وغيرها من العلوم التي تربو على ثلايين علمياً، وإليها يستند ازدهار الحركة العلمية في العصور الذهبية في الإسلام وفقاً لما نصّ عليه المحققون.

## **الخاتمة (النتائج والتوصيات)**

- توصل الباحث إلى عدّة نتائج وخرج بتصنيفات كما سيأتي:-

نتائج الدراسة:

١. الإنسان يميل بطبيعة إلى الخير أو إلى الشر، لأنّه قادر على فعل الخير كقدرته على فعل الشر، ونوع التربية التي تعهد بها البيئة التي يعيش فيها، هو الذي يمنح به نحو الخير أو الشر.
  ٢. التقوى شيء يكون الحذر من الحرام والخوف من الله من لوازمه وأثاره؛ وعلى هذا، فليست التقوى هي الحذر نفسه، ولا الخوف من الله نفسه، بل قوة مقدسة روحية توحى بهذه الأمور وتستتبعها.
  ٣. التقوى لها أثران مهمان، أحدهما البصيرة النيرة والرؤى الواضحة، والآخر القدرة على حل المشاكل والخروج عن المضائق والشدائد.
  ٤. المجتمع الذي لا يتعامل أفراده بالأخلاق الحسنة، لا يمكن له بلوغ الأهداف السامية لبعثة الرسول الأعظم ﷺ لأنّ الأخلاق الحسنة هي التي توصل الإنسان إلى مقامات الإنسانية العالية.
  ٥. معرفة كيفية علاج الغضب، والوقاية من شرّه وهو أن يتفكّر الإنسان في حالة غضبه بقدرة الله تعالى عليه وما يعقبه الغضب من الأضرار والمفاسد.
  ٦. قلة الوعي الإسلامي في المجتمع، كان من نتائجه ظهور الحركات الإلحادية والمبادئ المدّامة.

٧. تبيّن أن التفكير إنارة للقلب؛ ومن خلاها تكون لدى الإنسان القدرة على كشف الحقائق وتخليص العقل من الأوهام والأساطير.

٨. إن التعليم وسيلة تمكن الإنسان من أن يعيش في سلام واطمئنان.

٩. إن كلّ إنسان قادر على التعلم وفق ما قرره علم النفس.

والحمد لله رب العالمين. اللهم صلّى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وبالله التوفيق  
والسداد

## قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. براون دوجلاس، «مبادئ تعلم وتعليم اللغة»، ترجمة الدكتور إبراهيم القعيد، والدكتور عيد الشمري، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٩٤ م.
٢. باقر شريف القرشي، موسوعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للتربية النبوية لأمير المؤمنين عليه السلام، ط١، ت: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
٣. جعفر العباس الحائزى، بلاغة الإمام علي بن الحسين عليه السلام، خطب ورسائل وكلمات. قم: دار الحديث، ت: ١٤٢٥ هـ.
٤. جبران مسعود، الرائد معجم لغوي عصري، ت: ١٩٦٤ م.
٥. جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء الإصدار: القاهرة: مطبعة المدنى، ت: ١٩٦٤ م.
٦. عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديدي، شرح نهج البلاغة، ت: ١٢٥٨ م.
٧. فتحي الزيات، صعوبات التعلم، القاهرة، دار النشر للجامعات، ط١ ت: ١٩٩٨ م.
٨. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء كتب العربية - دار الكتب العلمية - لبنان.
٩. محمد علي آل مانع العسيري، «إستراتيجيات التعلم المنظم ذاتياً، وعلاقتها ببعض متغيرات الشخصية»، الرياض رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٢٣ هـ.

١٠. محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنباري الخزرجي ت: ١٣١١ م.
١١. مرتضى الزبيدي، تاج العروس ت: ١٩٦٤ م.
١٢. محمد بن الحسن، الحر العاملی، وسائل الشيعة، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٤ هـ.
١٣. محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران - إيران، ت: ١٣٦٧ ش
١٤. محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، ق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء كتب العربية، (ب - ت).
١٥. محمد الحسن بن الحسين بن شعب الحراني، تحف العقول، مؤسسة الأعلمی للطبعات - بيروت - لبنان، ط٧، ت: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
١٦. محمد باقر المجلسي بحار الأنوار، بيروت: مؤسسة الوفاء. ط٢، ت: ١٩٨٣ م.
١٧. محمد تقی المدرسي، فاطمة الزهراء عليها السلام قدوة الصديقين، الناشر: دار محبی الحسین عليه السلام، قطع: رقعي، الطبعة الأولى، ت: ١٣٨٢ م.
١٨. محمد بن جریر بن رستم الطبری، دلائل الإمامة، مؤسسة البعثة - قم، ط١، ت: ١٤١٣ هـ.
١٩. نور الدين حسن محمد، دروس في التربية وطرق التدريس، دار المكتب التربوي الإسلامي، ت: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٢٠. ناصح الدين أبو الفتح الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، م٥١٠ م.



## **عنوان المعارضـة السـلمـية**

**وسلمـية المـعارضـة في موافقـة السـيدة الزـهـراء** لـلـبـلـدـ

**الباحث**

**الشيخ جاسم حمزة مطلـك الكـركـوشـي**

**العتبة العباسـية المـقدـسـة - قـسـم الشـؤـون الفـكـرـية**

**مرـكـز الـدـرـاسـات وـالـمـراجـعـة الـعـلـمـيـة**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

بيان موضوع البحث:

مولاتنا الزهراء، صلوات الله تعالى عليها، وبعد رحيل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى قد عانت من مصائب جمة، ومنها غصب حّقّها في أرض فدك التي كان النبي قد نحلها إياها، ومنها غصب حق زوجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؓ، والاعتداء عليهما، إلّا أنهاً جاها ذلك ولم تسكت عن حّقّها، بل دافعت عنه وعن حق زوجها أيّها دفاع، ولكن بطرق سلمية كانت أمضى من السيف، وأشدّ وطأة من أيّ سلاح آخر، كانت معارضته سلمية بكل معنى العنوان، سحبت البساط من تحت أرجل غاصبيها، وكشفت الأقنعة عن كُل الوجوه. كانت معارضته عقريّة بكل معنى الكلمة، من خلال تعدد الأدوار والمراحل لهذه المعارضة؛ فتارة بالبكاء اللافت لكُل ناظر، وتارة بالشعر الذي يدمي القلب ويلفت كُل ذي لب، وتارة بالخطابة التي ألمحت الأفواه وحيرت العقول، وتارة بخروجها السلمي للدفاع عن إمامها وزوجها أو للخروج إلى دور الأنصار للدفاع عن الحق المسلوب وبيان الحقائق، وتارة بالمقاطعة التي أذلت الأنوف، وتارة بوصيتها بدنفها ليلاً وإخفاء قبرها، ليكون محطاً للتساؤل عبر الأجيال. فكانت هذه الوسائل السلمية مجتمعة من أروع صور المعارضة والمقاومة السلمية التي اتخذتها ؓ والتي بقيت خالدة مدى الدهور تشير إلى عقريّة الزهراء البطل ؓ في معارضتها وفي مقاومتها السلمية في إثبات حّقّها، وفي كشف الحقائق، وفي الدفاع عن الإمامة الإلهية.

**أهمية البحث :**

تأتي أهمية البحث من خلال عرض خطب مولاتنا الزهراء عليها السلام وأشعارها التي قالتها والتي تبين وتوثّق فيها أحزاناً والحقائق التاريخية التي حصلت في تلك المرحلة والتي حاولت الأقلام الأمامية المأجورة إخفائها أو تزييفها، وكذلك بيان أفعال مولاتنا عليها السلام من قبل مقاطعتها ووصيتها في دفنهما ليلاً بإخفاء قبرها والتي أرادت من خلالها مولاتنا الزهراء أموراً مستقبلية تكون محطة التساؤل عبر الأجيال لتكون شاهداً حياً حقيقةً مستمراً يؤكّد أحداث تلك المرحلة وخفاياها، والتي استشرفت مولاتنا المحاوّلات الأمامية المستقبلية التي ستحاول إخفائها فقطعـت عليها السلام هذه المحاوّلات بهذه المقاطعة والوصية.

**أهداف البحث :**

يهدف البحث إلى بيان الوسائل السلمية للمواجهة التي اتخذتها مولاتنا الزهراء عليها السلام في سبيل الدفاع عن حقوقها المغتصبة وحقّ زوجها المسلوب، من خلال الوقوف على أدوارها في تلك المعارضة السلمية، وتبدّل تلك الأدوار حسب ظروف المجتمع وحاله، من خلال استعراض أشعارها وخطبها الخالدة، وبيان باقي مواقفها في المعارضة السلمية، وبيان مدى عبريتها في إنجاح تلك المعارضة من خلال تعدد الأدوار وتبدل الأساليب.

**منهج البحث :**

المنهج المتبّع في هذا البحث هو المنهج التقليدي الوصفي التحليلي

**أسئلة البحث**

السؤال الأصلي: ما هي الأدوار والمراحل للسيدة الزهراء عليها السلام في معارضتها السلمية

## الأسئلة الفرعية:

- ١ - ما هو دور مرحلة تأجيج المشاعر وإثارة الأحزان في المعارضة السلمية لمولانا الزهراء عليها السلام؟
- ٢ - ما هو دور مرحلة الخروج السلمي للدفاع عن الإمامة وعن الحقوق المسلوبة في المعارضة السلمية لمولانا الزهراء عليها السلام؟
- ٣ - ما هو دور مرحلة المقاطعة وتعجيز الطرف الآخر في المعارضة السلمية لمولانا الزهراء عليها السلام؟

## خطة البحث

المبحث الأول: مرحلة تأجيج المشاعر وإثارة الأحزان

المطلب الأول: البكاء الفاطمي

المطلب الثاني: الشعر الفاطمي

المطلب الثالث: الخطاب الفاطمي

المبحث الثاني: مرحلة الخروج السلمي للدفاع عن الإمامة وعن الحقوق المسلوبة

المطلب الأول: خروجها السلمي للدفاع عن أمير المؤمنين عندما أخذوا عليه عليها السلام فخرجت خلفه لمنعهم من قتله.

المطلب الثاني: خروجها السلمي إلى دور الانصار حين دارت مع علي عليها السلام على دورهم وأقامت الحجة عليهم.

المبحث الثالث: مرحلة المقاطعة وتعجيز الطرف الآخر

المطلب الأول: المقاطعة

المطلب الثاني: الوصية

المبحث الأول: مرحلة تأجيج المشاعر وإثارة الأحزان

وفيها مطالب:

المطلب الأول: البكاء الفاطمي

المطلب الثاني: الشعر الفاطمي

المطلب الثالث: الخطاب الفاطمي

### تمهيد:

بعد استشهاد النبي الأكرم ﷺ مرت الزهراء عليها السلام بأصعب الفترات من حياتها. ففي هذه الفترة فقدت أعزّ إنسان على الأرض وسيد الخلق أجمعين، والذي لفراقه بكى جذع نخلة متروك كان قد أخذته النبي منبراً، وحزن لفارق النبي الأكرم، فكيف يكون حزن الزهراء إذن على فقد أبيها، إضافة إلى الأحداث الرهيبة التي جرت بعد استشهاد النبي الأكرم؛ من أحداث السقية المؤلمة، ومن كسر ضلعها، وإسقاط جنينها، وغصب فدك منها، وسلب حق زوجها أمير المؤمنين عليه السلام، فكانت تلك الفترة فترة مؤلمة بكلّ معنى الكلمة، لكنّ مولاتنا الزهراء عليها السلام اتخذت جانب المعارضة السلمية بما يناسب تلك الفترة الزمنية القريبة العهد من رحيل رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه. فكانت وسليتها في المعارضة هي البكاء، والشعر، والخطابة؛ فقد واجهت بهذه الوسائل الحزب القرشي الحاكم، وأرسلت من خلال هذه الأساليب الرسائل العظيمة لبيان مظلوميتها، ولتوسيع الحقائق. ولنأت إلى هذه الوسائل تباعاً:

### الطلب الأول: البكاء الفاطمي

من دون أدني شكّ إنّ بكاء مولاتنا الزهراء عليها السلام، بعد استشهاد أبيها نبينا الأكرم صلوات الله عليه وآله وسلامه لا يخلو من رسائل تحمل في طياتها الكثير من الأبعاد التي تتعدى الحزن على فقدان أبيها، وإن كان الحزن على فقد مثله صلوات الله عليه وآله وسلامه أمر عقلائي. فمن هو المفقود وهو سيد الخلق جميعاً من جهة، ولما هذا فقد من أثر بليغ في النفس، خاصة لمثل الزهراء عليها السلام، والتي أخبرها النبي قبل رحيله بها سيحصل عليها بعده من جهة أخرى. فكان رحيله صلوات الله عليه وآله وسلامه بداية لمرحلة مؤلمة من العذابات التي ستعيشها عليها السلام؛ وهذا ما حصل فعلاً. كما إنّ هذا البكاء هو أمر مشروع، وقد أشار القرآن الكريم إليه في عدد من الآيات الشريفة التي تشير إلى هذا المعنى، ومنها ما ذكره

من بكاء بعض الأنبياء مثل بكاء النبي يعقوب عليه السلام، الذي بكى على ابنه النبي يوسف عليه السلام حتى ابكيت عيناه، وهو على علم تام من أنه على قيد الحياة، حيث ذكر القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفًا عَلَى يُوسُفَ وَأَيْضًا عَلَى حَزْنِهِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُوا تَالَّهِ تَفْتَأِثُ تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.<sup>(١)</sup>

إلا أنّ بكاء الزهراء هذا لم يكن وليد الحزن فقط؛ بل تعدّى ذلك إلى أبعاد أخرى، أبعاد عقائدية وأبعاد سياسية وفلسفية. كما إنّ بكاء النبي يعقوب عليه السلام حزناً على يوسف عليه السلام حتى أصيب بالعمى أمر لا يخلو من فلسفة في فكر النبي يعقوب عليه السلام تؤيده في ذلك السماء، كما مرّ علينا في الآية السابقة.

ونستطيع أن نقرأ من هذا البكاء بعد السياسي الرافض للانحراف السياسي الذي تزعّمه الحزب القرشي الحاكم، بصفته وسيلة من الوسائل التي اتبعتها عليه السلام في معارضتها السلمية، إذ ليس من العقول أن يكون البكاء الصادر منها عليه السلام لفقدان أبيها فقط، وهي الصابرة العالمة المطهرة المعصومة؛ هذا البكاء الذي أشارت إليه بعض الروايات من أنها كانت تديمه الليل والنهار حتى اعترض بعض أهالي المدينة؛ الأمر الذي جعل البعض منهم يطلب من أمير المؤمنين عليه السلام، أن يطلب منها البكاء إما نهاراً وإما ليلاً.<sup>(٢)</sup>

وقد كان من نتائجه بناء الإمام علي عليه السلام ما يعرف بـ(بيت الأحزان).

اذن هناك عدة أسباب وراء هذا البكاء غير الحزن الشديد لفقدان أبيها، ومن بين تلك الأسباب بيان معارضتها السياسية السلمية التي اغتصبت الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٦.

(٢) لاحظ: ابن شهر اشوب، المناقب، ٣٢٢، ٣.

وهذا الأسلوب لم تتفرد به مولاتنا فاطمة عليها السلام من أهل البيت عليهم السلام، بل اتخاذ الإمام السجاد عليه السلام أسلوب البكاء أيضاً في العصر الأموي ليظهر للناس حجم ظلم السلطة الحاكمة لأبيه سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

وما يشهد على بعد الفلسفي على بقاعها هو تعدد الأماكن التي كانت تقيم فيها العزاء، ولتظهر مظلوميتها على فئات المجتمع كافة، سواء من يزورها في بيتها أو من يتواجد في المسجد أو في البقيع؛ فقد دلت الروايات على أنها كانت تقيمها عند قبر النبي ص وفي بيتها وفي البقيع. وكذلك كانت تذهب إلى قبر عمّها حمزة رض عند جبل أحد كل يوم خميس وأثنين. واستمرّ برنامجها هذا طوال مدة بقائها بعد النبي ص. وهذا الاستمرار في إقامة مجالس البكاء ليلاً ونهاراً جعل أهل المدينة يشكرون إلى الإمام علي عليه السلام. فقد ورد في رواياتنا آنَّه: «اجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين فقالوا له: يا أبا الحسن إنَّ فاطمة تبكي الليل والنهار فلا أحد منا يتنهَّى بالنوم في الليل على فرشنا، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معايشنا، وإنَّا نخبرك أنَّ تسألاها إمَّا أن تبكي ليلاً أو نهاراً، فقال: حباً وكرامة. فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتَّى دخل على فاطمة وهي لا تفيق من البكاء ولا ينفع فيها العزاء، فلما رأته سكت هنيئة له، فقال لها: يا بنت رسول الله إنَّ شيخ المدينة يسألوني أن أسألك إمَّا أن تبكين أباك ليلاً وإمَّا نهاراً. فقالت: يا أبا الحسن ما أقلَّ مكثي بينهم، وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم، فوالله لا أسكط ليلاً ولا نهاراً، أو أحق بأبي رسول الله! فقال لها علي: افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك. <sup>(١)</sup>

وورد أيضاً آنَّه قال الإمام الصادق عليه السلام: (البَّكَاؤُونَ خَمْسَةُ آدَمَ، وَيَعْقُوبَ، وَيُوسُفَ، وَفَاطِمَةَ بَنْتَ مُحَمَّدٍ، وَعَلِيَّ بْنَ الْحَسِينِ عليهم السلام).

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ٤٣ / ١٧٧.

فَأَمّا آدَمْ فِي كُلِّ الْجَنَّةِ حَتَّى صَارَ فِي خَدِّيْهِ أَمْثَالَ الْأَوْدِيَّةِ!

وَأَمّا يَعْقُوبَ فِي كُلِّ يَوْسُفِ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهُ، وَحَتَّى قِيلَ لَهُ: تَاهَ اللَّهُ تَعَالَى تَذَكُّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ.

وَأَمّا يَوْسُفَ فِي كُلِّ يَعْقُوبِ حَتَّى تَأْذَى بِهِ أَهْلُ السَّجْنِ؛ فَقَالُوا لَهُ: إِمَّا أَنْ تَبْكِيَ اللَّيلَ وَتَسْكُنَ النَّهَارَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْكِيَ النَّهَارَ وَتَسْكُنَ بِاللَّيلِ، فَصَالَهُمْ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا.

وَأَمّا فَاطِمَةَ فَبَكَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَأْذَى بِهَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا لَهَا: قَدْ آذَيْنَا بَكْرَتَهُ بِكَائِنِ! فَكَانَتْ تَخْرُجُ إِلَى الْمَقَابِرِ فَتَبْكِي حَتَّى تَقْضِي حاجَتَهَا ثُمَّ تَنْصَرِفُ. وَأَمّا عَلَيْهِ بْنُ الْحَسِينِ فَبَكَى عَلَى الْحَسِينِ عَشْرِينَ سَنَةً؛ مَا وَضَعَ بَيْنَ يَدِيهِ طَعَامًا إِلَّا بَكَى حَتَّى قَالَ لَهُ مَوْلَى لَهُ: جَعَلْتَ فَدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ، قَالَ: إِنَّمَا أَشْكُو بَشَّيْ وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، إِنِّي مَا أَذْكُرُ مَصْرَعَ بْنِي فَاطِمَةَ إِلَّا حَنَقْتَنِي لِذَلِكَ عَبْرَةً).<sup>(١)</sup>

مَمَّا اضطُرَّ إِلَيْهِ إِلَى بَنَاءِ بَيْتِ الْأَحْزَانِ لَهُ لِتَخْرُجِهِ إِلَى الْبَقِيعِ، بَعِيدًا عَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي رِوَايَاتِنَا (ثُمَّ إِنَّهُ بْنِي لَهَا بَيْتًا) فِي الْبَقِيعِ نَازِحًا عَنِ الْمَدِينَةِ يُسَمَّى بَيْتُ الْأَحْزَانِ، وَكَانَتْ إِذَا أَصْبَحَتِ الْمَدِينَةُ قَدْمَتِ الْحَسَنِ وَالْحَسِينِ إِمَامَهَا، وَخَرَجَتْ إِلَى الْبَقِيعِ باكِيَةً، فَلَا تَرَالْ بَيْنَ الْقُبُورِ باكِيَةً، فَإِذَا جَاءَ اللَّيلَ أَقْبَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهَا إِلَيْهَا وَسَاقَهَا بَيْنَ يَدِيهِ إِلَى مَنْزِلِهَا»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: الصدوق، الخصال ص ٢٧٢، وأيضاً الصدوق، الأمازي، ص ٢٠٤، وابن شهر آشوب في المناقب: ١٠٤ واليسابوري، روضة الوعاظين ص ٤٥١.

(٢) المجلسي في بحار الأنوار: ٤٣/١٧٧.

والذي يقع خلف مشهد الأئمة عليهم السلام حيث إن مشهد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام يقع في أعلى نقطة في البقيع على يمين الداخل. وموضع بيت الأحزان في البقيع خلف هذا المشهد الشريف من جهة الشرق، وقد هدم الوهابيون في سنة ١٣٤٨هـ. هجرية مشهد الأئمة عليهم السلام، وما زال قسم من جداره الشرقي موجوداً، وقد شمل الهدم بيت الأحزان أيضاً. قال صاحب الذريعة: «ولكن انهدم بيت الأحزان في بقيع الغرقد لجاورته مراقد أئمة الشيعة عليهم السلام، وذلك لأجل أن الله قد يؤخذ الجار بجرائم الجار».<sup>(١)</sup>

أما مكانها الثاني الذي كانت ترتاده للبكاء خارج المدينة، فهو موضع الشهداء في أحد، عند قبر عم أبيها الحمزة رض، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (عاشت فاطمة بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً لم تُرْ كاشرة ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مررتين الاثنين والخميس فتقول: ها هنا كان رسول الله صلوات الله عليه وسلم ها هنا كان المشركون. وفي رواية: كانت تصلي هناك وتدعى حتى ماتت عليه السلام).<sup>(٢)</sup>

وفي كشف الإرتياب: (كانت تزور قبر عمها حمزة في كل جمعة فتصلي وتبكي عنده).<sup>(٣)</sup>.

أما في المصادر السنوية، فقد ذكر هذا المعنى، فقد أورد د مهدي الروحاني في كتابه في أحاديث أهل البيت عليهم السلام: تحت عنوان: باب زيارة فاطمة عليها السلام قبر عمها حمزة -رحمه الله- مجموعة من المصادر السنوية التي روت ذلك، منها مصنف عبد الرزاق، وفيه: «كانت تأتي

قبر حمزة وكانت قد وضعت عليه علماً»<sup>(٤)</sup> وكذلك مثله في طبقات ابن سعد<sup>(٥)</sup>.

(١) الطهراني، آغا بزرك، الذريعة: ٧/٥٢.

(٢) الكليني، الكافي: ٣/٢٢٨.

(٣) السيد الأمين، كشف الإرتياب، ص ٣٣٩.

(٤) عبد الرزاق، المصنف: ٣/٥٧٢-٥٧٤.

(٥) ابن سعد، الطبقات: ٣/١٩.

(٦) انظر: الروحاني، مهدي، أحاديث أهل البيت عليهم السلام: ١/٥٤٨.

المطلب الثاني: الشعر الفاطمي

كان الأسلوب الآخر من أساليب المعارضة السياسية السلمية في فكر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ومنهجها، هو الشعر الرثائي تجاه العسكر القرشي الظالم لها. فهي من جهة تبليغ أحزانها وتشير إلى عظيم حزنهما على فراق سيد الخلق؛ ومن جهة أخرى تبين الحقائق التي يحاول الطرف الآخر إخفاءها. وبعد دفن النبي الأكرم ص، وبعد ما حل بها، روت مصادر الحديث والسيرة أحاديث أخرى تهزّ القلب، منها «أنّها أخذت قبضة من تراب النبي ص» فوضعتها على عينيها ثمّ قالت:

أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا

**صُبَّتْ عَلَى الْأَيَامِ عُدْنَ لِيَالِيٍ<sup>(١)</sup>**

ماذاعلى من شمّ تربة أَحْمَدٌ

**صُبْتُ عَلَيْ مصائبٍ لِوَأْنَهَا**

أما أشعارها الأخرى، فقد كانت مشحونة بذكر الأبعاد الأخرى التي كانت تشير إليها [الله](#) وطرح من خلالها قضيتها الأساسية، وطرح مظلوميتها وحقّها السليب، فمن

ذلك ما قالته عليه السلام:

١ - قوها

لو كنت حاضرها لم تكثر الخطب  
فاختل قومك فاشهدهم فقد نكبوها  
عند الإله وللأدينين مقترب  
لما فقذت وكل الإرث قد غصبوها  
جهراً وقد أدركونا بالذى طلبوا  
<sup>(٢)</sup> يوم القيامة عناً كيف ينقلب

قد كان بعده أبناء وهن بشة  
إنا فقدناكَ فقدَ الأرضِ وابلها  
وكُلّ قوم لهم قربى ومتزلة  
أبدت رجال لنا فحوى صدورِهمْ  
تجهَّمتنا رجال واستخفَّ بنا  
سيعلم المتولى ظلم خاصتنا

(١) أحمد بن حنبل، المسند: ٤٨٩ / ٢

(٢) ان: شهر آشوب، المناق، ٥١، ٢،

نجد في هذه الآيات الكثير من الرسائل التي أرسلتها الله والتي كانت تهدف من وراء ذلك إلى إيقاف المجتمع على بعض الحقائق الغامضة لديهم، أو إقامة الحجّة على جميع المجتمع، للظلم الذي نالها من دون أن تجد الناصر أو المعين.

إنها - بهذه الآيات - لخصت أبرز الأحداث السياسية بطريقة تحمل في طياتها الرمزية الواضحة لأبناء المجتمع المدني، وأبرز تلك الأحداث الآتي:

- ١- انقلاب السقيفة: حيث تشير الله بصورة واضحة مؤكدة إلى وقوع هذا الانقلاب من قبل زعماء قريش.
- ٢- اغتصاب إرثهم: حيث أكدت الله على أساليب القوم تجاه أهل البيت الله من خلال عرض المظلومية الاقتصادية التي واجهتهم، والتي تمثلت في اغتصاب أرض فدك.
- ٣- عدم إعطائهم مكانهم الطبيعية في الأوساط المجتمعية.

ونتيجة لهذه المظلوميات التي وقعت عليها كان في أبياتها إعلان تهديد صريح للظالمين ومصيرهم الذي سوف يكون جراء ما اقترفته أيديهم.

#### ٤- قوله الله:

إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَرْخَتِي وَنَدَائِي	قُلْ لِلْمُغَيْبِ تَحْتَ أَطْبَاقِ الشَّرِّ
صُبْتُ عَلَى الْأَيَامِ صِرْنَ لِيَا لِيَا	صُبْتُ عَلَى مَصَابِ لَوَأَهْمَا
لَا أَخْشُ مِنْ ضَيْمٍ وَكَانَ جَمَالِيَا	قَدْ كُنْتَ ذَاتَ حَمْى بَظَلَّ مُحَمَّدٌ
ضَيْمِيْ وَأَدْفَعَ ظَالِمِي بِرَدَائِيَا	فَالْيَوْمَ أَخْشَعُ لِلذِّلِيلِ وَأَتَقْنِي
شَجَنَاً عَلَى غَصْنِ بَكِيْتُ صَبَاحِيَا	فَإِذَا بَكَتْ قَمَرِيَّةُ فِي لَيْلَهَا
وَلَا جَعَلْنَ الدَّمْعَ فِيَكَ وَشَاحِيَا	فَلَا جَعَلْنَ الْحَزَنَ بَعْدَكَ مُؤْنَسِي
أَنْ لَا يُسْمَ مَدِي الزَّمَانَ غَوَالِيَا <sup>(١)</sup>	مَاذَا عَلَى مِنْ شَمَّ تَرْبَةَ أَحْمَدٍ

(١) ابن شهر اشوب المناقب، ٢، ٢٠٨.

فمن مجموع هذه الآيات، يُفهم أنَّ الزهراء عليها السلام أرادت إيصال الرسائل الآتية:

- ١ - منزلتها عند الله تعالى وقربتها من رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، وعدم مراعاة بعض الشخصيات لتلك المنزلة والقرابة.
  - ٢ - المظلومية التي وقعت عليها عليها السلام من الهجوم على دارها وكسر ظلعها وإسقاط جنينها.
  - ٣ - الإشارات الرمزية لشخصيات لم تصرح عليها السلام بأسمائهم من الظالمين لها.
  - ٤ - رمزية المنبر النبوي الذي يمثل القيادة السياسية الذي اغتصبه الحزب الحاكم الجديد الذي يحكم باسم الإسلام.
- وعلى ضوء ما ذكر من كلماتها عليها السلام يمكن القول إنَّها عليها السلام نجحت نجاحاً كبيراً في إيصال الرسائل التي أرادت إيصالها إلى المجتمع الذي فقد بوصولته في بحر الأحداث السياسية التي عصفت به بعد رحيل النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه.

### **المطلب الثالث: الخطاب الفاطمي**

كان أسلوب الخطابة من الأساليب التي اتخذتها عليها السلام موقفاً للمواجهة السلمية مع الطرف المقابل الغاصب لحقها والغاصب لحق زوجها وإمامها.

وقد مثلَّ البعد العقدي الذي ضمَّنته عليها السلام في خطابها، سواء الذي كان في مسجد النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، أو الذي كان في بيتها مع نساء المهاجرين والأنصار عند عيادتهنّ لها، الكثير من الإشارات السياسية السلمية في الدفاع عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام؛ فلذلك كان لها عليها السلام عدّة خطابات في أحداث متعددة ومنها:

## ١. خطابها في المسجد النبوى

ورد في مواقف الشيعة للأحدى: «روى عبد الله بن الحسن بإسناده، عن آبائه عليهم السلام أنه لما منعت فاطمة عليها السلام فدكاً وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبها، وأقبلت في ليلة من حفتها ونساء قومها، طرأ ذيولها، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله صلوات الله عليه وسلم، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاعة، فجلست ثم أنت أنه أجهش القوم لها بالبكاء، فارتजَّ المجلس! ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاحة على رسوله صلوات الله عليه وسلم فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها <sup>(١)</sup>، وقالت خطبتها المعروفة والتي أثرت في القوم تأثيراً كبيراً، وأبكت كل من في المسجد حتى قال عنها في شرح النهج: «فما رأينا يوماً أكثر باكيًا أو باكية من ذلك اليوم» <sup>(٢)</sup>.

وفي خطبتها العصماء هذه التي خطبتها في المسجد النبوى والتي أعرضنا عن ذكرها لطولها وسنكتفي منها بمحل الشاهد، وضعفت السيدة الزهراء النقاط على الحروف، وأرسلت رسائل متعددة؛ منها إلى الحزب الحاكم، ومنها إلى الجمھور المتحير الذي أذهله صدمة فقد النبي الأكرم صلوات الله تعالى عليه، والأحداث المتتسارعة في المدينة بعد وفاته مباشرة، والذي أضاع فيه دربه.

وقد يبيّن خطابها عليها السلام أهم المواقف السياسية الشرعية التي ميزت بين الحق والباطل، وقد أعلنت عليها السلام في خطابها الذي أكدت من خلاله اهتداء الناس برسول الله صلوات الله عليه وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام، الذي كان يدافع عن تلك الهدایة وديموتها، كما في قوله: (كلما أوقدوا ناراً

(١) الأحدى، مواقف الشيعة: ٤٥٨ / ١.

(٢) محمد عبد، شرح نهج البلاغة: ٢٥٢ / ١٦.

للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في هواتها، فلا ينكمفه حتى يطأ جناحها بأحصنه، ويخمد هبها سيفه، مكدوّداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً مجداً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم<sup>(١)</sup>.

ثم تنتقل بعد ذلك لِتَبَيَّنَ لِلْأُمَّةِ خيانتها وغدرها وانحرافها عن مسار التخطيط الإلهي والنبيي بقولها: (فَلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ لَنْبِيِّهِ دَارَ أَنْبِيَائِهِ وَمَأْوَى أَصْفَيَاَهُ ظَهَرَ فِيْكُمْ حَسِيْكَةُ النَّفَاقِ، وَسَمِلَ جَلِبابُ الدِّينِ، وَنَطَقَ كَاظِمُ الْغَاوِينِ... وَأَطْلَعَ الشَّيْطَانَ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزَةِ هَاتِفَأَبِكُمْ، فَأَلْقَاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجِيْبِيْنَ - ثُمَّ اسْتَهْضَكُمْ فَوْجَدَكُمْ خَفَافِاً - وَالرَّسُولُ لَمْ يَقْبِرْ ابْتِدَارِاً زَعْمَوَا خَوْفَ الْفَتْنَةِ: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمُحِيطَةٍ بِالْكَافِرِيْنَ﴾<sup>(٢)</sup>).

ثم تنتقل بعده لبيان المرجعية الإلهية للأمة في جميع أمورهم الدينية والدنيوية حين قالت: (أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخَصْصَوْصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِيِّ).

ثم تتوجه إلى الأمة المتحيرة لنبّوحهم على انحرافهم عن إمامهم الحق أمير المؤمنين لِتَبَيَّنَ بقولها: (وَيَحْمِمُهُمْ أَنِّي زَعَزَعُوهَا عَنْ رَوَاسِي الرِّسَالَةِ وَقَوَاعِدِ النَّبُوَّةِ وَالدَّلَالَةِ وَمَهْبِطِ الرُّوحِ الْأَمِينِ وَالظَّبِينِ بِأَمْوَالِ الدِّينِ، أَلَا ذَلِكُ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ. وَمَا الَّذِي نَقَمُوا مِنْ أَبِي الْحَسْنِ؟! نَقَمُوا وَاللَّهُ مِنْهُ بَنْكِيرُ سِيفِهِ، وَقَلْمَةُ مِبَالَاتِهِ لَحْفَهُ وَشَدَّةُ وَطَأَتِهِ وَنَكَالُ وَقَعْتِهِ وَتَعْيِزِهِ فِي ذاتِ اللهِ؛ لَوْ مَالُوا عَنِ الْحَجَّةِ الدَّائِمَةِ وَزَالُوا عَنْ قَبْوِ الْحَجَّةِ الْوَاضِحةِ لِرَدِّهِمْ إِلَيْهَا وَحَمْلِهِمْ عَلَيْهَا وَلَسَارُهُمْ سِيرَأً سَجِحَّاً - لَيْتَ شَعْرِيَ إِلَى أَيِّ اسْنَادٍ اسْتَنَدُوا - وَلَبَئِسَ لِلظَّالِمِينَ بِدَلَالَةِ<sup>(٣)</sup>).

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ١/٣٠٨.

(٢) المصدر السابق.

وما تقدم يتبيّن أنّ التراث الخطابي الفاطمي أكّد الدفاع عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه المقتطفات من خطابها تثبت ذلك، وتوكّد ما هو الهدف الحقيقى لخروجها عليه السلام وأنّ خروجها وكلامها في الدفاع عن حقّها المغتصب لفدرك وغيرها، ما هو إلّا طريق فحسب لقضيتها الكبرى وهي دفاعها عن حقّ إمامها أمير المؤمنين عليه السلام، بالإضافة إلى قيامها بتكليفها الشرعي للمطالبة بحقوقها الاقتصادية، أو للقيام بواجبها الشرعي في أداء فريضة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الذي أدّته كما يجب في خطابها.

## ٢ - خطابها مع نساء الأنصار والمهاجرين عند مجئهنّ لعيادتها عندما اشتَدَّ مرضها:

في معاني الأخبار للصادق عليه السلام: عن فاطمة بنت الحسين عليه السلام قالت: «ما اشتَدَّ عَلَّةُ فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليها، اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت من عَلَّتك؟ فقالت:

أصبحت والله عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم! لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشأنهم بعد أن سبرتهم، فقبحاً لفلول الحدّ وخور القناة، وخطل الرأي، وبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون!

لا جرم لقد قلَّدُوكم ربّتها وشنتّ عليهم عارها، فجدعأً وعمرأً وسحقاً للقوم الظالمين!  
ويحهم آنّي زحزوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الوحي الأمين، والطين  
بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما نعموا من أبي حسن؟! نعموا والله منه  
نکير سيفه، وشدّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله عزّ وجلّ! والله لو تكافأوا عن  
زمام نبذه رسول الله عليه السلام لاعتلقه، ولسار بهم سيراً سجحاً، لا يُكلّم خشاشه ولا يُتعنّع  
راكبه، ولأوردتهم منهاً نميرًا فضفاضاً تطوح ضفتاه، ولأصدرهم بطاناً قد تخير لهم الريّ

غير متصل منه بطائل إلّا بغمّر الماء، وردعة سورة الساغب ولفتتحت عليهم برّكات السماء  
والأرض، وسيأخذهم الله بها كانوا يكسبون!

ألا هلمَّ فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب وإن تعجب وقد أعجبك الحادث، إلى  
أيِّ سناد استندوا؟ وبأيَّة عروة تمسّكوا؟ استبدلوا الذنابي والله بالقوادم، والعجز بالكافل،  
فرغمًا لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسّنون صنعاً! ألا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا  
يَشْعُرُونَ.. أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحُقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ  
كَيْفَ تَحْكُمُونَ!

أما لعمري والله لقد لقحت، فنظرَةً ريثما تنتجوها، ثم احتلبوها طلاع القعب دماً عبيطاً  
وزعافاً مقرأً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غَبَّ ما أسس الأولون! ثم طيبوا عن  
أنفسكم نفسهاً، واطمأنوا للفتنة جائشاً، وأبشروا بسيف صارم، وهرج شامل واستبداد من  
الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وزرعكم حصيداً! فيا حسرتي لكم، وأنّى بكم وقد عمّيت  
عليكم، أنزل مكموها وأنتم لها كارهون»!<sup>(١)</sup>

(١) الصدوق، معاني الأخبار ص ٣٥٤، ورواه الطوسي في الأمالي ص ٣٧٤.

## المبحث الثاني

### مرحلة الخروج السلمي للدفاع عن الإمامة وعن الحقوق المسلوبة

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** خروجها السلمي للدفاع عن أمير المؤمنين عندما أخذوا عليه عليه السلام فخرجت خلفه لمنعهم من قتله.

**المطلب الثاني:** خروجها السلمي إلى دور الأنصار حين دارت مع علي عليه السلام على دورهم وأقامت الحجة عليهم. -

#### تمهيد:

هذه هي المرحلة الثانية أو الدور الثاني من أدوار المعارضة السلمية لولاتنا الزهراء عليها السلام، والتي تتناسب مع تلك الظروف التي كان يعيشها المجتمع، من خذلان إمامهم، ومن السكوت عن الحقوق المغتصبة، ومن الرضا بالأمر الواقع، فرأى الزهراء عليها السلام أنه لا بد لها من القيام بواجبها الشرعي من الخروج السلمي للدفاع عن إمام زمانها أمير المؤمنين عليه السلام، ومن الخروج إلى دور الأنصار أيام عديدة لتذكيرهم بما عاهدوا عليه رسول الله ص، ولبيان خذلانهم لإمامهم، وتذكيرهم بحقها وحق زوجها المغتصب.

**المطلب الأول:** خروجها السلمي للدفاع عن أمير المؤمنين عندما أخذوا عليه عليه السلام فخرجت خلفه لمنعهم من قتله.

سجّل لنا التاريخ حادثة خروجها عليه السلام للدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام حين أخرج من داره مقيداً بحائل سيفه، فخرجت مدافعة عنه، فقد ورد في الكافي الشريف: «عن أبي هاشم

قال: لما أخرج علي عليهما السلام خرجت فاطمة عليها واضعة قميص رسول الله عليهما السلام على رأسها، آخذة بيدي ابنيها فقالت: ما لي وما لك يا أبا بكر، تري أن تؤتم ابني وترملني من زوجي، والله لو لا أن تكون سيئة لنشرت شعري ولصرخت إلى ربّي! فقال رجل من القوم: ما نريد إلى هذا، ثم أخذت بيده فانطلقت به»<sup>(١)</sup>.

وفي الاختصاص زيادة على ما مرّ أنها خرجت وأخذت بيد الحسن والحسين متوجّهة إلى القبر! فقال علي لسلمان: يا سلمان أدرك ابنة محمد.. الخ.»<sup>(٢)</sup>.

ولعله في كتاب الاحتجاج تكون الصورة أكثر وضوحاً فقد ورد فيه:

عن الإمام جعفر الصادق عليهما السلام أنه قال: «لما استخرج أمير المؤمنين عليهما السلام من منزله خرجت فاطمة -صلوات الله عليها- خلفه، فما بقيت امرأة هاشمية إلا خرجت معها، حتى انتهت قريباً من القبر فقالت لهم: خلوا عن ابن عمّي فوالذي بعث محمداً أبي بالحق إن لم تخروا عنه لأنشرنَ شعري ولا ضعنَ قميص رسول الله على رأسي، ولا صرخنَ إلى الله تبارك وتعالى، فما صالح بأكرم على الله من أبي، ولا الناقة بأكرم مني، ولا الفصيل بأكرم على الله من ولدي!»

قال سلمان عليهما السلام: كنت قريباً منها، فرأيت والله أساس حيطان مسجد رسول الله تقلعت من أسفلها، حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها لنفذ، فدنوت منها فقلت: يا سيدي ومولاي إن الله تبارك وتعالى بعث أباك رحمةً فلا تكوني نعمة، فرجعت ورجعت الحيطان حتى سطعت الغربة من أسفلها، فدخلت في خياشيمنا»<sup>(٣)</sup>.

(١) الكليني، الكافي: ٨ / ٢٣٧.

(٢) الصدوق، الاختصاص، ص ١٨٦.

(٣) الطبرسي، الاحتجاج: ١ / ١١٣.

**المطلب الثاني:** خروجها السلمي إلى دور الأنصار حين دارت مع علي عليهما السلام على دورهم وأقامت الحجة عليهم:

فقد دارت عليهما السلام مع أمير المؤمنين عليهما السلام على دور الأنصار أيامًا عديدة لإقامة الحجة عليهم ولتبنيه المجتمع إلى خطأ خذلانهم لعلي بن أبي طالب، وإلى ما سيؤول إليه الحال في المستقبل القريب إن بقي المجتمع على سكوته ورضاه بواقع الحال الذي انتهى إليه.

فقد ورد في الاختصاص: «خرجت وحملها علي على أتان، عليه كساء له حمل، فدار بها - أربعين صباحاً - في بيوت المهاجرين والأنصار والحسن والحسين معها، وهي تقول: يا معشر المهاجرين والأنصار أنصروا الله فإني ابنة نبيكم، وقد بايعتم رسول الله يوم بايعتهموه أن تمنعوه وذررته مما تمنعون منه أنفسكم وذراريكم، ففوا لرسول الله بيعتمكم! قال: فما أعنها أحد ولا أجابها ولا نصرها!»<sup>(١)</sup>

وفي الخصال للصدوق: «خاطبت الأنصار فقالوا: يا بنت محمد لو سمعنا هذا الكلام منك قبل بيعتنا لأبي بكر ما عدنا بعلي أحداً، فقالت: وهل ترك أبي يوم غدير خم لأحد عذرًا؟»<sup>(٢)</sup>

(١) الاختصاص ص ١٨٣، من حديث فدك. وفيه زيادة لا بأس بذكرها لبيان خذلان الناس لها (قال: فانتهت إلى معاذ بن جبل فقالت: يا معاذ بن جبل إني قد جئتكم مستنصرة، وقد بايعت رسول الله عليهما السلام على أن تنصره وذررته وتنفع منه نفسك وذررتك، وأنّ أبي بكر قد غصبني على فدك وأخرج وكيلي منها! قال: فمعي غيري؟ قالت: لا، ما أجابني أحد. قال: فأين أبلغ أنا من نصرتك؟ قال: فخرجت من عنده ودخل ابنته؛ فقال: ما جاء بابنة محمد إليك؟ قال: جاءت تطلب نصري على أبي بكر فإنه أخذ منها فدكاً، قال: فما أجبتها به؟ قال قلت: وما يبلغ من نصري أنا وحدي؟ قال: فأيّست أن تنصرها! قال: نعم، قال: فأيّ شيء قالت لك؟ قال: قالت لي: والله لأنازعنك الفضيحة من رأسي حتى أرد على رسول الله، قال فقال: أنا والله لأنازعنك الفضيحة من رأسي حتى أرد على رسول الله إذ لم تجب ابنة محمد! قال: وخرجت فاطمة من عنده وهي تقول: والله لا أكلمك كلمة حتى اجتمع أنا وأنت عند رسول الله، ثم انصرفت».

(٢) الصدوق، الخصال ص ١٧٣.

إنّ هذه الحادثة ذكرتها المصادر السنّية أيضًا، فقد ذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: (وخرج علي -كرم الله وجهه- يحمل فاطمة بنت رسول الله ﷺ على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول علي -كرم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفعه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟! فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم).<sup>(١)</sup>

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ٢٩ / ١.

### المبحث الثالث

## مرحلة المقاطعة وتعجيز الطرف الآخر

المطلب الأول: المقاطعة

المطلب الثاني: الوصية

تمهيد:

بعد أن قامت مولاتنا الزهراء بكل ما عليها من توضيح الحقائق، وبيان الانقلاب على الأعقاب، وبيان خذلان الناس لإمامهم، اخذت الزهراء عليها السلام أسلوبا آخر في المعارضة السلمية، وهو أسلوب عجيب، نادر، استثنائي، باق ما بقي الزمن، أبكت به عيون ظالميها، وسجلت على مدى الأيام وتقادم السنين، سجلت فيه انتصارها على ظالميها، بفعلها الخالد الذي لم تستطع أن تغيره السنين، ولا أن تخفيه أو الأقلام المأجورة، ومنها:

**المطلب الأول: المقاطعة**

وقد كان هذا أسلوبا آخر من الأساليب التي اتخذتها مولاتنا فاطمة عليها السلام في معارضتها السلمية. وقد اتفقت روایات الطرفين على أن موقف فاطمة عليها السلام في إدانة السقيفة كان أشدّ من موافق الجميع.

وروت مصادرنا، ومصادرهم كابن قتيبة، على أنها عليها السلام أدانت ذلك بالقول والفعل. وعندهما طلب الرجال المجيء إلى بيتها للاعتذار منها لهجومهم على بيتها، لم تقبل دخولهما بيتها، فتوسّط لها علي عليها السلام ودخلها، فلم تردد عليها السلام وأدارت وجهها إلى الحائط، وناشتها وهي غاضبة، أما سمعا من النبي صلوات الله عليه وآله وآله وآله في من أغضبها فشهادا بذلك، فأعلنت غضبها عليهم ومقاطعتها لهم، وأنّها ستتشكّوهما إلى الله ورسوله صلوات الله عليه وآله وآله وآله، وتدعوا عليهم بعد كل صلاة!

في كتاب سليم، ورد: «فدخلوا وسلمًا وقالا: إرضي عنّا رضي الله عنك. فقالت: ما دعاكما إلى هذا؟ فقالا: اعترفنا بالإساءة، ورجونا أن تعفي عنّا وتخرجي سخيمتك. فقالت: فإن كتما صادقين فأخبراني عنّا أسألكما عنه فإني لا أسألكما عن أمر إلا وأنا عارفة بأنكم تعلماني، فإن صدقتما علمت أنكم صادقان في مجئكم. قالا: سلي عنّا بداعك. قالت: نشدتكما بالله هل سمعتي رسول الله ﷺ يقول: فاطمة بضعة مني فمن آذها فقد آذاني؟ قالا: نعم. فرفعت يدها إلى السماء، فقالت: اللهم إنّما قد آذاني فأناأشكره ما إليك وإلى رسولك. لا والله لا أرضى عنكم أبداً حتى ألقى أبي رسول الله وأخبره بها صنعتكم فيكون هو الحكم فيكم! قال: فعند ذلك دعا الأول بالويل والثبور، وجزع جزعاً شديداً. قال الثاني: تجزع يا خليفة رسول الله من قول امرأة». (١)

وفي رواية الشرائع قريب من هذا. (٢)

وأما في المصادر السنوية فقد أورد صاحب الغدير رضي الله عنه عن كتاب الإمامية والسياسة، وأعلام النساء للجاحظ: «قالت: فإنيأشهد الله وملائكته أنكم أسخطتاني وما أرضيتاني، ولئن لقيت النبي لأشكونكم إليه. فقال أبو بكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة! ثم انتصب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن ترتفق، وهي تقول: والله لأدعونك عليك في كل صلاة أصلّيها. ثم خرج باكياً فاجتمع الناس إليه فقال لهم: يبيت كلّ رجل معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه؛ لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي...» (٣).

(١) سليم، كتاب سليم بن قيس، ص ٣٩١.

(٢) انظر: الصدوق، علل الشرائع: ١/١٨٧.

(٣) الأميني، الغدير: ٧/٢٢٨، نقلأ عن الإمامية والسياسة: ١/١٤، وأعلام النساء للجاحظ: ٣/١٢١٤.

وأما في البخاري، فقد ورد فيه: عن عائشة: «غضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبي بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت. وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر». <sup>(١)</sup>

وقد أشارت إلى هذا المعنى عدد من المصادر بتعابير عده منها: ( فهيجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت) <sup>(٢)</sup>.

### **المطلب الثاني: الوصية:**

أما وصيتها فهي الوسيلة الخالدة عبر الأجيال، وهي شاهد حيٍّ ومستمرٍ على موقفها السياسي الرافض لتلك الجماعة، لتكون صرخة مدوية عبر الأجيال تدفع كل ذي لب للتساؤل عن قضايا تلك الأحداث، وعن خفايا تلك المرحلة. وبعد أن تعرضت السيدة فاطمة عليها السلام للمصائب الكثيرة، كاستشهاد أبيها رسول الله ﷺ، وأحداث السقيفة، وإسقاط جينيها، أصبحت -صلوات الله عليها- بالمرض الشديد<sup>(٣)</sup>، إلى الحد الذي أصبح معه جسمها من شدة المرض كالخيال<sup>(٤)</sup>، أوصلت إلى أمير المؤمنين عليه السلام بوصيتها.

ففي أمالى المفيد: عن الحسين عليه السلام قال: «فلما حضرتها الوفاة أوصت أمير المؤمنين عليه السلام أن يتولى أمرها ويدفنه ليلاً ويعفي قبرها<sup>(٥)</sup>، وقد جاء في وصيتها: ((يا ابن عم، إنه قد نعيت إلى نفسي، وإنني لأرى ما بي لاأشك إلا أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي. قال لها علي عليه السلام: أوصيني بما أحببتي يا بنت رسول الله ﷺ، فجلس عند رأسها وخرج من كان في البيت ثم قالت: ... أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء

(١) البخاري: ٤ / ٤٠.

(٢) مسلم التيسابوري، صحيح مسلم، ١٥٥ / ٥، البيهقي، السنن، ٦ - ٢٠٠.

(٣) المفيد، الأimali، ٢١٨.

(٤) الحاكم النسابوري، مستدرك الصحيحين، ٣ - ١٦٢.

(٥) المفيد، الأimali ص ٢٨١.

الذين ظلموني وأخذوا حقّي فإنّهم أعدائي..... وأن لا يصلني على أحد منهم، ولا من أتباعهم، وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأ بصار).<sup>(١)</sup>.

عند الوقوف على كلمات هذه الوصية نجد كثيراً من الأبعاد الأساسية والمهمة، على الرغم من قصر كلمات هذه الوصية؛ ومن هذه الأبعاد:

١- إرسال رسالة واضحة لبيان عدم رضاها عن ظلمها إلى آخر حياتها المقدسة من خلال منعهم من حضور تشييعها.

٢- منع ظالميها من شرف حضور جنازتها، والذي له آثاره الدينية والدنوية، والتي أرادت بوصيتها حرمانهم من هذا الشرف.

٣- قطع الطريق عنّم سوف يعمد إلى وضع الروايات التي تنصّ على رضاها لهم لا عن ظلمها.

٤- أسست لهم لا لمبدأ الموت من أجل القضية الكبرى، فصارت لهم لا أول امرأة في الإسلام ضحّت من أجل الدفاع عن ولاية أمير المؤمنين لهم لا.

وبعد أن أبلغت وصيتها رحلت إلى ربّها شاكية ظلم ظالميها، وجورهم عليها، وسخطها عليهم، حارمة لهم من شرف تشييعها وحضور جنازتها.

ففي كتاب سليم بن قيس: «قال ابن عباس: فقبضت فاطمة من يومها فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله لهم لا. فأقبل أبو بكر وعمر يعزّيان عليهما و يقولان له: يا أبا الحسن لا تسقينا بالصلوة على ابنة رسول الله... فلما كان في الليل دعا علي العباس والفضل والمقداد وسلمان وأبا ذر وعماراً، فقدم العباس

(١) النيسابوري، روضة الوعاظين، ١٥١.

فصلٌ عليها ودفنوها. فلماً أصبح الناس أقبل أبو بكر وعمر والناس يريدون الصلاة على فاطمة عليها السلام قال المداد: قد دفنا فاطمة البارحة.<sup>(١)</sup>

وفي أمالى المفيد: عن الحسين عليه السلام قال: «فلما حضرتها الوفاة... تولى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام ودفنتها وعفى موضع قبرها، فلما نفخ في يده من تراب القبر هاج به الحزن، فأرسل دموعه على خديه، وحول وجهه إلى قبر رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه.<sup>(٢)</sup>

(١) سليم بن قيس، كتاب سليم، ص ٣٩٢.

(٢) المفيد، الأمالى، ص ٢٨١.

## الخاتمة

اختذت مولاتنا الزهراء عليها السلام أسلوب المعارضة السلمية بعد استشهاد النبي الأكرم -صلوات الله تعالى عليه وعليها-، فلم تسكت عن حقّها وحقّ زوجها المعتضب، بل واجهت ظالميها والحزب القرشي الحاكم بأشدّ مواجهة، وبأقوى مقاومة، ولكنّها مقاومة سلمية، وأي مقاومة وأي معارضة، حيث كان لها عليها السلام أساليب متنوعة وأدوار مختلفة في هذه المقاومة والمعارضة. وكلّ أسلوب يتناسب مع المرحلة التي يعيشها المجتمع، ومع كلّ ظرف يحيط به، ففي ظرف الأيام الأولى لرحيل النبي الأكرم كانت الصدمة برحيله، فكان أسلوب البكاء والشعر والخطابة هو الأسلوب الأمثل، وبعد أن استبدّ القوم بغيرهم، لجأت الزهراء إلى الأسلوب الأقوى والأنفع، وهو أسلوب الخروج الفعلي للمطالبة بالحق المسلوب، وللدفاع عن إمام زمانها، وعن إمامته. أما بعد أن استسلم المجتمع، واتخذ جانب الصمت والخذلان والتخاذل، اختذلت الزهراء عليها السلام الأسلوب الأخير في المعارضة، وهو أسلوب المقاطعة، والوصية بعدم حضور جنازتها من قبل أفراد الحزب الحاكم، وتغيب قبرها ليظلّ شاهداً مدى الأزمان على ظلم ظالميها، وعلى عنفوان معارضتها السلمية.

## نتائج البحث

- ١ - رغم الظرف الحسّاس الذي كانت تعيشه الأمة، والخذلان الذي أصاب المجتمع إلّا أنّ مولاتنا الزهراء عليها السلام لم تسكت عن حقّها المغتصب، بل طالبت به بشتى الوسائل.
- ٢ - قامت مولاتنا الزهراء عليها السلام بدورها الكامل بأداء واجبها الشرعي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٣ - دافعت مولاتنا الزهراء عليها السلام عن مبدأ الإمامة والذي كان هو الهدف الأهمّ من معارضتها بكلّ الوسائل السلمية المتاحة، ولم تتوانَ عن بذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك.
- ٤ - قامت مولاتنا الزهراء بالوقوف بوجه الحزب القرشي الحاكم، بشتى الوسائل السلمية، والتي من خلالها أثبتت حقّها وحقّ زوجها، أمام الرأي العام، الذي أصابته الحيرة والخذلان نتيجةً لأحداث تلك الفترة.
- ٥ - انتصرت مولاتنا الزهراء على ظالميها من خلال خلود معارضتها السلمية بأشكالها المختلفة

## المصادر

### القرآن الكريم

- ١- أحاديث أهل البيت عليه السلام عن طرق أهل السنة، مهدي الحسيني الروحاني، سنة الطبع، ربيع الأول ١٤٢١.
- ٢- الاحتجاج على أهل اللجاج، (للطبرسي)، أحمد بن علي، تاريخ وفات مؤلف: ٥٨٨ ق، محق / مصحح: خرسان، محمد باقر، ناشر: نشر مرتضى، مكان الطبع: مشهد، سنة الطبع: ١٤٠٣ ق، الطبعة الأولى.
- ٣- الأمامي، الطوسي محمد بن الحسن، الوفاة ٤٦٠، سنة الطبع ١٤١٤ ، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى.
- ٤- الأمامي، المفید، محمد بن النعيم، الوفاة ٤١٣ ، سنة الطبع ١٤١٤ - ١٩٩٣ م، الناشر دار المفید للطباعة والنشر والتوزيع - لبنان، تحقيق حسين الأستاد ولی علی أكبر الغفاری، الطبعة الثانية.
- ٥- الأمامي، الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي؛ تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، قم الطبعه: الأولى ١٤١٧ هـ. ق
- ٦- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، الوفاة ٢٧٦، سنة الطبع ١٤١٣ - ١٣٧١ ش، الناشر: انتشارات الشیف الرضی، تحقيق علی شیری، الطبعة الأولى.

- ٧- بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر بن محمد تقى المجلسي، الناشر: مؤسسة الوفاء
- ٨- الخصال، ابن بابويه، محمد بن علي، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٨١ ق، محقق / مصحح: غفارى، على أكبر، ناشر: جامعة مدرسین، مكان الطبع: قم، سنة الطبع: ١٣٦٢ ش، رقم الطبعة- الأولى
- ٩- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ آقا بزرگ الطهراني، الناشر: دار الأضواء، تاريخ النشر: ١٤٠٣ هـ.ق، الطبعة: الثالثة.
- ١٠- روضة الوعظين وبصيرة المتعظين (طـ- القديمة)، فتال نيسابورى، محمد بن أحمد، تاريخ وفات مؤلف: ٥٠٨ ق، الناشر: انتشارات رضى، سنة الطبع: ١٣٧٥ ش، الطبعة الأولى، إيران؛ قم
- ١١- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البهقي، الوفاة ٤٥٨، الناشر دار الفكر.
- ١٢- صحيح البخاري، البخاري، الوفاة، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة الطبع: ١٤٠١ - ١٩٨١ م.
- ١٣- الطبقات الكبرى، ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (المتوفى: ٢٣٠ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ١٤- علل الشرائع، الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، الوفاة ٣٨١، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، سنة الطبع ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م.

- ١٥ - الغدير، محسن، الأميني، الناشر: دار الكتاب العربي - لبنان، سنة الطبع ١٣٩٧ - ١٩٧٧ م، الطبعة الرابعة.
- ١٦ - الكافي (ط- الإسلامية)، الشيخ الكليني، تاريخ وفاة المؤلف: ٣٢٩ ق، المحقق / المصحح: غفارى على أكبر وآخوندى، محمد، الناشر: دار الكتب الإسلامية، تهران، سنة الطباعة: ١٤٠٧ ق، الطبعة: الرابعة.
- ١٧ - كتاب سليم بن قيس الهمالى، سليم بن قيس الهمالى الكوفي، الوفاة، ٧٦ تحقيق، محقق / مصحح: أنصارى، محمد باقر، الناشر، الهمالى - قم، الطبعة الأولى.
- ١٨ - كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب، محسن الأمين، الوفاة ١٣٧١، تحقيق وتحريج: حسن الأمين، الناشر: مكتبة الحرمين - قم.
- ١٩ - المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، الوفاة ٤٠٥، تحقيق، إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
- ٢٠ - مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، الوفاة ٢٤١، الناشر: دار صادر - بيروت - لبنان.
- ٢١ - المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، الوفاة ٢١١، عني بتحقيق نصوصه وتحريج أحاديثه والتعليق عليه الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي.
- ٢٢ - معانى الأخبار، الشيخ الصدوق، الوفاة ٣٨١، سنة الطبع ١٣٧٩ - ١٣٣٨ ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسین بقم المشرفة، تحقيق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفارى.

٢٣ - مناقب آل أبي طالب، تأليف الإمام الحافظ ابن شهر آشوب رشيد الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيسي السروي المازندراني المتوفى سنة ٥٨٨ هـ، قام بتصححه وشرحه و مقابلته على عدة نسخ خطية لجنة من أساتذة النجف الأشرف، طبع في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.

٢٤ - مواقف الشيعة، علي الأحمدي الميانجي، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسین بقم المشرفة، الطبعة الأولى، سنة الطبع: رجب المرجب ١٤١٦ .

## **المعايير الإسلامية للأم المثالية**

**- دراسة تطبيقية في السيرة الفاطمية -**

الباحثة

م. د جنان غالب ظاهر الزيدى

مديرية الوقف الشيعي في النجف الأشرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاحة والسلام على سيد الخلق والمرسلين، محمد وعلی آلہ وعلی آله وعلی آلہ علیہما السلام الطاهرين.

وبعد...

خلق الله (عز وجل) المرأة وجعل لها مكانة عظيمة، وأودع فيها غريزة الأمومة، وهي من أقوى الغرائز التي فطرت عليها المرأة، والأمومة هي رابطة تكوبانية تكون بين الأم وجنيها، وغالباً تكون بالولادة. وأشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الْلَّائِي وَلَدَنَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢)، لكن الدين الإسلامي لم يجعل الأمومة على إطلاقها، بل جعل لها ضوابط ومعايير خاصة تسير عليها المرأة لتكون أمّاً صالحة. فالدين الإسلامي يعني بالأم، فلم يكرّمها أحد على مر العصور كما كرّمها الدين الإسلامي.

وكانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام نموذجاً للأمومة الإيجابية ومصدر العطاء للأمومة المثلى، وقد اهتمت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في تربية أبنائها فقدّمت لنا القدوة والنماذج الكاملة في تربية الأبناء.

فجاء هذا البحث بعنوان: (المعايير الإسلامية للأم المثالية - دراسة تطبيقية في السيرة الفاطمية-)؛ ليقف على المعايير الإسلامية للأم المثالية من خلال دراسة بعض المواقف السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في تربية أبنائها وتحليل تلك المواقف، معتمداً المنهج الاستقرائي في الموقف ذات الصلة بالموضوع، ومن ثمّ المنهج التحليلي لتبيين ما أجمل في الموقف وبيان المعايير الإسلامية للأم المثالية.

وقد جاء البحث على مباحثين؛ كُرس الأول منها للتعرف على (معايير الأم المثالية ما قبل الزواج) بين فيه المعايير والأسس التي وضعها الدين الإسلامي عند اختيار الزوجة الصالحة حتى تكون الأم المثالية. وتحدث البحث الثاني عن (معايير الأم المثالية ما بعد الولادة) فوقف بيان المعايير الإسلامية التي من خلالها تربى الأم أبناءها تربية سليمة، بالإضافة إلى ذكر الشواهد التطبيقية على تلك المعايير من سيرة الصديقة الطاهرة عليها السلام التي كلها عبر وبرامح تربوية ومناهج للسعادة الدنيوية والأخروية.

فما جاء في هذا البحث هو محاولة حقيقة من باحثة عن الحقيقة والقرب من أهل بيته الرحمة نبينا محمد وآلـه الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين)، فما كان فيه ما يتحقق الغاية بفضل الله تعالى ومنه، وما كان فيه غير ذلك. فنرجو من الله سبحانه العفو والغفران، وأآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## المبحث الأول

### معايير الأم المثالية ما قبل الزواج

شرع الإسلام أحکاماً وقوانين ووضع مناهج كاملة لإعداد الأم المثالية. هذا ما أكدّه القرآن والسنة النبوية وروايات أهل البيت عليهم السلام. هناك معايير كثيرة أكدتها الشريعة الإسلامية نستعرضها بعض منها على وجه السرعة:

#### أولاً: المعيار الديني

اهتم الدين الإسلامي بمسألة دين المرأة في الزواج؛ لأنّ المرأة شريكة الرجل، ومربيّة لأطفاله، وتشكل قسماً مهماً من شخصيته، فلا بدّ أن تكون المرأة ذات دين يعصّمها من الخطأ، ويزرع فيها العقيدة الصحيحة والسليمة التي ستنتقلها إلى أبنائهما، وأكّد القرآن الكريم على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَنَّ وَلَآمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢١). في هذه الآية الكريمة نهى الله (عزّ وجلّ) عباده المؤمنين أن يتزوجوا بالنساء الكافرات «حتى يؤمنن» أي يصدقن بالله ورسوله<sup>(١)</sup>. ومن أسباب الحكمة من التحرير «لأنّ الزواج الداعمة الأساسية لتكثير النسل وتربية الأولاد وتوسيعة المجتمع، وأنّ المحيط العائلي مؤثر جداً في تربية الأولاد؛ ومن جهة أخرى، التأثير الحتمي للوراثة على أخلاق الأولاد وسلوكهم، فالطفل يتربى في أحضان الأسرة منذ تولده وينمو ويتعرّع تحت رعاية أمه وأبيه غالباً؛ وهذه المرحلة هي المرحلة الحساسة في تكوين شخصية الطفل»<sup>(٢)</sup>.

(١) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٢/٧٣.

(٢) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشیخ ناصر مکارم الشیرازی: ٢/١٢٦.

أوصى الرسول ﷺ أنّ أهـم صـفة عـلـى الرـجـل المـسـلم أـن يـبـحـث عـنـهـا فـي الـمـرـأـة التـي يـرـيد أـن يـقـترـن بـهـا زـوـجـة هـي صـفـة (الـتـدـيـن)، كـما وـرـد ذـلـك عـن الإـمـام الـبـاقـر عـلـيـهـا: «أـتـى رـجـل رـسـول الله ﷺ يـسـأـمـرـ فيـ النـكـاح، فـقـالـ: نـعـمـ انـكـح وـعـلـيـكـ بـذـوـاتـ الـدـيـن تـرـبـتـ يـدـاكـ»<sup>(١)</sup>.

وـعـنـ الإـمـام الصـادـق عـلـيـهـا قـالـ: «إـذـ تـزـوـجـ الرـجـل المـرـأـة لـمـاـهـا أـوـ جـمـاـهـا لـمـ يـرـزـقـ ذـلـكـ، فـإـنـ تـزـوـجـهـا لـدـيـنـهـا رـزـقـهـ اللهـ جـمـاـهـا وـمـاـهـا»<sup>(٢)</sup>.

وـكـانـتـ السـيـدة فـاطـمـة الزـهـرـاء عـلـيـهـا أـعـبـدـ نـسـاءـ زـمـانـها، وـسـمـيـتـ فـاطـمـة عـلـيـهـا بالـبـتـولـ لـانـقـطـاعـهـا إـلـى عـبـادـةـ اللهـ<sup>(٣)</sup> وـشـهـدـ الرـسـول عـلـيـهـا لـهـا قـائـلاـ: «إـنـ اـبـتـيـ فـاطـمـة مـلـأـ اللهـ قـلـبـهـا وـجـوـارـحـهـا إـيـهـاـنـاـ إـلـى مشـاشـهـا فـغـرـغـتـ لـطـاعـةـ اللهـ»<sup>(٤)</sup>.

ويـتـضـحـ ذـلـكـ عـنـدـ اـنـتـقـالـ فـاطـمـةـ مـنـ بـيـتـ أـبـيـهـاـ إـلـىـ بـيـتـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ بـعـدـ زـوـاجـهـاـ قـالـتـ لـأـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ: «يـاـ عـلـيـ تـفـكـرـتـ فـيـ حـالـيـ عـنـدـ ذـهـابـ عمرـيـ وـنـزـولـيـ فـيـ قـبـرـيـ فـشـبـهـتـ دـخـوليـ فـيـ فـرـاشـيـ بـمـنـزـلـ كـدـخـوليـ إـلـىـ لـحـديـ وـقـبـرـيـ، فـأـنـشـدـكـ اللهـ إـنـ قـمـتـ إـلـىـ الصـلـاـةـ فـعـبـدـ اللهـ تـعـالـىـ هـذـهـ الـلـيـلـةـ»<sup>(٥)</sup>.

### ثـانـيـاـ: الـعـيـارـ النـسـيـ

مـنـ الـمـعـاـيـرـ الـتـيـ وـضـعـهـاـ الـإـسـلامـ فـيـ اـخـتـيـارـ الـزـوـجـةـ الصـالـحةـ أـنـ تـكـونـ الـمـرـأـةـ مـنـ أـسـرـةـ مـعـرـوفـةـ بـالـخـيـرـ وـالـصـلـاحـ (ذـاتـ النـسـبـ الشـرـيفـ)، فـإـنـهـ لـاـ نـزـاعـ فـيـ أـنـ لـلنـسـبـ دـورـاـ خـطـيرـاـ فـيـ بـنـاءـ شـخـصـيـةـ الـإـنـسـانـ وـإـرـسـاءـ دـعـائـهـاـ الـأـسـاسـيـةـ. كـماـ وـرـدـ عـنـ رـسـولـ اللهـ ﷺـ قـولـهـ: «تـحـيـرـ وـاـ

(١) وـسـائـلـ الشـيـعـةـ، الـحـرـ العـامـلـيـ: ٢٠ / ٥٠.

(٢) وـسـائـلـ الشـيـعـةـ، الـحـرـ العـامـلـيـ، ١٤ / ٣٠.

(٣) الـكـافـيـ، الشـيـخـ الـكـلـيـنـيـ: ٢ / ٤٧٩.

(٤) بـحـارـ الـأـنـوـارـ - الـعـلـامـةـ الـمـجـلـسـيـ - جـ ٤٣ / ٤٦.

(٥) شـرـحـ إـحـقـاقـ الـحـقـ - السـيـدـ الـمـرـعـشـيـ: ٢٣ / ٤٨٩.

لنظركم، فإنّ النساء يلدن أشباء إخوانهنّ وأخواتهنّ<sup>(١)</sup>. أي لا بدّ أن تكون العائلة التي تتسمى إليها الزوجة ذات نسب شريف يتوقع منها الخير والصلاح الذي بدوره ينعكس على نسلها وذريتها.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «تزوجوا في الحجر الصالح، فإنّ العرق دسّاس»<sup>(٢)</sup> أي فتزوجوا من عشيرة عفيفة وظاهرة لأنّ العرق دسّاس، فكثير من الصفات المعنوية والجنسية يرثها الإنسان عن آبائه وأخواله وأجداده، وهي تحكم في رسم معلم شخصية، فينبغي اختيار العروق الطيبة، والناس الطيبة أهل الدين، والخير، والاستقامة، والأخلاق الفاضلة.

وقد أكد العلم الحديث ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام من تأثير الأبوين على الجنين عبر الجينات الوراثية حيث «أثبتت دراسات علم الأجنة، وعلم النفس أنّ عوامل الوراثة ذات أثر كبير في مرحلة ما قبل الميلاد، وكذلك العوامل البيئية المحيطة بالجنين».

ويتضح مع أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة فاطمة  عليها السلام: «لما أراد أن يتزوج قال لأخيه عقيل: انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة منبني العرب لأنزوجها فتلدي غلاماً فارساً وفكّر عقيل قليلاً ثم قال لأخيه: تزوج أم البنين الكلابية، فإنه ليس في العرب على وجه الإطلاق أشجع من آبائهما.. وصار عقيل يعدد أمجاد أعمام وأخوال أم البنين، فخطبها الإمام وتزوجها»<sup>(٣)</sup>.

لقد كانت السيدة فاطمة الزهراء  عليها السلام نموذجاً للزوجة الصالحة في الإسلام، فهي فاطمة بنت محمد رسول الله  عليه السلام وخديجة الكبرى  عليها السلام أشرف نساء عصرها حسباً ونسباً، ورثت منه الفضل والعلم ونهاية الكمال المعنوي والإنساني.

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ / ١١٨٣ .

(٢) المصدر نفسه: ٢ / ١١٨٣ .

(٣) عمدة الطالب، ابن عبة: ٣٥٧ .

### ثالثاً: المعيار الأخلاقي

إنّ من المعايير التي يهتم بها الدين الإسلامي في اختيار الزوجة الصالحة هو الجانب الأخلاقي فلا بدّ أن تكون الزوجة (حسنة الخلق)، لأنّ المرأة تتعامل مع زوجها بهذه الأخلاق. وقد ركز القرآن الكريم على أخلاق الزوجة وسلوكياتها التي تتناسب مع الوظائف العائلية بقوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء ٣٤) أي غير المنحرفات «القانتات» أي الخاضعات تجاه الوظائف العائلية «الحافظات للغيب» اللاتي يحفظن حقوق الأزواج وشؤونهم، لا في حضورهم فحسب، بل يحفظنهم في غيابهم، يعني أنهن لا يرتكبن أية خيانة سواء في مجال المال، أو في المجال الجنسي، أو في مجال حفظ مكانة الزوج و شأنه الاجتماعي، وأسرار العائلة في غيابه، ويقمن بمسؤولياتهن تجاه الحقوق التي فرضها الله عليهم.<sup>(١)</sup>.

وحوث على ذلك أهل البيت عليه السلام كما ورد عن إبراهيم الكرخي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إنّ صاحبتي هلكت رحمها الله، وكانت لي موافقةً، وقد همت أن أتزوج، فقال لي: انظر أين تضع نفسك، ومن تُشركه في مالك، وتُطلعه على دينك وسرّك، فإن كنت فاعلاً فبكرأً، تُنسب إلى الخير وحسن الخلق..».<sup>(٢)</sup>.

وتثنى الشريعة الإسلامية على الزوجة الصالحة ذات الخلق العالي في تعامل مع زوجها وتعدها عاماً من عمال الله الموعودين بعدم الخيبة كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام «خير نسائكم... الهيبة، اللينة، المؤاتية، التي إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمض حتى يرضي، وإذا غاب عنها زوجها حفظته في غيابه، فتلك عامل من عمال الله وعامل الله لا يخيب»<sup>(٣)</sup>.

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٢١٩ / ٣.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ١٠٠ / ٢٣٢.

(٣) الكافي - الشيخ الكليني: ٥ / ٣٢٥.

وصررت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام المثل الأعلى للأخلاق الإسلامية السامية وشهد على ذلك كلام أمير المؤمنين معها في لحظات الأخيرة من حياتها عندما قال لها على عليها السلام: أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله! فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت ثم قالت: يا ابن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني فقال عليها السلام: معاذ الله أنت أعلم بالله وأبرأ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله [من] أن أوبخك بمخالفتي».<sup>(١)</sup>

حقاً كانت عليها السلام نموذجاً للزوجة الصالحة فلم تغضب يوماً وما عصيت له أمراً حتى قال عنها أمير المؤمنين عليها السلام: «فوالله ما أغضبتها، ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عزّ وجلّ، ولا أغضبتي، ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني المهموم والأحزان». <sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً: معيار المرأة الولود

نجد أنّ أهل البيت عليها السلام يؤكدون على ضرورة الاختيار الزوجة الصالحة بأمرأة وليدة كما ورد عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قوله: «ألا أُخبركم بخير نسائكم؟ قالوا بلى. قال: إنَّ خير نسائكم الولود الودود الستيرة العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلها....»<sup>(٣)</sup> الولود هي كثيرة الولادة، ويعرف ذلك بالنظر إلى نسائها القريبة منها؛ كأمها، وأختها.

ويفضل الإسلام السوداء الولود على الحسناء العاقر عنه عليها السلام: «اعلموا أنَّ السوداء إذا كانت ولوداً أحبَّ إلى حسناء عاقر»<sup>(٤)</sup>. وجاء هذا التفضيل لأنَّ السوداء الولود تساهُم في تثبيت القواعد الأولية لحياة الزوجية من خلال عملية الولادة.

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٤٣ / ١٩١.

(٢) المصدر نفسه: ٤٣ / ١٣٤.

(٣) مكارم الأخلاق - الشيخ الطبرسي: ٢٠٠.

(٤) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق - ج ٣ / ٣٩٢.

بفضل الله تعالى كانت السيدة الزهراء عليها السلام لما ينطبق عليها هذا المعيار فكانت أمة صالحة لخمسة أبناء، ثلاثة من الذكور، وهم (الحسن والحسين، ومحسن) وأثنان من الإناث هم (زينب وأم كلثوم).

## المبحث الثاني معايير الأم المثالية بعد الولادة

اعتنت الشريعة الإسلامية عنابة بالغة في بناء الأسرة المسلمة على أساس متينة منذ بداية تأسيسها وغايتها الحرص عليها، فوضع معايير خاصة للأم المؤمنة في تربية أبنائها؛ وذلك لأثر الأم الصالحة على الطفل، فإن توافرت فيها هذه المعايير ارتقى الطفل إلى أعلى المستويات في حياته، وإنما السبب الكبير في سقوطه ونبذه وشذوذه، وسوف نذكر منها ما يلي:

### أولاً: المعيار العقدي

من أهم المعايير التي يجب أن تتوافق بالأم المثالية هي معرفتها التامة بالعقائد الإسلامية؛ لذلك نجد القرآن الكريم لا يبيح لل المسلمين الزواج من المشركة التي لا تدين بدين سماوي ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾ (البقرة: ٢٢١) فالتباحث بين الدينين سوف ينعكس على تربية الأبناء ولكون الأم الأكثر تأثيراً في الأبناء، وخاصة في فترة طفولتهم لشدة التصاقهم بها. كما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «وما أحب للرجل المسلم أن يتزوج اليهودية ولا النصرانية خفافة أن يتهدّد ولده أو يتنصر»<sup>(١)</sup>.

فgres العقيدة السليمة الصحيحة منذ الصغر أمر بالغ الأهمية، لأن مرحلة الطفولة هي مرحلة الصفاء وخلو الفكر كما ورد عن الإمام علي يقول لابنه الحسن عليهما السلام: «إِنَّمَا قلبَ الْحَدِيثَ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَّةِ، كَلِمَّا أَلْقَيْتِ فِيهَا شَيْءًا..»<sup>(٢)</sup>.

(١) وسائل الشيعة، الحر العامل: ٢٠ / ٥٣٤، الكافي، الشيخ الكليني: ٥ / ٣٥١.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ٣ / ٤٠.

وكانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام النموذج الكامل للأم المؤمنة العقائدية، ويتبين ذلك من دفاعها عن إمام زمانها أمير المؤمنين على عليه السلام وإثبات أحقيّة في قيادة الأُمّة بعد وفاة الرسول من خلال مواقف الزهراء عليها السلام وخطبها، ومنها قوله: «ويجهّم أُنّي زعزعوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطين بأمور الدنيا والدين» ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ وما الذي نعموا من أبي الحسن، نعموا منه والله نكير سيفه...»<sup>(١)</sup>.

لقد غرست السيدة الزهراء عليها السلام في نفوس ولديها العقيدة السليمة، مما يؤكّد ذلك ما جاء فيزيارة الشريفة الواردة في حق الإمام الحسين عليه السلام والتي يقول فيها: أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدهمات ثيابها....»<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: المعيار الديني

يحرص الدين الإسلامي على تربية الأبناء تربية صالحة وفق مبادئه وأحكامه، فإذا كانت الأم مسلمة، تربى أبناؤها تربية صالحة.

وقد ركز أهل البيت عليهم السلام على تربية أبناء وتعليمهم التعاليم الدينية كما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «علموا أبنائكم من علمنا ما ينتفعون به لاستبقكم المرجئة»<sup>(٣)</sup> أي علمه العقائد والفرائض والدين.

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ١٤٧/١.

(٢) اللهو في قتل الطفوف، السيد ابن طاووس: ٤.

(٣) وسائل الشيعة، المجلسي: ٢٤٧/١٢.

ومن الضروري أن تكون الأم الرسالية ملتزمة بال تعاليم الدينية الإسلامية، لأن الأم أكثر ملازمة للطفل من الأب، وهي أكثر معايشة الطفل وتلبية احتياجاته من الأب، فمن الضروري الاهتمام بطهارة اللبن والمُرضعة ودينها لما لذلك من أثر كبير في تكوين شخصية الطفل إيجاباً وسلباً.

وبين القرآن الكريم ذلك في قصة امرأة عمران وكيف كان لها دور أساسي في صياغة شخصية المولود -السيدة مريم عليها السلام- في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (آل عمران: ٣٥)، فكان من أسباب اصطفاء مريم وتطهيرها إنها استجابة للدعوة أمها.

وكانت عبادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام عبادة نموذجية وشهد الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه لها قائلاً: «إِنْ ابْنَتِي فَاطِمَةُ مَلِأَ اللَّهُ قَلْبَهَا وَجُوَارَ حَرَمَاهَا إِيمَانًا إِلَى مَشَاشِهَا فَفَرَغَتْ لِطَاعَةِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>. وعن الطبرسي، قال: «سُمِّيَتْ فاطِمَةُ عليها السلام بِالْبَتُولِ لِانْقِطَاعِهَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

في هذا الصدد يقول الحسن البصري: «الّذِي كَانَ أَحَدُ الْعَبَادَ وَالْزَّهَادِ الْمُشْهُورِينَ فِي  
الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، حَوْلَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ لَهُنَّا إِنَّ بَنْتَ النَّبِيِّ عَبَدَتِ اللَّهَ وَوَقَفَتِ فِي مَحَرَابِ  
الْعِبَادَةِ حَتَّى تُورَّمَتْ قَدَمَاهَا»<sup>(٣)</sup>

كانت السيدة الزهراء عليها السلام نموذج الأم المثالية في تربية أبنائها التربية الدينية عملاً وفعلاً، فكانت عليها السلام لا تنام الليل في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، وكانت تحضر وتشوق

جميع من في بيته حتى الأولاد يأحياء الليل بالعبادة والدعاء.<sup>(٤)</sup>

(١) الخصائص الفاطمية، الشيخ محمد باقر الكجوري: ٦٢٩ / ١.

(٢) علل الشراع، الشيخ الصدوق: ١ / ١٨١.

(٣) أهل البيت في الكتاب والسنة، محمد الريشهري: ٢٧٢.

(٤) أهل البيت في الكتاب والسنة، محمد الريشهري: ٢٧٢.

وعندما تقوم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ للعبادة في أداء الفرائض أو حتى النوافل تأتي بأبنائها وتحلسهم بقربها عند محراب صلاتها، فها هو السبط الأكبر الإمام الحسن المجتبى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يحدثنا عن أمّه يقول: إنَّ والدته الزهراء البتول قد أجلسته إلى جانب سجادتها غارقة في التضرع إلى الله تعالى، من أول الليل إلى انفجار الصبح، وهي آخذة بالدعاء لـكُلّ الناس..<sup>(١)</sup> فهي تربى أبناءها على تعاليم الدين الإسلامي بشكل عملي.

### ثالثاً: المعيار الأخلاقي (السلوكي)

إنَّ تغذية الطفل بالأخلاق الفاضلة هو روح التربية الإسلامية، فالشريعة الإسلامية لم تدع جانباً من جوانب الحياة الإنسانية إلَّا رسمت له المنهج الأمثل.

ولقد أثبتت التجارب العلمية أنَّ أغلب القيم الأخلاقية التي تعلّمها الطفل في المراحل الأولى من عمره تستمرّ معه حتّى يكبر، فالأُمّ هي من تشكّل أساس الأخلاق في ذهن أبنائها؛ كالمحبّة والعفة والتقوى، وتُعلّمهم التفريق بين الخير والشرّ، وبين الجيد والرديء، وبين الجميل والقبيح.<sup>(٢)</sup>

فإنَّ السيدة فاطمة الزهراء بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كانت النموذج الأمثل للأم المثالية في تربية أبنائها على الأخلاق الفاضلة، فكانت بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تربى أبناءها على البرّ بالفقراء المساكين ومساعدتهم منذ الصّغر؛ وهذا الخلق الكريم كان بارزاً في شخصية الزهراء بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فهي تبذل الطعام الذي أعدّ لها ولعيالها في سبيل توفير الراحة والطعام للمحرومين والمعوزين، فأنزل الله:

(١) ظ: بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٣١٣ / ٨٦

(٢) ظ: تمية مهارات الطفل، حسن أحمد شحاته، متاح على الموقع الإلكتروني:

﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ  
مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ . (سورة الإنسان: ٨)

وروي عن ابن عباس(رض) في قوله تعالى: (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمأ وأسيراً) نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة عليها السلام، أصبحا وعندهم ثلاثة أرغفة، فأطعموها مسكيناً ويتيمأ وأسيراً، فباتوا جياعاً، فنزلت فيهم، عليها السلام.<sup>(١)</sup>

أدب حُسن الجوار؛ فقد تمثلت فيها هذه الصفة بأعلى صورها، حيث نقل لنا الإمام الحسن عليها السلام أحد هذه المواقف فقال: «رأيت أمي فاطمة قائمةً في محاربها ليلة الجمعة، فلم تزل راكعة ساجدةً حتى انفلق عمودُ الصبح.. سمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وشُمسيهم وتُكرر الدعاء لهم، ولا تدعوا لنفسها شيء، قلت: يا أمّاه، لم تدعني لنفسك كما تدعين لغيرك؟ قالت: يا بُنِيَّ، الجار، قبل الدار». <sup>(٢)</sup>

#### رابعاً: المعيار العاطفي

تحت الشريعة الإسلامية في مجال تربية الأبناء على بناء بيئة عاطفية إيجابية تسهم في نمو الطفل بشكل صحيح ومستقر لأن العاطفة جزء رئيس من تكوين الإنسان، وتؤدي دوراً أساسياً في تأثير على سلوك الإنسان وتكوين شخصية.

وقد جاءت الروايات الشريفة الواردة عن الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه وأهل بيته عليهم السلام مؤكدة حب الأطفال. روي عن الإمام الصادق عليه السلام: قال موسى بن عمران عليه السلام: يا رب! أي الأعمال

(١) تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي: ٢٠٢.

(٢) بحار الأنوار - العلامة المجلسي: ٣١٣/٨٦

أفضل عنده؟ فقال: حب الأطفال، فإن فطرتهم على توحيدي، فإن أمتهم أدخلهم برحمتي

جنتي. <sup>(١)</sup> ورد عن النبي ﷺ: «من قبل ولده كتب الله له حسنة» <sup>(٢)</sup>.

من أفضل وسائل تنمية عواطف الطفل مناغاته ومعاملته بالرفق والحنان. ومناغاة الطفل في هذه المرحلة ضرورية للطفل تؤثر في نموه اللغوي، فهي تؤدي دوراً مهماً في تعجيل عملية تعلم الطفل للمهارات الأساسية المطلوبة للسيطرة على الآيات اللفظية لمهارات الكلام المعقد والتنسيق بين إدراك الكلام وإنتاجه. <sup>(٣)</sup>

وكذلك النمو العاطفي للطفل في المستقبل، وهذا ما أشارت إليه عالمة النفس لويز كابلان بقولها: «إن الطفل الذي ينعم بحنان أمه المتدفق خلال العام الأول والثاني من عمره يشعر بالأمان، وعادة لا يشعر بالقلق أو الخوف فيتصرّف بتلقائية عندما يبلغ سن الثالثة أو الرابعة، والطفل الذي يشعر بالطمأنينة يتمتع بالثقة بالنفس ويتعامل مع الآخرين بسهولة ويندمج مع الأطفال في مثل عمره». <sup>(٤)</sup>

تجلى ذلك عن السيدة الزهراء <ص>في علاقتها مع أبنائها حيث كانت تناجي أبناءها في طفولتهم مما يؤثر في نموهم اللغوي والعاطفي، فكانت <ص>تناجي الحسن <ص> وتقول له:

أشبه أباك يا حسن  
واخلع عن الحق الرسن

واعبد إلهاً ذا منن  
ولا توال ذا الأحن

(١) مكارم الأخلاق، الشيخ الطوسي: ٢٣٧.

(٢) وسائل الشيعة - الحر العاملي، ٤٧٥/٢١.

(٣) ظ: محاضرات في علم نفس النمو الدكتور علاء عبد الحسن حبيب: ٣٧.

(٤) تربية الطفل في الإسلام - مركز الرسالة: ١١٠.

(٥) مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب: ١٥٩/٣.

وكانت تناغي الحسين عليه السلام وتقول<sup>(١)</sup>:

أنت شيءٌ بأبي

لست شيئاً بعلـي

ويقول نورسوري وايلي (Norsworthy whitley): «ويعتبر اللعب العامل الأهم بين العوامل التربوية... والطفل الذي لا يلعب يفوته فحسب كثير من بهجة الطفولة، لكنه أيضاً لا يمكن أن يصير بالغاً كاملاً النمو». <sup>(٢)</sup>

فالحب والحنان من الأمور الضرورية في تربية الطفل، وقد طبقت السيدة الزهراء عليها السلام هذا في بيتها الزوجي أثناء تربية أبنائها، فروي عن سلمان الفارسي أنه قال: دخلت على فاطمة عليها السلام والحسين عليهما السلام يلعبان بين يديها، ففرحت بهما فرحاً شديداً، فلم ألبث حتى دخل رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فقلت: يا رسول الله أخبرني بفضيلة هؤلاء لأزداد لهم حباً. <sup>(٣)</sup>

وكانت السيدة فاطمة عليها السلام تربى أبناءها بالحب. يبدو ذلك واضحاً في خطابها لها فتناديهما بأمثال: «يا ثمرة فؤادي، قرة عيني..». <sup>(٤)</sup>

#### خامساً: المعيار العلمي

عنيت الشريعة الإسلامية بالعلم عنابة باللغة بالعلم ودفع العقول إلى مجال العلوم والمعرفة ودعاهـم إلى نفتح آفاق الفكر، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢١٩). وقد جاءت الأحاديث عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه

(١) المصدر نفسه.

(٢) الأطفال واللعب، سميث بيتر، ترجمة مصطفى قاسم، ٥٧.

(٣) مدينة المعاجز - السيد هاشم البحرياني: ٢٢٤ / ٣.

(٤) المناقب - الموقف الخوارزمي: ٢٨٧.

وأهل بيته عليه السلام لتوّكّد أهمية العلم طلب العلم وعظيم شأنه. ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«أفضل العبادة إدمان التفكير في الله وفي قدرته». <sup>(١)</sup>

ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «لَيْسَ الْعِبَادَةُ كَثْرَةُ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ إِنَّمَا الْعِبَادَةُ التَّفَكُّرُ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». <sup>(٢)</sup>

فلا بدّ أن تكون الأم على مستوى علمي هي قبل كلّ شيء كالعلم بالتعاليم والقيم الدينية وإلا ستبقى عاجزة عن التربية والعطاء، إذ إنّ فاقد الشيء لا يعطيه.

إنّ المستوى العلمي للأم يؤثر بشكل فعال في عملية تربية الأبناء لأنّ تعليم الطفل يبدأ في مراحل الطفولة الأولى بما يتفق مع نموه العقلي والفكري، والسبب في ذلك أنّ مرحلة الطفولة هي مجال إعداد وتدريب وتعلم، وليس من الضروري أن تكون الأم محترعة وتحمل شهادات جامعية عالية، بل يجب على الأم أن يكون لها إلمام علمي، ولو على مستوى قليل، تستطيع من خلاله تنمية معارف طفليها، وزرع حب المعرفة في نفسه، وتربيته على التفكير، وتنمية مداركه العلمية، عبر التحدث معه.

وكانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام على مستوى عالٍ من العلم والمعرفة، وقد جاء في زيارتها «السلام عليك أيتها المحدثة العليمة» <sup>(٣)</sup>.

وألقت السيدة الصديقة عليها السلام خطبًا عظيمة على جموع المسلمين في مسجد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه والخطبة الأخرى في نساء المسلمين، وهذا يدلّ على سعة علمها عليها السلام.

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ٢/٥٥.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ٢/٥٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه - الشيخ الصدوق: ٢/٥٧٣.

فكانت اللهم لا إله إلا أنت تحت أبناءها بعد أن مضوا عن سن الطفولة على التعليم، فكانت ترسل الإمام الحسن عليه السلام إلى المسجد حتى يستمع ويتعلم من جده الرسول الأكرم ص وبنقل ما يسمع إليها.

### سادساً: المعيار الإداري

تؤدي الأم دوراً حيوياً في إدارة الأم شؤون البيت، فهي تقوم بإدارة المنزل من حيث التنظيف والطبخ والتنظيم، وإدارة ميزانية الأسرة، والعناية بالأسرة والأبناء، وتلبية احتياجاتهم اليومية وتأمينها.

وإن ممارسة الأم دورها الإداري بشكل صحيح وسليم يساهم في بناء الجو المنزلي السعيد والهادئ، كما يؤثر بشكل إيجابي في تربية الأبناء ومستقبلهم.

توجد روايات عن أهل البيت عليهم السلام تجذب عمل المرأة في بيتها وخدمة زوجها؛ فروي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «سألت أم سلمة رسول الله ص عن فضل النساء في خدمة أزواجهن، فقال: أليها امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً إلا نظر الله إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذبه».<sup>(١)</sup>

وكانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام الزوجة النموذجية في إدارة بيتها. روي عن جابر الأنصاري أنه رأى النبي ص فاطمة وعليها كساء من أجلة الإبل وهي تطحن بيديهما وترضع ولدتها، فدمعت عينا رسول الله ص، فقال: «يا بنتاه، تعجّلي مرارة الدنيا بحلوة الآخرة» فقالت: «يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلاءه»، فأنزل الله ص **وَلَسَوْفَ**

**يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**». <sup>(٢)</sup>

(١) ميزان الحكمة - محمد الريشهري: ٢/١١٨٥ - ١١٨٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ابن شهرآشوب: ٣/١٢٠، بحار الأنوار، المجلسي: ٤٣/٨٦.

وجاء عن أنس: أَنَّ بِلَالاً أَبْطأَ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا جَبْسُكَ؟» قَالَ: مَرَرْتُ بِفَاطِمَةَ تَطْهِنَ وَالصَّبِيَّ يَبْكِيُّ، فَقُلْتُ لَهَا: إِنْ شَئْتَ كَفِيتِكَ الرَّحْمَى وَكَفِيتِنِي الصَّبِيُّ، وَإِنْ شَئْتَ كَفِيتِكَ الصَّبِيُّ وَكَفِيتِنِي الرَّحْمَى، فَقَالَتْ: «أَنَا أَرْفَقُ بَابِنِي مِنْكَ». <sup>(١)</sup>

#### سابعاً: المعيار البدني

تساهم الأم في تربية الأبناء تربية بدنية بدءاً من تغذيتهم والاعتناء بصحتهم وملبسهم؛ فالعناية بالجسد وتحسين صحته ونموه يساعد على تنشيط العملية الفكرية نظراً للعلاقة الوطيدة بين الجسد والنشاط الفكري.

وإنّ جسم الطفل يحتاج إلى غذاء ونمو الطبيعي، وهذا يكون نتيجة التغذية السليمة، وهذا ما أكده القرآن الكريم بقوله: **﴿فَلَيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾**. يستفاد من الآية الكريمة آنَّه ينبغي على الإنسان أن يكون دقيقاً متابعاً لأمر غذائه، وباحثاً عن منبهه لأنَّه هو أحد العوامل الرئيسية في بناء بدنِه، ولو لاه لقطعت أنفاس الإنسان. ولذلك جاء التأكيد القرآني على الغذاء. <sup>(٢)</sup>

فكانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تهتم بتربية أبنائها من الناحية البدنية، فهي تتضخ وتتدوّق الطعام في حال الصيام من أجل أبنائِها. روي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إِنَّ فَاطِمَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهَا كَانَتْ تَمْضِعُ لِلْحَسَنِ ثُمَّ لِلْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَهِيَ صَائِمَةٌ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ» <sup>(٣)</sup>.

(١) شرح إحقاق الحق، السيد المرعشلي :- ٢٥ / ٢٧٣ .

(٢) ظ:الأمثال في تفسير كتاب الله المترزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ١٩ / ٤٢٥ .

(٣) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي: ١٠ / ١٠٨ .

وكانت تهتم بالنظافة الشخصية للأبناء حتى آخر يوم من حياتها، كما ورد عن الحاكم النيسابوري قوله: «وقد ظهر بعض التحسن على صحتها، وكانت بادية الفرح والسرور، فقد علمت أنها في يومها تلحق بأبيها، وعمدت إلى ولديها فغسلت لها، وصنعت لها من الطعام ما يكفيهم يومهم، وأمرت ولديها بالخروج لزيارة قبر جدهما...»<sup>(١)</sup>

وإنّ لعب الطفل في مرحلة الطفولة يبعث القوة في عضلاته والمتانة في عظامه، كما إنّه ينمي فيه القدرة على الابتكار وينخرج قابلاته الكامنة إلى حيز الفعل<sup>(٢)</sup> وأكد أهل البيت عليهم السلام أهمية فروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلم الكتاب سبع سنين، ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين»<sup>(٣)</sup>.

كانت الصديقة الكبرى تهتم بهذا الجانب وتمارس اللعب مع أبنائها، فروى سليمان الفارسي أنه قال: «دخلت على فاطمة عليها السلام والحسن والحسين عليهم السلام يلعبان بين يديها، ففرحت بهما فرحاً شديداً، فلم ألبث حتى دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: يا رسول الله أخبرني بفضيلة هؤلاء لأزداد لهم حباً».<sup>(٤)</sup>

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ٣/٦٢.

(٢) ظ: الطفل بين الوراثة والتربية - الشيخ محمد تقى فلسفى: ٢/٦٥.

(٣) وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملى: ٢١ / - ٤٧٥.

(٤) مدينة المعاجز، السيد هاشم البحارنى: ٣/٢٢٤.

## الخاتمة

توصيل البحث إلى جملة من النتائج؛ منها ما يأتي:

١. لقد وضعـت الشريعة الإسلامية جملة من المعايير للأم المثالـية؛ منها ما كان قبل

الزواج وهي:

أولاًً: المعيار الديني

ثانياً: المعيار النسبي

ثالثاً: المعيار الأخلاقي

رابعاً: معيار المرأة الولود

٢. وهناك معايير للأم المثالـية بعد الولادة، وهي:

أولاًً: المعيار العقدي

ثانياً: المعيار الديني

ثالثاً: المعيار الأخلاقي (السلوكي)

رابعاً: المعيار العاطفي

خامساً: المعيار العلمي

سادساً: المعيار الإداري

سابعاً: المعيار البدني

وقد وجدنا لـكـل هذه المعايـر مصادـيق عمـلـية في سـيـرة السـيـدة فـاطـمة الزـهـراء عـلـى عـلـمـهـاتـهـا فـكـانت

نـموـذـجاً لـلـأـمـ المـثالـيـةـ في تـرـيـةـ أـبـنـائـهـاـ.

## المصادر والمراجع

١. الاحتجاج: تأليف أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعلقيات وملحوظات السيد محمد باقر الخرسان، مطبع النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م.
٢. الأطفال واللعب: سميث بيتر، ترجمة مصطفى قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١٠، ٢٠١٠ م.
٣. الأمثل تم في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، ط٢٠٠٥ هـ / ١٤٢٦ م.
٤. أهل البيت في الكتاب والسنة: محمد الريشهري، تحقيق مؤسسة دار الحديث الثقافية، دار الحديث، قم، ١٣٧٥ .
٥. بحار الأنوار في تفسير المأثور للقرآن: محمد باقر المجلسي، الطبعة: الأولى، ١٤١١ .
٦. الخصائص الفاطمية: الشيخ الوعاظ محمد باقر الكجوري، ترجمة: سيد علي جمال أشرف، انتشارات الشريف الرضي.
٧. شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي (١٤١١)، تحقيق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي / تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي. من منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم - إيران.
٨. الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقى فلسفى، تعریف وتعليق: فاضل الحسيني الميلاني، ط٢، مطبعة دار سبط النبي، ٢٠٠٥ ، قم المقدسة.

٩. علل الشرائع: للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١ هـ، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م.
١٠. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة (سنة ٨٢٨ هـ)، ط ٢، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م.
١١. الكافي، الشيخ الكليني، المحقق / المصحح: غفاري على اكبر وآخوندي، دار الكتب الإسلامية، ط ٤، تهران، ١٤٠٧ ق.
١٢. الكتاب: ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، ط ١، دار الحديث، قم، ١٣٧٥ .
١٣. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط ١، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان. ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
١٤. مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، السيد هاشم بن سليمان البحرياني - رحمه الله -، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية / بإشراف الشيخ عزة الله المولائي، ط ١، مطبعة فروردین، ١٤١٤ هـ. ق.
١٥. تربية الطفل في الإسلام، مركز الرسالة سلسلة المعارف الإسلامية، ط ١، المطبعة: مهر - قم إيران، لسنة ١٤١٨ هـ.

١٦. مقتل الحسين عليه السلام المسمى باللهوف في قتل الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاوس الحسيني (ت ٦٦٤)، ط ١، سنة الطبع: ١٤١٧.

١٧. مكارم الأخلاق، الشيخ الجليل رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، ط ٦، للناشر ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.

١٨. من لا يحضره الفقيه، للشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، صحيحه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، ط ٢، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ١٣٦٣ - ش / ١٤٠٤.

١٩. المناقب: الموفق بن أحمد البكري المكي الحنفي الخوارزمي، تحقيق: فضيلة الشيخ مالك محمودي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، ط ٢، ١٤١١ هـ.

٢٠. مناقب آل أبي طالب، تأليف الإمام الحافظ ابن شهر آشوب رشيد الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب (٥٨٨ هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م.

٢١. نهج البلاغة، شرح الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبدة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٢٢. وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم.

### الموقع الإلكترونية

٢٣. تنمية مهارات الطفل، حسن أحمد شحاته، متاح على الموقع الإلكتروني:  
<https://qessa.app/ar/story>

**فاطمة الزهراء عليها السلام صراط الله ومعدن علمه**

**- قراءات في النص الشعري -**

**الباحثة**

**أ.م.د. جنان فاضل علي الجعيفري**

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

## المقدمة

الحمد لله المتكبر في سلطانه، المتجر في ملكه، القوي في بطشه، الرفيع فوق عرشه،  
المطلع على خلقه، والبالغ لما أراد من علمه، والصلة والسلام على أشرف خلقه محمد ﷺ،  
وأهل بيته الميامين الغرّ الكرام ﷺ،

وبعد؟

فاطمة الزهراء ﷺ بضعة رسول الله ﷺ كائن ملكوني تحلى بهيئة إنسان، بل كائن جبروتي  
تمثل بصورة امرأة؛ شخصية جمعت في تكوينها جميع الحصال الكمالية، والمظاهر الإلهية،  
فمولاتنا الزهراء انطلقت بحركتها من الطبيعة إلى مرتبة الغيب إلى الفناء في الألوهية، وإنّ  
هذا المظاهر الصوري الطبيعي يمثل أعلى مراتب الإنسان<sup>(١)</sup>، حجة الله الكبرى على الخلق،  
بمن فيهم الأنبياء والأوصياء، (نحن حجج الله على الخلق وجدتنا فاطمة ﷺ حجّة الله  
عليينا)<sup>(٢)</sup>، وإنّ جميع نواحي العظمة الإنسانية متوافرة في سيرة الزهراء ﷺ. لقد وضعت  
سيرة الزهراء ﷺ الأسس التربوية والمناهج الحية لسلوك الفرد مع نفسه وأسرته ومجتمعه.  
وقد اتسمت تلك المناهج بكونها تماشى مع الفطرة وتساير الزمن، ومتزوج مع الحياة بكلّ  
 مجالاتها.

(١) ينظر مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني: ٢٣.

(٢) الأسرار الفاطمية: ٢٦٥.

فاطمة الزهراء عليها السلام فلذة كبد النبي العظيم وزوجة إمام المؤمنين وقائد الغر المجلحين عليه السلام، وأم السبطين الحسن والحسين عليهم السلام، سيدي شباب أهل الجنة، والصادرة، الأئمة الأخيار عليهم السلام من نسلها، فهي الوعاء والمنبت الظاهر لعترة النبي المصطفى ص، والشخصية الفذّة التي تحدثها رسالتنا، تلك الشخصية التي ملأت الدنيا سماًًا وتكلاماًًا وفضلاًًا، شخصية إنسان تحمل طابع الأنوثة لتكون آية الله البالغة، واقتداره البديع العجيب، فإنّ الله تعالى خلق مهداً ص ليكون آية قدرته في الأنبياء، ثم خلق منه بضعه وابنته فاطمة الزهراء عليها السلام لتكون علامه وأية على قدرة الله في إبداع مخلوق أنشى تكون كتلة من الفضائل، وجموعة من الموهب، فكانت البركات التي عمّت العالم، المعصومة الكبرى والشفيعة في يوم الجزاء؛ من أحبها فقد أحبّ الله ورسوله ص، ومن حاربها فقد حارب الله ورسوله. ومن هنا جاءت هذه الدراسة لنلقي الضوء على بعض معالم شخصيتها العظيمة التي استواعت بفخر واعتزاز جميع لغات العالم، وآمن بقدسيتها، وعظم شأنها جميع رجال العلم والفكر في العالم.

إنّ سيرة الزهراء عليها السلام حافلة بكنوز الفكر والإبداع، وحياتها إنما هي تاريخ للإنسانية بجميع أبعادها وشأنها. وقد حفلت السيرة العطرة لولاتنا الزهراء عليها السلام بأدب خصب وثرّ عبر العصور، فلم تخُصّ بعصر دون آخر، لتجسد معالم العظمّة والخلق الكريم في سيرة الزهراء عليها السلام وحقيقة حمل الرسالة وأثارها على المجتمع والعقيدة، في الإصلاح للفرد والمجتمع. وجاءت الدراسة الموسومة (فاطمة الزهراء عليها السلام صراط الله ومعدن علمه- القراءات في النص الشعري)، وقد قامت بمقديمة وثلاثة مباحث، وتناولت في (المبحث الأول/ الأسرة والأمومة في فكر الزهراء عليها السلام). وقد تطرقـت فيه إلى قضايا مهمة خصّت الحياة الأسرية لولاتنا الزهراء عليها السلام من الأمومة التي تعدّ من أسمى المعاني في شخصية

المرأة، إذ طاب المحتضن بطيب حاضنته، أما المبحث الثاني (منزلة الزهراء عليها السلام في اليوم الآخر) تطرق فيه إلى الحقيقة الملكوتية لحضره مولاتنا الزهراء عليها السلام في انبعاثها يوم الآخر لتأديي دورها بالشفاعة لمن ترضي عنهم. وجاء المبحث الثالث (العناصر النفسية لمولاتها الزهراء عليها السلام)، وتطرق فيه إلى مفهوم العصمة وما تمثله مولاتنا الزهراء عليها السلام أصل شجرة الرسالة، وعنصر النبوة، وكذلك تطرق إلى الزهد والعبادة، وبها اتسمت به مولاتنا الزهراء عليها السلام من القدسية والعبادة الخالصة لله تعالى. وقد وقفت عند كوكبة من الشعراء في مختلف العصور، في تحليل نصوصهم الشعرية توخيًا للكشف عن بعض الحقائق والقضايا المهمة التي اتسمت بها مولاتنا الزهراء عليها السلام من العظمة والقدسية، إذ أعطت للإنسانية أنموذجاً رائعاً للأمومة، والتي مثلت الإسلام بكل معانيه، وخطّت لنا دروساً في بناء الشخصية والأسرة. ثم ختمت الدراسة بما توصلت إليه من نتائج، وبعدها قائمة المصادر والمراجع.

## المبحث الأول

### الأسرة والأمومة في فكر الزهراء بنت الرسول

إن للأسرة دوراً مهماً في بناء المجتمع ورقمه؛ ومن هنا شغلت اهتمام العلماء والباحثين لا سيما علماء النفس والاجتماع وال فلاسفة بالدراسة المتواصلة للوقوف على أهم ما تواجهه من مشكلات وخصائص ووضع الحلول بما يناسبها في كلّ وقت وزمان. والأسرة بمفهومها اللغوي: (الدرع الحصينة، وأهل الرجل وعشيرته، وتطلق على الجماعة يربطها أمر مشترك، وجمعها: أسر)<sup>(١)</sup>. أما في المفهوم الاصطلاحي: (هي الوحدة الأولى للمجتمع، وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعياً ويكسب منها الكثير من معارفه ومهاراته وميوله وعواطفه واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه وسكنه)<sup>(٢)</sup>. والأسرة هي آية من آيات الله تعالى الخلقية في أرضه؛ أصل تكوينها الرجل والمرأة يربطهما رباط شرعي مقدس، نظمت حدوده وحفظت هذه العلاقة وقويت بالمودة والرحمة، وتكاملت دورة حياتهما بالسكن النفسي والوجودان القلبي، فأثمرت خيرة الأبناء. وما لا ريب فيه ونحن نسير في عقب حياة السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء بنت الرسول وسيرتها العطرة لا بدّ من الوقوف بإجلال أمّام الأسرة الفاطمية العظمى والمثل الأعلى حيث الشرف كلّ الشرف، نستلهم منها المناهج والنظم والروابط الأسرية المتينة. ومن المعلوم أنّ الدراسات الحديثة أكدت مبدأ التوافق الزوجي، إذ جعلته نقطة انطلاق، بل الركيزة التي ترتكز عليها السعادة الزوجية، بينما نجد أنّ النظم النبوية أكدت مبدأ (الأكفاء). قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم:

(١) لسان العرب ١ : ١٤٠ (أسر).

(٢) من أسس التربية الإسلامية: ٤٩٧.

(زوجوا الأكفاء)<sup>(١)</sup>، ومن هنا أدرك علماء الاجتماع والدراسات الحديثة إلى الأسس التي يقوم عليها التوافق الزواجي هو مفهوم الذات والذي أحتل مكانة عظمى، إذ عدّ مكان القلب في التوجيه النفسي<sup>(٢)</sup>. فكلما عرف الإنسان ذاته، استطاع الوصول إلى الكفؤ والنظير، وإنّ الأسرة عند الصديقة الطاهرة هي: (حاضنة التكامل الإنساني الذي يبحث عنه الرجل والمرأة كلاً في الآخر)<sup>(٣)</sup>. فأمير المؤمنين على<sup>عليه السلام</sup> والصدّيقّة الطاهرة فاطمة<sup>عليها السلام</sup> كلّ منها عارف بذاته، متيقن بكفؤ شريكه في الحياة. عن أمير المؤمنين على<sup>عليه السلام</sup> قال: قال لي رسول الله<sup>ص</sup>: (يا علي لقد عاتبني رجال من قريش في أمر فاطمة وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا وزوجت علياً، فقلت لهم: والله ما أنا منعكم وزوجته، بل الله منعكم وزوجه، فهو بطيء على جبريل فقال: يا محمد إنّ الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق علياً<sup>عليه السلام</sup> لما كان لفاطمة<sup>عليها السلام</sup> ابنتك كفؤ على وجه الأرض، آدم فمن دونه)<sup>(٤)</sup>. لذلك ينشد الشاعر محمد مهدي بحر العلوم، إذ يقول:

لها غيره في الناس من كفؤ عدلٍ

بذا وتولي الأمر والعقد من قبلٍ

وكم طالب صهراً وما كان بالأهلٍ

ولا كانت الزهرات زفف إلى بعلٍ

جليلين جلاً عن شبيهٍ وعن مثلٍ

وزوجه المختار بضعيته وما

وإنّ إله العرش ربّ العلي قضى

وكم خاطب قدر د فيها ولم يُجب

ولولا عليّ ما استجيبت لخاطبٍ

فأعظم بزوجين، الاله ارتضاهما

(١) هذه فاطمة<sup>عليها السلام</sup> ٣: ٣٣.

(٢) ينظر: التوجيه والإرشاد النفسي: ٢٥٨.

(٣) هذه فاطمة<sup>عليها السلام</sup> ٣: ٢٣.

(٤) الصديقة الكبرى: ٣٢.

لذلك ما هم الوصي بخطبة حياة البطل الطهير فاقدة المثل<sup>(١)</sup>

ففي هذا النص يبين لنا الشاعر أهم محاور نظرية الذات في تحقيق التكافؤ المؤدي إلى حصول التوافق الزواجي، إذ لا يمكن أن يتحقق التكافؤ بين الزوجين، ومن ثم التوافق، وكلّ منها لا يعرف ولا يفهم ذاته، فهذه المعرفة بالذات هي التي تحدد بنجاح حالة التكافؤ الرواجي والذي بدوره يحقق التوافق في الحياة الزوجية، وإنّ هذه النظرية هي إنما لعامة الناس، ولا يمكن حملها على فهم ومعرفة ذات عليّ وفاطمة عليهما السلام لأنّها ذاتان قد ذابتان في الفيوضات الإلهية، بما روي عن سليمان الفارسي رض أنه قال: سأّل العباس بن عبد المطلب رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فقال: يا رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بما فضل الله علينا أهل البيت عليّ بن أبي طالب والمعادن واحدة؟ فقال النبيّ: (إذن أخبرك يا عم أنّ الله خلقني وخلق عليّ، ولا سماء ولا أرض ولا جنة ولا نار ولا لوح ولا قلم؛ فلما أراد الله عزّ وجلّ بده خلقنا بكلمة فكانت نوراً، ثمّ تكلّم ثانية فكانت روحًا، فمزج فيها بينهما واعتدلا، فخلقني وعلىّ منها، ثمّ فتق من نوري نور العرش، فأنا أجلّ من العرش، ثمّ فتق من نور عليّ نور السموات، فعلىّ أجلّ من السموات، ثمّ فتق من نور الحسن نور الشمس ومن نور الحسين نور القمر، فهما أجلّ من الشمس والقمر، وكانت الملائكة تسبح الله تعالى وتقول في تسبيحها: (سبّوح قدوس من أنوارها ما أكرّها على الله تعالى)! فلما أراد الله تعالى أن يبلو الملائكة أرسل عليهم سحاباً من ظلمة، وكانت الملائكة لا تنظر أولها من آخرها ولا آخرها من أولها، فقالت الملائكة: إلينا وسيدنا منذ خلقتنا ما رأينا مثل ما نحن فيه، فنسألك بحقّ هذه الأنوار إلاّ ما كشفت عنا، فقال الله عزّ وجلّ، وعزّتي وجلالي لأفعلنّ: فخلق نور فاطمة الزهراء عليها السلام يومئذ

(١) الصديقة الكبرى: ٢٦، السيد محمد مهدي بن السيد مرتضى بن السيد محمد الطباطبائي البروجردي النجفي، الملقب (بحر العلوم)، ولد في كربلاء سنة ١١٥٥ هـ، أستاذ فقهاء عصره، وشاعر، توفي سنة ١٢١٢ هـ.

كالقنديل وعلقه في قرط العرش، فزهرت السماوات السبع والأرضون السبع)<sup>(١)</sup>، ويجنب الشاعر في تحقيق تلك القضايا المصيرية من خلال ما اكتنز النص من الأساليب التعبيرية اللغوية والخصائص البينية، إذ ورد في البيت (كم من خاطب) الاستفهام الإخباري الذي يؤكد دلالة واضحة أنّه لا يوجد كفؤ للزهراء من خاطب إلّا عليهاً. وقد أكد ذلك بتكرار الاستفهام موضحاً ما خرج إليه الاستفهام من طلب حصول الشيء في الذهن<sup>(٢)</sup>. وكذلك نجد في البيت الآخر تأكيداً لذلك الأمر عن طريق أسلوب الشرط (لولا) الذي يؤكد أنّ الزهراء<sup>عليها السلام</sup> يمتنع لها خاطب غير على<sup>عليها السلام</sup> بجملة الشرط وجوابها الفعل المنفي الذي يدلّ دلالة واضحة على أنّ هذا الزواج المقدس هو أمر من الله تعالى بما عصده الشاعر من فعل التعجب (فأعظم بزوجين) لا مثيل لها في العالم كله.

ويبدو أنّ الأسس التي وضعها رسول الله ﷺ في بناء الأسرة القوية والعلاقة الزوجية الصالحة إنما يجب أن تتخذ مبدأ التكافؤ أساساً لبناء الأسرة على أن يقوم هذا الأساس بمفهوم الذات؛ فمن عرف ذاته استطاع أن يعرف نظيره الذي يشاركه ميادين الحياة حلوها ومرها، وبذا يحقق الانسجام، لذلك ينشد أبو محمود المنصور بالله<sup>(٣)</sup> قوله:

خامسة الخمسة في الكساء	وزوجه سيدة النساء
فهل لهم كهذه العلياء	أنكحها الصديق في السماء
وجبرئيل مستناب عن علي	الله في إنكافها هو الولي

(١) الأسرار الفاطمية<sup>عليها السلام</sup>: ٤٢٦.

(٢) ينظر: ختصر المعاني ٤: ١٣.

(٣) الحسن بن محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى الهميكي، أحد أئمة الزيدية في اليمن، محدث وأديب، صاحب كتاب أنوار اليقين، ينظر: الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء<sup>عليها السلام</sup>: ١٧٣.

فهل لهم كمثل ذا فاقصصهُ لي  
والشهداء حاملو العرش العلي  
فهل ترى إن كاحهم إن كاحه<sup>(١)</sup>  
وأكرم الأصل بها لقاَهُ

ففي الآيات يبين لنا الشاعر الأسس القوية في بناء الأسرة القوية؛ لذا نراه يجنب نحو الجمل الأسمية في (الله في إن كاحها)، (والشهداء حاملو العرش) التي تبين الأسس السليمة في بناء الحياة الأسرية الناجحة، والتي تبدأ بالزواج الذي شرعه الله ورسوله ﷺ كي يتبع الآئم تزهراً في جيل الحياة الإنسانية، (ولعل كلّ مشتغل بالعلوم الاجتماعية على اتساعها وتشعّبها - يدرك إدراكاً واضحاً ليس في حاجة إلى تدليل: أنّ اهتمام المفكرين بالأسرة وخصائصها ومشكلاتها، اهتمام يضرب بجذور عميقة في تاريخ الفكر الإنساني، بل يكاد يكون قدّيماً قدّم الفكر الإنساني نفسه)<sup>(٢)</sup>. فالأسرة الفاطمية آية من آيات الله تعالى عُدْت مثلاً وقدوة للبشرية في فهم أسلوب الحياة الأسرية وتعرف المناهج الصحيحة في استمرار هذا البناء وتواصله.

والأسرة هي اللبننة الأولى التي يقوم عليها المجتمع، حيث تبدأ التربية، وتشكل الأخلاق والقيم والسلوك، والتكوين والتثقيف، بل وتساهم في بناء مجتمع راق ومتتطور، فالأسرة في طبيعتها التحاد تلقائي تؤدي إليه الاستعدادات والقدرات الكامنة في الطبيعة البشرية النازعة إلى الاجتماع، وهي بأوضاعها ومراسيمها عبارة عن مؤسسة اجتماعية تنبعث عن ظروف الحياة الطبيعية التلقائية للنظم والأوضاع الاجتماعية<sup>(٣)</sup> إذ يقول شمس الدين محفوظ<sup>(٤)</sup>.

(١) الصديقة الكبرى عليها السلام: ١٧٤.

(٢) الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، للدكتورة علياء شكري: ١٧.

(٣) ينظر: النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة للدكتورة سامية الخشاب: ٣.

(٤) ابن وشاح بن محمد أبى محمد الحلى الأسى، علامه ومرجع وشاعر، ينظر: موسوعة الغدير: ٥: ٦٧٩.

الساجدون السادة النجباء	الطييون الطاهرون الراکعون
اللوذعي إذا بدت ضوضاء	منهم على الأبطحي الهاشمي
البشير المستنير ومن له الأنباء	ذاك الأمير لدى الغدير أخوه
وكذا قد طهرت له الأنباء	طهرت له الأصلاب من آبائه
فلاجل ذلکم اسمها زهراء	ذو زوجة قد أزهرت أنوارها
المتأخرون وشرف القدماء <sup>(١)</sup>	وأنمة من ولدها سادت بها

يبين الشاعر هنا كيف تأسس الزهراء عليها السلام المناهج والأسس الصحيحة والثابتة في خلق أسرة متماسكة؛ هذا البيت الذي قوامه المودة والألفة والتعاون بين أفراده، فالزوجة تعرف حقوقها، وتدرك واجباتها، والزوج كذلك، فالمؤوليات متعددة. ومن المعلوم أن القرآن الكريم نظم الحياة الأسرية ورسم حدودها وأسباب ديمومتها بعنصرين هما (المودة والرحمة)؛ لذلك ينشد محمد حسين الأصفهاني، اذ يقول:

في غيب ذاتها فكانت مُبهمة	بل هي أم الكلمات المُحكمة
وفي الكفاء كفاء من لا كفاء له	روح النبي في عظيم المنزلة
لطيفة جلت عن الشهود	تمثلت رقيقة الوجود
نتيجة الأدوار والأكوار	تطورت في أفضل الأطوار
بصورة بديعية الجمال <sup>(٢)</sup>	تصورت حقيقة الكمال

(١) موسوعة الغدير ٥: ١٧٧.

(٢) الصديقة الكبرى عليها السلام: ٣٨٩.

ففي هذه الأبيات يؤكد الشاعر الخطوات التي يجب على كلّ فرد اتّباعها في بناء أسرة. وقد اعتمد الشاعر في ذلك على الجمل الفعلية التي تجعل من النصّ أكثر تزامناً مع حقيقة ما أشارت إليه التعاليم الإسلامية، بأنّ أولى الخطوات أن تكون بحسن الاختيار لكلا الطرفين، والذي يتمثل بالكفاءة، يضاف إلى أنّ من الأمور التي أكدّها الإسلام في حفظ كيان الأسرة هي المودة والرحمة. قال تعالى: (وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوْدَةً وَرَحْمَةً)<sup>(١)</sup>. هنا تبدأ التربية، وهنا تنبثق الأخلاق والمبادئ وتتقاسم الأدوار بين الرجل والمرأة ويدوم الاحترام بينهما، باعتبارهما شريكين، والعطاء متتبادل بينهما، والمشاركة الوجданية، واحترام الآراء وتبادل الثقة؛ كل يعرف ما له من مسؤولية تجاه أسرته، وبذلّك سوف يتحقق الأمن والاستقرار. والحقّ أنّه لو نظر بني البشر إلى سيرة الزهراء عليها السلام وعمقوا بدلاتها لوجدوها منطلقاً لرسم حياة زوجية مثالية؛ فالمنهاج الذي وضعه الرسول الأكرم صلوات الله عليه للحياة الزوجية والذي جعل بضعيته الزهراء عليها السلام وعلي بن أبي طالب مثالاً للبشرية في تطبيقها، إذ يحفظ هذا المنهاج للأسرة المدوءة والطمأنينة، لتعيش الأسرة في رغد وهناء. عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (تقاضى على وفاطمة إلى رسول الله صلوات الله عليه في الخدمة فقضى على فاطمة عليها السلام بخدمتها ما دون الباب وقضى على علي عليه السلام بما خلفه، قال: فقالت فاطمة فلا يعلم ما دخلني من السرور إلا الله يإكفاني رسول الله صلوات الله عليه تحمل أرقاب الرجال)<sup>(٢)</sup>، هذا التقسيم السوي في مسؤولية الحياة الزوجية، والذي نجد فيه مراعاة الجانب النفسي والإنساني على حد سواء، الأعمال التي فيها مشقة تكون للرجل، والأعمال التي فيها أقل شدة للمرأة؛ يضاف إلى حفظ المرأة وصيانتها من الأخطار التي تتعرض لها حين تخرج للعمل خارج الدار. وهذا لا يعني حرمة خروج المرأة للعمل خارج الدار إن تطلب منها ذلك، ولكن أن يكون بحدود ما آلت إليه الشريعة من

(١) سورة الروم: الآية ٢١.

(٢) حلية الأولياء ٦: ١٠٤.

الخشمة والحياء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والحق أنّ بيت علي وفاطمة عليهم السلام كان أنموذجًا أخلاقيًّا ينطق عن مضامين الشريعة السمحاء، والذي يضع المرأة في مجال الرأفة والرقّة والعطف على الرجل، يقول رسول الله ﷺ: (المرأة ريحانة وليس قهرمانة)<sup>(١)</sup>. وما لا شكّ فيه، إنّ التربية التي يكون قوامها الإيمان بالله هي التربية المثلية لتحديد سلوكيّة الفرد وغرس القيم الأخلاقية التي يدعو إليها الدين الإسلامي، والتي تسهم في بناء مجتمع سليم ومتظور، وإنّ أهم المناهج التربوية في البيت الفاطمي أسلوب التعايش والمعاصرة بين الزوجين بغية نيل رضا الله تعالى، يروي الإمام علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ قوله: (دخل علينا رسول الله ﷺ وفاطمة عليها السلام جالسة عند القدر وأنا جالس أنقي العدس، قال: يا أبا الحسن قلت: ليك يا رسول الله ﷺ قال: اسمع وما أقول إلاّ ما أمر ربّي، ما من رجل يعين امرأته في بيتها إلاّ كان له بكل شعرة على بدنّه عبادة سنة صيام نهارها، وقيام ليتها، وأعطاه الله من الثواب ما أعطاه الله الصابرين، وداود النبي، ويعقوب، وعيسي عليه السلام، يا علي من لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنة بغير حساب؛ يا علي خدمة العيال كفارة للكبائر، ويطفئ غضب ربّ، ومهور حور العين، ويزيد في الحسنات والدرجات، يا علي لا يخدم العيال إلاّ صديق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة)<sup>(٢)</sup>. ومن الجدير بالذكر أنّ المرأة بطبعها الأنثوي ميالة لنيل مودة الرجل وراحته، وذلك برفع مكانته وقيمة في البيت إذ لا يمكن الاستغناء عنه وأنها تحتاجه عوناً وسندًا لها في حياتها، وهي بذلك تقدم له كلّ متطلبات الراحة والسكن النفسي. من المعلوم أنّ موقع المرأة في الأسرة -على وجه العموم- والزوجة -على وجه الخصوص- من الواقع المهمة في جلب السعادة للأسرة. ومن أروع

(١) هذه فاطمة ٣: ٤٧.

(٢) هذه فاطمة ٣: ٥١.

ما صرحت به سيدة النساء ﷺ في المعاملة الحسنة بين الزوجين، قوله: (خياركم ألينكم، وأكرمهم لنسائهم)<sup>(١)</sup>.

تعددت الدراسات القديمة والحديثة في رسم الأبعاد الأساسية للأمومة، (فالأمومة في سيكولوجيا المرأة تعدّ المرحلة الخطيرة في حياتها، لأنّها فرصة رائعة لها كي تتحقق شعورها المباشر بالخلود، وإنّ وظيفة المرأة التناسلية ليست عملية فردية ومتكررة، بل هي تنطوي على شعور باطني في نفس المرأة يشعرها بأنّها القطب المبدع في الإنسانية، القطب الذي يحقق ظفر الحياة على الموت دائمًا، وليس الأمومة بالمرحلة البيولوجية الصرفة، بل هي تنطوي على وحدة بسيكولوجية مليئة بالذكريات والرغبات والمخاوف تتجمع قبل مرحلة الأمومة بكثير)<sup>(٢)</sup>، وإنّ أهل البيت ﷺ هم بيت الوحي والعلم والطهارة، بما روى عن الإمام الباقر ع: (بيت عليّ وفاطمة حجرة رسول الله ﷺ وسقف بيتهم عرش رب العالمين، وفي قعر بيتهم فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي، والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساء وكلّ ساعة وطرفة عين، والملائكة لا ينقطع فوجهم، فوج ينزل، وفوج يصعد، وإنّ الله تبارك وتعالى كشف لإبراهيم ع عن السماوات حتى أبصر العرش، وزاد الله في قوة ناظره، وإنّ الله زاد في قوة ناظر محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين ع، وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيتهم سقفاً غير العرش، فيبيتهم مسقبة بعرش الرحمن، ومعارج الملائكة والروح فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر سلام<sup>(٣)</sup>). إنّ المتأمل لسيرة مولاتنا الزهراء ع ليجد فيها نفحات العظمة والقداسة، فهي ليست امرأة عادية وإنما هي شخصية إلهية استطاعت أن تخرج إلى العالم تحيطها حالة من الحكم والجلالة، حكمة ليس

(١) مسند فاطمة الزهراء ع: ٢٢١.

(٢) سيكولوجية المرأة: ٤٤.

(٣) تفسير البرهان: ٤: ٤٨٧.

مرجعها الكتب والعلماء وإنما علمها من صميم نafs لأنها آية الله في خلقه، فضيلة أولياء الله الذين اعترفت لهم السماء بالعظمة قبل أن يعرفهم أهل الأرض، شخصية كلما ازداد البشر تطوراً للحياة وتطلعاً للحقائق أبهروا عظمة تلك الشخصية التي لم تخلق الدنيا مثلها. وقد اختلفت الثقافات في رسم صورة الأم وتحديد أبعادها، ومن بين هذه الثقافات الثقافة الإسلامية التي أعطت صورة رائعة للأم، يقول الرسول الأعظم ﷺ: (الجنة تحت أقدام الأمهات)<sup>(١)</sup>، فهي من ما بين المنزلة الشرعية وما يتعلق بها من أحكام وواجبات، وبين المنزلة الاجتماعية التي تجلّت عن طريق ما نطقت به ترجمة الوحي، وهم أهل البيت عليهم السلام على وجه العموم وملاتنا الزهراء عليها السلام على وجه الخصوص. إن الوظيفة التي تختص بالمرأة الأم ليست عملية فردية متكررة، بل هي تنطوي على شعور داخلي في نفس المرأة يشعرها بأئمّها الشيء المميز في الإنسانية، فروح الأمومة: (تعني فكريتين.. الأولى: مجموعة المميزات الخاصة التي تطبع شخصية المرأة، والثانية: الحوادث المثيرة التي تحرك المرأة عند رؤيتها لطفلها وشعورها بضعفه)<sup>(٢)</sup>. وفي الحياة الطيبة ملاتنا الزهراء عليها السلام الأم إذ لا يمكن أن تكون هناك امرأة نموذجاً حياً للأمومة غيرها، وذلك لأنّ المعدّ لها أمّاً هو الله جلّ جلاله، يقول تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)<sup>(٣)</sup>، وهذه الإرادة الإلهية اقتضت أن تكون الزهراء عليها السلام أمّاً للأئمة المعصومين عليهم السلام حجّ الله على الخلق، إذ يقول محمد حسين الصغير:

أزال عن الظلم

(فاطمة) بنت من

علمنا بالقلم

والله في فضله

(١) ميزان الحكمة ٤: ٣٦٧.

(٢) هذه فاطمة ٣: ١٢٨.

(٣) الأحزاب الآية: ٣٣.

ذرية لم ترم	أودع في نسلها
واللؤلؤ المتظم	هم نجوم آلدجي
وطاف حول الحرم	أشرف من قد مشى
تارixinهم في سنم	أئمة لم يزل
هلاً رأيت الهرم؟	أثارهم في آلذرى
الستهم بالحكم	أفواههم بالحجى
أكفهم كالديم	أخلاقهم كالندى
قادة كل الأمم <sup>(١)</sup>	سادة كل الورى

ففي هذا النص يبرز لنا الشاعر مولاتنا الزهراء<sup>عليها السلام</sup> الأم الذي تحمل المعنى الحقيقي لهذه الكلمة، ليس هناك موضع شك في شخصية الزهراء<sup>عليها السلام</sup> وهي المصطفاة من الله تعالى **﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾**<sup>(٢)</sup>، وهي المتعلمة في مدينة العلم وأكمل الخلق<sup>عليهم السلام</sup>، ولو تأملنا الحياة الطيبة في التكوين الجنيني لولاتنا الزهراء<sup>عليها السلام</sup>، وقد وضح الشاعر تلك الأسس بما عمد إليه من المحسنات اللغوية والأساليب اللغویة البديعية، فأسلوب الاستفهام (هلا رأيت الهرم)، والتشبيه في (أخلاقهم كالندى، أكفهم كالديم) وغيرها من الأساليب التي عمد إليها ليبين حقائق علمية تجسدت في الحياة الأسرية لولاتنا الزهراء<sup>عليها السلام</sup>، إذ إنّ تطور العلوم أدى إلى استقلال مادة بحثية متخصصة في نفسية الجنين وهو في بطن أمه، وما يطرأ عليها من تغيرات بحسب تأثير العوامل الخارجية الواردة على نفسية الأم، يضاف إلى ما تحمله الجنينات الوراثية للجينين، (إنّ مجموع ما يتكون لدى الجنين من إحساسات أولية

(١) ديوان أهل البيت: ١٢٧.

(٢) آل عمران الآية: ٤٢.

وخبرات جسدية ونفسية تجعل العلماء يرون: أن الجنين يحيا حياة تامة وهو في بطن أمه، وأنه حين يولد يكون قد قطع شوطاً كبيراً من النضج يساعدته على متابعة حياته المستقلة، كما يساعدته على متابعة وظائفه المستقبلية، وهو عندما يغدو إلى هذا العالم لا يواجه عالمه كما لو كان غريبا عنه ويجده، بل هو يتابع خبراته التي تكونت عنده وهو جنين<sup>(١)</sup>. هذا يعني كل ما تعيشه الأم وتحس به وتأثر له أثره على نفسية الجنين أثناء مراحل تكوينه، ونحن في إطار الحياة الطيبة التي تتلمسها من خلال السيرة العطرة لولاتنا الزهراء عليها السلام الأم إذ كل ما جاءت به الدراسات المتعددة التي تبين حالة الحمل والولادة وما ترك من آثار نفسية ومعالم خلقية في شخصية الأم والجنين قد رسمت في بيت فاطمة عليها السلام، فهذه الأسس العلمية والصحية كلها في متحققة في البيت الفاطمي، إذ كان حمل الزهراء عليها السلام يسير ضمن تلك العناصر المتناهية الدقة بكل ما يحتاج إليه الجنين من تكوينات نفسية وعقلية وبدنية، إذ لم يتحقق لأمرأة ما تحقق لفاطمة عليها السلام من عناصر سلامة الحمل وصحته، وكيف لا وهي في بيت والدها سيد الخلق وزوجها سيد الوصيين، وهي سيدة نساء العالمين، كل ما تحمله من القدسية والكمال الإنساني. ومن هنا فإن المولود سيولد وهو متّحد بنورها ونوره، يولد الوليد يحمل صفة السيادة وقيادة الأمة وأنه حجة الله على الخلق، وأن حملها الرسالي بالحسن والحسين عليهم السلام كان من الاصطفاء الرباني والغرض الإرشادي والتقويم السلوكي والاصطلاحي ما لم يكن لآل بيت في بيوت الأنبياء عليهم السلام بمقتضى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ إِلَيْهِمْ هُدًى وَرَحْمَةً وَلَمْ يُظْهِرْهُ عَلَى الَّذِينَ كُلُّهُمْ لَوْ كَرِهُ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سيكلولوجية الأومة ومسؤولية الحمل: ١٤٩.

(٢) التوبية الآية:

## المبحث الثاني

### العناصر النفسية لولاتنا الزهراء عليها السلام

العصمة:

مبدأ العصمة ينطلق من لطف الله (جل جلاله) يهبه لمن يشاء من خلقه الذين يختارهم ويصطففهم بما منحهم من دور رسالي. مولاتنا الزهراء عليها السلام من مثل تلك العصمة، بل هي من مقوماتها الذاتية التي لا جدل فيها. لقد زكاها الله تعالى من كل إثم وعصيمها من كل ذنب، وحبها كل فضل. قال تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) <sup>(١)</sup>، القدوة الحسنة لجميع نساء العالمين، قدوة في عبادتها وعفتها وطهارتها واحسانها وبرها للفقراء، يقول محمد حسين الصغير:

تختال بين مبرّة وصلاح	وتجلت الزهراء في عليائها
بالأي ناطقة وبالألوان	الله درك كم حملت رساله
كتالق الأسياف يوم كفاح	وتألقت منك الفضائل جمه
ويدائك: كف ندى، وكف سماح	يوماك: يوم هدى، ويوم سلاح
أرج النسيم، ونفحة القداح	وبدت عليك شمائل من بعضها

ففي هذا النص يبين لنا الشاعر حقيقة أن بضعة الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه كريمة الأصل، شريفة الملائكة، نبيلة النفس، جليلة القدر، عظيمة الشأن، مرهفة الحس، غراء المكارم، الذروة العليا في العفاف والصدق، صورة الأنوثة المقدسة، آية الله في خلقه واقتداره البديع. عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) ديوان أهل البيت عليهم السلام: ١٤٣.

قال: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنِي وَخَلَقَ عَلَيًّا فَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحَسِينَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ الْجَلِيلَ، حِينَ لَا سَمَاءٌ مَبْنِيَّةٌ، وَلَا أَرْضٌ مَدْحِيَّةٌ، وَلَا ظَلْمَةٌ وَلَا نُورٌ، وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ، وَلَا جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ) <sup>(١)</sup>.  
 العنوان الأمثل والأكمل للمبادئ والقيم الإسلامية. ويرى أن مولاتنا الزهراء عليها السلام عند الله تعالى مقاماً عالياً وشريفاً، فالله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها. عن النبي ﷺ قال: (يا فاطمة إن الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك) <sup>(٢)</sup>، ويؤكد أهل البيت عليهم السلام بها اختصت مولاتنا فاطمة عليها السلام من شرف سامٍ ومقام عاليٍ عند الله تعالى بحديث عن الله تعالى بقوله: (يا فاطمة وعزّي وجلالـي وارتفاع مكاني، لقد آلت على نفسي من قبل أن أخلق السموات والأرض بألفي عام أن لا أذب محبيك ومحبـي عترتك بالنـار) <sup>(٣)</sup>. وأما مقامها عليها السلام عند الملائكة فذلك ما جاء به الحديث: (فقالـت الملائكة إـلـهـنـا وـسـيـدـنـا مـنـ هـذـا النـورـ الزـاهـرـ الـذـي قد أـشـرـقـتـ بـهـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ؟ فـأـوـحـيـ اللـهـ إـلـيـهـ: هـذـا نـورـ اـخـرـعـتـهـ مـنـ نـورـ جـالـلـيـ لأـمـتـيـ فـاطـمـةـ اـبـنـةـ حـبـيـيـ، وـزـوـجـةـ وـلـيـيـ، وـأـخـيـ نـبـيـيـ، وـأـبـيـ حـجـجـيـ عـلـىـ عـبـادـيـ، أـشـهـدـكـ مـلـائـكـتـيـ أـنـيـ قدـ جـعـلـتـ ثـوـابـ تـسـيـحـكـمـ وـتـقـدـيسـكـمـ هـذـهـ المـرـأـةـ وـشـيـعـتـهـاـ وـمـحـبـيـهاـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ) <sup>(٤)</sup>، إذ يقول محمد حسين الصغير:

والنافذات إلى القلوب روابعاً والمنعشات رواكـد الأرواحـ والمهديات الليل أي صباحـ والمرسلات العـرـفـ في الإـفـصـاحـ	والدائرات مع النجوم سوافراً والعـادـيـاتـ معـ النـضـالـ ضـوـابـحاـ
--	---

(١) بحار الأنوار ١٥: ١٠.

(٢) المناقب ٣: ١٠٦.

(٣) كنز الفوائد ١: ١٥٠.

(٤) البرهان ١: ٣٩٢.

## والنazuات من الطغاة غوارقاً<sup>(١)</sup> والموريات مع الصباح الصّاحي<sup>(٢)</sup>

هنا يبيّن لنا الشاعر، عصمة مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام فهي أصل شجرة الرسالة، وعنصر النبوة، كما قال الإمام الباقر عليه السلام: (الشجرة الطيبة رسول الله ص وفرعها على عليها السلام، وعنصر الشجرة فاطمة عليها السلام وثمرتها أولادها، وأغصانها وأوراقها شيعتها)<sup>(٣)</sup>. ويؤكّد الشاعر بما عمد إليه من التوظيف القرآني (العاديات، المرسلات، النازعات، الموريات) في النص ليخبرنا عن مقام سيدة للنساء عليها السلام أنها حازت من الكلمات النفسانية، والكلمات العقلانية، ما لم تحظ به أيّة امرأة بالكون. يقول الحاج محمد علي الأنصاري رحمه الله: (فمن تتبع الأخبار، وجاس خلال تلك الديار، علم أنّ سيدتنا الزهراء -سلام الله عليها- قد حازت من الكلمات النفسانية والفضائل العقلانية ما لم يجزها أحد من نوع النسوة من الأوّلين والآخرين، وأنّها ولية الله في السموات والأرضين، وأنّها أشرف من جميع الأنبياء والمرسلين، عدا أبيها خاتم النبيين، ولم يبق لأحد شبه في شرف محلها وسموّ مكانتها)<sup>(٤)</sup>. ومن سمو مكانتها ومنتزليتها عليها السلام عند الله (تعالى) أنه جعل ديمومة الرسالة وحفظ شريعة الباري من نسلها الأئمة الأبرار عليهم السلام. يروي مولانا الحسين بن علي عليه السلام: قال رسول الله ص: (فاطمة بήجة قلبي، وابناها ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمة من ولدها أمناء ربى، وحبله الممدود بينه وبين خلقه؛ من اعتصم به نجا، ومن تخلّف عنه هوى)<sup>(٥)</sup>.

(١) ديوان أهل البيت عليهم السلام: ١٤٣.

(٢) الأسرار الفاطمية: ٢٧٤.

(٣) فاطمة الزهراء: ٨٩.

(٤) فرائد السبطين: ٢: ٦٦.

## الزهد والعبادة:

ما اشتهر بين الناس ما اتسمت به الزهراء عليها السلام من الزهد وكثرة العبادة لله تعالى وكثرة الصلاة حتى يقول رسول الله ﷺ: (وأما ابنتي فاطمة فإنّها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني وثمرة فؤادي، وهي روحى التي بين جنبيّ، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربه (جل جلاله) زهر نورها للملائكة السماء كما يزهّر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله (عزّ وجلّ) للملائكة: يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إماءٍ، قائمة بين يدي ترعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أني قد آمنت شيعتها من النار)<sup>(١)</sup>. و كذلك يشير الحسن البصري لعبادة مولاتنا الزهراء عليها السلام إذ يقول: (ما كان في هذه الأمة عبد من فاطمة؛ كانت تقوم حتى تورمت قدماها)<sup>(٢)</sup>، لذلك ينشد محمد حسين الصغير قائلاً:

جوهرة في القدم	قد صاغها الله من
شمائل من كرم	واجتمعت عندها
يريد باري النسم	صورها مثلما
من العلي والعظيم	فاكتملت آية
بها الكمال استثم <sup>(٣)</sup>	قدسية بربة

هنا يجسد الشاعر الأخلاق الكريمة والفضائل الشريفة التي اتسمت بها مولاتنا الزهراء عليها السلام من القدسية والعبادة الخالصة لله تعالى. يتحدث الإمام الحسن عليه السلام بقوله:

(١) الآمالي: ٨٨

(٢) المناقب ٣: ١١٩، بحار الانوار ٤٣: ٧٦.

(٣) ديوان أهل البيت عليهم السلام: ١٣٠.

(رأيت أمي فاطمة عليها السلام في محرابها ليلة، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضحت عمود الصبح، وسمعتها تدعوا للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم، وتكثر من الدعاء لهم، ولا تدعوا لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه لم لا تدعين لنفسك؟ قالت: يا بني، الجار ثم الدار<sup>(١)</sup>، وأما زهدتها في الدنيا ما رواه أنس، بقوله: ( جاءت فاطمة عليها السلام إلى النبي صلوات الله عليه وسلم فقالت له: (يا رسول الله، إني وابن أبي طالب ما لنا فراش إلا جلد كبش ننام عليه ونعرف عليه ناضحنا بالنهار) فقال النبي صلوات الله عليه وسلم: (يا بنية أصبري فإنّ موسى بن عمران أقام مع امرأته عشر سنين ما لها فراش إلا عباءة قطوانية)<sup>(٢)</sup>. وأما من أدعيتها الشريفة عليها السلام التي تناجي بي الله تعالى قوله: (اللهم بعلمت الغيب، وقدرت على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي. اللهم إني أسألك كلمة الإخلاص، وخشيتك في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقير، وأسألك نعياً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك من غير ضرّاء مضرة، ولا فتنية مظلمة. اللهم زيننا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهديين، يا رب العالمين)<sup>(٣)</sup>. ومن دعاء مولاتنا الزهراء عليها السلام للأمر العظيم قوله: (بِحَقِّ يَسِّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، وَبِحَقِّ طِّهِ وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، يَا مَنْ يَقْدِرُ عَلَى حَوَائِجِ السَّائِلِينَ، وَيَا مَنْ يَعْلَمُ مَا فِي الصَّمِيرِ، يَا مَنْفَسًا عَنِ الْمَكْرُوبِينَ، يَا مَفْرَجًا عَنِ الْمَغْمُومِينَ، وَيَا رَاحِمَ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ، وَيَا رَازِقَ الطَّفْلِ الصَّغِيرِ، يَا مَنْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّفْسِيرِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ)<sup>(٤)</sup>. وأما دعاؤها في الاعتصام بالله تعالى، قوله: (اللهم ذلل نفسى في نفسي، وعظم شأنك في نفسي،

(١) سيرة الرسول وأها، بنته الأطهار للبيهقي: ١٧٨.

(٢) فاطمة الزهراء برجة قلب المصطفى: ٢٧٤.

(٣) بحار الانوار: ٩٤ : ٢٢٥

(٤) الدعوات: ٥٤

وأهمني طاعتك والعمل بما يرضيك، والتجنب لما يسخطك يا ارحم الراحمين<sup>(١)</sup>، هذا المستوى من العبادة لله تعالى في الحياة الطيبة التي ترافق عترة المصطفى ﷺ نستلهن العبرة والموعظة من مولاتنا الزهراء عليها السلام ذلك الالتزام بنهجهم إذ لا بد للمسلم من أن يتّخذ في بيته محاباً للصلوة والدعاة وتلاوة القرآن.

وتبقى سيدة النساء عليها السلام أسوة وقدوة لكل البشرية لا سيما لشيعتها بكل ما هذه الكلمة من معنى، فهي الأم معنى وجوداً وجسداً وطينة، وهي المعلمة والمربية، وهي الصادقة المصدقة الصديقة، وهي الكون الظاهر وسرّ الوجود الباهر، لذلك يقول محمد حسين الصغير:

رمز الخلود بظلّه الممراح	يا مولد الزهراء كت و لم تزل
والكوكب الأرضي في أنراح	العالم العلوّي في ترنيمه
ـأملاك في تبكيـرة ورواحـ	وحضيرة للقدس يعرج عندها الـ
ـوالفجر يعقب بالشذا الفواحـ <sup>(٢)</sup>	ـوالنجم زاهـ، والكواكب تزدهـي

هنا يجسد الشاعر المقام العالي لمولاتها الزهراء عليها السلام، إذ إن مولاتنا الزهراء عليها السلام مشكاة أنوار الله ورمز الخلود، حلقة وصل بين العالم الملكي المقدس، العالم الملكوتية النورية السابقة على الدنيا من العالم الأعلى والعالى والداني كعوالم الأنوار والأرواح والأشباح والذرّ المسماّ بعالم الميثاق، وبين العالم الملكوتية اللاحقة كعوالم القبر ويوم القيمة<sup>(٣)</sup>، عاملة بما كان وما يكون بما يروى عن عمار قوله: (شهدت علي بن أبي طالب عليها السلام وقد ولج على فاطمة

(١) اعلموا أنني فاطمة ٩: ٥٧١.

(٢) ديوان أهل البيت عليه السلام: ١٤٢.

(٣) ينظر: فاطمة الزهراء عليها السلام مشكاة الأنوار: ١١٧.

لَيْلَةَ، فَلَمَّا أَبْصَرَتْ بِهِ نَادَتْ: ادْنُ لِأَحْدَثِكَ بِمَا هُوَ كَانُ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ وَبِمَا لَمْ يَكُنْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حِينَ تَقُومُ السَّاعَةُ، قَالَ عُمَرٌ: فَرَأَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَيْلَةً يَرْجِعُ الْقَهْقَرَى، فَرَجَعَتْ بِرْجُوعِهِ، إِذَا دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ لَيْلَةً فَقَالَ لَهُ: ادْنُ يَا أَبَا الْحَسْنَ، فَدَنَّا لَمَّا اطْمَأَنَّ بِهِ الْمَجْلِسُ قَالَ لَهُ: يَحْدَثُنِي أَمْ أَحْدَثُكَ؟ قَالَ: الْحَدِيثُ مِنْكَ أَحْسَنٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ دَخَلْتَ عَلَى فَاطِمَةَ وَقَالَتْ لَكَ كَيْتُ وَكَيْتُ، فَرَجَعَتْ، فَقَالَ عَلَى لَيْلَةٍ نُورُ فَاطِمَةَ مِنْ نُورِنَا؟ فَقَالَ لَيْلَةً أَوْ لَا تَعْلَمُ؟ فَسَجَدَ عَلَى شَكْرَاللهِ تَعَالَى. قَالَ عُمَرٌ: فَخَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَيْلَةً وَخَرَجَتْ بِخَرْوَجِهِ، فَوَلَّ عَلَى فَاطِمَةَ لَيْلَةً وَوَلَّتْ مَعَهُ فَقَالَتْ: كَأَنَّكَ رَجَعْتَ إِلَى أَبِي لَيْلَةَ فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا قَلْتَ لَكَ؟ قَالَ: كَانَ كَذَلِكَ يَا فَاطِمَةَ، فَقَالَتْ: أَعْلَمُ يَا أَبَا الْحَسْنِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ نُورِي، وَكَانَ يَسِّيْحُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالَهُ، ثُمَّ أَوْدَعَهُ شَجَرَةَ مِنْ شَجَرِ الْجَنَّةِ فَأَضَاءَتْ فَلَمَّا دَخَلَ أَبِي الْجَنَّةِ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى لَهُ إِهْمَاماً أَنْ افْتَنَنِي أَنْ اقْتَطِفَ الشَّمْرَةَ مِنْ تَلْكَ الْجَنَّةِ وَأَدْرَهَا فِي لَهْوَاتِكَ، فَفَعَلَ، فَأَوْدَعَنِي اللَّهُ سَبِّحَانَهُ صَلَبَ أَبِي لَيْلَةَ ثُمَّ أَوْدَعَنِي خَدِيجَةَ بِنْتَ خَوَيلَدَ فَوَضَعَتْنِي، وَأَنَا مِنْ ذَلِكَ النُّورِ، أَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَمْ يَكُنْ يَا أَبَا الْحَسْنِ<sup>(١)</sup>. وَمَا بَيْنِهِ لَنَا مِنْ خَلَالٍ تَعْضِيدُ النَّصِّ بِمَا أَوْرَدَهُ مِنْ الأَسَالِيبِ الْلُّغُوِيَّةِ (النَّدَاءُ بِحُرفِ (يَا) فِي قَوْلِهِ: يَا مُولَدُ، وَكَذَلِكَ أَسْلُوبُ النَّفِيِّ وَالْمُثْبِتِ فِي (كَنْتُ وَلَمْ تَرُلُّ)، وَالتَّقَابِلُ (الْعَالَمُ الْعُلُوِّيُّ، وَالْكَوْكَبُ الْأَرْضِيُّ) وَغَيْرُهَا مِنَ الأَسَالِيبِ الَّتِي بَيَّنَتْ حَقِيقَةَ مِنْ حَقَائِقِ مَوْلَاتِنَا الزَّهْرَاءَ لَيْلَةً، بَلْ كَانَتْ مِنْ مَلَازِمَاتِ مَوْلَاتِنَا الزَّهْرَاءَ لَيْلَةً تَسْبِيْحُهَا آنَاءَ الْلَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ. وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ بَعْضُ الرَّوَايَاتِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي أَظْهَرَتْ أَنَّ تَسْبِيْحَ الزَّهْرَاءِ لَيْلَةً هُوَ الْمُخْصُوصُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَئِمَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>، يَرُوِيُّ: (سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرَ لَيْلَةً يَقُولُ: تَسْبِيْحُ فَاطِمَةَ لَيْلَةً مِنْ ذَكْرِ اللَّهِ الْكَثِيرِ

(١) فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ بِهُجَةِ قَلْبِ الْمُصْطَفَى لَيْلَةً: ٢٨٧

(٢) الْأَزْرَابُ الْآيَةُ: ٤٦.

الذي قال الله عز وجل (الله ذكرأ كثيراً)<sup>(١)</sup>، وإن تسبيح الزهراء عليها السلام بعد الفريضة يوجب غفران الذنوب. عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: (من سبّح تسبيح الزهراء عليها السلام قبل أن يشني رجله من صلاة الفريضة غفر الله له، ويبدأ بالتكبير)<sup>(٢)</sup>، وكذلك تسبيح الزهراء عليها السلام بعد الفريضة يوجب الجنة؛ يروي عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (من سبّح تسبيح فاطمة في دبر المكتوبة من قبل أن يبسط رجليه أوجب الله له الجنة)<sup>(٣)</sup>. ومن معالم زهد مولاتنا الزهراء عليها السلام الصبر على مرارة العيش وتحمل الأذى طلباً لرضا الباري عز وجل، وهذا ما شاهده الرسول الأعظم ص في حياة البضعة عليها السلام حتى دمعت عيناه رأفة بها، وهو من سماء رب العزة تعالى بقوله: ﴿.. بِالْمُؤْمِنِينَ رَوُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، فكيف ببعضه وسيدة نساء العالمين؟ يقول الإمام الصادق عليه السلام: (دخل رسول الله ص على فاطمة عليها السلام وعليها كساء من ثلة الإبل، وهي تطحن بيدها وترضع ولدتها فدمعت عينا رسول الله ص لما أبصرها فقال: يا بنتاه، تعجي مرارة الدنيا بحلوة الآخرة؛ فقد أنزل الله علی: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾<sup>(٥)</sup>).<sup>(٦)</sup>.

وللمعنى نفسه ينشد ابن الأقساسي<sup>(٧)</sup>، اذ يقول:

وصهر رسول الله في ابنته التي  
على فضلها قد أنزل الأيء والسور<sup>(٨)</sup>

(١) مستدرك الوسائل ٥: ٣٦.

(٢) الأمالي (للصدوق): ٦٤٣.

(٣) مستدرك الوسائل ٥: ٣٤.

(٤) التوبه الآية: ١٢٨.

(٥) الصحيح الآية: ٥.

(٦) هذه فاطمة ٥: ٣٠٨.

(٧) أبو محمد الحسن بن علي بن حمزة بن محمد بن علي الزاهد بن الأقساسي بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليها السلام الكوفي، شاعر توفي سنة (٥٩٣ هـ)، أعيان الشيعة ٨: ٢٧٣.

(٨) الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام: ١٦٤.

ففي هذا البيت يخبرنا الشاعر أنَّ الزهراء عليها السلام آية المحاسن والفضائل تتجلّى فيها المصايب الإلهية، لأنَّها سمعت الكمالات النبوية والمعالي الربانية، جمعت كلَّ أبعاد الشخصية الرسالية التي جاء بها النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وحفظها الوصي عليه السلام، فالزهراء عليها السلام يعني رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وقرآنها وعترتها الأطهار عليهم السلام.

## المبحث الثالث

### منزلة الزهراء ثم في اليوم الآخر

إنَّ الإيمان بالله والعمل الصالح يورث حبة في قلوب الناس، وإنَّ من يروم القرب إلى الله تعالى أن يتوجه بملء قلبه إلى الله رب العالمين، وأن تكون تصرفاته لله ﷺ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَهْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ<sup>(١)</sup>. ولقد أفادت الروايات المباركة في بيان مجريات يوم القيمة إلى مجموعة من الحقائق الدالة عن منزلة السيدة الزهراء <ص>في تلك المواقف التي يكون بها المرء ما أحوجه إلى رحمة ربِّه وشفاعة مولاتنا الزهراء، لأنَّه يوم عظيم يقول الله تعالى: «يَوْمَ يَقْرُرُ الْمَرءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ»<sup>(٢)</sup>، ليكشف لنا رسول الله ﷺ مجريات الخروج من القبور في يوم المحسنة، والوقوف للحساب بين يدي الله تعالى. عن مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب <ص>يقول: (دخل رسول الله ذات يوم على فاطمة <ص> وهي حزينة، فقال لها: ما حزنك يا بنتي؟ قالت: يا أبا ذكرت المحسنة ووقوف الناس عراة يوم القيمة، قال: يا بنتي إنَّه ليوم عظيم، ولكن قد أخبرني جبريل <ص>عن الله عزَّ وجلَّ أنَّه قال: أول من تنشق عنه الأرض يوم القيمة أنا ثم أبي إبراهيم ثم بعلك علي بن أبي طالب <ص>، ثم يبعث الله إليك جبريل في سبعين ألف ملك فيضرب على قبرك سبع قباب من نور، ثم يأتيك إسرافيل بثلاث حلل من نور فيقف عند رأسك فيناديك: يا فاطمة ابنة محمد، قومي إلى محسنك فتقومين آمنة روعتك، مستورة عورتك، فیناولك إسرافيل الحلل فتلبسينها ويأتيك روافائيل بنجيبة من نور زمامها من لؤلؤ رطب، عليها محفة من ذهب، فتركتينها ويقود روافائيل بزماتها وبين يديك سبعون ألف حوراء يستبشرون بالنظر

(١) الأنعام: الآية ١٦٢.

(٢) عبس الآية ٣٤ - ٣٦.

إليك ييد كلّ واحدة منها مجرمة من نور يسطح منها ريح العود من غير نار وعليهن أكاليل الجوهر مرصع بالزبرجد الأخضر، فيسرن عن يمينك، فاذا سرت مثل الذي سرت من قبرك إلى أن لقيتك استقبلتك مريم بنت عمران في مثل من معك من الحور، فتسلم عليك وتسير هي ومن معها عن يسارك ثم استقبلتك أمك خديجة بنت خويلد أول المؤمنات بالله ورسوله ومعها سبعون ألف ملك بأيديهم ألوية التكبير، فإذا قربت من الجمع استقبلتك حواء في سبعين ألف حوراء، ومعها آسية بنت مزاحم، فتسير ومن معها معك فإذا توسلت الجمع وذلك أن الله يجمع الخلائق في صعيد واحد فيستوي بهم الأقدام<sup>(١)</sup>، والحق أن هذه التشريفات الملوكية الخاصة لولاتنا الزهراء<sup>عليها السلام</sup> حين خروجها من القبر إلى المحشر يدلل حقيقة على منزلة البعثة الطاهرة<sup>عليها السلام</sup> ومقامها عند الله تعالى في يوم لا تنفع الشفاعة إلّا بإذنه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم، فكيف بمن تأي الله ابنة حبيبه المصطفى محمد<sup>صلوات الله عليه وآله وسلامه</sup> في الشفاعة، لذلك يقول محمد حسين الصغير:

و لها الأصالة .. والإباء الهدفُ  
في الخافقين مؤالف ومخالفُ  
فتغচّ أبصار.. ويخشى طارفُ  
بشفاعة.. أو بالولاية هاتفُ  
بقطوفها.. فليهن ذاك القاطفُ  
وتطيح بالظلم الغشوم عواصفُ  
ويقيق طاغية.. ويصحو عاسفُ  
للظالمين قواصم وقواصف<sup>(٢)</sup>

البعثة الزهراء بنت محمد  
وقدّاً على الأعراف يعرض فضلها  
وعلى (الصراط) تمرّ وهي مصنونةُ  
وهناك تلتقط المحب.. ففائزُ  
وكلاهما في جنة قد ذللتْ  
ولدى الحساب ستسجد حقائصُ  
سيحاسبُ المتآمرون على الهدى  
وتعدّ في يوم القيامة - فجأة-

(١) اللمعة البضاء: ٨٩٦.

(٢) ديوان أهل البيت: ١٤٨.

ففي هذا النصّ، بين الشاعر التعظيم والتجليل والتكريم الذي تحاط به مولاتنا الزهراء عليها السلام في يوم القيمة، لا يحيط به أحد من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام. إنَّ الله تعالى أراد وب سابق علمه -أن يظهر مكانة ريحانة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بأيتها حينما تجوز الصراط سيكون لها تشريفات جديدة تختلف عن السابقة، لتصل بهذا الإجلال والحفاوة والتعظيم إلى باب الجنة، وهذا مما عصده من من التناص القرآني (الأعراف، غض، الابصار، القيمة، وواصف، القطوف) لفظاً ومعنىًّا، وكذلك بين الشاعر جملة من الحقائق التي تتعلق بحركة مولاتنا الزهراء عليها السلام في يوم المحشر ف يأتي النداء من قبل جبرئيل عليه السلام في الخلائق إذ يأمرهم بغض البصر، ويظهر الشاعر الخصوصية العظيمة للبصيرة الطاهرة عليها السلام حين جوازها على الصراط، فيكون المنادي في الخلق هو الله جل جلاله: (معاشر الخلائق غضوا أبصاركم ونكسوا رؤوسكم، هذه فاطمة بنت محمد نبيكم، زوجة إمامكم، أم الحسن والحسين، فتجوز الصراط وعليها ربستان يضاوان)<sup>(١)</sup>. ويزد لنا الشاعر المكانة والحفاوة والجلالة والاهيبة والكرامة لмотاتنا فاطمة عليها السلام في يوم القيمة بما أعدَّ الله تعالى لها في مثل هذا اليوم كي يعرف الناس قدرها و شأنها الذي تجاهله المنافقون، وحرمتها التي انتهكت بما تعرضت له من ظلم وجور. وإنَّ هؤلاء الذين ظلموها إنما ظلموا سيد الخلق وانتهكوا حرمتها. ويفؤكد الشاعر أنَّ مولاتنا الزهراء عليها السلام لها شفاعة عظيمة؛ وكيف لا؟ وهي أحد عناوين طاعة الله تعالى وحجه على الخلق، وهي قلب النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين. وفاطمة عليها السلام قلب هذه الرحمة، لذا فهي باب الله الذي نظره للشفاعة والنجاة من سقر، وهذا مما أكد الشاعر من خلال توظيف التضادات في (مؤلف / مخالف)، وما عمد إليه من الأفعال المضارعة (ستسجد، تطير، ستتحاسب، يفيق، يصحو، تعد) هذه الأفعال التي تدلُّ على الاستمرارية والحدث، وما تؤول إليه الحياة الآخرة.

(١) هذه فاطمة ١٢٩: ٥

## الخاتمة

اتسمت خاتمة البحث بنتائج أهمها:

- إنّ الحياة المتكاملة في بيت فاطمة عليها السلام تعني الحياة عن بيت النبوة وموضع الرسالة، فما بيت فاطمة عليها السلام إلاّ بيت رسول الله ص، الذي أذن الله أن يرفع ويدرك فيه اسمه، وإنّ التوافق الزوجي يقوم على أساس علاقة متبادلة بين زوجين، لكلّ منها تنظيمه الخاص للشخصية من حيث سماتها وما يحيط بها من القيم والاتجاهات وأساليب المعاملة الزوجية وانعكاس ذلك على الأبناء.
- كلّ ما تمر به الأم أثناء مرحلة الحمل من حالة نفسية يعكس أثره عليها وعلى الجنين. وهذه القواعد العلمية والأسس الصحية تلمسناها في الحياة الطيبة لأمومة الزهراء عليها السلام، وإنّ نظرية الحياة الأسرية لولاتنا الزهراء عليها السلام أهمية للغرض الإرشادي الذي من أجله خصّ به أمومة الزهراء عليها السلام، فهو إرشاد الناس وهدایتهم إلى الطريق القويم، إذ وقع على عاتق الزهراء عليها السلام حمل الرسالة وخدمة الشريعة وبيان أحكام الباري (عزّ وجلّ).
- إنّ العناصر الأساسية التي تبعث بالحياة السعيدة في روح الأمومة تمثل في الإيمان بالله عزّ وجلّ والوعي الديني والعلاقة الطيبة بين الزوجين والحبّ الأسري والحنان الذي تنشأ فيه الفتاة قبل الزواج، إذ هذه العناصر جميعها تحورت في بيت فاطمة عليها السلام، فقد تغذت بحبّ أسري لا مثيل له، انتقل هذا الحبّ إلى أسرتها عليها السلام.

- إنّ الأسرة هي الخلية الطبيعية الأساسية في المجتمع، ومسألة التربية من المسائل المهمة في حياة الأسرة، ومن ثمّ ما تعكسه من آثار تربوية ونفسية عبر الأجيال، إذ إنّ الجينات الوراثية لها أثر كبير في سلوك الفرد وتصرفاته؛ ويضاف الحالة النفسية والاستقرار

الروحي والعاطفي الذي تتعرض إليه الأمة أثناء فترة الحمل له دوره في سلوكيات الأفراد وتوجيههم نحو السبيل الذي تسلكه النفس البشرية بما تحمله من قوة يتمثل بها جانبان مهمان هما الخير والشر.

- مولاتنا الزهراء عليها السلام الأم تملك من الأحساس والعواطف ما تملكه النساء بصورة عامة، ولكن تميزت بقدسيتها وعظمتها بأنّها سخرت أحاسيسها في رضا الله تعالى، ولم تسمح لغراحتها أن تخرج عن حدود الله تعالى.

- مثلت سيرة مولاتنا الزهراء عليها السلام شعلة الإيمان والطهارة والأخلاق الفاضلة ومشكاة الهدى والنور والعبادة، رضعت أولادها من ذلك الإيمان، وغذتهم بتلك القيم الروحية النبوية، فكانوا مدعاه حقيقة وحملة رسالة سماوية عظمى، وأمناء الله.

- إنّ ما آلت إليه مولاتنا فاطمة عليها السلام إلى مرتبة العصمة إنما يعطينا دافعاً كبيراً بأنّ الدين الإسلامي لم يفرق بين الرجل والمرأة في كثير من متطلبات الحياة و مجالاتها، شرط المحافظة والالتزام الديني.

- الشعرا على الرغم من التفاوت الزمني استطاعوا، أن يظفروا بإبداعهم الشعري إلى أعماق شخصية مولاتنا الزهراء عليها السلام ويكشفوا عن العديد من صفاتها، وبينوا ملامح العظمة، كما استطاعوا أن يطرقوا أبواب الرسالة المحمدية التي تمثلت في شخصها الكريم وبينوا ملامحها ومزاياها، وامتدادها الطبيعي في تكفل الحياة الحرة الكريمة للبشرية أجمع.

- لقد ارتبط الشعراء بسيدة نساء العالمين عليها السلام ارتباطاً وجداً وعقائدياً وفكرياً وإنسانياً، فتفاعلوا بكل صدق وإخلاص، وأبرزوا أبعاد هذه الشخصية وما تحمل من مزايا وقيم رفيعة، وأخلاق عالية ليدلوا دلالة واضحة على شوق الشعراء إلى إحياء تلك الأمجاد الخالدة لتعيش الحاضر و تعمل على إصلاح ما فسد منه، وتوجه قيادة الأمة نحو الإصلاح.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

١. الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، د. علياء شكري، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٧٩.
٢. الأسرار الفاطمية، محمد فاضل المسعودي، ط٤، ٢٠٠٣.
٣. اعلموا أني فاطمة، الشيخ عبدالحميد المهاجر، ط١، الكويت، ٢٠٠٧ م.
٤. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار المعارف، ط٥، ٢٠٠١.
٥. الآمالي، محمد بن علي القمي الصدوق، الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٧٠.
٦. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، بيروت - لبنان، ط٢
٧. تفسير البرهان، هاشم البحرياني، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٨. التوجيه والإرشاد النفسي، حامد عبد السلام، عالم الكتب، ط٣
٩. الدعوات، قطب الدين الرواندي، ط١، ١٤٠٧ هـ.
١٠. ديوان أهل البيت عليهم السلام، د. محمد حسين الصغير، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.
١١. سيرة الرسول وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، باقر القرشي، دار مكتبة الحوراء، ط١، ٢٠١٣.
١٢. سيكولوجية المرأة، زكريا إبراهيم، مؤسسة هنداوي، ط١.
١٣. سيكولوجية الأئمة ومسؤولية الحمل، عدنان السبياعي، ط٦، ١٩٨٥.
١٤. فاطمة الزهراء عليها السلام بهجة قلب المصطفى عليه السلام، أحمد الحمداني، دار الحوراء، ط١، ٢٠٠٥.
١٥. فاطمة الزهراء عليها السلام مشكاة الأنوار، عادل العلوبي، إيران، قم، ط١، ١٤٢٦ هـ.

١٦. فرائد السبطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم لِلْبَهَارِيِّ، الجويني، الخرساني، بيروت، ط١، ١٩٨٠.
١٧. كنز الفوائد، الشيخ الطرابلسي، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٩٨٥.
١٨. لسان العرب، ابن منظور الأنصارى، دار صادر بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
١٩. اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء، التبريزى، مؤسسة الهادى، قم، ط١.
٢٠. مختصر المعانى، سعد الدين التفتازانى، دار الفكر، قم، ط١، ١٤١١ هـ.
٢١. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، الطبرسى، ط١، ١٩٨٧ م.
٢٢. مسنن فاطمة الزهراء: للسيوطى، تحرير: الحافظ عزيز بيك، أنوار المعارف، ط١، ١٩٨٦.
٢٣. مكانة المرأة في فكر الإمام الخميني (قده)، سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق، (د.ت)
٢٤. من أسس التربية الإسلامية، د. عمر محمد الشيباني، دار النهضة، ط٢، ١٩٨٢.
٢٥. المناقب آل أبي طالب، شهر آشوب، الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ.
٢٦. ميزان الحكمة، محمدى الريشهري، قم، ط١، ٢٠٢١ م.
٢٧. النظرية الاجتماعية دراسة الأسرة، د. سامية الحشاب، مؤسسة المعارف، مصر، ط١، ١٩٨٧.
٢٨. هذه فاطمة وهي روحى وقلبي التي بين جنبي، السيد نبيل الحسنى، دار الكتب، بغداد، ٢٠١٢.

**دور السيدة الزهراء عليها السلام في التأسيس  
لحفظ المشروع الإلهي بعد حدث السقيفة**

**الباحث**

**د. حسين عبد النبي بدر الدين**

**أستاذ محاضر مادتي**

**الحضارة العربية الإسلامية**

**واللغة العربية في الجامعة اللبنانية - لبنان**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

عاشت المجتمعات الإنسانية، منذ أن خلقها الله تعالى على وجه هذه البسيطة، في ظلماتٍ كثيرة، تعددت وتتنوعت، بتنوع الظروف وتتنوعها. ولأنَّ الله تعالى ذكره، وجلَّ شأنه، أعلمُ بما يناسبُ خلاص هذه المجتمعات، جعلَ رسالته دستوراً لحياتهم، ومساراً لتحقيق تكاملهم. وفي هذا السياق، جاء دور الأنبياء والرسل في نشر رسالته على مدار العصور وامتدادها، لاستنقاذ هذه المجتمعات من الجهل والتخلف، إلى النُّور والعدل والسلام.

وكلَّما كانت المجتمعات الإنسانية تسلك طريقاً، في نظام حياتها، غير الذي رسمه الله لها، أبعدها ذلك عن مسیرتها التكاملية، وانزلقت نحو واقع جهيميٍّ، بعيد عن مراقي الإنسانية، وجعلها تعيش في وهاد مظلمة، لا نور فيها ولا ضياء.

وما محمدٌ إِلَّا رسولٌ من هذه الرسل، اصطفاه الله على سائر خلقه، واختصَّ برسالته، وبوحيه، وبعلوٍ شانه، ورفعه مقامه. ولأنَّ الناس بعده لما يدخل الإيمان إلى قلوبهم ≠ اختار له أوصياء، ليقوموا بتعليم الأمة وتربيتها، وحمل رسالته. ولكنَّ جهل الناس عطل دورهم بكماله وتمامه، إذ غلَّبوا الحقد، والضغينة، والحسد، والقبلية الجاهلية، على العقل والإيمان؛ فأبعدوا هؤلاء الأووصياء عليهم السلام عن خلافة رسول الله ﷺ، عندما أبعدوا وصييه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن الخلافة، وهو الخليفة الشرعي الذي وصَّى به الله ورسوله.

لم يقف مع الإمام علي عليه السلام إِلَّا أربعة من أنصاره، بعد نتائج سقية بنى ساعدة، فالآمة كلَّها، لم تمتثل لأمر الله تعالى، وأمر رسوله ﷺ. ولم يستطع الإمام علي عليه السلام أن يقوم بمجابهة

عسكرية ليرجع الخلافة إليه، وقد كاد أمر تصفيته هو وأولاده أنْ يتحقق، لو لا أنْ فُوت الإمام علي عليه السلام عليهم هذه الفرصة. ولو أنَّ ذلك تحقق، لا سمح الله، لضاعت الرسالة المحمدية، وزال المشروع الإلهي من الوجود.

وبعد واقع التهديد الذي تعرض له الإمام علي عليه السلام، ومحاولة تصفيته هو وأولاده وزوجته الزهراء عليها السلام، لم يكن أحد قادرًا في هذه الدنيا على القيام لحفظ المشروع الإلهي من الزوال، إلَّا سيدة نساء العالمين، حبيبة رسول الله، وبضعيته الطاهرة، فاطمة الزهراء عليها السلام، لما من مكانة عظيمة، واحترام كبير بين المسلمين.

إنَّ دور الزهراء عليها السلام في مواجهة الواقع الذي أفرزته سقيةة بنى ساعدة، شكَّل حلقة وصل بين حركة نبينا محمد عليه السلام والأئمَّاء من قبله من جهة، والأئمَّة الأوَّصياء المستخلفين من بعده من جهة أخرى، لحفظ المشروع الإلهي من الزوال، ولديمومنتها واستمراره. ولذلك خرجت الزهراء عليها السلام، بإذن من أمير المؤمنين عليه السلام ورضاه، وكان رسول الله عليه السلام أعدُّها لهذا اليوم، وجعل سرّها فيه.

سيحاول الباحث، في بحثه، الإجابة عن الأسئلة الآتية:

السؤال الرئيس: ما التنتائج التي أسفرت عنها حركة الزهراء عليها السلام، واحتاجتها  
أمام الخليفة الأول في مسجد رسول الله عليه السلام؟ ويتفرع منه الأسئلة الآتية:

أنهضت الزهراء عليها السلام من أجل المطالبة بحقّها في فدك، والميراث، وسهام الخمس؟ أم  
نهضت لطالب بالخلافة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؟  
ما الأسباب التي دعت الزهراء عليها السلام أنْ تضطلع بهذا الدور التاريخي دون غيرها؟

ما الأهداف المباشرة التي حققتها الزّهراء عليها السلام أثناء وقوفها في المسجد، في مواجهة الخلفة الأولى؟

إذا لم تستطع الزهراء أن ترجع الخلافة إلى الإمام علي بن أبي طالب، فماذا حفقت؟

التعريف بـ

تعدّ فدك قرية من القرى الحجازية التي سكنها اليهود منذ سنة ٧٠ م، بعد أن طردتهم الإمبراطور الروماني طيتسس من فلسطين، إثر قيامهم بعدة ثورات على الرومان. وقبل ذلك، كانت في الحجاز جماعات يهودية، نزحت إليه في عهود قديمة؛ فمجتمع يثرب وفديك وخمير، تألف من اليهود القدامى ومن اليهود الجدد، الذين اتخذوا من بلاد العرب موطنًا لهم بعد أن طردتهم الرومان. وفديك من أخصب بقاع الحجاز؛ فهي قرية قريبة من يثرب، غنية بالأشجار والثمار، وواديانها تفيض بالمياه، وفيها آبار وعيون عديدة (سالم، ١٩٧٠).<sup>(١)</sup>

بعد انهيار سدّ مأرب في اليمن، هاجرت قبيلة الأوس والخزرج من اليمن إلى يثرب، وأقاموا مع اليهود. أمّا الأوس، فقد سكنا جنوب يثرب وشرقها، وأمّا الخزرج فقد سكنوا في الشمال الغربي من يثرب. وكان لليهود في يثرب وضواحيها القوة والمنعة والأموال، فطلب الأوس والخزرج منهم حلفاً وجواراً يأمن به بعضهم من بعض. رحب اليهود بهذا الحلف لضمان سيادتهم على يثرب، وتقوية ظاهرهم بالاندماج بين العرب، ما يجعل لسيادتهم نوعاً من الشرعية؛ ومن جهة ثانية، ليستفيدوا من خبراتهم في فلاحة الأرض وزراعتها. ومع مرور السنين والأيام، قوى الأوس والخزرج، وازدادوا مالاً وعدداً، وهو ما جعل

(١) سعتمد الباحث في التوثيق والاحالات طريقة APA.

اليهود يخشونهم، فبدأوا يستبعدونهم، وهو ما حطم الحلف الذي بينهم. استعان الخزرج بالملك الغساني في الشّام، وهو من أقربائهم، لينصرهم على اليهود في يثرب. وبعد مكيدة دبرها الملك الغساني لوجه اليهود ورؤسائهم، وثبت عليهم، وقتلهم، وكسر شوكة من بقي منهم، وأضعف قوتهم. فانتشر الأوس والخزرج في المدينة، وسيطروا عليها بكمالها. ولكن الأمور لم تبق على هذه الحالة، فنشبت بين الأوس والخزرج خلافات وحروب كثيرة، امتدت حتى قبيل هجرة النبي محمد ﷺ. وكان اليهود يغذّون هذه الخلافات والحروب بين الطرفين (سامي، ١٩٧٠).

هذا المشهد الذي كانت عليه يثرب والقرى المحيطة بها، من كان يسكنها اليهود، جعلت القوة والمهيمنة والغلبة للأوس والخزرج. وبعد أن هاجر النبي محمد ﷺ إلى يثرب، تحول الأوس والخزرج من أعداء يتقاتلون فيما بينهم، إلى أنصار للدعوة الإسلامية المحمدية، فنصرّوا رسول الله، وكانوا إلى جانبه في المعارك التي خاضها بوجه قريش واليهود في المدينة. وفي السنة السابعة للهجرة، وبعد فتح حصن خير، خاف اليهود الذين كانوا في فدك، فصالحوا النبي محمد ﷺ على فدك، وكانت ملّاً لرسول الله، لأنّه لم يوجد علىها بخييل ولا ركاب، ثم قدمّها لابنته الزهراء زينب، وبقيت معها حتى وفاته (الصدر، ٢٠٠٥). وفي هذا المجال، يذكر ابن حجر (٢٠٠٦، ص. ١٤٠) «أنّ أهل فدك كانوا من يهود، فلما فتحت خير، أرسل أهل فدك يطلبون من النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، الأمان على أن يتركوا البلد ويرحلوا... قالوا بقيت بقية من خير تحصّنوا، فسألوا النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، أن يحقن دماءهم، ففعل فسمع بذلك أهل فدك، فنزلوا على مثل ذلك، وكانت لرسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم خاصة».

### أسباب تأميم فدك:

عندما تقلّد الخليفة الأول خلافة رسول الله ﷺ، وبايده الكثير من الناس في سقيفةبني ساعدة، أقدم على مصادرة فدك من السيدة الزهراء عليها السلام. أراد الخليفة الأول من هذه الخطوة، أنْ يمنع الإمام علي عليه السلام من الاستفادة من مصادر القوة المادية؛ ففي اعتقاده، أنَّ الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام، سوف يستغلُّ الإيرادات المادية الكبيرة التي تؤمنها فدك، ليوظفها في سبيل إعادة الخلافة إليه، ويقلب الناس على خلافه، ولذلك سارع لإصدار قرار بتأميم فدك (تاریخ الاسلام، ٢٠١٠). كما إنَّ سياسة الخليفة الأول، والخليفة الثاني، وأبي عبيدة، منذ بداية تسلُّمهم السلطة، انتهجت نهجاً يقوم على «القضاء على الفكرة التي أمدَّت الهاشميين بقوة المعارضة، التي تهدف إلى إلغاء امتيازات البيت الهاشميّ، بإبعاد أنصاره والمخلصين له عن المرافق الهامة في جهاز الحكومة الإسلامية» (الصدر، ١٩٩٠، ص ٦٩).

### أهمية فدك بالنسبة إلى الزهراء عليها السلام:

لم تكن السيدة الزهراء عليها السلام تنظر إلى أرض فدك على أنها أرض زراعية خصبة، خيراً لها كثيرة، وثارها وافرة، بما يدرُّ عليها، وعلى عائلتها بالكثير من الخيرات والأموال؛ فهذا أمر ليس معروفاً في سيرتها السابقة. ولو كانت فدك تحت سلطتها، لأنفقت كلَّ ما تنتجه هذه الأرض في سبيل الله، وفي سبيل مرضاته، هذا كان ديدنها في حياة رسول الله ﷺ. فواقع الأمر بالنسبة إلى السيدة الزهراء عليها السلام مختلف عن ذلك تماماً (الصدر، ٢٠٠٥)؛ فقد كانت «دوافعها ثورة على السياسة العليا وألوانها التي بدلت للزهراء عليها السلام بعيدة عما تألفه من ضروب الحكم، ولم تكن حقاً منازعة في شيء من شؤون السياسة المالية، والمناهج الاقتصادية التي

سارت عليها خلافة الشّورى، وإنْ بدت على هذا الشكل في بعض الأحيين» (الصدر، ٢٠٠٥، ص ٥٩).

وليس من العدل والإنصاف أنْ نجعل حركة السيدة فاطمة الزّهراء عليها السلام من أجل قطعة أرض، حتى ولو كانت مثقاها ما لا يعُد ولا يحصى من الخيرات والأموال. هذا التفكير يشكل ضلالاً مبيناً، وتيهًا عقائدياً. وما خطبتها في مسجد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، وما انطوت عليه من دلالات، إلّا شاهد على أنْ هدفها هو الدين والرسالة. وفدرك بالنسبة إلى الزّهراء هي الخلافة. وما يؤكّد لنا ذلك أيضًا، ما حصل مع الإمام الكاظم عليه السلام وهارون الرشيد، عندما عرض عليه هذا الأخير أنْ يردد فدكاً إليه، ولما أصرّ هارون الرشيد على الإمام عليه السلام، قبل الإمام ذلك، على أنْ يأخذ فدكاً بحدودها، فقال هارون الرشيد: «وما حدودها؟»، فقال الإمام عليه السلام: «أمّا الحدّ الأول فعدن، والحدّ الثاني هو سمرقند، والحدّ الثالث أفريقيا، والحدّ الرابع سيف البحر ما يلي الجزر وأرمينية» (كوراني، ٢٠٠٢).

فدرك بالنسبة إلى السيدة الزّهراء عليها السلام تمثّل الرسالة المتصلة برسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، وما تعنيه هذه الرسالة من أبعاد دينية ومعنوية تاريخية، تتدّوّج ذورها في حركة الأنبياء، منذ نبيّنا آدم حتى محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه. فهي تمثّل بالنسبة إلى السيدة الزّهراء عليها السلام «الخلافة الرّشيدة الوعائية الممتدة من النّبوة، والمتّصلة بها» (النعماني، لـ تا، ص ١٧٦).

هذه المسؤوليّة الشرعيّة، دعت السيدة الزّهراء عليها السلام، لتخوض غمار المواجهة السّلميّة، في وجه منْ لبس ثوب الخلافة، بعيداً عما كان يخطط له رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه. «وقد أراد الإمام علي عليه السلام هذه المواجهة أن تكون سلميّة، لا تتعدي حدود الاحتجاج وقطع الأذار، ولو كلف ذلك أنْ يُحرّج ابن أبي طالب، ويُسحب من بيته سجناً للمبايعة، أو يتعرّض البيت الطاهر إلى التهديد والإحراق» (الصدر، ٢٠٠٥، ص ٥٩).

كانت الله تتحضر لهذه المواجهة في حياة أبيها رسول الله الله، كما كان رسول الله الله يحضر لها. وكانت الله الوحيدة القادرة على الاضطلاع بهذا الدور التاريخي المفصلي، في لحظة تاريخية حرجة ومفصلية. فكانت فدك، هي الباب الأوسع، الذي توسلته السيدة الزهراء الله، للمطالبة بالخلافة، وإرجاعها إلى من هو أهل لها، وإلى من عينه الله ورسوله يتقلد مقاليدها، ويسيير بها، بما يحقق ما تصبو إليه الرسالة الإسلامية، والمشروع الإلهي، الذي يحقق العدالة الإنسانية.

### مكانة الزهراء الله عند رسول الله الله:

لا شك أن للزهراء مكانة عظيمة عند النبي محمد الله. هذه المكانة المميزة، لم تكتسبها الله نظرًا لقربتها من رسول الله الله، أو لأنها ابنته المفضلة لديه، أو لشيء آخر، وإنما اكتسبتها باعتبار دورها المهم جداً في استمرار دعوة رسول الله الله. ولذلك، وفي حياته الشريفة، وقبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى، دأب النبي محمد الله على إبراز هذه المكانة أمام أصحابه والناس جميعهم، حتى توالت الأحاديث بحقها وكثرت لدى المسلمين عامة، والشيعة خاصة. ولما كان النبي الله لا ينطق عن هوى، وما ينطقه هو وحده يوحى من الله تعالى، فلا يمكننا أن ننسى أي كلام له عن الزهراء الله على أنه كلام شخصي ذاتي، يعبر عن مشاعر أبي تجاه ابنته، وإنما هو كلام ذو دلالات كبيرة ومتضطمة، يرتبط بالمشروع الإلهي الذي أرسله الله تعالى من أجله.

سنأخذ - على سبيل المثال لا الحصر - بعض الأحاديث، التي تكتسب هذه الدلالات. فقد ورد أن رسول الله الله قال: «فاطمة بضعة مني، من سرّها فقد سرّني، ومن ساعها فقد ساعني» (المفيد، ١٩٩٣، ص ٢٦٠). كما رود في صحيح مسلم: «إنما ابتي بضعة مني

يرىبني ما راها ويؤذيني ما آذاها». (النسابوري، ٢٠١١، ص ١٤١). وورد أيضًا عليه السلام قوله: «فاطمة أعز البرية على» (المفيد، ١٩٩٣، ص ٢٦٠). كما ورد عنه عليه السلام في مكان آخر قوله: «فاطمة بضعة مني، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله» (الطبرى، ١٤١٣، ص ١٣٥). وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أن فاطمة كانت تكنى بـأم أبيها، فكلمة أم أبيها،  
كلمة عذبة أفضل ما تفوّهت به حنجرة رسول الله عليه السلام (المسعودي، ٢٠٠٠).

بالنظر إلى الدلالات المختزنة وراء هذه العبارات، فإننا لا يمكن النظر إلى أن تفسير عبارة فاطمة أم أبيها، كما ذهبت بعض التفسيرات، بأنّها عليه السلام، كانت تعمل على سد الفراغ العاطفي، الذي كان يعيشه رسول الله عليه السلام بعد أن فقد أبويه في أول حياته، فهذا تفسير سطحي، يقلل من قيمة رسوله عليه السلام، ويطعن في أبوته للأمة، فهو يوزع حنانًا وعطافاً للأمة كلّها. فاللام، كما ورد معناها في اللغة وفي القرآن هي الأصل، ما يشير إلى أن مركز دين رسول الله واستمراره وأصله هي فاطمة، وهي حامية المشروع الإلهي، فليس الموضوع موضوعاً شخصياً (ياسين، ٢٠٢٣).

كما إن قوله عليه السلام: فاطمة بضعة مني، بمعنى أنها استمرار لمشروع رسول الله عليه السلام، ومن اعترضها، فقد اعترض رسول الله عليه السلام وموضوعه، ومن اعترض مشروع رسول الله عليه السلام، فقد تجرأ على الله تعالى، وعلى مشروعه للإنسانية جماء. فضمير المتكلم الذي يستعمله رسول الله عليه السلام، ليس هو الضمير الذي يشير إلى الـ «أنا» الشخصية، وإنما هي «أنا» الموضوعية، بمعنى الاستمرار للرسالة الإلهية. وبهذه المنهجية، نقارب أحاديث الرسول عليه السلام كلّها بحق الهراء عليه السلام.

## خصوصية السيدة الزهراء عليها السلام كخيار أوحد للمواجهة:

لم يكن النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه غافلاً عما كان يتضرر الإمام علي عليه السلام من مشاكل بعد وفاته صلوات الله عليه وآله وسلامه؛ فقد كانت إرهادات هذه المشاكل بادية بشكل واضح وجليل. ولذلك بدأ يؤسس لمواجهة هذه المرحلة، ويعين «الزهراء عليها السلام» لتقود المسيرة السياسية في مهمتها واضحة، تتمثل أولاً بتأكيد أنّ علياً هو الخليفة الشرعي للرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه. وثانياً: إنّ كلّ كيان سياسي، أو خيار قيادي، حتى لو كان منتخبًا من قبل الأمة -إن كان وقع انتخاب - يتجاوز علياً عليها السلام إلى غيره، يعتبر غير شرعي» (النعماني، لا تا، ص ١٥٢). وفي هذا المجال، ثمة أسباب كثيرة جعلت الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه، يعمل على تهيئه السيدة الزهراء عليها السلام بالذات للقيام بهذه المهمة. نوجزها بالآتي:

إنّ الزهراء عليها السلام هي بنت النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه، ووريثته وشبيهته في خلقه وخلقه، وهي تتمتع بسمات وصفات وخصائص توافر فيها، ولا توافر في غيرها من الخلق أجمعين، ما يكسبها زخماً عاطفياً كبيراً بين المسلمين، فيتقبلوا ما تقوله عن خلافة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه.

المكانة الدينية التي تمتّلها السيدة الزهراء عليها السلام بين المسلمين؛ فهي النموذج الأتقى والأنقى؛ وهي سيدة نساء العالمين في الدنيا والآخرة. ولطالما كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يتحدث عنها على مذبحه، وفي مسجده، وبين أصحابه. وقد قرن الله جل جلاله رضاه برضاه، وسخطه بسخطها. وإذا كان معارضو الإمام علي عليها السلام قد سخطوا عليه حسداً وغيره، نتيجة لإنجازاته وبطولاته، وقربه من النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه، وما نزل بحقه في غدير خم؛ فإن ذلك لن ينسحب على السيدة الزهراء عليها السلام، فكلّ ما يمكن أن تتهمن به عليها السلام هي أنها زوجة علي عليها السلام.

الشجاعة الفريدة التي كانت تتسم بها، والتي أتاحت لها أن تشارك في الكثير من الحروب التي خاضها النبي ﷺ بوجه المشركين واليهود.

مواكبتها بشكل تفصيلي لحركة رسول الله ﷺ في مهمّة الإعداد لاستخلاف علي بن أبي طالب، وكانت تعّرف إلى أهميّة الموضوع وخطورته. فكانت تعرف التأثير الإيجابي على مستقبل الإسلام في حال تقلّد الخلافة الإمام على بن أبي طالب، وفي الوقت نفسه تدرك خطورة تقلّد الخلافة غيره. فكان من الطبيعي أن تبني هذا الأمر، وتحمّل مسؤوليته التاريخية، وتدافع عنه داع العارف بأهميّته، المدرك لضرورته (العماني، لا تا).

#### **أسباب عدم مواجهة الإمام علي لخرجات السقيفة:**

لم تكن حركة السيدة الزهراء عليها السلام تجاه الخليفة الأول بعيدة عن رأي الإمام علي بن أبي طالب، وما كانت لتخرج في الأصل، لو أنه عليه السلام غير راضٍ عن حركتها. ولكن السؤال الذي قد يتบรร إلى أذهان بعض الناس، عن سبب عدم قيام الإمام علي عليه السلام بما قامت به الزهراء عليه السلام، لا بل لما أبقى فقاره في غمده؟ وهو السيف الذي انتصر به الدين، وهزم الشرك والضلال. سؤال قد تطول الإجابة عنه، وتفرد له الكثير من الصفحات الطوال. ولكن المختصر منه، يشير إلى الخطورة التي سيتعرض لها المشروع الإلهي؛ لأن كل همه عليه السلام، هو حماية الإسلام، والدعوة المحمدية، لا حماية نفسه.

ففي الوقت الذي فارقت فيه روح رسول الله ﷺ جسده الطاهر، وكان رأسه الشريف على ركبة أمير المؤمنين عليه السلام، اجتمع الأوس والخزرج في سقيفةبني ساعدة، وبدأوا يتناقشون في خلافة رسول الله ﷺ، وكلّ يريد الخلافة لقبيلته. وصل الخبر إلى الخليفة الثاني، فأرسل في طلب الخليفة الأول، الذي كان في منزل رسول الله ﷺ، وتوجّهاً مع أبي عبيدة إلى سقيفةبني

ساعدة. وبعد نقاشات بين الأنصار والهاجرين، لم تخُل من التهديد والوعيد والترغيب من قبل المهاجرين تجاه الأنصار، بaidu المهاجرين وقبيلة الأوس أبا بكر للخلافة. ولما استتب أمر الخلافة إلى أبي بكر، متذرّغاً بـأنه من قريش، وهو الأقرب إلى رسول الله ﷺ، مانعاً الأوس والخرج من الظفر بها، لبعدهم عن قريش، وعدم وجود صلة القرابة به ﷺ؛ حاول الإمام على عليه السلام أن يجمع أربعين استشهادياً، فلم يقف معه من المسلمين إلا أربعة. أما الذين وقفوا في وجهه في المقلب الآخر، فهم كثر جداً، تألفوا من: قبائل إيلاف، التي دخلت في الإسلام، وكانت تدين بولائها لقريش، ولم يدخل الإيمان إلى قلوبهم، ومن بينهم قبيلة أسلم، التي كانت تشكل لوحدها أربعة آلاف مقاتل، وقبيلة قريش، والهاجرين، والأوس. هذا الواقع منع الإمام عليه السلام من خوض معركة خاسرة، قد تطير بالرسالة الإسلامية برمتها، والقوم أرادوا أن يقتلوه ويقتلوا ولديه: الحسن والحسين عليهما السلام، عندما دخلوا الدار بالقوّة، وكسروا باب الدار، وكانت الزهراء تقف خلف الباب فكسرها ضلعها عليهما السلام. وفي ذلك اليوم، وكان يوم الثلاثاء، كانت هذه القبائل كلّها منتشرة في المدينة، شاهدة أسيافها، تقتل كلّ من يرفض البيعة، في حالة انقلابية دموية مدبرة. لذلك لم يواجه الإمام عليه السلام، ورضي أن يؤخذ مكبل اليدين، إلى أبي بكر، ولم يشاكس، ولكنه لم يبايع، وفوت عليهم فرصة قتله وقتل ولديه، وقتل الرسالة الإسلامية المحمدية (ياسين، ٢٣٢٠).

وعليه، كانت السيدة الزهراء عليهما السلام الاستشهادية الأولى التي بذلت روحها ثمناً للدفاع عن المشروع الإلهي، والتصدي الأول للانحراف التاريخي الذي بدأ في سقيفة بني ساعدة، والذي أراد أن يصادر الإسلام، ويبعد به عن مقاصد النبوة الشريفة.

### **مسار حركة السيدة الزهراء عليها السلام مقابل الخليفة الأول:**

سلكت السيدة الزهراء عليها السلام في حركتها لإفشال مفاسيل البيعة للخليفة الأول مسارات

ثلاثة:

#### **المسار الأول: دعوتها المهاجرين والأنصار للوقوف إلى جانب الإمام علي عليه السلام:**

بعد أنْ تمت بيعة المهاجرين والأنصار لأبي بكر، بدأت السيدة الزهراء عليها السلام تجول على منازل الأنصار والمهاجرين ليلاً، وهي تسألهم نصرة الإمام علي عليه السلام؛ وكان جوابهم لها بأنّ علياً لم يكن في السقيفة لنبايده، ولو كان موجوداً هناك لبایعنانه، وقد مضت بيعتنا لهذا الرجل (الخليفة الأول). وقد كانت تدعوهم إلى الثورة، وإعادة الأمور إلى نصابها، ومكانها الطبيعي الذي خطط له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولم تكتفِ عليها السلام بذلك، وإنما قصدت أبا بكر في مسجد رسول الله، في حشدٍ من المهاجرين والأنصار، وهي تمشي مشية رسوله الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووقفت أمام الجميع وهي تتلو خطبتها الشهيرة، فتحدثت عن مناقب الإمام علي عليه السلام وفضائله وإنجازاته في عهد رسول الله، إضافة إلى ميراثها في فدك. ومن الطبيعي، لم يكن ألمها لسلبيها ميراثها، ولا للخلافة بصفتها خلافة، وهي تعلم أنها أول الناس حُوقِّفاً برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما ألمها يرتبط بالخطر المستقبلي الذي يحيق بالإسلام (النعماني، لا. تا).

#### **المسار الثاني: نزع الشرعية الدينية عن الخليفة الأول في تقلّده الخلافة بعد رسول**

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

استهدفت السيدة الزهراء عليها السلام في حركتها في المسار الثاني تحقيق أمرتين اثنين؛ الأول: هو إرجاع الخلافة إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، خليفة رسول الله الشرعي، من خلال تعطيل مفاسيل انقلاب السقيفة ونتائجها. والثاني: تأكيد عدم شرعية نظام الحكم، إضافة إلى مخالفته

رسول الله في طريقة تعيين الخليفة، ومخالفته كتاب الله في سلبها فدكاً. فقد حرصت السيدة الزهراء عليها السلام أن تدخل الصراع بأسلوب لا يعرف المجاملة، وفضلت أن تكون المواجهة مع الخليفة الأول وال الخليفة الثاني في مسجد رسول الله ص، وأمام مرأى المسلمين ومسمعهم. وكان بإمكانها عليها السلام أن تجعل المحاججة في بيتها أو في بيت أحد هما، وكان من الممكن أن يتحقق لها ذلك الحصول على مطالبتها في فدك والميراث والسهام. وال الخليفة الأول يدرك أن طلبات الزهراء عليها السلام، لا تعني شيئاً من الناحية المادية، ولكنّه أصرّ على أنه سمع قول النبي ص: نحن معاشر الأنبياء لا نورث...، وهي سلام الله عليها أصرّت أن تكون المواجهة علنية أمام الناس جميعهم. كما إن خروجها أمام الناس، وهي ريحانة رسول الله ص، ومن شجرة النباتات الباسقة، وبيوتات العرب السامقة، لا يبرره ألف فدك، حتى ولو أنهكها الجوع. فهي أرادت أن تثبت للأمة عدم شرعية الحاكم، وتسجل على الخليفة عدة خالفات لكتاب الله في آيات الإرث، وآية الخمس. وب مجرد مواجهة الخليفة الأول لبنت رسول الله ص، وما تشكّله عليها السلام من رمزية أمّام المسلمين، وهي التي يرضى الله لرضاها، ويُسخط لسخطها؛ فإنّ الخليفة الأول سيخسر معركة الشرعية الدينية، وتترزع المشروعيّة التي بنى عليها ادعاءاته في الخلافة. كما إنّها عليها السلام أرادت بخروجها هذا، أن تعلن أمّام المسلمين كلّهم، أمّها غاضبة على الخليفة الأول وساخطة عليه، وقد قالت له: «والله، لا أكلمك أبداً، والله، لا أدعونك عليك»، كما قالت أيضاً: «يا ابن أبي قحافة، أترث أنت أباك، ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريا...» (النعماني، لا. تا).

**المسار الثالث: اتخاذ موقف سليٍ من شخص الخليفة الأول وال الخليفة الثاني بالذات، والمجتمع المدني عموماً.**

كانت حركة الزهراء عليها السلام حركة واعية هادفة. فقد حاولت خلق اتفاقية عاطفية دينية في نفوس الأنصار والمهاجرين على حد سواء، بهدف تغيير موقفهم من مبادئ الخليفة

الأول، وتنفيذ وصية رسول الله ﷺ في استخالف علي بن أبي طالب عليهما السلام. وهذه الغاية، فقد استعملت فدكاً، والميراث، وسهام الخمس، وغيرها، استعملتها حجاجاً شرعية لإدانة شخص الخليفة الأول، وإظهاره أمام المسلمين بأنه مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وفي المقابل، فإنّ أبي بكر، ظلّ مصرّاً على عدم تصديقها عليهما في دعواها. كما إنّ المسلمين لم يقفوا إلى جانبها، فكان ذلك دافعاً لها لأنّ تعلن غضبها على أبي بكر وعمر بن الخطاب، لعلّهما وعلم الصحابة، بقول رسول الله بحقّها: إنّ الله يرضي لرضا فاطمة، ويُسخط لسخطها. ولذلك أعلنت سخطها على كلّ من تخاذل وتهادى في نصرتها من مجتمع المدينة، كما أعلنت سخطها على السلطة الحاكمة المتمثلة بشخص الخليفة الأول (النعماني، لا تا).

بعدما تقدم من عرض لما فاضت به بعض المصادر والمراجع التاريخية المعترية، من أحداث تاريخية تناولت فيها حركة السيدة الزهراء عليها السلام ونهضتها السلمية في مواجهة مخرجات سقifica بني ساعدة. ستناول بعض مواقفها التي تتقاطع مع هذا العرض، اطلاقاً من دراستنا التحليلية لخطبها التي واجهت بها الخليفة الأولى في المسجد النبوى الشريف. وهي خطبة مشهورة عند الخاصة وال العامة، ولا يختلف عليها أحد، إذا اختلفوا على المرويات.

### **نظرة تحليلية في مواقف السيدة الزهراء عليها السلام من خلال خطبتها في المسجد النبوى**

**الشريف:**

إذا نظرنا إلى خطبة الزهراء عليها السلام في المسجد النبوى الشريف، من حيث شكلها البنائى، ومن حيث مضامونها، لوجدنا أنّ الزهراء عليها السلام قد حبكت معانيها حبكًا متماسگًا، فجعلت أفكارها تتamuّى شيئاً فشيئاً، ويترابط بعضها مع بعض، ووظفت لها ألفاظاً تحمل إيقاعاً موسيقياً رناناً، داعمةً احتجاجها بشواهد وبراهين دامغةً، لتحفر آثارها عميقاً في وجدان

المستمعين إليها، وتجعل قلوبهم مطواعةً لمراميها، حتى تصل في نهاية المطاف إلى فكرة رئيسة جوهريّة، وهي غاية المقصود كله من هذه الخطبة. فهذه الخطبة، لم تكن خطبةً ارتجاليةً، ولا افعاليةً، ولا كانت خطبةً شعبويةً، إنما هي فيضٌ كلاميٌّ واعٍ، اختصرت معانيه من فيوضات الرسالة الحمديّة، ليؤسس مساراً رافضاً للظلم والخنوع والاستبداد.

### ربط الزهراء عليها السلام التوحيد بالإخلاص:

فبعد أن دخلت المسجد، وهي تمشي مشية رسول الله ﷺ «فجلست، ثم أنت آنَّه أجهش القومُ لها بالبكاء، فارتَّجَ المجلس قبل أنْ تبدأ بـكلامها» (الطبرسي، ١٩٦٦، ص ١٣٢)، وجعلت النّاس يلتفتون إليها بشغف، فشحنت قلوبهم بـشحنات عاطفية، فـفتحت فيها أسماع قلوبهم، لتُزيل رِيْنَ أصغائهم، وحسدهم، وبغضهم لأهـل بيـت النـبوة. ثـمْ بدأـت تـهدـد بـعبارات الثناء والـشكـر للـه تعالى على نـعمـه وـعطـاـيـاه، وـقـالت: «أشـهـدـ أنـ لا إـلـهـ إـلـهـ اللهـ، وـحـدـهـ لا شـرـيكـ لهـ، كـلـمةـ جـعـلـ الإـلـخـاصـ تـأـوـيلـهاـ» (الـطـبـرـسـيـ، ١٩٦٦ـ، صـ ١٣٣ـ)، وـهـيـ عليـهاـ السـلـامـ تـذـكـرـهـمـ أنـ التـوـحـيدـ للـهـ تـعـالـىـ، يـقـضـيـ منـ الإـنـسـانـ المـسـلـمـ، أـنـ يـكـونـ مـخـلـصـاـ للـهـ وـحـدـهـ دونـ غـيرـهـ. وـنـسـتـشـهـدـ عـلـىـ ذـلـكـ، بـالـحـادـثـ الشـهـيرـةـ فـيـ نـيـشاـبـورـ، عـنـدـمـاـ خـاطـبـ الإـمامـ الرـضاـ عليـهـ السـلـامـ المـسـلـمـينـ، أـمـامـ حـشـدـ كـبـيرـ كـبـيرـ مـحـبـينـ الـذـينـ جـاؤـواـ لـاستـقـبـالـهـ، عـنـدـمـاـ نـصـبـهـ المـأـمـونـ العـبـاسـيـ وـلـيـاـ لـلـعـهـدـ. فـهـوـ عليـهاـ السـلـامـ لـمـ يـعـظـ النـاسـ بـهـاـ يـرـتـبـطـ بـأـمـورـ عـبـادـتـهـمـ، وـلـاـ حـيـاتـهـمـ الـاجـتمـاعـيـةـ؛ بـالـ تـحـدـثـ بـالـحـدـيـثـ الـقـدـسـيـ الـشـرـيفـ (ـحـدـيـثـ السـلـسلـةـ)، عـنـ اللـهـ تـعـالـىـ، نـقـلاـًـ عـنـ آـبـائـهـ: «ـكـلـمـةـ لـاـ إـلـهـ إـلـهـ حـصـنـيـ، فـمـنـ دـخـلـ حـصـنـيـ أـمـنـ مـنـ عـذـابـيـ» (ـالـقـمـيـ، ٢٠١٥ـ، صـ ٦٢٨ـ). ثـمـ قـالـ: «ـبـشـرـ طـهـاـ وـشـرـ طـهـاـ، وـأـنـاـ مـنـ شـرـ طـهـاـ». وـنـقـلـ ذـلـكـ عـنـ آـبـائـهـ. وـهـوـ بـذـلـكـ رـبـطـ فـكـرـةـ (ـالـتـوـحـيدـ)، الـتـيـ هـيـ أـسـاسـ مـنـ أـهـمـ الـأـسـسـ الـتـيـ يـرـتـكـزـ عـلـيـهـاـ الـمـشـرـوعـ الإـلـهـيـ، رـبـطـهـاـ بـالـإـمـامـةـ. وـالـزـهـراءـ عليـهاـ السـلـامـ، فـيـ هـذـهـ الـخـطـبـةـ، قـدـ رـبـطـتـ التـوـحـيدـ بـالـإـلـخـاصـ.

### ربطها الإخلاص لله بالإخلاص لرسوله ﷺ ولها ﷺ:

ثُمَّ ذَكَرَتْ ﷺ النَّبِيُّ مُحَمَّدًا ﷺ، قائلةً: أَشَهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ. بِإِشَارَةٍ إِلَى أَنَّ الإِخْلَاصَ لِلَّهِ تَعَالَى، يَقْتَضِيُ الْإِخْلَاصَ إِلَى رَسُولِهِ، وَقَالَتْ «أَبِي» بِإِشَارَةٍ إِلَى الْعَلَاقَةِ الْقَائِمَةِ بَيْنِهَا وَبَيْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهِيَ لَيْسَتْ بِعَلَاقَةِ الْأَبِّ مَعَ ابْنِتِهِ فَقْطَ، وَهِيَ لَا تَرِيدُ الإِشَارَةَ إِلَى هَذِهِ الْعَلَاقَةِ الْعَائِلِيَّةِ، الَّتِي تَرِبِّطُ أَيِّ فَتَاهَ بِأَبِيهَا (كَمَا تَقْدِمُ ذِكْرُهُ)، بَقْدَرِ مَا تَرِيدُ الإِشَارَةَ إِلَى عَلَاقَتِهَا الرَّسَالِيَّةِ بِرِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ، فَهِيَ تَقُولُ لَهُمْ: إِذَا كُنْتُمْ تَسْتَمِعُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَتَطِيعُوهُ، كَامْتَدَادُ سَمَوَيْ إِلَهِيٍّ، فَهِيَ ﷺ، امْتَدَادُ سَمَوَيْ لِرَسُولِ اللَّهِ، وَلِرِسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ؛ وَبِذَلِكَ أَصْبَحَتْ طَاعَتِهَا، فِي أَمْرِهَا، مِنْ طَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَالزَّهْرَاءُ ﷺ، طَوَّالُ سِيرَتِهَا فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَمْ تَطْلُبْ يَوْمًا جَاهًا، وَلَا مَالًا، وَلَا رَئَاسَةً، وَلَا زَعْمَةً، وَلَا أَيِّ شَيْءٍ مِّنْ مَبَاهِجِ هَذِهِ الدُّنْيَا؛ فَالْمُتَبَعُ لِسِيرَتِهَا الشَّرِيفَةِ، لَا يَجِدُ فِيهَا إِلَّا الْإِيَّاثَ، وَالْعَطَاءَ، وَالْتَّضْحِيَّةَ، وَالْتَّفَانِي؛ فَهِيَ كَانَتْ تَؤْثِرُ الْفَقَرَاءَ وَالْبُؤْسَاءَ وَالْيَتَامَى عَلَى نَفْسِهَا. وَلَذِكْرِهَا لِكُلِّ الْكَلْمَةِ «أَبِي»، وَالَّتِي ذَكَرَتْهَا فِي أَكْثَرِ مِنْ مَكَانٍ، لَمْ تَكُنْ فِي مَعْرِضِ الْحَصُولِ عَلَى أَيِّ مَكْسُبٍ دُنْيَوِيٍّ أَوْ مَا شَاكِلَ ذَلِكَ.

### ربطها ﷺ الإخلاص لرسول الله ﷺ بالإخلاص للأمام علي والأئمة الأطهار ﷺ:

وَبَعْدَ ذَكْرِهَا لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدَ ﷺ، وَكِيفَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ لِهَدَايَةِ النَّاسِ، بَعْدَ أَنْ عَاشُوا فِي الضَّلَالِ وَالْغُوايَّةِ، ذَكَرُتْهُمْ بِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ، قَدْ اسْتَخْلَفُ فِيهِمُ الْإِمَامُ عَلِيُّ ﷺ، مِنْ خَلَالِ قَوْلِهِ: «وَبِقِيَّةٍ أَسْتَخْلِفُهُمْ عَلَيْكُمْ: كِتَابُ اللَّهِ النَّاطِقُ، وَالْقُرْآنُ الصَّادِقُ...» (الْطَّبَرَسِيُّ، ١٩٦٦، ص ١٣٣). ثُمَّ عَرَضَتْ ﷺ مَجْمُوعَةً مِنَ الْوَاجِبَاتِ الْدِينِيَّةِ، وَالْأَخْلَاقِيَّةِ، وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَكَانَتْ تَذَكِّرُ هَذِهِ الْقِيمِ وَالْوَاجِبَاتِ، وَتَذَكِّرُ وَرَاءَهَا مَبَاشِرَةُ الْفَائِدَةِ مِنْهَا، مَثَلًا: «وَالصِّيَامُ: تَثْبِيَّاً

لِلإخلاص، والجحّ: تشيداً للدين، والعدل: تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا: نظاماً للملة، وإمامتنا: أماناً للفرقـة والجهاد: عزاً للإسلام...» (الطبرـي، ١٩٦٦، ص ١٣٣). وفي ذلك، جعلت الله طاعة أهل البيت الله، والاعتقاد بإمامتهم، هي واجبات من الواجبات الدينية، تتكافأ في وجوهها، ويوجـب بعضـها بعضاً، وبهذه الواجبات تستقيم أمور الناس الدينية والدنيوية. ثم أنتهـت هذه الفقرة، باستشهادـها بآية من القرآن الكريم، من خلال قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوًا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُؤْنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران، ١٠٢)، بإـشارة إلى أنـهم لو استمرـوا في اجـتزائهم لـدين الله تعالى وـتعـالـيمـه، ولم يـتـقوـه حقـ تـقـاتـهـ، فـإـنـهـمـ سـيـمـوتـونـ عـلـىـ غـيرـ دـيـنـ اللهـ. ثم عـرـضـتـ بـعـدـهاـ آـيـةـ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطـرـ، ٢٨ـ) في سـيـاقـ مـرـتـبـ بـالـهـدـفـ الـذـيـ تـرـيـدـهـ مـنـ خـطـبـتهاـ كـلـهاـ، وـهـوـ الإـشـارـةـ إـلـىـ عـلـيـ اللهـ، وـحـصـرـيـةـ الإـمامـةـ بـهـ دونـ غـيرـهـ مـنـ الـمـوـجـودـيـنـ، الـذـينـ تـقـلـلـوـاـ مـقـالـيدـ الـخـلـافـةـ، وـجـعـلـوـاـ أـنـفـسـهـمـ أـئـمـةـ عـلـىـ النـاسـ، بـعـيـداـ عـنـ أـيـ شـرـعـيـةـ دـيـنـيـةـ، نـصـ عـلـيـهاـ

الله ورسوله الله.

### حصرـها اللهـ خـلـافـةـ رـسـوـلـ اللهـ اللهـ بـالـإـمـامـ عـلـيـ اللهـ:

وبـعـدـ أـنـ دـعـتـ اللهـ الـمـسـلـمـيـنـ إـلـىـ تـحـمـلـ مـسـؤـلـيـاتـهـمـ تـجـاهـ هـذـهـ القـضـيـةـ التـارـيـخـيـةـ، وـتـجـاهـ رـبـهـمـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ، رـفـعـتـ مـنـ مـنـسـوبـ خـطـابـهـاـ، وـسـقـفـ مـطـالـبـهـاـ بـأـحـقـيـةـ الـخـلـافـةـ لـلـإـمـامـ عـلـيـ بنـ أـبـيـ طـالـبـ اللهـ. وـقـدـ قـالـتـ بـثـقـةـ عـالـيـةـ، وـنـبـرـةـ حـازـمـةـ، وـلـغـةـ لـاـ تـأـوـيلـ فـيـهاـ وـلـاـ انـزـيـاحـ: اـعـلـمـواـ أـنـيـ فـاطـمـةـ، وـأـبـيـ مـحـمـدـ...ـ، فـأـشـارـتـ إـلـىـ قـرـابـةـ عـلـيـ دونـ غـيرـهـ مـنـ رـسـوـلـ اللهـ، ثـمـ ذـكـرـهـمـ بـهـاـضـيـهـمـ، وـمـاـذـاـ فـعـلـ رـسـوـلـ اللهـ حـتـىـ أـقـدـهـمـ مـاـ كـانـواـ فـيـهـ، وـبـالـنـعـمـ الـتـيـ أـنـعـمـهـاـ اللهـ عـلـيـهـمـ بـفـضـلـ رـسـوـلـ اللهـ اللهـ. وـبـالـقـابـلـ كـيـفـ كـانـ النـبـيـ اللهـ يـقـذـفـ بـعـلـيـ اللهـ، لـمـنـاجـزـةـ الشـرـكـ

والضلال، وكيف شاركه في كل حروبـه ومعاركـه، ولم تأخذـه في الله لومة لائمـ، والـمسلمون في رفاهـية العـيش، بل إنـهم تـأمروا على آل بـيت رسول الله ﷺ، وأـظهـروا حـقدـهم وضـغـيـتهم عـلـيـهمـ. وـعـلـىـ الرـغـمـ مـنـ ذـلـكـ كـلـهـ، فـإـنـكـمـ «وـسـمـتـمـ غـيرـ إـبـلـكـمـ، وـورـدـتـمـ غـيرـ مـشـرـبـكـمـ، هـذـاـ وـالـعـهـدـ قـرـيبـ وـالـكـلـمـ رـحـيـبـ، وـالـجـرـحـ لـمـ يـنـدـمـلـ، وـالـرـسـوـلـ لـمـ يـقـبـرـ» (الـطـبـرـيـ، ١٩٦٦، ص ١٣٧) بـمـعـنـىـ أـنـكـمـ أـخـلـقـتـمـ بـعـهـدـكـمـ لـرـسـوـلـ اللهـ لـعـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ ﷺ، وـسـلـبـتـمـ خـلـافـتـهـ، وـتـأـمـرـتـمـ عـلـىـ أـوـامـرـهـ، بـيـنـمـاـ كـانـ عـلـيـ لـعـلـيـ يـعـمـلـ عـلـىـ تـجـهـيزـ جـسـدـهـ الطـاهـرـ، تـجهـيـداـ لـلـصـلـاـةـ عـلـيـهـ وـدـفـنـهـ.

### نتـيـجةـ الـخـطـوـاتـ السـابـقـةـ:

وبـهـذاـ، تـكـونـ الزـهـراءـ لـعـلـيـ قدـ رـبـطـتـ مـسـأـلـةـ الـإـلـاـخـاـصـ لـرـسـوـلـ اللهـ ﷺـ، بـالـإـلـاـخـاـصـ لـلـإـمـامـ المـمـثـلـةـ بـالـإـمـامـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ ﷺـ. فـهـيـ لـعـلـيـ كـانـتـ تـذـكـرـهـ فـيـ الـخـطـبـةـ، وـتـمـدـحـهـ، وـتـبـيـّـنـ فـضـائـلـهـ وـإـنـجـازـاتـهـ، وـقـرـبـهـ مـنـ رـسـوـلـ اللهـ، وـمـنـزـلـتـهـ عـنـدـهـ، وـكـلـامـ رـسـوـلـ اللهـ بـحـقـهـ. فـهـذـاـ التـسـلـسلـ، وـالـتـدـرـجـ فـيـ عـرـضـ الـأـفـكـارـ وـتـنـامـيـهـاـ، لـاـ يـشـيرـ إـلـىـ أـنـ خـطـبـةـ الزـهـراءـ لـعـلـيـ، كـانـتـ خـطـبـةـ شـعـبـوـيـةـ عـاطـفـيـةـ، تـرـيدـ مـنـهـاـ أـنـ تـثـيـرـ عـوـاطـفـ الـمـسـلـمـينـ لـيـسـتـرـجـعـواـهـاـ فـدـكـاـ؛ـ وـإـنـمـاـ هـيـ خـطـبـةـ هـادـفـةـ وـاعـيـةـ، حـيـكتـ بـقـلـبـ سـلـيـمـ طـاهـرـ، بـعـيـدـ عـنـ الدـنـسـ وـالـرـجـسـ، بـكـلـمـاتـ حـرـوـفـهاـ قـبـسـ مـنـ نـورـ الرـسـالـةـ الـمـحـمـدـيـةـ.

تـدرـكـ الزـهـراءـ لـعـلـيـ جـيـدـاـ، أـنـ كـلـامـهـاـ عـنـ أـحـقـيـةـ الـإـمـامـ عـلـيـ لـعـلـيـ بـالـخـلـافـةـ، لـنـ تـجـدـ لـهـ صـدـىـ لـدـىـ الـخـلـيـفـةـ الـأـولـ، وـلـاـ لـدـىـ مـنـ حـضـرـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ الـمـسـجـدـ، مـنـ اـسـتـمـعـ إـلـىـ خـطـبـتهاـ؛ـ كـماـ لـمـ تـمـنـعـ وـصـايـاـ رـسـوـلـ اللهـ لـعـلـيـ الـقـوـمـ مـنـ فـعـلـ ماـ فـعـلـوهـ. وـلـذـلـكـ، قـرـرـتـ لـعـلـيـ الـانتـقـالـ إـلـىـ الـخـطـوـةـ التـالـيـةـ مـنـ الـمـواجهـةـ السـلـمـيـةـ، لـمـنـعـ الـانـحرـافـ التـارـيخـيـ مـنـ أـنـ يـسـلـكـ

مسلكه الخطير، ويسير إلى منحدرات تؤدي بالرسالة الإلهية إلى الضياع والزوال. فهي، سلام الله عليها، وإن لم تريح هذه الجولة السابقة، التي كانت تتوقع نتائجها، فإنّها ستؤسس بجولتها التالية، لنزع الشرعية الدينية عن سلوك الخليفة الأول وعن حكومته؛ فاستغلت هفوته بمنعها فدكاً وحجبها عنها، وانطلقت منها إلى هذه الجولة التالية المهمة جداً.

### نزعها للشرعية الدينية عن الخليفة الأول وحكومته:

إن نزع الشرعية الدينية عن الخليفة الأول وعن حكومته، وفي هذه اللحظة التاريخية الحرجة جداً، يتطلب عقلاً كبيراً، وعلمًا واسعًا، وبيانًا محكمًا، ومكانة اجتماعية ودينية بين المسلمين، تفوق قدرة الطرف المقابل؛ وهذا، وأكثر من ذلك بكثير، ما كانت تتمتع به الزهراء عليها السلام. فخلال خطبتها عليها السلام، بدأت طرح التجاوزات الشرعية والعقائدية التي وقع فيه الخليفة الأول، ومنها زلتُه بفديه، والميراث، وسهام الحمس. في البداية، وأمام مرأى المسلمين جميعاً، اتهمت الخليفة الأول، بأنه يريد أن يرجع الناس إلى حكم الجاهلية، ويترك العمل بأحكام الله تعالى ممه. ثم ذكرته بنسبه، إذ نادته: «يا ابن أبي قحافة»، ولم تناده بأي صفة أو لقب، وهي بذلك لا تعترف بأي شيء من مفاسيل السقifice، كما إنّها خلال مناداتها له، كانت تنادي المسلمين، لتلفت نظرهم إلى كلامها، وتجعلهم يشهدون على تجاوزاته الشرعية، إذ تقول: «أيتها المسلمون أغلب على إرثي؟ يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا إرث أبي؟!» (الطبرسي، ١٩٦٦، ص ١٣٨)، فهي نادت المسلمين أولاً، ثم نادت الخليفة الأول ثانياً، ما يشير إلى أنها عليها السلام، تريد أن يصل احتجاجها الشرعي إلى المسلمين، وليس إليه وحده.

وفي الإطار نفسه، فقد أظهرت **ال الخليفة الأول**، أمّا المسلمين، أنّه عمل بهواء، واتّبع الشيطان، ولم يتبّع كتاب الله، لا؛ بل نبذه وراء ظهره، عندما عطل العمل بمفاسيل الآيات القرآنية، وتمسّك برأيه في موضوع الإرث. وقد استشهدت لهذه الغاية بأربع آيات قرآنية، تؤكّد بواسطتها صدق ما تذهب إليه. كما إنّها اتهمته بادعائه بمعرفته أمراً، نزله الله عليه وحده، ولم ينزله على رسوله ﷺ، والمسلون جميعاً، يعرفون أنّ الوحي كان ينزل على رسول الله ﷺ، ولم يكن ينزل على غيره؛ ما يظهره بمظاهر المخالف لأوامر الوحي والقرآن، ولعلّها تقصد بذلك أنْ تقول للMuslimين أنّ الخليفة الأول يدعى النبوة، أو أنّه بفعله يتطاول على رسول الله ﷺ، وعلى النبوة، وعلى الوحي، من خلال قوله له: «أَفْخَصْكُمُ اللَّهُ بِآيَةِ أَخْرَجَ أَبِي مِنْهَا؟» (الطبرسي، ١٩٦٦، ص ١٣٨).

### **دعوتها **الأنصار** إلى مناصرة الإمام علي **عليه السلام** بحمل السلاح:**

بعد أنْ نزعت الشرعية الدينية عن الخليفة الأول، انتقلت الزّهراء **عليها السلام** إلى الخطوة الأكثر خطورة، والأكثر تقدماً في سياق احتجاجها ومناهضتها السّلمية؛ ولربّما أخرجت هذه الخطوة بعضًا من حركة الزّهراء **عليها السلام** من الإطار السّلميّ، إلى الإطار الدّمويّ. وقد تمثّلت هذه الخطوة، في تحويل خطابها إلى الأنصار بشكل خاص، دون غيرهم من المسلمين. وأعادت عليهم ما قالته قبلًا: «أَلْهَضْتُمْ تراثَ أَبِي؟» ثم أضافت إليه قوله لهم بأّنّهم هم المدافعون عن آل بيت رسول الله ﷺ، إذ قالت: «وَأَنْتُمْ بِمَرْأَى مِنِّي وَمَسْمَعْ، وَمِنْتَدِي، وَمَجْمَعْ تلبِسْكُمُ الدُّعَوَةِ، وَتَشْمِلْكُمُ الْخَبْرَةِ، وَأَنْتُمْ ذُوو الْعَدْدِ وَالْعَدْدَةِ، وَالْأَدَاهِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السَّلَاحُ وَالْجَنَّةُ، تَوَافِيكُمُ الدُّعَوَةِ فَلَا تُجَيِّبُونَ، وَتَأْتِيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلَا تُغَيِّبُونَ، وَأَنْتُمْ مُوصَفُونَ بِالْكَفَاحِ» (الطبرسي، ١٩٦٦، ص ١٤٠)؛ وفي هذا المقام، فإنّ الزّهراء **عليها السلام** قد ذكرت الأنصار بتارikhهم المجيد، وموافقتهم الشجاعة في نصرة رسول الله، ودورهم

الجاهديّ، عندما كانت المرحلة تستدعي منهم حمل السلاح، وأكّدت لهم بأنّ هذه المرحلة تستوجب الموقف نفسه، ودعتهم إلى رفع السلاح والثورة، لتصحيح المسيرة، وتوجيهها إلى ما كان يريدها الله تعالى. وفي هذا، فإنّ الزّهراء عليها السلام، تضفي شرعية دينية على قيام الأنصار بالقتال ضدّ من تقلّد الخلافة من غير وجه حقّ، وتأمر على آل البيت عليهم السلام، وانتزع منها حقّها، كما تظهر بأنّهم لا ينقصهم العديد، ولا العدة للمناجزة، ثمّ وعدتهم بالجنة في حال تعريضوا للقتل. وعلى الرغم من ذلك كله، فلم يحرّك أحدُ منهم ساكناً، إلّا ما نطق به ألسنتهم من كلام، لم تصل مفاعيله إلى أغماد أسيافهم.

### دلّات ضمائر المتكلّم، وربطها بالذريعة التي استعملها الخليفة الأول لأخذ الخلافة:

كرّرت الزّهراء عليها السلام عبارات تشير إلى الضمائر العائدة إليها عليها السلام، والعائدة إلى رسول الله ص، والعائدة إلى الإمام علي عليه السلام. وكانت تربط هذه الضمائر ببعضها بعضًا؛ فمرةً كانت تقول: «لست أنا وأبي»، ثمّ تقول: «من أبي وابن عمّي»، ثمّ تقول عن الإمام علي عليه السلام: «أخاه رسول الله»، وغيرها... هذه التكرارات، تشير إلى أنّ الزّهراء تحاجج الخليفة الأول ومن معه، بالحجّة نفسها التي تذرّعوا بها لأخذ البيعة في السقيفة؛ فهم انتصروا في محاججتهم على الأنصار، بمعيار القرابة من النبي محمد ص، والانتساب إلى قبيلة قريش. وقد استعملت الزّهراء عليها السلام المعيار نفسه، لخبر المهاجرين والأنصار، إذا كان المعيار هو القرابة، والانتساب إلى قريش؛ فعلى عليها السلام، هو ابن عمّ رسول الله ص، ومن قريش، وابن ساداتها، وربّيه، وأخوه، وزوج ابنته فاطمة الزّهراء عليها السلام.

### رؤبة أمير المؤمنين عليه السلام في الانقلابيين:

إنّ القوم لن يبايعوا عليّاً، حتى ولو كان ابن رسول الله ص. فقد «قال له قائلٌ: يا أمير المؤمنين، أرأيت لو كان رسول الله ص ترك ولدًا ذكرًا، قد بلغ الحلم، وآنس القوم منه

الرشد، أكانت العربُ تسلّم إِلَيْهِ أَمْرَهَا؟ قال: لا، بل كانت تقتله إِنْ لَمْ يَفْعُلْ مَا فَعَلَتْ. إِنَّ العَرَبَ كَرِهَتْ أَمْرَ مُحَمَّدَ ﷺ، وَحَسِدَتْهُ عَلَى مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَاسْتَطَالَتْ أَيَامَهُ حَتَّى قَذَفَتْ زَوْجَهُ، وَنَفَرَتْ بِهِ نَاقَتَهُ، مَعَ عَظِيمِ إِحْسَانِهِ إِلَيْهَا [العرب]، وَجَسِيمٌ مِنْهُ عِنْدَهَا، وَأَجْمَعَتْ مَذْكَانٌ حَيَّاً عَلَى صِرَاطِ الْأَمْرِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَلَوْلَا أَنْ قَرِيشًا جَعَلَتْ اسْمَهُ ذَرِيعَةً إِلَى الرِّئَاسَةِ، وَسَلَّمَ إِلَى الْعَزَّ وَالْإِمْرَةِ، لَا عَبَدَتِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهِ يَوْمًا وَاحِدًا... ثُمَّ نَسِيَتْ تَلْكَ الْفُتوْحَ إِلَى آرَاءِ وَلَاتِهَا، وَحَسِنَ تَدْبِيرُ الْأَمْرَاءِ الْقَائِمِينَ بِهَا، فَتَأَكَّدَ عِنْدَ النَّاسِ نِبَاةُ قَوْمٍ وَخُمُولٍ آخَرِينَ، فَكَانَتْ نَحْنُ مِنْ خَلْمِ ذَكْرِهِ، وَخَبَتْ نَارُهُ، وَانْقَطَعَ صَوْتُهُ وَصَيْتُهُ، حَتَّى أَكَلَ الدَّهْرَ عَلَيْنَا وَشَرَبَ... اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَرْدِ الْإِمْرَةَ، وَلَا عَلَوْ الْمَلْكُ وَالرِّئَاسَةُ، وَإِنَّمَا أَرْدَتُ الْقِيَامَ بِحَدْوَدِكَ، وَالْأَدَاءَ لِشَرْعِكَ، وَوَضْعَ الْأَمْرِ فِي مَوَاضِعِهَا، وَتَوْفِيرَ الْحَقُوقِ عَلَى أَهْلِهَا، وَالْمُضِيَّ عَلَى مَنْهَاجِ نَبِيِّكَ، وَإِرْشَادِ الضَّالِّ إِلَى أُنُورِ هَدَايَتِكَ» (ابن أبي حَدِيد)، لَا تا.

ص ٢٩٨).

### خلاصة لدراسة الخطبة:

إِنَّ دراسة هذه الخطبة، بصفتها مستندًا تاريخيًّا، انطلاقًا من هذا المستند نفسه، ومن دون الرجوع إلى أي نص أو رواية، تظهر بشكل واضح لا لبس فيه ولا تأويل، أنَّ الزَّهْرَاءَ عليها السلام، لم تطرح نزاعًا ماديًّا، يطاول الحصول على الغلات والمحاصيل، وما شاكل ذلك بالمعنى الضيق؛ وإنما كان همَّها الثورة على الحكم، وتغيير الواقع الذي أفرزته سقيفة بنبي ساعده. فالمسألة بالنسبة لها، هي مسألة ترتبط بالسياسة العليا للحكومة، وترتبط بالرسالة الإسلامية، والمشروع الإلهي، والإمامية. هي مسألة إيمان ونفاق، مسألة نصر وشوري، مسألة كفر وإيمان.

## استنتاجات وخلاصات:

إن النّظر إلى المسار الذي اتبّعه حركة السيدة فاطمة الزّهراء عليها السلام في مواجهتها السّلميّة للانحراف التّارميّي في سقيفة بنى ساعدة، على صعيد النّتائج التي تحقّقت بعد هذه الحركة، لا ينبعي النّظر إليها انطلاقاً مما تحقّق في تلك اللحظة التّارميّة. فعلى صعيد الحكم والخلافة، فقد استطاع الخليفة الأول، والخلفية الثاني، ومعهما أبو عبيدة، أن يتصرّوا في الجولة الأولى على الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومشروعه الإلهي؛ فأذاحوه هو وأبناءه عن مسند الخلافة، وعطّلوا مشروع الإمامة بالشكل المخطط له إلهياً. والمُتّبع للأحداث التي سبقت وفاة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، والتي واكبّت دعوته في شبه الجزيرة العربيّة، وما فيها من تجمعات قبلية، وما تحمله هذه التجمعات من أفكار جاهليّة، واعتبارات قبلية؛ والذي ينظر إلى واقع الانقلاب الذي حصل بعد وفاته صلوات الله عليه وآله وسلامه، وما بُرِزَ من الانقلابيين من توجّهات دمويّة، يدرك تماماً صعوبة المرحلة وخطورتها على المشروع الإلهي. وفي هذا المجال، نسجّل الاستنتاجات الآتية:

إن مقاومة الزّهراء عليها السلام السّلميّة، كادت أن تطيح بحكومة الخليفة الأول، وتزعزع كيانه السياسي. وكاد الأمر أن يتحقق، لو أنّ الأنصار استجابوا الدعوة، وعادوا إلى بيعتهم للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، واستلّوا سيوفهم من أغرادها، بعد أن تأثّروا بخطبته عليه السلام، وهتفوا للإمام علي عليه السلام في المسجد النبويّ الشريف.

إن خسارة الزّهراء والإمام علي عليه السلام جولة استعادة الخلافة، لا يعني خسارة الرسالة الإسلاميّة التي جاء بها نبينا محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه. فهي عليها السلام استطاعت أن تبني الحجر الأساس لمسار حفظ المشروع الإلهي، واستمراره إلى يومنا هذا. فلو لم تقم الزّهراء عليها السلام بهذا الدور التاريحيّ، وتواجه الواقع الشاذ الذي فرضته سقيفة بنى ساعدة، لكانت مآلات الأمور مختلفة تماماً.

إن الزهراء عليها السلام وحدها، هي التي كانت قادرة على مواجهة الانحراف التاريخيّ، في هذه اللحظة التاريخية الحرجـة، والتأسيس لحفظ المشروع الإلهيّ.

إن حركة الزهراء عليها السلام، مهـدت الطريق أمام الأئمـة الأطهـار عليهم السلام، لأداء مهامـهم في حفـظ المشروع الإلهيّ من الرـوال، بعد أن تعـطل دورـهم في تربيةـ الأمـة، وصـناعةـ مجـتمع يـسودـ العـدلـ والـسـلامـ.

إن مواجهـةـ الزـهرـاءـ عليـهاـ السـلامــ للـخـلـيـفةـ الـأـوـلـ فيـ المسـجـدـ النـبـويـ الشـرـيفـ،ـ أـمـامـ مـرأـىـ المـهـاجـرـينـ وـالـأـنـصـارـ وـمـسـعـهـمـ،ـ نـزـعـتـ الشـرـعـيـةـ الـدـيـنـيـةـ عـنـ حـكـومـتـهـ،ـ وـحـفـرـتـ عـمـيقـاـ فيـ وـجـانـ الـمـسـلـمـينـ،ـ حـتـىـ وـلـوـ مـنـعـهـمـ مـصـالـحـهـمـ الشـخـصـيـةـ وـالـدـنـيـوـيـةـ مـنـ تـلـيـةـ دـعـواـهـاـ.

إن هـدـفـ الزـهـرـاءـ عليـهاـ السـلامــ مـنـ خـرـوجـهـاـ مـنـ مـنـزـلـهـاـ،ـ وـقـيـامـهـاـ بـهـذـهـ المـوـاجـهـةـ السـلـمـيـةـ،ـ لـمـ يـكـنـ لـاستـعادـةـ فـدـكـ،ـ وـلـاـ المـطـالـبـةـ بـالـمـيرـاثـ،ـ وـلـاـ بـسـهـامـ الـخـمـسـ؛ـ إـنـمـاـ خـرـجـتـ مـنـ أـجـلـ حـفـظـ الرـسـالـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ،ـ وـاسـتـمرـارـ المـشـرـوعـ إـلـاهـيـ؛ـ فـهـيـ عليـهاـ السـلامــ،ـ جـعـلـتـ مـنـ فـدـكـ طـرـيـقاـ وـاسـعـاـ لـشـرـعـ الـإـسـلـامـيـةـ،ـ وـاسـتـمرـارـ المـشـرـوعـ إـلـاهـيـ؛ـ فـهـيـ عليـهاـ السـلامــ،ـ جـعـلـتـ مـنـ فـدـكـ طـرـيـقاـ وـاسـعـاـ لـشـرـعـ الـمـوـاجـهـةـ.ـ كـمـاـ إـنـمـاـ المـتـبـعـ لـخـطـبـتـهـاـ فيـ المسـجـدـ النـبـويـ الشـرـيفـ،ـ يـدـرـكـ تـمـامـ الإـدـراكـ،ـ أـنـ مـطـالـبـتـهـاـ بـفـدـكـ،ـ جـاءـتـ فيـ سـيـاقـ نـزـعـ الشـرـعـيـةـ الـدـيـنـيـةـ عـنـ حـكـومـةـ الـخـلـيـفةـ الـأـوـلـ.

إن تـسـمـيـةـ خـطـبـةـ الزـهـرـاءـ عليـهاـ السـلامــ فيـ المسـجـدـ النـبـويـ الشـرـيفـ بـ «ـالـخـطـبـةـ الـفـدـكـيـةـ»ـ،ـ هيـ تـسـمـيـةـ غـيرـ مـنـصـفـةـ،ـ وـلـاـ تـرـتـقـيـ إـلـىـ مـسـتـوـىـ حـرـكـتـهـاـ.

إـذـاـ كـانـ هـدـفـ الزـهـرـاءـ عليـهاـ السـلامــ الـمـطـالـبـةـ بـحـقـهـاـ فيـ أـرـضـ فـدـكـ،ـ فـإـنـمـاـ لـنـ تـطـلـبـ مـنـ الـأـنـصـارـ أـنـ يـسـتـلـوـنـ سـيـوفـهـمـ،ـ وـيـذـلـوـ دـمـاءـهـمـ،ـ مـنـ أـجـلـ اـسـتـرـجـاعـ قـطـعـةـ أـرـضـ؛ـ فـهـذـاـ لـيـسـ مـنـ دـيـنـ أـهـلـ الـبـيـتـ عليـهاـ السـلامــ،ـ أـنـ يـأـمـرـوـ النـاسـ بـيـذـلـ دـمـائـهـمـ مـنـ أـجـلـ أـمـورـ شـخـصـيـةـ،ـ أوـ دـنـيـوـيـةـ؛ـ فـطـلـبـهـاـ مـنـ الـأـنـصـارـ أـنـ يـدـافـعـوـاـ عـنـ أـهـلـ بـيـتـ رـسـولـهـ اللهـ عليـهـ السـلامــ بـالـسـيـفـ،ـ جـاءـ بـهـدـفـ اـسـتـرـجـاعـ خـلـافـةـ رـسـولـ اللهـ عليـهـ السـلامــ.

لقد أخطأ الأنصار خطأ خطيرًا جدًا في اللحظة التاريخية الحرجة جداً؛ فهم، وبعد أن كانوا مستعدين لمبايعة عليٍ عليه السلام في حياة رسول الله، انزلقوا في تنازعهم على الخلافة في سقيفة بني ساعدة، ظنًاً منهم أنَّ الخلافة قد تؤول إليهم؛ سواء إلى الأوس، أو إلى الخزرج. كما إنَّهم لم يدركوا أنَّ حجَّة المهاجرين أقوى من حجتهم، وأنَّ سلطة المهاجرين أقوى من سلطتهم، وأموال المهاجرين أكثر من أموالهم، ونفوذهم وتأثيرهم في القبائل أكثر من تأثيرهم ونفوذهم. فإذا كانوا هم فتحوا باب التنافس على الخلافة، فقد حصد ثمارها المهاجرون، وأخرجوهم خارج اللعبة، التي كان المهاجرون يسعون إليها، ويدبرون تفاصيلها، قبل وفاة رسول الله عليه السلام. ولو أنَّ الخزرج وحدهم دون الأوس، لم يبايعوا الخليفة الأول، وبايعوا علياً عليه السلام، لكانت الخلافة وقعت في يد علي عليه السلام، ولتغير مجرى التاريخ.

لقد أخطأ الخليفة الأول عندما صادر فدكاً من الزهراء عليه السلام، فلم تكن الدولة بحاجة إلى ما تجنيه فدك من إيرادات مالية، ولا كانت هذه الإيرادات لتضرر الدولة لو كانت بيد الزهراء عليه السلام. فهم أرادوا أنْ يحرّدوا الإمام علي عليه السلام من كل مصادر القوة، ظنًاً منهم أنَّ الإمام علي عليه السلام، سوف يوظف هذه الإيرادات لمواجهتهم. ولكنّهم لم يضعوا في حسابهم، أنَّ أهم مصدر للقوّة ادخره رسول الله عليه السلام مثل ذلك اليوم، هو الزهراء عليه السلام، على الرغم من محاولتهم إبعادها عن المشهد السياسي.

إنَّ الدور الذي اضطاعت به الزهراء عليه السلام، أخرجها من كونها امرأة عادلة، لتكون امرأة استثنائية، لا مثيل لها في التاريخ.

إنَّ الواقع الفكري، والاجتماعي، والثقافي، والديني للمجتمع العربي في الحجاز وشبه الجزيرة العربية، شكل متغيّرًا مهًما، أثر سلبًا في نتائج حركة الزهراء عليه السلام؛ فقرارات الناس كانت تحكمها العاطفة، الخوف، حب المال، حب السلطة ...

## الخاتمة

في الوقت الذي كان فيه رسول الله ﷺ يقوم بأعباء الدعوة الإسلامية، ويُجاهدُ المشركين، وينجحُ في المعارك معهم، ويقاتلهم من أجل حفظ الرسالة الإسلامية ونشرها؛ كان يَدْخُر السر العظيم المتمثل بابنته فاطمة الزهراء ؓ، ويجهّزها، ويهيئ لها الأسباب، تمهيداً لليوم الذي يتقدّم فيه إلى الرفيق الأعلى. كان النبي ﷺ يعلم أنّ حسد قومه وحقدّهم على أمير المؤمنين ؓ، وكرههم الشديد له، سيحوّل دون تسلّمه الخلافة من بعده، ولن يستطيع الإمام عليؑ مواجهتهم، حفظاً للمشروع الإلهي واستمراره؛ ولذلك أودع ﷺ الزهراء ؓ خصاله ومكانته وعلمه ونفسه، حتى قال بأنّ الزهراء أمّ أيّها. فانطلقت بحركتها لمناهضة الانحراف التاريخي بحكمة وذكاء وإقدام وشجاعة قلّ نظيرها، فواجهت الذين نعثّهم الله تعالى «الذين في قلوبهم مرض»، وكادت أنْ تطيح بحكمتهم الملوّنة، وترمي بها في مزابر التاريخ.

إنّ جهلَ الناس، منع وليه الأعظم، بعد رسول الله ﷺ من تسلّم الخلافة، وعطلَ، في كثير من المراحل، دور الأئمة ؓ هداية الأمة؛ ولكنهم ؓ استطاعوا أنْ يحفظوا الرسالة الإسلامية، ويبقوا جذوتها متقدّدة على مرّ الأزمنة والعصور. وكان للزهراء ؓ الدور الأبرز في استمرار هذه الرسالة وبقائها خالدة حيّة متتجددة. لقد ذهبت الخلافة، وبقيت الرسالة؛ ذهب المتآمرون، وبقيت روح رسول الله ﷺ متوجّحة في قلوب المحبين الوعيين.

إنّ وعيَ الأمة اليوم، ووعيَ المحبين لرسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار ؓ، سيضع التاريخ على طريق المشروع الإلهي، بعد أنْ حرّفتَه الأحقادُ القبيّة، والحسابات الشخصية عن مساره المخطط له، وسيمهد لوليّه الأعظم ظهوره، ل تستعيد خلافة رسول الله ﷺ ألقها وتوهّجها، ويسود العدلُ والسلامُ في العالم كله.

التوصيات:

١. إجراء أبحاث تتناول مسيرة الزهراء عليها السلام في حياة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، انطلاقاً من الجانب السياسي، للإضاءة على دورها بعد وفاته.
٢. إجراء أبحاث تتناول الزهراء عليها السلام بصفتها حالة عالمية جامعية، لا نموذجاً نسائياً لتقديري بها المرأة حصرًا، وإنما لتكون قدوة لكلّ ثائر واع في وجه كلّ طاغية مستبدّ.
٣. تحليل خطبة الزهراء عليها السلام تحليلاً بنائياً، للتعرف إلى أبعادها الدلالية الدقيقة، والاستفادة من معانيها العامة والخاصة.
٤. إجراء دراسات تاريخية نقدية، للتعرف إلى الواقع الثقافي، والفكري، والاجتماعي، والديني، الذي صاحب حركة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه في شبه الجزيرة العربية حتى وفاته، لكونه متغيّراً مؤثراً في حركة الزهراء عليها السلام.

انتهى

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. القمي، عباس. (٢٠١٥). متنى الآمال في تواریخ النبی والآل. المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية.
٢. الصدر، محمد باقر. (٢٠٠٥). فدک في التاریخ، تحقيق عبد الجبار شراره، الطبعة الثالثة، بيروت: الغدیر للطباعة والنشر والتوزیع.
٣. الصدر، محمد باقر. (١٩٩٠). فدک في التاریخ، بيروت: دار التعارف للمطبوعات.
٤. النعماني، محمد رضا. (لا. تا). فاطمة والخلافة، الطبعة الأولى. إیران، قم: مطبعة شریعت.
٥. ابن أبي حیديد المعتری. شرح نهج البلاغة، جزء ٢٠.
٦. المسعودي، محمد فاضل. (٢٠٠٠). الأسرار الفاطمية، تقديم عادل العلوی.
٧. العسقلاني، ابن حجر شهاب الدين. (٢٠٠٦). فتح الباری في شرح صحيح البخاری، الجزء السادس، الطبعة الثانية، بيروت: دار المعرفة.
٨. الطبری. (١٩٦٦). الاحتجاج، الجزء الأول، نقلًا عن: /http://shiaonlinelibrary.com
٩. الشیخ المفید. (١٩٩٣). الأمالی.
١٠. الطبری، محمد بن جریر. (١٤١٣). دلائل الإمامة. نقلًا عن: /http://shiaonlinelibrary.com

١١. تاريخ الإسلام. (٢٠١٠). تاريخ الإسلام، الطبعة الثامنة.
١٢. سالم، عبد العزيز. (١٩٧٠). تاريخ الدولة العربية، بيروت: دار النّهضة العربية للطباعة والنشر.
١٣. كوراني، حسين. (٢٠٠٢). في حرب فاطمة. الطبعة الأولى، بيروت: دار المادي للطباعة والنشر والتوزيع.
١٤. النيسابوري، مسلم. (٢٠١١). صحيح مسلم، الجزء السابع.
١٥. ياسين، كاظم. من محاضرة ألقاها سنة ٢٠٢٣ في بلدة كفرصیر - جنوب لبنان.

إرث الزهراء عليها السلام استخدام تقنيات خطبتها  
في إدارة الاحتجاج وتحقيق التأثير الإيجابي

الباحث

الشيخ حسين محسن علي التميمي

العتبة العباسية المقدسة

### بيان البحث:

يهدف هذا البحث إلى استكشاف الأساليب السلمية التي اتخذتها السيدة الزهراء عليها السلام في مقاومتها للظلم وكيف أدّت استراتيجيتها الاحتجاجية إلى إحداث تأثيرات إيجابية على المجتمع الإسلامي آنذاك وللأجيال القادمة، سنقوم بتحليل السياقات التاريخية للإرث، والخطابات والأفعال التي تنم عن قيادتها الحكيمه وفطنتها السياسية.

### أهداف البحث:

١. تحليل الدوافع والأساليب والتكتيكات التي استخدمتها السيدة الزهراء عليها السلام في المعارضة السلمية.
٢. استعراض الخطابات والواقف المهمة للزهراء عليها السلام وتأثيرها في الوعي السياسي والديني للأمة.
٣. فهم كيفية تحويل أعمال الاحتجاج إلى تمكين وتعظيم للقيم والمبادئ الإسلامية.

### بعض النتائج المتوقعة:

- تأسيس نموذج الاحتجاج عبر العصور بفضل السيدة فاطمة عليها السلام، وقد نظمت الحجة والبرهان في خطبتها بطريقة لا تُنسى.
- رصد تأثير مواقف السيدة الزهراء عليها السلام في تعزيز مفهوم العدالة الاجتماعية والمساواة.
- تمنت السيدة عليها السلام من أن تؤمن على حياة البشرية بحيث تكون خارج التحكم السلطوي في المعتقدات.
- إيضاح دور الزهراء عليها السلام في حماية الدين ومحوريتها في التاريخ الإسلامي.
- إثبات أنَّ الانتصار يتحقق في الحوار يمكن أن تكون أكثر تأثيراً من العنف على مرّ التاريخ.
- كيف مولانا فاطمة عليها السلام رسخت هوية الإنسان العقائدية عبر التاريخ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

إنّ في عالم يزداد تعقيداً وتشابكاً، وفي ظلّ التحديات الكبرى التي تواجه الهوية والعقيدة، يمثل الإرث الحضاري للسيدة الزهراء عليها السلام معيناً لا ينضب من الدروس والقيم التي تعزز أسس الشخصية الإسلامية. في ضوء هذه الحقيقة، تبرز الحاجة الملحة للرجوع إلى الثقلين -القرآن وأهل البيت عليهم السلام- والتمسك بمنهج الرسالة بوصفها منهجية أصيلة ومحورية تحفظ للإنسان هويته وتقوّي عقيدته في مواجهة الانحرافات والتيارات المادية والفكريّة المستجدة.

تأتي فاطمة عليها السلام في قلب هذا المنهج رمزاً استثنائياً للمقاومة والتجلّي الأعلى للقيم الإسلامية، وإنّ مواقفها السلمية لها القوية ورؤيتها الثاقبة لجوهر الإسلام، تقدم أنموذجاً حياً للتلازم بين الدين والحياة وتوظيف العقيدة في صناعة الواقع، إلا أنّ الأمة قد شهدت على مرّ العصور مواقف تخالف ما جاءت به السيدة الزهراء عليها السلام؛ إذ فقد الأمة هويتها الأصلية نتيجة التأثيرات الخارجية والأفكار الغربية، فتعرضت هوية الإنسان المسلم إلى التمييع أو الطمس بين الحين والآخر.

تمارس قضية الإرث للسيدة الزهراء عليها السلام دوراً محورياً في إعادة بناء الذات المسلمة وتقويمها على أساس صحيحة، إذ تُعدّ مسيرتها ومنهجها السلمي في التعاطي مع التحديات المختلفة النبراس الذي يضيء الдорب ويوجه السائرين نحو أصالة الإسلام وروحانيته؛ وذلك بتحويل المعارضة الوعائية والمبنية على الإيمان الراسخ إلى تأثير إيجابي ينهض بالأمة نحو آفاق العزة والتقدم.

إنّ دراسة تراث السيدة الزهراء عليها السلام وتحليل دورها في تعزيز الهوية والعقيدة يتخطّى كونه محض بحث تاريخي إلى كونه محاولة استشرافية لإعادة صياغة الهوية الإسلامية المعاصرة.

### بيان موضوع البحث:

«تحليل دور السيدة الزهراء عليها السلام في تشكيل الهوية الإسلامية»

#### - أهمية البحث:

«الأبعاد الثقافية والاجتماعية لنهج السيدة الزهراء عليها السلام وأثرها في الهوية الدينية والمقاومة»

#### أهداف البحث:

«الدافع الإيمانية والاستراتيجية وراء معارضته السيدة الزهراء عليها السلام وتأثيرها في الأمة»

#### منهج البحث:

«استخدام المنهج التاريني التحليلي والمنهج النقدي لدراسة ثراث السيدة الزهراء عليها السلام»

#### أسئلة البحث

##### السؤال الأصلي:

«كيف ساهمت السيدة الزهراء عليها السلام في ترسیخ الهوية الإسلامية ومواجهة المعارضة؟»

##### الأسئلة الفرعية:

١. «ما الأثر الاجتماعي لمقاومة السيدة الزهراء عليها السلام في الأمة الإسلامية؟»

٢. «كيف تمثلت الأسس الإيمانية في نهج السيدة الزهراء عليها السلام في التعاطي مع  
الصراعات؟»

٣. «ما هي أوجه الاختلاف بين نهج السيدة الزهراء عليها السلام والأساليب المعاصرة  
لللاحتجاج؟»

**فرضيات البحث:**

«تفترض الدراسة أنّ نهج السيدة الزهراء عليها السلام يمثل مصدر إلهام للقيادة الروحية وتنمية الوعي الذاتي بالهوية الإسلامية، ويمكن تطبيق فهمها للمقاومة في سياقات المعارضة الحديثة.»

**السابقة الدراسية للبحث:**

«تقييم الدراسات السابقة حول السيدة الزهراء عليها السلام وتحديد الفجوات البحثية بالإضافة الجديدة إلى الأديبيات القائمة حول التمسك بالثقلين»

**خطة البحث:**

«منهجية منظمة لفهم نهج السيدة الزهراء عليها السلام وتطبيق مواقفها عبر تراث إسلامي موثق وتحليل عميق لأثرها». .

### التمهيد:

تتجلى في شخصية السيدة المهمومة عليها السلام أبعاد عده تعكس عظمة مكانتها وإرثها وتتأثيرها الذي ما يزال يصدق في أروقة التاريخ والعقيدة. لم تكن خطبتها التي عرفت بخطبته فدك أئمها كلمات تناولت حدثاً عابراً، بل كانت صيحة مدوية تخترق أبعاد الزمان والمكان، تتناول قضايا مصيرية كالحقوق الإلهية، الوراثة النبوية، ومسألة أرض فدك.

لقد وضعت مولاتنا الزهراء عليها السلام بذلك الخطاب، البراهين القاطعة والحجج الدامغة التي لا تُرَدُّ ولا تُقاوم، حاسبةً ومحاسبةً من تجاوز و تعدى على الحقوق؛ ومع ذلك، فقد تعدى الأمر مجرد المحاسبة القانونية والتاريخية ليشمل أبعاداً تربوية وأخلاقية تتفاعل مع الواقع الإنساني والاجتماعي.

كان خطبة السيدة الزهراء عليها السلام تأثيرها التربوي والأخلاقي الذي تجلّى في تحويل مجرى الأحداث ذات الطابع السلبي إلى نهضة توعوية، وإيجابية دائمة الأثر، لم يقتصر تأثيرها في معارضين معينين أو عصر بعينه، بل وسّعت آفاق البشرية وأثرت فيها تأثيراً معتبراً يتدنى حدود الزمان.

تعتبر بلاغتها سرمدية وإلهية؛ ففي كلامها وجّهت الأمّة نحو فهم أعمق للحقّ والعدل، والترفع عن صغار الأمور الدنيوية، وفتحت الباب لمفاهيم إيمانية شاسعة، وأخرى وجودية تتلامس مع جوهر النفس الإنسانية.

لتحقيق هذا الأمر، لا بدّ من تعمّق في محتوى الخطبة، وما هيّتها، وأسلوبها البلاغي، والسياق الذي قيلت فيه، وكيف استطاعت هذه الكلمات أن تكون لبنة تأسيسٍ لحركة إصلاحية واضحة المعالم حتى عصرنا الراهن.

## المبحث الأول

### مواجهة المعارضة المبدئية، وكيفية إقامة الحجّة والبرهان

#### المطلب الأول: تأسيس الحجّة وإقامة البرهان:

يتتصدر الاستدلال والمنطق أهمية كبيرة في عملية الحجّة، خاصةً عندما يتعلق الأمر بتغيير عقيدة المجتمع وتحويل معلم الدين والمعتقدات، فاستخدام الاستدلال الصحيح والمنطق المقنع يسهم في توجيه الناس وإقناعهم بالفكرة المقترحة وتحقيق التأثير المرجو.

ومن بين الموارد المهمة في دراسة فن الاستدلال والمنطق، نجد خطبة السيدة فاطمة عليها السلام التي واجهت بها الأمة وكانت محطة دراسة وتحليل واعتماد في الفكر. خطبتها أصبحت منزلاً للدراسة لأنّها استخدمت الاستدلال ببراعة واستخدمت المنطق بشكل مدهش لتغيير عقيدة المجتمع وتحويل معلم الدين والمعتقدات.

تجد في خطبة السيدة بنت الرسول عليها السلام استخداماً حكيّاً للأدلة المقنعة والحقائق لتبرير حقّها في فدك، وقد قدمت السيدة عليها السلام رؤية استباقية لهذا العصر وفجائية كان في وقتها وهو فيه مطلب تأثير للمجتمع ورسمت المخاطر التي يمكن أن تترتب على عدم تلبية المطالب المنشورة.

واستنثاجاً، فإنّ استخدام الاستدلال والمنطق القويين يعزّز القدرة على تحقيق تغيير العقيدة للمجتمع وتحويل معلم الدين والمعتقدات. وقد أكدت خطبة السيدة الشهيدة عليها السلام في أهمية الاستدلال والمنطق في تحقيق التأثير المرجو وتحقيق التغيير الإيجابي في العقائد والمعتقدات. وقد عملت بوصية أبيها الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه، فإن لم يكن هناك أنصار فلا تقوموا، فاتجهت صوب الاحتجاج.

### نموذج جزئي من خلال نص خطبتها تقول فيها:

(.. أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريياً على الله ورسوله، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتوه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: «وورث سليمان داود»، وقال في ما اقتضى من خبر يحيى بن زكرياء<sup>عليه السلام</sup> إذ قال: «فهب لي من لدنك ولیاً يرثني ويرث من آل يعقوب»، وقال (أيضاً): «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»، وقال: «يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين»، وقال: «إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين»، وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفضحكم الله بيته (من القرآن) أخرج أبي محمداً<sup>صلوات الله عليه</sup> منها؟ أم تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أتتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟..).<sup>(١)</sup>

في هذه الكلمات القوية التي استخدمتها السيدة فاطمة<sup>عليها السلام</sup> في خطبتها، تظهر بلاغة الاستدلال من خلال استخدامها للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وذلك لإقناع الناس بحقّها في فدك وتنفيذ ما ورد في الكتاب العزيز.

بدأت السيدة فاطمة<sup>عليها السلام</sup> بالاستناد إلى آية قرآنية ثبتت حقّها في فدك قائلة: «أفي كتاب الله أن ترث يا ابن أبي قحافة أباك ولا أرث أبي؟»<sup>(٢)</sup>. قدمت السيدة فاطمة أدلة أخرى من القرآن والسنة تؤكد حقّها في التراث، عندما استشهدت بأمثلة مثل قصة سليمان وداود ويحيى، وأشارت أيضاً إلى أنّ القرآن يعطي حقوق الأرحام والوصية، بكلماتها القوية،

(١) العلامة المجلسي، مرأة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٥ / ٣٤١، سنة الطبع: ١٤٠٤ق، الناشر: دار الكتب الإسلامية - تبران، تحقيق: محقق / مصحح: رسول محلاتي، هاشم، الطبعة: الثانية.

(٢) ابن ميثم البحرياني، شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٠٥، سنة الطبع: تابستان ١٣٦٢ش، الناشر: مركز النشر مكتب الاعلام الإسلامي - الحوزة العلمية - قم - ايران، تحقيق عني بتصحيحه عدة من الأفاضل وقوبل بعدة نسخ موثوق به، الطبعة: الأولى.

وأصلت السيدة فاطمة استدلالها، وسألتهم عما إذا كانوا يدعون أنَّ أهل ملتين لا يتوارثون، مشيرة إلى أنها وأبيها من ملة واحدة ولهم حقوق متساوية.

بهذا الاستدلال السليم واستخدام الآيات والأحاديث، نجحت السيدة فاطمة في إثارة محتوى القرآن المنطوق وإظهاره، والحجج المقنعة لدعم حقّها في فدك وتغيير موقف، وضرب ضمائر عقيدة المجتمع وإعادة بناء المعالم الدينية الصحيحة.

وتبرز بلامة الاستدلال التي استخدمتها السيدة فاطمة في خطبتها، وتوضح أهمية الاستدلال والمنطق في عملية الحجّة لتحقيق التأثير المرجو وتغيير عقائد المجتمع بطريقة مقنعة ومفهومة.

استدلال الحجة واستخدام المنطق لها أهمية كبيرة في حياة الإنسان، وخاصةً عندما يتعلق الأمر بتغيير عقيدة المجتمع أو تحويل معلم دينية. والأبعاد المهمة للاستدلال والمنطق في هذه العملية:

١. قوة الإقناع: يعتبر الاستدلال القوي والمنطق الصحيح أداة قوية لإقناع الآخرين بوجهة نظرك ومقنعة التغيير المقترح لهم. يمكن أن يساهم الاستدلال الجيد واستخدام المنطق في خلق الثقة والإيمان بالحجج التي تقدمها.

٢. مواجهة الشبهات: يساعد الاستدلال السليم والمنطق في معالجة الشبهات والمفاهيم الخاطئة التي قد تعرّض فهم الآخرين وتعوق قبول التغيير المقترح. من خلال تحليل الموضوع بشكل منطقي وتقديم الأدلة المناسبة، يمكن تبديد الشبهات وإزالة العوائق.

٣. فهم الحجج وتقبلها: يعمل الاستدلال والمنطق على توضيح الحجج وتفسيرها بشكل منطقي ومقنع. ذلك يسهم في تعزيز فهم الآخرين للمفاهيم والمعلومات المقدمة، ومن ثم يسهل قبولهم للتغيير في العقيدة أو المعتقدات الدينية.

٤. بناء الحجّة القوية: يساعد استخدام الاستدلال الصحيح والمنطق في بناء حجة قوية تقوم على أساس واضحة وقوية وتحمل التحقيق والنقد. يكون الاستدلال القوي والمنطق المفصل أداة فعالة لإقناع الآخرين وجعلهم يتأكدون من صحة التغيير الذي تسعى إليه.

يمكن القول إنّ استدلال الحجّة واستخدام المنطق في هذه العملية لها تأثير حاسم مع الآخرين وتغيير آرائهم واعتقاداتهم، ويمثلان أدلة قوية لإحداث تأثير إيجابي في المجتمع.

### **المطلب الثاني: التطبيقات العملية للسيدة للقيم الأخلاقية والدينية:**

والأسلوب الأهم الآخر انتهجه مولاتنا النعية ﷺ هو تنمية القدرات وبناء شخصية الأبناء منذ الطفولة مع إعطاء كامل الثقة لهم. فقد جاء في رواية عن زينب بنت رافع قالت: (أتت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ببنيها الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله ﷺ في شكواه الذي توفي فيه فقالت: يا رسول الله هذان ابنك فورثهما شيئاً؛ فقال: أما الحسن فإنّ له هيبي وسؤدي، وأما الحسين فإنّ له شجاعتي وجودي).<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى تختزن بها قيمة الأدب والمعالجات الاجتماعية، وخاصة للمرأة؛ إذ يكون رسم حياتها وقدسيّة شخصها إذ تذكر الرواية أنّ (قال النبي لها: أيّ شيء خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل، فضّلها إليه وقال: ذرية بعضها من بعض).<sup>(٢)</sup>.

تقدّم السيدة الزهراء ﷺ لنا نموذجاً مهّماً للفضيلة والكرامة. وفي هذا العصر الرقمي، يجب أن نبحث عن طرق لتطبيق تلك القيم في حياتنا. تحمل سيرة السيدة فاطمة دروساً قيمة، حيث كانت تحافظ على الحشمة والاحترام للحجاب والبردة في حياتها.

(١) الشيخ الصدوقي، الخصال: ٧٧، سنة الطبع: ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش، الناشر: مؤسسة الشر الإسلامي التابعة لمجموعة المدرسین بقسم المشرفية، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاری.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ١١٩ / ٣. سنة الطبع: ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م، الناشر: مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف.

في الرواية، واحدة من الروايات المعروفة، تذكر كيف كانت السيدة المهمومة عليها السلام تخرج من بيتها محجبة لتوacial مع المجتمع في مسألة التبليغ: (...لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في ملة من...) <sup>(١)</sup>، من خلال هذا الإرث تبرز الأهمية البالغة في مبدأ الحشمة والستر التي كانت السيدة المنصورة عليها السلام تلتزم بها في كل تفاعلاتها.

في العالم الحديث، حينما يسود الانتشار الواسع للشبكات الاجتماعية والصور المتشرة بكثافة، قد يكون من الصعب الحفاظ على قيمة الحشمة والاحترام التي كانت سيدة نساء العالمين عليها السلام تتمتع بها في عصرها، يتطلب منّا الاستفادة من هذا الإرث، حيث كانت تحفظ المؤمنات على اعتماد القيم النبيلة في سلوكياتهن المعاصرة والتفاعل مع العالم الافتراضي.

في الحديث الذي سأله النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه مع السيدة فاطمة عليها السلام، إذ يبين عن أهم شيء للمرأة، فتجيب بأنّ الأهم هو (... أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل...) <sup>(٢)</sup>، وأن يكون هناك حفظ للحياة والخصوصية؛ هذا يدلّ على أنّ الاستقلالية وكسب الاحترام لنفسها هما أمور مهمة في الدين الإسلامي.

في ظلّ عالمنا اليوم وانتشار الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، يواجه المسلمون تحديات في الحفاظ على الهوية الدينية والأخلاقية، قد تؤثر الانخراط الإلكتروني ومشاركة الصور بطرق غير محتشمة وبعيدة عن الفضيلة والكرامة. لذا يجب أن نعتبر أنّ سيرة السيدة البطلة عليها السلام دعوة للمسلمين لإعادة تقييم تفاعلاتهم على الإنترت، وأن يسعوا إلى تحقيق رؤية الحشمة والوقار في تصرفاتهم الرقمية.

(١) القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار: ٣٤ / ٣، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق السيد محمد الحسيني الجلاي.

(٢) القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام: ٢١٥ / ٢، الناشر: دار المعارف بمصر - القاهرة، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، الطبعة: الثانية.

يجب أن نكون قدوة لآخرين في إظهار الأنقة الروحية والمرؤة على موقع التواصل الاجتماعي، وينبغي أن نحافظ على كرامتنا ونتجنب نشر المحتوى غير اللائق والتصرفات التي لا تتماشى مع القيم الإسلامية النبيلة. فلا بد أن نستخدم التكنولوجيا الحديثة بطريقة مسؤولة وحكيمة، وأن نتأكد من أن تفاعلاتنا الرقمية تعكس القيم والأخلاقيات التي نحن فيها.

الحفاظ على الحشمة والاحترام للنفس والآخرين يعتبر تحدياً في هذا العصر الرقمي، ولكن يمكن تحقيق التوازن بين العالم الرقمي والقيم الإسلامية الأصيلة، يمكننا اعتماد القواعد والمبادئ في كل ما نقوم به على الإنترنت، وأن نكون قدوة في الوعي الرقمي والحفاظ على هويتنا وأخلاقياتنا التي تجعلنا في نجاح وقبولية. وينبغي علينا أن نكون حذرين في اختيار ما ننشره ونعتني بالتوازن في استخدامنا للتواصل الاجتماعي، وأن نعكس دائماً التحضر والكرامة في كل تفاعلاتنا، وأن نعيش روح الأمة الفاطمية التي تستضيف الجميع وتشكل بوصلتنا الأخلاقية في العصر الحديث.

## المبحث الثاني

### انتقال التأثير الإصلاحي إلى الأجيال مع تعدد الثقافات

#### المطلب الأول: بلاغة الحركة الإصلاحية في خطبتها:

إن إرث السيدة البضعة عليها السلام مصدرٌ أساسيٌ للحكمة والبلاغة، حيث تميزت خطبها بالعديد من الجوانب المتعددة للمظاهر والمواد العلمية، وببلغتها الإصلاحية كانت تعالج مواضيع متنوعة، منها مجال النبوة والنعمة التي جلبتها للبشرية وكيف غيرت ثقافة التخلف، و موضوع الإمامة المكملة لرسالة الله وتأثيرها الكبير في حالات الأزمات والشبهات، بالإضافة إلى بناء الأمة في مجال حقوقهم وتفنيد الأحاديث المكذوبة، وكذلك التأثير الذي سيحدث للخارجين عن خطٍّ وضع السماء للخلافة.

في خطاباتها، كانت السيدة عليها السلام تسلط الضوء على مواضيع مهمة وحساسة في قضية وحدة الإسلام، وتوضح أثرها في تعزيز المجتمع وكيفية نشر الاستقرار للأمة، لذلك حذررت من مخاطر الانقلاب ونبهت إلى ما يمكن أن يحدث بعد ذلك، مما يظهر أنها لم تكن تتبعاً فقط بالمشاكل التي ستواجهها الأمة، بل كانت توجه رسالة تحذيرية وتحث على التوعي من الأخطار المحتملة الدولية.

(..فَالْتَّقَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام وَقَالَتْ: مَعَاشِ النَّاسِ الْمُسْرِعَةُ إِلَى قِيلِ الْبَاطِلِ، الْمُغْضِيَةُ عَلَى الْفِعْلِ الْقَبِيَحِ الْخَاسِرِ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَقْفَاهُمْ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَا أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَأَحَدَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصَارِكُمْ، وَلَيْسَ مَا تَأَوَّلُتُمْ، وَسَاءَ مَا أَشَرْتُمْ، وَشَرَّ مَا مِنْهُ اعْتَضْتُمْ، لَتَجِدَنَّ وَاللَّهُ مَحْمِلَهُ ثَقِيلاً، وَغَبَّهُ وَبِيلًا إِذَا كَيْسَفَ لَكُمُ الْغِطَاءُ، وَبَانَ مَا وَرَاءُ الْضَرَاءُ، وَبَدَا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَحْسِبُونَ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ<sup>(١)</sup>.

(١) الشيخ عبد الله البحرياني، العوالم، السيدة الزهراء (س): ٣/٦٨٥، سنة الطبع: ١٤١٣ ق، الناشر: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف - قم، الطبعة: الأولى.

في عصرنا الحالي، يمكن أن يستفيد المؤمنون من بلاغة السيدة شفيعة الأمة عليها السلام ومقامها العظيم، حيث يوجد الكثير من التحديات والمشاكل التي تواجه المسلمين، سواء في الشبهات الدعوية أو التحريفات المضللة للحقائق الدينية مثلما يظهر في التواصل الاجتماعي أو غيرها مثلاً: (.. أَفِي كِتَابِ اللهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ، وَلَا أَرِثَ أَبِي؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ..)<sup>(١)</sup>

إجابة من مولاتنا عليها السلام تنفي ما قاله وما استند إليه وتبين أمام الأمة إعلامياً ما تجرا وقول بالباطل على الله ورسوله.

من خلال دراسة خطابات السيدة الصديقة الكبرى عليها السلام وفهمها، لا بد من تطبيق مبادئها وتوجيهاتها في حل هذه المشكلات وتعزيز التعايش السلمي.

في ظل الانقلابات السياسية والاضطهاد الذي يمرّ به المسلمون في بعض البلدان، يمكن أن تمثل خطابات السيدة عليها السلام تحذيراتها إرشاداً للمسلمين لتجنب الأخطاء القاتلة والحفاظ على القيم والمثل العليا للإسلام.

بلغة الحركة الإصلاحية في خطابات السيدة ابنة المختار عليها السلام نجد خططاً وبرامج للتغيير الإيجابي وتحقيق سعادة الإنسان بما تريده الرسالة المحمدية، وكيفية بناء المجتمع المثالى في الأمة الإسلامية؛ وهذه البلاغة يمكن أن تكون لنا إلهاماً لمواجهة التحديات الحديثة وبناء مستقبل أفضل للأمة.

لذا يأتينا خطاب السيدة المحدثة عليها السلام ليعلمنا أهمية الحرص على بلاغة الحركة الإصلاحية في خطبة مستقبلية، حيث يمكن لنا أن نستوحى منها العديد من الدروس وتجويهات الدين الإسلامي للتحلي بالعقل والحكمة في حل المشاكل وتحقيق التقدم في المجتمع، وأن نكون

(١) أحمد بن علي الطبرسي، الاحتجاج: ١/١٣٨، سنة الطبع: ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م، الناشر: دار النعيم للطباعة والنشر - النجف الأشرف، حقيق تعليق وملحوظات: السيد محمد باقر الخرسان.

أصحاب نظرية واقعية في شؤون الوضع الراهن في تحقيق الشعور والوحدة المتعاطفة التي تقرب بين جميع أفراد الأمة الإسلامية.

**المطلب الثاني:** «دور السيدة الرضية في تأثير الأجيال المتعاقبة على الصعيدين العلمي والعملي»:

حياة مولاتنا بنت الرسول الأكرم ﷺ كانت قصيرة إلى حدّ ما، لكنّ إرثها حيوى، ورغم ذلك فإنّها لم تنطق إلّا بعد قليل من الأحاديث؛ هذا الأمر يستحق تأملاً وبحثاً، حيث يحمل رمزية وثقافة تتعلق بالناحية الاجتماعية للمرأة، حملت حياة مولاتنا الكريمة بلاغة وحكمة وعلماً جذاباً، وذلك بسبب المواقف العديدة التي تعتبر حجة قاطعة على أهل زمانها وأيضاً على أهل زماننا. تركت السيدة الرضية ﷺ سلوكيات تطور من خلال تجربتها الإنسانية، ووفرت منهاجاً لبناء النفس تربوياً وعلمياً من خلال التطبيق العملي لما عرضته للأمة أحياناً، وللرسول الأكرم ﷺ أحياناً أخرى، حيث كانت تهدف إلى التشريف ووضع مسار وأسس قيمة مراداتها الإسلام، أي إرث الرسول محمد وأهل بيته الطاهرين.

وفي هذا المطلب روايات عدة، منها:

أولاً: (عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام قال: (تقاضى عليّ وفاطمة إلى رسول الله ﷺ في الخدمة، فقضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب، وقضى على علي بما خلفه، قال: فقالت فاطمة ﷺ: فلا يعلم ما داخلي من السرور إلّا الله بإكفائى رسول الله ﷺ تحمل رقاب الرجال<sup>(١)</sup>).

(١) الحميري القمي، قرب الاستناد: ٥٢، سنة الطبع: ١٤١٣، الناشر: مؤسسة آل البيت للبيت لإحياء التراث - قم، تحقيق: مؤسسة آل البيت للبيت لإحياء التراث، الطبعة: الأولى.

### تأصيل الحديث:

يتجلّى من هذا الحديث حكمـة عظيمـة، وهي عدم الاختلاط بين الرجال والنساء في الأماكن العامة والخاصة، وذلك حفاظاً على الحياة والأخلاق ولضمان تحقيق النـظام والأمان الاجتماعي. إنـه تشريع ذكي يهدف إلى الحفاظ على هوية المجتمع وحماية الأفراد.

### تطبيق الحكمـة في عصرنا الحالي:

نقطـة مهمـة؛ وهي فصل المساحـات العامـة: يمكن توفير مساحـات محدـدة للرجال وأماكن منفصلـة للنساء في المجتمعـ، مثل الأماكن العامـة مثل الحـدائق والمساجـد والمكتـبات.

ثانياً: وفي رواية أخرى (.. هكـذا كانت الزـهراء عليها السلام ترافق بـخدمتها، فقد رـوي عن سـليمان الفـارسي أنه قال: كانت فاطـمة عليها السلام جـالسة وقد دـامـها رـحـى تـطـحن بـها الشـعـير وـعـلـى عمود الرـحـى دـمـ سـائلـ، والـحسـينـ في نـاحـيـة الدـارـ يتـضـوـرـ من الجـوعـ، فـقـلـتـ يا بـنـتـ رـسـولـ اللهـ دـبـرـتـ كـفـاكـ وـهـذـهـ فـضـةـ؟ فـقـالـتـ: أـوـصـانـيـ رـسـولـ اللهـ أـنـ تكونـ الخـدـمـةـ لهاـ يـوـمـاـ وـعـلـيـ يومـاـ فـكـانـ أـمـسـ يـوـمـ خـدـمـتـهاـ)..<sup>(١)</sup>.

### تطبيق المحـاكـاة العـصـرـية:

هذه الرواية تـبرـزـ رـحـمـةـ الزـهرـاءـ عليـها السلامـ وـتـواـضـعـهاـ تـجـاهـ خـادـمـةـ الـبـيـتـ، عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ آـنـهـاـ كانتـ زـوـجـةـ إـلـمـامـ عـلـيـ عليـها السلامـ وـتـحـظـىـ بـالـأـرـفـعـيـةـ وـالـاحـترـامـ، إـلـاـ آـنـهـاـ لمـ تـتـجـاهـلـ حاجـاتـ وـظـرـوفـ خـادـمـةـ الـبـيـتـ، بدـلـاـ مـنـ طـلـبـ الخـدـمـةـ وـالـمـسـاعـدـةـ فـقـطـ مـنـهـاـ، قـامـتـ الزـهرـاءـ بـتـوـفـيرـ الطـعـامـ لـالـحسـينـ فـيـ يـوـمـ كـانـ عـلـيـهـاـ تـقـديـمـ الخـدـمـةـ لـخـادـمـةـ.

(١) العـلـامـ المـجـلـسـيـ، بـحـارـ الـأـنـوارـ: ٤٣/٢٨ـ، سـنـةـ الطـبعـ: ١٤٠٣ـ ـ ١٩٨٣ـ مـ، النـاـشـرـ: مـؤـسـسـةـ الـوفـاءـ ـ بـيـرـوـتـ ـ لـبـانـ، تـحـقـيقـ: مـحـمـدـ الـبـاقـرـ الـبـهـبـودـيـ، الطـبعـةـ: الـثـانـيـةـ المـصـحـحةـ.

ونستفيد من هذه الرواية الشريفة أُمرين، هما:

١. التفهم والتعاطف: نحاول فهم ظروف الآخرين ونعبر عن التعاطف والمساعدة عند الحاجة.
٢. المساواة والمشاركة: نشجع المساواة والمشاركة في الأعمال المترتبة وتوفير الرعاية والدعم للجميع بغض النظر عن الدور الاجتماعي.

ثالثاً: ورواية أخرى (عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام) قال: (قال علي عليه السلام استأذن أعمى على فاطمة عليها السلام فحَجَّتْهُ فقال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه لها: لم حجبته وهو لا يرى؟ فقالت عليها السلام: إن لم يكن يراني فإني أراه، وهو يسمُّ الريح، فقال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: أشهد أنك بضعة مني) <sup>(١)</sup>.

توضح هذه الرواية عظمة وقيمة المرأة في الإسلام، حيث يتم تقدير دورها الحقيقي وثراءها الروحي، الزهراء عليها السلام أظهرت قوتها الروحية والذكاء في تجاوز المظاهر الخارجية وبرهنت أنها رؤية أعمق للحقيقة وطبيعة الإنسان.

#### تطبيقات الرواية في العصر الحالي:

نجد أنّ الرواية أصبحت مصدراً للدراسات الجامعية العالمية، مثل جامعة كامبردج في المعلومات الصحية والبدنية والدينية والعلمية المهمّة، منها قتل خلايا الدماغ وغيرها التي تحتوي عليها.

---

(١) ابن المغازلي، مناقب أهل البيت عليهم السلام: ٤٤٦، سنة الطبع: ١٤٢٧ق - ٢٠٠٦م، الناشر: المجمع العالمي للتقرير بين المذاهب الإسلامية - المعاونة الثقافية / مركز التحقيقات والدراسات العلمية - تهران، الطبعة: الأولى.

ونستفيد من هذه الرواية الشريفة أمرین، هما:

**قيمة التكامل السماوي:** تكشف الرواية عن تكامل المرأة مع الإنسانية والإسلام وحجية وجودها.

**تعزيز قيم العفاف والطهارة:** نحافظ على العفة والطهارة في تفكيرنا وسلوكنا، ونسعى لأن تكون أمثلة حية للقيم الأخلاقية.

**رابعاً:** وأما الرواية الآتية: (سألت النبي ﷺ، فقالت: (يا أبه أهل الدنيا يوم القيمة عراة؟ فقال: نعم يا بنية، فقلت: وأنا عريانة؟ قال: نعم وأنت عريانة، وأنه لا يلتفت فيه أحد إلى أحد، قالت فاطمة عليها السلام فقلت له: واسوأاته يومئذ من الله عز وجل. فما خرجت حتى قال لي: هبط على جرائيل الروح الأمين عليها السلام فقال لي: يا محمد أقرأ فاطمة السلام وأعلمها أنها استحيت من الله تبارك وتعالى فاستحببى الله منها، فقد وعدها أن يكسوها يوم القيمة حُلْتَينْ من نور...<sup>(١)</sup>).

تعكس هذه الرواية أهمية الحياة في الإسلام وضرورة احترام الخصوصية. إن فاطمة الزهراء عليها السلام تمثل قدوةً روحيةً للمسلمات في احترام الحياة والتعامل مع الخصوصية بشكل صحيح. إن استحياء فاطمة من الله واحترامها للحياة قدمت لنا تصوراً عملياً يمكن تطبيقه في حياتنا اليومية.

### تطبيق الحكمة في عصرنا الحالي:

١. حماية الخصوصية والحقوق الشخصية: يسهم الحياة في احترام الخصوصية وحقوق الآخرين، ويحمي من انتهاكات الخصوصية والتعرض غير المغوب للأفراد.

(١) علي بن أبي الفتح الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٢ / ١١٩، الناشر: دار الأضواء - بيروت - لبنان.

٢. بناء العلاقات السليمة: الحياة يعزز الاحترام والثقة في العلاقات الإنسانية، ويساعد على بناء علاقات سليمة ومتوازنة.

### **أهمية احتجاج مولاتنا فاطمة ضد الحزب الحاكم وتأثيرها في العصور اللاحقة:**

خامساً - وفي هذه الرواية لها أهمية بالغة: (.. فَهَيْهَا مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنَّى تُؤْكِنُونَ؟ وَكِتَابُ اللَّهِ يَبْيَنُ أَظْهَرُكُمْ، أُمُورُهُ ظَاهِرَةٌ، وَأَحْكَامُهُ زَاهِرَةٌ، وَأَعْلَامُهُ باهِرَةٌ، وَرَاجِرُهُ لَائِحةٌ، وَأَوْامِرُهُ وَاضِحَّةٌ، قَدْ خَلَقْتُمُوهُ وَرَأَيْتُهُ كُمْ، أَرْغَبَةَ عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ، يَسْسَرُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) <sup>(١)</sup>.

خطبة مولاتنا فاطمة عليها السلام وتصريحاتها في مواجهة الحزب الحاكم في ذلك الوقت لها أثر واقعي كبير في العصور اللاحقة، فقد كانت تلك الكلمات تحمل عدة مفاهيم ورسائل مهمة، بما في ذلك بيان شاف وواف للأحداث الغاشمة والمؤامرة التي حدثت. كما إنها وقفة قوية وشجاعة تستنهض الأمة، تدعوهم فيها إلى عدم الخضوع، والاحتجاج من أجل تحقيق العدالة والحق.

هذه الكلمات لمولاتنا فاطمة لها تأثير عميق في التأسيس لمفهوم النهضة والاحتجاج السلمي. فقد ألقت الضوء على أهمية الوقوف في وجه الظلم والقمع، ودعت الناس إلى التصدي لأي نظام ظالم ومستبد. نتيجة لذلك، خرجت الأمة بالكامل من حالة الخضوع والاستسلام، وبدأت في النضال من أجل العدالة والتحرر.

لقد أثرت هذه الكلمات على العصور اللاحقة بشكل كبير وقوي. فقد ألمحت حركات التحرر والثورة في مختلف أنحاء العالم، وساهمت في نشر ثقافة الاحتجاج السلمي والنضال

(١) محمد بن جرير الطبراني (الشيعي)، دلائل الإمامة: ١١٦، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، الطبعة: الأولى.

من أجل العدالة والحرية. فتأسست تنظيمات ومنظمات جديدة، وعملت على نشر رؤية تستند إلى تحقيق العدالة والمساواة في المجتمعات.

فإن احتجاج مولانا فاطمة على الحزب الحاكم والكلمات التي ألقتها تعد من الأحداث التاريخية المهمة التي أسهمت في تشكيل وجهة نظر جديدة للأمة، وأسست لمفهوم الاحتجاج والنضال من أجل العدالة والحق. هذا التأثير الواقعي ما يزال مستمراً حتى اليوم، مما يجعل تلك الكلمات توارثت عبر الأجيال وتظلّ مصدر إلهام للنضال من أجل العدالة والحرية.

## الخاتمة

١. إنّ تطبيق تقنيات خطبة السيدة الزهراء عليها السلام في إدارة الاحتجاج وتحقيق التأثير الإيجابي يعدّ أمراً ذا أهمية كبيرة. فقد كانت خطبتها لا تقتصر على النساء والرجال من الأمة، بل كان لها تأثير واضح وقوى في المجتمع بأسره.
٢. ونجد كيف عبرت السيدة فاطمة عليها السلام في خطبتها عن الاحتجاج والمقاومة بطرق سلمية وفعالة. لقد كانت تستخدم الكلمة ذات البلاغة والمنطق السليم للدفاع عن حقوقها وحقوق آل محمد، وتضع أفكارها بطريقة منظمة ومقنعة.
٣. كما إنّ تأثير خطبتها يعكس القيادة الحكيمة والتأثير الإيجابي في المجتمع. فقد كانت السيدة عليها السلام مثالاً نموذجياً حياً للقيادة والصبر والصمود في وجه الظلم والاستبداد. إنّ تطبيق تلك التقنيات في إدارة الاحتجاج يمكن أن يساهم في تعزيز المشاركة المدنية وبناء المجتمعات العادلة والمتمسكة.
٤. لذا، يجب علينا أن نستوحى من رسالة السيدة الجليلة عليها السلام تلك التقنيات وأن نعتمدها في حياتنا اليومية في الواقع المعاصر؛ ولا بدّ أن نطبق كيف نعبر عن مواقفنا بشكل سلمي وذكي، وأن نستخدم القوة الكلمات والأفكار المقنعة لتحقيق التأثير الإيجابي في مجتمعنا.

## النتائج

إن مولاتنا الزهراء عليها السلام عملت على استراتيجية مهمة تدرك فيها أهمية الصبر بترجمة وصية الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ. وتركز هذه الاستراتيجية على عدم تفكيك اسم الإسلام وعدم استغلاله من قبل بعض الجهات الخارجية.

لا بد من تطبيق التقنيات المستخدمة في سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بشكل شامل ومتعدد الجوانب، فإن استخدامها للبلاغة والحكمة والاحتجاج والبراهين والاستدلالات يساهم في تحقيق أهمية كبيرة في المجال العلمي. ومن اللافت للنظر سرعة البديهة التي تملكتها في تحقيق نتائج فورية وفعالة. بالإضافة إلى ذلك، تستخدم السيدة فاطمة عليها السلام الرد في النقض، وتقدم الحلول للردود المخالفة، مما يبرهن على قدرتها العالية والمهمة في مجال الفكر والعقيدة لهذا اليوم على تحسين الأداء والتعامل مع الشبهات والتحديات. توجد أيضاً الإجابات العقلية والتي يتطلب دراستها والتفكير فيها، إذ ستغير المنهج الأسلوبي في تحسين نوعية أداء المنطق وزيادة المعرفة في علم الكلام. على هذا النحو، يمكننا تحقيقها على أرض الواقع من التقنيات من سيرة السيدة أم أبيها عليها السلام لتحسين أدائنا وتحقيق تأثير إيجابي.

الربط بين المحاججة والمصداقية: بسبب الخداع والكذب عند الأمة، وقد ظهر في الانقلاب استخدمت السيدة فاطمة عليها السلام المصادر المعترف بها من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة لدعم حججها. قامت بتمثيل آيات القرآن واحدة تلو الأخرى واستشهادها بأقوال النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مما يزيد من قوة حججها ووثاقتها.

الاعتماد على العقل والمنطق: عندما غاب عنصر التمييز في قولهم أظهرت السيدة البطل عليها السلام قدرتها على استخدام العقل والمنطق في مناقشاتها وحججها. تمنت بقدرة في

توجيه الأسئلة المحكمة إلى خصومها وإظهار تناقضات أفكارهم، مما يعزز قوة حججها ويوؤكد صحة موقفها.

إنّ مولاتنا عليها السلام قدمت حلولاً لقضية الفقه في قضية التركة. تحدث هذه القضية نتيجة للابتعاد عن الفقه والعناد في اتّباع الرأي الشخصي عند توزيع التركة، وهذا يؤثّر سلباً في الأسرة، ويسبّب حرماناً وعداوة بين أفراد العائلة.

من أهمّ أساليب السيدة فاطمة عليها السلام في تربية الأبناء هو تنمية قدراتهم وتطوير شخصياتهم من الصغر، وتحمّلهم الثقة الكاملة. قد أوردت رواية لزينب بنت رافع أنّ السيدة فاطمة جلت الحسن والحسين عليهما السلام للنبي صلوات الله عليه قبل وفاته. قال أوصي شيئاً لأولادي، فقال لها: «أما الحسن فإنّ له هيبة وسُؤددي، وأما الحسين فإنّ له شجاعتي وجودي» فهنا لا بدّ من تفعيل هذه التربويات في عصرنا الحالي.

تبرز السيدة الطاهرة عليها السلام (...لاثت خمارها على رأسها واستعملت بجلبابها وأقبلت في ملة من...) أهمية مبدأ الحشمة والستر في تفاعلاتها، حيث كانت تتزامن مع ظروفها وتعبيرًا عن قيمها النبيلة. في وقتنا الحديث، تحتاج المرأة إلى استلهام مثل هذه التعاليم والحفاظ على قيمة الحشمة والاحترام في التفاعل مع وسائل التواصل الاجتماعي والعالم الافتراضي.

بيّنت السيدة عليها السلام في خطاباتها أهمية وحساسية قضية وحدة الإسلام وتأثيرها في تعزيز المجتمع والحفاظ على استقرار الأمة، حذرت من مخاطر الانقلاب ونبهت إلى التدبر والتوقع للأخطار المحتملة الاجتماعية والدولية والمستقبلية.

ذكرنا حديث في البحث الثاني عند المطلب الثاني ووجهنا بالحديث يتبيّن منه حكمة عظيمة، وهي ضرورة عدم التخلط بين الرجال والنساء في الأماكن العامة والخاصة، وذلك

للحفاظ على الحياة والأخلاق وضمان تحقيق النظام والأمان الاجتماعي، إنّه تشریعة في غاية الأهمية وخاصة في وقتنا الحاضر ويهدّف إلى الحفاظ على هوية المجتمع وحماية الأفراد.

في الرواية الثانية، تتجسد رحمة مولاتنا الزهراء عليها السلام وتواضعها، وهي رسالة إلى عصرنا الحاضر، على الرغم من أنها كانت زوجة الإمام علي عليه السلام وتحظى بالرقة والاحترام، إلا أنها لم تتجاهل حاجات خادمة البيت وظروفها. في تصرف مليء بالأدب والكرم، قامت مولاتنا عليها السلام بتوفير الطعام للحسينين في يوم كان عليهما تقديم الخدمة للخادمة بدلاً من طلب الخدمة والمساعدة فقط منها، أي أعطت الراحة يوماً لها ويوماً عليها، وهو يعتبر أمراً من الأمور الابتلائية في وقتنا الحاضر.

وأما رواية الحجاب أمام الأعمى يجب على المرأة أن تستوقف نفسها وتراجع مفاهيمها لتنطبق مع النموذج الفاطمي الكامل لحقوق المرأة وواجباتها في أدوارها بصفتها ابنة وزوجة وأمّاً. فالزهراء عليها السلام هي مصدر التحليل بالعفة، والتي هي الجوهر الأساسي لحقوق وواجبات المرأة، بحسب دراسة علمية أمريكية، تأثير النظرة المسبوحة للجنس الآخر يؤدي إلى تلف بعض خلايا الدماغ، وهذا ما حذرته الزهراء عليها السلام النساء عندما نصحنهم بعدم النظر إلى الرجال ودعتهم إلى الابتعاد عن مواطن التأثير الأولى على عفتهم والحفاظ على العفة الاجتماعية للمجتمع، وأدنى مستوى في هذه الوصية الفاطمية هو ارتداء الحجاب الشرعي الذي يحجب مفاتن المرأة لتجنب أن تصبح فتنة في المجتمع وتضعف القيمة الأخلاقية لها وللمجتمع. إذا تضعف العفة لدى المرأة، يتأثر المجتمع بالتفكك الأخلاقي وتنتشر الآثار السلبية في الاستقرار النفسي والاجتماعي للمجتمع بشكل لا يمكن حصره.

ورواية الرابعة حول الحياة فإنّها تؤكّد أنّ الحياة يجلب الاحترام، والاحترام يستحضر الخصوصية، والخصوصية بذاتها تولد تقدير حقوق الآخرين، وهو يحمي من انتهاكات مشاعر والتعرض غير المرغوب لأفراد المجتمع.

في الخطاب، وهو جزء منهم، إذ (وَكَتَبُ اللَّهُ بَيْنَ أَطْهَرِكُمْ، أُمُورُهُ ظَاهِرَةٌ، وَأَحْكَامُهُ زَاهِرَةٌ، وَأَعْلَامُهُ بَاهِرَةٌ، وَزَوَاجُهُ لَائِحةٌ، وَأَوْاِمِرُهُ وَاضِحَّةٌ، قَدْ خَلَقْتُمُوهُ وَرَأَهُ ظُهُورُكُمْ..) تنبئه لهم ولنا، فيه عبرة، حيث تشهد خطبة مولانا فاطمة عليها السلام وتصرّحاتها في وجه الحزب الحاكم في ذلك الوقت تأثيراً قوياً وواقعاً على العصور اللاحقة. تعبّر هذه الكلمات عن عدّة مفاهيم ورسائل هامة، بما في ذلك إظهار حقائق الأحداث المروعة والمؤامرات التي حدثت. إنّها وقفة قوية وشجاعة للأئمة، تخثّبهم على عدم الاستسلام والاحتجاج لتحقيق العدالة والحق، تلك الكلمات تسهم في تأسيس مفهوم النهضة والاحتجاج السلمي.

## الوصيات

استخلاص التوصيات التالية:

١. تكوين منطق وبلاغة في المواجهة: تكوين منطق وبلاغة في المواجهة يشبه أسلوب السيدة فاطمة عليها السلام يعني أننا نستلهم منها في التعبير اللبق والاستدلال القوي. كانت تستخدم الحجج المنطقية والأدلة القوية لدعم وجهة نظرها وتعزيز قضيتها. اتبعت أسلوباً حوارياً يعتمد على المنطق والعقلانية والاحترام. تجنبت العنف وتحدثت بأسلوب مقنع دون اللجوء إلى العنف. كانت قادرة على استخدام الكلمة القوية والفعالة للتأثير والإقناع برؤيتها وأفكارها.
٢. استخدام الكلمة القوية: يجب أن نتعلم كيفية التعبير عن مواقفنا ومطالعنا بشكل قوي وفعال من خلال استخدام الكلمة السليمة والمقنعة. يجب أن ثبت حقوقنا بشكل لائق وغير عدواني.
٣. الاحتجاج بشكل سلمي: ينبغي أن نعتمد أساليب سلمية في إدارة الاحتجاج والتأثير الإيجابي. يمكننا أن نستخدم الاحتتجاجات السلمية، مثل التظاهرات والتجمعات، للتعبير عن مواقفنا بطريقة سلمية وخالية من العنف.
٤. التركيز على العدالة والمساواة: يجب علينا أن ندفع بتطبيق خطبة السيدة الزهراء إلى تعزيز العدالة والمساواة في المجتمع. ينبغي أن نعمل على إنشاء فرص متساوية لجميع الأفراد والتصدي للظلم والاستبداد.
٥. التواصل البناء: يجب أن نسعى للتواصل الفعال مع الجهات المعنية والأفراد ذوي الصلة. يمكننا أن نسعى إلى الحوار المفتوح والبناء لتبادل الآراء والمطالب وتحقيق تفاهم أفضل.

٦. التعبير عن الصمود والتحمل: يجب أن نستوحى من روح الصمود التي ظهرت في خطبة السيدة الزهراء. ينبغي أن نظهر قوة الإرادة والصبر في وجه التحديات ونُعبر عنها بطريقة توازن بين الصلابة والاحترام.

## المصادر

١. الشيخ الصدوق، الخصال: ٧٧، سنة الطبع: ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري.
٢. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ١١٩ / ٣، سنة الطبع: ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م، الناشر: مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف.
٣. القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام: ٢١٥ / ٢، الناشر: دار المعارف بمصر - القاهرة، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، الطبعة: الثانية.
٤. الشيخ عبد الله البحرياني، العوالم، السيدة الزهراء (س): ٦٨٥ / ٣، سنة الطبع: ١٤١٣ ق، الناشر: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف - قم، الطبعة: الأولى.
٥. أحمد بن علي الطبرسي، الاحتجاج: ١ / ١٣٨٦، سنة الطبع: ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م، الناشر: دار النعلم للطباعة والنشر - النجف الأشرف، تحقيق تعليق وملحوظات: السيد محمد باقر الخرسان.
٦. الحميري القمي، قرب الإسناد: ٥٢، سنة الطبع: ١٤١٣، الناشر: مؤسسة آل البيت لـ إحياء التراث - قم، تحقيق: مؤسسة آل البيت لـ إحياء التراث، الطبعة: الأولى.
٧. العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ٤٣ / ٢٨، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثانية المصححة.

٨. ابن المغازلي، مناقب أهل البيت عليهم السلام: ٤٤٦، سنة الطبع: ١٤٢٧ ق - ٢٠٠٦ م، الناشر: المجمع العالمي للتقرير بين المذاهب الإسلامية - المعاونة الثقافية / مركز التحقيقات والدراسات العلمية - تهران، الطبعة: الأولى.
٩. علي بن أبي الفتح الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٢ / ١١٩، الناشر: دار الأضواء - بيروت - لبنان.
١٠. محمد بن جرير الطبرى (الشيعي)، دلائل الامامة: ١١٦، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، الطبعة: الأولى.
١١. القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار: ٣ / ٣٤، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، تحقيق السيد محمد الحسيني الجلاوى.
١٢. العلامة المجلسى، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: ٥ / ٣٤١، سنة الطبع: ١٤٠٤ ق، الناشر: دار الكتب الإسلامية - تهران، تحقيق: محقق / مصحح: رسولي محلاتى، هاشم، الطبعة: الثانية.
١٣. ابن ميثم البحراوى، شرح نهج البلاغة: ٥ / ١٠٥، سنة الطبع: تابستان ١٣٦٢ ش، الناشر: مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي - الحوزة العلمية - قم - ايران، تحقيق: عني بتصحيحه عدة من الأفضل وقوبل بعدة نسخ موثوق به، الطبعة: الأولى.



**مفهوم الأسرة النموذجية للسيدة فاطمة** عليها السلام

**في عصرنا الحديث**

**الباحث**

**الشيخ حسين مناحي عبد العيساوي**

**العتبة العباسية المقدسة**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

السيدة الزهراء عليها السلام قدّمت أنموذجًا كاملاً لمفهوم الأسرة في زمانها، وما يزال إلى هذه اللحظات يقتدي به، لأنّه أنموذج قدمه معصوم، وكلّ حركاته وسكناته لها اعتبار ودلالة. وقد امتدّ هذا الأنموذج عبر أسر الأئمة الموصومين عليهم السلام والموالين، وحافظوا عليه أيّما حفاظ. فهذه العلاقة انبثقت من ظاهرة المودة والرحمة والسكن التي أرادها الله في الأسرة المسلمة إلّا تخلّياً لواحدة من مظاهر الرحمة والمودة الإلهية في الأرض، حيث نلاحظ في فحوى الروايات، سيادة جو السرور في عائلة السيدة فاطمة عليها السلام فيها بين الأولاد وأمهم عليها السلام. تجدها تلاعبيهم بعطفها وتناغيهم بروحها وتذللّهم بكرمهها، وتناديهم بكلماتها محبّة وتنوّل بنفسها عليها السلام تغسيلهم. فالأمومة هي أهمّ محطّات حياة المرأة، وهي موقعية تكوينية لا تستطيع القيام بها إلّا بالحبّ والسرور. وهذه الموقعة انتهجتها عليها السلام مبهجةً بأولادها تظلّلّهم بحبّها وحنانها على الدوام، من خلال زرع مخزون كبير من الثقة بالله القادر، والثقة بالنفس المرتكزة على معرفة كلّ فرد ربيّ، وهوبيته التكوينية والرسالية، ومعرفة الآخرين واحترامهم والإحاطة بهم، لأنّ كلّ ما يصنع ويتحضر له داخل منظومة الأسرة هو ما يفيض إلى المجتمع. وبقدر تعزيز القيم الإنسانية والمفاهيم التربوية داخل المنظومة الأسرية، تتعزّز الإرادة والثبات والاستقرار المجتمعي الذي يتّجّ نهضة حضارية إنسانية اجتماعية.

ومن خلال بحثنا سوف نتناول المفاهيم التي انتهجتها السيدة فاطمة عليها السلام مع أيّها مرة، ومع زوجها ثانية، ومع أولادها أخرى، فكانت نعم المرأة، وهي سيدة نساء العالمين نقدمها أسمى أنموذج للعالم لكي يقتدي بها، ولكي تعرف على عملها بشتى أنواعه وظروفه المحيطة به من شدّة وضعف وفقر وغنى وغيرها.

هذا ليتسنى لنا أن نخرج بنتائج واقعية نستطيع تطبيقها، ويمكن لبنت اليوم أن تسلك أيسر الطرق المعيشية المتوافرة وتنأقلم معها. وهي مع ذلك، من جوانب أخرى، تسمو بتربية نفسها وتصل إلى مراتب عالية بحيث تكون شمعة في البيت لأطفالها ناهجة أفضل الأساليب، منها مكارم الأخلاق، كما كانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

## المبحث الأول

### بيان مفاهيم الأسرة النموذجية ومزاياها

الأسرة كما هو معروف عند علماء الاجتماع هي جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية، تتكون من الزوجين والأبناء. وقد تكون الأسرة متدة أو نووية؛ وهي في كلا الحالين تظل محكمة بقوانين وقيم وعادات وتقاليد تحكم أفرادها والعلاقات فيما بينهم. وتحضع هذه القوانين والعادات والتقاليد للتغير ضمن ظروف المتغيرات الاجتماعية والعالمية. ففي عصرنا جرت الكثير من التحولات الكونية التي فرضت حدوث تحولات كبيرة في المجتمع العربي، ومن ثم في العلاقات الأسرية ولدى الأفراد بشكل عام. وترتكز قواعد العلاقات التواصلية الأسرية على وسائل متينة من الود والحب والإخلاص والتعلق والثقة المتبادلة. إنها مهمة لبناء أسرة قوية قادرة على أداء دور فعال في خلق شخصية أفرادها بقيم ومثل حميدة؛ فلا شيء يعوض العلاقات العاطفية المتسنة بالود والاحترام في الأسرة.

#### المطلب الأول: تعريف مفهوم الأسرة:

الأسرة لغة: ورد في لسان العرب «الأسرة: هي الدرع الحصين»<sup>(١)</sup> وفي المعجم الوجيز معنى الأسرة لغوياً: يعني القيد، يقال: أسره أسرأً وإساراً، قيده وأسره؛ أخذه أسيراً، ومعناها أيضاً: الدرع الحصينة، وأهل الرجل، وعشيرته، والجماعة يربطها أمر مشترك.<sup>(٢)</sup> وجاء في القاموس المحيط: «والأسرة بالضم: الدُّرَاعُ الْحَصِينَةُ، من الرَّجُلِ الرَّهَطُ الْأَدَنَوَنَ».<sup>(٣)</sup>

(١) لسان العرب لابن منظور: ج ٤، ص ٢٠.

(٢) المعجم الوجيز ، لمجمع اللغة العربية: ١٦ ، دار الثقافة ، قم ١٤١١ هـ.

(٣) ينظر: القاموس: ج ١، ص ٣٦٤.

قال ابن منظور: «أُسْرَةُ الرَّجُلِ: عُشِيرَتُهُ وَرَهْطُهُ الْأَدْنَوْنَ لَا تَنْهُ يَتَقَوَى بِهِمْ، وَالْأُسْرَةُ عُشِيرَةُ الرَّجُلِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ». وقد جاء في كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- ذِكْرُ الْأَزْوَاجِ وَالبَنِينِ وَالْحَفَدَةِ، بِمِعْنَى الْأُسْرَةِ، وَمِنْهُ قِولُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحْدَةً وَرَزْقَكُم مِّنَ الطَّيَّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ أي أزواجاً ليسكنوا إليها وجعل لهم من أزواجهم أولاداً تقرُّبُهم أعينهم ويخدمونهم ويقضون حوائجهم ويتغذون بهم من وجوه كثيرة»<sup>(١)</sup> كما إن لفظ الأُسْرَة مشتقٌّ من الأُسْرَ، وهو القيد أو الشَّدَّ بالإِسَارَ، أي إِنَّهُ يتضمن معنى الإِحْكَامِ والقوَةِ.

الأُسْرَةُ اصطلاحاً: هي رابطة الزواج التي تصاحبها ذرية.<sup>(٢)</sup> والأُسْرَةُ: رابطة اجتماعية تتكون من زوج وزوجة وأطفالهما، وتشمل الجدود والأحفاد وبعض الأقارب على أن يكونوا في معيشة واحدة.<sup>(٣)</sup>

وعرّفها بعض علماء الاجتماع بأنّها: «جَمَاعَة اجْتِمَاعِيَّة أَسَاسِيَّة وَدَائِمَة وَنَظَام اجْتِمَاعِيَّ رَئِيسٌ، وَهِيَ لَيْسَ أَسَاسٍ وَجُودَ المَجَتمِعِ فَحَسْبٌ، بَلْ هِيَ مَصْدِرُ الْأَخْلَاقِ وَالدِّعَامَةِ الْأَوَّلِ لِضَبْطِ السُّلُوكِ وَالْإِطَارِ الَّذِي يَتَلَقَّى مِنْهُ الْإِنْسَانُ أَوْلَى دَرُوسِ الْحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ»<sup>(٤)</sup>. وأورد الدكتور فؤاد بن عبد الكرييم عدّة تعريفات للأُسْرَة منها:

- «مَؤْسِسَةٌ فَطَرِيَّةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ بَيْنِ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ تَوْفِرُ فِيهَا الشُّرُوطُ الشَّرِيعَةُ لِلْاجْتِمَاعِ، النِّزَمُ كُلُّ مِنْهُمَا بِمَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ شَرِعاً، أَوْ شَرِطاً، أَوْ قَانُوناً».

(١) لسان العرب لابن منظور: ج ٤، ص ٤٠ مادة أسر.

(٢) علم الاجتماع لمحمد عاطف: ٩٢.

(٣) الأُسْرَةُ وَالْمَجَتمِعُ لِعَلِيِّ عَبْدِ الْوَاحِدِ وَافِي: ١٥.

(٤) دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات الثقافية للعولمة: ص ٢٥٠.

- «الجَمَاعَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ الْمَكْوَنَةُ مِنَ الزَّوْجِ، وَالزَّوْجَةِ، وَأَوْلَادِهِمَا غَيْرُ الْمَتَزَوْجِينَ، الَّذِينَ يَعِيشُونَ مَعَهُمَا فِي سُكُنٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ مَا يَعْرُفُ بِالْأُسْرَةِ النَّوَافَةِ».

- «المُؤسَّسَةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ الَّتِي تَنْشَأُ مِنْ اقْتِرَانِ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ بِعَقْدٍ يَرْمِي إِلَى إِنْشَاءِ الْبَنَةِ الَّتِي تَسَاهمُ فِي بَنَاءِ الْمَجَامِعِ، وَأَهْمَّ أَرْكَانِهَا: الزَّوْجُ وَالزَّوْجَةُ وَالْأُولَادُ».<sup>(١)</sup>

وَمِنْ بَيْنِ التَّعَارِيفِ وَالْمَفَاهِيمِ الَّتِي يُمْكِنُ الظَّفَرُ بِهَا مَا ذُكِرَهُ وَهَبَةُ الزَّحْيلِيِّ فِي كِتَابِهِ (الأُسْرَةُ الْمُسْلِمَةُ فِي الْعَالَمِ الْمُعَاصِرِ). قَالَ: الأُسْرَةُ فِي الْاِصْطِلَاحِ الشَّرِعيِّ هِيَ: «الْجَمَاعَةُ الْمُعْتَبَرَةُ نَوَافَةُ الْمَجَامِعِ وَالَّتِي تَنْشَأُ بِرَابِطَةِ زَوْجَيَّةٍ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ ثُمَّ يَتَفَرَّعُ عَنْهَا الْأُولَادُ وَتَظَلُّ ذَاتُ صَلَةٍ وَثِيقَةٍ بِأَصْوَلِ الرَّوْجَيْنِ مِنْ أَجْدَادٍ وَجَدَّاتٍ، وَبِالْحَوَاشِيِّ مِنْ إِخْوَةٍ وَأَخْوَاتٍ، وَبِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْأَحْفَادِ، أَوْلَادِ الْأُولَادِ، وَالْأَسْبَاطِ أَوْلَادِ الْبَنَاتِ، وَالْأَعْمَامِ وَالْعَمَاتِ، وَالْأَخْوَالِ وَالْخَالَاتِ وَأَوْلَادِهِمْ»؛ وَتَقْوِيمُ هَذِهِ الأُسْرَةِ عَلَى مَفْهُومِ الْحَمَاءَةِ وَالنَّصْرَةِ وَظُهُورِ رَابِطَةِ التَّلَاحِمِ الْقَائِمَةِ عَلَى أَسَاسِ الْعَرْقِ وَالدَّمِ وَالنَّسْبِ وَالْمَصَاهِرَةِ وَالرَّضَاعِ.<sup>(٢)</sup>

فَقَدْ جَمِعَ فِي هَذَا التَّعْرِيفِ جَمِيعُ الرَّوَابِطِ وَالْعَلَاقَاتِ الَّتِي تَرْبِطُ الْفَرَدَ بِأَسْرَتِهِ مِنَ الْجَوَانِبِ الْدِينِيَّةِ وَالْمَجَامِعِيَّةِ وَالنَّسْبِيَّةِ وَتَقْوِيَّ فِيهِ الرَّوَابِطُ.

### **المطلب الثاني: بيان مزايا الأسرة النموذجية**

لِكِي تَكُونُ الأُسْرَةُ مُتَمِيَّزةً وَنَمْوذِجِيَّةً، وَمُحَقَّقَةً لِغَایَاتِهَا النَّبِيلَةِ، لَا بَدَّ لَهَا أَنْ تَتَّصَافَ بِهَا:

أولاًً: العِبُودِيَّةُ لِللهِ: وَيَكُونُ مِنْ خَلَالِ تَنْشِئَةِ أَفْرَادِ الأُسْرَةِ عَلَى العِبُودِيَّةِ لِللهِ، وَغَرْسِ مِبَادَئِ الإِسْلَامِ فِي قُلُوبِ أَفْرَادِهَا، وَتَرْبِيَتِهِمْ عَلَيْهَا، حَتَّى يَكُونَ لِسَانُ حَالِمٍ وَمَقَالِمٍ:

(١) الأُسْرَةُ وَالْعَوْلَةُ: بِحْثٌ لِفَؤَادِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ نُشِرَ فِي مجلَّةِ الْبَيَانِ ١٤٢٧هـ: ص٣٦٣.

(٢) الأُسْرَةُ الْمُسْلِمَةُ فِي الْعَالَمِ الْمُعَاصِرِ: ص٢٠.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وفي بيت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام (إِنَّمَا نطعْمَكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ).

ثانياً: إِحْكَامِ الزَّمَامِ: وَنَعْنَى بِهِ جَدِيدَةُ الْوَالِدِينِ فِي الْحَيَاةِ الْأُسْرِيَّةِ، وَإِتْقَانُهُمْ لِوَظَائِفِهِمْ، وَقِيَامُهُمْ بِمَسْؤُلِيَّاتِهِمْ تَجَاهُ الْأُسْرَةِ وَالْمَجَمِعِ، مَعَ قُوَّةِ رَبَطِ الْأُسْرَةِ بِمَحْورِهَا، وَدَفْعَهَا لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا، وَحَتَّى لِلْوُصُولِ إِلَى غَايَاتِهَا. فَقَدْ كَانَتِ السَّيْدَةُ عليها السلام تَعْمَلُ بِإِحْكَامِ، وَلَمْ يُلْحَظْ أَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ عليهم السلام عَنْهَا تَقْصِيرٌ فِي بَيْتٍ أَوْ نَقْصٍ فِي تَرْبِيَّةِ أَوْ تَوجِيهِ.

ثالثاً: إِبْرَازِ الْقَدُودَاتِ: وَفِي مُقْدَمَةِ الْقَدُودَاتِ الْأُسْرِيَّةِ الْوَالِدِيَّنِ، فَكُلُّمَا اسْتَجَمَعَتِ صِفَاتُ الْقَدُودَةِ، ازْدَادَتِ تَقْيِيزُ الْأُسْرَةِ. وَهَذَا مَشْهُورٌ وَمَعْرُوفٌ فِي بَيْتِ السَّيْدَةِ الزَّهْرَاءِ، وَهِيَ سَيْدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَالْقَدُودَةُ لِلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

رَابِعًاً: تَنَمِيَّةُ الْمَهَارَاتِ: اكتِشافِ مَوَاهِبِ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ وَقُدرَاتِهِمْ وَدَفْعَهَا إِلَى الْبَرْوزِ، وَذَلِكَ مِنْ خَلَالِ تَنَمِيَّتِهَا وَتَشْجِيعِهَا، وَإِيجَادِ الْفَرَصِ لِصَقلِهَا وَنَضْوِجِهَا، مِنْ خَلَالِ دُورَاتِ تَدْرِيَّيَّة، أَوْ تَخَصِّصَاتِ أَكَادِيمِيَّة، بِرَامِجِ أَسْرِيَّةٍ مَثُلاً. فَقَدْ كَانَتِ تَنَمِيَ حَسَنَ الْاسْتِمَاعِ وَالْإِصْغَاءَ فِي شَخْصِيَّةِ وَلَدِهَا الْإِمَامِ الْحَسَنِ عليه السلام فِي صَغْرِهِ، وَتَطَلُّبُ مِنْهُ أَنْ يَحْدِثَهَا عَنْ خُطْبَتِ جَدِّهِ عليه السلام فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ.

خَامِسًاً: الإِقْنَاعُ بِضَرُورَةِ التَّمِيزِ: وَيَكُونُ بِتَرْسِيخِ الْقَنَاعَةِ عَلَى ضَرُورَةِ التَّمِيزِ لِدِيِّ الْأُسْرَةِ، وَأَنَّ كُلَّ فَرِدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ عِنْهُهُ مَقْدَرَاتٌ وَالْمَلَكَاتُ مَا يُؤْهِلُهُ لِلْوُصُولِ إِلَى مَا هُوَ أَفْضَلُ مَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنُ، وَأَنَّ مِنْ الْعِيبِ أَنْ يَقْعُدَ الْإِنْسَانُ عَنِ اسْتِكْمَالِ نَقْصِهِ.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٦٢.

وفي ذلك يقول أبو الطيب المتنبي:

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئاً  
كَنْقُصُ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّهَامِ<sup>(١)</sup>

فترسخ القناعة بالقدرة على التميّز في قلب كُلّ فرد منها.

سادساً: تجاوز العقبات: إنّ طريق التميّز فيه من العقبات ما يقعد أصحاب الهمم الدنيئة، والهمم الضعيفة، ولذلك فإنّ المتميزين هم أقدر الناس على حلّ المشكلات وتجاوز المعوقات.

سابعاً: إتقان فن التربية: البشر يتفاوتون في طباعهم، ويختلفون في نفسياتهم، وإن كانوا من أسرة واحدة، وتربيتهم وفق هذه المتغيّرات يحتاج إلى فنٍ في التعامل معهم، وكسب ثقّتهم، وضمان استجابتهم لما يريده من مبادئ وقيم.

ثامناً: تهيءة البيئة الأسرية: التميّز لا ينبع في الأرض السبخة والطقس المتقلب الهائج بالمشكلات الأسرية والاضطرابات النفسية، فكلّما كان جو الأسرة يسوده التفاهم والتوازن بين الأفراد مع قلة المشكلات الزوجية، كان ذلك عوناً على زيادة فرص التميّز والإبداع.

تاسعاً: التقلل من المباحثات: لقد مليء عصرنا بوسائل اللّهو، وتفنن في أساليب صرف المرء عن المعالي بألوان من مضيقات الوقت ومفسداته، والإنسان يميل بطشه إلى الرّفاه وحبّ اللّهو بألوانه المتعددة، وصوره المختلفة، مما يعيقه أو يصرفه عن التميّز، فأقلّ حظّك من المباحثات، واحيل نفسك على مكافحة الصعود إلى المعالي.

عاشرأً: السعي نحو التميّز: التميّز نعمة وفضل، والفضل كله بيد الله عزّ وجلّ، لا مانع لما أعطي، ولا معطي لما منع، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَا لِكَ الْمُلْكُ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الأمثلة السائرة من شعر المتنبي والروزنافحة: ص ٦٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٦.

وقد سلك الأنبياء ﷺ سبيل الدعاء، وسلك المؤمنون سبيلهم ﷺ، حيث سألوا الله التميّز، فقال قائلهم: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلنُّورِيَّينَ إِمَاماً﴾<sup>(١)</sup> .<sup>(٢)</sup>

وهذا ما نقرأه في أسرة السيدة الزهراء عليها السلام وكيف كانت تعمل بهذه الخطوات حتى أصبحت أسرتها النموذج الأكمل، ومنه استمدت هذه النقاط.

(١) سورة الفرقان: الآية ٧٤.

(٢) المصدر: موقع ناصح للسعادة الأسرية .

## المبحث الثاني

### السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في عصر أبيها عليه السلام

#### المطلب الأول: الزهراء عليها السلام قبل فتح مكة:

الذي يقرأ تاريخ الدعوة وجهاد رسول الله ص وصبره واحتماله، يعرف عظمته، ويدرك قوّة عزيمته، ومدى صبره، ورعاية الله ونصره له ولأولئك المجاهدين الذين حملوا راية الجهاد بين يديه، فيكتشف مصدر النصر والقوة الواقعين.

ولقد مرّت هذه الفترة الجهادية الصعبة بكمال ظروفها وأبعادها بفاطمة عليها السلام وهي تعيش في كنف زوجها وأبيها، تعيش بروحها ومشاعرها، وبجهازها في بيتها، وفي مواساتها ومشاركتها لأبيها، في شدّته ومحنته. فقد شهدت جهاد أبيها وصبره واحتماله، شاهدته وهو يُبح في (أحد)، ويخذله المنافقون، ويستشهد عمّ أبيها حمزة أسد الله ونخبة من المؤمنين معه.

روي أنّه لما انتهت فاطمة عليها السلام وصفيّة إلى رسول الله ص بعد معركة أحد، ونظرتا إليه، قال ص لعلي عليها السلام: أمّا عمتّي فاحبسها عنّي وأمّا فاطمة فدعها». فلما دنت فاطمة عليها السلام من رسول الله ص ورأته قد شُجّ وجهه وأدمي فوه، صاحت وجعلت تمسح الدم وتقول: اشتدّ غضب الله على من أدمى وجه رسول الله ص، وكان ص يتناول في يده ما يسيل من الدم فيرميه في الهواء فلا يتراجع منه شيء<sup>(١)</sup>.

وكانت فاطمة عليها السلام تحاول تضميد جرح رسول الله ص وقطع الدم الذي كان ينزف من جسده الشريف، فكان زوجها يصبّ الماء على جرح رسول الله ص وهي تغسله، ولما يئست

(١) إعلام الورى بأعلام المهدى: ج ١، ص ١٧٩.

من انقطاع الدم أخذت قطعة حصير وأحرقتها حتى صار رماداً فذرّته على الجرح حتى  
 انقطع دمه.<sup>(١)</sup>

ويحذّرنا التاريخ عن مشاركة فاطمة عليها السلام بروحها ومشاعرها لأبيها في كفاحه وصبره  
 وجehاده في أكثر من موقع.

### **المطلب الثاني: مرحلة الانتقال إلى بيت الزوجية:**

عندما قبض رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه المهر ناول بعضاً منه بلا لـ ليشتري شيئاً من الطيب  
 والروائح، وناول بعضه الآخر سلماناً وأم سلمة ليشتريا بقية الأثاث؛ وما هي إلا ساعة  
 حتى تم جهاز العرس، وكان إهاب كيش إذا أرادا أن يناما قلباً على صوفه، ووسادة من  
 أدم حشوها ليف.<sup>(٢)</sup>

وحينها تم زواج الإمام علي عليه السلام من السيدة فاطمة عليها السلام قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «أطلب  
 منزلاً»، فطلب علي عليه السلام منزلاً فأصابه مستاخراً عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قليلاً فبني بها فيه.  
 فجاء النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه إلى ابنته فقال: «إني أريد أن أحولك إلى»، فقالت لرسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه:  
 «فكلزم حارثة بن النعمان أن يتحول عنّي» فقال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «قد تحول حارثة عنّا حتى  
 قد استحببتي منه»، فبلغ ذلك حارثة فجاء إلى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وقال: يا رسول الله إنّه بلغني  
 أنت تحول فاطمة إليك وهذه منازلي وهي أسبق بيوتبني التجار بك، وإنّما أنا ومالى  
 الله ولرسوله، والله يا رسول الله المال الذي تأخذ مني أحب إلى من الذي تدع، فقال رسول  
 الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «صدقت، بارك الله عليك» فحوّلها رسول الله إلى بيت حارثة.<sup>(٣)</sup>

(١) فضائل الخمسة للفيروزآبادي: ج ٣، ص ١٣٠.

(٢) الطبقات الكبرى ٨ / ١٤ رواه بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام.

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٨، ص ١٩

فإن السيدة الزهراء عليها السلام هدية الرحمن لنبي الأعظم ص، هي أم أيها، وسر الإمامة. إنها مدرسة متكاملة في مختلف أبعاد الحياة؛ فهي التي وقفت مع أيها في تبليغ الدعوة الإسلامية، وتحمّلت أذى مشركي قريش مع الثلة القليلة من المؤمنين في شعب أبي طالب، وتحمّلت صعوبة الهجرة من مكة إلى المدينة.

وانتقلت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام إلى البيت الزوجي، وكان انتقالها من بيت الرسالة والنبوة إلى دار الإمامة والولاية، فهي تعيش في جو تكتنفه القدسية والتزاهة، وتحيط به عظمة الرُّهُد وبساطة العيش، وكانت تعين زوجها على أمر دينه وآخرته.

كان على السلام يحترم السيدة فاطمة الزهراء احتراماً لأنّها بها، لا لأنّها زوجته فقط، بل لأنّها أحب الخلق إلى رسول الله ص، وأنّها سيدة نساء العالمين، وأنّ نورها من نور رسول الله ص، وأنّها مجموعة الفضائل والقيم. فقد ساندت زوجها أمير المؤمنين عليه السلام، ووقفت إلى جانبه في إرساء دعائم الإسلام.

ولم يعلم بالضبط مدة إقامة الإمام علي ص والسيدة فاطمة عليها السلام في دار حارثة بن النعمان إلا أن رسول الله ص بني لها بيته ملاصقاً لمسجده، له باب شارع إلى المسجد كبقية الحجرات التي بناها لزوجاته، وانتقلت السيدة فاطمة إلى ذلك البيت الجديد الملاصق لبيت الله والمجاور لبيت رسول الله ص.

ولم يكن رسول الله ص ليترك هذا الغرس النبوي دون أن يرعاه ويختضنه بتوجيهه وعنياته، فعاش الزوجان في ظل رسول ص وفي كنفه ومنح ص فاطمة بعد زواجهما ما لم يمنحه لأحد من الحب والنصحية والتوصية. فقد علمها أبوها ص معنى الحياة، وأوحى لها بأن الإنسانية هي جوهر الحياة، وأن السعادة الزوجية القائمة على الخلق والقيم الإسلامية هي أسمى من المال والقصور والزخارف وقطع الأثاث وتحف الفن المزخرفة.

### **المطلب الثالث: مرحلة الاستقرار الأسري:**

تعيش فاطمة الزهراء في كنف زوجها قريرة العين سعيدة النفس، لا تفارقها البساطة ولا يبرح بيتهما خشونة الحياة، فهي الزوجة المثالية، زوجة عليٰ عليه السلام بطل المسلمين، ووزير الرسول ﷺ ومساوره الأول، وحامل لواء النصر والجهاد، وعليها أن تكون بمستوى المسؤولية الخطيرة، وأن تكون لعليٰ عليه السلام كما كانت أمّها خديجة لرسول الله ﷺ تشاركه في جهاده، وتصبر على قساوة الحياة ورسالة الدعوة الصعبة، فتبعد في البيت العلوي الاستقرار النفسي، والاطمئنان القلبي، والروح المتغانية إذ قال النبي ﷺ يوماً لها: أي شيء خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل، فضمّها إليه، وقال: ذرية بعضها من بعض) <sup>(١)</sup>.

لقد كانت حقاً بمستوى مهمتها التي اختارها الله تعالى لها، فكانت القدوة الصالحة للمرأة النموذجية المسلمة، وذلك عبر خطوات نبيّها بنقاط، وهي:

#### **أ - إدارة شؤون البيت والحياة الشاقة:**

يتصور بعض الناس أنّ أسهل عمل للمرأة هو إدارة شؤون البيت بحيث لا يحتاج إلى خبرة ودراءة. وهذا التصور ليس بصحيح؛ فإنّ البيت الوحيد الذي كان يضمّ بين جدرانه زوجين معصومين مطهّرين متّزين عن ارتكاب الذنوب واكتساب المآثم، يتّصفان بالعلم والخبرة وبالفضائل الأخلاقية والكمال الإنساني هو بيت عليٰ عليه السلام وفاطمة عليها السلام.

كان بيت عليٰ عليه السلام أروع نموذج في الصفاء والإخلاص والمودة والرحمة، تعاوّنا فيه بوئام وحنان على إدارة شؤون البيت وإنجاز أعماله. وقضى رسول الله ﷺ بخدمة فاطمة دون الباب / وقضى على عليٰ عليه السلام بما خلفه.

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج ٣، ص ١١٩. سنة الطبع: ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م، الناشر: مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف.

حيث دخل السرور على قلبها الطاهر فقالت فاطمة عليها السلام: «فلا يعلم ما داخلي من السرور إِلَّا الله، بكميتي رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه تحمل رقاب الرجال».<sup>(١)</sup>

وفي رواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام يبين فيها حال ذلك البيت وكيف قسمت إدارة شؤونه فقال عليه السلام: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يحطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليه السلام تطحن وتعجن وتخبز».<sup>(٢)</sup>

فتتجد أنَّ السيدة الزهراء عليها السلام لم تعمَّر الدور، ولم تبن القصور، ولم تلبس الحرير والديباج، ولم تُقْتَنِ النفائس، بل كانت تتفق كلَّ ذلك على الفقراء والمساكين، وفي سبيل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام.. وهكذا كان حال زوجها على عليه السلام الذي أوقف على الحجاج مائة عين استنبطها في ينبع<sup>(٣)</sup> وقد بلغت صدقات أمواله في السنة أربعين ألف دينار<sup>(٤)</sup>. وكانت صدقاته هذه كافية لبني هاشم جميعاً إن لم نقل إِيماناً تكفي أُمة كبيرة من الناس من غيرهم، إذا لاحظنا أنَّ ثلاثين درهماً كانت كافية لشراء جارية للخدمة، وكان الدرهم يكفي شراء حاجات كثيرة حينذاك.<sup>(٥)</sup>

وما تقدَّم ينمِّ عن تفاصيل في خدمة المجتمع والأمة وتقديم حوائج الآخرين على حوائج النفس والبيت والعيال، وهذا هو عمل القدوات الإلهية السمححة التي تؤثر في نفسها ولو كانت بها خصاصة.

(١) ينظر: قرب الأسناد للحميري: ص ٥٢.

(٢) الكافي للكليني: ج ٥، ص ٨٦.

(٣) المناقب: ٢ / ١٢٣؛ وبحار الأنوار: ج ٤، ص ٣٢.

(٤) كشف المحجة: ص ١٣٣؛ وأنساب الأشراف: ٢ / ١١٧؛ ومجمع الزوائد: ٩ / ١٢٣.

(٥) ينظر: أعلام الهدى، ج ٣، ص ٩٩.

### بـ- الزهراء وطيب معاشرتها للإمام علي عليه السلام:

لقد عاشت السيدة الزهراء عليها السلام في بيت أعظم شخصية إسلامية بعد الرسول الأعظم ص على الإطلاق، رجل مهمته حمل راية الإسلام والدفاع عنه.

فكانت حريصة كل الحرص على القيام بمهام الزوجية، وما خرجت فاطمة  عليها السلام من بيتها يوماً بدون إذن زوجها، وما أخطته يوماً وما كذبت في بيته وما خانته وما عصت له أمراً، وقابلها الإمام علي عليه السلام بالاحترام نفسه والود، وهو يعلم مقامها و منزلتها الرفيعة، حتى قال: «فوالله ما أغضبتيها ولا أكربتها من بعد ذلك حتى قبضها الله إليه، ولا أغضبني ولا عصت لي أمراً».<sup>(١)</sup>

هكذا عاش هذان الزوجان القدوتان في الإسلام، وأديا واجباتهما، وضربا المثل الأعلى للأخلاق الإسلامية السامية، كيف لا؟ وقد قال النبي صلوات الله عليه وسلم في ليلة الزفاف لعلي عليه السلام: «يا علي، نعم الزوجة زوجتك» وقال لفاطمة  عليها السلام: «يا فاطمة نعم البعل بعلك».<sup>(٢)</sup> وقال صلوات الله عليه وسلم: «لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ».<sup>(٣)</sup>

إن معاشرة الزوجة العالمة الفاهمة تفضي إلى المودة والراحة والسكن في البيت وعلى جميع أفراد الأسرة.

### جـ- فاطمة عليها السلام في دور الأم:

الأمومة من الوظائف المهمة والثقلية التي قامت بها على أتم وجه السيدة الزهراء عليها السلام

(١) المناقب للخوارزمي: ص ٣٥٣.

(٢) بحار الانوار: ج ٤٣، ص ١١٧، وص ١٣٢.

(٣) كشف الغمة: ج ١، ص ٤٧٢.

حيث أُنجبت خمسة أطفال هم: الحسن والحسين وزينب وأُم كلثوم في حين أسقط جنبها المحسن قبل ولادته.

وقد قدر الله سبحانه وتعالى أن يكون نسل رسول الله ﷺ وذراته من فاطمة ؑ، كما أخبر رسول الله ﷺ بقوله: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ذَرَّيْتَهُ كُلَّ نَبِيٍّ فِي صَلَبِهِ وَجَعَلَ ذَرَّيْتَهُ فِي صَلَبِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».<sup>(١)</sup>

إن الزهراء ؑ - وهي ربيبة الوحي والنبوة - تعرّف جيداً مناهج التربية الإسلامية، والتي تحلت في تربيتها مثل الحسن ؑ الذي أعدّته ليتحمّل مسؤولية قيادة المسلمين، ويتجّرّع الغصص في أخرج اللحظات من تاريخ الرسالة، ويصالح معاوية على مضض حفاظاً على سلام الدين الإسلامي والفتّة المؤمنة. وقد ربّت مثل الحسين ؑ الذي اختار التضحية بنفسه وجميع أهله وأعزّ أصحابه في سبيل الله، ومن أجل مقارعة الظلم والظالمين، ليُروّي بدمه شجرة الإسلام الباسقة.<sup>(٢)</sup>

وربّت الزهراء ؑ مثل زينب وأُم كلثوم، وعلّمتهن دروس التضحية والفتاء والصمود أمام الظالمين، حتى لا يذعنّ ولا يخضعن للظلم وقوته، ويقلن الحقّ، أمّام جبروت بنى أميّة بكل جرأة وصراحة، لتتصبح خطورة المؤامرة على الدين وعلى أمّة سيد المرسلين.

(١) ينظر: المعجم الكبير للطبراني: ج ٣، ص ٤٤ .

(٢) ينظر: أعلام الهدایة: ج ٣، ص ١٠٠ .

### المبحث الثالث

## توجيهات السيدة الزهراء من خطر الفتن لعصرنا الحالي

تمثل الأسرة المنظومة الاجتماعية التي تعنى بصناعة الموية الإنسانية الرسالية، وكل المنظومات المجتمعية تلزم أن تكون في خدمة هذه المنظومة ومهامها الإنسانية بحسب الرؤية القرآنية، التي تتمحور في مسؤوليات وتكاليف بين موقعاتها التكوينية الأبوة والأمومة والبنوة وبين الروحية والإلهية وذلك عبر نقاط نذكر منها:

أ. الأصل في بناء الأسرة: شكلت السيدة الزهراء عليها السلام الأصل في بناء الأسرة النموذجية لتستحق خلافة الله على الأرض، فهذا البيت الفاطمي قد تلقى الرعاية وال تعاليم النبوية المباشرة من الرسول ص، وقيمة و توجيهات الولاية المباشرة من الأمير عليه السلام. فالنهج الحمدي الأصيل والنهج العلوي، انصبّا عند السيدة الزهراء عليها السلام و تبلورا في صياغة السيدة الزهراء عليها السلام و صناعتها للأسرة المسلمة بمنهج فاطمي تربوي؛ هذا النموذج من التربية تجاه الآباء، في تأسيس علاقة بين الزهراء عليها السلام وأبنائها، بُني على أساس تعميق قيمة رضا الله من رضا الوالدين، ورضا الجد الذي هو الرسول ص.

إنّ زرع قيمة رضا الوالدين وتقدير خبرتهم ومرجعيتهم في التجربة الاجتماعية، يشكل الضمير الحيّ للأبناء ليترموا كما يريده الله ورسوله ص، مقابل ما يطرح اليوم من نمط أسري ديمقراطي مبني على الاستقلالية الفردية الذي يخدم احتياجات النظام الرأسمالي الاستهلاكي الأداتي النفعي.

ب. عبادتها: كرّست السيدة الزهراء عليها السلام قيمة العبادة وأكّدتها وأجلّت أهميتها باهتمامها المستمرّ بها، فهي المتبعدة المتهجدة في الليلي، فكانت أعبد الناس، حتى سلمت روحها

لبارئها عز وجل وهي تعبد. روي عن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام أنه قال: «رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضحت عمود الصبح، وسمعتها تدعوا للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعوا لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه! لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثم الدار»<sup>(١)</sup>.

ونجد هذا القيمة حاضرة في أبنائهما، فمشهدية السيدة زينب عليها السلام ليلة الحادي عشر من المحرم مع كل ما نزل بها من الرزايا التي تنهض منها الجبال، لم ترك صلاة الليل المستحبة.

كما انتهجت السيدة الزهراء عليها السلام من حسن تعللها من الأمير الذي وجدت فيه «خير معين على طاعة الله»، مظهر تجلّي القرب المعنوي من الله داخل الأسرة، نستدلّه من التسبيح المعروف باسمها عليه السلام، وقصته المعروفة من أنه هبة إلهية للسيدة الزهراء عليها السلام على تعبها في خدمة بيتها وعيالها. وقد ورد أنه سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى: «إِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكَرُوا اللَّهَ ذَكْرًا كَثِيرًا...» ما حد الذكر؟ فقال عليه السلام: «من سبّح في عقب كل فريضة تسبّح فاطمة عليه السلام فقد ذكر الله ذكرًا كثیرا». <sup>(٢)</sup> من المهم هنا أن نلتفت إلى أن السيدة الزهراء عليه السلام كانت حاضرة في كل الميادين الجهادية؛ في الأسرة والمجتمع؛ إلا أن حضورها كان منهجاً بترتيب الأوليات التكليفية والمستحبة. والأهم في مورد العبادة، إنها كانت تستغل كل فرصة متاحة للعبادة، فكانت العبادة في رأس أولوياتها.

ج. ربّة المنزل: إن سلوك السيدة فاطمة عليه السلام يعلّمنا كيف يمكن للمرأة وهي في أعلى درجات العفة، تغدو شخصاً مؤثراً بقراراته وعداوهه ومصالحاته. فقد تضافرت الروايات وأخبار السير بذكر جوانب الكمال والقدوة في شخصية سيدة نساء العالمين فاطمة بنت

(١) بحار الأنوار للمجلسي: ج ٤٣، ص ٨١ - ٨٢.

(٢) ينظر: المقنعة للمفید: ص ١٤٠.

محمد ﷺ، ويكتفي للدلالة والشهادة على ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ: «يا فاطمة، ألا ترضي أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين»<sup>(١)</sup>.

كل ذلك وهي ربة منزها، وإن ربة البيت لا ينحصر دورها بأعمال البيت، وهي بهذا الدور وهذه الموقعة داخل الأسرة تملأ الجزء الأهم من مهام القيمة على الأسرة المحاطة من الرجل في موقعة الأبوة التي تتلاءم وتكون شخصيته، في روح تكاملية وصفها الله في القرآن بالنفس الواحدة.

د. الجهاد السياسي: تكثر الخدليات في قضايا المرأة المعاصرة في عالمنا الإسلامي حول دور المرأة السياسي، ومدى ارتباطه وبعده عن دورها الرسالي الأسري والمجتمعي، ما يضعننا أمام تحديّ فعلي في تحديد بعض معالم هذا الدور، الذي يتجلّ في النموذج الكامل للإنسان كلّ الإنسان، نستلهمه من مولاتنا الزهراء عليها السلام المعصومة، من إرثها الفكري السياسي، وما وصل إلينا في خطبتين رئيسيتين: الخطبة الكبرى التي ألقتها عليها السلام في مسجد الرسول ﷺ، تقول فيها: (فَهَيْهَا مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتَابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ، أَمْوَارُهُ ظَاهِرَةٌ، وَأَحْكَامُهُ زَاهِرَةٌ، وَأَعْلَامُهُ بَاهِرَةٌ، وَرَوَاجِرُهُ لَا يَحْتَدَّ، وَأَوْامِرُهُ وَاضِحَّةٌ، قَدْ خَلَفْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَغَبَةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ، بِسَسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا وَمَنْ يَتَّبِعَ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)<sup>(٢)</sup>. والخطبة الصغرى التي ألقتها على مسامع جمع من نساء الأنصار لما دخلن عليها يعدنها في مرضها.

هـ. منهج التبليغ والتعليم: انتهجت السيدة الزهراء عليها السلام منهج التبليغ والتعليم لمن يتبعها معرفة النبوة، وقد عرف (مصحف فاطمة) المغيّب في هذا الخصوص. وتعيناً لمعروفة

(١) الأمالي للصدوق: ص ٦٩٢.

(٢) دلائل الامامة لحمد بن جرير الطبرى (الشيعي): ص ١١٦.

الناس بما فرض الله عليهم من تكاليف، فقد خاطبت السيدة الزهراء عليها السلام الناس بحكمة التشريعات الإلهية: «أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه «فجعل الله الإيمان طهيرًا لكم من الشرك، والصلاحة تنزيهًا لكم عن الكبر، والزكاة ترکية للنفس ونماء في الرزق، والصيام تثبيتا للإخلاص، والحجّ تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزّاً للإسلام». <sup>(١)</sup> وحين يحدثنا الراوي بأنّها عليها السلام خرجت تطأ ذيولها، <sup>(٢)</sup> بصورة تظهر جانباً كبيراً من المبالغة في الحجاب، العفة والستر، ما يؤكّد حتمية تلازم العفة، والزهراء عليها السلام سجلت المرأة النموذج في هذا الطريق. ولقد أدّت عليها السلام دوراً لا يختلف عن دور الإمام المعصوم؛ وبهذا الدور وبعصمتها تتصرّف سلماً أعلى وأعظم امرأة في التاريخ، وحركتها التي برزت بخطبتها عليها السلام تعبر عمّا يتنااسب مع هذه الشأنية، وموقعيتها الحجية بالنسبة إلى الأمة.

وهذه الروايات والنقل لا تصل إلّا من خلال الإيمان بالإمامية وقراءة أحاديثهم وتطبيقاتها، لذلك صار الحرمان والواقع بالمخالفات بسبب الابتعاد عن المطالعة في الأحاديث المنقوله لأهل البيت عليهم السلام. وقد أشارت السيدة عليها السلام إلى الأمة من خلال خطبتها وأرادت للأمة أن تدرك ما خالفت.

### و قبل الختام: نموذج المرأة الكاملة:

نمذجة القيم الأسرية من عهد الزهراء عليها السلام إلى عصرنا الحالي وفق مفاهيم عصرية مفهومية قابلة للتطبيق، وفي ما نعيشه الآن، وما نواجهه من تحديات خطيرة، تعمد إلى تفكيك الأسر والمجتمعات، وتغيير السلوك البشريّ. لا بدّ من تسلیط الضوء على هذا النموذج

(١) أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد: ج ١، ص ٢٨١.

(٢) أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد: ج ١، ص ٢٧٩.

العظيم والإنسان القدوة والنهج القويم، الذي هو نهج الإسلام المحمدّي الأصيل؛ وهي التي جسّدت نظرية الإسلام حول المرأة ودورها بشكل عمليٍّ سلوكيٍّ نموذجيٍّ، لتكون قدوة للنساء والرجال على حد سواء، وما أحوجنا إلى هذا النموذج اليوم في قبال تفشي الفكر الغربي وأطروحته.

## الخاتمة

تضمن العديد من التائج المهمة:

أولاًً. يعتبر التأسيس النموذجي للسيدة فاطمة مهماً ومخلداً في الحياة الاجتماعية، ولا بدّ من الحفاظ عليه من خلال دراسة سيرة حياتها العطرة مع عدم الاستلهام والركون إلى التطبيق العملي لإنقاذ ما يجب إدراكه.

ثانياً. ينبغي تقديم خطة تأسيسية تهتم بالدراسة والأحداث الرسالية للسيدة عليها السلام حتى ينهض موروث حياتها الشريف إلى المجتمعات الإسلامية.

ثالثاً. يجب التركيز على الدور الإعلامي والجاهدي والرسالي لولاتنا الزهراء عليها السلام مع الأمة.

رابعاً. لقد عملت السيدة فاطمة عليها السلام على تعزيز الاهتمام الأسري وتنمية قيادات مؤثرة للأمة في عصر الرسول ص.

خامساً. قامت مولاتنا فاطمة بالدور الجهادي العملي لإظهار الخطأ الفادح في المجتمع بعد وفاة الرسول ص.

سادساً. يجب أن نلتفت إلى أنّ مولاتنا فاطمة عليها السلام نظرت إلى عوامل مهمة تساعده على النمو الأسري في خطبتها النموذجية.

سابعاً. هناك تقصير وعدم فهم للحياة الحقيقية للسيدة عليها السلام، وذلك بسبب المناهج المتّبعة في العالم الإسلامي التدريسية لإخفاء المعالم والأثر والموروث العظيم لها، وهذا ما تبيّن من خلال ما ظهر لبعض الشخصيات.

ثامناً: كانت قدوةً أسوة للنساء والرجال في العصر الإسلامي وعصرنا الحالي، وتعتبر مثالاً للأم المثالية والزوجة المثالية.

هذه نتائج الدراسة التحليلية إلى تأسيس نموذج أسري من خلال حياة السيدة

فاطمة عليها السلام.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أبھى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد: مقاتل بن عطية، شرح وتحقيق: العلامة الحجة الشيخ محمد جمیل حمود، الناشر: مؤسسة الأعلمی - بیروت، الطبعۃ الأولى، سنة ١٤٢٣ھ.
٢. الأسرة والعلوم: فؤاد بن عبد الكریم: بحث في التقریر الارتیادي السنوي الصادر عن مجلة البيان ١٤٢٧ھ.
٣. الأسرة والمجتمع: علي عبد الواحد الوافی، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.
٤. الأسرة المسلمة في العالم المعاصر: وہبة الزھیلی، ط١، مطبعة دار الفکر - دمشق، سنة ١٤٢٠ھ - ٢٠٠٠م.
٥. أعلام الهدایة: المؤلف: لجنة التأليف، الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت لله السلام، الطبعة الثانية: ١٤٢٥ھ، المطبعة: لیلی.
٦. إعلام الوری بأعلام الهدی: أمین الإسلام الشیخ أبي علی الفضل بن الحسن الطبرسی (القرن السادس)، تحقیق: مؤسسه آل البيت لله السلام لإحیاء التراث، قم المقدسة، الطبعة: الأولى - ریبع الأولى - ١٤١٧ھ.
٧. الأئمی: أبو جعفر محمد بن علی بن الحسین ابن موسی بن بابویه القمی، تحقیق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، الطبعة: الأولى ١٤١٧ھ.ق.
٨. الأمثلة السائرة من شعر المتنبی والروزنامحة: الصاحب أبو القاسم إسمااعیل بن عباد (ت ٣٨٥ھ)، تحقیق: الشیخ محمد حسن آل یاسین، الناشر: مکتبة النھضة - بغداد، الطبعة الأولى، سنة ١٣٨٥ھ - ١٩٦٥م.

٩. بحار الأنوار: العلامة المجلسي: سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الطبعة: الثانية المصححة.
١٠. الطبقات الكبرى: لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت ٢٣٠ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
١١. الفروع من الكافي: تأليف: ثقة الإسلام، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي رحمه الله (ت ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ)، صحيحه وقابلة وعلق عليه علي أكبر الغفاري، ناشر: دار الكتب الإسلامية، سنة الطبع ١٣٦٧.
١٢. فضائل الخمسة من الصاحح الستة: السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي (ت ١٤١٠ هـ) الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٣، سنة ١٩٧٣ م.
١٣. قرب الإسناد: الشيخ الجليل أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري القمي (ت ٤٣٠ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٣ هـ.
١٤. علم الاجتماع: محمد عاطف غيث: نشر: دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر، سنة ٢٠٠٠ م.
١٥. دلائل الإمامة: محمد بن جرير الطبراني (الشيعي)، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، الطبعة: الأولى.
١٦. دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات الثقافية للعولمة: صلاح بن ردود الحارثي، مكتبة السوادي - جدة.

١٧. كشف الغمة في معرفة الأئمة: تأليف العالمة المحقق أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (٦٩٣ هـ)، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.
١٨. لسان العرب: ابن منظور: أدب الحوزة - قم، سنة ١٤٠٥ هـ.
١٩. القاموس المحيط: الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي، دار العلم للجميع، بيروت - لبنان.
٢٠. المقنعة: لأبي عبد الله محمد بن النعمان العكبرى البغدادى الملقب بالشيخ المفيد (١٣٤ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٠ هـ.ق.
٢١. المعجم الكبير: الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حقّقه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٤ م - ١٤٠٤ هـ.
٢٢. المناقب: تأليف الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي (٥٦٨ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، طبع ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الثانية، التاريخ: ١٤١١ هـ.ق.
٢٣. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: الناشر: المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، سنة الطبع: ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م.
٢٤. موقع ناصح للسعادة الأسرية.

# **الخطاب العلوي وأثره في تربية الفرد**

الباحثة

م.م حنان فاضل جبير

مديرية تربية المثنى

يعد الخطاب شبكة اجتماعية وثقافية وسياسية تحدث بين فردان أو أكثر من أجل إيصال غرض ما، وله عناصر خطابية قائمة على المرسل والمرسل إليه، و موقف الخطاب السياق الوارد فيه في زمان ومكان محددين. وهذه العناصر تحدث نوعاً من التنااغم فيما بينها و تؤدي إلى تماسك النص الخطابي فيعبر عن الدلالة والهدف الذي أراده ملقي النص.

إن خطاب أمير المؤمنين عليه السلام حمل في طياته أغراضاً توأصلية بين ملقي الخطاب (المرسل) والمرسل إليه لبيان قصدية المرسل، فجاء الخطاب الديني واضحأً في خطاباته عليه السلام في توجيه المجتمع نحو حمد الله والثناء عليه، وهذه الشهادة هي (شهادة لا إله إلا الله) الخالصة لوجهه تعالى، والخالصة من العيوب، وهي المنجية من الأهوال، وفي ذلك تربية للفرد والمجتمع فضلاً عن الجانب الاجتماعي والسياسي في التوجيه الخطابي؛ إذ وجّه إلى ابنه محمد ابن الحنفية جملة من النصائح التي تعينه في الحرب جاعلاً الأطر الاجتماعية أساس الخطاب لديه.

الكلمات المفتاحية: الخطاب individual the speech، تربية الفرد Raising the individual

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

يعد الخطاب وسيلة وأدلة لفهم الواقع الاجتماعي، إذ كثر الخطاب في التوجيه عند الإمام علي عليه السلام من أجل حدوث تواصل ناجح بين الأشخاص؛ وذلك من خلال حدوث ترابط اجتماعي بينهم وفق عناصر الخطاب من مرسى ومرسل إليه، وعوامل خارجية من السياق المتمثل في الزمان والمكان، من أجل إيصال رسالة اجتماعية غرضها تربية الفرد.

### **مفهوم الخطاب:**

الخطاب لغة ملأ خوذ من (الخطب): الشأن أو الأمر، صغر أو عظم؛ وقيل: هو سبب الأمر. يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ وتقول: هذا خطب جليل، وخطب يسير. والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال؛ ومنه قوله: جل الخطب أي عظم الأمر والشأن<sup>(١)</sup>، وهو شبكة من النظم الاجتماعية والسياسية، يتداول الحوار فيه شخصان أو أكثر في زمان ومكان معينين<sup>(٢)</sup>.

وعرفه أحمد المتوكل بقوله: (يعد خطاباً كل ملفوظ مكتوب يشكل وحدة تواصلية تامة)<sup>(٣)</sup>. فالهدف من الخطاب هو التواصل سواء أكان منطوقاً أم مكتوباً؛ وعملية التواصل لا بد أن تكون فيها عناصر للخطاب، وتكون هذه العناصر سياقية تتمثل في:

(١) لسان العرب: /١ ٣٦٠.

(٢) ينظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نعمان بوقرة: ١٣ ط١، الاردن، ٢٠٠٩.

(٣) الوظيفية بين الكلية والنمطية، أحمد المتوكل، ط١، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٣: ٢٢.

المرسل:

المرسل إليه:

العناصر المشتركة؛ أي العلاقة بين طرفي الخطاب والظروف الاجتماعية المحيطة.

الرسالة

ورد مصطلح الخطاب في القرآن الكريم بصور وصيغ مختلفة منها<sup>(١)</sup>:

صيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ سورة الفرقان: ٦٣.

صيغة المصدر في قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ سورة النَّبِيٌّ: ٣٧.

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري: ٣٥.

## المبحث الأول

### تمثيلات الخطاب الديني والاجتماعي في كلام الإمام علي عليه السلام

إنَّ الإمام علي عليه السلام من فصحاء العرب. فهو إمام الفصحاء وسيد البلغاء، وخير دليل على ذلك ما وصل إلينا من كلامه في نهج البلاغة، إذ يعدُّ من المصادر الإسلامية التي حملت في طياتها كلامه عليه السلام.

يدور الخطاب العلوي في أغلب حالاته في الجانب الديني والاجتماعي والسياسي فيعبر عن أغراض آنية ومستقبلية تسهم في تربية الفرد. لذا دار خطابه عليه السلام في توجيه المجتمع، منطلقًا في خطابه من الحمد والثناء، والشهادة بأنَّ الله مالك الأمور ومسيرها، فنستلهم من ذلك الخطاب الديني، نحو ما نجده في خطاباته بعد انتهاء الحرب في صفين، إذ يستمد الحكم من الباري عزَّ وجلَّ، فنجد له قائلًا: (أحمده استتمَّا لنعمته، واستسلامًا لعزته، واستعصارًا من معصيته، وأستعينه فاقه إلى كفایته؛ إنَّه لا يضلُّ من هداه، ولا يئل من عاداه، ولا يفتقر من كفاه، فإنه أرجح ما وزن وأفضل ما خزن. وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة متحناً إخلاصها، معتقدًا مصاصها تمسك بها أبدًا ما أبقانا، وندحرها لأهوايل ما يلقانا، فإنَّها عزيمة الإيمان، وفاتحة الإحسان، ومرضاة الرحمن، ومدحرة الشيطان)<sup>(١)</sup>.

نجد الخطاب الديني متوجهاً إلى الذات المقدسة، ذاكراً الشهادة والتوحيد والثناء والحمد، ومحيلاً بالضمير الهاء العائد على لفظ الجلالة، لأهميته وتعظيمه، وانطلاقاً من أحكامه؛ فهو السلطة العليا في التوجيه، واقتصاراً عليه في التوجيه. فالشهادة به انطلاقاً أولى وصفتها لاحقاً بأوصاف عدّة لأهميتها.

(١) نهج البلاغة: ٩٩

فالخطاب جاء هنا تأكيداً لشهادته خالصة، واصفاً هذه الشهادة بـ(مُصادر)؛ أي الخالص في كل شيء. جاء في لسان العرب: (المُصادر: خالص كل شيء. ومُصادر الشيء ومُصادراته ومُصادراته: أخلصه... فلان مُصادر قومه ومُصادرتهم أي أخلصهم شيئاً)، أي شهادة خالصة متحنة من قبل الله، وجعل هذه الشهادة نجاته من الأهاويل؛ أي جمع الأهوال جاء بها على وزن الكثرة فاهول (المخافة من الأمر لا يدرى ما يهجم عليه منه كهول الليل وهوال البحر، والجمع أهوال وهوال) <sup>(١)</sup>. ذكر الإمام علي عليه السلام جمع الكثرة (أهاويل) على وزن (أفاعيل)، لكثرة ما يحدث لاحقاً من فزع ومخافف، فالشهادة خالصة من أي شيء هي المنجية من الأهوال وغضب الله على من يكفر ويتكبر.

### ومن كلام له عليه السلام في وصف المتقين:

إن الخطاب العلوي حمل في طياته معايير تربوية واجتماعية يستند إليها في التربية والتعليم، فكانت التربية في شقيها الاجتماعي والسياسي المستند فيه إلى تعاليم الإسلام، فخطاب الإمام علي عليه السلام جاء في هذا الجانب النصحي الإرشادي:

ومن خطبة له عليه السلام: (روي أن صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همام. كان رجلاً عابداً، فقال له: يا أمير المؤمنين: صفاتي المتقين حتى كأني أنظر إليهم، فشافق عليه السلام عن جوابه، ثم قال: يا همام، اتق الله وأحسن: فـ«إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُون»). ثم فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصل على النبي ﷺ. ثم قال عليه السلام: أما بعد، فإن الله سبحانه وتعالى خلقخلق - حين خلقهم - غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم، لأنّه لا تضرّه معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه؛ فقسم

(١) لسان العرب: ٧/٩١.

(٢) لسان العرب: ١١/٧١١.

بينهم معايشهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم. فالمتقون فيها هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيئم التواضع. غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسباعهم على العلم النافع لهم. نزلت أنفسهم منهم في البلاء، كالذي نزلت في الرخاء. لو لا الأجل الذي كتب الله عليهم، لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلى الشواب، وخوفاً من العقاب<sup>(١)</sup>.

خاطب هنا الإمام علي عليه السلام هماماً<sup>(٢)</sup> وهو مستمع إليه مقصود، وواضح الكلام له بعد أن سأله عن صفات المتقين، فجاء الخطاب هنا بالنداء (يا همام اتق الله وأحسن) وهي أولى الرسائل والنصائح في تربية الفرد، فالبلاء بعبارة بسيطة فيها شيء من الإيجاز، تبعه التفصيل في ما تلاه من الكلام، والت نتيجة من هذه الكلام مثمنة عند الله تعالى، فاستشهد بشاهد قرآني جعله نتيجة وجواباً عن ما نصحه إياه، وهو قوله تعالى في سورة النحل: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُّحْسِنِينَ أَتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُّحْسِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

إذ تضافرت هنا عناصر الخطاب؛ فمرسل الرسالة هو الإمام، والمرسل إليه هو همام، وهو مرسل إليه مباشر؛ ويوجد مرسل إليه غير مباشر، وهم الناس بمختلف العصور والأزمان من يقرأ خطاباته عليه السلام.

ونتيجة هذا الخطاب أنَّ الله مع المتقى والمحسن، ثم أخذ يوجّه الخطاب بذكر صفات المتقين، وأراد أن يوجّه أنَّ من تربى على هذه الفضائل هو المتقى والمحسن ذاكراً أنَّهم أصحاب الفضائل، ويقولون الصواب، ولا يتباهون بما رزقهم الله فيه وغير مسرفين على زينة الدنيا، واصفاً ملبسهم ومشيئتهم بقوله (ملبسهم الاقتصاد ومشيئم التواضع). ثم

(١) شرح أبي الحميد: ١٠ / ١٣٢.

(٢) همام بن شريح بن يزيد بن عمرو بن جابر.

(٣) سورة النحل: الآية: ١٢٨.

عمد إلى رسالة أخرى تصف أخلاقهم وإيمانهم، وهي غض البصر عما حرم الله، والعلم النافع.

واستمر خطابه على نمط آخر في التوجيه، عندما وجد انتباهاً من المستمعين، فعمد إلى أسلوب الاعتراض في أثناء خطبته قائلاً ﴿إذ استرسل في جزء من خطبته قائلاً﴾ (وأما النهار فحملاء علماء، أبرار أتقياء، قد بraham الخوف بري القداح، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض، ويقول: لقد خولطوا، ولقد خالطهم أمر عظيم، لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إذا زكي أحد منهم خاف مما يقال له، فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربّي أعلم بي مني بنفسي! اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمنون﴾<sup>(١)</sup>.

فالإمام علي بعد أن توالى بذكر صفات المتقين عمد إلى الدعاء لكي يمنع التشكيك والوهم الذي يحصل عند المستمعين بقوله (الله لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمنون) قد يكون (هذا النمط أن يتوجه الخطاب من الخطيب باسمه واسم الحاضرين الله تبارك وتعالى؛ ولذلك يكون المستمعون مقصودين بنحو غير مباشر)<sup>(٢)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة: ١٣٣ / ١٠.

(٢) نهج البلاغة في ضوء علم اللغة الاجتماعي، نعمة رحيم دهش اطروحة، جامعة بغداد ابن الرشد، ٢٠١١م: ٢٢٩.

## المبحث الثاني

### الخطاب القيادي والسياسي في التوجيه

تنوع خطاب الإمام علي عليه السلام، فكانت عناصر الخطاب لديه بارزة؛ فتارة نجد المخاطب ابنه، وتارة أخرى توجيهًا عاماً للناس. من الخطابات الواردة في كلامه عليه السلام:

#### خطابه إلى ابنه محمد الحنفية:

من الخطابات الواردة لديه وصياه التي تحمل في طياتها أوامر إدارية وقيادة في التوجيه من الأمر. فمن ذلك ما أوصى به ابنه بعد أعطاه الراية بعد معركة الجمل قائلًا: (تُزولُ الْجِبَالُ وَلَا تُرْلُ ! عَضَّ عَلَى تَاجِدِكَ؛ أَعِرِ اللَّهَ جُمُجَمَّكَ؛ تَدِّ في الْأَرْضِ قَدَمَكَ؛ ارْمِ بَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ؛ وَغُضَّ بَصَرِكَ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ).<sup>(١)</sup>

إن ملقي الخطاب الإمام علي عليه السلام وهو المرسل؛ والمرسل إليه ابنه محمد الحنفية عليه السلام؟ فجاء الخطاب بصيغة النهي، فالأمر الإداري متمثل بتوجيه إداري محكم في التوجيه. فجاء بصورة خبر وتضمن معنى الشرط وغرضه المبالغة فتقديره: إن زالت الجبال فلا تزل أنت<sup>(٢)</sup> مشيرًا إليه بالثبات، ويكون ذلك بالتسليم والثبات على الأمر كالوتد المغروس في الأرض.

وتواتي الأمر في النص في قوله (ارم بصرك أقصى القوم، وغضّ بصرك) الظهور بصيغة الأمر. فالملاحظ على الفعلين (ارم وغضّ) التناقض في القول، إلا أنه ليس هناك تناقض، بل توجيه حكيم. ففي صيغة (ارم) أمر بفتح العين، ورفع الرأس، لرؤيه أقصى القوم. وفي ذلك شجاعة وإقدام وثقة بالنفس والعمل. فلو فعل العكس لكان ذلك فعل الجبان؛ فطرفه

(١) نهج البلاغة: ١١٥ - ١١٦.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٢٤١.

يقصر ورأسه ينكس. أما (غضّ طرفك) ففيه أمر بغض البصر في جانب آخر أي أحال إليه أن يغضّ الطرف كي لا يستشعر الخوف من بريق السيف والدروع كي لا يستشعر الخوف. وانتهى توجيهه للمتلقي إلى الغوص في ذلك ومشيراً إلى أنّ العلم والأمر النهائي كامن عند الله تعالى، فهو الناصر سبحانه وتعالى<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً عَلَيْهِ الْكَلَامُ: (وصممت، فغض حيئذ بصرك واحمل، وكن كالعشواء التي تخبط ما أمامها ولا تبالي)<sup>(٢)</sup>. هنا يأمر عَلَيْهِ الْكَلَامُ بغض البصر عن لمعة الدروع ووميض السيف لكي لا يذهل ويشعر بالخوف من كثرةهم وضجيج أصواتهم، فجاء النداء بالتوجيه المباشر بفعل الأمر من قبل الإمام علي عَلَيْهِ الْكَلَامُ، والمرسل إليه وأشار إليه بالضمير المستتر الكامن في فعل الأمر في (غض، وكن).

وأوصى ابنه أن يكون كـ(العشواء)، ويراد بالعشواء لغة الظُّلْمَة؛ ويقال: يخبط خبط عشواء بمعنى يتصرف على غير علمٍ ولا بصيرة<sup>(٣)</sup>، قال زهير:

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبْطَ عَشَوَاءَ مَنْ تُصِبُّ  
ثُمَّتُهُ وَمَنْ تَخْطُئُ يُعْمَرُ فِيهِ رَمْ

فالشاعر هنا يشير إلى أن المنيّة تخبط الخلائق خبط العشواء من الإبل، التي لا تبصر فهي تخبط الكلّ ولا تبقي على أحد. فوصية الإمام تدور في هذا المعنى؛ أي لا تحف من بريق سيوفهم؛ وتخبطهم جميعاً ولا تبقي عليهم.

(١) شرح نهج البلاغة: ٢٤١.

(٢) نهج البلاغة: ١١٦.

(٣) يُنظر: تهذيب اللغة: ٧ / ١١٤.

### من خطابه إلى (طلحة والزبير)

كثير الخطاب الاجتماعي في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فجاء بعضه في بيان الأثر الاجتماعي وبيان الوضع الثقافي للشخص المقابل، إذا كان الخطاب من قبل الإمام إلى عبد الله بن عباس لما أندل إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيه إلى طاعته.

قال فيه الإمام عليه السلام موجهاً الخطاب لابن عباس: (لا تلقين طلحة، فإنك إن تلقه تجده كالثور عاصاً قرناً، يركب الصعب ويقول: هو الذلول، ولكن القَ زبير فإنه ألين عريكة، فقل له: يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق، فما عدا ما بدا) <sup>(١)</sup>.

الخطاب في هذا النص موجه إلى عبد الله بن عباس بن عبد المطلب 68هـ، حبر الأمة؛ ولد بمكة، وكان ملازمًا رسول الله ﷺ وشهد مع الإمام علي معركة الجمل وصفين، وكان كفيفاً في آخر سني عمره. وإنماز مجلسه بالعربية والأنساب والشعر، والفقه والعلم <sup>(٢)</sup>.

توجيه الكلام إلى عبد الله بن عباس كان بأسلوب التوكيد والنهي عن الالتقاء بطلحة، إذ وصفه الإمام -بأسلوب التشبيه- بالثور العاقد الذي يلتوي قرنيه، فالعَقدُ لغة تعني السيء الخُلق <sup>(٣)</sup>، فيصف الإنسان بهذا الشبه إذا ساء خلقه. وأشار بقوله يركب الصعب إلى النوع الذي يستهين بالأمور الصعبة، ويصفه بالشراسة في القول والفعل.

وأمره بالاستيفاء إلى الزبير <sup>(٤)</sup> ويقصد بالاستيفاء من (فياً)؛ أي (فاء يفيء فيئاً: رجع، وأفاءه غيره. وفلان سريح الفيء من غضبه، وإنَّه لحسن الفيء.. أي حسن الرجوع) <sup>(٥)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة: ٢/١٦٢.

(٢) الأعلام، الزركلي: ٤/٩٥.

(٣) يُنظر لسان العرب: ابن منظور: ٧/٥٧.

(٤) هو الزبير بن العوام بن خويلد، ابن عمّة النبي ﷺ، الأعلام: ٣/٤٣.

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١/٦٣.

استعمل الإمام على عليه السلام الأدوات اللغوية والخطابية من مرسل ومرسل إليه، فتارة يكون طلحة وتارة أخرى يكون الزبير، مستعملاً الضمير الذي أحدث اتساقاً في كلامه، وأبان للقارئ حسن العرض وايصال المطلوب، بلا تكرار للأسماء التي لا تسهم في اتساقه، ثم عمد الإمام إلى الحديث بقول لم يسمع سابقاً إلا منه، وهو قوله: (فما عدا ممّا بدا) جاء في بحار الأنوار للعلامة المجلسي: (معنى الكلام: فما صرفك عما بدا منك أي ظهر أي ما الذي صدّك عن طاعتي بعد إظهارك لها) <sup>(١)</sup>

فهذا القول أول من قاله هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للزبير بن العوام؛ والمراد منه ما الذي صرفك عما كنت عليه من البيعة، وأصبح مضرّاً للأمثال <sup>(٢)</sup>.

فالجانب القيادي والإداري في التوجيه مع التوبيخ من مرسل الخطاب إلى المرسل إليه بواسطة وسيط الذي يمثل ذلك عبد الله ابن عباس (رسول) قناة الاتصال التي تصل المرسل بالمرسل إليه/ ليحدث تواصلاً خطابياً اجتماعياً، يدعو فيه إلى الرجوع إلى النسب الراهن بينهما.

(١) بحار الأنوار: ٣٢ / ٧٥.

(٢) مجمع الأمثال، الميداني: ٢ / ٢٩٦.

## الخاتمة

إن النص له تأثير في المتلقى؛ فلا يكون النص مؤثراً إلا إذا ترابطت أجزاؤه وتناسقت ألفاظه. لذا هناك أدوات يستعملها كاتب النص وقائله، تزيد من اتساقه وترابطه ليؤدي الغرض المطلوب منه. فالإمام علي عليه السلام كان في خطاباته بليغاً ونصّه مترابط الأجزاء. فالخطاب فيه متسق؛ فكثُرت لديه أدوات الخطاب وعناصره من مرسل ومرسل إليه. وسياق النص، مكانه وزمانه، فتارة نجده يخاطب بتوجيهه ديني للإشارة إلى ضرورة حمد الله والثناء عليه جاعلاً الشهادة هي العدل والفيصل في التوجيه، وهو ما ألزم نفسه فيها بعد الانتهاء من معركة صفين، وجعلها وسيلة المؤمن للنجاة من الأهوال، وعمد إلى ذكرها في خطبته مراعياً فيها عنصر التواصل بينه وبين متلقى النص لبيان الغرض المراد من النص.

احتل الخطاب ظاهرة بارزة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت أغلب خطاباته تدور في الجانب الاجتماعي الذي له الأثر الأكبر في تربية الفرد. فبدراسة الخطاب ينبع لنا تعليمات تربوية لها الدور المهم في الواقع التربوي.

نجده خطاباته تجمع بين الواقع الاجتماعي وخبراته الحربية نحو مخاطبته لولده محمد الحنفي؛ إذ تخلل هذه الخطبة نصائح خاصة وأوامر إدارية بعد تسليمه الراية بعد معركة الجمل، منها إياه بضرورة ضبط النفس؛ لأن الدور القيادي مهم في توجيهه من تحت أمرته.

وكانت له توجيهات اجتماعية إلى عبد الله بن عباس، فوجه الخطاب إلى ابن عباس في توجيهه قيادي وإداري، فأمره بالتوجه إلى الزبير والابتعاد عن طلحة واصفاً إياه بأوصاف مختلفة، وأمره بالتوجه إلى الزبير، فقد كان ألين في الطبع، ومنها إياه عما كان

عليه، فقد أعطى الولاية على ثم أنكرها. فوبخه على ذلك بقوله (فِيمَا عَدَا مَا بَدَا) الذي أصبح مضرًا للأمثال.

**الوصيات:**

كثير الخطاب الاجتماعي في خطب أمير المؤمنين عليه السلام، فتدور معظم خطبه حول الجوانب الاجتماعية التي لها الأثر الأكبر في تربية الفرد. لذا اقترح دراسة الخطاب الديني والخطاب الاجتماعي والسياسي للأئمة عليهم السلام لما له من أهمية في توجيه الفكر التربوي.

## المصادر

القرآن الكريم.

١. إستراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهري، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ٢٠٠٤ م.
٢. الأعلام، خير الدين الزركلي(١٣٩٦هـ)، ط١٥ ، دار العلم للملائين، ٢٠٠٢ م.
٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي (١١١١هـ)، ط٢، ١٩٨٣ م.
٤. تهذيب اللغة، محمد الأزهري (٣٧٠هـ)؛ تحرير: محمد عوض مرعوب، ط١ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١ م.
٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحميد؛ ابن أبي الحميد (٥٨٦ - ٦٥٦)؛ تحرير: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١ ، [١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م].
٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري(٣٩٣هـ)؛ تحرير: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤ ، دار العلم للملائين، بيروت، ١٩٨٧ م.
٧. لسان العرب: ابن منظور(٧١١هـ)؛ تحرير: اليازجي، ط٣ ، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٨. لسانيات النصّ (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطابي، ط١ ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١.
٩. مجمع الأمثال: أحمد الميداني (٥١٨هـ)؛ تحرير: محمد محيي الدين، جدار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٠. مدخل إلى علم لغة النص و مجالات تطبيقه، الأخضر الصبيحي، دار العربية، د. ط.
١١. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص و تحليل الخطاب، نعман بوقرة، ط١، الاردن، ٢٠٠٩.
١٢. النحو الوافي: عباس حسن، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦م.
١٣. النص والخطاب والاجراء، روبرت دي بجراند، تر: تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
١٤. نهج البلاغة، جمعه ونسق أبوابه: الشريف الرضي، شرحه: محمد عبده، ط١، مؤسسة المعارف - بيروت، ١٩٩٠م.
١٥. الوظيفية بين الكلية والنمطية، أحمد المتوكل، ط١، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٣م.
١٦. نهج البلاغة في ضوء علم اللغة الاجتماعي، نعمة رحيم دهش، أطروحة، جامعة بغداد ابن الرشد، ٢٠١١م.

# الاتساق المعجمي وأثره في تماسك النص

خطب الزهراء عليها السلام أنموذجًا

(دراسة وظيفية لسانية)

الباحثة

أ.م.د. حوراء غازي عناد السلامي

جامعة الكوفة - كلية الفقه

قسم علوم القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

يُعدُّ الاتساق المعجمي من أَهم قضايا النصّ؛ إذ يُسهم - بشكل كبير - في تماسك النصوص وانسجامها، بوصفه الشرط الأَساس الفصل بين كون الكلام معيناً نصاً أو لا نصّ، فالنصّ ليس مجرد اصطفاف أو تراصّ مجموعة من الكلمات، بل هو بناءً لسانيًّا محكم، وتتابع مترابط من علاقات لغوية، يتطلب شروطاً كثيرة ليطلق على المفردات المتالية عليها مصطلح نصّ. ومن أَهم هذه الشروط الاتساق بأنواعه، والتي من بينها الاتساق المعجمي.

وبذلك فقد انطلقت الدراسة من نقطة جوهيرية تمثل في شقين الأول: نظري وهو مفهوم الاتساق المعجمي؛ والثاني: تطبيقي، وهو: كيف تتجلّى أدوات الاتساق المعجمي في الخطاب الفاطمي، وأثرها في تعانق وحدات النص؟ مريدة في ذلك توضيح الإشكاليات الآتية:

هل للاتساق دور في فكرة النص الخطابي وإثبات حججية القول؟

هل يختلف بروز معيار الاتساق من نصٍ إلى آخر؟

ما هي أدوات الاتساق المعجمي الأَكثر شيوعاً في النص الفاطمي؟

وقد وجدت الباحثة في خطب السيد الزهراء عليها السلام مجالاً رحباً لإثراء ما جاءت به هذه الدراسات من طروحات بمنادج خطابية رائعة، امتازت بسبيكة واتساقها البنائي، وحبكتها وانسجامها الدلالي؛ لأنَّ نصٌ متكامل النصية، إذ توافرت فيه جميع المعايير التي وضعها

اللسانيون؛ وبنطبيق الآليات اللسانية الحديثة، وإن كان أغلبها ذا جذور عربية، أطّرّتها الدراسات الحديثة بالتنظير الذي افتقدته الدراسات العربية القديمة، وزادت عليه أبعادًا تحليلية على المستوى التطبيقي. وسبب اقتصارنا على الخطبة الفدكية وخطبة نساء المهاجرين والأنصار، هو انطباق مفهوم الخطاب بشكل جليٍّ واضح، فضلاً عن عالمية الخطاب فيها أكثر من غيرها، والذي يمثل في الأَغلب خطاباً فردياً وكلامًا لأشخاصٍ معينين. ولذلك تأتي الدراسة منسجمة مع هدف البحث، فقد انتهج البحث منهجاً وصفيًا وظيفياً في ضوء معطيات اللسانيات الحديثة، واشتمل البحث على مقدمة وتمهيد تضمن مفهوم الاتساق المعجمي، ومبثعين؛ الأول: التكرار ودوره في اتساق النصّ، فوجوده لم يكن عفوياً بل جاء متعمداً لبناء نص متراً يدلّ على تمرّد المتكلم تمرّداً شديداً؛ والثاني: التضامّ وأثره في ربط أجزاء النصّ، ليختتم البحث بأهم التنتائج.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

#### التمهيد: مفهوم الاتساق المعجمي:

عني الباحثون في دراساتهم اللسانية الحديثة بالنصّ (بوصف البنية الكلية للنصّ وتحليلها، وبيان علاقتها... مع تركيز الاهتمام على توضيح أوجه الاطراد والتتابع اللغوية والنصية التي تحقق تماسك النص وتناسقه)<sup>(١)</sup>، فالاتساق في لسانيات النص يرتبط بأجزاء تفوق الجملة بنية وتحتفل عنها وظيفة، للوصول إلى وصف عام لظاهر النص؛ لأنّه يتصل بذاته النصّ، ويكتمل وفق نظرية اللفظ والمعنى<sup>(٢)</sup>.

(١) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ٥٢.

(٢) ينظر: الاتساق في الخطاب الشعري: ٣-٢.

ويترتب الاتساق بمفهومه العام على (وسائل تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي)<sup>(١)</sup>. وعلى الرغم من تعدد أنواع الاتساق كالاتساق الدلالي، والاتساق التركيبي، والاتساق المعجمي، إلا أنَّ الأخير يعدُّ أبرز الأنواع؛ لأنَّه يربط بين كلمات، أو مفردات جمل النص بدون وصل أو إِحالَة، ويتحقق ذلك الرابط بواسطة تلك العلاقات المعجمية القائمة بين مفردات النص، وكذلك الوحدات اللغوية المكونة له، وتتجسد تلك العلاقات داخل النص عن طريق بعض العناصر كـ(التكرار والتضام).

وتعدَّدت معاني الاتساق في اللغة بين الانظام والانضمام والجمع بين أجزاء الشيء بعضها مع البعض الآخر، يقول صاحب اللسان ت (٧١١هـ) اتساق القمر: (اجتماعه، أو امتلاقه، أو استواوه ليلة ثلث عشرة أو أربع عشرة،... والوستق: ضم شيء إلى شيء آخر)<sup>(٢)</sup>، وجاء في الوجيز: (اتسق الشيء: اجتمع أو انضم)<sup>(٣)</sup>، وهذه المعاني لا تبعد كثيراً عن المعنى الاصطلاحي في الدرس اللساني المعاصر حيث عرفه اللسانيون بأنَّه أحد المصطلحات المحورية في الدراسات التي تدرج في مجال لسانيات النص، وهو ضرورة حتمية في أي نص ليفهمه المتلقى، ووجوده في النص دليل على وضوح الدلالة لدى الكاتب، وقد عُرف بـأنَّه: (ذلك الترابط، أو التماسك الشديد بين الأجزاء المكونة لنص ما، يهتم فيه بالوسائل اللغوية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب، أو خطاب برمته)<sup>(٤)</sup>.

(١) الاتساق في الخطاب الشعري: ٢.

(٢) لسان العرب: ابن منظور: مادة (وستق): ٣٧٩ / ١٠.

(٣) المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية: مادة (وستق): ٦٦٩.

(٤) لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب): محمد خطابي: ٥.

ويعد الاتساق المعجمي أو (السبك المعجمي): (وسيلة لفظية من وسائل السبك التي تقع بين مفردات النصّ، وعلى مستوى البنية السطحية فيه، تعمل على الالتحام بين أجزاءه معجمياً، ومعاني جمله وقضاياها، من خلال إحكام العلاقات الدلالية القريبة والبعيدة فيه، إذ يؤدي ذلك إلى تلازم الأحداث وتعالقها من بداية النصّ حتى آخره، مما يحقق للنص نصيته)<sup>(١)</sup>، ومن هنا يتضح الأثر الواضح للاتساق المعجمي في بناء النص بتحقيق الاستمرارية التي تساعده على انساب المعاني وتدفقها دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة؛ بحيث لا يعرف التجزئة، ولا يحدُّ شيء... وهذا يتطلب القدرة على النظر الشامل، ويستلزم دقة في تلمس العلاقات المشابهة ويحتاج إلى اكتشاف أساليب الظواهر المشتركة<sup>(٢)</sup>.

ولتحقيق الاتساق المعجمي لا بدّ من توظيف شيئين مهمين، ألا وهم التكرار والتضام، وهذا ما ستحاول الباحثة تناوله في الخطاب الفاطمي مبينة أثراهما في بناء الفكرة الأساسية للنص.

(١) أثر التكرار في التماسك النصيّ: نوال بنت ابراهيم: ١٧٠.

(٢) ينظر: نحو النصّ: أحمد عفيفي: ٩٦.

## المبحث الأول

### التكرار وأثره في اتساق النص

يُعد التكرار من الظواهر اللغوية ذات الأثر الواضح في سبك النص واتساقه، فهو يعمل بوصفه خصيصة أسلوبية مميزة على زيادة ترابط النص؛ لأنَّ منشئ النص يكرر صوتاً أو كلمةً أو جملةً فإنما يعيد معها معناها في ذلك النص، وهذا ما دارت عليه مادة (كرر) في معجماتنا العربية، يقول الخليل ت(١٧٥ هـ): (الكرُّ: الرجوع. وكَرَّ الشيءُ وكرره: أعاده مرّةً بعد أخرى).<sup>(١)</sup>

وفي الاصطلاح يعرَّف في ضوء وظيفته النصية: (إعادة لفظ أو عبارة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو الترافق؛ وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها: تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتبااعدة)<sup>(٢)</sup>، وعرفه الباحثون اللسانيون بالإحالة التكرارية؛ وبعد إحالة اللفظ أو الجملة أو الفقرة على الثانية باللفظ نفسه، أو بالترافق تحقق العلاقات المتبادلة بين عناصر النص، وهذا الترابط يدعم التماسك النصي<sup>(٣)</sup>.

ويتضح أنَّ الدكتور صبحي قد تبع تقسيم هاليدي ورقية حسن في أنماط التكرار أو درجاته إلى<sup>(٤)</sup>:

(١) معجم العين: الخليل بن أحمد: مادة (كرر): ٢٧٧ / ٥.

(٢) علم اللغة النصي: صبحي ابراهيم: ٢٠ / ٢.

(٣) ينظر: من أنواع التماسك النصي: د. مراد حميد: ٥٣.

(٤) ينظر: الترابط النصي بين الشعر والنشر: ٥٤، وتبعهما الكثير من الباحثين مع اختلافهم أحياناً في العدد أو الضمون فيزيدون أحياناً أو ينقصون، كالتكرار الجزئي، والتكرار الموضوعي، والتكرار الجراماتيكي وهو نوع من التوازي، وشبه التكرار أو التكرار الناقص. ينظر: من أنواع التماسك النصي: د. مراد حميد:

٤٥؛ علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة: محمود فهمي: ٤٦.

١. تكرار العنصر المعجمي.

٢. الترادف أو شبه الترادف.

٣. الاسم الشامل.

٤. الكلمات العامة.

وتعدّدت صور التكرار في الخطاب الفاطمي بأنواعه المختلفة فجاء بالشكل الآتي:

#### **التكرار التام (المحض):**

يعدُّ هذا النوع من أفصح أنواع التكرار الذي أشار إِلَيْه القدماء<sup>(١)</sup>، ويقصد به (استخدام عبارات محددة تكرر في النص)<sup>(٢)</sup>، مما يؤدي إلى خلق إيقاع داخلي في النص يُسهم في تقوية المعنى، وعلى هذا الأساس تكتسب اللفظة المكررة أهمية كبيرة بـها تضفيه من معنى سياقي لا يتحقق الإبهام معه<sup>(٣)</sup>.

ومن نماذج التكرار التام في الخطاب الفاطمي هو تكرار الفعل (أقول - أفعل) في خطبتها الفدكية: (أَيُّهَا النَّاسُ! اعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةُ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَقُولُ عَوْدًا وَبَدْءًا، وَلَا أَقُولُ مَا أَفْعُلُ غَلَطًا، وَلَا أَفْعُلُ مَا أَقُولُ شَطَطًا)<sup>(٤)</sup>، فتكرار اللفظ قد جلب إيقاعاً وبناءً هندسياً وظفته الخطبية أَيًّا توظيف في إيراد المعنى المطلوب، ففي الأولى جاء فعل القول مثبتاً بـجلب انتباه المتلقى واستحضار ذهنه لما سيقال، فإذا أضاف إلى القول الترديد والعودة بـقولها بِإِيمانِهِ «أَقُولُ عَوْدًا وَبَدْءًا» بـزرت أهمية ما يُقال، فجاء فعل القول الثاني منفيًا

(١) ينظر: المثل السائر: ابن الأثير: ٢/١٤٦.

(٢) البلاغة الحديثة: ١٧.

(٣) ينظر: التكرار في شعر محمود درويش: ٦٠.

(٤) الاحتجاج: ١/٢٧٢.

ليزداد إقباله إذا ما نفى الخطيب أن يكون خطابه وقوله فيه شيء من الغلط أو الكذب أو الافتاء.

فالتكرار أثبت المعنى ووَكَدَهُ، والملحوظ أنَّ هذا التكرار قد جاء غير متعاقب لفظياً وغير متجانس تركيبياً؛ فالأولى مثبتة، والثانية منفية، والثالثة مسوق باسم موصول، ومثله الفعل (أفعل) في الثانية والثالثة، ضمن بناء هندسي محكم أرادته الخطيبة وغذته دلالياً، وهو نفي الادعاء والقول الباطل. فعدك ومسألة الخلافة وكل ما أطلب وأقول وأفعل هو من باب الحق المطالبة به.

ومنها قول الزهراء لأمير المؤمنين عليه السلام بعد رجوعها من خطبتها بخيبة الأمل وقلة الناصر: (وَيُلَايٍ فِي كُلِّ شَارِقٍ.. وَيُلَايٍ فِي كُلِّ غَارِبٍ<sup>(١)</sup>)، فإنَّ تكرار لفظ (ويلاي) في مقطعين متوازيين يدعو إلى التأمل فيما أضفته ورسمته من قيمة فنية دعت إلى تماسك النص، فكأنَّما الآهات والحزن والحرسات تخرج من الأعماق محقة، فالويل بما يحمله من دلالة الحزن والمشقة والهلاك، كون الداعي لا يدعو به إلَّا حين يقع في بلية أو رزية، وهنا استشرمت السيدة الزهراء عليها السلام هذه الدلالة بتكرارها وأظهرت شدة الحزن والتاثير بما نزل بها من صدَّ قومها وأخذ حقَّها ورد شهادتها، وهي التي قال عنها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه (أنَّه قال: يا فاطمة إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِيغَضِبَ لِغَضِبِكَ، وَبِرَضِي لِرَضَاكَ)<sup>(٢)</sup>، فقد وظف التكرار في هذا السياق؛ لإضفاء المزيد من الشحنات الإبلغية لإظهار الأحساس والانفعالات الحسية لرسم صورة الحزن الشديد الذي يعتلج صدر الزهراء عليها السلام.

(١) الاحتجاج: ٢٨١ / ١.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ٤٣ / ٤٢.

ومنه تكرار الظرف (بعد) في خطابها لنساء المهاجرين والانصار: (أَصْبَحْتُ وَاللَّهُ عَافِفَةً لِدُنْيَاكُمْ، قَالَيْتَ لِرِجَالِكُمْ، لَفَظْتُهُمْ قَبْلَ أَنْ عَجَمْتُهُمْ، وَشَنَأْتُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرْتُهُمْ، فَقُبْحًا لِفُلُولِ الْحُدُّ وَخَوْرِ الْفَنَاءِ وَخَطْلِ الرَّأْيِ... وَمَا نَقَمُوا مِنْ أَبِي حَسَنٍ؟! نَقَمُوا وَاللَّهُ مِنْهُ نَكِيرٌ سَيِّفِهِ وَشِدَّةٌ وَطَلَّتِهِ وَنَكَالٌ وَقَعْتِهِ وَنَنْمَرَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) <sup>(١)</sup>.

حوى نص الخطبة أكثر من تكرار. فقد جاء بتكرار الظرف (بعد) ثلاث مرات في تراكيب ثنائية ذات صبغة إيقاعية تجذب الأذهان، وتشدّ النفوس، وتوصل المقصود إلى المتلقى بأروع صورة، وبأشدّ تأثير مخيف في النفس، ويظهر في هذا النص جمالية السجع المرصع بقولها (لفظتهم .. سبرتهم)؛ إذ أظهر براءة الخطيبة في اختيار الألفاظ وتنسيقها فنياً ودلالياً في اجتذاب أذهان المتلقين ونلاحظ هذا في الآتي:

تكرار الظرف (بعد) في ثلاثة مواضع إشارة إلى حالة التيقن من تخاذلهم ومعرفه دواخلهم التي لا يغير سوادها شيء.

حالة التوازن بين الوحدتين اللغويتين، فكأنَّ الوحدة الثانية تكرار إيقاعي للوحدة الأولى، متخذة من مجال الاستعارة في (اللفظ)، والتي تعني القذف والرمي وطرح الشيء من القم<sup>(٢)</sup>، وهو رمز في متنه الاحتقار للشيء، والعمجم وهو العض على الشيء ليعلم صلابته من خوره<sup>(٣)</sup>، فهي تشير إلى تركهم ورميهم بعد أنْ خبرت حالم في غصب حقها بفده، فلم تبق فدك قرية زراعية محدودة بحدودها في عصر الرسول ﷺ، بل صار معناها الخلافة والرقعة الإسلامية بكاملها. روي أنَّ الإمام الكاظم عليه السلام قد حدّها للرشيد بعد

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ٤٣ / ١٦٠.

(٢) تاج العروس: الزبيدي: مادة (لفظ): ٢٧٤ / ٢٠.

(٣) تاج العروس: الزبيدي: مادة (عجم): ٣٣ / ٦٢.

أَنْ أَلْحَّ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ أَنْ يَأْخُذَ فَدْكًا، فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ: مَا أَخْذَهَا إِلَّا بِحُدُودِهَا، قَالَ الرَّشِيدُ وَمَا حُدُودُهَا؟ قَالَ: الْحَدُّ الْأُولُ عَدْنُ، وَالْحَدُّ الثَّانِي سَمْرَقْدَنُ، وَالْحَدُّ الثَّالِثُ أَفْرِيقِيَّةُ، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ سَيفُ الْبَحْرِ مَا يَلِي الْخَزْرُ وَأَرْمِينِيَّةُ. فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: فَلِمْ يَقِنْ لَنَا شَيْءٌ فَتَحُولُ فِي مَجْلِسِي<sup>(١)</sup>. وَهَذَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّ فَدْكَ لِيْسَ مُجْرِدَ أَرْضَ زَرَاعَيَّةٍ انتَزَعَتْ مِنَ الْزَّهْرَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنَّهَا هِيَ الْخَلَافَةُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي أَمْرَ اللَّهُ بِهَا.

تَنَامَيَ الدَّلَالَةُ فِي الْخَطَابِ بَيْنَ الْوَحْدَتَيْنِ، فَكُلَّتُاهُمَا تَدَلَّلًا عَلَى مَعْنَى الْبَغْضِ وَالْأَخْتِبَارِ، إِلَّا أَنَّ الْفَارَقَ فِي الْدَّرْجَةِ، فَالْلَّفْظُ يَدْلِلُ عَلَى الْبَغْضِ إِلَّا أَنَّ الشَّنَآنَ يَدْلِلُ عَلَى الْبَغْضِ وَالْغَضْبِ الشَّدِيدِ<sup>(٢)</sup>، وَالْعَجْمُ يَدْلِلُ عَلَى الْبَلَاءِ وَالْأَخْتِبَارِ إِلَّا أَنَّ السَّبِيرَ هُوَ اخْتِبَارٌ مَعْ دَقَّةٍ فِي التَّجْرِيبِ وَاسْتَخْرَاجٍ كَنَّهُ الْأَمْرُ<sup>(٣)</sup>.

نَبَهَتِ الْمُتَلَقِّيَّ فِي صُورَةِ اسْتِعَارَةٍ أُخْرَى مَتَمَثَّلَةً بِتَكْرَارِ آخِرٍ يُعْرَفُ بِالْجَنَّاسِ النَّاقِصِ بَيْنَ (الْحَدُّ وَالْجَدُّ)، فَقَوْلُهَا (قِبَحًا لِفَلُولِ الْحَدِّ، وَاللَّعْبُ بَعْدَ الْجَدِّ)، لِفَدَاحَةِ مَا وَقَعَ فِي حَقِّهَا وَعَظِيمِ مَا ارْتَكَبَ فِي ظَلَامِهَا، تَارِكَةً لِلْمُتَلَقِّيِّ لِيُعيِّشَ الْخَيَالَ الرَّحِبَ لِعَظِيمِ الظَّلَامَةِ، إِذْ تَفْعَلُ الْاسْتِعَارَةَ فِي النَّفْسِ مَا لَا تَفْعُلُهُ الْحَقِيقَةُ.

تَكْرَارُ الْفَعْلِ (نَقْمُوا) بِصِيغَةِ الْجَمْعِ فِي سِيَاقِ إِنْكَارِيِّ تَعَجَّبٍ فِيْهِ مِنْ نَكْرَانِ الْفَضْلِ وَجَحْودِ الْحَقِّ.

وَبِهَذَا كَانَ لِلتَّكْرَارِ التَّامِ دُورَةً فِي بِيَانِ فَكْرَةِ النَّصِّ الْخَطَابِيِّ وَإِثْبَاتِ حَجَيَّةِ الْقَوْلِ، وَلَا يَتَسَعُ الْمَجَالُ لِذِكْرِهَا جَمِيعًا.

(١) مَنَاقِبُ آلِ أَبِي طَالِبٍ: ابْنُ شَهْرَ آيُوبٍ: ٤٣٥ / ٣.

(٢) تَاجُ الْعَرُوسِ: الزَّيْدِيُّ: مَادَةُ (شَنَآنٍ): ٢٨٦ / ١.

(٣) تَاجُ الْعَرُوسِ: الزَّيْدِيُّ: مَادَةُ (سَبِيرٍ): ٤٧٨ / ١١.

### التكرار الجزئي:

وهو شبه التكرار ويسمى أيضاً بالتكرار الناقص؛ إذ تفتقد عناصره التكرار المحضر، ويتحقق هذا التكرار في مستوى التشكيل الصوقي، ليصنع نوعاً من التماسك، وهو على أنواع منه ما يكون في التشكيل الصوقي ونقصد به تكرار بعض أصوات الكلمة في كلمة أخرى مجاورة لها<sup>(١)</sup>، (ولا تكمن أهمية الجناس في خلق تلك المساحات المتتابعة في سطح النص من التشابه الصوقي، ولكنَّه يفيد في إظهار تلك الكلمات المتجانسة بشكل أوضح<sup>(٢)</sup>).

منها قول الزهراء عليها السلام في خطابها في مجلس أبي بكر، وهي تعرض إلى تعريف القرآن الكريم وما حواه الخطاب من سبل تؤدي إلى النجاة، آمرة قومها بالرجوع إليه والعمل بأوامره ونواهيه: (كتابُ الله الناطقُ، والقرآن الصادقُ، والنور الساطعُ، والضياءُ اللامِعُ، بيَّنةُ بصائرُه، مُنْكِشَفَةُ سرائرُه، مُتَجَلِّيةُ ظواهِرُه، مُغْتَطِّةُ بِهِ أَشْيَاوْهُ، قائِدُ إِلَى الرَّضْوانِ اتِّبَاعُهُ، مؤَدِّ إِلَى النَّجَاهِ إِسْمَاعِيلُ، بِهِ تُنَالُ حُجَّةُ اللهِ الْمُنَورَةُ، وَعَزَائِمُهُ الْمُفَسَّرَةُ، وَمَحَارِمُهُ الْمُحَذَّرَةُ، وَبَيِّنَاتُهُ الْجَالِيَةُ، وَبَرَاهِينُهُ الْكَافِيَةُ، وَفَضَائِلُهُ الْمَنْدُوبَةُ، وَرُخْصَهُ الْمَوْهُوبَةُ، وَشَرِيعَهُ الْمَكْتُوبَةُ)<sup>(٣)</sup>.

المتأمل في نص الخطبة يجد تكرار الأصوات (الميم، الراء، النون، والباء)، والتي شكّلت جوًّا إيقاعياً منسجماً في بنية النص؛ لأنَّ النقر موسيقياً بصوت ما على وتيرة معينة يحدث مجاوباً مع سبقتها<sup>(٤)</sup>، مشكل قطعة موسيقية متكاملة يستلذّ بها السمع وتطرأ لها الأذن وتتألف معها الروح، فقد أشارت الزهراء عليها السلام إلى فداحة عمل القوم بتركهم للعمل بالقرآن، من خلال تعريف القرآن بصورة تمثيلية بعيدة عن الاستعارة والتبيه متخدّه من

(١) ينظر: البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٠٧-١٠٥.

(٢) نظرية علم النص (رؤى منهجية في بناء النص الشري): ١١٩.

(٣) الاحتجاج: ٢٥٨/١.

(٤) ينظر: التكرير بين المثير والتأثير: ١٤.

صفاته (كتاباً ناطقاً صادقاً ساطعاً لاماً متكشفاً)، لتحقيق الانسجام بين الموضوع وطبيعة الصورة الفنية؛ لأنَّها في الحقيقة جاءت مبينة لأمر إلهي خالفة القوم، لذا نجدها في تذكيرها بالعمل بالقرآن تكرر أصوات الغنة (الميم النون والتنون) التي وردت أكثر من ثلاثين مرة في هذا النصّ، والتي تدلّ على (نغم شجي تعشقه وتشجيه لتكريمه)<sup>(١)</sup>، الذي يثير في المتلقى رغبة في الاستماع ومتابعة المعنى مع الالتزام السمعي الذي يشعر به؛ لذا نجدها قد ركزت في تعريفها للقرآن على الوضوح والظهور والانكشاف، ولعلَّ مرادها من ذلك إحداث نوع من الانسجام والتجانس في إلقاء الحجة على القوم الذين انقلبوا على الخلافة الحقة الظاهرة كظهور القرآن الكريم وسطوعه، وعزّز هذا التأكيد على سطوح القرآن الكريم وشدّته الإكثار من الأصوات الانفجارية كـ(الكاف والقاف والباء) في نصّ الخطبة.

ومن مواطن تكرار الحرف هو تكرار الحرف (قد) من وجه صوتية في قوله: (ألا قد أرى أنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ، وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقُبْضِ، وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعَةِ، وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضَّيْقِ بِالسَّعَةِ... أَلَا وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ عَلَى مَعْرِفَةِ مِنِي بِالْخُدُلَةِ الَّتِي خَامَرَتُكُمْ، وَالْغَدَرَةِ الَّتِي اسْتَشَعَرَتْهَا قُلُوبُكُمْ)<sup>(٢)</sup>، فتكرار الحرف (قد) قد أضاف جرساً إيقاعياً عالياً إلى النصّ، فحرف (الكاف) هو صوت لهوي انفجاري شديد وصوت (الدال) أسناني لثوي انفجاري مجهر<sup>(٣)</sup>، وصفته القلقلة<sup>(٤)</sup>، التي تعني رفع الصوت وشدَّة الصياح المكون من شدَّة الضغط عند الوقوف على الصوت<sup>(٥)</sup>، وهذا يتنااسب وتكراره مع شدَّة موقف الزهاء من القوم وحقها الشديد عليهم، يعضده دلالة التحقيق، والذي يدلّ على أنَّ الزهاء

(١) علم الأصوات: بريل كالمبرج: ١٢٣.

(٢) الاحتجاج: ١/٢٧٢.

(٣) علم الأصوات: كمال بشر: ١٠٨.

(٤) علم الأصوات: كمال بشر: ١١٦.

(٥) ينظر: معجم العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي: ٥/٢٦.

كانت على علم ويقين بإصرار القوم على غصبها إرثها من أيتها ومنعها فدكاً، مشيرة إلى الموضوع الأساسي من خروجها وهي بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهذا ما قصدته بقولها (من هو أحق بالبسط والقبض)، يؤكّد هذا العلم اليقيني القسم كما ورد في بعض النسخ<sup>(١)</sup>، فجاء خطابها من باب تقديم الحجّة عليهم.

وقد مهدت الزهراء عليها السلام لهذا المفهوم وهيأت النفوس لاستقباله من خلال أداة الاستفتاح (ألا) فأرادت بذلك أن تلتف أذهان السامعين إلى أهمية ما سيأتي بعدها، فخلق التكرار بذلك انسجاماً وایقاعاً في بنية النص الأدبي، من خلال لفت ذهن المتلقى إلى المعنى المنطوي في الخطاب لما يمتلكه من تغييم مزدوج داخلي وخارجي مبيناً فاعليته الإيحائية.

وقد يجيء التكرار بتكرار مقطع صوتي فيضفي على الخطاب بعداً صوتياً متنااعماً مع البعد الدلالي مما يؤدي إلى تماسك النصّ، كقولها في خطبتها لنساء المهاجرين والأنصار: (وَيُحِبُّهُمْ أَنَّى زَحَرَ حُوَّاهَا عَنْ رَوَاسِي الرِّسَالَةِ وَقَوَاعِدِ النُّبُوَّةِ وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ الْأَمِينِ وَالظَّبِينِ بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ)<sup>(٢)</sup>، فالمتأمل في تكرار المقطع (زح)<sup>(٣)</sup>، يتلمس الشدة والحدة معًا بما يحمله صوت الزاي من أزيز، والحادي كصوت حلقي يخرج من أعماق النفس تصاحبه الحرقة والألم<sup>(٤)</sup>، فتتضح بذلك الشدة يقوّيها تكرار المقطع، وهذا يتنااسب وقصد الزهراء عليها السلام في وصف شناعة فعلهم، فالقوم قد حرّكوا وغيرّوا من كان جديراً بالخلافة ومؤهلاً لحمل أعبائها بعد الرسول صلوات الله عليه وسلم، وذلك بشدة فعلهم وقولهم. فقد وظفت الزهراء عليها السلام تراكيب

لغوية عدّة في إظهار عظم فعل القوم وفادحته منها:

(١) كشف الغمة: ٢/١١٤، وفيه (ألا وقد أداري والله أن قد أخذلتني...).

(٢) الاحتجاج: ١/١٣٨ و مثله والله لو تکافعوا عن زمام نبأه رسول الله صلوات الله عليه وسلم لا عتلقة و لساراتهم سيرًا سُجُحاً لا يکُلُّ خشاشه و لا يُتعَنَّ رأيُه، و لا يرَدُّهُم مَهْلًا تَبَرِّأَ فضفاضاً تَطْفَحُ ضفتاه....).

(٣) زح: تعني الدفع والتنحية ويزحه رحًا أي جذبه في عجلة، وزحزحه عن موضعه أي دفعه ونحه، ينظر: لسان العرب: ابن منظور: مادة (زح): ٦/٢٥.

(٤) ينظر: الصوت اللغوي ودلاته في القرآن الكريم: ٩٨.

١ - استعمال لفظ (ويحهم) التي تدلّ على الزجر لمن أشرف على الهملة، فقد خسروا آخرتهم بتركهم الأمر الإلهي، ويتجلّ ذلك بذكرها نص قوله تعالى ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ سورة الزمر / ١٥.

٢-استعمال لفظ الاستفهام (أَنِّي) الذي خرج إلى معنى الاستنكار والتعجب من مخالفتهم لقول الرسول في يوم الغدير: (من كنت مولاًه فعلي مولاًه، اللهم وال من والا، وعاد من عاده، واندلل من خذله، وانصر من نصره)<sup>(١)</sup>.

٣ - استعمال الكلمة (رواسي) التي تدلّ على الاستقرار والثبات ومن هم ليزعزعوا قطب الرحى عن موضعه، ثُمَّ إِنَّ إِسْنَادَ الزَّحْزَةِ إِلَى وَأَوْ الجَمَاعَةِ يَدُلُّ دَلَالَةً قَطْعِيَّةً عَلَى أَنَّ الْقَوْمَ بِأَسْرِهِمْ أَوْ غَالِبِهِمْ قَدْ تَضَافَرُوا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، ثُمَّ إِنَّ تَكْرَارَ الزَّحْزَةِ بِهَذِهِ الدَّلَالَةِ تدلّ على تقطيع هذا الأمر على مراحل متعددة لا دفعه واحدة، وكُلُّ مرحلة هي غاية في الشدّة والألم والدفع الشديد، وهذا الدفع لم يكن وليد الساعة، بل جاء على مراحل إِلَّا أَنَّهَ بلغ ذروته برحيل الرسول الأكرم ﷺ واستمر بتعاقب الأزمات.

وقد يجيء الجناس على أنواع أخرى منها، إِمَّا بزيادة حرف أو بحذفه أو بتغيير أحد حروف الكلمة، كقول الزهراء عليها السلام في خطبتها لنساء المهاجرين والأنصار: (وتالله لو مالوا عن المحجة اللاحقة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة لرذهم إليها، وحملهم عليها)<sup>(٢)</sup>، نلاحظ التكرار جاء بين اللفظتين بالجناس (المحجة والحجّة)، فقد أدى زيادة الميم في اللفظة الأولى إلى طول زمان الإيقاع واختلاف عن اللفظ الثاني، فأضاف جرساً موسيقياً تستأنس به النفس، فضلاً عن اختلاف الدلالة بين اللفظين، فالمحجة تعني جادة الطريق، أَمَّا الحجّة

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ٣٧ / ١٢٦.

(٢) الاحتياج: ١ / ٢٨٨.

فهي البرهان<sup>(١)</sup>. وقد وظفت الزهراء عليها السلام التكرار لإظهار عنصر المفاجأة الدلالية وحالة الترقي في ذهن المتلقى في معنى بدا له أنه قد تكرر من جراء الإيهام الذي انتابه أولاً من تكرار اللفظ للتوكيد؛ حتى إذا ما دقق النظر زال التوهם فحصلت الفائدة بإضافة عنصر دلالي جديد في بيان خصائص الإمام على عليه السلام وأنه الطريق الصحيح الواجب سلكه، وهو البرهان الواضح الذي يجب ألا يحيدوا عنه. والشيء الآخر الذي ولد تماسكاً نصياً عن هذا التكرار، أنه عند الموازنة بين الوحدتين اللغويتين في النص نجد التوافق الإيقاعي بينهما في الزمن على الرغم من اختلاف الزمن بين اللفظتين المتباينتين ضمن الوحدتين، وذلك لسد النقص الحاصل في الوحدة الثانية -إيقاعياً - بالبديل:

← مالوا عن المحجة اللاحقة ← الوحدة الأولى .

لو تالله

← زالوا عن قبول الحجة الواضحة ← الوحدة الثانية .

ومنها قوله عليه السلام معاقبة لأمير المؤمنين عليه السلام بعد رجوعها من المسجد: (يا ابنَ أبِي طَالِبٍ! اشْتَمَلْتَ شِمْلَةَ الْجَنِينِ، وَقَعَدْتَ حُجْرَةَ الظَّنِينِ! نَقْضَتَ قَادِمَةَ الْأَجْدِلِ، فَخَانَكَ رِيشُ الْأَعْزَلِ؛ هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ يَبْتَرِزُ نُحَيْلَةَ أَبِي وَبْلَغَةَ ابْنِي، لَقَدْ أَجْهَرَ فِي خِصَامِي، وَالْفَيْتُهُ الْأَدَدُ فِي كَلَامِي...؛ فَلَا دَافِعَ وَلَا مَانِعَ، خَرَجْتُ كَاظِمَةً، وَعُدْتُ رَاغِمَةً، أَضْرَعْتَ حَدَّكَ يَوْمَ أَضَعْتَ حَدَّكَ، افْتَرَسْتَ الذِّئَابَ، وَافْتَرَسْتَ التُّرَابَ)<sup>(٢)</sup>. وقد مهدت الزهراء عليها السلام لهذا المفهوم وهيأت النفوس فجانت بين الفعلين (افترست وافتريشت) باختلاف حرف السين والشين؛ إذ خلق هذا التلازم الصوتي إيقاعاً هاماً أحاله على معنى قصدته الخطيبة بأصوات

(١) ينظر: لسان العرب: ابن منظور: مادة (حجج) ٣/٦١.

(٢) الاحتجاج: ١/٢٨١.

تأخذ طريقها إلى العمق النفسي، وتهز لها المشاعر والعواطف، فقد كنت عن الشدة والقوة بصورة (افتراس الذئب)، وكنت عن حالة الخضوع للأمر الإلهي في عدم النهوض لطلب الحق الذي سلب والقنوع بـ(افتراس التراب).

ومنها ما ورد في كلامها ما يحمل معنى التعجب قوله: (أَلَا هَلْمَ فَاسْمَعْ وَمَا عَشْتَ أَرَاكَ الدَّهْرُ الْعَجَبَ، وَإِنْ تَعْجَبْ وَقَدْ أَعْجَبَكَ الْحَادِثُ، إِلَى أَيِّ سِنَادٍ اسْتَنَدُوا، إِلَى أَيِّ عِمَادٍ اعْتَمَدُوا)<sup>(١)</sup>، حيث تغيرهم من أي دليل يقوي، ويصحح ما ارتكبه فإذا بطل ذلك فالاستغراب كل الاستغراب بما أقدموا عليه، والعجب كل العجب بتكتذيبهم، فجاء تكرار العجب مؤكداً هذا المعنى وموثقه، فقد سلب حق ذرية النبي الأكرم ﷺ، وهنا يزداد الإنكار والتعجب وطأة، فالظلمة قد وقعت على من بيتهما نزل القرآن وهبط الروح الأمين، وعلى أي ذرية أقدم؟! وهنا تحرص الزهراء عليه السلام على العرض الفني لهذا الأسلوب، فأضفي الجناس بين (سناد - استندوا، عِمَاد - اعتمدوا) قوة لتماسك النص، وهو المعبّر عنه في كتب البلاغة بجناس الاشتقاد، عزز ذلك تماثل البنية الصرافية وتكرار الاستفهام الذي ساعد على تناغم الجرس الموسيقي وقوية المضمون في ذهن المتلقى.

### تكرار الترادف أو شبه الترادف:

ويراد به تكرار المعنى واللفظ مختلف، (ويضم الترادف وشبهه، والعبارات المساوية في المعنى لعبارة أخرى)<sup>(٢)</sup>، فتكرار الكلمات أحياناً لا يكون كافياً لجعل النص متماسكاً؛ لذا تستعمل الكلمة ثُمَّ تورد مرادفتها، كقولها عليه السلام في بيان أحقيتها بتذكيرهم برسول الله ﷺ: (فَأَنَّا اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ ظَلَمَهَا، وَكَسَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهْمَهَا، وَجَلَّ عَنِ الْأَبْصَارِ غُمَمَهَا، وَقَامَ

(١) الاحتجاج: ٢٧٢ / ١.

(٢) الاتساق النصي اسسه وأالياته: ١٩.

في النّاسِ بِالْهُدَىٰ يَة، وَأَنْقَدَهُمْ مِنَ الْغَوَايَةِ، وَبَصَرَهُمْ مِنَ الْعَمَىٰ يَة، وَهَدَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ)، فالتكرار بين (الغواية والعمى، الدين القويم، والصراط المستقيم)<sup>(١)</sup>. فيتضاعف الوضوح في تناسب المعنى، وهذا التكرار لا يُعد سهلاً؛ لأنَّه وإن وجد ففروق دلالية تميزها عن الأخرى، وتحدّ من إمكانية استبدال الكلمة بمرادفتها في السياق الذي ترد فيه، لذا أصبح من سمات النصوص شبه الترادف.

ويجيء شبه الترادف في عبارات متقاربة في المعنى باسلوب إنكارى في قول الزهراء عليها السلام مبينة استماتة الإمام علي عليه السلام في سبيل الله والدين: (أَوْ نَجَمَ قَرْنُ لِلشَّيْطَانِ، وَفَغَرَتْ فَاغْرَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخَاهُ فِي هَوَاهَا، فَلَا يَنْكَفِعُ حَتَّى يَطَّا صِمَاخَهَا بِأَحْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُودًا فِي ذَاتِ اللَّهِ، مُعْتَهِدًا فِي أَمْرِ اللَّهِ، قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ سَيِّدَ الْأَوْلَيَاءِ اللَّهُ، مُشْمَرًا نَاصِحًا، مُجْدَدًا كَادِحًا وَأَنْتُمْ فِي رَفَاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادْعُونَ فَاكِهُونَ آمِنُونَ، تَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوَائِرَ، وَتَوَكُّفُونَ الْأَخْبَارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزَالِ، وَتَغْرُونَ عِنْدَ الْقِتَالِ)<sup>(٢)</sup>.

فقد حوت الخطبة على ترادفات تقارب أو تشابه دلاليًا (مكدودًا - مجدها - مجداً - كادحاً - وادعون - آمنون، تربصون - توكون، تنكصون - تغرون)، فقد أدى التكرار إلى إنشاء موسيقى جميل، مشكلاً ملماً أو ظاهرة أسلوبية في الخطبة، فكان لها أثرها الدلالي والإيقاعي في اتساق النص وربط أجزائه ليبدو النص لحمة بنائية ودلالية واحدة.

٤- التكرار التوازي: يقصد به تكرار الجملة في النص الفني فيحمل بين طياته بعدًا جمالياً لما يمنحه من إيقاع وتشكيل هندسي يظهر قصدية المتكلم، فضلاً عما يرسمه من بعد دلالي آخر، وقد ورد هذا الضرب من التكرار في خطاب الزهراء عليها السلام في مواضع كثيرة

حاملاً السمتين.

(١) الاحتجاج: ١ / ٢٨٢.

(٢) الاحتجاج: ١ / ٢٨٢.

وقيل أنّه نوع من التشابه؛ لذا قيل في تعريفه (مركب ثنائي التكوين أحد طرفيه لا يعرف إلّا بالآخر، وهذا الآخر بدوره يرتبط مع الأول بعلاقة أقرب من التشابه، يعني أهّماً ليست علاقة تطابق كامل ولا تبادل مطلق)<sup>(١)</sup>، وقد يراه دكتور محمود فهمي نوعاً من التوازيي أسماء (التكرار الجراماتيكي)، وعرفه بأنّه: (تكرار لنظم الجمل بكيفية واحدة، أي تكرار للطريقة التي تبني بها الجملة وشبه الجملة، مع اختلاف الوحدات المعجمية التي تتّالف منها الجمل)<sup>(٢)</sup>، فتكون العلاقة بينها -التوازي والتكرار الجراماتيكي - هو تكرار نظم الجملة<sup>(٣)</sup>، وجاء على نوعين:

التوازي المتماثل: وهو (ما تماطلت بنيته واختلف بعض معناه ويكون بالتطابق على المستوى النحوی أفقیاً أو عمودیاً)<sup>(٤)</sup>.

التوازي المتشابه: وهو (ما اختلفت بعض بنيته وبعض معناه، ويكون قائماً في النص أفقیاً وعمودیاً، وكذلك يحدث هذا النوع نتيجة عمليات التحويل النحوی بالزيادة أو النقصان)<sup>(٥)</sup>، ومنه قول الزهراء عليه السلام وهي تذكر أباها رسول الله: (حتّى تَفَرَّى اللَّيلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ، وَخَرَسَتْ شَقَاشُ الشَّيَاطِينِ، وَطَاحَ وَشَيَطُ النَّفَاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقْدُ الْكُفْرِ وَالشَّقَاقِ، وَفُهُمُ بِكَلِمَةِ الإِخْلَاصِ فِي نَفْرٍ مِنَ الْبَيْضِ الْخَمَاصِ)<sup>(٦)</sup>.

(١) تحليل النص الشعري (بنية القصيدة). ١٢٩.

(٢) علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة. ٤٦.

(٣) ينظر: دراسة لغوية لصور التهاسك النصي: ١٨٦.

(٤) المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي: ١٦١.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) الاحتجاج: ١/٢٨٢.

فحمل التكرار التركيبى للجملة الفعلية والتي كان لها حضور واضح في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام لما تحمله من دلالات واسعة، منها مكونة من الفعل اللازم والفاعل في سياق تنوعت فيه الأفعال الالزامية في جمل بسيطة، فقد أضافت عن سرعة في الإيقاع ينبع عن سرعة في الحدث، وانتصار الحق وهزيمة فول الشيطان.

ومنها قولها في مخاطبة الأنصار: (فَاتَّلُمُ الْعَرَبَ، وَحَمَلْتُمُ الْكَدَّ وَالْتَّعَبَ، وَنَاطَحْتُمُ الْأَمَمَ، وَكَافَحْتُمُ الْبُهْمَ، فَلَا تَبْرُحُ أَوْ تَبَرُّحُونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْمِرُونَ حَتَّىٰ دَارَتِ بِنَا رَحْيُ الْإِسْلَامِ<sup>(١)</sup>)، فجاءت الجمل مكونة من فعل وفاعل ضمير التاء والمفعول به، فأدت عليها السلام بأربع جمل متتالية وعلى الصورة نفسها مما جعلها تركيباً متصلةً ملتحماً يوحى بقصدية المتكلمة في شحذ المهم ورفع المعنيات بتذكيرهم بسالف عهدهم.

وبذلك يتضح للباحثة أنَّ الزهراء عليها السلام قد وظفت آلية التكرار باشكاله المتنوعة، من خلال شبكة من الألفاظ والانطاب المبثوثة في ثنايا الخطاب، والذي لم يرد في نص الخطاب الفاطمي عفوياً، بل كان متعمداً تأكيداً لفكرتها، ولبناء نص متماسك يظهر قدرتها على التمرد على الظلم، ورفضها للواقع الذي المعاش.

---

(١) الاحتجاج: ٢٧١ / ١.

## المبحث الثاني المصاحبات المعجمية (التضام)

يُعدُّ التضام العنصر الثاني من عناصر الاتساق المعجمي، وهو يأتي بعد التكرار. وقد ساهم مساهمة كبيرة في ترابط وتماسك أجزاء هذا النص، فهو من القرائن اللغوية التركيبية التي يمكن بها تلمس العلاقات الرابطة بين الألفاظ أو التراكيب، وهذا يتفق مع دلالات اللغة (الانضمام، والاشتمال والاجتماع). قال ابن منظور **ضم** يعني: (ضمك الشيء إلى الشيء، وضممه إليه يضممه ضمًّا فانضمَّ وتضامَّ)<sup>(١)</sup>، ونقول تضامَّ القوم: انضمَّ القوم بعضهم إلى بعض، وأيضاً (اطْطَمَّتْ) عليه الضلوع أيًّا اشتملتَ<sup>(٢)</sup>. ولا تبتعد هذه المعاني كثيراً عن المعنى الاصطلاحي، فالتضام في الاصطلاح يُعدُّ من العلاقات التركيبية المهمة التي تكشف لنا في المجال التركيبي عما يرافق الكلمة ويلازمها، وما تفتقر إليه في التركيب أو ما يتنافى معها، وهو المحور الأساسي الذي تدور عليه جُلُّ الظواهر اللغوية.

فقد عُرف بأنه: (تoward زوج من الكلمات بالفعل أو القوة نظرًا لارتباطهما بحكم هذه العلاقات أو تلك)<sup>(٣)</sup>. وقد عُرفه محمود عكاشه بمعنى (المصاحبات اللغوية) وهي (التركيب المتلازمه التي تدلّ على معنى خاص ولا تدلّ عليه في وضعها وحدها دون مصاحبة، ولا تعبر عنه وحداتها بمفردها دون أصحاب لازمها في التركيب الدالّ عليها، وهو ترابط الألفاظ الدالة على معاني مخصوصة، ويسمى أيضاً بالمعنى التواردي، وتسمى

(١) لسان العرب: ابن منظور: مادة (ضم): ٣٥٧ / ١٢.

(٢) مختار الصحاح: الرازي: ١٦١.

(٣) لسانيات النص: محمد الخطابي: ٢٥.

في اللفظ التضام، لأنّها اجتماع لفظ بلفظ أو أكثر للدلالة على معنى من تضامّها<sup>(١)</sup>). ومن هذه التعريفات يتّضح لنا صور التضام، وهي: أولاًً التقابل والتضاد، ثانياً: علاقة الجزء بالجزء وعلاقة جزء بالكلّ.

### ال مقابل والتضاد:

يُعدَّ التقابل واصحًا في البنية الصوتية لخطاب الزهراء عليها السلام؛ إذ يخلق تصوّرًا مسبقاً لدى المتلقّي يتماثل مع ما يأتي لاحقًا، مما أكسبه سمة جمالية واضحة، (فكُلُّ نسق يقف مقابل نسق آخر تضاداً أو تشاكلاً ليتهي إلى التالُف والتكميل والتناغم في وحدة منسجمة في ظاهرة أسلوبية جمالية لا تنتهي إلى مفهوم الصدّية المحظمة، وإنّما يتّجسّد التضاد التقابل في نسيج متلائِم متواافق ما يتحقّق للنسق التقابل قدرة هائلة في التأثير والفعل في وحدة التناظر المعكوس، أو التالُف أو التناظر المتألُف المرتب بدقة<sup>(٢)</sup>). إنَّ مصطلح التقابل يكتسب صفة الشمولية والجمع بعدة أساليب بلاغية كالازدواج والتناظر والطابق والمُقابل، إلَّا أنَّ النسق التناظري يعدَّ من أبرز أبواب جماليات التقابل وأفضلها في التصوير الفني، وما ورد في خطاب الزهراء عليها السلام حاملاً هذا اللون الجمالي قوله في افتتاح خطبتها الفدكية: (الحمدُ لله عَلَى مَا أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَهْمَمَ، وَالثَّنَاءُ بِهَا قَدَّمَ، مِنْ عُمُومِ نِعَمِ ابْنَادِهَا،..، جَمَّ عَنِ الإِحْصَاءِ عَدُدُهَا،.. وَنَدَبَّهُمْ لِاستِزَادَتِهَا بِالشُّكْرِ لِإِنْصَافِهَا، وَاسْتَحْمَدَ إِلَى الْخَلَاقِ، ثُمَّ جَعَلَ الشَّوَّابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَوَضَعَ الْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيهِ، ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِيَاشَةً مِنْهُ إِلَى جَنَّتِهِ).

(١) تحليل النص: محمود عكاشه: ٣٥٢.

(٢) التقابل الجمالي في النص القرآني: ١٥٤.

وَأَشْهُدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتَارَهُ وَأَنْتَجَهُ... فَرَأَى الْأَمَمَ فِرَقًا فِي أَدْيَانِهَا، عُكَفًا عَلَى نِيرِهَا... فَأَنَارَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ظُلْمَهَا...، وَقَامَ فِي النَّاسِ بِالْهِدَايَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَوَایَةِ، وَبَصَرَهُمْ مِنَ الْعَمَایَةِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ<sup>(١)</sup>.

فقد ابتدأت الزهراء عليها السلام الخطبة بتشاكل تقابلی، بين طاقة صوتية عالية في نسق متوازن استطاعت من خلاله أنْ توصل الموضوع بطريقة هادئة، تشد المتكلمين وتحرك مشاعرهم وأذهانهم وتشعرهم بالجمالية. فالتشاكل في مفردات (الحمد، والشكر، والثناء) قد حركت جو الخطبة ودفعتهم لتأملها دلاليًا، فالحمد هو الثناء باللسان، ويعبر عن النعمة وغيرها؛ أمّا الشكر فهو فعل ينبيء عن تعظيم النعم سواءً أكان باللسان أم بغيره، فهما يجتمعان في الثناء باللسان، ويفترق الحمد عن الشكر بشموله النعمة وغيرها، في حين يفترق الشكر عن الحمد بمورده اللسان وغيره ولا يتعلق إلا بالنعمة<sup>(٢)</sup>.

وتتجلى جمالية الواقع في نص الخطبة عبر التضاد التقابلی في علاقات ثنائية، تبين روعة انتخاب الألفاظ التي تبين تناقض تماثل الألفاظ في كل وحدة لغوية في بنائها الصرفي والإيقاعي، في قوله عن بعض أبياتها رسول الله:

جَعَلَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ ← وَوَضَعَ الْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ

ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ ← وَحِيَاشَةً مِنْهُ إِلَى جَنَّتِهِ.

أَنَارَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ ← ظُلْمَهَا

قَامَ فِي النَّاسِ بِالْهِدَايَةِ ← أَنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَوَایَةِ، وَبَصَرَهُمْ مِنَ الْعَمَایَةِ

(١) الاحتجاج: ٢٥٦-٢٥٨.

(٢) ينظر: الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري: ١٣٩.

لقد حقق التضاد هنا بروزاً صوتيًا يعبر عن قصدية المنشىء وإرادته، وأنه الله أقام الشرع المبين ووضع الأمة على جادة الصواب واليقين، فنلمح التكاملية والتوافقية في عرض فكرة الضلال والهداية عبر هذا المقطع في مفردات كلّ وحدة لغوية؛ ففكرة الهدى تتمثل في مفردات (الهداية، والنور، والجنة)، وفكرة الضلال تتمثل في (العقاب، والنقم، والعماية، والغواية)؛ فالمقطع بمجمله قائم على فكرة التقابل الصدّي في هذين المفهومين. وقد أجادت الزهراء الله في عرضها بشكل يستجلب الأذهان ويأخذ بمجامع القلوب، وأضاف الحضور الإيقاعي في مجلل المقطع جرس موسيقي عبر النهايات في كلّ وحدة لغوية متوافقة صوتيًا وإيقاعيًا، عضدها بلاغة الاستعارة والكنایة التي كشفت عن الصورة والمعنى المطابق، فالهداية ممثلة بنور الإسلام والقرآن الكريم، والغواية والعماية صورة مستعارة لقلوبهم العمياء، وكناية عن ضلالهم وانحرافهم عن طريق الحق.

وقد تلجلأ الزهراء الله في بعض الحالات إلى أسلوب المقابلة في إظهار إنكارها لتعزيز موقفها في الأقوال والحجج التي استندوا إليها، كقولها الله مخاطبة أبا بكر: (يا ابنَ أبي قحافة! أفي كِتابِ اللهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ، وَلَا أَرِثَ أَبِي؟ «لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا»، أَفَعَلَ عَمْدًا تَرَكْتُمْ كِتابَ اللهِ، وَبَذَنْعُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ أَذْيَقُولُ: «وَوَرِثَ سُلَيْمانُ دَاؤَدْ».. وَزَعَمْتُمْ أَلَا حِظْوَةً لِي، وَلَا إِرْثَ مِنْ أَبِي وَلَا رَحْمَ بَيْنَنَا! أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْهَا أَبِي؟ أَمْ هَلْ تَقُولُونَ أَهْلُ مِلَّتِنِي لَا يَتَوَارَثُنِ، أَوْ لَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَأَبِنِ عَمِّي؟ فَدُونَكُها مُخْطُومَةٌ مَرْحُولَةٌ..

ثُمَّ رَمَتْ بِطَرْفِهَا نَحْوَ الْأَنْصَارِ فَقَالَتْ: يا مَعَاشِرَ الْفِتْيَةِ، وَأَعْضَادَ الْمِلَّةِ، وَأَنْصَارَ الْإِسْلَامِ!.. أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدُ الله؟! فَخَطَبْ جَلِيلُ اسْتَوَسَعَ وَهِيهُ، وَاسْتَنَهَرَ فَتْقُهُ، وَانْتَقَ رَتْقُهُ،.. فَلِكَ وَاللهِ التَّنَازْلَةُ الْكُبْرَى، وَالْمُصِيَّةُ الْعَظِيمُ، لَا مِثْلُهَا نَازِلَةٌ وَلَا باِئْقَةٌ عَاجِلَةٌ

أَعْلَنَّ بِهَا كِتَابُ اللَّهِ - جَلَّ شَاءُهُ - فِي أَفْنِيَتُكُمْ فِي مُمْسَاكُمْ وَمُصْبَحَكُمْ هَتَافًا وَصُرَاخًا وَتِلَاؤً وَإِلْحَانًا ..، فَأَنَّى جُرْثُمَ بَعْدَ الْبَيَانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلَانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الْإِقْدَامِ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الْإِيمَانِ؟ ..

أَلَا قَدْ أَرَى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْحَفْضِ، وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبُسْطِ وَالْقَبْضِ، وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعْةِ، وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضَّيْقِ بِالسَّعَةِ، ... فَدُونَكُمُوهَا فَاحْتَقِبُوهَا دَبَرَةَ الظَّهِيرَةِ، نَقْبَةَ الْحُنْفِ، باقِيَةَ الْعَارِ، مَوْسُومَةَ بِغَضْبِ اللَّهِ وَشَنَارِ الْأَبْدِ ..).

فقد اعتمدت الزهراء عليها السلام في المقابلة على أسلوب الاستفهام الذي احتل حيزاً كبيراً في نص الخطبة، وبدأت بالهمزة، لأنَّ المسؤول بالهمزة يأتي بعدها مباشرة، فخصصت الزهراء عليها السلام مورد الاستفهام وهو كتاب الله، ولتنكر عليهم إعراضهم عنه، فهي عليها السلام تستنكر تركهم الكتاب بقدر ما ركزت على حالة العمدية والقصد في ذلك الترك.

وهذه المقابلات تدلّ على الثقة التي تملأ نفس السائل. فلو كان هناك أدنى شك أو ريب في كلامه لرده عليه قائلاً جوابه على استفهام، ونلاحظها أنها تنتقل في أدوات الاستفهام في مقابلة تلك الوجوه إلى الأداة (هل) والتي يتطلب بها التصديق، أي إدراك وقوع نسبة تامة بين شيئين أو عدم وقوعه، فهي أرادت من المقابلة بالإيجاب والسلب، توظيف الأزواج المقابلة نحو (ترث أباك ولا أرث أبي) انسجام الخطاب، ومناداته إياه (بابن أبي قحافة) بالنسبة إلى أبيه، اتحاد مبدأ الإرث والوراثة بين جميع أصناف المجتمع، فإذا كنت ترث أباك بموجب كتاب الله، فإما هو المخصص والمقيّد لعموم هذا الحكم وإطلاقه، فقصدت بهذا الإطلاق توحيد حقيقة اتحاد مبدأ الابن والأب في التوجه وال موقف، فكان التقابل وسيلة من وسائل الترابط الشكلي والدلالي في النص <sup>(٢)</sup>.

(١) الاحتجاج: ٢٥٦-٢٥٧.

(٢) إشارات غراء من خطاب السيدة الزهراء: د. عبد الحسن علي: ٢١٣-٢١٤.

### علاقة الجزء بالكل:

يرد هذا النوع من التضامن في قول الزهراء عليها السلام لنساء المهاجرين والأنصار وهي توبخ رجاهن: (وَمَا نَقْمُوا مِنْ أَبِي حَسَنِ، نَقْمُوا وَاللَّهُ مِنْهُ نَكِيرٌ سَيِّفِهِ، وَشَدَّةٌ وَطَأْتِهِ وَنَكَالٌ وَقُعْتِهِ، وَنَنْمَرَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (...)).<sup>(١)</sup>

فـ(نكير سيفه، شدة وطأته، نkal وقعته، وتنمره في ذات الله) هي أجزاء من صفات الإمام علي عليه السلام وخصائصه، فقد جاءت الجملة الثانية مبيّنة عن الأولى، عندما يكون في الأولى خفاء في تأدية المعنى، فتأتي هذه الأجزاء لتظهره وتبيّن ما قصرت عنه في الأولى، فهي إيضاح لإيجابها وتقرير وبرهان، وإظهار علة نقمتهم عليه.

ومنه خطبتها عليها السلام في خطبتها الفدكية: (فَهَمْهَاتِ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتَابُ اللَّهِ يَبْيَنُ أَظْهُرَكُمْ، أُمُورُهُ ظَاهِرَةٌ، وَأَحْكَامُهُ زَاهِرَةٌ، وَأَعْلَامُهُ بَاهِرَةٌ، وَرَوَاجِرُهُ لَاهِحةٌ، وَأَوْاْمِرُهُ وَاضِحَّةٌ، قَدْ خَلَقْتُمُوهُ وَرَأَيْتُهُ كُمْ، أَرَغَبَةَ عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ).<sup>(٢)</sup>.

فقد أوردت السيدة الزهراء عليها السلام ما يتضمنه الكتاب العزيز من (أُموره، وأحكامه، وأعلامه، ورواجره، وأوامره)، في سياق إنكاره أجبت عنه، رغبة منها في تأكيد مضمون الجواب، وأن لا تدع شبهة تحالج المتلقى وتسرى إلى ذهنه. لقد ورد الاستفهام بالأدوات (كيف، آنئي، الهمزة) يُسأل بها عن الأشياء، وعن الوصف ويطالع بها كذلك شرح الماهية. ويظهر أنَّ السؤال هنا طابع التأكيد، بذكر هذه الأدوات معاً على الخبر قبل إكمال الجملة، لتهيئة أذهان المتلقين لتجيب عليها السلام (أَرَغَبَةَ عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ) فتبنيه وتشدّد أسماعهم. وهنا تتضح دائرة الدلالة عند المتلقى فترتبط بين السياق السابق واللاحق، فضلاً عن التماسك المتحقق عن التضامن مما أدى إلى اتحاد بنية النص.

(١) الاحتجاج: ١ / ٢٧٢.

(٢) الاحتجاج: ١ / ٢٥٦.

## الخاتمة

يتميز الأتساق المعجمي عن غيره بخاصية الانفتاح والتنوع والاتساع؛ إذ يتتجاوز حدود التعامل مع تلك المجموعة المحدودة من العناصر والوحدات اللغوية، متوجزاً ذلك إلى كل المعجم الذي يكون قابلاً للاستعمال.

امتازت خطب الزهراء عليها السلام بتوظيف آلية التكرار بأشكاله المتنوعة، من خلال شبكة من الألفاظ والأنماط المبثوثة في ثنيا الخطب.

أثبت البحث أنَّ التكرار بالترادف وسيلة استبدالية ناجحة في نفي الملل والرتبة عن النصّ، كما أنها طريقة لشراء النصّ وزيادة خصوبته وضمان استمرارية.

لم يرد التكرار في نص الخطاب الفاطمي عفوياً، بل كان متعمداً تأكيداً لفكرته، ولبناء نصّ متماسك يظهر القدرة على التمرّد على الظلم ورفضه للواقع الذي يعيشه.

ظهر أنَّ المقارنات اللفظية أثرت النصّ وساهمت في تلامح العلاقات الدلالية بين الألفاظ، والتي مثلت آليات فاعلة في تحقيق الترابط في الوحدات النصي داخل الإطار العام في الخطب.

أسهم التضامن بأنواعه أيضاً في اتساق نص الخطب، فكان للتضاد وعلاقة الجزء بالكلّ الأثر الواضح في ربط أجزاء النصّ.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

١. الاتساق النصي - أسسه وآلياته: سهام تربش، جامعة أبي بكر بالقайд، تلمسان، الملحقة الجامعية مغنية.
٢. الاحتجاج: أبو منصور أحمد ابن علي ابن أبي طالب الطبرسي ت (٥٦٠ هـ)، تحقيق: إبراهيم البهادري، محمد هادي به، إشراف جعفر السبحاني، دار الأسوة للطباعة والنشر، قم، ط ٤، ١٤٢٤ هـ.
٣. إشارات غراء من خطب السيدة الزهراء عليها السلام: دراسة في ضوء منهج التحليل اللغوي: د. عبد الحسن علي حبيب الناصر، مركز عين للدراسات والبحوث، ط ١، ٢٠١٨ م.
٤. بحار الأنوار للدرر أخبار الأئمة الأطهار: الشيخ محمد باقر المجلسي، منشورات مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي، ط ١، ١٣٦٥ هـ.
٥. البديع بين البلاغة العربية واللسانات النصية: جمیل عبد المجید، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٨ م.
٦. تاج العروس من جواهر القاموس: السيد محمد مرتضى الزبيدي ت (١٢٠٥ هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط ١، ١٩٨٨ م.
٧. تحليل النص (دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي): محمود عكاشه، مطبعة الرشد، ط ١، ٢٠١٤ م.

٨. تحليل النص الشعري (بنية القصيدة): يوري لومان، ترجمة وتقديم وتعليق د. محمد فتوح أحمد، دار المعارف - القاهرة، ١٩٩٤ م.
٩. الترابط النصي بين الشعر والثرثرة: زاهر مرهون الداودي، ط١، دار جرير، عمان، ٢٠١٠.
١٠. التقابل الجمالي في النص القرآني: د. حسين جمعة، دار المنير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٥ م.
١١. التكرار في شعر محمود درويش: فهد ثامر عاشور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤ م.
١٢. التكرار بين المثير والتأثير: د. عز الدين علي السيد، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٦ م.
١٣. الصوت اللغوي ودلائله في القرآن الكريم، د. محمد فريد عبد الله، دار ومطبعة الهلال، بيروت، ط١، ٢٠٠٨ م.
١٤. علم الأصوات: برتيل كالبرج، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، د. ط، ١٩٨٥.
١٥. علم الأصوات: د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، د. ت. - علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة: محمود فهمي حجازي، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٥ م.
١٦. علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات: سعيد حسن بحيري، ط١، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٧ م.

١٧. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، م. ٢٠٠٠.
١٨. الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم: د. محمد بن عبد الرحمن بن صالح، مكتبة العيدان، الرياض، ط ١، ١٩٩٣م.
١٩. كشف الغمة في معرفة الأئمة: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦١٣هـ)، دار الأضواء، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٨٥م.
٢٠. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (٧١١هـ)، دار صادر - بيروت.
٢١. لسانيات النص - مدخل إلى انسجام الخطاب: دكتور محمد الخطابي، ط ١، المركز الثقافي العربي المغرب، ١٩٩١م.
٢٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبو الفتح ضياء الدين نصر الله ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، د.ط، ١٩٩٥م.
٢٣. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة، لبنان - بيروت، ١٩٨٦م.
٢٤. معجم العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلالي. د.ت.
٢٥. المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية، دار التحرير للطباعة والنشر، مصر، ١٩٨٩م.

٢٦. المفاهيم - معالم نحو تاويل واقعي: محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، والدار البيضاء، المغرب، ١٩٧١ م.
٢٧. مناقب آل أبي طالب: محمد علي ابن شهر اشوب ت (٥٨٨ هـ)، قام بطبعه محمد كاظم الكتبى، المطبعة الحيدرية، نحف، ١٩٥٦ م.
٢٨. نظرية علم النص - رؤية منهجية في بناء النص الشري: د. إحسان أحمد فرج، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٧ م.
٢٩. نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي): دكتور أحمد عفيفي، ط١، مكتبة الزهراء - الشرق القاهرة، ٢٠٠١ م.

### الرسائل والأطاريق:

٣٠. إبلاغية الخطاب القرآني من منظور لسانيات النص - دراسة في سورة البقرة، أطروحة دكتوراه، عبد الكريم حقه، جامعة محمد خضر، كلية الآداب واللغات، بسكرة، ٢٠١٦ م.

٣١. دراسة لغوية لصور التهاسك النصي في لغتي الجاحظ والزيّات، د. مصطفى صلاح قطب، أطروحة الدكتوراه، كلية دار العلوم، ١٩٩٦ م.

### البحث

٣٢. الآتساق في الخطاب الشعري من شمولية النصية إلى خصوصية التجربة الشعرية: إبراهيم بشار، مجلة المخبر، جامعة العربي بن مهيدى، أم البوادي ع٦، ٢٠١٠ م.

٣٣. التكرار في التماسك النصي مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقال الدكتور خالد المنيف:  
دكتورة نوال بنت إبراهيم الخلوة، كلية الآداب - جامعة الأميرة نوره بنت عبد الرحمن،  
الرياض، ع ٢٠١٢، ٨.
٣٤. من أنواع التماسك النصي (التكرار، العطف، الصمير): أ.د. مراد حميد عبد الله، مجلة  
ذى قار، العدد الخاص، مج ٥، حزيران، ٢٠١٠ م.



ثقافة الحوار وفاعليته في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

(الحوار مع الخوارج أنموذجاً)

الباحث

أ.د. حيدر عبد الحسين زوين

جامعة الكوفة - كلية الآداب - قسم اللغة العربية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

لقد أكّد الإمام علي عليه السلام ثقافة الحوار وتأثيراته من خلال خطبه وسيرته الوضاءة، ومحاوراته ورسائله المتعددة لإقناع الخارج، وتعريفهم الحق ودفع الشبهات والدفاع عنه، والرد على مواطن الاتهام من خلال إجراء حوارات للوصول إلى الحقيقة، وإنّ الحوار يساعد على انتقال المفاهيم والمعلومات لغايات يحاول الإنسان الوصول إليها عن طريق أساليب منسجمة وطرق مختلفة، وهذا الأمر بحاجة إلى دراسات معمقة.

إنّ عملية الحوار عند الإمام عليه السلام تعني التواصيل الكلامي، وتحقيق العديد من الأهداف والحصول على المعرفة، وإظهار ما يضمره الوجدان، والفهم المتبادل والإدراك، والتعرف الأكثر على الشخص المحاور. وقد عد الإمام عليه السلام هذه مزية - أي التعارف والتفاهم المتبادل، وقد طالب عليه أصحابه أن يعرّفوا أنفسهم من خلال الحوار والكلام فقال:

(تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ مَجْبُوعٌ حَتَّىٰ لِسَانِهِ) (١).

لقد تشكّل هذا البحث من مباحثين سُبقاً بتمهيد اشتمل التمهيد على دراسة: مفهوم الحوار وأهميته ومواضعاته، وال الحوار في القرآن الكريم؛ فيما درس المبحث الأول ميزات ثقافة الحوار لدى الإمام علي عليه السلام، وكشف المبحث الثاني عن طرق ثقافة الحوار مع الخارج لدى الإمام علي عليه السلام. وقد استعمل الباحث المنهج الوصفي التحليلي من أجل إنجاز هذا البحث. وقد استعان بجمع من مصادر: (اللغة، والأدب والتاريخ، والعقائد، والدين).

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٣٩٢

**التمهيد:****أولاً: مفهوم الحوار وأهميته وموضوعاته وأنواعه**

مفهوم الحوار: يشير التعريف اللغوي للجذر «حَوَر» إلى دلالاتٍ عدّة، منها:

الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وهي دلالة تقترب من دلالة لفظة «حوار» التي تدلّ على: التحادث والتجاوب القولي، فالمحاورة: المعاوحة، واستعجاره وتعني: استنطقه<sup>(١)</sup> والمحاورة: حسن الحوار، ومنها أيضاً: كَلَمْتُهُ فِيمَا رَدَّ عَلَى مُحَوْرٍ (أي الكلام)<sup>(٢)</sup>.

فهي تعطي في طياتها دلالة خلقية تتعلق بكيفية الحوار وأدبه، وهذا صحيح، فالحوار يستلزم طرفين أو أكثر، ولا يتم إلا في جو أدبي يتاح السمع والقول بين المتحاورين. وتتسع دلالة الحوار معجّماً فتكون بمعنى: جادلته<sup>(٣)</sup>، والجدال يعني فرصة للقول والمراجعة بين المتحاورين.

ومن هنا، فإن دلالة الجذر اللغوي «حور» بمعنى الرجوع، تتفق كثيراً مع دلالة الحوار، وإن كانت الأولى أعمّ وأشمل للأشياء والبشر. أما الثانية؛ فهي تقتصر على الحوار بين البشر غالباً، فالرجوع عن الشيء وإلى الشيء، يدخل من ضمن معطيات الحوار. فالحوار يعني الفرصة لتعديل الرأي والرجوع عن مواقف وأمور، وهذا ما أشارت إليه المعاجم اللغوية فـ«حَوْرُ الْكَلَامِ أَيْ غَيْرُهُ»<sup>(٤)</sup> والتغيير يكون تبعاً لمستجدات في العقل أو الحياة أو الأشياء؛ وهذا يعني الرجوع أيضاً.

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج ١ / ص ٧٥٠

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، ص ٩٨.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج ١ / ص ٢١٢.

(٤) المعجم الوسيط، ٢١٢.

والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام<sup>(١)</sup>.

ما أحار جواباً أي ما راجع<sup>(٢)</sup> وكذلك: (تحاوروا تراجعوا الكلام بينهم)<sup>(٣)</sup>.

ومن معاني الجذر اللغوي «حور» ما يفيد الحيرة من «حار» بدلاً لـ«لم يهتد لسبيله»، فهو حيران وحائر وهي حيرة<sup>(٤)</sup> فهو يعطي دلالة مناقضة، فليس كل حوار يأتي بالجديد، فقد يزيد الماء ضلاماً.

## ب: أهمية الحوار

والحوارحقيقة مجتمعية إنسانية؟ فأينما وجد المجتمع البشري، وجد الحوار، لأن اللغة قاسم مشترك بين البشر، ومن وظائف اللغة التعبير عن حاجات الإنسان البسيطة المتصلة بحاجاته الإنسانية من طعام وشراب وغيرهما، أو في المستويات العليا من النقاش الفكري والديني والاجتماعي. فالحوار: (حديث يدور بين اثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات... ويفترض فيه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس)<sup>(٥)</sup>. ومن هنا، انتقل الحوار إلى ما يتوجه العقل البشري من آداب وحكمة ونصوص<sup>(٦)</sup>، ذلك لأنّ الأدب

(١) ينظر: لسان العرب، مصدر سابق، ج ١ / ٧٥٠، يقول محمد فريد وجدي: تحاور الناس: تراجعوا الكلام وتداولوه، دائرة معارف القرن العشرين، مجل ٣ / ٦٤٧.  
(٢) أساس البلاغة، ص ٩٨.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط، ٢١٢.

(٤) القاموس المحيط: الفيروز أبادي، ٤٨٨.

(٥) المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ١٠٠.

(٦) يمكن أن يكون الحوار بين الأديب (منشئ النص) ونفسه، أو من ينزله مقام نفسه مثل ملهمه أو شخصية خيالية، وعموما فإنّ الحوار أسلوب طاغ وشائع في المسرحيات والروايات وغيرها. المرجع

السابق، ص ١٠٠.

صورة، وأثر بشكل مباشر أو غير مباشر من النشاط الإنساني العقلي واللغوي والاجتماعي، ويقاد يكون الحوار قاسماً مشتركاً بين سائر الأشكال الأدبية مثل: (المسرحية، والقصة، والرواية، والمناظرة، والمناصحة والحكمة، والعظة)؛ فضلاً عن ذلك، فإنَّ الحوار يدخل في باب الشعر بوصفه فناً أدبياً بشكل واسع وكبير؛ فهناك كثير من القصائد التي تشمل الشكل القصصي الحواري، وهناك حوار شعري يكون بين الشعراء أنفسهم.

والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة؛ أما الجدل: فقال عنه ابن فارس: (الجيم وال DAL و ALAM أصل واحد، وهو من باب استحکام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة، ومراجعة الكلام<sup>(١)</sup>).

فهو إذن: مراجعة للكلام بين طرفين أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة؛ أما الجدل: فيعني: (إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافى بالعبارة أو ما يقوم مقامهما من الإشارة والدلالة)<sup>(٢)</sup>. ويفرق العلماء بين الحوار والجدل؛ فالجدل مذنة التعصب والإصرار على نصرة الرأي بالحق وبالباطل والتعسف في إيراد الشبه والظنون حول الحق فإذا بُرِزَ من الاتجاه الآخر. وتوجد ألفاظ قريبة من الحوار والجدال منها: المحاجة والمناظرة والمناقشة والباحثة<sup>(٣)</sup>.

#### ت. موضوعات الحوار وأنواعه:

من خلال ما تقدم يتضح أنَّ الحوار يستعرض معظم جوانب الحياة، ويطرق إلى موضوعات مختلفة سواء أكانت: (دينية أم أخلاقية أم اجتماعية، أم سياسية، أم اقتصادية،

(١) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، (١ / ٤٣٣).

(٢) الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه، أحمد بن سيف الدين تركستاني، ٩.

(٣) المصدر نفسه، ٩.

أم فلسفيةً، كما تبيّن أنَّ الحوارات تأخذ أشكالاً ونماذج وأساليب متعددة؛ فأحياناً تكون مشافهة، وأحياناً أخرى تكون مراسلة عن طريق تأليف كتاب أو الرد عليه، وقد تكون تلك الحوارات طويلة أو قصيرة بحسب الموضوع الذي يبحث أو المسألة التي تعالج وتناقش من خلاله. ومن هنا، فقد تعددت أشكال الحوار، وتبينت عناصره، واختلفت أنواعه وأساليبه، تبعاً للموضوع المطروح على بساط البحث، فهناك حوار داخلي يفترض فيه المحاور طرفا آخر من ذاته، وهناك حوار خارجي يبرز فيه الطرف ( الآخر) من خلال المشاركة في الطرح والمعالجة والتدليل<sup>(١)</sup>.

وهنالك تداخل كبير بين أنواع الحوار وأساليبه، فهناك من يقسمه على أساس الشكل، وهناك من يقسمه على أساس المضمون، ومنهم من يقسمه بلحاظ الأشخاص المشاركين فيه؛ وبهذا تعددت أنواع الحوار وكثرة أشكاله، إذ لا يوجد إطار محدد لتلك الأنواع، ولا تتوافر صياغة منهجية وموضوعية لأساليبه وصيغه وأشكاله. ومن خلال هذه المعطيات، يمكن تقسيم الحوار تقسيماً أولياً على نوعين:

**النوع الأول: الحوار مع الذات.**

**النوع الثاني: الحوار مع ( الآخر)<sup>(٢)</sup>.**

**ثانياً: الحوار في القرآن الكريم**

**ماهية الحوار في القرآن الكريم**

تُعدُّ قضية الحوار في القرآن من أبرز القضايا التي شَكَّلت مَعْلِماً بارزاً فيه. وهنا يبين الباحث الحوار في القرآن الكريم، لأنَّ القرآن الذي صنع هذه الأمة حتى تسمَّت به وعرفَت

(١) ينظر: الحوار (الذات والآخر): عبد الستار الشمرى الميتى . ٩٧

(٢) ينظر: المصدر نفسه، . ٩٧

بين الناس بأئمّتها أمة القرآن، أن الاستنباط من القرآن الكريم لم يُعد بالشكل الذي كان عليه من قبل! فإذا كانت الأمة في عصورها السالفة جعلت القرآن منطلقها وغايتها ومحور اهتمامها، منه تنطلق وإليه تعود، به تقيس، وعلى ضوئه تحاكم وتزن ما تعرف عليه من ثقافات الشعوب والحضارات.

### **بـ: موارد حضور الحوار في القرآن الكريم**

لم تَرِد كَلْمَة (حوار) في القرآن الكريم إلَّا في آيات ثلَاث، جاءت اثنتان منها في سورة الكهف في معرض الحديث عن قصَّة صاحب الْجَتَنِ وحواره مع صاحبه الذي لا يملِك مالاً كثِيرًا، فَقَالَ تَعَالَى عَنْهُمَا فِي الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثُرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾<sup>(١)</sup>، وَقَالَ تَعَالَى عَنْهُمَا فِي السُّورَةِ نَفْسَهُمَا: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾<sup>(٢)</sup>. أمَّا الآية الثالثة التي وردت فيها كَلْمَة (حوار) فهي من سورة المجادلة، في قولِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

إلَّا أَنَّ الْحَوَارَ بِوْصِفَهِ وَسِيلَةً تواصِلِيَّةً أوسعَ مِنْ حَضُورِهِ فِي هَذِهِ الْكَلْمَةِ، فَقَدْ جَاءَ التَّعبِيرُ عَنْهُ بِمَفَرَّدَاتِ مِرَادِفَةٍ، مِنْ أَهْمَّهَا (الْجَدْلُ) الَّتِي وَرَدَتْ فِي تِسْعَةِ وَعِشْرِينَ مَوْضِعًا، مِنْهَا:

١- ﴿وَلَا تُجَادِلُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ حَوَانًا أَثْيَمًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الكهف، الآية ٣٤.

(٢) سورة الكهف، الآية ٣٧.

(٣) سورة المجادلة، الآية ١.

(٤) سورة النساء، الآية ١٠٧.

٢- ﴿ هَا أَنْتُمْ هُوَلَاءِ جَادَلُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾<sup>(١)</sup>.

٣- ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلَنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقَرَأَ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

٤- ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوْحُونَ إِلَى أُولَئِكَهُمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطْعَمُوهُمْ إِنَّهُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

٥- ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَيَّتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَإِنَّظِرُوْنَا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

ثم إنّ الحوار في القرآن لا يمكن حصر مساحته في الآيات التي تتضمن مادة (حوار أو جدل) أو ما في حكمهما؛ بل تُعدّ جميع المواد الحوارية الواردة في القرآن الكريم شواهد على ذلك؛ من ذلك -مثلاً- قوله تعالى لموسى: ﴿ ادْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾<sup>(٥)</sup>، فقد أورد ابن كثير آراء عديدة في بيان المراد بالقول الذين ثم لخص ذلك بقوله: (والحاصل من أقوالهم أنّ دعوتها له تكون بكلامٍ رقيقٍ ليّن سهل رفيق؛ ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع)<sup>(٦)</sup>، كما قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ

(١) سورة النساء، الآية ١٠٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٢٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية ١٢١.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٧١.

(٥) سورة طه، الآيات: ٤٣، ٤٤.

(٦) تفسير ابن كثير، ٣ / ١٦١.

وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ وَجَادِلُهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ<sup>(١)</sup> فانظر كيف جعل قوله تعالى: ﴿فَقُولًا لَهُ قَوْلًا لِيَنَا﴾ شبيهًا بقوله تعالى: ﴿اَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ الآية.

---

(١) (سورة النحل، الآية ١٢٥).

## المبحث الثاني

### مميزات ثقافة الحوار لدى الإمام علي عليه السلام

لقد رسمت السنة النبوية الشريفة الطريق السليم لاجتياز العقبات التي يصادفها الفرد في هذا المجتمع إذ اعتمد الرسول الأكرم في ذلك على ثقافة حوار شفاف وهادف، لا يثير الشك ويتميز بالعمق والجدية، ويمثل ذلك قوله ص: (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) <sup>(١)</sup>. وفي هذا الحديث من الفقه الذي يتمثل في فضل الحوار الساكن، وفيه دليل على أنّ الحوار يجب أن يمتاز بكتمان الغيظ، وأنّ العاقل من ملك نفسه عند الغضب، لأنّ العقل في اللغة ضبط الشيء وحبسه <sup>(٢)</sup>.

وقد تميزت ثقافة الحوار لدى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بمجموعة من المزايا وهي:

إنّ ثقافة الحوار عند الإمام علي عليه السلام الذي علمه لأصحابه، هو أن يتكلم الإنسان بما يرضي رب العزة، ويعده عن سخطه وغضبه.

وأن تتكلّم في لب ولا تتكلّم فيما لا يعنيك، لأنّه سيسبب لك المشاكل والمتابع.

وأن لا تتكلّم كثيراً؛ لأنّ الكلام الكثير يظهر عيوبك ويكثر من أعدائك.

وأن تجعل كلامك حسناً تراعي فيه الإيمان بالله والقواعد والنظام وإلا فالسلكوت أفضل، قال رسول الله ص: (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيراً أو ليسكت) <sup>(٣)</sup>.

(١) ميزان الحكمة: محمد الريشهري، ٢٢٦٢ / ٣.

(٢) العين ١ / ١٥٩ - ١٦٠ ، ومعجم مقاييس اللغة ٤ / ٦٩ - ٧٠ ، والصحاح ٥ / ١٧٦٩ - ١٧٧١ .

(٣) مكارم الأخلاق: رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، ١٣٥ .

ومن ثقافات الحوار عند الإمام علي عليه السلام: أن تجيب على قدر السؤال، إذا تكلمت بكلام يجحب أن تتحققه بفعله. فيكون كلام الإنسان بالحق لأنّه فيه رضا الخالق، والعلم أفضل من السكوت.

وأن تتكلّم بقدر قناعة السائل، وأن لا تتجاوز فيه على كرامة أي إنسان تحاوره.

وأن تمدح بالسمو ولا تسرف بالذم وتكثر في الكلام حتى لا تزيد الأخطاء لديك. فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (من كثرة كلامه كثرة خطأه، ومن كثرة خطأه قل حياؤه، ومن قل حياؤه: قل ورعيه، ومن قل ورعيه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار).<sup>(١)</sup>

إن ثقافة الحوار في كلام أمير المؤمنين عليه السلام وحكمه ومواعظه ومنظراته، كانت تمثل العقل المفتح وغير المغلق على مفاهيم الإسلام. وكان يتحاور ويتعامل مع النصوص بطريقة حرفية، ولا يحاول أن يفهم المقابل روح النصوص الدينية وأفاقها الواسعة التي تتحرّك فيه. ومن يقرأ نهج البلاغة يرى كيف أنه عالج مشاكل الناس، وكيف علمهم أدب الحوار، لغرض فتح عقولهم، ومناقشتهم ليجذبهم إليه. لكن بعض أصحابه استحكّمت في عقولهم فكرة طوباوية، إذ لم يفسّروا المجال لأي نافذة تنفتح على الحقيقة في عملية الحوار. لقد كان الإمام يعلم أنّ الخوارج فهموا القرآن على أنه مجرد كلمات وأحرف، ولم يدركوا صلة القرآن بالسنة وصلته بالأئمة؛ فكان لا بد من توضيح هذه الحقيقة لهم: قال أمير المؤمنين: (هذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان، ولا بد له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرجال).<sup>(٢)</sup>

(١) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الحر العاملي محمد بن الحسن، ١٢ / ١٨٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة: أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحميد المدائني ج ٨ / ١٠٣ .

إن ثقافة الحوار عند الإمام علي عليه السلام دفعت كثيراً من المخالفين إلى الرجوع إلى إيمانهم، لأن الإمام كان يسلك سبيل القرآن في حواره، فضلاً عن الوسائل الجدلية والخطابية والبرهانية. والإمام علي عليه السلام هو رجل الحوار المتكافئ القائم على إرادة الفهم، والتعاريش السلمي والإيمان بالآخر، بعيداً عن الكراهية بمختلف أنواعها. وكانت حواراته كلها دروس وعبر، توضح الطريق الذي حادوا عنه. وإن حواراته ليست لذاتها، كما هو الشأن في الحوار اليوم، وإنما المراد هو الوصول إلى المشتركات بين المتحاورين، لتأسيس لتفاهم أكبر، وال الحوار كما هو معلوم هو الحديث بين فريقين أو شخصين، يتداولاً في الكلام بينهما بطريقة مبنية على الاحترام المتكافئ، فلا يستأثر أحدهما من دون الآخر ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب، وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه<sup>(١)</sup>.

إن المعروف عن الإمام علي عليه السلام أنه يمتلك ثقافة الحوار، وسعة الصدر، وأن مخالفيه قد استمعوا له بأريحية ورحابة صدر، وقال لهم: أي حكمٍ تريدون وحسب اجتهادكم الشّخصيّ، قالوا: الرّجوع إلى كتاب الله، فوضع كتاب الله بين أيديهم، وقال: فنحن لم نحّكم الرجال، وإنما حّكمنا القرآن، ومن هنا يبيّن الإمام علي عليه السلام المدف من الحوار الذي أرادوه ومن خلال سيرته ومحاوراته الحائزية، وخبراته المتعددة مع الناس، ومن خلال الكتب والرسائل التي أرسلها الحكام المختلفون، وعمالة، معرفة الحق وأهمية الدفاع عنه، والرد على مواطن الاتهام، ودفع الشبهات، وحاول إجراء حوار يمكنه من خلاله إخراج العقد المتراءكة وإيجاد الحلول المناسبة. وقد طالب أصحابه أن يعرفوا أنفسهم من خلال الكلام وال الحوار فيقول: ﴿تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: يحيى زمزمي .٢٢

(٢) نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، شرح محمد عبده، الحكمة ٣٩٢ / ١٤٨

لقد قال الإمام علي عليه السلام في إحدى حواراته لأصحابه، لقد جعلت بيني وبينهم أجلاً في الحوار، ليتبين الجاهل ويثبت العالم، نعطي الجاهل وقتاً لفهم الحقيقة، وللعالم فرصة لتدقيق الأمور ليثبت من ذلك وقال: (ولعل الله أن يصلح في هذه المدنة أمر هذه الأمة)، وكأنه يقول لهم: (أنا لم أخض الحرب جنباً بالحرب، وإنما خضتها من أجل إصلاح أمر المسلمين، ولأجل أن أمars ضغطاً على هؤلاء المنحرفين، لعلهم يرجعون إلى خط الاستقامة) <sup>(١)</sup>.

كان الإمام علي عليه السلام يدرك أن هناك فرصة للصلح في أي عملية حوارية، فإنه يريد أن يأخذ بهذه الفرصة ولا يريد إكظامها، فتعجل عن تبيين الحق. وكان يريد إعطاء الأمة فرصة حتى تهتدي إلى طريق الصواب، وأن ترتدع الأمة عن الغيّ، وكان يعرف أن أفضل الناس من كان يعمل بالحق، وأن الإنسان الذي يتلزم الحق فكرًا ومنهجًا، وفي قلبه هو المتصر. وكان الإمام بحواره هذا يريد طرح قاعدة عامةً هو من الأقرب والأفضل عند الله، وكان يعرف أن الحق يوجب خسارةً ويجلب له المشاكل، وهو الذي سلك طريق الحق بخطى ثابتة؛ ولم يخش عبوره ولم يستوحش منه، وهو القائل عليه السلام: (لا تستوحو شواطئ الحق لقلة سالكيه) <sup>(٢)</sup>.

إن الغرض من ثقافة الحوار لدى الإمام علي عليه السلام يتمحض في العوامل التي تسهم في توفير الراحة والأمن النفسي، وتؤدي إلى احترام: (العقائد، والسنن، والأعراف السليمة) لدى عامة الناس؛ بعيداً عن ممارسة الشرور. وإن الاستدلال بحوادث الماضي يجعل من الحوار أكثر تأثيراً، وواقعية، ويسهم في التوصل إلى النتائج. ويقول الإمام علي عليه السلام في هذا الصدد: (استدل على ما لم يكن بما كان فإن الأمور أشباه) <sup>(٣)</sup>.

(١) علي ميزان الحق: محمد حسين فضل الله، ١٧٨.

(٢) جامع أحاديث الشيعة: السيد آية الله البروجردي، ج ١٤ / ٤٠٥.

(٣) السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البهقي، ج ١ / ١١٧.

## المبحث الثاني

### ثقافة الحوار مع الخارج عند الإمام علي عليه السلام

أولاًً: الخارج مفهوم عام. الخارج هم فئة تمردت على الإمام علي عليه السلام بعد معركة النهر وان عام ٣٨هـ، ووقفت في وجهه وحاربته؛ لكنّ الإمام لم يبدأهم بحرب، حتى دعاهم بأدب إلى الحجّة والبرهان، فناذرهم من خلال المنطق السليم والحجّة الدامغة؛ لكنّهم أصرّوا على الطغيان والعمى، ثمّ تقدّم الإمام، وذكّرهم نهيه عن قبول التحكيم وإصرارهم عليه، حتى لم يبق لهم حجّة، حتى رجع أكثرهم وتاب<sup>(١)</sup>.

لقد حاول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إقناع الآخرين من خلال حل مشاكلهم معه، ومن خلال محاولاته الدخول معهم بحوارات علمية جادة ونافعة، علّه يستطيع أن يقنعهم ويفتح عقولهم، لكنّ أكثر من حاورهم من الذين أعمى الحقد قلوبهم، وقد استحكمت في عقولهم فكرة العناد وال الحرب والتزمت، ولم يفسحوا المجال لأيّ بريق أمل، أو نافذة تنفتح على عملية الحوار الحقيقي، لكن مع هذا كله تعاطى الإمام علي عليه السلام بالشفافية، واستعمل اللين في مواجهة عقولهم المغلقة، وقال إنّي أعرف هؤلاء القوم جيداً، هم ليسوا أهل القرآن، ولكنّ بعضًا من المسلمين لا يمتلك عمق الفكر، ومعرفة عوائق الأمور، وقد ضغطوا عليه وهدّدوه بالقتل إذا لم يستجب للتحكيم، إلا أنّ التحكيم لم ينجح في حل المشكلة؛ انقسم أصحاب الإمام على قسمين، والخارج هم الذين كفروا الإمام، وكان شعارهم (لا حكم إلا لله). لقد حاول الإمام أن يحاورهم للتوصل إلى أهدافه الخاصة، ومن أجل تحقيق نتائج طيبة، والتوصل إلى ظاهرة غير هادفة هي السلام؛ لكنّ الغاية والمدف من الحوار، هو

(١) الكامل في التاريخ: ٣ / ٣٤٣، و تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٩١ - ١٩٣ ، والبداية والنهاية: ٧ / ٣١٩ -

أن يساعدهم على تصحيح مسارها، وبرز عند الإمام هنا الحوار الذاتي تارةً وال الحوار المشترك تارةً أخرى<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: أهداف الإمام علي عليه السلام من الحوار مع الخوارج

لقد كان هدف حوار الإمام علي عليه السلام مع الخوارج: هو إيجاد حلّ إيجابي يرضي الطرفين، والاطلاع على وجهات النظر المتباعدة، لاستقراء الأهواء ومعرفة الرؤى المتنوعة، والتصورات المتاحة للوصول إلى نتائج إيجابية. ولهذا يجب أن يكون الحوار مؤدياً إلى الهدف المطلوب الذي يسعى إلى تحقيقه، وأن يكون الحوار بعيداً عن ظاهرتي: (السفسطة، والجدل البيزنطي العقيم) الذي لا يسمن، وأن يكون جدواهياً، وأن هنالك فائدةً من ورائه، ومن ثم فإنه من المتعين وضع الهدف من التفاوض وتوضيحه، ووضع برنامج زمني لتحقيقه، بل وتحديد اتجاهاته المعينة<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: ظروف الحوار مع الخوارج

لقد شهد التاريخ الإسلامي تطبيقاً عملياً لثقافة الحوار مع الخوارج في زمن الإمام علي عليه السلام، إذ توّلّ الخلافة في حقبة فتن حرجية، شهدت صراعات اتسعت فيها الخلافات، وانتشر العنف الديني، وكثرت الأهواء، والأراء المذهبية على يد الخوارج، وكثراً خارجون على قوانين الخلافة وأنظمتها. فلما توّلّ الإمام علي عليه السلام الخلافة، دعا أصحاب الفرق والأراء الفكرية إلى حوارات هادفة، وخصوصاً بعد معرفته بالخوارج واطلاعه عليهم وناقشهم وفاتشهم في تكفيرهم لل المسلمين بالمعاصي<sup>(٣)</sup>.

(١) الحوار في القرآن - قواعده، أساليبه، معطياته: السيد محمد حسين فضل الله، ١٦.

(٢) الحوار أصوله المنهجية وأدابه السلوكية: أحمد الصويان، ٦٦.

(٣) جمارة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفت، ٢١٤.

لقد كان الإمام يعرف أنّ البيئة الإسلامية الصحيحة هي التي يتوافر فيها الأمان، والسلم المدني، وهي البيئة الملائمة التي تنشر الإسلام المحمدي والدعوة إلى دين الله وقيمه العظيمة. أما البيئة التي تنتشر فيها الخلافات اللاجدوائية، والاضطرابات الأمنية، والغوضى، والاحتراب بين الفئات المجتمعية، يفقد فيها الأمن، فهي بيئه غير مهيئة للحوار. وكان الإمام له أسوة حسنة بسيرة رسول الإنسانية محمد ﷺ، وهي خير شاهد على بناء السلم المدني، ألا وهو صلح الحديبية عام ٧ هجرية. فعل الرغم من أنّ شروطه كانت قاسية بعض الشيء على المسلمين، إلّا أنّ الصلح سماه الله تعالى: ﴿فَتَحَّا وَمِبِّنًا﴾<sup>(١)</sup>، والذي وفر فسحة إيجابية، والذي ركز فيه الرسول ﷺ على نشر الدين الحقّ، وتتوافر الجو المناسب عند المدعويين للحوار، واستطاع نشر الدعاة وكتابة الرسائل للقبائل والملوك؛ فكانت النتيجة دخول كثير من القبائل في دين الله<sup>(٢)</sup>.

لقد عاش الإمام علي عليه السلام - بسبب عناد الخوارج - في دوائر متعددة الأهواء والرؤى وحتى الأمزجة، كما نعيش نحن اليوم في دائرة: (طائفية، ومذهبية، وسياسية)، فهناك من يطالب بالحقّ، ولكنهم لا يعرفون الطريق الموصل إليه، ولم تتوافر وسائل تجعلهم يعرفون ويفهمون الحقّ ويصلون إليه، فهو لاء لا يؤمنون بمقاتلة أصحاب الباطل مثلهم، ولا سبيل هدي هؤلاء إلّا من خلال الحوار معهم، فالذى يطلب الباطل لا يمكن أن يعرف الحقّ؛ ومن هنا وجب مقاتلتهم بالحوار الذي ربما يجدى نفعاً معهم، فقضية الحوار مع الخوارج ليست على خلاف فكريّ، بل هي خلاف لا جدوائي، وليس خلافاً على الكتاب ومضمونه ولذا، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُحَاجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الفتح، الآية ١.

(٢) الحوار وبناء السلم الاجتماعي: خالد بن محمد البديوي، ١٣

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤.

لقد حاول الإمام علي عليه السلام إقناع الخوارج، من خلال محاوراتهم بعد أن انتهت حرب  
صفين والتي كشفت خيانة رافعي المصاحف وكذبهم، الذين لا يعرفون الحق ولا يصرون عليه،  
ولهذا عزم على السير إليهم حتى يهدى لهم طريق الحق، وكانوا معروفين بالجور ولا  
يعدلون به؛ أي إنّ الظلم سيطر عليهم ومالوا إليه. وقد وصفهم الإمام بالجفاة عن الكتاب؛  
أي إنّهم انحرفو عن كتاب الله وزاغوا عن الطريق الصحيح إلى غيره، وقال عنهم عليه السلام:  
(العمر الله، ليس حشاش الحرب أنتم! إنّكم تكادون ولا تكيدون، ويتنقص أطرافكم ولا  
تتحاشون، ولا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون. إنّ أخا الحرب اليقظان ذو عقل، وبات  
لذل من وادع، وغلب المتجادلون، والمغلوب مقهور).<sup>(١)</sup>

لقد كان الإمام علي مجبراً على محاورة الخوارج، ومن ثم مقاتلتهم، وكان يعرف مصيرهم ونهايthem السوداء وقال: (فأوبوا شرّ مآب. وارجعوا على أثر الأعقاب. أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً. وسيفًا قاطعاً. وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة) (٢).

#### **رابعاً: آداب ثقافة الحوار مع الخارج**

١- نلاحظ أنَّ الإمام علي عليه السلام حاور الخوارج بأدب ورحابة صدر، ونحن إذ نقرأ حواريَّة الإمام علي عليه السلام، فإنَّها تعلمنا الدرس الجلي، سواء أكنا في موقع المعارضة أم في موقع الحَكَّام، أم في موقع الحياد بالنسبة إلى من نختلف معهم، أو في أيِّ من مواقع أخرى من المسؤولية، وأنَّ نتعلم أنَّ المسؤول يحاور أولاً أصحابه من الذين يعارضونه، ويحول القضايا التي هي محل خلاف مع أصحابه إلى مشروع تفاهم، ولا يضطهد هم أو يحقد عليهم وإن اختلفوا معه في الفكر، ولا يخرجهم من الإسلام، لأنَّ لهم رأياً مخالف لرأيه؛ وإنَّه عليه السلام لم يخرج الخوارج

(١) أنساب الأشراف: يحيى بن جابر بن داود البلاذري، ٣/١٥٤.

(٢) شرح نهج البلاغة: كمال الدين هيثم بن علي بن هيثم البحري، ٢ / ٣٢٣.

عن الإسلام وإن كفروه، وتعامل معهم كمسلمين، وقال: (لا تقاتلو الخوارج بعدي؛ فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه)<sup>(١)</sup>.

٢- لقد حاور الإمام علي عليه السلام الخوارج بثقافة الحوار المفتح، وقال لهم حينما أرسل عبد الله بن عباس للمناظرة: (وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسون أمكم عائشة ثم يستحلون منها ما يستحل من غيرها؟ فلئن فعلتم لقد كفرتم وهي أمكم، ولئن قلت: ليست أمنا لقد كفرتم فإن الله يقول: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم، فأنتم تدورون بين ضلالتين أيها صرتم إليها، صرتم إلى ضلاله. فنظر بعضهم إلى بعض، قلت: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم)<sup>(٢)</sup>، وقال لهم في موضع آخر: (إنا لم نحكم الرجال وإنما حكمنا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان، ولا بد له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرجال. ولما دعاها القوم إلى أن نحكم بيننا القرآن، لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله سبحانه وتعالى، وقد قال الله تعالى عز من قائل: ﴿فَإِنْ تَنَأَّرْعُثُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾<sup>(٣)</sup>)، لقد كان عليه عليه السلام الخوارج المفتح على الأفق، على عليه السلام الذي عاش إنسانية الناس ومن حوله، وأراد أن يرفعهم إلى الله، وأن يبعدهم عن الوحل الذي يتخبطون فيه، وقال: (ليس أمري وأمركم واحداً، إني أريدكم الله وأنتم تريدونني لأنفسكم)<sup>(٤)</sup>.

(١) العلم والحكمة في الكتاب والسنّة: الشيخ محمد الريشهري، ٣٠٦ / ٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين ، الحاكم (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري) ، ٤٩٥ / ٢ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

(٤) نهج البلاغة مصدر سابق، ج ٨ / ١٠٣ .

(٥) نهج البلاغة مصدر سابق، ج ٢ ، ص ١٩ .

هؤلاء يريدون أن يفرضوا القوّة ويصادروا حرية الناس وواقعهم، فأين الشرى من الشريا. لقد سما الإمام علي عليه السلام في علية المجد حتى لم يبق مجال لارتفاع، حتى قال لو كشف لي الغطاء ما ازدلت يقيناً، إن الإمام هو الحق وعدل القرآن، ومن أراد أن يكون معه، عليه أن يسير مع الحق ومع الإمام علي عليه السلام، وطريقه شائك صعب جداً والحق مرّ وكرمه مطعمه، حتى قال: (ما ترك لي الحق صديقاً<sup>(١)</sup>).

٣- لقد أمرهم الإمام بالرجوع إلى الحق من خلال الحوار، وفعلاً فإنهم أصبحوا في ذلك شامل، وقتل ذريع حتى أفناهم الله.

٤- لقد كان الإمام علي عليه السلام في حواره مع الخوارج يريد أن يعلم أصحابه ويعلمنا نحن الأجيال القادمة بعده عليه السلام: بضرورة الالتزام بأخلاقيات الحوار لأنها عامل فعال في جذب الناس، وأساس مهم في إزالة العقبات، والعوائق، التي تحول من دون نشر: (السلم، والمحبة، وثقافة التسامح) الأمر المهم الذي يسهم بشكل إيجابي في تحقيق السلم المجتمعي، ومن ثمّ يمكن أن يتحقق البناء الأخلاقي للمجتمع والإيمان بالآخر، ومن خلال الحوار نستطيع محاربة العنف والتطرف، وعلينا أن نعلم الناس لغة الحوار التي تنطلق من واقعنا وقيم حضارتنا وأساليب استيعاب هذه الثقافة؛ بل علينا أن نسهم في تطويرها<sup>(٢)</sup>.

#### **خامساً: لغة ثقافة الحوار مع الخوارج**

١- إن لغة الحوار وثقافته مع الخوارج التي كان الإمام علي عليه السلام يؤمن بها: هي صمام أمان بناء المجتمع الإسلامي المزدهر، وطريق مضيق لعالم اليوم الذي تقتله الصراعات الذي يموج بالمتناقضات.

(١) الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع الماشمي البصري المعروف بابن سعد، ٤ / ٢٣٦.

(٢) مقدمة في علم التفاوض السياسي والاجتماعي: حسن محمد وجيه، مجلة عالم المعرفة، ١٢٦.

٢- إنّ الحوار هو: لغة الأمم والشعوب الحضارية، وإنّ الحوار الجادّ يمكنه أن ينقذ حضارات الأمم من الذوبان والسقوط.

٣- إنّ لغة ثقافة الحوار مع الخوارج تمثّل في أنّ الحوار هو تمحيص المقوله بالمقوله والفكرة بالفكرة، كي نمنح الأفكار امتدادات جديدة مشروعة، ويمكنا أن نحرم ونحرم بعض الأفكار من امتدادات غير مشروعة، واعتراف ضمني بالقصور في بعض الأفكار، ونحررها من غلو الاعتداد بالذات، وعلينا أن نحمل الحوار ليس كشعار التجميل، وإنّما هو مصدر للتعبير عن الأفكار وتنمية الاتجاهات وإزالة الأوهام.<sup>(١)</sup>

#### **سادساً: الفوائد التي نتجت عن ثقافة الحوار مع الخوارج:**

١- لقد حاور الإمام علي عليه السلام الحوارج كثيراً، وكان يعرف أنه من خلال الحوار والتضامن والترابط بين الحاكم والمحكوم، تستقيم الأمور وتتحقق الألفة السياسية، ويعيش الجميع إخواناً متحابين؛ ومن أجل هذا جعل الله سبحانه هذه الولاية وهذه النصرة والمحبة والألفة دستور الحكم وأساسه.<sup>(٢)</sup>

٢- علينا أن نحمل فكر الإمام علي عليه السلام وثقافته الحوارية وخطه؛ حتى نستطيع أن نقدم لأعدائنا ومحبينا، وللعالم الصورة المثل للإمام علي عليه السلام الذي يمثل الإسلام المنشور الحضاري، الذي أصبح مصدراً للإشعاع لكل المسلمين وللعالم.

٣- التوصل إلى كيفية حل مشاكل الإنسان المعاصر بوساطة الحوار المفتوح. لقد كان الإمام علي عليه السلام الذي عاش إنسانية الناس، وأراد أن يرفعهم إلى الله، وأن يبعدهم عن شرور الحروب والصراعات وما كانوا يتخبّطون به. وعلى هذا الأساس، كان الإمام

(١) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: يحيى الرزمي، ٤٦.

(٢) في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية، ٣ / ٢٩٦.

عليه <sup>الصلة</sup> أنموذجاً للحاكم العادل الصالح الذي ساوي بين الرعية وبين الحاكم والمحكوم، ومصداقاً للسياسة الإسلامية العادلة والدولة الصالحة، بمساواته للناس جميعاً مسلمين وغير مسلمين، من دون أن يعطي أي امتيازات للطامعين في السلطة<sup>(١)</sup>.

---

(١) الإمام علي رائد العدالة الاجتماعية والسياسية: قاسم خضير عباس . ٥٣

## خاتمة البحث، وتوصياته

توصّل البحث إلى أنّ للحوار معانٍ كثيرة ومختلفة، منها النصح والإرشاد والوعظ والجدل.

للحوار موضوعات مختلفة بينها البحث.

للحوار أهمية كبرى في فض التزاعات والحروب والتوصّل إلى الحلول الناجعة والناجحة.

اختلف الدارسون في أنواع الحوار، وهي تتبع الموضوعات التي تطرق إليها الدارسون في الحوار.

لقد أكّد القرآن الكريم في آيات كثيرة على أهمية ثقافة الحوار، وكان عدد الآيات التي أشارت إلى الحوار بصورة مباشرةً ثلاثةً آيات، ولكن هنالك أكثر من ثلاثين آية قد ورد فيها معنى الحوار بشكل ضمني منها لفظة جادل ومشتقاتها، وكذلك الفاظ الوعظ والإرشاد.

لقد أكّدت السنة النبوية الشريفة ومنهج أهل البيت عليهم السلام في أقوالهم وخطبهم أهمية ثقافة الحوار.

كان الإمام علي عليه السلام من مدرسة عظيمة أكدت أهمية ثقافة الحوار.

لقد حاور الإمام علي عليه السلام الخوارج على الرغم من عنادهم وعدم جدواهم في الحوار معهم؛ ولكن على الرغم من ذلك استطاع إقناع قسم منهم.

ثقافة الحوار موضوع هادف ومهم يمكن أن يأخذ حيزاً كبيراً في الدراسات المعاصرة.

نتمنى من جميع الناس أن يتعلموا ثقافة الحوار، لأنّه يمثل الثقافة بكلّ أنواعها، فمن خلال الحوار تبرز الشخصيات غثّها وسمينها.

ما أحو جنا اليوم إلى ثقافة الحوار لكي نجسّد ثقافة التسامح والتعايش والإيمان بالآخر.  
من خلال ثقافة الحوار الهدى المتمدن، نستطيع أن ندحض الأفكار الجامدة والمطرفة  
ونستطيع محاربة العنف والتطرف والإرهاب.

## مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم كتاب الله العزيز.

١. أساس البلاغة، الرمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.
٢. الإمام علي رائد العدالة الاجتماعية والسياسية: قاسم خضير عباس، دار الأضواء، بيروت، م ٢٠٠٤.
٣. أنساب الأشراف: يحيى بن جابر بن داود البلاذري ت ٢٧٩ هـ، تحقيق محمد باقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٤ م، ج ٣.
٤. البداية والنهاية: عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (١٧٠١ - ٧٧٤ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، منشورات: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ج ٧.
٥. تاريخ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت: ٢٩٢ هجرية)، مطبعة الغري، النجف الأشرف، ٢٠٠٤ م، ج ٢.
٦. تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) المحقق: سامي بن محمد السلامة، منشورات: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٧. جامع أحاديث الشيعة: السيد آية الله البروجردي ت ١٣٨٠ هـ، المطبعة العلمية-قم المقدسة، ١٤٠٧ هـ، ج ١٤.

٨. جهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة: أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية- بيروت (د.ت).
٩. الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: يحيى زمزمي، دار التراث والتربية، بيروت، ١٤١٤ هـ
١٠. الحوار أصوله المنهجية وأدابه السلوكية: أحمد الصويان، دار الوطن، بيروت، ١٤١٣ هـ.
١١. الحوار: (الذات والآخر): عبد الستار الشمري الهيتي، منشورات: دار الموازين للطباعة والنشر والتوزيع - عمان - الطبعة الأولى - ٢٠٠٤ م.
١٢. الحوار في القرآن قواعده أساليبه معطياته: السيد محمد حسين فضل الله، دار الملك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦ م.
١٣. الحوار مع أصحاب الأديان مشروعه وشروطه وأدابه، أحمد بن سيف الدين تركستاني، منشورات: دار الوحدة الإسلامية، الرياض؛ ط١، ٢٠٠٩ م.
١٤. الحوار وبناء السلم الاجتماعي: خالد بن محمد البديوي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، ٢٠١١ م.
١٥. دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٩٧١ م، مج٣.
١٦. السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت ٤٥٨ هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٧. شرح نهج البلاغة: أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحميد المدائني (ت ٦٥٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ، تحقيق محمد عبد الكريم النمرى، ج٨.

١٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، منشورات: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦
١٩. الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، تحقيق محمد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ج ٤.
٢٠. العلم والحكمة في الكتاب والسنّة: الشيخ محمد الريشهري، دار الحديث، قم المقدّسة، ١٣٧٦هـ، ج ٦.
٢١. علي ميزان الحق: محمد حسين فضل الله - دار الملاك، بيروت، ٢٠٠٣م.
٢٢. في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية، انتشارات كلمة الحق، قم المقدّسة، ١٤٢٧هـ، ج ٣.
٢٣. القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢٤. الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزرى، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، منشورات: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ج ٣.
٢٥. كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن قيم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، منشورات: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨

٢٦. لسان العرب، ابن منظور، إعداد: يوسف خياط، نديم مرعشلي، دار صادر، ودار  
بيروت، دون طبعة، دون تاريخ، ج ١.
٢٧. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، منشورات: دار العلم للملائين، بيروت، الطبعة  
الأولى، ١٩٧٩ م.
٢٨. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين  
(ت ٣٩٥ هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، منشورات: دار الفكر، عام النشر:  
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م، عدد الأجزاء: ٦.
٢٩. المعجم الوسيط: تأليف / مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط ٣، دون تاريخ، ج ١
٣٠. مقدمة في علم التفاوض السياسي والاجتماعي: حسن محمد وجيه، مجلة عالم المعرفة،  
العدد ١٩٠، السنة ١٩٩٤ م.
٣١. مكارم الأخلاق: الشيخ الجليل رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي من  
أعلام القرن السادس الهجري، مكتبة الألفين، بيروت، ١٩٧٢ م.
٣٢. نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، شرح محمد عبده، دار المعرفة للطباعة  
والنشر، بيروت، ١٤٤٥هـ.
٣٣. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الحر العاملي محمد بن الحسن، منشورات:  
المكتبة الإسلامية، طهران، ١٩٩٢ م، ج ٨.



رسالة في مَناقِبِ أمير المؤمنين الْهُجْرِي عَلَيْهِ السَّلَامُ

(بحدود: القرن الرابع عشر الهجري)

الباحث

أ. د. حيدر كريم الجمالي

جامعة الكوفة - كلية التربية الأساسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماه العادون، ولا يؤدّي حّقه المجتهدون، الذي لا يدركه بُعد المهم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود. فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتّد بالصخور ميدان أرضه.

وأتم الصلاة، وأزكى التسليم على حبيه المصطفى محمد الأمي، وعلى آله الأطهار المعصومين-صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- الهداة المنتجبين، الصراط المستقيم.

أما بعد... فإن الكتبة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تعد من خيرة متاع الدنيا للآخرة، فعلّي وما أدرك ما على، وقد كتب كثيرون في مناقب الإمام عليه السلام، وسوف يأتي ذكر بعضها، إلا أنّ ما يميّز هذه الرسالة، أنها نسخة فريدة كتبت في أواخر القرن الثالث عشر وبديايات القرن الرابع عشر، وأخفى اسم كاتبها إلا أنه من أبناء العامة، والراجح عندي أنها كتبت في أواخر القرن الثالث عشر الهجري وبديايات القرن الرابع عشر بحسب الأسماء التي ورد ذكرها في هذه الرسالة، وتوليهما الحكم. وعلى وما أدرك ما على؟! ولذا تبارت الأقلام خلوداً في ذكر فضائله، ونشر علومه من شتى طوائف الأرض، المخالف قبل المخالف والذمي قبل الموحد، فقد أريد لتلك الفضائل أن تخمد، وبين أيدينا رسالة في ذكر مناقب أمير المؤمنين كتبت في القرن الثالث عشر الهجري في أيام السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وفي عهد شريف الحجاز بحدود (١٢٩٣هـ) -كما موجود في حوادثها.

ومن المثير للغرابة أنها مجهولة النسبة، لأسباب بعضها معروفة، والآخر مجهول، سناحosal أن نجيب عنها. وبيدو لنا من أسلوب الكاتب وخطه، أنه أحد كتاب الولاة والأمراء، ولا سيما الأمير عون بن محمد بن عبد المعين بن عون.

أول المخطوط قوله: (الحمد لله حمداً له منه إليه، والشكر لله شكرأً به فيه إليه... وبعد فهذه مناقب ليث بنى غالب، إمام المشارق والمغارب، سيدنا علي بن أبي طالب)

وآخرها: (... سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين). مجهولة النسبة- وهي من مؤلفات أبناء العامة، ومهمة جداً لما ورد فيها من الفضائل على لسانهم، وهي مبثوثة في كتبهم، ومستخلصة منها، والمخطوط يقع في (٨) أوراق، خطت بمداد أسود، وبخط نسخ تعليق، بقياس: ٢٣×١٧ سم، وحالة الورقة جيدة.

فحفقت الرسالة في مباحثين: الأول للدراسة، والثاني للتحقيق على وفق أصول المنهج.

## المبحث الأول

### الدراسة

#### أولاً: مع المخطوط:

هي نسخة فريدة، احتوت عليها مكتبة مكّة المكرمة في مناقب علي بن أبي طالب ﷺ، إلّا أنّ ما ينقص جمالها أنها مجهولة نسبة كاتبها، ويبدو أنها بخطّ يده، خلوّها من التملّكات، عدا ختم مكتب مكّة المكرمة، ولا توجد بها حواش أو تعليقات، سوى الكلمات التعقيبية.

والذي يهمنا في هذه الرسالة وضروره تحقيقها أنها كتبت على يد عالم من إخوتنا العامة، وقد جاءت نقولاته كلّها ورواياته من كتبهم؛ وهذا خير دليل على فضائله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ التي أقرّها المخالف قبل المؤلف. وقد كتبت هذه الرسالة -كما نراه- في بدايات القرن الرابع عشر الهجري، فكاتبها ذكر فيها أعلاماً، ودعا لهم، وهم: السلطان التركي: عبد الحميد الثاني، الذي تولى السلطنة: (١٢٩٣هـ - ١٨٧٩م)، وخلع منها بانقلاب عام (١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م)، والرفيق: أحمد راتب باشا واليه على الحجاز وقائد جنده (١٨٩٣م - ١٩٠٨م)، وأمير الحجاز وشريف مكّة، الشريف عون بن محمد بن عبد العين الذي تولى الإمارة (١٢٩٩هـ) وتوفي (١٣٢٣هـ) أي: ١٩٠٥م. فإذا تركنا العام الأخير من القرن الثالث عشر، لأنّه تولى بأشهره الأخيرة، والربط بين هذه الأعوام هو العقدان الأول والثاني من القرن الرابع عشر الهجري، لأنّ خلعهم ووفاة شريف مكّة متقاربة. والكاتب، ويبدو لنا أنه أحد كتاب الأمير عون لأسلوبه وخطّه، أرادها زلفة لديه.

ومن أوصافها: أنها نسخة فريدة من نسخ مكتبة مكّة، بتسلسل: تراجم: ٦٠ ورقمها: ٩٢٢، وعدد أورقها (٨) بوجه واحد، وقياس الورقة: ١٧×٢١ - مقارب للقطع الوزيري،

كتبت بخط النستعليق - الذي كان سائداً في مكة المكرمة وقتها -، وبالمداد الأسود، ومتوسط عدد الأسطر في كل صفحة ٢٠، عدا الصحيفة (٨) وفيها (١٠) أسطر، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد هو (١٣) كلمة. والعنوان الموجود ضمن تصنيف المكتبة هو: (في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ)؛ وأوّلها: (الحمدُ لله حمداً له مِنْهُ إِلَيْهِ، وَالشَّكْرُ شَكْرًا بِهِ فِيهِ إِلَيْهِ، نَحْمَدُهُ - سُبْحَانَهُ - أَنْ اخْتَارَ لَنَا خَيْرَ الْخَلَقِ أَجْمَعِينَ، وَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِالْأَلَّ، وَأَصْحَابِهِ، نَجُومُ الْاِهْتِدَاءِ لِلْمُهَتَّدِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةُ تَوْصِلِنِي بِالْأَوَّلِينَ الْمُخَلَّصِينَ، وَتَلْحِقُنِي بِالسَّابِقِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ، وَالآخِرِينَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى جَمِيعِ إِخْرَانِهِ النَّبِيِّنَ صَلَّاهُ وَسَلَّمَ لَا يُقْدِرُ قَدْرُهَا إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ) - وآخرها: (اللَّهُمَّ وَأَدْمَنْعَمَكَ الْجَزِيلَةَ عَلَيْنَا، وَعَلَى الْحَاضِرِينَ، وَاجْعَلْنَا وَإِيَّاهُمْ مِنْ عُتَقَائِكَ مِنَ النَّارِ أَجْمَعِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، يَا وَاهِبِ الْعَطَابِاتِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصْفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

### ثانياً: كتب مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله

لقد اختار الله سبحانه وتعالى الصحابة الكرام لنصرة دينه، وشرّفهم بمرافقته رسوله، وفي المقدمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - سلام الله عليه -، فهو خواص الخواص عليه السلام وصل إلى أسمى درجات الأولياء، وأعلى درجات الأصفياء، فهو ابن عم رسول الله عليه السلام المقرب من قلبه الشريف، والذي تربى في حجر رسول الله صلى الله عليه [والله] وسلم. وهو أول من أسلم من الفتيان، فقد سارع إلى الإسلام في يوم البعثة الأول، وخالفه الإيمان سويداء قلبه.

وعليٌّ من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، فهو من آل البيت الأطهار، ومن أصحاب الكساء الأشراف، إلى جانب السيدة فاطمة، والسبطين الحسن والحسين، رضي الله عن الجميع.

وهو أسد الله الغالب، وبطل الإسلام، وليث الحروب، ومرعب الأعداء المشركين، صاحب الشجاعة الفذّ، والبارزات المشهورة. وهو العابد الخاشع، الصائم القائم، الورع الزاهد، الذي استشهد، وهو صائم.

روى الشيخ الصدوق رض في كتابه الخصال عن مكحول قال: ((قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لقد علم المستحفظون من أصحاب النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه ليس فيهم رجال له منقبة إلا وقد شركته فيها وفضلته، ولي سبعون منقبة لم يشركني فيها أحد منهم...)).<sup>(١)</sup> فكتب في فضله مئات الكتب بل الآلاف، رغم كيد حكام الضلال في محوها إلا أن المكتبات الإسلامية تزخر بها، فكتب في حقه القريب والبعيد فهو عليه السلام عنوان صحيفة المؤمن -فورد ذكره مع غيره في كتب من مثل:

١- فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل (٢٤١ هـ).

٢- فضائل الصحابة لأحمد النسائي (٣٠٣ هـ).

٣- معرفة الصحابة لأبي نعيم الاصفهاني: (٤٣٠ هـ).

٤- فضائل الخلفاء الأربع، لأحمد النيسابوري (٤٤٢ هـ).

٥- فضائل الصحابة ومناقبهم، لأبي الحسن الدارقطني: (٩٩٥ هـ).

٦- فضائل الصحابة: ناصر الدين الألباني (١٩٩٩).

(١) الخصال: ٢٧٢، وينظر: خصائص النسائي ص ٣٨ ومسند أبي داود الطيالسي ج ١ ص ١٢٢. ورياض

وهذه من الكتب مجتمعة، وغيرها كثير جداً، وهي هنا للمثال لا للحصر.

أمّا الكتب والرسائل التي تفردت بذكر فضائل الإمام علي عليه السلام فكثيرة جداً، نذكر منها:

١. مناقب أمير المؤمنين عليه السلام للسيد الشريف الرضي، محمد بن أحمد بن الحسين (ت ٤٠٦ هـ).
٢. مناقب الإمام أمير المؤمنين، لمحمد بن سليمان الكوفي (ت حوالى بداية ق ٤٤ هـ).
٣. مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام وما نزل من القرآن في علي عليه السلام، لابن مردويه الأصفهاني: (ت ٤١٠ هـ).
٤. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لعلي بن محمد الواسطي ابن المغازلي (ت ٤٨٣ هـ).
٥. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، لابن عساكر الدمشقي الشافعي (ت ٥٧١ هـ).
٦. أنسى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، لمحمد بن محمد الجزري (ت ٤٣٣ هـ).
٧. جواهر المطالب في مناقب علي بن أبي طالب، لشمس الدين أبي البركات محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي سنة (ت ٨٧١ هـ).
٨. الأربعون حديثاً من أحاديث سيد المرسلين في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لجمال الدين عطاء الله بن فضيل الله الحسيني الفارسي الدهتكى (كان حياً عام ٩٣٠ هـ).
٩. الأربعون حديثاً في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، لحسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ).
١٠. مناقب أمير المؤمنين عليه السلام للسيد هاشم البحرياني (ت ١١٠٧ هـ).
١١. تحفة الأبرار في مناقب أبي الأئمة الاطهار عليهم السلام للسيد حسين بن مساعد بن الحسن الحائرى.

وما ذكرناه إنما هو قطرة من بحر جيّ، وليس منه الحصر، إنما التمثيل فقط. فالمقام يحتاج إلى عديد الصفحات.

### ثالثاً: بناء المخطوطة

تتألف المخطوطة من (٨) أوراق، بوجه واحد يبدأها مفتاحاً بذكر الله، والصلوة على نبيه وآلـهـ، ثم يذكر فحوى هذه المخطوطة فيقول: (... وبعد فهذه مناقب ليث بنـي غالـبـ، إمام المشارق والمغارب، سيدنا عليـ بنـ أبي طالـبـ)<sup>(١)</sup>، ثم يشرع في الحديث عن اسم الإمام، وكتـيـتهـ، وألقـابـهـ فيـذـكـرـ منـ أـلـقـابـهـ: (الصـدـيقـ الأـكـبـرـ، والفارـوقـ، وبـيـضـةـ الـبـلـدـ، والأـمـينـ، والـشـرـيفـ، والـمـرـتضـىـ، والـهـادـيـ، والـمـهـتـدـىـ، والأـذـنـ الـوـاعـيـةـ)<sup>(٢)</sup>، ثم شـرـعـ فيـ بـيـانـ والـدـيـهـ (رضـيـ اللـهـ عـنـهـمـاـ)، وـذـكـرـ قـطـعاـًـ منـ شـعـرـهـ<sup>(٣)</sup>.

وتحـدـثـ عنـ مـجـمـوعـةـ منـ صـفـاتـ الـتـيـ تـزـخـرـ بـهـ مـصـادـرـ درـاسـتـهـ منـ كـتـبـ الـمـسـلـمـينـ جـمـعـاءـ. ثمـ يـأـخـذـ بـذـكـرـ منـاقـبـهـ<sup>(٤)</sup>ـ بـهـ وـرـدـ عنـ رـسـوـلـ اللـهـ<sup>(صـ)</sup>ـ بـهـ نـقـلـهـ عـنـهـ<sup>(صـ)</sup>ـ منـ أـمـالـ سـعـدـ بـنـ أـبـيـ وـقـاصـ، وـعـائـشـةـ، اـبـنـ عـبـاسـ.

وـذـكـرـ الـكـاتـبـ عـنـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ أـحـادـيـثـ كـثـيرـةـ فـيـ فـضـلـ عـلـيـ<sup>(صـ)</sup>ـ مـنـ مـثـلـ: (أـقـضـانـاـ عـلـيـ)ـ وـ(وـلـوـلاـ عـلـيـ هـلـكـ عـمـرـ)، وـبعـضـاـ مـنـ الـقـضـاـيـاـ الـتـيـ أـخـطـأـ عـمـرـ الـحـكـمـ بـهـ، وـأـصـابـهـ الـإـمـامـ عـلـيـ<sup>(صـ)</sup>ـ، وـلـاـ سـيـماـ قـضـيـةـ رـجـمـ الـمـرـأـةـ الـتـيـ تـنـاقـلـتـهـ كـتـبـ الـفـرـيقـيـنـ. وـقـدـ اـسـتـنـدـ الـكـاتـبـ إـلـيـ كـتـبـهـ، ثـمـ تـحـدـثـ عـنـ زـوـاجـهـ، وـمـاـ لـهـ فـيـهـ مـنـ فـضـيـلـةـ، بـعـدـ أـنـ تـقـدـمـ لـخـطـبـةـ الزـهـراءـ<sup>(صـ)</sup>ـ أـبـوـ بـكـرـ وـعـمـرـ، وـكـانـ التـأـيـدـ إـلـهـيـ مـقـتـصـراـ بـعـلـيـ<sup>(صـ)</sup>ـ، وـانتـقـلـ بـذـكـرـ كـرـامـاتـهـ، نـاقـلاـ عـنـ

(١) المخطوطة الورقة: (١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ١ - ٢.

كرامة ذكرها (أحمد بن حنبل) كرامات مرور الإمام عليه السلام على أرض كربلاء، وذكره لمصارع الحسين عليه السلام وأل بيته، وصحابتهم ورجالاتهم (رضوان الله عليهم)، وينتظم هذه المناقب بأنّ ما ذكره قليل، وما تركه أكثر ولا يحصى، وإنّما هو قطرة من بحر <sup>(١)</sup>، ثم يأخذ بالدعاء له وللمؤمنين وللسلطان التركي (عبد الحميد الثاني) ولأمير الحجاز (عون بن محمد)، ووالى الحجاز من قبل السلطان التركي (الرفيق: أحمد راتب باشا) <sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً: منهج في التحقيق:

بعد أن حصلت على الرسالة، وهي مخطوطة شرعت في التحقيق، ونسختها مراعيًّا في ذلك قواعد الرسم المعروفة، وقد أسميتها الأصل.

١ - قسمنا أوراق الرسالة على ثماني أوراق من ١ - ٨ ووضعنا مقابلة رقم الرسالة في الكتاب الذي وردت فيه داخل قوسين معكوفين وكما يأتي (٨ / ١) فيشير الرقم على اليمين إلى عدد أوراق الرسالة التي وضعتها، والرقم على الشمال يشير إلى رقم أوراق الرسالة كاملة

٢ - عيننا بضبط النص ولاسيما ما يحتمل اللبس من الألفاظ.

٣ - أشرنا إلى مواضع كثير من النصوص من كتب أصحابها، وقد حصرت النصوص بين أربعة أقواس (.....).

٤ - أثبتنا ما سقط من النصوص بين قوسين معكوفين [.....].

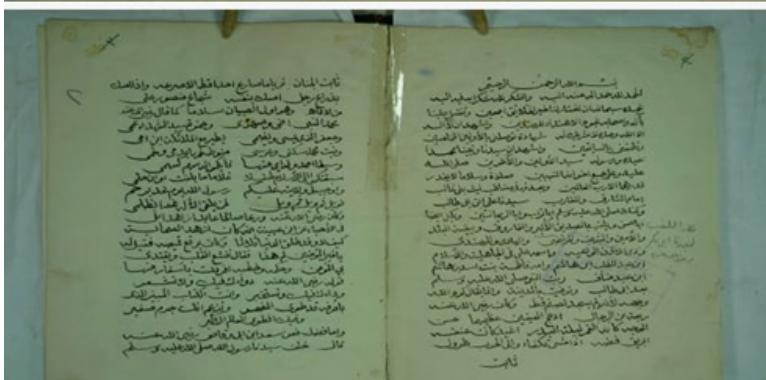
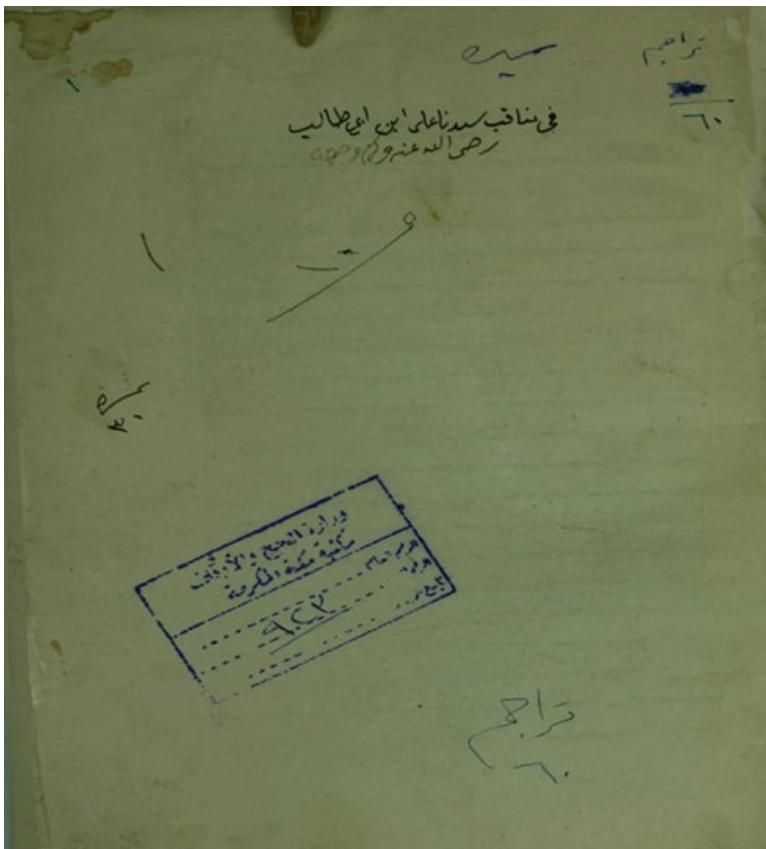
٥ - الألفاظ التي ورد رسمها خطأ وضعتها بين <، وأشارت إلى الصواب في الهاشم.

(١) المصدر السابق: ٥.

(٢) المصدر السابق: ٨ - ٥.

- ٦- عرّفنا بالأعلام التي وردت في البحث.
- ٧- وضّحنا جملة من المصطلحات التي وردت في الرسالة.
- ٨- وضعنا سني الوفاة، والكلمات، وأسماء الكتب داخل قوسين (.....).
- ٩- خرجننا الأبيات الشعرية مع البحر الذي وضعناه بين [ ].
- ١٠- رفقنا مع الدراسة نسخاً من الصفحة الأولى والأخيرة من الرسالة.

## خامساً: الأضاميم: (الواجهة والورقة الأولى والثانية)



الورقة الأخيرة من المخطوط

فِي بَرٍ وَكُوْنِيْنِ اَمْ سِيْنَا مَلِكِ الْجَهَنَّمِ اللَّهُ لِاَتَدْعُ  
لِذَا مَوْفِتَاهُ اَذْنِنَا الْغَزَّرَةِ، وَلِقَاءِ الْاَفْسَرَةِ  
وَلِبَهْبَاهِ الْاَسْرَرَةِ، وَلِدَيْنِ الْاَفْتَيْرَةِ، وَلِعَرْبَيْنِ  
الْاَشْفَيْرَةِ، وَلِغَانِيْنِ الْاَرْدَرَتِ، وَلِاعْدَمِ الْاَفْذَلَنِ  
وَلِاصْدِيقِيْنِ الْاَكْافِرَةِ، وَلِاهْجَاهِيْنِ هَوْلِيْنِ الدَّيْنِ  
وَالْاَخْرُونِ لِهِيْمَارِيْنِ فَارِصَادِلِيْنِ الْاَقْفَشَرَةِ  
يَارِسِ الْمَلِيْتِ، اللَّهُمَّ ادْعُ فَلَمْ اَلْيِنْ عَلَيْنَا  
وَعَلَى الْمَاضِيْنِ، وَابْلَغْنَا بِالْمُرْبَعِنْقَالِنِ مِنَ النَّاسِ  
بِعَيْنِ يَارِمِ الْاَعْيَنِ اللَّهُ اَغْزِنِيْلِيْمِينِ  
لِلْمُرْعَنَاتِ وَالْمُسْلِنِ وَالْمُسْلَمَاتِ  
الْاَهْيَا، وَهُنْمَوْلِيْنِ الْمُؤْمَنَاتِ يَا وَالْهِيْ  
الْمُطَبَّاتِ بَيْانِ بَيْلَ  
رِبِّ الْمَنْعِنِ الْمُصْفَرَتِ  
وَلِلَّامِ عَلِيِّ الْمَنْنَتِ  
وَحَمْدَهُ رَبِّ الْمَانِ

الرثاء وفوقه من المائة على مائة وعشرين  
لبعضها تقدّر بعشرة الملايين والستمائة والستين  
والثانية لعبد الله الملكي الذي لا يزال يعيش  
على علوّيه باربعين عاماً ويعيش الملايين هنّم والعاص  
أغذى الله أبا إبراهيم بن عبد الله فري الماء  
ما شاء الله ما أنساك جميع سلطنه وأسائله وسلطاته  
من أهلها يذهب وسلامات الذهاب بالغافل تذهبنا  
تشكل ذكريها ضياعها في والآن تصلبنا نيا ولأنها أهلاً  
للأخفال وخفت لها الخاتمة إذا دخلت الأهال  
وإذ فتحنا لها بابها بباب صول الله عليه في الفلاح والدال  
ربّحناها من أصواتها نصراً في الماء والمرسان  
الله يواسى ولادة الدين والوصال للهدين  
واهلاك الفتن والبلدان العظيم لا يقدر بأهم  
الله يعزّ أبا إبراهيم الله يستحبّ حمل الله فوق  
جعوه الله يألف العين في قدره وفي داره  
الله يلبي لهم فضائلاً من عزّه الله أجمل دائرة  
السوس عليهم الله ينصر عليهم قلوب الأرض الله  
واقفل الدين عن المدين وفتح لهم المورى  
رفقاً من المأسورين وعافية اقتضى مضاراً  
ومرض للمسن والتلاعنة لعبد الله الملكي  
بحاجة إلى العناية والترفيع والتفريح

٢٩

## المبحث الثاني

### التحقيق

**رسالة في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام (٨/١)**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله حمدًا له ممنه إليه، والشكُر شكرًا به فيه إلى، تَحْمِدُه -سبحانه- أن اختار لنا خير الخلائق أجمعين، وتفضل علينا بالله، وأصحابه، نجوم الاهتداء للمهتدين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة توصلني بالأولين المخلصين، وتلحقني بالسابقين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبدُه ورسولُه، سيد الأولين، والآخرين -صلى الله عليه، وعلى جمِيع إخوانِه النَّبِيُّنَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُقْدِرُ قَدْرُهَا إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ-.

وبعد، فهذه مناقب ليث بنى غالب، إمام المشارق والمغارب، سيدنا علي بن أبي طالب، وكناه (صلى الله عليه [والله] وسلم) (أبا تُراب)<sup>(١)</sup>، وأبا الرياحتين، ويكنى أيضًا (أبا حسن)<sup>(٢)</sup>، ويلقب بالصديق الأكبر<sup>(٣)</sup>، والفرق، وبيبة البلد، والأمين، والشريف، والمرتضى، والهادي، والمهادي، وذي الأذن الوعاعية<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: صحيح مسلم: ٧ / ١٢٣ ، والصواعق المحرقة-ابن حجر-: ١٥٨ ، والفصول المهمة في معرفة الأئمة-ابن الصباغ- ٣٧ ، ونور الأ بصار -الشبلنجي-: ١٦٣ .

(٢) ينظر: الفصول المهمة- بلفظ (أبو السبطين) مكان (الرياحتين): ١٢٤ ، وموسوعة أهل البيت عليهم السلام-للقرشي-: ١ / ٦٠ ، وذخائر العقبي- حب الدين الطبرى-: ٥٦ .

(٣) ينظر: فضائل الصحابة -أحمد بن حنبل-: ٢ / ٥٨٦ ، وينظر: موسوعة أهل البيت عليهم السلام: ٤٨ .

(٤) ينظر: كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب للحافظ الكنجي الشافعى: ٩٤ ، والفصول المهمة: ١١٦ ، وينابيع المودة-القندوزي: ١ / ١٣٩ ، ونور الأ بصار: ١٥٩ . وذخائر العقبي: ٥٦ .

واسمه (علي) - في الجاهلية، والاسلام- بن عبد المطلب بن هاشم<sup>(١)</sup>، وأمه فاطمة بنتِ أسد بن هاشم بن عبد مناف<sup>(٢)</sup>، ربيت النبي (صلى الله عليه [والله] وسلم) بعد أبي طالب، وتوفيت بالمدينة<sup>(٣)</sup>، وإنما يقال: (كرم الله وجهه)، لأنّه لم يسجد لصنم قط<sup>(٤)</sup>، وكان - رضي عنه - ربعةً من الرجال<sup>(٥)</sup>، أدعج العينين عظيمهما<sup>(٦)</sup>، حسن الوجه؛ كأنّه القمر ليلة البدر، أغيد<sup>(٧)</sup>، كأنّ عنقه إبريق فضة، إذا مشي تكفاً<sup>(٨)</sup>، وإلى الحرب هرول، (٨/٢) ثابت الجنان، قويًا، ما صارع أحداً قط إلا صرعه، وإذا أمسك بذراع رجل، أمسك بنفسه، شجاع، منصور على من لاقاه<sup>(٩)</sup>. وهو أول الصبيان إسلاماً<sup>(١٠)</sup>، كما قال - رضي الله عنه<sup>(١١)</sup> [الوافر]

(١) ينظر: الفصول المهمة: ٣٠، وفيه: (فسمّاه أبو طالب علياً، وقال فيه شعراً:

عز العلو وفخر العز أدومه)  
سمّي به بعلي كي يدوم له

والبيت في ديوان أبي طالب: ٧٧، وفي ذخائر العقبي: ٥٦، وبحار الأنوار-المجلسى:- ٣٥ . ٣١

(٢) ينظر: الإرشاد-المفيد:- ٢٠٩ ، والفصول المهمة: ٣١-٣٠ ، ونور الأ بصار: ١٥٦ .

(٣) ينظر: الإرشاد-المفيد:- ٢٠٩ ، والفصول المهمة: ٣١-٣٠ ، ونور الأ بصار: ١٥٦ .

(٤) ينظر: الصواعق المحرقة: ١٥١ ، ونور الأ بصار: ١٥٦ ، وتاريخ أربيل-ابن المستوفى: ١/ ١٠١

(٥) (الرابعة) وهو الذي ليس بقصير ولا بطويل، ينظر: معجم المقاييس -ابن فارس:- ٤١٨ .(ربع)  
والصحاح-الجوهري-

(٦) الدعج: شدة سواد العين مع شدة بياضها مع سعتها. ينظر: معجم الصحاح: ٢ / ٥١٣ (دعج)، ولسان العرب: ٣ / ٣٢٧ (دعج).

(٧) غير أغيد، أي مائل العنق ولينه؛ أي تمايل في مشيته، ينظر: الصحاح: ٢ / ٥١٣ (غيد) ولسان العرب:  
٣ / ٣٢٧ (غيد).

(٨) أي ماد وتمايل كما تتحرك النخلة العيدانية، ينظر الصحاح: ١ / ٧٧ (كفا).

(٩) ينظر: ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربي: ٥٧ .

(١٠) ينظر: شرح نهج البلاغة -ابن أبي الحميد: ٥ / ١٧٨ . ذخائر العقبي: ٥٨ ، والفصول المهمة: ٣١ .

(١١) ينظر تاريخ ابن عساكر: ٤٢ / ٥٢١ والديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام: ١٨٨ ، هذه الأبيات كتبها الإمام عليه السلام إلى معاوية لما كتب معاوية إليه: إنّ لي فضائل كان أبي سيداً في الجاهلية، وصرت ملكاً في الإسلام، وأنا صهر رسول الله، وخال المؤمنين، وكاتب الوحي، فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أبا الفضائل يبغى علي ابن آكلة الأكباد؟ اكتب يا غلام؟:الأبيات..

وحْمَزُ سَيِّدُ الشَّهَادَاءِ عَمِّي	مُحَمَّدُ النَّبِيُّ أخِي وصَهْرِي
يُطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ ابْنُ أَمِّي	وَجَعْفُرُ الَّذِي يَضْحِي وَيَمْسِي
مَنْوَطُ لَحْمُهَا بَدْمِي وَلَحْمِي	وَبَنْتُ مُحَمَّدٍ سَكْنَيِ وَعُرْسَيِ
فَأَيْكُمُ لَهُ سَهْمٌ كَسْهَمِي	وَسِبْطَا أَحْمَدٍ وَلَدَاهِي مِنْهَا
غَلَامًاً مَا بَلَغْتُ أَوَانَ حَلْمِي <sup>(١)</sup>	سَبَقْتُكُمْ إِلَى إِلْسَامِ طَفَالًا
رَسُولُ اللهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٌّ	فَأَوْجَبَ لِي وَلَايَتَهُ عَلَيْكُمْ
مَنْ يَلْقَى إِلَلَهَ غَدًا بَظَلْمِي <sup>(٢)</sup>	فَوَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ

وكان - رضي الله عنه - ورعاً، صالحًا عابداً زاهداً<sup>(٣)</sup>. بالأحياء<sup>(٤)</sup> - عن ابن عيينة<sup>(٥)</sup>، أنه

### محمد النبي أخي وصني

فليقرأ معاوية الكتاب قال: اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب.

وينظر: الواقي بالوفيات: ٤/١١٢، معجم الأدباء: ١٤ / ٤٨، تاريخ البداية والنهاية: ٨/٩، مناقب آل أبي طالب- ابن شهر آشوب-: ٢/١٩ . بحار الأنوار: ٣٨ / ٢٣٨ . موسوعة الغدير-الأميني- ٢/١٠ . (١) في رواية ابن أبي الحديد وابن حجر، وابن شهر آشوب: غلامًاً ما بلغت أوان حلمي.

وفي رواية ابن الشيخ وبعض آخر: صغيراً ما بلغت أوان حلمي . وفي رواية الطبرسي بعد هذا البيت:  
وصليت الصلاة وكنت طفلاً مقرأً بالنبي في بطنه أمي

(٢) أمير المؤمنين عليه السلام وشعره في الغدير: ٣/١ .

(٣) ينظر: ذخائر العقبى: ٥٨ ، والقصول المهمة: ٣١ .

(٤) يقصد بالأحياء كتاب إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالى(ت ٥٠٥ هـ).

(٥) وهو سفيان بن عيينة بن أبي عمران (١١٩ تـ)، أبو محمد الهمالي الكوفي ثم المكي-المحدث المكي-، كان حافظاً، عمر دهراً . ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء، ينظر: ٨/٤٥٤ .

كان أزهد الصحابة<sup>(١)</sup>، كيف لا؟! وقد طلق الدنيا ثلاثة<sup>(٢)</sup>، كان يُرْقِعُ قميصه، فقيل له: يا أمير المؤمنين لم هذا؟ فقال: (تخشع<sup>(٣)</sup> القلب، ويقتدي بي المؤمن)<sup>(٤)</sup>، وحكمه، وخطبه أفردت بأسفار، منها قوله<sup>(٥)</sup>: [المقارب]

وَدَاوِكَ فِيكَ وَتَسْتَخِبِرُ <sup>(٧)</sup>	دَوَاؤَكَ فِيكِ وَلَا تَشْعُرُ <sup>(٦)</sup>
بِأَحْرَفِهِ قَدْ طَوَى الْمُضَمَّرُ	وَأَنْتَ الْكِتَابُ الْمَبِينُ الَّذِي
وَفِيكِ انطوى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ	وَتَزَعَّمُ أَنْكَ جُرْمُ صَغِيرُ

وأماماً فضله فعن سعد ابن أبي وقاص (رض)<sup>(٨)</sup> قال: ((خلفَ سيدنا رسول الله - صلى الله عليه [والله] [٣/٨] عليٌ بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله

(١) ينظر إحياء علوم الدين - ٢ / ٣٢.

(٢) ينظر: حلية الأولياء - أبي نعيم - ١ / ٨٤، ونور الأ بصار: ٢١٦. وفي شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ٢٢٤: (مِنْ حَيْرِ ضَرَارِ بْنِ ضَمْرَةَ الْأَصَابِيِّ حَمْرَةَ الْأَضَبَائِيِّ عِنْدُ دُخُولِهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَمَسَالِيهِ لَهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ قَالَ فَأَشَهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَقَدْ أَرْخَى الْلَّيلَ سُدُوْلَهُ وَهُوَ فَائِمٌ فِي مُحَرَّابِهِ فَابْصُرْ عَلَى لِحَيَّتِهِ يَتَمَلَّمُ تَلْمِلُ الْأَسَلِيمِ وَيَنْكِي بُكَاءَ الْحُزَينِ وَهُوَ يَقُولُ يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا لِيْكِ عَنِّي أَبِي تَعَرَّضْتَ أَمَّا لِيَ شَوَّفْتَ شَوَّفْتَ لَا حَانَ حِينِكَ! هَيَّاهَا عَرِّيَ عَرِّيَ! لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ. قَدْ طَلَقْتُكِ ثَلَاثَةَ لَا رَجْعَةَ فِيهَا؛ فَعَيْشُكَ قَصِيرٌ وَخَطْرُكَ يَسِيرٌ وَأَمْلُكَ حَقِيرٌ. أَهُ مِنْ قَلَّةَ الْأَزَادَ وَطُولَ الْأَطْرِيقِ وَبُعْدَ السَّفَرِ وَعَظِيمِ الْمُورَدِ).

(٣) كذا في الأصل، وفي المصادر المعتبرة (يخشع)، وهو الأصوب: ((عن سفيان الثوري عن عمرو بن قيس قال: «رأي على على ﷺ إزار مرفوع، فعوتب في ذلك، فقال: (يخشع له القلب، ويقتدي به المؤمن))): ينظر: فضائل الصحابة - ابن حنبل - ١ / ٥٤٩ و ٥٣٤. والمناقب - ابن شهر آشوب: ٢ / ٩٦. وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ: ٩ / ٣٦٦، وفيها تفصيل وافي وروایات جمة في هذا الباب.

(٤) المصادر السابقة، وغيرها كثیر قد نقلت هذا الخبر.

(٥) الديوان المنسوب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: ٦٧. ويروى (تحسب) بدل (ترعم).

(٦) ويروى (وما) وهي رواية الديوان.

(٧) ويروى: (وداؤكَ منكَ وَمَا تُبْصِرِ)، وهي رواية الديوان.

(٨) كذا في المخطوط.

أَتَخَلَّفُنِي فِي النَّسَاءِ وَالصَّبِيَانِ، فَقَالَ: يَا عَلَيَّ أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيٌّ مِنْ بَعْدِي<sup>(١)</sup>، وَقَالَ: (مَنْ كُنْتَ مُولَاهُ فَعْلَيْهِ مُولَاهٌ، اللَّهُمَّ وَالَّذِي وَعَادَ مِنْ عَادَاه)<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ فِيهِ: (لَا يَحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَغُلُّكَ إِلَّا مُنَافِقٌ)<sup>(٣)</sup>، وَقَالَ: (مَنْ آذَى عَلَيَّ فَقَدْ آذَنِي، وَمَنْ سَبَّهُ فَقَدْ سَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ أَحْبَبَهُ فَقَدْ أَحْبَبَنِي)<sup>(٤)</sup>، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ: ((أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ، وَعَلَيَّ بَابُهَا، وَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ - فَلِيأَتِهَا<sup>(٥)</sup> مِنْ بَابِهِ<sup>(٦)</sup>، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ: (عَلَيَّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ)<sup>(٧)</sup>. وَسَئَلَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (قَسْمَتُ الْحِكْمَةَ عَشْرَةً أَجْزَاءً فَأُعْطِيَ عَلَيَّ تِسْعَةً أَجْزَاءَ وَالنَّاسُ جُزْءًا وَاحِدًا<sup>(٨)</sup>. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ ((وَأَنْتَ الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ وَأَنْتَ الْفَارُوقُ<sup>(٩)</sup> الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ)<sup>(١٠)</sup>.

(١) صحيح البخاري: ٥ / ١٩، وصحیح مسلم: ٧ / ١١٩، وفضائل الصحابة: ٢ / ٥٦٦، كفاية الطالب: ٢٤٨، وذخائر العقبى: ٥٨، والصواعق المحرقة: ١٢٥.

(٢) فضائل الصحابة: ٢ / ٥٦٩، والصواعق المحرقة: ١٥٣، والفصول المهمة: ٤٠، وينابيع المودة: ٣٧.

(٣) فضائل الصحابة: ٢ / ٥٦٣، ٥٩٤، ٥٧٩، ٥٦٣، ٦٢٢، والصواعق المحرقة: ١٥٥، والفصول المهمة: ١١٩، ١٢٠.

(٤) فضائل الصحابة: ٢ / ٥٧٩، والصواعق المحرقة: ١٥٥، وكفاية الطالب: ٣٠١، والفصول المهمة - مع اختلاف اللفظ واتفاق المعنى -

(٥) كذا في الأصل والأصول: ((فليأته)), لأنَّ الصمير يعود إلى العلم.

(٦) الإرشاد - المفید: ٢٢، وكفاية الطالب: ١٩١، والصواعق المحرقة: ١٥٤. ويروى: ((أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَيَّ بَابُهَا، وَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلِيأَتِهَا مِنْ بَابِهِ)) ينظر: المستدرك - الحاكم - ٣ / ١٧٢. والخصال - الطوسي - ٢ / ١٠٠.

(٧) الصواعق المحرقة: ١٥٥، نور الأ بصار: ١٦٣، وينابيع المودة: ١ / ١٠٤.

(٨) حلية الأولياء: ١ / ٦٥ وروايته) (قَسَّمَتُ الْحِكْمَةَ عَشْرَةً أَجْزَاءً فَأُعْطِيَ عَلَيَّ تِسْعَةً أَجْزَاءً، وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ جُزْءًا وَاحِدًا). وينظر: بحار الانوار: ٢٧ / ١٣٤.

(٩) في الأصل: (الفارق) وقد سقط منه الواو في النسخ.

(١٠) فضائل الصحابة: ٢ / ٦٢٧ - مع اختلاف اللفظ -، وذخائر العقبى: ٥٦.

وفي رواية (وأنت يعسوب الدين)<sup>(١)</sup>، وقال صلى الله عليه [وآله] وسلم: (من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى زكريا في زهده وإلى موسى بن عمران في بطشه فلينظر إلى علي بن أبي طالب)<sup>(٢)</sup>، وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (رأيت أبي يكثر النظر إلى وجهي). فقلت: يا أبا رأيتك تكثر النظر إلى وجهي، فقال: يا بنتي سمعت سيدنا رسول الله - صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: النظر إلى وجه عيّ عباده)<sup>(٣)</sup> (٤ / ٨)، وكان إذا غضب المصطفى لم -يجترئ-<sup>(٤)</sup> أحد أن يكلمه إلا على<sup>(٥)</sup>، وقال صلى الله عليه [وآله] وسلم: (يا علي إنك أول من يقرع باب الجنة -فيدخلها-<sup>(٦)</sup> غير حساب بعدي)<sup>(٧)</sup>، وقال ابن عباس<sup>(٨)</sup> -رضي الله عنها- (ما نزل في أحدٍ من كتاب

(١) الصوائق المحرقة: ١٥٤، ونور الأ بصار: ١٦١. وفي بحار الأنوار: ٩٧ / ٥١ (من كتاب عتيق في المناقب، قال أخربني مخول بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن أبي رافع عن أبيه عن أبي ذر قال لما سير عثمان أبو ذر إلى الربذة أتيته أسلم عليه فقال أبو ذر أن اصبر فقال أبو ذر لي ولناس معى عدة إنها ستكون فتنة ولست أدركتها ولعلكم تدركونها فانتقوا الله وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب فإني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول أنت أول من آمن بي وأول من يصافحني يوم القيمة وأنت الصديق الأكبر وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل وأنت يعسوب المؤمنين والمالم يعسوب الكفارة).

(٢) نقلت كتب الفريقين روايات كثيرة بهذا المعنى بعضها مختلف اللفظ متافق المعنى، منها: (فضائل الصحابة: ٢ / ٦٢٩، شواهد التنزيل لمن خص بالفضل -الأندونيسي:- ١٨ / ٢١، الرياض الناظرة: الطبرى: ٢ / ٢١٨. كفاية الطالب: ١٠٥ ، والفصول المهمة: ١١٦).

(٣) الصواعق المحرقة: ١٥٥ -بلغه: (النظر إلى علي عبادة)، وكفاية الطالب: ١٣٥.

(٤) كذا في الأصل، والأصوب: (يجترئ).

(٥) عن أم سلامة، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا غضب لم يجترئ أحد أن يكلمه، إلا على» المعجم الأوسط: الطبراني ت/ تحقيق: أبو معاذ طارق / ١٠ / ١٩. هكذا ورد في معظم كتب الحديث.

(٦) الأصح: (فتدخلها) (يا علي، إنك أول من يقرع باب الجنة فتدخلها غير حساب بعدي» ينظر هامش رقم .٣

(٧) الرياض النصرة في مناقب العشرة - محب الدين الطبرى - ٢١٩ / ٢.

(٨) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هشام بن عبد المناف بن قصي ويكتنى: أبو العباس وأمه أم الفضل هي لبابة الكبرى بنت الحارث، ينظر ترجمته: الطبقات الكبرى - ابن سعد - ١ / ١١١.

الله [مثل<sup>(١)</sup>] ما نزل في علي<sup>(٢)</sup>، وقال أيضاً: (والله قد أعطي [علي<sup>(٣)</sup>] تسعة عشرة لستة عشرة لستة أشهر) لم، و«يم»<sup>(٤)</sup> الله قد شاركهم في العشر العاشر<sup>(٥)</sup>. وقال - وقد ذُكر عنده علي - فقال: (إنكم لتذكرون رجالاً كان يسمع وطء جبريل فوق بيته)<sup>(٦)</sup>.

وقال عمر: (أقضانا علي)<sup>(٧)</sup>، ويروى أنه لما أراد رجم المرأة التي ولدت لستة أشهر فقال له علي: (إن الله يقول وحمله وفصالة ثلاثون شهراً، وفصالة في عامين)<sup>(٨)</sup>، ترك عمر رجمها. وقال: (لولا علي هلك عمر)<sup>(٩)</sup>. وكان يقول: (لا خير في عيش قوم لست فيهم «يابا»<sup>(١٠)</sup> الحسن)<sup>(١١)</sup>. ومن أراد أن يعرف منزلته من المصطفى (صلى الله عليه [وآله] وسلم) وإذا أردت أن تعلم قرب منزلته من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ فتأمل صنيعه في

(١) كلمة مثل غير واردة في كتب الحديث: ينظر هامش رقم ٦.

(٢) الصواعق المحرقة: ابن حجر: ١٢٧، وختصر تاريخ دمشق: ابن منظور: ١٨ / ١١.

(٣) سقطت من المخطوط موجودة في كتب الحديث.

(٤) (أَيُّم) كما ورد في كتب الحديث.

(٥) منح الجليل شرح مختصر خليل: - محمد علیش: ٥٤٨ / ٩: ، والجواهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة - محمد بن أبي بكر التلمساني - (ت بعد ٦٤٥هـ) ت: د محمد التونجي: ١ / ١٢٢.

(٦) ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربي: ٩٤.

(٧) عن ابن عباس، قال: قال عمر: (أقرؤنا أبى وأقضانا علي) صحيح البخاري: ٤ / ١٦٢٨ وينظر: شرح الزرقاني على موطأ مالك: ١ / ٢٤٠

(٨) عن أبي الأسود الدؤلي - من طريق قتادة - قال: رفع إلى عمر امرأة ولدت لستة أشهر، فسأل عنها أصحاب النبي ﷺ قال علي: لا رجم عليها؛ لأن الله تعالى يقول: «وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا»، وقال: «وفصالة في عامين» وكان الحمل هناء ستة أشهر. فتركها عمر. قال: ثم بلغنا أنها ولدت آخر، ينظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: محمد بن عبد الباقي الزرقاني / تحقيق: طه عبد الرءوف سعد: ٤ / ١٧٩.

(٩) ميزان الحكمة - الريشيهري - ٥ / ٣٢٧. وينابيع المودة: ٧٥، ٣٧٣.

(١٠) ورد في الحديث (يا أبا) ينظر هامش رقم ١٦.

(١١) تاريخ مدينة دمشق: ٤٢ / ٤٠٧، الإصابة: ١ / ٢٤، ميزان الحكمة: ٥ / ٣٢٧.

المواхاة بين الصحابة، جعل يضم الشكل إلى الشكل، والمثل منهم إلى المثل فيؤلف بينهما، إلى أن «آخا» بين أبي بكر وعمر -، وأدخر علياً لنفسه، واختصه بأخوته؛ فناهيك بها من فضيلة وأعظم بها من شرف<sup>(١)</sup>. ومع ذلك اختصاصه بفاطمة مع طلب أبي بكر وعمر، وغيرهما<sup>(٢)</sup>، وشدّة اهتمامهم بها، مع كون ذلك بأمر الله لكتفي، والحاصل إن الوارد (٨/٥)، في فضله كثير، حتى قال الإمام أحمد<sup>(٣)</sup>: (ما ورد لأحد من الصحابة ما ورد لعلي)<sup>(٤)</sup>، ولو كرامات لا تُعدّ، منها: ما قال أصيغ [نباته]<sup>(٥)</sup> (أتينا مع علي -رضي الله عنه- فمررنا بموضع قبر الحسين -رضي الله عنه- فقال علي -رضي الله عنه-: هاهنا مَنَّا خُرِكَاهُمْ وَهَا هُنَا مَوْضِعُ رَحَلِهِمْ وَهَا هُنَا مُهْرَاقٌ<sup>(٦)</sup> دِمَائِهِمْ فتية من آل محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم،

(١) وقال الكنجي الشافعي في (كتاب الطالب) ١٣٩: (هذا حديث حسن، عال، صحيح، أخرجه الترمذى في جامعه، فإذا أردت أن تعلم قرب منزلته من رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) تأمل صنعته في المواхاة بين الصحابة، جعل يضم الشكل إلى الشكل، والمثل إلى المثل فيؤلف بينهما، إلى أن آخى بين أبي بكر وعمر، وأدخر علياً لنفسه، واختصه بأخوته، فناهيك بها من فضيلة وشرف)، وينظر: سنن الترمذى: محمد بن عيسى الترمذى: ٨٥٦.

الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقيين: أبو الفتوح الطائي الهمذاني (ت ٥٥٥ هـ)/ تحرير: عبدالستار أبوغدة / دار البشائر الإسلامية / الطبعة ١/ ١٩٩٩.

(٢) عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه، قال: خطب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاطمة، فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: إلهها صغيرة، فخطبها على فزوجها منه / سنن النسائي: ٤٩٨.

(٣) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي ت ٢٤١ فقيه ومحدث مسلم، ورابع الأئمة الأربعية عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنبلية في الفقه الإسلامي. ويعُد كتابه (المسند) من أشهر كتب الحديث وأوسعها. ينظر ترجمته: المجرى والتعديل -الرازي- ١٢٧.

(٤) المسند -أحمد بن حنبل: ١/ ١٥٥، طبقات الحنابلة: أبو الحسين بن يعلي: ١/ ٢٣٠.

(٥) أصيغ بن نباتة، أبو القاسم، الحنظلي، التميمي، المجاشعي، الدارمي، الكوفي. سمع علياً، روى عنه يحيى بن أبي الهيثم. توفي بعد سنة ٧٠ هـ، ينظر ترجمته: الطبقات الكبرى -ابن سعد: ٦/ ٢٢٥ وجمهرة أنساب العرب: ابن حزم: ٢٣١.

(٦) مهراق الماء: صبه. ينظر الصحاح: ٤/ ١٢٣٣.

يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض<sup>(١)</sup>.

وقد عُلِمَ السنة والشهر والليلة، التي قُتِلَ فيها<sup>(٢)</sup>، ولما خرج لصلاة الصبح صاح الإوز في وجهه فَطَرْدَنْ عنه، فقال: دعوهنْ فإِمَّنْ نوائح، قتلَه عبد الرحمن بن ملجم بسيف قد أَسْقَاهُ السَّمْ، في صَبِيحةِ يَوْمِ سَبْعَةِ شَعْرَنَ من رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ، وَقِيلَ كَانَ ذَلِكَ صَبِيحةً يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَأَقَامَ إِلَى لَيْلَةِ الْأَحَدِ وَتَوَفَّى، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْحَسْنُ، وَدُفِنَ بِالْكُوفَةِ لِيَلَّا بَدَارَ الْإِمَارَةِ<sup>(٣)</sup>، وَعُمْرُهُ ثَلَاثَ وَسَوْنَ سَنَةً، وَقِيلَ: أَرْبَعَ أَوْ خَمْسَ أَوْ

(١) الرياض النبرة في مناقب العشرة: ٢٢٢/٢:

(٢) دعا على الناس إلى البيعة. ف جاء عبد الرحمن بن ملجم المرادي فرده مرتين، ثم أتاه فقال: ما يحبس أشقاها، لتخضبن أو لتصبغن هذه من هذا، يعني لحيته من رأسه، ينظر: الطبقات الكبرى: ابن سعد/ تح: علي محمد عمر: ٣/٤. قال علي: بضربي على هذه تخضب هذه -يعني لحيته من رأسه- عهد معهود، وقضاء مقضي وقد خاب من افترى. ينظر: الرياض النبرة في مناقب العشرة: ٢٣٣:

(٣) واختلفوا في موضع دفنه فقيل: في قصر الإمارة بالكوفة، وقيل: في رحبة الكوفة، وقيل: بتجف الحيرة. قال الخجندي: والأصح عندهم أنه مدفون من وراء المسجد غير الذي يؤمه الناس اليوم. ينظر: الرياض النبرة: ٢٦٣

والثابت عندنا انه لم يدفن ليللا بدار الإمارة وانما دفن بظهر الكوفة. ينظر: تاريخ بغداد/ أبو بكر احمد الخطيب البغدادي: تح: د بشار عواد: ١/١٣٧: وفي أعيان الشيعة-الأميني- ٢: ٣٢٥-٣٢٧. جعل ليللا ليللا إلى ناحية الغرين ودفن هناك وأخفى قبره بوصية منه؛ وحکى ابن أبي الحديد في شرح النهج عن أبي القاسم البليخي أنه قال إن عليا ليللا لما قتل قصد بنوه أن يخفوا قبره خوفاً من بني أمية أن يحدثوا في قبره حدثاً فأوهموا الناس في موضع قبره تلك الليلة، وهي ليلة دفنه إيمادات مختلفة فشدّوا على جمل تابوتا موئلاً بالحبال يفوح منه روائح الكافر، وأخرجوه من الكوفة في سواد الليل صحبة ثقاتهم يوهمون أنهم يحملونه إلى المدينة فيفونه عند فاطمة ليللا وأخرجوا بغالاً وعليه جنازة مغطاة يوهمون أنهم يدفونه بالحيرة، وحرقوا حفائر عدة منها بالمسجد، ومنها بربحة قصر الإمارة، ومنها في حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة المخزومي، ومنها في أصل دار عبد الله بن يزيد القسري بحذاء باب الوراقين مما يلي قبلة المسجد، ومنها في الكناسة، ومنها في الثوية، فعمي على الناس موضع قبره، ولم يعلم دفنه على الحقيقة إلا بنوه والخواص المخلصون من أصحابه، فإنهم خرجوا به ليللا وقت السحر في الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان دفونه على النجف بالموقع المعروف بالغربي بوصاة منه ليللا

= إليهم في ذلك وعهد كان عهد به إليهم، وعمي موضع قبره على الناس. واحتلت الأراجيف في صبيحة ذلك اليوم اختلافاً شديداً، وافتقرت الأقوال في موضع قبره الشريف وتشعبت، وادعى قوم أن جماعة من طيء وقعوا على جمل في تلك الليلة وقد أضلهم أصحابه ببلادهم وعليه صندوق، فطنوا فيه مالاً. فلما رأوا ما فيه خافوا أن يطلبوا به فدفونا الصندوق بها فيه ونحرروا البعير وأكلوه. وشاع ذلك فيبني أمية وشيعتهم واعتقدوه حقاً. فقال الوليد بن عقبة من أبيات يقصد فيها الرد على رسول الله ﷺ حيث قال وإن تولوها علياً تجدوا هادياً مهدياً:

فان يك قد ضل البعير بحمله      فما كان مهدياً ولا كان هادياً

(اه) ما حكاه ابن أبي الحديد. ولذلك وقع الاختلاف في موضع قبره الشريف بين غير الشيعة. أما الشيعة فمتذقون خلافاً عن سلف نقاً عن أئمتهم أبناء أمير المؤمنين عليه السلام أنه لم يدفن إلا في الغري في الموضع المعروف الآن، ووافقهم المحققون من علماءسائر المسلمين، والأخبار فيه متواترة. وقد كتب السيد عبد الكريم بن طلاوس كتاباً في ذلك سماه فرحة الغري استقصى فيه الآثار والأخبار الواردة في ذلك، وأتى بما لا مزيد عليه. وروى المفيد في الإرشاد بسنده عن جابر بن يزيد، قال سألت أبا جعفر بن علي الباقي عليه السلام أين دفن أمير المؤمنين؟ قال دفن بناحية الغرين ودفن قبل طلوع الفجر. ويسنده عن أبي عمير عن رجاله قيل للحسين بن علي عليه السلام أين دفنت أمير المؤمنين؟ قال خرجنا به ليلاً على مسجد الأشعث حتى خرجنا به إلى الظهر بجنب الغرين فدفناه هناك. وقال ابن الأثير دفن عند مسجد الجماعة وقيل في القصر، وقيل غير ذلك؛ والأصح أن قبره هو الموضع الذي يتبرك به ويزار (اه).

أقول وهذا مما لا شبهة فيه ولا ريب لأنّ أولاده وذراته وشيعتهم كانوا يزورونه في هذا الموضع، وأعرف الناس بقبر الميت أهله وأتباعه، وعليه جميع الشيعة وأئمة أهل البيت وجميع المسلمين إلا من شدّ.

وفي تذكرة الخواص: حكى أبو نعيم الأصفهاني أنّ الذي على النجف إنما هو قبر المغيرة بن شعبة؛ قال: ولو علم به زواره لرجموه. قلت وهذا من أغلاط أبي نعيم، فإن المغيرة بن شعبة لم يعرف له قبر. وقيل إنّه مات بالشام (اه). قال المفيد في الإرشاد لم يزل قبره عليه السلام مخفياً لا يعرفه غير بنيه وخصوص شيعتهم حتى دلّ عليه الصادق جعفر بن محمد عليه السلام في الدولة العباسية وزاره عند وروده إلى أبي جعفر وهو بالحيرة فعرفه الشيعة واستأنفوا إذ ذاك زيارته (اه). قال صفوان بن مهران الجمال فيما روی عنه في فرحة الغري: لما وافيت مع جعفر الصادق عليه السلام الكوفة يريد أبا جعفر المنصور، قال لي يا صفوان أخن الراحلة، فهذا قبر جدي أمير المؤمنين. فأنفتح لها ثم نزل فاغتنسل وغير ثوبه وتحفى، وقال لي افعل مثلما أفعل. ثم أخذ نحو الذكرة وقال لي قصر خطاك طلباً لثواب زيادة الخطى إلى أن قال ثم مشى ومشيت معه وعلينا السكينة والوقار نسبح = ونقدس ونهلل، إلى أن بلغنا الذكرات؛ فوقف ونظر يمنة ويسرة وخط بعказاته

= فقال لي اطلب. فطلبت فإذا أثر القبر ثم أرسل دموعه، وقال: السلام عليك أيها الوصي.. إلى آخر الزيارة، إلى أن قال قلت يا سيد تأذن لي أن أخبر أصحابنا من أهل الكوفة به فقال نعم وأعطاني دراهم وأصلحت القبر. وفي رواية عن الصادق عليه السلام أنه قال لما كنت بالحيرة عند أبي العباس يعني السفاح، كنت آتي قبر أمير المؤمنين عليه السلام ليلاً بناحية نجف الحيرة إلى جانب غري النعيم فأصلى عنده صلاة الليل وأنصرف قبل الفجر. وفي رواية عن صفوان الجمال قال حملت جعفر بن محمد عليه السلام فلما انتهيت إلى النجف قال يا صفوان تيسّر حتى تجوز الحيرة فتأتي القائم فبلغت الموضع الذي وصف فنزل وتوضاً، ثم تقدم هو وعبد الله بن الحسن فصلاً عند قبر، فلما قصيا صلاتها قلت: جعلت ذاك أي موضع هذا القبر؟ قال: هذا قبر علي بن أبي طالب، وهو القبر الذي تأتيه الناس هناك. وينبغي أن يكون هذا في خلافة السفاح لأنّه هو الذي وف عليه عبد الله بن الحسن. وعن فرحة الغري بستنه عن عبد الله بن عبيد بن زيد قال:رأيت جعفر بن محمد وعبد الله بن الحسن بالغري عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام. وروى ابن قولويه في كتاب كامل الزيارة بستنه عن صفوان الجمال قال: سألت أبي عبد الله عليه السلام عن موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام فوصف لي موضعه حيث دكاك الميل فأتيته فصليت عنده ثم عدت إلى أبي عبد الله عليه السلام من قابل فأخبرته بذهابي وصلاتي عنده. فقال: أصبت. فمكثت عشرين سنة أصلی عنده.

أقول: صفوان كان جالاً يسافر بجهازه من الحجاز إلى العراق وبالعكس، فكان كلما سافر إلى العراق يصلي عند القبر الشريف، وكان هذا كان قبل أن يركب معه الصادق عليه السلام من الحجاز إلى العراق كما مر ذكره على القبر فعرفه بالوصف. ثم لما حمله دله على موضعه بالتعيين، وكان من أصحاب الصادق عليه السلام وشييعته. وفي عدة روايات عن الصادق عليه السلام أنه لما آتى الكوفة صلى ركعتين ثم تنحى فصل ركعتين ثم تنحى ركعتين؛ فسئل عن ذلك فقال الأولى موضع قبر أمير المؤمنين، والثانية موضع رأس الحسين، والثالثة موضع منبر القائم عليه السلام. وقد دل الصادق عليه السلام جماعة من أصحابه على قبر أمير المؤمنين عليه السلام بظهور الكوفة في المكان المعروف منهم أبو بصير وعبد الله بن طلحة ومعلى بن خنيس ويونس بن ظبيان وزرارة وغيرهم وقبل ذلك جاء الإمام علي زين العابدين عليه السلام من الحجاز إلى العراق مع خادم له لزيارته، فزاره ثم رجع. ولكن لم يعرفه جميع الناس، ثم عرفه وأظهره الرشيد العباسي بعد سنة ١٧٠ فعرفه عامة الناس. روى المفيد في الإرشاد عن محمد بن زكريا حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الله عن ابن عائشة، حدثني عبد الله بن حازم، قال خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيد فصرنا إلى ناحية الغربين والثوية فرأينا ظباء فأرسلنا عليها الصقور والكلاب، فجاولتها ساعة، ثم جلأت الظباء إلى أكمة فوقفت عليها فسقطت الصقور ناحية ورجعت الكلاب. فعجب الرشيد من ذلك. ثم إنَّ الظباء هبطت من الأكمة فهبطت الصقور والكلاب فرجعت الظباء إلى الأكمة فترجعت عنها الصقور والكلاب؛ فعلت ذلك ثلاثة. فقال الرشيد اركضوا = فمن لقيتهموه فائتوني به فاتيناه بشيخ منبني أسد،

سبعين حسون، وقيل: ثمان<sup>(١)</sup>، وخلافته: أربع سنين، وثمانية أشهر<sup>(٢)</sup>، وله من الولد ثلاثة وثلاثون: الذكور خمسة عشر، أو أربعة عشر<sup>(٣)</sup>، هذا؛ وفضائل الأربع: لا تخصي، ومناقبهم أجمل من أن تستقصي، وهذه قطعة من عباد، فاق بها على جميع الصحابة، - أماتنا الله على محبتهم، وبغض باغضيهم الملحدين، - ونسألك اللهم أن تجعلنا من خالص أحبائهم

= فقال له هارون أخبرني ما هذه الأكمه؟ قال: إن جعلت لي الأمان أخبرتك. قال لك عهد الله وميثاقه أن لا أهيجك ولا أؤذيك. قال حدثني أبي عن آبائه أئمما كانوا يقولون إن في هذه الأكمه قبر علي بن أبي طالب، جعله الله حرماً لا يأوي إليه شيء إلا من. فنزل هارون، فدعا بهاء فتوضاً وصل عن الأكمه وقرغ عليها وجعل يبكي، ثم انصر فنا. قال محمد بن عائشة، وكان قلبي لا يقبل ذلك فحججت إلى مكة فرأيت بها ياسراً خادم الرشيد. فقال: قال لي الرشيد ليلة من الليالي، وقد قدمنا من مكة فنزلنا الكوفة: يا ياسر قل ليعيسى بن جعفر فليركب؛ فركبا جميعاً وركبت معهما حتى إذا صرنا إلى الغرين. فأما عيسى فطرح نفسه فنام، وأما الرشيد فجاء إلى أكمه فصل عندها. فكلما صل ركتعن دعا ويبكي وترغ على الأكمه ثم يقول: يا ابن عم، أنا والله أعرف فضلك وسابقتك وبك والله جلس مجلسي الذي أنا فيه وأنت وأنت؛ ولكن ولدك يؤذوني ويخرجون على ثم يقوم فيصلي ثم يعيد هذا الكلام، ويدعو ويبكي حتى إذا كان وقت السحر، قال لي: يا ياسر أقم عيسى فأقمته، فقال له يا عيسى قم فصل عند قبر ابن عمك. قال له: وأي ابن عم مني هذا؟ قال: هذا قبر علي بن أبي طالب. فتوضاً عيسى وقام يصلي. فلم يزلا كذلك حتى طلع الفجر. فقلت يا أمير المؤمنين أدركك الصبح؟ فركبنا ورجعنا إلى الكوفة (٤)).

(١) توفي أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو ابن أربع وستين سنة، سنة أربعين، في ليلة الأحد لإحدى وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان، وولي غسله ابنه الحسن بن علي وعبد الله بن العباس، وكفن في ثلاثة أبواب ليس فيها قميص. وصل عليه ابنه الحسن وكتب عليه حمس تكبيرات، ودفن في الرحبة مما يلي أبواب كندة عند صلاة الصبح.

ينظر: مقاتل الطالبين: - الأصفهاني - تح: السيد احمد الصقر: ٥٤. (وقت السحر في الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان) ينظر: اعيان الشيعة: ٣٢٧ / ٢.

(٢) وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا نحواً من أربعة أشهر أو ثلاثة أشهر لأنه بويح لخمس بقين من ذي الحجة سنة ٣٥ / ينظر: أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين / تح: حسن الأمين / دار التعارف / بيروت / ٥٣١ ج ١.

(٣) وكان له من الولد أربعة عشر ذكراً، وثمانية عشرة أنثى. ينظر: الرياض النبرة في مناقب العشرة: ٢٩٣. (وكان له من الأولاد سبع وعشرون ذكراً وأنثى) ينظر: الارشاد: - المفيد: ٤١٣: ..

المقربين، وتسهّل بِجاههم أموَرنا، وتَتوفَانا مسلِمُين (٨/٦) برحمتك يا أرحم الراхمن ونسالك، اللَّهم إنا نتوسل إليك بأفضل الوسائل إليك، وأكرم الشفعاء لديك، أن تديم علينا وعلى الحاضرين رضاك يا ربَّا، وتحنحنا جميعاً من خيري الدارين ما تمناه، وأن لا تقابلنا بسوء ما اقترفناه من العيوب، ولا بقبيح ما قدمنا من الذنوب، إنك جواد كريم، رؤوف رحيم. ونسألك اللَّهم بنبيك الأكرم، ورسولك الأعظم، أن تديم النصر والتمكين، والظفر والفتح المبين، لعبدك الذي اختerte على كثير من العالمين، وارتضيته لإصلاح أمور الدين، السلطان ابن السلطان ابن السلطان، مولانا السلطان الغازي: عبد الحميد خان<sup>(١)</sup>.

اللَّهم اجعل دولته لأهل الحق عزَّاً ورفعَةً ونصرَةً، ولأرباب البدع والطغيان ذلاًّ وخسراً، اللَّهم انصره على الكفارة الملحدين، والخوارج المبتدعين، بفضلك وإحسانك يا أرحم الراхمين. اللَّهم وأدم سعادة من سعدت به الأقطار الحجازية، وسيادة من شيدت - بدلته -  
 (٢) الملكة الحسينية، خيرة الذخيرة من السادة الأشراف الحسينيين، الكماة الحماة لساحة البلد  
 المطهَّر الأمين، الواشق بربه، فيها ظهر وبطن، سيدنا ومولانا الشَّرِيف عون ابن المرحوم الشريف محمد بن عبد المعين بن الحسن<sup>(٣)</sup> اللَّهم زده توفيقاً: لإحياء ما اندرس من معالم

(١) هو السلطان الرابع والعشرون من سلاطين الدولة العثمانية، عبد الحميد الثاني، آخر السلاطين الكبار، تولى الحكم من ١٢٩٣ إلى ١٣٢٧ الموافق من ١٨٧٧ إلى ١٩٠٩. وقد دام حكمه قرابة (٣٠) عاماً وخلع بانقلاب؛ فوضع رهن الإقامة الجبرية إلى حين وفاته. أطلقت عليه عدة ألقاب منها السلطان المظلوم والسلطان الغازي. ينظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد (بك) المحامي / تح: إحسان حقي: ٥٨٧، ومذكرات السلطان عبد الحميد، علي محمد الصلاي: ٢٣٣.

(٢) كذا في الأصل، وأراه تصحيحاً: لعله ((بدولته))، فالدولة هي التي تشيد لا البذلة.

(٣) هو الشريف الرقيق: عون بن محمد بن عبد المعين بن عون (عونى) ولد ١٨٤١ م (١٢٥٦ هـ) وتوفي: ١٩٠٥ م (١٣٢٣) تولى إمارة مكة المكرمة أواخر ١٢٩٩ هـ أي ما يوافق ١٨٨١ بعد وفاة أخيه الشريف الحسين فشغل الإمارة مدة (٢٥) سنة. ينظر: موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب: أيوب صبري باشا / ترجمة من العثمانية / ماجدة مخلوف: ٥ / ٨٨، وتاريخ حكام مكة: لغير الدبيغوري، ترجمة: رق الله بطرس: ١١٢.

(٧) الرشاد، وقوّ همة الهاشمية على ما تجده وترضاه، ليجيئي ثمرته يوم المعاد، اللهم وأدم التوفيق والتأيد لعبدك المكمل، ذي الرأي السديد، من جعلته - راع -<sup>(١)</sup> على جiran بيتك الحرام، ومرجعاً للخاص منهم والعام، أفندينا أحمد راتب باشا<sup>(٢)</sup> بلغه الله من خيري الدارين ما شاء. اللهم إنا نسائلك بجميع رسليك وأنبيائك وملائكتك من أهل أرضك وسمائك، أن تلبسنا ثوب العوافي، وتكفينا شرّ كل ذي شرّ، يا خير كافي، وأن تصلح لنا يا مولانا جميع الأعمال، وتحسن لنا الخواتم إذا حانت الآجال، وتفوقنا لتابعة نيك - صلي الله عليه [والله] وسلم في الظاهر والباطن، وتب علينا من أصبح تحت تصارييف الزمان = ساكن -<sup>(٣)</sup>. اللهم وأصلح ولاة المسلمين، وانصر عساكر الموحدين، وأهلك الكفرة والمبدعين. اللهم زلزل أقدامهم، اللهم مزق أجسامهم، اللهم شتت شملهم، اللهم فرق جمعهم، اللهم اقذف الرعب في قلوبهم وفؤادهم، اللهم لا تبلغهم فيما شيئاً من مرادهم، اللهم اجعل دائرة السوء عليهم، اللهم انصرنا عليهم بأكرم الأكرمين. اللهم واقض الدين عن المدينين، وفرّج هم المهمومين، وفك أسر المأسورين، وعاف بفضلك مرضانا ومرضى المسلمين، واكتب السلامة لنا، ولعيديك الحجاج والغزاوة، والزوار والمسافرين، والمقيمين (٨/٨) في برّك وبحرك من أمّة سيدنا محمد أجمعين. اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا، ذنباً إلا غفرته، ولا همّاً إلا فرجته، ولا عيباً إلا سترته ولا ديناً إلا قضيته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا غائباً إلا ردته ولا عدواً إلا خذلته، ولا صديقاً إلا - كافيته -<sup>(٤)</sup> ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة - لك فيها رضا ولنا فيها صلاح - إلا قضيتها، يا رب العالمين. اللهم وأدم

(١) كذا في الأصل، والأصوب (راعياً) لأنّه منصوب.

(٢) الفريق: أحمد راتب باشا (أفندينا) أحد ولاة الحجاز في تلك الفترة، بين ١٨٩٣ و ١٩٠٨ عزل بعد خلع السلطان عبد الحميد. ينظر: اعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة: محمد علي المغربي: ٣٨١ / ٣.

(٣) كذا في الأصل، والأصوب: (ساكتنا).

(٤) كذا في الأصل، والأصوب: (كافأته)

نعمك الجزيلة علينا وعلى الحاضرين، واجعلنا وإياهم من عتقائك من النار أجمعين، يا أرحم الراحمين. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، وال المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، يا واهب العطيات. سبحان رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وآل  
الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

بلغت فضائله اللهم من العظم والجلالة والانتشار والاشتهر مبلغاً يصبح معه التعرُّض لذكرها، والتصدي لتفصيلها، كمفسر الماء. فصارت كما قال أبو العيناء عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير الموكِّل المعتمد: «رأيتني فيها أتعاطى من وصف فضلك، كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر، الذي لا يخفى على الناظر، فأيقتنت أني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز، مقصّر عن الغاية، فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك، ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك».

حينما استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، اجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعّدوا مادحيه وحبسوههم، وقتلوا هم، ومنعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة، أو يرفع له ذكرًا، حتى حظروا أن يسمّى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعهً وسموًّا، وكان كالملسِك كُلَّمَا سُرَّ انتشر عرفة، وكلما كُتم تضوّع شره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حُجِّبَت عنه عين واحدة، أدركته عيون كثرة.

في الحقيقة، فإنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لا تُنسبُ إليه الفضائل، وإنَّما الفضائل تتنسب له. فبذكره تطيب الأعمال، و تستقيم الأقوال، و حسيناً أَنَّه تُعزى إِلَيْه كُلُّ فضيلة، و تنتهي إِلَيْه كُلُّ فِرقة، و تتجاذبه كُلُّ طائفة، فهو رئيس الفضائل و ينبع عنها، و سابق مضمارها، فإنَّه عليه السلام مُظْهِرُها، و مجليُّها، و كَلَّ من ظهر اسمه في ميدان الفضائل بعده، فلَمَّا أَخْذَ مِنْهُ و افْتَقَى، أَثْرَهُ،

وعلى مثاله احتذى، وما هذه الرسالة إلّا قطرة من بحر، والذي دفعنا إلى تحقيقها كونها لأبناء العامة إخوتنا وأنفسنا. ومصادرها كلّها من كتبهم، وجميع إشاراتها ونقولاتها أخذها الكاتب من مؤلفات علمائهم الذين أفروا بهذه المناقب.

ويمكن حصر زمن المخطوط في العقدين الأول والثاني من القرن الرابع عشر الهجري بحسب الأعلام المذكورين فيه، ويتحدث المخطوط عن مناقب الإمام على عليه السلام، لذا كان محور البحث كتب الحديث وأعلام الرجال، يبدو من أسلوب الكاتب أنه أحد عمال الولاة وكتابه، والحمد لله أولاً وآخرأ.

## المصادر والمراجع

١. ابن تيمية/تح: محمد رشاد سالم / جامعة محمد بن سعود الإسلامية/ الطبعة/١  
١٩٨٦ م.
٢. الأربعين في إرشاد السائرین إلى منازل المتقین: أبو الفتوح الطائی الهمذانی (ت ٥٥٥ هـ)/  
تح: عبدالستار أبوغدة / دار البشائر الإسلامية / الطبعة/١ ١٩٩٩ .
٣. الإرشاد: الشیخ المفید ت ٤١٣ / مؤسسة اهل البيت/دار المفید للطباعة/٤ ٥٣٤ .
٤. أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة: محمد علي المغربي/مطبعة المدنی/  
القاهرة/١٩٩٣ ج/٣ ٣٨١ .
٥. أعيان الشیعة: السيد محسن الأمین/ تح: حسن الأمین/دار التعارف / بيروت/  
ج/١ ٥٣١ .
٦. تاريخ الدولة العلیة العثمانیة: محمد فرید (بك) المحامي/تح: احسان حقي / دار  
النفائس / بيروت / ٥٨٧ .
٧. التاريخ الكبير/ محمد بن إسماعيل البخاري، (ت ٢٥٦ هـ) دائرة المعارف العثمانیة،  
حیدر آباد/ الدکن / الطبعة ١ / (دت) .
٨. تاريخ بغداد/أبو بكر احمد الخطیب البغدادی / تح: د بشار عواد/ دار الغرب/  
بيروت / ط ١/٢٠٠٢ ج ١/١٣٧ .
٩. تمہید الأولیاء في تلخیص الدلائل: القاضی أبو بکر الباقلاوی المالکی (ت ٤٠٣ هـ)/تح:  
عماد الدین أحمد حیدر/ مؤسسة الكتب الثقافية/ لبنان / الطبعة/١ ١٩٨٧ .

١٠. جامع الترمذى: محمد بن عيسى الترمذى / وزارة الشؤون الإسلامية / الرياض / ط / ٢٠٠٠ / ٢
١١. الجرح والتعديل / محمد بن إدريس، الرازى ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧) دار إحياء التراث / بيروت / ط ١٩٥٢.
١٢. الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة: محمد بن أبي بكر التلمسانى (ت بعد ٦٤٥ هـ) تعلق: د محمد التونجى، دار الرفاعى، الرياض، الطبعة ١، ١٩٨٣.
١٣. ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى: محب الدين الطبرى (ت ٦٩٤ هـ) / مكتبة القدسية / القاهرة / ١٩٣٨ / ص ٩٤.
١٤. الرياض النصرة في مناقب العشرة / محب الدين الطبرى ت ٦٩٤ / دار الكتب العلمية / ط ٢.
١٥. الرياض النصرة في مناقب العشرة: محب الدين الطبرى ت ٦٩٤ / دار الكتب العلمية / ط ٢٢٢ / ٢ ج.
١٦. سنن النسائي / أبو عبد الرحمن النسائي / المكتبة التجارية الكبرى / القاهرة / ١٩٣٠.
١٧. سيرة اعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي ت ٧٤٨ / مؤسسة الرسالة / الرياض / ط ٢٠٠١.
١٨. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: محمد بن عبد الباقي الزرقاني / تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد / مكتبة الثقافة الدينية / القاهرة / الطبعة ١ / ٢٠٠٣ م.
١٩. صحيح البخاري: أبو عبد الله البخاري / المطبعة الكبرى / بولاق / (دت).

٢٠. الصواعق المحرقة: ابن حجر ت ٩٧٤ / تحر: عبد الرحمن تركي / مؤسسة الرسالة / لبنان / ط ١٩٩٧ / ص ١٢٧ .
٢١. طبقات الخنابلة: أبو الحسين بن يعلي / مطبعة السنة المحمدية / القاهرة / ١٩٥٢ ج ٢٣٠ .
٢٢. الطبقات الكبرى: ابن سعد / تحر: علي محمد عمر / مكتبة الخانجي / القاهرة .
٢٣. كتاب الطبقات الكبرى متمم لطبقات ابن سعد / محمد بن سعد الزهري / ت ٢٣٠ / تحر: محمد بن صامل / مكتبة الصديق / الطائف / ط ١٩٩٣ / ج ١ / ص ١١١ .
٢٤. مختصر تاريخ دمشق: ابن منظور: ت ٧١١ / تحر: وجيه النحاس / دار الفكر، دمشق، ط ١٩٨٤ / ج ١١ .
٢٥. المعجم الأوسط: الطبراني ت / تحقيق: أبو معاذ طارق / دار الحرمين / القاهرة / ١٩٦٥ .
٢٦. مقاتل الطالبين: علي بن الحسين أبو الفرج الأصبهاني ت ٣٥٦ / تحر: السيد احمد الصقر / دار المعرفة / بيروت / ٥٤ .
٢٧. منح الجليل شرح مختصر خليل: محمد عليش / دار الفكر / بيروت / الطبعة ١ / ١٩٨٤ ج ٩ / ٥٤٨ .
٢٨. موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب: أιوب صبرى باشا / ترجمة من العثمانية / د ماجدة مخلوف / دار الافق العربية القاهرة / ط ١ / ٢٠٠٤ / ج ٥ / ص ٨٨ .

# الأهداف الرئيسية للإدارة العامة

في عهد الإمام علي عليه السلام

إلى مالك الأشتر عامله على مصر

دراسة تشريعية مقارنة

الباحث

م. د. حيدر ناجي طاهر

جمعية العميد العلمية والفكرية

جامعة الفرات الأوسط التقنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

سلط الضوء في هذه المقدمة على موضوع الأهداف الرئيسية للإدارة العامة في عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر عامله على مصر، والأهمية التي تتميز بها، والمشكلة التي يواجهها ويحاول الوقوف عليها الباحث، والمنهج العلمي المتبني فيه، والخطة البحثية التي ركز إليها الباحث، تحقيقاً للنتائج المستهدفة.

### أولاً: موضوع البحث

تناول الورقة البحثية الأهداف الأساسية للإدارة العامة - الحكومية - وفق ما عينه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لواليه مالك الأشتر على مصر، والتي تمثلت بجمع الخارج وجهاد العدو واستصلاح أهل مصر وعمارة بلادهم، باعتباره إنموذجاً، متسالماً عليه في الشعاع الإسلامي، وذلك بالمقارنة مع نصوص دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ، ذات العلاقة بالبحث.

### ثانياً: أهمية البحث

كثيرة هي الدراسات التي تناولت سنة الإمام علي عليه السلام - قولاً وفعلاً وتقريراً - في الإدارة والحكم، وإن كانت دون المستوى المطلوب كما وكيفاً، إلا أنَّ الدراسة في ذلك من الجهة التشريعية (القانونية) بالمقارنة مع التشريع الوضعي من جهة، وفي مجال علم الإدارة من جهة أخرى، يُعتبر بحث بكر - على حد تبع الباحث - تحقيقاً جديداً، يضاف إلى جهود

الباحثين عن التشريع الكامل، الذي يعكس مبنى ومستند لإدارة متينة وقيادة منتجة، إزاء النظم الإدارية الوضعية التي تتحدث بين حين وآخر؛ وبمعنى آخر إزاء نظم إدارة متباينة يثبت لاحقها عدم فاعليتها سابقاً.

### **ثالثاً: مشكلة البحث**

يعالج البحث مناطق الفراغ الكلي أو الجزئي في التشريعات الدستورية والقانونية النافذة، ذات العلاقة بأهداف الإدارة العامة (الحكومية - التنفيذية)، من قبل تشريع إسلامي متكملاً من جانب، وواقعي — تم تطبيقه من قبل المشرع ذاته — من جانب آخر، فهو مصدر للتشريع، وواجب اعتماده بشكل أو باخر بموجب دستور ٢٠٠٥ النافذ، الذي يعتبر أنّ الإسلام هو دين الدولة الرسمي ومصدراً أساسياً للتشريع.

### **رابعاً: إطار البحث**

تحدد إطار البحث في الجانب الشرعي، وتعيناً في عهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى مالك بن الحارث الأشتر، واليه على مصر وأعماها، ودستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ، دون الدخول في علم الإدارة، إلّا فيما يتعلق ببيان مفاهيم الإدارة العامة بصورة عامة وأهدافها بصورة خاصة. وقد اقتصرنا على النصوص الدستورية من جهة الأهداف في إطار البحث، دون الدخول في نصوص القوانين والأنظمة والتعليمات، كون الأهداف الرئيسية في العهد أعلاه وما يناظرها من نصوص دستورية تأتي عامّةً وشاملةً، ولا تتضمن التفاصيل والجزئيات.

### منهج البحث:

تبني الباحث المنهج المقارن، وذلك بالوقوف دقيقاً على حيّيات نصّ العهد موضوع البحث، من جهة أهداف الإدارة العامة، من الناحية التشريعية، وفق عرض مقارن مع نصوص الوثيقة الدستورية النافذة في جمهورية العراق.

### خامساً: خطة البحث

تم تقسيم البحث إلى فرعين، تناول الأول التعريف بالإدارة العامة، حيث تضمن بيان مفهوم الإدارة العامة ومفهوم أهدافها وتوضيح المدف العقدي (الفكري) للإدارة العامة في الإسلام. أما الفرع الثاني فقد تعرض للأهداف الموضوعية للإدارة العامة عند الإمام علي عليه السلام من جمع الخراج وجهاد العدو واستصلاح العباد وعمارة البلاد.

## الفرع الأول

### التعريف بالإدارة العامة

يقتضي الوقوف على بيان التعريف بالإدارة العامة، توضيح تخصيصي لمفهوم الإدارة العامة من حيث تعريفها والتشريعات المنظمة لها، ومن ثم عرض معنى أهداف الإدارة العامة والأهمية التي تحظى بها.

#### **اولاً: مفهوم الإدارة العامة**

تحتفل المجالات التي ينخوض بها علم الإدارة؛ فمنها ما يتعلق بالنشاط الحكومي، ومنها ما يتعلق بنشاط القطاع الخاص. وتوضيح ذلك التمييز ما بين المجال الأخير والمجال الأول والذي يعني بالإدارة العامة والتشريعات المنظمة لها، هو ما سيكون محور بحثنا في الفقرتين التاليتين.

#### **١-تعريف الإدارة العامة**

لم تتفق كلمة المختصين في علم الإدارة على تعريف للإدارة. وقد يعود السبب إلى تعدد الدراسات والبحوث التي استهدفت معنى الإدارة وتنوعها، فقد يشير التعريف مثلاً إلى العملية التي يقوم بها المديرون لتحقيق الأهداف التنظيمية، وقد يستخدم معنى الإدارة للتعبير عن الهيكل أو القالب التجميلي لمعلومات يقدم تصورات تساهم في كيفية ممارسة الإدارة. وقد يذهب معنى الإدارة إلى ذات الأفراد الذين يوجهون ويقودون المنظمات أو المهنة التي تُخصص لأجل مهمة توجيه المنظمات<sup>(١)</sup>.

---

(١) د. علي عباس، اساسيات علم الإدارة، ط١، دار المسيرة، عمان -الأردن، ٢٠٠٤، ص ١٧.

ويستخلص مما قد طُرح أعلاه، أنّه يمكن الوصول إلى عدة أمور؛ منها أنّ الإدارة نشاط فكري موجه وخطط لكل الأنشطة والفعاليات التي يتطلبها المشروع، حتى تصل إلى الأهداف المطلوبة، بالاعتماد على المبادئ والقواعد، بدلاً من الوضع العشوائي والطريقة الارتجالية والعفوية إزاء النشاطات. كما إنّ للإدارة بصورة عامة هدفاً تسخر لأجله جميع قدراتها لتحقيقه، وتُطبق على الجماعات وليس الأفراد. بمعنى آخر، إنّ الإدارة تنفذ الأعمال بواسطة الآخرين ولا تقوم هي بها، وأخيراً، الإدارة مسؤولة ومطالبة اجتماعياً بإيجاد النفع للمجتمع المستهدف، عن طريق خلق صنف من التوازن بين مصالح الأطراف التي قد تكون مختلفة أو متعارضة<sup>(١)</sup>.

وللإدارة مجالات أربعة رئيسة، لها ما يميزها عن غيرها من جهة الأسلوب والهدف وطبيعة التكوين، وهي على الوجه الآتي:

١ - مجال الإدارة في القطاع الخاص؛ ويُطلق على هذا المجال عنوان إدارة الأعمال، وهو ما يرتبط بالمشاريع الاقتصادية التي تهدف تحقيق الربح.

٢ - مجال الإدارة في الهيئات والمنظمات التي لا تستهدف الربح، كالجمعيات الخيرية والهيئات التعاونية وإلى غير ذلك.

٣ - مجال الإدارة في المنظمات الدولية، كمنظمة الأمم المتحدة ووكالتها المتخصصة والمنظمات الإقليمية كمنظمة الأمم الأفريقية ومنظمة جامعة الدول العربية<sup>(٢)</sup>.

٤ - مجال الإدارة في القطاع العام، ويُطلق على هذا المجال عنوان الإدارة العامة، وهي الإدارة الحكومية التي تستهدف تقديم الخدمة عامة للمجتمع في الأجهزة الرسمية للدولة، كالوزارات والمجالس والهيئات، وإلى غير ذلك، وهو ما سوف نفصل فيه لاحقاً.

(١) د. ربحي مصطفى عليان، *أسس الإدارة المعاصرة*، ط١، دار الصفاء، عمان-الأردن، ٢٠٠٧، ص١٥.

(٢) د. ربحي مصطفى عليان، *العمليات الإدارية*، ط١، دار صفاء، عمان-الأردن، ٢٠١٠، ص١٩-٢٠.

وتعمل الإدارة العامة (إدارة القطاع العام) على تنفيذ السياسات العامة للدولة، وذلك عن طريق الأجهزة والمؤسسات الحكومية، مستهدفةً بذلك تحقيق المصلحة العامة على أساس أخلاقية، تهاشى مع الذوق العام وفلسفة المجتمع ومبادئه وقيمته، مراعيًّا في معاملاتها العدالة والمساواة<sup>(١)</sup>.

## ٢- التشريعات المنظمة للإدارة العامة

بعدما قدمنا توضيحاً لمفهوم الإدارة العامة، نقدم الآن بياناً للتشريفات المنظمة لنشاطات الإدارة العامة، من جهة نشاط العاملين في مؤسساتها ونشاط هذه المؤسسات بما تقدمه من نفع عام للأفراد من جهة أخرى، فالتشريع النافذ هو الأساس والميزان في مدى مشروعية أعمال الإدارة العامة من عدمها، وهذه التشريعات إما أن تكون وضعية أو إسلامية.

### أ- التشريع الوضعي

وتعدّ قواعد القانون الدستوري والقانون الإداري هي المنظمة لأعمال الإدارة العامة (السلطة التنفيذية للدولة) بالدرجة الأساس. فقواعد القانون الدستوري تمثل مجموعة القواعد القانونية التي تحدد السلطات العامة وحقوق الأفراد<sup>(٢)</sup>، وقواعد القانون الإداري ما هي إلّا قواعد تنظيم عمل السلطة التنفيذية بوجهها الإداري، وبصفته جهازاً خدمياً<sup>(٣)</sup>.

(١) د. ربحي مصطفى عليان، *أسس الإدارة المعاصرة*، مصدر سابق، ص ٢٥ - ٢٦.

(٢) د. حميد حنون خالد، *مبادئ القانون الدستوري وتطور النظام السياسي في العراق*، ط١، مكتبة السنّهوري، بغداد، ٢٠١١، ص ١٩.

(٣) استاذنا د. عدنان عاجل عبيد، *القانون الدستوري*، ط٢، مؤسسة النبراس، بغداد، ٢٠١٣. ص ٧٠.

وقد تتدخل قواعد القانون الدستوري مع قواعد القانون الإداري في تنظيم أعمال الإدارة العامة، مع تمايز قواعد القانون الأول عن قواعد القانون الثاني، من حيث الموضوع؛ كون الأولى تعنى بالدرجة الأكبر بالتنظيم السياسي للدولة، من حيث تكوين السلطات الثلاث والعلاقة فيما بينها، في حين يُعنى القانون الإداري في الأعمال الإدارية للسلطة التنفيذية، وكذلك تختلف الاختنان من حيث تدرج التشريعات باعتبار كون الأولى تمثل القمة في التشريع، بينما تكون الثانية تفريعاً للمبادئ التي أقرّتها قواعد الدستور<sup>(١)</sup>.

وبينجي الإشارة إلى أنّ قواعد القانون الدستوري والقانون الإداري من جهة موضوع البحث، وإن كانت من وضع البشر عن طريق السلطة التشريعية للدولة، إلا أنه قد يكون من تلك القواعد ما هو عن مصدر إسلامي، لا سيما في الدول التي تبني دساتيرها الشريعة الإسلامية مصدراً للتشريع، مثل دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ، الذي اعتبر «الإسلام دين الدولة الرسمي، وهو المصدر الأساس للتشريع»<sup>(٢)</sup>، وفيه أيضاً أكدّ هذا الدستور هذا المعنى بأن «لا يجوز سنّ قانون يتعارض مع ثوابت الإسلام»<sup>(٣)</sup>.

## بـ- التشريع الإسلامي

بعيداً عن الخوض في الخلاف ما بين فقهاء المسلمين في تحديد مصادر الحكم الشرعي، نحصر الكلام في دائرة البحث وفق ما تبناه المذهب الإمامي، لكون مصادر التشريع عنده تنصّر في الكتاب المجيد والسنة المطهرة والعقل والاجماع، وكون السنة المطهرة لا تتعدد بما يصدر عن النبي ﷺ وإنما يمتدّ ليشمل الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

(١) استاذنا د. مازن ليلو راضي، القانون الإداري، ط٤، دار المسلة، بغداد، ٢٠١٧، ص ١٣.

(٢) المادة (٢/أولاً) من دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ.

(٣) المادة (٢/أولاً/أ) من دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ.

وقد استدل الشيعة الإمامية على حجية سنة أهل البيت عليه السلام بأدلة كثيرة، لإثبات مرادهم هو ما دلّ أو رجع إلى لزوم التمسك بهم، والرجوع إليهم، واعتبار قولهم وفعلهم وتقريرهم حجة يسند إليها ويعتمد عليها في مقام إثبات الواقع الإلهي المراد في أفعال المكلفين<sup>(١)</sup>.

وعليه، فإنّ ما يصدر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مقام التشريع يدخل ضمن السنة الشريفة في المعنى المتقدم؛ ومن ذلك كلامه في عهده إلى مالك بن الحارث النخعي الأشر عندما ولاه مصر وأعماها<sup>(٢)</sup>، وبمعنى آخر، إنّ هذا العهد يعدّ تشريعاً كامل الحجية في مجال الإدارة والحكم.

### **ثانياً: أهداف الإدارة العامة**

تقديم ما يبين مجال الإدارة العامة تعريفاً وتشريعاً. بقي لنا أن نبيّن الأهداف التي يضعها التشريع المعني بها من جهة، والأهمية التي تحظى بها من جهة أخرى، وذلك سيكون ضمن الفقرتين أدناه.

#### **١- مفهوم أهداف الإدارة العامة**

لا يوجد في هذا العالم ما هو عبشي. وإنّ أيّ تنظيم من التنظيمات الإدارية، من اليقين أن يكون من أجل تحقيق هدف محدد، ويكون وجود هذا الهدف سابقاً على وجود المؤسسة.

(١) للتوسيعة في حجية سنة أهل البيت عليه السلام، يراجع: السيد محمد تقى الحكيم، الأصول العامة للفقه المقارن، دار ذوي القربي، قم المقدسة، ١٤٢٨ هـ، من ص ١٤٠ إلى ١٨٣.

(٢) يمثل هذا العهد كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أو رسالته التي كتبها للأشر النخعي، لما وَلَاهُ أمر مصر وأعماها، حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر، ويحمل تسلسل (٥٣) من كتب الإمام المصنفة في كتاب نهج البلاغة للشريف الرضا، ط٥، مؤسسة انصاريان، قم المقدسة، سنة ٢٠٠٩ م، ص ٤٩٩.

وإنّ أول شرط لتحقيق العقلانية أو المنطقية هو وجود المهدف، وارتفاع درجة هذه المنطقية في السلوك يعتمد على المواءمة بين السلوك والمهدف على درجة الدقة والوضوح فيها<sup>(١)</sup>. ومن بين تلك التنظيمات الإدارية الهدفية هو الإدارة العامة، غالباً ما تهدف منشآت الإدارة العامة، أي إدارة القطاع العام إلى تحقيق أمرين:

- ١ - مبدأ المصلحة العامة، وذلك بتغليب المبدأ المذكور على مبدأ الربحية.
- ٢ - التنمية الشاملة في المجتمع بمختلف المجالات<sup>(٢)</sup>.

وذلك يكون وفق منهجية محددة، تقوم على الأهداف العامة طويلة الأجل، والتي تتفرع عنها أهداف جزئية قصيرة الأجل، بما يحقق تنسيناً عاماً في التفكير، والتنفيذ من جانب العاملين في إدارات القطاع العام، بصفتها وحدة متراصة بما يحقق تلك الأهداف<sup>(٣)</sup>.

## ٢- أهمية إيجاد أهداف الإدارة العامة

وتبرز أهمية وجود الأهداف وتحديدها في الإدارة العامة، بل وحتى الخاصة - إدارة الأعمال - في النقاط الآتية:

الشرعية: حيث تعمل الأهداف على إيصال الشرعية لكلّ من له علاقة بالمؤسسة، وبذلك يتعرف الناس على الأساس من وجودها.

توجيه الموظفين وتحفيزهم: حيث إنّ الأهداف ستكون دليلاً للموظفين عن الشيء الذي يعملون من أجله، بما يكون عاملًا رئيساً في تشجيعهم وتحفيزهم، لا سيما إذا كانوا من المشاركين في وضع هذه الأهداف.

(١) زيد منير عبوى، التنظيم الإداري، ط١، دار أسامة المشرق الثقافي، عمان - الأردن، ٢٠٠٦، ص ٢١.

(٢) د. يعقوب السيد الرفاعي - أسعد عواد الظفيري، الإدارة الحكومية والتنمية، ط١، دار ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٩، ص ٤٥.

(٣) د. علي عباس، أساسيات علم الإدارة، مصدر سابق، ص ٣١.

مؤشرات اتخاذ القرار: باعتبار أنّ الأهداف تمثل بنحو من الأنحاء قيوداً مفروضة على سلوك الأفراد العاملين في القطاع العام وقراراتهم، بما يساعد في اتخاذ القرارات السليمة من قبلهم، خصوصاً في موضوعات الهيكل التنظيمي، الإبداع، وسلامة الموظفين ونموهم.

**معايير الأداء:** حيث تقوم الأهداف مقام المعايير والمقاييس التي على أساسها يتحصل التقييم<sup>(١)</sup>.

### **ثالثاً: الهدف العقدي للإدارة العامة في الإسلام**

تمارس الإدارة العامة مهامها من خلال آالياتها المعروفة في التخطيط والتنفيذ والإشراف، إلا أن ذلك لن يكون بمعزل عن الأساس الفكري أو العقائدي الذي يتبنّاه القابضون على السلطة الحاكمة، باعتبارهم أناساً لهم فكر ينطلق بهم بما يتضمّنه من فكر أو عقيدة، والتي غالباً ما تنصّ عليها مبادئ الدستور. وعليه، يختلف الحال إذا كانت الدولة تتبنّى النهج الاشتراكي عن كونها ذات منهج رأسمالي. وكذلك الوضع يتباين من الأساس إذا تبني النظام السياسي للنهج الإسلامي، فتختلف عندها مسارات الآليات أعلاه، لا سيما في التخطيط منها، وبالأخص الأهداف من الأخير.

ومن أهم أهداف الحكومة الإسلامية -الإدارة العامة- والتي تتماشى مع النظم الإنسانية، هو هدفان أساسيان؛ الأول منها، هداية الإنسان حتى يصبح خليفة الله تعالى، وإعداد مقدمات سيره وسلوكه. والثاني هو تحويل الدولة الإسلامية إلى مدينة فاضلة، وإرساء قواعد الحضارة الحقيقة وتبيّن المبادئ التي تحكم العلاقات الداخلية والخارجية،

---

(١) زيد منير عبوى، التنظيم الإداري، مصدر سابق، ص ٤٦.

وإن النصوص الدينية سواء منها الآيات القرآنية وسيرة المقصومين عليهم السلام والقادة الإلهيين، رغم أنها تحوي معاني كثيرة ومواضيع بناء، إلا أن خلاصتها وعصارتها جيئاً تنصب في الهدفين الركنيين المار ذكرهما آنفًا<sup>(١)</sup>.

وقد لخص الإمام علي عليه السلام، المفروضات والمحظورات على الإدارة العامة من الأهداف في ظل الإسلام، في كتابه إلى الأشعث بن قيس عامله على أذربيجان في «إن عملك ليس لك بطمعة، ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعلى لمن فوقك، ليس لك أن تفتات في رعية، ولا تخاطر إلا بوثيقة، وفي يديك مال من مال الله عز وجل، وأنت من خزانه حتى تسلمه إلي، ولعلني ألا أكون شر ولا تك لك»<sup>(٢)</sup>.

(١) آية الله الشيخ عيد الله جوادی آملي وآخرون، نظرۃ فی الإدارة فی الإسلام، ط١، دار الحق، بيروت، ١٩٩٤، ص٢٠.

(٢) ابن أبي الحديد المعترلي، شرح نهج البلاغة، ط٣، ج١٤، مؤسسة الأعلمی، بيروت، ٢٠٠٩، ٢٤٠.

## الفرع الثاني

### الأهداف الموضوعية للإدارة العامة عند الإمام علي عليه السلام

لقد حدد الإمام علي عليه السلام أربعة أهداف أساسية عند إدارة الدولة للقطاع العام، تناولت وشملت القطاعات المالية، والعسكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية. وفي هذا الفرع نسلط الضوء على هذه الأهداف التي تضمنها التشريع الإسلامي ممثلاً بها ورد أعلاه في العهد موضوع البحث، بالمقارنة مع التشريع الدستوري العراقي لأهداف القطاع العام، التي غالباً ما تتجسد في فصل الحقوق منه، إذ تعتبر الأخيرة أسمى الأهداف وأشرف الغايات، التي تسعى الدولة لتحقيقها وتؤمنها وحمايتها<sup>(١)</sup>.

#### أولاً: جبائية الخارج

لا بد أن يوجد إشراف ما على المجتمع، ينظم علاقاته تنظيمياً يحول بينه وبين التفكك الناتج عن تصادم المصالح بين الأفراد والجماعات، وينظم النشاط الاجتماعي في مختلف الميادين، ويشرع القوانين بما يصون حقوق الأفراد وواجباتهم. وإذا كان هذا النشاط ضرورياً للمجتمع، فالدولة لذلك ضرورية أيضاً<sup>(٢)</sup>، والمقصود بالدولة هنا السلطة السياسية التي

(١) باعتبارها تمثل الحاجات والمطالب الأساسية الواجب على الدولة توفيرها للإنسان، بغية صيانة كرامته وحماية وجوده، وعليه فإن ذلك يمثل أساساً حقيقياً لوجود سلطة الدولة، ومعياراً واقعياً لشرعيتها. د. محمد يوسف علوان – محمد خليل موسى، القانون الدولي لحقوق الإنسان، ط١، ط٥، دار الثقافة، عمان –الأردن، ٢٠١٤، ص ٩.

د. حميد حنون خالد، حقوق الإنسان، ط١، مكتبة السنهروري، بغداد، ٢٠١٣، ص ٩.

(٢) السيد محمد بحر العلوم، آفاق حضارية للنظرية السياسية في الإسلام، ط١، دار الزهراء، بيروت،

٢٠٠٣، ص ٧٣.

هي حجر الزاوية في كل تنظيم سياسي، بمعنى وجود سلطة عليها قادرة على إصدار الأوامر الواجبة التنفيذ ولو بالإكراه، فلا دولة بدون هيئة حاكمة عليها تفرض احترام التشريعات والتنظيمات الضرورية لتحقيق أهدافها<sup>(١)</sup>.

وعليه ابتدأ الإمام الشافعى بتحديد سلطة الدولة التي أسندتها إلى الأشتراطى في مصر، في أربعة أمور، يقف في مقدمتها جباية الأموال، التي هي الوظيفة المالية<sup>(٢)</sup>، بما يمكن الدولة الإسلامية، من تأمين النفقات الالزامية لمارسة نشاطاتها المرفقة (الحكومية) من خلال توفير الدعم المالي<sup>(٣)</sup>، ليكون الهدف الأول لها.

والخرجاج هي كلمة تعنى في أصلها الضريبة، وتفرض على الأراضي الخراجية، والأخرجة هي تلك الأراضي التي تتعلق بالدولة والأمة وهي تحت تصرف الناس. وتعد بالإضافة إلى الزكاة والخمس والجزية - وهي ضريبة يدفعها المواطنون غير المسلمين في المجتمع الإسلامي - أركانًا أساسية في الموارد المالية للدولة في الإسلام<sup>(٤)</sup>.

وتعكس ضريبة الخراج حقيقة الحكم التي تقول خزينة الدولة جيوب رعاياها، بمعنى أنها تعتمد في تغطية الأموال الالزامية لنفقاتها الضرورية على الضرائب، بما يتاسب والإنتاج، أي كلما ازداد الإنتاج الزراعي والصناعي والعقلي والفنى للأفراد زاد الدخل القومى<sup>(٥)</sup>.

(١) د. علي هادي حيدى الشكرابوى، النظم السياسية المعاصرة، ط١، مكتبة دار السلام، النجف الاشرف، ٢٠٢٠، ٣٣، ٣٣.

(٢) الشيخ محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣، ص٤٧.

(٣) د. محمد حسين بهشتى، الاقتصاد الإسلامي، ط١، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٨، ص١٣٤.

(٤) د. محمد حسين بهشتى، الاقتصاد الإسلامي، المصدر السابق، ١٢٧.

(٥) توفيق الفكيكى، الراعي والرعية، ط٢، دار الغدير، قم المقدسة، ١٤٣٧، ص٢٩٠.

وقد فرض أمير المؤمنين عليه السلام عدّة محدّدات على واليه على مصر وأعماها في جباية أموال الأراضي الخارجية، ويمكن تلخيصها في ثلاثة أمور:

- ١- تفقد أمر الخراج بما يصلح أهله.
- ٢- أن يكون عمارة الأرض أبلغ من النظر في استجلاب الخراج.
- ٣- التخفيف عن المكلفين من أهل الخراج في حال تعرضهم إلى ما يضعف انتاجهم بعوارض طارئة<sup>(١)</sup>.

وبعطف النظر على التشريع الوضعي، فيما يتبنّاه من أهداف تنمية موارد الدولة وحماية أموالها، متمثلاً بـدستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ، نجد أنه قد اعتبرها من ثوابت أهداف الدولة، والتي يمكن تحديدها بما يلي:

- ١- حرمة الأموال العامة بالنسبة للحكومة والمواطن على حد سواء.
- ٢- عدم فرض الضرائب والرسوم وتعديل مقدارها وجيابتها إلا بقانون
- ٣- إعفاء ذوي الدخول المنخفضة من الضرائب بما لا يمس الحد الأدنى اللازم للعيش الكريمة.
- ٤- كفالة الدولة لتشجيع الاستثمارات في القطاعات المختلفة<sup>(٢)</sup>.

(١) فالإمام عليه السلام في العهد موضوع الدراسة «وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لما سواهم ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله. ول يكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة؛ ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن شكوا - أهل الخراج المكلفين - ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اعتمرها غرق أو أحجف بها عطش، خف عنهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك ...»

(٢) راجع المواد (٢٦، ٢٧، ٢٨) من الباب الثاني لـدستور ٢٠٠٥ النافذ.

ومن خلال التمعن في النصوص التشريعية الإسلامية والوضعية أعلاه، نجد المقاربة واضحة ما بين أهمية الأموال العامة ودور تحصيل الضرائب في تنميتها من جانب، وتحديدها الحكومية بقيود موضوعية من جانب آخر، بحيث تضمن عدم الفرط في تحصيل الضرائب من جهة، أو التفريط في هدرها من جهة أخرى.

### ثانياً: جهاد العدو

من الثوابت في الفقه الإمامي، بل الفقه الإسلامي بصورة عامة، أنه «يجب على كل مسلم الدفاع عن الدين الإسلامي إذا كان في معرض الخطر»<sup>(١)</sup>، فالدفاع الشرعي في الدين الإسلامي يدخل تحت عنوان فرع من فروعه، ألا وهو الجهاد، الذي هو «القتال لإعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان»<sup>(٢)</sup>. ويشمل ذلك قتال العدو على النطاق الداخلي - الحرب الأهلية - والنطاق الخارجي - الحرب مع دولة أو دول أخرى.

وقد عد الإمام عليه السلام ثاني الأهداف الرئيسية للسلطة الإدارية في الدولة الإسلامية؛ وذلك بعد تأمين الجانب المالي لنشاطاتها بصفته مرفقاً عاماً، إذ قال عليه السلام «هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه، حين وله مصر: جماعة خراجها، وجهاد عدوها....»<sup>(٣)</sup>.

وقد ركز الإمام عليه السلام ضمن هذا الهدف -جهاد العدو- على عدة أمور:

الإعداد الأمثل للقوات المسلحة: ويتتحقق ذلك من خلال ما يلي:

(١) آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، منهاج الصالحين، ج ١، ط ٢٩، مؤسسة صدر الخائق، ١٤٢٤ هـ، ص ٣٨٨.

(٢) آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، منهاج الصالحين، المصدر السابق، ص ٣٦٠.

(٣) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٤٩٩.

- ١- توفير الغطاء المالي، من وافر الخراج، الذي هو قوامهم على جهاد عدوهم ووراء جميع ما يصلحهم ويسد حاجتهم<sup>(١)</sup>.
- ٢- الاختيار الدقيق لرؤساء الجندي، ومنحهم المكانة العالية<sup>(٢)</sup>.
- الرکون - في حالة الحرب - إلى الصلح المرضي عند الله تعالى<sup>(٣)</sup>، وذلك في إطار ما يلي:
- ١- الحذر العالي من العدو خلال مدة الصلح<sup>(٤)</sup>.
- ٢- الالتزام التام بالعهود التي تضمنها الصلح<sup>(٥)</sup>.
- ٣- اللجوء إلى الطرق السلمية في فض النزاعات بعيداً عن سفك الدماء<sup>(٦)</sup>.
- وبالرجوع إلى التشريعات الوضعية ذات العلاقة بموضوع البحث، نجد مثلاً أن الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥ النافذ، لم ينص على ما تضمنه العهد موضوع الدراسة في القوات المسلحة، واقتصر على ما يلي:
- (١) قال الإمام عليه السلام «ثم لا قوام للجند إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقولون به في جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم».
- (٢) قال الإمام عليه السلام «ول يكن آثر رؤوس جندك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهلיהם، حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو. فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك».
- (٣) قال الإمام عليه السلام «ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك والله فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك».
- (٤) قال الإمام عليه السلام «ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتعفل، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن».
- (٥) قال الإمام عليه السلام «وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحُظِّ عهده بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة».
- (٦) قال الإمام عليه السلام «إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا أخرى بزوال نعمة وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها».

- ١- تكوين القوات المسلحة والأجهزة الأمنية بما يراعي التوازن والتأثر المجتمعي، وخضوعها لقيادة السلطة المدنية، وعدم تدخلها في الشؤون السياسية وتداول السلطة<sup>(١)</sup>.
- ٢- حرمة الترشيح في الانتخابات من قبل القوات الأمنية وجميع ما يرتبط بها من ممارسات مثل المشاركة في الحملات الانتخابية<sup>(٢)</sup>.
- ٣- عدم النص على المعايير التي تضمنها العهد في اختيار قادة القوات الأمنية عند ترشيحهم من قبل رئيس مجلس الوزراء والتصويت عليهم من قبل مجلس النواب<sup>(٣)</sup>.  
إلا أن الدستور أعلاه يقترب من العهد بصورة عامة في أمور أخرى منها:
  - ١- حرمة استخدام القوة أداةً في قمع الشعب، بل حتى استخدام العنف والتعسف في الأسرة والمدرسة والمجتمع، وهو ما تضمنه العهد في اللجوء إلى الطرق القانونية والسلمية في فض النزاعات، بعيداً عن سفك الدماء<sup>(٤)</sup>.
  - ٢- الالتزام الكامل بالعهود التي تضمنها الصلح، وهو ما تضمنه الدستور في ضمان احترام الدولة العراقية لالتزاماتها الدولية<sup>(٥)</sup>.

### ثالثاً: استصلاح المجتمع

والمهدف الثالث للسلطة الإدارية، وفق ما عينه الإمام عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر،

(١) راجع المادة (٩) من دستور سنة ٢٠٠٥ النافذ.

(٢) راجع المادة ذاتها.

(٣) راجع المادة (٦١ / خامساً / ج) والمادة (٨٠ / خامساً) من الدستور أعلاه.

(٤) راجع المادتين (٨، ٢٩، رباعاً) من الدستور المذكور.

(٥) راجع المادة (٨) من الدستور المذكور.

هو «استصلاح حال المواطنين، ويشمل الأمان والتعليم والثقافة والصحة ووظائف الدولة وخدماتها، وما إلى ذلك من الشؤون الاجتماعية»<sup>(١)</sup>.

وبمقارنة ما ورد مع دستور سنة ٢٠٠٥ النافذ، نجد أنه قد اقترب إلى حدّ كبير في تحديد هذا المفهوم وإلزام السلطات كافة بتحقيقه، كحقوق للأفراد إزاءها، وذلك في باب الحقوق والحريات من الدستور.

فقد تبنّى الدستور مندرجات هدف استصلاح أحوال المجتمع في الفصل الأول من الباب الثاني وذلك في ضمان توفير موارد الحقوق التالية:

١ - الحقوق المدنية والسياسية: وتشمل الحق في الحياة والأمن والحرية، وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين، والخصوصية الشخصية وحمة المساكن، والحق في الجنسية، والتقاضي، والمشاركة في الشؤون العامة<sup>(٢)</sup>.

٢ - الحقوق الاجتماعية: وتتضمن هذه الحقوق موارد حماية الأسرة والأمية والطفولة والشيخوخة، وكفالة الضمان الاجتماعي، والصحة وتوفير مقتضياته، ورعايتها للمعاقين وذوي الحاجات الخاصة، وإلزامها بتوفير بيئة سليمة<sup>(٣)</sup>.

٣ - الحقوق الثقافية: وتحوي هذه الحقوق موارد ضمان الدولة للتعليم، وتبنيها للنشاطات والمؤسسات الثقافية<sup>(٤)</sup>.

(١) الشيخ محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٤٧.

(٢) راجع المواد (١٥، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩) من دستور سنة ٢٠٠٥ النافذ.

(٣) راجع المواد (٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣) من دستور سنة ٢٠٠٥ النافذ.

(٤) راجع المادة (٣٥) من دستور سنة ٢٠٠٥ النافذ.

#### رابعاً: عمارة البلاد

ويعمّ هذا الهدف «الزراعة والصناعة والتجارة والإسكان والمواصلات»<sup>(١)</sup>، وقد أكد دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ هذا الهدف الرئيس، وجعله بمترلة حقوق تلتزم الدولة بجميع سلطاتها على ضمانها للمواطنين، وتسعى إلى تحقيقها على أرض الواقع ضمن دائرة اختصاصاتها الدستورية.

وقد ضمن الدستور أعلاه هذه الأهداف ضمن الحقوق الاقتصادية للإنسان العراقي، لتشمل موارد العمل، وحرمة الملكية الخاصة، وعدم نزعها إلا لأغراض النفع العام مقابل تعويض عادل، والتملك وضمان الدولة العراقية لإصلاح الاقتصاد الوطني وفق أسس حديثة بها يحقق الاستثمار الأمثل لموارد البلد، وتشجيع الاستثمارات في القطاعات المتباينة وحرمة الأموال العامة ووجوب حمايتها على الجميع.

وحيث أنّ موضوع المقارنة في البحث كان بين عهد الإمام الله عليه السلام ودستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ، نجد أن من تمام الفائدة -ونحن في نهاية البحث-، التنويه إلى أنّ قوانين الوزارات والهيئات غالباً ما تذكر الأهداف الرئيسة التي تسعي إلى تحقيقها هذه الوزارات أو الهيئات بكل تشكيلاً لها؛ ومنها، على سبيل المثال لا الحصر:

قانون وزارة الإعمار والإسكان لسنة رقم (٣٣) لسنة ٢٠١٢ النافذ في المادة (٢) منه أنّ «هدف الوزارة إلى تحسين العمل وزيادة التتاج في مجال الإعمار والإسكان وتحديث مواد البناء وتقديم أفضل الموصفات والخدمات في مجال التشييد والصيانة وتأمين السكن الملائم للمواطن».

(١) الشيخ محمد جواد معنية، في ظلال نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٤٧.

قانون الاستثمار رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٦ المعجل النافذ، إذ نصّت أهداف هيئة الاستثمار في جمهورية العراق في «المادة (٢)؛ ومن هذه الأهداف تشجيع الاستثمارات ونقل التقنيات الحديثة للإسهام في عملية تنمية العراق وتطويره وتوسيع قاعدته الإنتاجية والخدمة وتنويعها»، إلى غير ذلك من القوانين.

انتهى البحث

والحمد لله رب العالمين

## الخاتمة

### اولاً: الاستنتاجات

١. الإدارة العامة هي الإدارة الحكومية التي تستهدف تقديم الخدمة عامة للمجتمع من خلال الأجهزة التنفيذية الرسمية للدولة، كالوزارات والمجالس والهيئات وما إلى ذلك، وتستهدف بذلك تحقيق المصلحة العامة على أساس أخلاقية، تتماشى مع الذوق العام وفلسفة المجتمع ومبادئه وقيمه، مراعية في معاملاتها العدالة والمساواة.
٢. يحقق النصّ -تشريعياً- على أهداف الإدارة العامة للدولة بقطاعاتها المختلفة، عدة أمور، يقف في مقدمتها، تأكيد مبدأ الشرعية، وتجييه الموظفين وتحفيزهم، وتعيين معايير الأداء.
٣. يكون النصّ تشريعياً على الأهداف الأساسية للإدارة العامة، فقد يكون النصّ عليها في أصل الدستور، وقد يكون في قانون الوزارة أو الهيئة أو المفوضية.
٤. تضمن التشريع الإسلامي من خلال نموذج عهد الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى مالك بن الحارث الأثر النصّ على الأهداف الرئيسة لسلطته، وتمثلت بجباية الخراج وجihad العدو واستصلاح العباد وعمارة البلاد، وكان بعد كلّ ما ذكر من هذه الأهداف، تفاصيل آليات تنفيذها من قبله.
٥. من خلال المقارنة ما بين الأهداف الذي نصّ عليها العهد والدستور موضوع البحث، تبين متانة الأهداف التي نصّ عليها العهد وكماها من جهة، ومدى المقاربة والتباين للأخير عن الأهداف التي نصّ عليها دستور سنة ٢٠٠٥ النافذ.

### ثانياً: المقترنات

٦. باعتبار أنّ دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ، قد نصّ في مبادئه على أنّ الإسلام هو دين الدولة الرسمي ومصدر أساس في التشريع، فهو مدعاو إلى النصّ في متنه، على الأهداف الأربع الرئيسية للإدارة العامة في العهد موضوع الدراسة، ويتحقق ذلك من خلال أقرب تعديل دستوري، باعتبارها أهدافاً عامة وشاملة.
٧. من المنطلق المذكور، فإنّ مجلس النواب العراقي بصفته سلطة تشريعية، مدعاو بل ملزم في اعتقاد التشريع الإسلامي متمثلاً بالعهد موضوع البحث في أي قانون يشرعه، لا سيما النصوص المتعلقة بأهداف المرفق العام في قانون الوزارة أو الهيئة أو غيرها من تشكيلات السلطة التنفيذية.
٨. تتأكد الحاجة إلى عهد أمير المؤمنين عليه السلام مصدرأً للتشريعات المنظمة لتخصصات السلطات المحلية في الدول التي تتبع دستورياً النظام الاتحادي أو النظام الإداري الامركي أو النظام الإداري المركزي، باعتبار أنّ خطاب العهد أعلاه كان موجهاً إلى رئيس السلطة المحلية. فالأهداف موضوع الخطاب صالحة للتطبيق في أيّ من الأنظمة الثلاثة أعلاه.
٩. يعتبر هذا البحث خطوة جادة في التحقيق العلمي، غايتها طلب سد الفراغ التشريعي في مجال التنظيم القانوني للإدارة العامة في جمهورية العراق، بما يجعل أجهزتها من وزارات و هيئات، تكون أكثر فاعلية وأعظم إنتاجية في تقديم الخدمة العامة للوطن والمواطن. وعليه، يتطلب خطوات بحثية كفء لاحقة، تستكمل ما بدأناه في هذا المجال وغيره، من خلال الانتهاء من صافي التشريع الإسلامي، المستمد من سنة النبي وآلـه، عليه وعليهم الصلاة والسلام.

## مصادر البحث

### اولاً: الكتب

١. آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، منهاج الصالحين، ج ١، ط ٢٩، مؤسسة صدر الخلاص، ١٤٢٤ هـ.
٢. ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ط ٣، ج ١٧، مؤسسة الأعلمى، بيروت، ٢٠٠٩.
٣. د. حميد حنون خالد، حقوق الإنسان، ط ١، مكتبة السنهروري، بغداد، ٢٠١٣.
٤. د. حميد حنون خالد، مبادئ القانون الدستوري وتطور النظام السياسي في العراق، ط ١، مكتبة السنهروري، بغداد، ٢٠١١.
٥. آية الله الشيخ عبد الله جوادي آملی وأخرون، نظرة في الإدارة في الإسلام، ط ١، دار الحق، بيروت، ١٩٩٤.
٦. د. عدنان عاجل عبيد، القانون الدستوري، ط ٢، مؤسسة النبراس، بغداد، ٢٠١٣.
٧. د. علي عباس، أساسيات علم الإدارة، ط ١، دار المسيرة، عمان -الأردن، ٢٠٠٤.
٨. د. علي هادي حميدي الشكراوي، النظم السياسية المعاصرة، ط ١، مكتبة دار السلام، النجف الأشرف، ٢٠٢٠.
٩. د. مازن ليلوراضي، القانون الإداري، ط ٤، دار المسلة، بغداد، ٢٠١٧.
١٠. د. محمد بحر العلوم، آفاق حضارية للنظرية السياسية في الإسلام، ط ٢، دار الزهراء، بيروت، ٢٠٠٣.

١١. محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ط١، ج٤، دار الملايين للعلم، بيروت، ١٩٧٣.
١٢. د. محمد يوسف علوان – محمد خليل موسى، القانون الدولي لحقوق الإنسان، ج١، ط٥، دار الثقافة، عمان – الأردن، ٢٠١٤.
١٣. د. محمد حسين بهشتي، الاقتصاد الإسلامي، ط١، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٨.
١٤. زيد منير عبوى، التنظيم الإداري، ط١، دار أسامة المشرق الثقافي، عمان – الأردن، ٢٠٠٦.
١٥. الشريف الرضي، نهج البلاغة، ط٥، مؤسسة أنصاريان، قم المقدسة، سنة ٢٠٠٩ م.
١٦. د. ربحي مصطفى عليان، العمليات الإدارية، ط١، دار صفاء، عمان – الأردن، ٢٠١٠.
١٧. د. ربحي مصطفى عليان، أسس الإدارة المعاصرة، ط١، دار الصفاء، عمان – الأردن، ٢٠٠٧.
١٨. توفيق الفكيكي، الراعي والرعاية، ط٢، دار الغدير، قم المقدسة، ١٤٣٧.
١٩. د. يعقوب السيد الرفاعي – أسعد عواد الظفيري، الإدارة الحكومية والتنمية، ط١، دار ذات السلسل، الكويت، ١٩٩٩.
- ثانياً: التشريعات**
٢٠. دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ النافذ
٢١. قانون الاستئجار رقم (١٣) لسنة ٢٠٠٦ المعديل النافذ
٢٢. قانون وزارة الإعمار والإسكان لسنة رقم (٣٣) لسنة ٢٠١٢ النافذ



## لسانيات الخطاب

في أدعية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

(دعاء الصباح اختياراً)

الباحث

أ.م. د خالد إسماعيل صاحب السعدي

جامعة سومر - كلية التربية الأساسية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مَهَادُ الْبَحْثِ

مكانة دعاء الصباح، ومقدمة في نظرية لسانيات النصّ عند مفاسلة المنظومة التراثية اللغوية للبحث في مفهوم الدعاء، نجد أنّه بمعنى الرغبة إلى الله والتوجّه إليه مصدرأً طلبه بلفظ الحالة<sup>(١)</sup>، وأصله ((دعوت الشيء أدعوه دعاء، أقاموا المصدر مقام الاسم، تقول: سمعت دعاء كما تقول سمعت صوتاً<sup>(٢)</sup>). وربما كانت مقوله ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) أقرب إلى نضوج المصطلح بقوله: (أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، فتقول: دعوت أدعوه دعاء)<sup>(٣)</sup>.

وقد ارتبط الدعاء بحياة العربي وغيره مع ظهور الإسلام، إذ كان لنزول القرآن أثر بالغ في أسلوبه وتركيبه ومعانيه؛ فقد كان متكلمي العربية قديماً وقفية طويلة في تدبر معاني القرآن الكريم. فأخذ يطلق كلامه ليعبر عن حاجاته وتطلعاته ومكونات نفسه عندما تشتدّ فاقته أو تصيبه نازلة لا يستطيع ردها فيلجمأ إلى حالقه.

فظهرت نصوص نثرية عرفت بالأدعية اكتنلت كثيراً من المعطيات اللغوية من اللغة، وأدركت مبكراً عناصر الجمال، وقوة التعبير، وسلامة الأسلوب التي تضمنتها. فكان الدعاء في باكيره الأولى لدى رسول الله، التي وصفت أدعيته بالشمولية لحاجات الإنسان ومطالبه<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: لسان العرب ٤ / ٣٥٩.

(٢) تاج العروس في شرح القاموس: ٥ / ٨٤.

(٣) مقاييس اللغة: ٤ / ١٥٤.

(٤) ينظر: سنن أبي داود (باب الدعاء) ٢ / ٧٧.

وقد كانت دلالة إرث الأدبية حاضرة عند أهل البيت عليه السلام، ولأنّ موضوع البحث يقتضي تلمس آليات نظرية لسانية في دعاء الصباح للإمام علي عليه السلام بوصفه نصاً له كُلّ معايير النصّية، فتتجزأ عن ذلك خطاب باللفظ الإنساني، فكانت ثروته الدينية العقدية المعرفية تجسّد مفهوم الخطاب الذي يحمل أعلى مراتب اللغة في التواصل، وتكثيفه للمعنى الإيجائي.

وعليه، فخطاب الدعاء حمل كُلّ مكونات لسانيات النصّ، بوصفه وحدة دلالية كبرى يتميز بوظائف متعددة. فقد أكَّدت لسانيات النص دراسة مفهوم النصّية، من أجل هذا عرفت بأنّها (فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطقية... التي تنتظم بها أجزاء النص، وترتبط فيها بينها للتخبر عن الكلّ المفید)<sup>(١)</sup>.

وقد وضعت شروطاً هو أن يكون النصّ مترابطاً وعدم الفصل بين أجزائه، إذ يتكون من جمل سليمة متراقبطة بعلاقات عدّة<sup>(٢)</sup>. وقد اشترطوا فيه معايير سبعة وهي (السبك، الحبّ، القصد، القبول، الإخبارية، المقامية، التناص)<sup>(٣)</sup>.

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق – دراسة تطبيقية على السور المكية: ٣٥.

(٢) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ٣٥.

(٣) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٩٠.

## المحور الأول

### تجليات ظواهر التماسك النصي

#### أولاً: الاتساق النصي وأالياته.

يقصد بالتماسك هو تلاحم أجزاء النص الواحد، من خلال (علاقة معنوية بين عنصر في النص وعنصر آخر يكون ضرورياً لتفسير هذا النص)<sup>(١)</sup>. وهو من أبرز المعايير النصية المؤدية للترابط النصي، وله صورة جلية عرف بها الاتساق أو الترابط الشكلي؛ أي يرتبط بالبحث عن أجزاء تكون أعلى من بنية الجملة ووظيفتها، فيمكن من خلاله أن نقسم آلياته إلى: – الاتساق – إلى:

#### ١- الإحالات:

تعرف بأئمها عملية ربط بين جمل وعبارات، فتحيل لفظة مستعملة داخل النص إلى لفظة متقدمة عليها أو متأخرة عنها أو خارج النص<sup>(٢)</sup>. فعند مطالعة كلام الإمام في دعائه نجد الإحالة مستعملة ظاهرة بصورة متنوعة. على سبيل المثال، قوله ﷺ: (اللهم يا من دلَّ لسانَ الصَّبَاحِ بِنُطْقِ تَبَلِّجَهِ، وَسَرَّحَ قِطْعَ اللَّيلِ الْمُظْلِمِ بِغَيَاهِ تَلَاجُّلِهِ... وَشَعَّشَ ضَيَاءَ الشَّمْسِ بِنُورِ تَأْجِجِهِ))<sup>(٣)</sup>. فقد عبرت هذه المترافقية اللغوية عن موقف خارجي للغة، وهو نوع من الإحالات يتعلق بالظروف المحيطة بالنص. فمقدمة نص الدعاء حضرت زمانه بالصبح، بإرسال إشارات إ حالية من داخل النص إلى محطيه. فدلالة قوله (لسان الصباح، و سرّح

(١) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوى: ٩٠

(٢) ينظر: النص والخطاب والاجراء ١٧٢.

(٣) شرح دعاء الصباح والسمات (المجلسي): ٤٢

قطع الليل، وضياء الشمس) هي تعبير عن ما يسمى بالإحالة المقامية التي تعدّ من الألفاظ اللغوية التي تعبر عن الموقف الخارجي المحيط بالنص<sup>(١)</sup>.

ومن صور الإحالة الأخرى هي التي تعرف بـ(الإحالة القبلية)، فهي تكون بإحالة على ما تقدم بين الكلمة وكلمة، أو جملة وجملة، أو ضمير وكلمة، ومعنى ذلك (تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد)<sup>(٢)</sup>.

فمن أمثلتها قوله ﷺ: (صل اللهم على الدليل إليك في الليل الأليل، والمسك من أسبابك بحل الشرف الأطول، والناصع الحسب في ذروة الكاهل الأعلم، والثابت القدم على زحاليفها في الزمن الأول)<sup>(٣)</sup>. بإمعان نظر في هذا الجزء من النص، ترددت ألفاظ متسلسلة تعود على متقدم، فكانت عبارة (اللهم صل على الدليل إليك) الممهد لما بعدها، فجاءت التوالية (المسك، والناصع، والثابت)، فقد تعاضدت معاني النص كلّها بترتبط عباراته المتتالية بطريقة التقاطع المتساوي من دون فاصل نحوبي بينها. فالثابت، والناصع، والمسك، كلّها ممتاليات لفظية في عبارات مترابطة دلالياً تعود على متقدم، وهو الدليل.

ومن أمثلته أيضاً باستعمال الإحالة بالضمير في قوله ﷺ: (إلهي هذه أزمة نفسى عقلتها بعقال مشيتك، وهذه أعباء ذنوبي درأتها بعفوك ورحمتك، وهذه أهوائى المضلة وكلتها إلى جناب لطفك ورأفتك)<sup>(٤)</sup>. فقد وظّف الضمير ليحيل به على متقدم، فالضمائر تعدّ من أهم وسائل الاتساق النصي<sup>(٥)</sup>. فالهاء المتصلة بالفعل (عقلتها) تحيل إلى (أزمة نفسى)، والهاء

(١) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ١١ / ٤١.

(٢) نسيج النص – بحث فيها يكون فيه الملفوظ نصا: ١١٩.

(٣) شرح دعاء الصباح والسمات: ٤٣.

(٤) شرح دعاء الصباح والسمات: ٤٤ – ٤٥.

(٥) ينظر: لسانيات النص – مدخل إلى انسجام النص ١٨.

المتصلة بالفعل (درأتها) تحيل إلى (أعباء ذنبي)، والهاء المتصلة بالفعل (وكلتها) تحيل إلى (أهوائي المضلة). ولا يخفى هذا أن النحاة القدامى قد أشاروا وجوب تأخير الضمير العائد على متقدم، ولا يجوز تأخيره لئلا يكون الكلام غير حسن<sup>(١)</sup>.

على العكس من هذا، نجد نوعاً آخر يعرف بـ(الإحالات البعدية)، إذ يشير المحيل المستعمل في النص إلى لفظ آخر لاحق، كاستخدام كلمة تليها في النص بدل كلمة، أو جملة تليها في النص بدل جملة<sup>(٢)</sup>. إذ قال عليهما: (أَفَتَبْمِشِيكَ الْفَرْقَ، وَفَلَقْتَ بِقَدْرِكَ الْفَلْقَ، وَأَنْزَتَ بِكَرْمِكَ دِيَاجِيَ الْغَسْقَ، وَأَنْهَرَتَ الْمَيَاхَ مِنَ الصَّمِ الصَّايَخِيدَ عَذْبَا وَأَجَاجَا)<sup>(٣)</sup>. كشفت لنا الأفعال المعتلة إحالة لفاعيلها التي تتبعها. وهذا الإلحاد في المفعولية يعطي ربطاً نصياً واضحاً، وسبكاً واضحاً في توالي العبارات في تركيب النص.

## ٢- الاستبدال:

وظف الاستبدال بوصفه أحد عناصر الاتساق النصي في بعض أجزاء نص الدعاء، ويقصد بها أنها (عملية تتم داخل النص إنّه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر)<sup>(٤)</sup>، وهو قريب جداً من الإحالات القبلية إلا أنّ الاختلاف يكمن في علاقة استبدال عنصر متأخر بدل عنصر متأخر<sup>(٥)</sup>. قال الإمام عليهما: (إلهي أتراني ما أتيتك إلا من حيث الآمال، أم علقت بأطراف حبالك إلا حين باعدتنني ذنبي من دار الوصال، فبئس المطية التي امتنعت نفسي

(١) ينظر: المقتضب (المبرد) /٤ - ١٢٦ - ١٢٧.

(٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق /١ - ٤٠.

(٣) شرح دعاء الصباح والسماء: ٤٥.

(٤) نحو النص - اتجاه جديد في الدرس التحوي: ٢٣.

(٥) ينظر: الاتساق والانسجام النصي: ١٨.

من هوها، فواهًا لها لما سولت لها ظنونها ومنها، وتبأ لها جرأتها على سيدها ومولاها<sup>(١)</sup>. فالتعويض كان حاضرًا بالضمير الكاف المتصلة بالفعل (أتيتك)، والاسم (حبارك)، وهو عوض عن المنادي لفظ الجلالة (اللهم). وكذلك في النص نفسه قد عوض بالضمير الاهاء المتصلة بالأسماء (هوها، لها، ظنونها، منها، جرأتها، سيدها، مولاها) في هذه المتالية الاسمية المضافة إلى الضمير الذي جاء عوضاً من تكرار الاسم (النفس).

### ٣- الحذف:

عرف الحذف لغة بأنه إسقاط الشيء، فهو بمعنى الإسقاط والطرح<sup>(٢)</sup>، وفائده (أنك ترى به ترك الذكر أوضح من الذكر، والصمت عن الإفاده أزيد للإفاده، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق)<sup>(٣)</sup>. قال الإمام ابن القلين في دعائه: (يا من أرقني في مهاد أمنه وأمانه، وأيقظني إلى ما منحني به من منه وإحسانه، وكف أكف السوء عن يديه وسلطانه)<sup>(٤)</sup>. فالحذف في المنادي الذي تمثل بالاسم الموصول (من) الدال على لفظ الجلالة، وقد اكتفى به أولاً بالذكر، واستغنى عنه بالحذف في الجمل المتالية بعدها. فقد تحقق الترابط النصي بالحذف؛ (الدلالة عنصر موجود في النص)<sup>(٥)</sup>.

(١) شرح دعاء الصباح والسمات: ٤٤.

(٢) ينظر: لسان العرب / ١٠ / ٨١١.

(٣) دلائل الإعجاز: ١٧٧.

(٤) شرح دعاء الصباح والسمات: ٤٣.

(٥) الاتساق النصي - مفهومه وآلياته: ٤٩. فاتح بوزيد، مجلة الممارسات اللغوية، العدد ١٠، لسنة ٢٠١٢ م.

## ثانياً: الانسجام النصي

عرف هذا المصطلح بمسمايات عده<sup>(١)</sup>، كلّها تصبّ في معنى واحد، وهو دراسة العلاقة بين النصّ والسياق<sup>(٢)</sup>، ويقصد به (الطريقة التي يتمّ بها ربط الأفكار داخل النص)<sup>(٣)</sup>. فمن هذا المفهوم المختصر يتبيّن لنا أنَّ ميدان الانسجام هو البحث في العلاقات الدلالية، أي معاني الجمل، على العكس من الاتساق الذي يبحث بالعلاقات أو الروابط الشكليّة في داخل النصّ.

وقد وضع علماء النص أدوات للانسجام النصي، سنتصر على أهمها:

### السياق:

معلوم أنَّ كلَّ نصٍّ هو وليد ما يحيط به من سياقات ومرجعيات، ولا تختلف نصوص الأدعيّة عن هذه القاعدة، بوصفها نصوصاً اجتماعية دينية تتأثر بالمحيط وتؤثر فيه، وتؤكّد بقوّة أنَّ المعنى متصل بسياقه، فهو (مقاييس الكلام في باب الحسن والقبول بحسب مناسبة الكلام لما يليق به)<sup>(٤)</sup>.

كان دعاء الصباح مرتبطاً بسياقه إلى حدّ بعيد. فالمنظومة التي جاء فيها هي منظومة عبادية البتة، وارتبط بعامل ظرفي زماني له من الخصوصية العبادية، ألا وهو وقت الصباح. نطالع ذلك في عباراته من خلال حصر عدد من المعاني الممكنة لتبني المقصود فيها، كما في

(١) عرف بالانسجام عند محمد خطابي، والالتحام عند تمام حسان، والتشاكل عند محمد مفتاح، والحبك عند سعد مصلوح.

(٢) ينظر: الخطاب القرآني ٢٠.

(٣) النص الغائب: ٤٨.

(٤) الخطاب القرآني: ٥٤.

(اللهم يا من دلع لسان الصباح بنطق تبلجه - شعشع ضياء الشمس بنور تأججه - أيقظني إلى ما منحني به من منه وإنحسانه)، فالمقصود من إيراد الكلام ظاهر من سوقه في مقام الحال، أو كما تقول العرب (الكلّ مقام مقال).

وعليه، لم يبتعد الانسجام النصي في دعاء الصباح متمثلاً بالسياق، بل كان وجهاً استدلاليًّا في موضع النظر والتحليل للكشف عن ظرف ولادة النص. وكلّ هذا مرتبط بأمر مهمٍ لا يمكن إغفاله، ألا وهو (شخصية الإمام عليه السلام)، التي أثرت إيجاباً في بناء النص وتوجيهه، إذ جعل علماء اللغة المحدثون لشخصية المتكلم، والمخاطب، والظروف المحيطة دوراً في الكشف عن المعنى<sup>(١)</sup>.

### بناء النص /

إنّ بناء النصّ له أثر واضح في المتلقي، وهو صورة مهمة في انسجام النصّ، ومظهراً مهماً من مظاهره، (فإنّ انتظام سلاسل من الجمل ينبغي أن يدلّ على مجموع من الأحداث)<sup>(٢)</sup>. ولا شكّ أنّ بناء دعاء الصباح على مستوى النصّ تتنظم أجزاؤه في نسيج لفظي كما أراده خالقه. فالجزء يليه آخر فيبني خطابية، كلّ منها له دور يؤديه، ولا ينتهي إلا بانتهاء أثره النفسي ليبدأ التالي بعده.

فالمتبع لمقدمة دعاء الصباح يلحظ نوع الخطاب؛ بدأ بذكر صفات متفردة للألوهية، وكأنّه إقرار منه بالوحدانية؛ على سبيل المثال (أتقن صنع الفلك الدوار - دلّ على ذاته - علم بما كان قبل أن يكون)، ليأتي بعد هذا الإقرار، طلب الصلاة على رسوله بوصفه مفتاح أبواب ما سيأتي متوازداً بعده، وهو تضافر مستمرٌ في هذه المتاليات، إذ يُسمى في علم

(١) ينظر: أصول تحليل الخطاب ١ / ٧٠.

(٢) النص والسياق/ استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ١٥٠.

اللغة النصي الوصول إلى البؤرة، فـ(عملية بحث واستكشاف البؤرة المركزية في الموضوع عن طريق إعادة تنظيم محتويات الخطاب)<sup>(١)</sup>.

وبالوصول إلى البؤرة التي لا نستطيع إغفالها، جاءت في نسق صوتي في غاية الإبداع، بطريقة السجع المتنوع، على سبيل المثال قوله ﷺ: (اللهم إن لم تبتدئني الرحمة منك بحسن التوفيق، فمن السالك بي إليك في واضح الطريق، وإن أسلمتني أنانك لقائد الأمل والمني، فمن المقيل عثراتي من كبوت الهوى)<sup>(٢)</sup>.

وهذا ليس موضوع الدعاء كله، بل فيه المتاليات الأعلى التي تقوم بدور أساسى في الإخبار الدلالي، لأنّ (البنية الكلية يتوصل إليها عن طريق عمليات أساسها الحذف والاختزال، إذ يتم فيها حذف الموضوعات الثانوية ودمج أخرى في عموميات)<sup>(٣)</sup>، كقوله ﷺ: (إلهي قرعت باب رحمتك بيد رجائي، وهربت إليك لاجئاً من فرط أهواي، وعلقت بأطراف حبالك أنا مل ولائي)<sup>(٤)</sup>.

(١) الترابط النصي في ضوء التحليل اللسانى للخطاب: ٢٢٥.

(٢) شرح دعاء الصباح والسمات: ٤٣.

(٣) الترابط النصي في ضوء التحليل اللسانى للخطاب: ٢٢٥.

(٤) شرح دعاء الصباح والسمات: ٤٤.

## المحور الثاني

### التجليات التفاعلية بين البنية والدلالة

لم ينكر علماء اللغة العلاقة بين البنية التركيبية والدلالة، بل جعلوها وحدة مترابطة. بناء على هذا القول، فإن النحو يشمل العلاقات الجوهرية بين البنية والمعنى، وتتركه ممثلاً عن الدلالة بصورة واضحة وجلية، إذ يرى الدكتور محمد يونس على أنّ (معاني الجمل هي موضوع علم الدلالة في حين أنّ معاني (القولات) هي موضوع علم التخاطب)<sup>(١)</sup>.

وقد كانت بنية دعاء الصباح تدلّ دلالة قاطعة على علاقة النظام بالاستعمال؛ وانطلاقاً من هذا، يمكن إيجاز ما توافر في البنية التركيبية ودلالتها في عبارات الدعاء بما يأقى:

تكامل عناصر التركيب: إنّ تحقيق التكامل بين العناصر التركيبية أمر واجب الذي ينعكس إيجاباً على المعاني. فعلى سبيل المثال قوله ﴿لِلَّهِ الْحَمْدُ﴾: (وسّرّح قطع الليل المظلم بغياهب للجلجه)، فاستحضار الباء في هذا التركيب اللغظي له من الفائدة في إتمام المعنى، فهي تحتمل معنى (مع) متعلقة بقوله: سّرّح، أو بمعنى السبب متعلقة بقوله: المظلم. فالمعنى المستفاد هو محصلة العلاقة النحوية التي ضبطت تركيب العبارة المتقدمة من الدعاء.

ومن صوره أيضاً قوله ﴿لِلَّهِ الْحَمْدُ﴾: (يا من دلّ على ذاته بذاته)، استعمل النداء، ولكن أعاد حرف النداء لتغيير أسلوب الكلام، والانتقال من مقام إلى مقام آخر، بمعنى (هو سبحانه أفضى المعرفة على الخلق فعرفوه بها، لا بتعريف غيره)<sup>(٢)</sup>. لذا كان التوافق وفق قيد الاختيار بين البنية والمعنى، مما أدى إلى استقامة الدلالة في الجملة.

(١) مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب: ١٤.

(٢) شرح دعاء الصباح والسمات: ٥١.

أيضاً في قوله ﷺ: (فمن السالك بي إليك في واضح الطريق... فمن المقيل عثراي من كبات الهوى)، فالتركيب النحوي فيه بنية دلالية باستعمال الاستفهام للإنكار في كلتا الجملتين. وكذلك من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي بمعنى: الطريق الواضح. فقد أخضع الإمام العلاء ضوابط النحو للإفادة منها في تحقيق الأنسجام.

وصفوة القول أن تكامل التراكيب في عبارات دعاء الصباح يستند إلى تركيب النحو والدلالة، أي العلاقة بينهما، بمعنى أن علاقة النحو بالدلالة سوّغت القول بعدم انفصال النحو عن الدلالة في جمل الدعاء، والتي قامت على معطى المعنى الدلالي غير المجرد عن السياق؛ فالنحو يركّز على الدلالة غير المجردة، وهذا ما جعله منبت الصلة التي تنطلق من مقامات الأقوال للوصول إلى معانيها داخل النص.

تحقيق المعاني المعجمية: لا شك أن هذا النص الإبداعي المتقن قد تطلب عناصر أخرى لتحقيق التكامل النصي، باستعمال اللفظ ذي الدلالة المعجمية الدقيقة التي توضح العلاقة بين الدال والمدلول، الأمر الذي جعل نص الدعاء يصل حد الكمال تصنيفاً وترتيباً. ويمكن أن نلمس ذلك في بعض الأمثلة:

(والناصع الحسب في ذروة الكاهل الأعلم) فالأعلم معناه لغة: الأضخم والأغلظ<sup>(١)</sup>، إذ شبه الرسول مجازياً في (تمكّنه على أعلى مدارج الحسب والكرم، بمن رقى على ذروة كاهل بغير ضخم مرتفع السنام، فتمكن عليه)<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: لسان العرب ٤ / ٢٤٨ .

(٢) شرح دعاء الصباح والسمات: ٥٥ .

(والثابت القدم على زحاليفها) الزحلوفة هي مكان منحدر يملس؛ لأنّهم يتزلحفون فيه<sup>(١)</sup>، ونلحظ فيه استعارة الكلمة لتعطي معنى قريب معناها اللغوي بأنّ الرسول ثابت القدم في الحقّ عند مزاق زمن الجاهلية.

(وأَدْبَ اللَّهُمَّ نَزِقُ الْخُرُقَ مِنِي بِأَزْمَةِ الْقَنْوَعِ) فالنزرق هو الخفة والطيش<sup>(٢)</sup>، والخرق معناه الجهل والحمق<sup>(٣)</sup>. وهذا الجمع بين لفظتين للدلالة مقصودة في أنّه شبه الطيش بحيوان يحتاج إلى أن يؤدب ويذلل بالأزمة<sup>(٤)</sup>.

الملازمة بين العناصر والمعاني: تمتاز اللغة بطبيعتها الاشتراكية واتساع أبنيتها وكثرة صيغها، إذ شهدت تنوعاً كبيراً في الأبنية والأوزان الصرفية، إنّ ما لمسناه في الجزء الأخير من الدعاء أنّ الإمام عَلَيْهِ السَّلَام قد عمد فيه إلى المزاوجة بين نوع من المشتقات تراوحت بين صيغة اسم المفعول وصيغة المبالغة، الأمر الذي يترتب عليه اختلاف الدلالة.

على سبيل المثال، في الجزء الأخير من الدعاء بقوله عَلَيْهِ السَّلَام: (إلهي قلبي محجوب، وعقلي مغلوب، ونفسي معیوب، ولسانی مقرّ بالذنوب، وأنت ستار العیوب، فاغفر لي ذنبوی يا غفار الذنوب، يا شدید العقاب، يا غفور يا شکور)<sup>(٥)</sup>. فاختار أعضاء حسية وأعطى لها صفات، فقوله: قلبي وصفه بالمحجوب، وقوله: عقلي وصفه بالمغلوب، وقوله: نفسي وصفها بالمعیوب، وكلّها بصيغة اسم المفعول الذي يحمل دلالة من وقع عليه الفعل على

(١) ينظر: الصاحح في اللغة / ٤ / ٣٦٣.

(٢) ينظر: القاموس المحيط / ١ / ٣٧٩.

(٣) ينظر: الصاحح في اللغة / ٥ / ٦٤٣.

(٤) شرح دعاء الصباح والسماء: ٥٨.

(٥) شرح دعاء الصباح والسماء: ٦٩.

وجه التجدد والخدوث<sup>(١)</sup>. ولا يخفى المراد من دلالات هذه الصفات المتالية بأنّها تتتجدد وتتكرّر فاختار لها أسماء الله تعالى مقابلة في الدلالة.

فقد استحضر بعض أسماء الله تعالى وهي غفار وغفور، وكلاهما من صيغ المبالغة، الأول يدلّ على من قام بالفعل مرّة بعد مرّة، والثاني لمن دام وكثير منه الفعل<sup>(٢)</sup>، واستعماهما كلاهما للدلاله مقصودة بأنّ الإنسان يداوم على المعصية واقتراف الذنوب، فالغفور للذنوب الكثيرة العظيمة، والغفار لكتلة غفران الذنوب على سبيل التكرار<sup>(٣)</sup>.

ومنه صيغة المبالغة الشكور على وزن فعول، وهو على يقينٍ بِإِقْرَارِ ثَبَوتِ الْوَصْفِ بالمطلق لله سبحانه، فهو شاكر قبل الخلق وبعد الخلق، وإن لم يكن خلق. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً تَزِدُّ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾<sup>(٤)</sup>. فالله شاكر في ذاته وشكور أفعاله<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: المفتاح في الصرف ٥٩.

(٢) ينظر: معاني الأبنية في العربية ١٠٠.

(٣) ينظر: المقصد الأنسني في شرح أسماء الله الحسني ٤١.

(٤) سور الشورى: الآية: ٢٣.

(٥) ينظر: المقصد الأنسني في شرح أسماء الله الحسني ٩٥.

### المحور الثالث

## تجليات البناء النصي باستعمال أدوات الربط ووظائفها

الربط في دلالاته اللسانية النصية الحديثة يقصد به العلاقة أو الوصلة بين شيئين بواسطة نحوية يعمل على صلة أجزاء الجملة. والذي قسمه النحاة على نوعين؛ أحدها الروابط المعنوية، وأخرى لفظية هي موضوع هذا المحور<sup>(١)</sup>. وأطلقوا عليه الرابط اللفظي بوصفه أحداًًاً لغوية نحوية سياقية بين طرفيِّن في الاستعمال، وعرّفوه بأنه (الرابطة أداة لدلالة على النسبة، وهي غير مستقلة... وقد تكون في صورة الاسم مثل (هو) في: زيد هو قائم)<sup>(٢)</sup>.

### أدوات الربط:

أسلوب العطف / عُرِّفَ بِأَنَّهُ أسلوب ربط بين أجزاء الكلم، وحلقة وصل بين المعاني، وتوحيد مجريات القول، وتحصيل الإيجاز، وبناء النص وتنظيمه، بالإضافة إلى كونه عاملاً مشتركاً بين المتعاطفين بواسطة أدواته التي هي دلائل المعاني في نفس المتكلم<sup>(٣)</sup>. ومن أمثلة الربط باستعمال العطف في قوله تعالى: (أَلْفَتْ بِمَشِيكَ الْفَرْقَ، وَلَقْتْ بِقَدْرِكَ الْفَلْقَ، وَأَنْزَلْتْ بِكَرْمِكَ دِيَاجِيَ الْعَسْقَ، وَأَنْهَرْتْ مَلِيَّاَهُ مِنَ الصِّيَاخِيدَ عَذْبَاً وَأَجَاجَاً، وَأَنْزَلْتْ مِنَ الْمَعْصَرَاتِ مَاءَ ثِجَاجَاً، وَجَعَلَتِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِلْبَرِّيَّةِ سِرَاجَاً وَهَاجَاً)<sup>(٤)</sup>. فهذه الجمل الفعلية المترابطة بحرف العطف (الواو) جعل منها هيكلًا متاسكاً ذات علاقات دلالية ناتجة

(١) ينظر: نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية . ٥٤

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون: ٢٢٧ / ٢.

(٣) ينظر: نسيج النص – بحث في ما يكون به المفهُوظ نصاً . ٣٧

(٤) شرح دعاء الصباح والسماء: ٤٥

للمعنى، وامتدت هذه العلاقات من جملة لأخرى مشكّلة النصّ بصورة متسقة المعاني ومنظم المعاني بوساطة حرف الربط الواو.

**أسلوب الشرط:** علاقة قائمة على جملتي الشرط والجزاء بوساطة أدوات ربط الجملتين، على سبيل المثال قوله عليه السلام: (من ذا يعرف قدرك فلا يخافك، ومن ذا يعلم ما أنت فلا يهابك)<sup>(١)</sup>. فقد وردت الأداة (من) مرتين رابطة بين جملتين، وأثبتت بدلالة التركيب الشرطي الارتباط السببي بين الشرط والجزاء. وإنّ (من) وسعت دائرة الاشتغال، فالخوف والهيبة متوقف على فرضية معرفة إرادة المتكلم بالله سبحانه. وقد استعملت الفاء لوظيفة الربط، لأنّ معنى الفاء التعقيب من دون فصل، وجواب الشرط متعقب للشرط من خلال إدراك العلاقة المنطقية بين الجملتين<sup>(٢)</sup>.

**أدوات الاستثناء:** (إلهي أتراني ما أتيتك إلا من حيث الآمال، أم علقت بأطراف حبالك إلا حين باعدتنني ذنبي من دار الوصال)<sup>(٣)</sup>.

**أسلوب الاستفهام:** من دون شكّ أنّ الغرض من استعمال الاستفهام لغرض مجازي القصد منه دلالة النفي، باستعمال الرابط اسم الاستفهام (كيف) بقوله عليه السلام: (إلهي كيف تطرد مسكنيناً التجأ إليك من الذنوب هارباً، أم كيف تخيب مسترشداً قصد إلى جنابك ساعياً، أم كيف تردد ظماناً ورد إلى حياضك شارباً). فمن هنا برزت الوظيفة التماسكية لاسم الاستفهام بإظهار دلالة نفي طرد المذنب من رحمة الله، هدفه الإثبات؛ أي أنت لا تطرد من التجأ إليك، ولا تخيب من استرشدك، ولا تردد الظمان لرحمتك، حيث اتسقت هذه المتاليات الاستفهامية فكونت وحدة نصّية كلية.

(١) شرح دعاء الصباح والسماء: ٤٥.

(٢) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٤ / ١١٠.

(٣) شرح دعاء الصباح والسماء: ٤٤.

أسلوب النداء / من الموارد في نصوص الأدعية استعمال أسلوب النداء، وكان باستعمال الحرف (يا)؛ لأنّ سياق النصّ تطلب استعمال هذه الأداة بوصفها أمّ الباب، وأعمّ حروفه لنداء بعيد حقيقة، والقريب توكيداً، وسميت هذه بالروابط الأدواتية الظاهرة على سطح الكلام<sup>(١)</sup>. فعلى سبيل المثال قوله تعالى: (يا من توّحد بالعزّ والبقاء... اسمع ندائِي... يا خير من دعى لكشف الضّر)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ينظر: همّع الهوامع ٢/٣٤.

(٢) شرح دعاء الصباح والسماءات: ٤٥.

## خاتمة البحث

١. بعد هذا الجهد المتواضع في قراءة نص دعاء الصباح، أقدم اعتذاري لسيدي علي ابن أبي طالب لقصور فهمي، كان لا بدّ من الإشارة بإيجاز إلى أهمّ نتائجه:
  ٢. امتاز نص الدعاء بمركزية تجاوز فيها قاعدة الجملة إلى قاعدة إنتاج النصّ، بوصفه انتقالاً معرفياً مقصوداً.
  ٣. ساهمت المفاهيم اللسانية بصورة مباشرة في تكوين ظاهر النصّ، إذ نجد صوراً للاتّساق النصّي، والروابط النصية التي ساهمت في تعالق أجزائه وتلامحها، منحته نوعاً من التماسك باستعمال أدوات معينة.
  ٤. تنوّعت أمثلة الإحالات في بنية النصّ، فوجدنا الإحالة المقامية أو ما تسمى بالسياقية، وكذلك الإحالة القبلية، والإحالة البعدية.
  ٥. كان للترابط المعجمي دور في دعاء الصباح، باستعمال اللفظ ذي الدلالة المعجمية الدقيقة التي توضّح العلاقة بين الدالّ والمدلول، الأمر الذي جعل نص الدعاء يصل حدّ الكمال تصنيفاً وترتيباً.
  ٦. تحيل البناء النصّي باستعمال أدوات الربط ووظائفها في دعاء الصباح، فالربط كان في نصوصه يحمل دلالات لسانية نصّية يقصد بها العلاقة أو الوصلة بين شيئين بواسطة نحوية تعمل على صلة أجزاء الجملة.

## مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم

١. لسان العرب. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)، دار صادر، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٢. تاج العروس من جواهر القاموس. للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق علي هلالي، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٩٨٧م - ١٤٠٧هـ.
٣. معجم مقاييس اللغة. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، د.ط، ١٩٧٩م - ١٣٩٩هـ.
٤. سنن أبي داود. للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق محمد عبدالعزيز الحالدي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٦م - ١٤١٦هـ.
٥. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق – دراسة تطبيقية على سور المكية. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
٦. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي – بيروت، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠م.
٧. نحو النصّ اتجاه جديد في الدرس التحوي. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، مصر – القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٨. النص والخطاب والإجراءات. روبرت دي بوجراند، ترجمة الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٨ م—١٤١٨ هـ.
٩. نسيج النص - بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً. الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣ م.
١٠. لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب. محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١ م.
١١. كتاب المقتضب. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت ٢٨٥ هـ)، تحقيق محمد عبدالخالق عصيمة، القاهرة، ١٩٩٤ م—١٤١٥ هـ.
١٢. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطبع والنشر والتوزيع، د.ط. ٢٠٠٠ م.
١٣. شرح دعاء الصباح والسمات. الشيخ محمد باقر المجلسي، دراسة وتحقيق محمد حليم حسن الكروي، العتبة الحسينية المقدسة، العراق - كربلاء، ط١، ٢٠٢٢ م.
١٤. دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٤ هـ—٢٠٠٣ م.
١٥. الاتّساق النصي - مفهومه وأالياته: . فاتح بو زيد، مجلة الممارسات اللغوية، العدد ١٠، لسنة ٢٠١٢ م.
١٦. الخطاب القرآني - دراسة في العلاقة بين النص والسياق. الدكتورة خلود العموش، عالم الكتب الحيث، إربد - الأردن، ط١، ٢٠٠٨ م—١٤٢٩ هـ.
١٧. النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي. محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط. ٢٠٠١ م.

١٨. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية. محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١، ٢٠٠١ — ١٤٢١ هـ.
١٩. النص والسياق — استقصاء البحث في البحث الدلالي والتداولي. فان دايك، ترجمة عبدالقادر قيني، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٠ م.
٢٠. الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب. خليل بن ياسر البطاشي، دار جرير للنشر والتوزيع — عمان، ٢٠٠٩ م — ١٤٣٠ هـ.
٢١. مقدمة في علمي الدلالة والتحاطب. د. محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المُتّحدة — بيروت، ط١، ٢٠٠٤ م — ٢٠٠٤ هـ.
٢٢. القاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ)، دار الحديث — القاهرة، مراجعة أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، ٢٠٠٨ م — ١٤٢٩ هـ.
٢٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨ هـ)، دار الحديث — القاهرة، مراجعة أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد. د.ط، د.ت.
٢٤. كتاب المفتاح في الصرف. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت — لبنان، ط١، ١٩٨٧ م.
٢٥. معاني الأبنية في العربية. الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، ط٢، ٢٠٠٧ م.
٢٦. المقصد الأُسْنَى في شرح معاني أسماء الله الحسنى. أبو حامد محمد بن محمد الغزالى (ت ٥٥٠ هـ)، بعناية يسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي للطباعة والنشر، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٣ م — ١٤٢٤ هـ.

٢٧. نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية. الدكتور مصطفى حميد، المكتبة العالمية للنشر، لبنان، ١٩٩٩.
٢٨. كشاف اصطلاحات الفنون. الشيخ محمد بن علي التهانوي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
٢٩. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن ابن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت.

# الشواهد التاريخية على فن المعارضة

لدى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

الباحثة

م.د. خديجة حسن علي القصیر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الزهراء فاطمة<sup>عليها السلام</sup> هي بنت النبي محمد<sup>ص</sup> من زوجته السيدة خديجة<sup>رض</sup>، وهي واحدة من الشخصيات المهمة في الإسلام التي كان لدورها الفعال صدى واسع في جوانبه المختلفة. وعلى الرغم من أن الشواهد التاريخية المباشرة على فن المعارضة لدى فاطمة الزهراء كانت محدودة، إلا أن هناك بعض الأحداث التي توحى بتجسيد هذا الفن وقوه شخصيتها، وفي مقدمتها معارضتها للظلم الذي تحلى بشكله المباشر في رفضها لقرار مصادرة أحقيتها الوراثية في فدك ودفاعها الفعال عن حقوق ابن عمها وإمام زمانها علي بن أبي طالب<sup>رض</sup> في الخلافة بعد الرسول، فضلاً عن التأثير الثقافي والاجتماعي الذي جسدته الزهراء في الوقوف بوجه الظلم والاستبداد والذي تستمد منه بشكل كبير من معارضته والدها للجاهلية والجهل وسعيها لنشر العدالة والمساواة في المجتمع الإسلامي المبكر.

تعتمد أهمية بحثنا هذا بالوقوف على الدور الذي تبنته السيدة الزهراء في المعارضة تجاه النظام القائم آنذاك، والآلية التي اتبعتها للمطالبة بالحق المغتصب.

تنطلق إشكالية البحث من نقطة جوهرية مفادها أنّ مواقف السيدة فاطمة الزهراء<sup>عليها السلام</sup> إنما هي معارضة فعلية للنظام القائم للسياسة التي اتبعتها إزاء أهل البيت؛ ومخرجات هذه السياسة على واقع الأمة الإسلامية بعد وفاة النبي محمد<sup>ص</sup>؛ وما نتج عنها من شواهد تاريخية ونقاش واسع بين الباحثين والمفكرين، إذ تتنوع التفسيرات والدلائل المترتبة على هذه المواقف، ومحاولة فهم دوافع السيدة الزهراء<sup>عليها السلام</sup> في اتخاذ موقف المعارضة، ومدى تأثيرها في مسار الأحداث في تلك الفترة، وتقييم نتائج مواقفها على المدى الطويل.

يتألف البحث من مباحثين مع مقدمة وختم بخلاصة ضمّت عدداً من النتائج، وكما يأتي:

المبحث الأول: خطب السيدة فاطمة الزهراء<ص> وتناولت فيه جملة من الخطب التي اعتمدت بها الزهراء في توثيق دورها السياسي، وتناول أيضاً احتجاجاتها في تلك الخطب على السلطة الحاكمة فيما يتعلق بأحقية الحكم للإمام علي وأحقيتها في فدك، وجاء المبحث الثاني: الشواهد التاريخية على فن المعارضة لدى السيدة فاطمة الزهراء<ص> ليبين شهادات بعض الصحابة والمؤرخين في أحقيّة الزهراء وفضاحتها وحجتها القوية على النظام القائم وشهادتها على الحق والعدالة.

## المبحث الأول

### خطب فاطمة واحتجاجاتها

تُعد السيدة الزهراء نموذجاً فريداً لفن المعارضية في الإسلام، إذ مارست معارضتها لنظام عصرها بأسلوب سلمي حكيم، تميز بالعلم والمعرفة والمنطق والحججة. وتُعد هذه المعارضية شهادة على إيمانها الراسخ ومبادئها العظيمة، ودفاعها عن الحق والعدالة.

لجأت الزهراء في دفاعها هذا إلى فن الخطابة فكانت خطبها تمتاز باللغة القوية والمؤثرة، والتي تعكس عمق معرفتها بالدين والفقه الإسلامي. وعلى الرغم من أن العديد من النصوص التي تنسب إلى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، بها في ذلك خطبها، قد تداولتها مصادر مختلفة، وليس كلها محل إجماع بين العلماء. ولكن لجأت الباحثة إلى استخراج نماذج من الخطب المنسوبة إليها عليها السلام والواردة في المصادر الموثوقة والمعرف بها عند المسلمين، وسوف أورد هذه الخطب والمناسبة التي تناولتها وتأثيرها في إثارة السلطة الحاكمة آنذاك:

#### خطبتها في المسجد النبوي بعد وفاة النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه:

وهي الخطبة التي تحدثت فيها عن حق أبي الأئمة علي بن أبي طالب عليه السلام في الخلافة، وذكرت بيعة الغدير، وما جاء فيها: «أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخَصُوصِ الْقُرْآنِ وَعَمَومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِي؟!» وقالت عليها السلام: «وَبَعْدَ أَنْ مَنِي بِهِمُ الرِّجَالُ، وَذُؤْبَانُ الْعَرَبِ، وَمَرْدَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ أَوْ نَجْمُ قَرْنِ لِلشَّيْطَانِ، وَفَغَرَتْ فَاغْرَةُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَذَفَ أَخَاهُ فِي هُوَاتِهَا، فَلَا يَنْكَفِعُ حَتَّى يَطْأُ صَمَاهَا بِأَحْصَبِهِ». وقالت عليها السلام: «وَأَنْتُمْ فِي رِفَاهِيَّةِ الْعِيشِ، وَادْعُونَ فَاكِهُونَ آمِنُونَ، تَرْبَصُونَ بِنَا الدَّوَائِرَ، وَتَتوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ، وَتَنْكَصُونَ عَنِ التَّزَالِ، وَتَفْرُونَ عَنِ الْقَتَالِ»<sup>(١)</sup>.

(١) المجلسي، بحار الانوار، ج ٢٩، ص ٢٢٧.

٢- خطبتها في مسجد قباء: وهذه الخطبة جاءت ردًا على غصبها حقها في فدك إذ تحدثت فيها عن ظلمها وانتهاك حقوقها وإلى القارئ الكريم جزءاً من الخطبة والتي تبدأها بذكر الله وحمده ومن ثم تقول «...أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَغْلُبُ عَلَى ارْثِيهِ يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ! أَنِّي كِتَابُ اللَّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ، وَلَا أَرِثَ أَبِي؟، أَفَعَلَى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَنَبْذُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، إِذْ يَقُولُ عَالِيٌّ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاؤِدَةَ﴾، وَقَالَ فِيهَا اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا اذْ قَالَ رَبُّ: ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ وَقَالَ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وَقَالَ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أُولَادِكُمْ لِذِكْرِ مِثْلِ حَظِّ الْأَنْثَيْنِ﴾ وَقَالَ: ﴿إِنْ تَرَكَ حَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدِينِ الْأَقْرَبِينَ بِالْمُعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَقْنِينَ﴾، وَزَعَمُوكُمْ أَلَا حِظْوَةَ لِي، وَلَا إِرْثَ مِنْ أَبِي لَا رَحِمَ بَيَّنَا...»<sup>(١)</sup>.

٣- خطبها في بيته: وقد ألقتها عليها السلام عندما منعت من الخطاب في المسجد واصلت معارضتها للحكم القائم وأشارت فيها إلى معاناتها والظلم الواقع عليها بعد وفاة النبي صلوات الله عليه وسلم، ألقتها عليها السلام على مسامع مجموعة من نساء المهاجرين والأنصار عندما قدمن عليها لعيادتها بعد أن مرضت المرض الذي توفيت به، وهذه الخطبة تعدّ من أروع خطبها وأبلغها على قصرها قياساً بالخطبة الكبرى، وهم ما تمثلان بعضاً من تراثها الفكري الشّرّ. تعرضت الزهراء عليها السلام إلى جوانب عقائدية واجتماعية وتشريعية وسياسية وغيرها، مما يدلّ على قدرتها الفكرية والعلمية. وليس ذلك بالأمر الغريب عليها، فهي كريمة الدوحة المحمدية عليها السلام، وعقيله خير الأنام الإمام علي بن أبي طالب عليها السلام، وأم الأبناء البررة الأطهار، قواعد النبوة، ورواسي الرسالة المحمدية<sup>(٢)</sup>، تبدأها بالقول: «أَصْبَحَتْ وَاللَّهُ تَارِكَةً لِدُنْيَاكُمْ، قَالَيْةً

(١) الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن بن علي بن الحسن، الغربية، تحقيق: دار المدارية، بيروت، بلا.ت، ج ١، ص ١٢٣.

(٢) العرداوي، عبد الإله عبد الوهاب، جاسم، أمل، لمحات فنية في الخطبة الصغرى للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، بحث منشور في مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد ٨، ٢٠١٢، ص.

لِرِجَالِكُمْ، لَفِظُتُهُمْ قَبْلَ أَنْ عَجَمْتُهُمْ وَشَنَّتُهُمْ بَعْدَ أَنْ سَبَرْتُهُمْ، فَقُبْحًا لِفَلُولِ الْحَدِّ، وَخُورِ  
الْفَنَاءِ، وَاسْتَشَهَدَتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «لَيْسَ مَا قَدَّمْتُ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي  
الْعَذَابِ هُمْ حَالِدُونَ»<sup>(١)</sup>. وَتَتَهَيَّبُ بِـ: أَمَا لَعْمَرِي، لَقَدْ لَقَحْتُ، فَظَرَّةً رَّيْثُمَا تُتَبِّعُ، ثُمَّ احْتَلُّوا  
مِلْءَ الْقَعْبِ دَمًا عَيْطًا، وَذَعَافًا مُبِيدًا، هُنَالِكَ إِذْ يَخْسِرُ الْمُبْطَلُونَ، وَيَعْرُفُ التَّالُونَ، غَبَّ مَا  
سَنَ الْأَوَّلُونَ، ثُمَّ طَيْبُوا عَنْ دُنْيَاكُمْ أَنْفُسًا، وَاطْمَئْنُوا لِلْفِتْنَةِ جَائِشًا، وَأَبْشِرُوا بِسَيِّفِ صَارِمٍ،  
وَسَطْوَةِ مُعْتَدِلِ غَاشِمٍ، وَهَرَّجَ شَامِلٍ، وَاسْتَبْدَادِ مِنَ الظَّالِمِينَ، يَدْعُ فَيَكُمْ رَهِيدًا، وَزَرْعَكُمْ  
حَصِيدًا، فِيَا حَسْرَةً لَكُمْ<sup>(٢)</sup>، وَأَنَّى يُكُمْ وَتَلَتْ قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَعَمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْلَزِ مُكْمُوْهَا وَأَنْتُمْ  
لَهَا كَارِهُونَ)<sup>(٣)</sup>. وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْخُطْبَةُ فِي أَكْثَرِ الْمَصَادِرِ الشِّيعِيَّةِ بِلَا اسْمٍ وَالْبَعْضُ يَنْسِبُهَا  
إِلَى أَمْهَا الْخُطْبَةِ الصَّغِيرِيِّةِ لِلْبَلَلِ<sup>(٤)</sup>.

وَبَعْدَ بِيَانِ نَهَادِجِ مِنْتَقَاهُ مِنْ خُطْبَ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةِ الزَّهْرَاءِ<sup>عَلَيْهَا السَّلَامُ</sup> تَجَدُّ الْبَاحِثَةُ أَنَّ أَمْضَاها  
وَقَعَّاً وَتَأْثِيرًا عَلَى النَّظَامِ الْحَاكِمِ وَقَتْهَا وَالْوَضْعِ السِّيَاسِيِّ بِشَكْلٍ عَامٍ خُطْبَتِهَا فِي بَيْتِهَا  
لَا عَتَّبَارَاتِ مُتَنَوِّعَةٍ نُورِدُ مِنْهَا:-

إِنَّ هَذِهِ الْخُطْبَةَ تَنَاقِشُ صِرَاطَةَ مَوْضِعِ الْوَلَايَةِ وَأَحْقِيقَيِّ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي  
الْخِلَافَةِ لِذَلِكَ جَاءَ أَثْرُهَا وَاضْحِيًّا عَلَى الْحُكْمِ الرَّاشِدِيِّ إِذْ تَعْتَبِرُ مِنَ الْأَدْلَةِ الرَّئِيسَةِ الَّتِي تَؤْكِدُ  
أَنَّ يَكُونُ الْخَلِيفَةُ الْأَوَّلُ بَعْدَ وَفَاتَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> هُوَ عَلَيِّ، وَمِنْ ثُمَّ فَإِنَّهَا تَعْرِزُ مَوْقِفَ الشِّعَيْعَةِ  
الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْخَلِيفَةُ الْأَوَّلُ.

(١) سُورَةُ الْمَائِدَةِ: آيةُ الْأَكَمَةِ: ٨٠.

(٢) الْبَحْرَانِيُّ، الشِّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ، الْعَوَالِمُ السَّيِّدَةُ الزَّهْرَاءُ، تَحْقِيقُ: مَوْسِيَّةُ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ<sup>عَلَيْهِ السَّلَامُ</sup>، ١٩٩٥، جِزْءُ ٢، صِ ١٢٥.

(٣) سُورَةُ هُودٍ: آيَةُ الْأَكَمَةِ: ٢٨.

(٤) الطَّبَرَسِيُّ، الشِّيْخُ حَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، الْاِحْتِجَاجُ، تَحْقِيقُ: تَعْلِيْقُ وَمَلَاحِظَاتُ: السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بَاقِرُ الْخَرْسَانُ، قَمُّ، ١٩٦٦ جِزْءُ ١، صِ ١٣٨.

٢. نقدت الزهراء في خطبتها بعض الأحداث التي وقعت بعد وفاة النبي وأثرت في أهل بيته. وهذا النقد يمكن أن يؤثر في صورة أقطاب نظام الحكم القائم آنذاك وسمعته، ويعزز الرؤية الشيعية بأنّهم لم يكونوا قادرين على حماية حقوق أهل البيت.

٣. تعزيز الدور السياسي لأهل البيت وموقف الشيعة خاصة بأنّ الإمامة يجب أن تكون في أهل البيت المعصومين. وهذا يمكن أن يؤثر في النظرة الشيعية إلى نظام الحكم الذي أعقب وفاة النبي ﷺ، ويعتبر تأكيداً لأهمية وجود إماماً خاصة لعلي وأحفاده.

وفي الوقت نفسه، فإنّ أهمية خطب الزهراء الواردة تنطلق من حصيلة الاحتجاجات التي احتوتها إذ جاءت تصريحات تشجب نظام الحكم القائم وتعترض على سياسته تجاه أهل البيت والشيعة بوجه الخصوص. ومن بين أبرز تلك الاحتجاجات:

احتجاجها على خلافة أبي بكر: بينت الروايات التاريخية، وكما هو وارد من سياق الخطبة الأولى التي ألقتها في مسجد الرسول ﷺ بعد وفاته، خروجها عليه مع مجموعة من النساء المسلمات إلى المسجد النبوي في المدينة المنورة، للاحتجاج على تولي أبي بكر منصب الخلافة بدلاً من زوجها علي بن أبي طالب ؓ، بل ورفضت بيعة أبي بكر وانتقدت بشدة قرار المسلمين باختياره خليفةً بعد الرسول، وأكدت حقّ زوجها علي في الخلافة وأصرت على أحقيته بالسلطة والقيادة، وقد أوردت أغلب المصادر التاريخية فحوى هذه الخطبة ومحاجاتها على الواقع السياسي الإسلامي<sup>(١)</sup>.

---

(١) الطبرى، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠، ج ٣، ص ٢١٨-٢٢٣؛ ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٠٩؛ ابن كثير، الحافظ إسحاق بن عمر، البداية والنهاية، مطبعة السعادة، القاهرة، بلا.ت، ج ٧، ص ٣٥٨.

تجميد ميراث النبي (مسألة فدك): كانت فدك قرية زراعية أهداها رسول الله ﷺ لفاطمة الزهراء ؓ هبة شخصية لها. وبعد وفاة النبي ، قام أبو بكر بسحب السيطرة على فدك وجعلها ضمن أملاك الدولة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

اعتبرت الزهراء هذا الإجراء تعدىً على حقوقها الشرعية في فدك، وكان أحد الأسباب التي دعتها للاحتجاج على أبي بكر كما أوردت في خطبتها المشهورة الواردية الذكر (الخطبة الفدكية)، إذ أكدت أحقيتها وأهل بيتها في الملكية بموجب وصية النبي محمد ﷺ.

ترتب على هذا الأمر عدم استجابة أبي بكر لمطالب الزهراء على الرغم من احتجاجها القوي والمؤثر، بل وادى إلى تأزم العلاقات بين فاطمة وأبي بكر وأصبحت شبه منقطعة حتى استشهادها ؓ<sup>(٢)</sup>.

بل وأثر ذلك في استمرار الخلاف السياسي والمذهبي والذي أرسى فيما بعد بنور الفرق بين المسلمين واستمر طوال التاريخ الإسلامي اللاحق. ولم يكن الأمر متوقفاً عند هذا الحد بل حرم أهل البيت من الخمس الذي هو استحقاق لهم بموجب قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَإِنِّي

(١) ابن هشام، عبد الملك أبو محمد جمال الدين، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وبعد الحفيظ الشلبي، ط، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البافى الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٥م، ج ٢، ص ٢٣٩؛ ابن الاثير، أبو الحسن علي ابن ابي الكرم، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٥٣٧؛ الصدر، محمد باقر، فدك في التاريخ، مراجعة: لجنة التحقيق، مطبعة شريعة، قم، بلا.ت، ص ٨٩.

(٢) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، النص العربي لخطبة السيدة فاطمة الزهراء ؓ، بيروت، دار الأضواء، ١٩٩٩م، ص ٢٢-٢٧؛ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣م، ج ٤٣، ص ١٤٨.

السَّيِّلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَّقَىِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>(١)</sup>. وهي دليل صريح على استحقاقهم الخمس وسهم الرسول من بعد وفاته كونه إرثاً، إذ أورد ابن طاوس رواية قال فيها: «في جواب ما كتب اليه نجده بن عامر الحروري من رؤساء الخوارج، كتبت تسألني عن الخمس لمن هو؟ وإنما كنا نقول: هو لنا، فأبى علينا قومنا ذلك» وقد منعت الزهراء والإمام علي الخمس وفق شهادة عبد الله بن عباس، فيما أورده ابن طاوس في حديثه<sup>(٢)</sup>. وبهذا نجد أنّ أبي بكر قد منع بنى هاشم من حقّهم في الخمس الذي هو لهم بموجب الآية القرآنية السابقة الذكر.

الاقتحام والضرب: إنّ فاطمة الزهراء تعرضت للاقتحام والضرب على يد جماعة من الصحابة بأمر من عمر بن الخطاب لإجبارها على الاعتراف بالخلافة. وحدث هذا الاعتداء بعد وفاة النبي محمد ﷺ على أثر انعقاد سقيفةبني ساعدة وما ترتب عنها من أحداث في مقدمتها أخذ البيعة لأبي بكر وامتناع بعض الصحابة، ومنهم العباس بن عبد المطلب، والفضل بن عباس، وسلمان الفارسي، وأبوذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب واجتماًعهم في بيت الزهراء. وبعد أن بويع أبو بكر انتبه لتخلفهم، فبعث عمر وقنفذأً أربع مرات بحسب ما تصف المصادر إلى بيت الزهراء ليدعوا الإمام علي ومن معه في البيت إلى البيعة. وكانت المرة الأولى وبعد تهديد عمر خرج الرجال الذين كانوا في البيت وبايعوا أبي بكر، لكن الإمام علي عليه السلام لم يخرج، وقال إنه أقسم أن لا يخرج من بيته قبل أن يجمع القرآن. وفي المرة الثانية والثالثة بعث أبو بكر قنفذأً إلى بيت فاطمة عليها السلام، إلا أنه واجه الإجابة نفسها، وفي المرة الرابعة ذهب عمر مع عدد من رجاله إلى بيت فاطمة وهددوا بإحرارق

(١) سورة الانفال، الآية: ٤١.

(٢) ابن طاوس، علي بن رضي الدين علي بن موسى (ت: ٦٦٤ هـ)، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، تحقيق: السيد علي عاشور، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٩، ج ١، ص ٣٧٣.

البيت وأخر جوا الإمام علي عليه السلام وذهبوا به إلى أبي بكر وهددوه بضرب عنقه إن لم يباع؛ وهذه الحادثة اتفقت عليها أغلب المصادر الإسلامية بما فيها الشيعية منها<sup>(١)</sup>.

قد يجد البعض في هذه الاحتجاجات أنها اعتراض لفاطمة الزهراء نابع من أهداف شخصية، إذ اعترضت على تجاوزات وظلم تعرضت له ومعها الإمام علي وأهل بيته من رفض تسليم الحكم والولاية، وعدم تلقيها حقوقها الموروثة فيما يتعلق بفدرك، إلّا أنها بطبيعة الحال، تعكس وجهة نظر المنظومة المجتمعية وقتها وتنافر بعض الأفراد من السلطة القائمة والسعى للتخلص منها فكانت مبادراتها كفيلة بتأجيج الرأي العام على النظام السياسي آنذاك.

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، المناقب، قم، ١٣٧٩ هـ، ص ٥٥٠؛ ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠ م، ج ٢، ص ٢١٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، دار الفكر، د. ت، ج ٥، ص ٢٠٩ - ٢١٠، الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة، قم، ١٤٢١ هـ، ج ١، ص ٣٥٠؛ الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، بيروت، دار التعارف، ١٤٠٣ هـ، ج ٣، ص ٣٢١؛ سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، قم، الهادي، ٢٠٠٠، ج ١، ص .

## المبحث الثاني

### شهادات التاريخ على فن المعارضه لدى الزهراء

اعتبرت الزهراء عليها السلام النموذج الفذ للمعارضه والوقوف في وجه الجور والظلم والتعدي على حقوق آل البيت عليهم السلام. وكما أشرت في البدء، أنها جأت إلى فن الخطابة، فكانت خطبها مصدرًا مهمًا للمعرفة والإلهام لل المسلمين، وتناولت فيها مواضيع متعددة مثل العدالة الاجتماعية، الأخلاق الإسلامية، والدور الذي يجب أن تلعبه المرأة في المجتمع<sup>(١)</sup>. وكانت خطبها محل إجماع بين العلماء والمؤرخين قديمًا وحتى عصرنا الحالي، إذ تناولوا تلك الخطب واعتمدوها شواهد تاريخية على أحداث عصرها وأنموذجاً فريداً يعتمد عليه لبيان ما مرّ على أهل البيت بعد وفاة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه. وسوف أورد بعض الأمثلة من هذه الشواهد التاريخية واتفاق أصحابها واحتلافهم حول الزهراء عليها السلام.

وقد ارتأيت أن اختار نماذج لمؤرخين سلطوا الضوء على مكانة فاطمة الزهراء وأهمية دورها السياسي في تاريخ الدولة الإسلامية. فعلى مستوى الكتب التاريخية الكلاسيكية، هناك «تاريخ الطبرى» لمحمد بن جرير المتوفى (٣١٠هـ)، وكتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير المتوفى (٦٣٠هـ) و«البداية والنهاية» لابن كثير المتوفى (٧٧٤هـ). وقد اتفق هؤلاء بوجهات نظرهم عن السيدة الزهراء. فعند تصفح فحوى مؤلفاتهم الآنفة الذكر نجد أنهم يكادون أن يجمعوا على أنها عليها السلام من أفضل النساء وأحبيهن إلى رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إذ كان يكر منها ويحترمها؛ وهذا يدلّ على مكانتها الرفيعة وفضيلتها على سائر النساء، فضلاً عن وصفها بعجمة شخصيتها وانتسابها إلى النبي، وتأثيرها في الأحداث في عهد الخلفاء بعد النبي،

---

(١) عباس، إحسان، الخطابة في صدر الإسلام، مطبعة هبة مصر، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٥٩.

إذ كان دورها بارزاً في الحياة السياسية والاجتماعية في عهد النظام الحاكم ويوردون جانباً من مؤلفاتهم في الموضع الذين تناولوا فيه أحداث الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول إلى الإشارة إلى الخلافات والصراعات التي نشأت بين فاطمة وبعض الصحابة بعد وفاة النبي.

ومن المصادر التاريخية التي تتحدث بشكل أكثر تفصيلاً عن الدور السياسي لفاطمة الزهراء مؤلف «أنساب الأشراف»<sup>(١)</sup> للبلاذري المتوفي (٢٧٩هـ). فعند الاطلاع على المؤلف المذكور نجد البلاذري يصف فاطمة عليها السلام بأنّها كانت سياسية واعية وشجاعة، يذكر أنها كانت تُشارك في المناقشات السياسية وتؤثر في بعض القرارات في عهد الخلفاء بعد النبي.

أما الفخرى المتوفى (٦٩٦هـ) في مؤلفه «التاريخ السياسي والديني»، يؤكّد الدور السياسي البارز للسيدة الزهراء في إشارة منه إلى أنها كانت تمثل قطب المعارضة السياسية القوية بعد وفاة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وقراراً لهم.

ويؤيد هذه المواقف ذلك ابن اعثم الكوفي المتوفى (٣١٤هـ) في مؤلفه «الفتوح»<sup>(٢)</sup>، والذي يوضح الدور الفاعل للسيدة فاطمة الزهراء في التأثير في بيعة أبي بكر وموقفها المعارض لذلك.

وفي الوقت نفسه، هناك بعض الآراء والروايات المهمة في المصادر الشيعية عن الدور السياسي لفاطمة الزهراء وموقفها المعارض، تذكر منها ما جاء في مؤلف «بحار الأنوار» للمجلسي<sup>(٣)</sup> والذي يُفصل في رواية اعتراف فاطمة على أبي بكر وعمر في مسألة الخلافة. ويؤكّد دفاعها عن حقوق آل البيت السياسية والشرعية. وكذلك الشيخ المفيد في

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، *أنساب الأشراف*، حرقه وعلق عليه: الشيخ محمد باقر المحمودي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٤م، ج ٢، ص ١٨٩.

(٢) تحقيق: علي شيري، ردمك، قم، ١٤١١هـ، ج ١، ص ١٣-١٤.

(٣) بحار الأنوار، ج ٢٩، ص ٢٢٧.

«الإرشاد»<sup>(١)</sup> والذي يردد على الروايات السنّية التي تقلل من دور فاطمة السّياسي. ويُبرز موقفها المعارض وصراعها مع أبي بكر وعمر بعد وفاة النبي. ويؤيد هذه الفكرة ابن شهر آشوب في «مناقب آل أبي طالب»<sup>(٢)</sup> إذ يُفصّل في رواية اعتراف فاطمة على الرّاشدين وغضبها منهم ومقاطعتها لأبي بكر حتى استشهادها بل ويؤكّد أثّرها كانت أيقونة المارضة السياسيّة لخلافه زمانها بل المثلثة لحقوق آل البيت وصراعهم السياسي في تلك الفترة.

فضلاً عن ذلك، فهناك الكثير من الباحثين المعاصرین الذين أولوا الجانب السياسي للزهراء<sup>(٣)</sup> أهمية كبيرة وتناولوه في مؤلفاتهم، ومن بينهم الشيخ محمد جواد مغنية في مؤلفه «فاطمة الزهراء أم أيّها»<sup>(٤)</sup>، تناول بالتفصيل دور فاطمة السّياسي والاجتماعي، وأبرز موافقها المبدئية والقياديّة في الدفاع عن حقوق أهل البيت. والدكتور السيد جعفر مرتضى العاملی في مؤلفه «مؤسسة الزهراء»<sup>(٥)</sup> درس دور فاطمة السّياسي والاجتماعي. وناقش مكانتها وتأثيرها في الأحداث التاريخية في عصرها. ومن المؤلفات الأخرى المهمة «أعيان الشيعة»<sup>(٦)</sup> لمؤلفه الأستاذ حسن الأمين الذي تناول دور فاطمة الزهراء في الحياة السياسية والاجتماعية وركز على موافقها المبدئية وتأثيرها في مجريات الأحداث.

وكذلك السيد محمد حسين فضل الله، والذي تناول في كتبه وأبحاثه مكانة فاطمة الزهراء والتأثير السياسي لها وأبرز دورها في تشكيل الرأي العام والموقف السياسي في

(١) أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت للتراث، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣م، ج ١، ص ٣٥٥.  
 (٢) ص ٥٥٠.

(٣) مغنية، محمد جواد، فاطمة الزهراء أم أيّها، بلاط، بلاط، ص ٩.

(٤) العاملی، جعفر مرتضى، مؤسسة الزهراء، دار السیرة، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٢٩٠.

(٥) حققه وأخرجه: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، بلاط، ج ١، ص ٣٢٠-٣٢١.

عصرها. والدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)<sup>(١)</sup>، في مؤلفها «فاطمة الزهراء: سيدة نساء العالمين» والتي كتبت عن شخصية فاطمة الزهراء وأبرزت دورها في الحياة السياسية والاجتماعية وناقشت مواقفها وتأثيرها في الأحداث التاريخية في عصرها. وأبرزهم في هذا الميدان السيد محمد باقر الصدر<sup>(٢)</sup> ومؤلفه الذي أحدث أصداء كبيرة «فدىك في التاريخ» تطرق إلى دور فاطمة السياسي والفكري. وأبرز مساهمتها في توجيه الرأي العام والموقف السياسي في ذلك الوقت.

نستنتج من هذه التحليلات والقراءات المعاصرة للتاريخ السياسي لفاطمة الزهراء والتي تختلف في بعض الجوانب عن الروايات التقليدية نجد أنها قسمت إلى أوجه متنوعة قد بوبتها الباحثة من وجهة نظرها إلى التبويبات التالية بعد الاطلاع على هذه المصادر وهي كالتالي:-

١. القراءة النسوية لفن المعارضة الفاطمي، وهو يتمثل بتتبع بعض المصادر النسائية التي تناولت موضع الزهراء وخطبها، فكانت توظف مؤلفاتها إلى إبراز الدور السياسي والقيادي للزهراء وتحليله في إطار النوع الاجتماعي، والإشارة إلى أهمية موقعها كابنة النبي وزوجة الإمام علي في تشكيل هذا الدور.

٢. القراءة الشيعية المعاصرة لفن المعارضة الفاطمية: وبعد الاطلاع على البعض من المصادر الشيعية تحديداً نجد تأكيد أصحابها أنّ المعارضة التي تبنتها الزهراء تعتمد بالدرجة الأساس على تأكيد الأبعاد الإمامية والسياسية لفاطمة الزهراء في المنظور الشيعي وترى أنها كانت تمثل امتداداً للرسالة النبوية وخليفةً شرعية للنبي.

٣. القراءة التاريخية النقدية لفنّ المعارضة الفاطمية: وتقوم هذه المؤلفات إلى تقسيم

(١) دار الهلال، القاهرة، ط٥، ١٣٨٩ هـ، ص ٦٠.

(٢) الصدر، محمد باقر، فدىك في التاريخ، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٠٠، ص ١١٨.

الروايات التقليدية بنظرة نقدية وتبحث في مصاديقها وموضوعيتها، وتنتقد بعض الروايات التي تبالغ في إبراز دور الزهراء السياسية أو تغفل جوانب منه.

٤. القراءة الإنسانية والأخلاقية لفن المعارض الفاطمية: وجاءت هذه المؤلفات لتركيز على الجوانب الإنسانية والأخلاقية في شخصية فاطمة الزهراء. وترى أن دورها السياسي جاء في إطار دفاعها عن القيم والمبادئ الإسلامية.

ولهذا نجد هناك نوعاً في القراءات والتحليلات المعاصرة للتاريخ السياسي لفاطمة الزهراء، والتي تُحاول إضاءة جوانب مختلفة من هذا الدور وفق منطلقات نظرية متباعدة. والآن السؤال المهم الذي يرد إلى أذهاننا بعد إتمام هذا البحث، والذي هو أحد الأسئلة المهمة في فرضية بحثنا هذا: هل كان موقف المعارضية الذي تبنته فاطمة الزهراء أثر في أحداث التاريخ الإسلامي فيما بعد؟

والجواب: نعم، كان موقف فاطمة الزهراء تأثير كبير في الأحداث اللاحقة في التاريخ الإسلامي. بعد وفاة النبي محمد ﷺ، واختيار أبي بكر خليفة، اعترضت فاطمة على هذا القرار وطالبت بحق زوجها علي بن أبي طالب في الخلافة.

هذا موقف والاعتراض من قبلها ﷺ أدى إلى حدوث انقسام في الأمة الإسلامية بين مؤيدي علي بن أبي طالب ومؤيدي الخلافة القائمة. وكان لهذا الانقسام آثار طويلة الأمد على مسار التاريخ الإسلامي، حيث أدى لاحقاً إلى نشوء الفرقية بين المسلمين.

إضافة إلى ذلك، فإنّ موقف فاطمة قويّ موقف علي بن أبي طالب كونه مطالباً بالخلافة، ومن ثمّ شكل نواة للنزاع السياسي والصراع على السلطة الذي استمر لعقود بعد ذلك في التاريخ الإسلامي. لذلك يعتبر موقف فاطمة الزهراء ﷺ نقطة تحول مهمة في المسار التاريخي للإسلام.

## الخلاصة

ما تقدم يمكننا أن نستخلص الأمور الآتية:

- الاحتجاجات الشيعية التي مثلتها السيدة الزهراء عليها السلام تعتبر حقيقة وتبرز استباحة الميراث والظلم الذي تعرضت له وعلي وأهل بيتها.
- تعتبر فاطمة الزهراء رمزاً للمظلومية والعدل، ويعتبر احتجاجاتها على النظام الراشدي أحد الأدلة على فضيلتها وصلاحها الروحي.
- تروي الروايات تفاصيل محددة حول الاحتجاجات والظلم الذي تعرضت له فاطمة الزهراء، ويتم نقل هذه الروايات والأحاديث في الكتب الشيعية وتكون جزءاً من التعاليم والمعتقدات الشيعية.
- بشكل عام، هناك اختلاف بين المصادر في مدى تركيزها على البعد السياسي لدور فاطمة الزهراء، فيبينها أبرزه الكثير من المؤرخين بشكل واضح كالطبراني وأبي الأثير، لم يكن محور اهتمام البعض الآخر يظهر وجود نقاش وتباح بين المؤرخين حول هذا الجانب من حياة فاطمة الزهراء.
- هناك شبه اتفاق بين أغلب المؤرخين على مكانة فاطمة الرفيعة ودورها المحوري في الحياة الإسلامية في عهد النبي وبعدئه، مع اختلاف في تفاصيل وصف هذا الدور وتأثيره.

## المصادر والمراجع

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

١. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، نهج البلاغة، الناشر، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، العراق، ٢٠١٩.
٢. ابن اعثم الكوفي، الفتوح، تحقيق: علي شيري، ردمك، قم، ١٤١١هـ.
٣. ابن الاثير، أبو الحسن علي ابن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
٤. ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
٥. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، المناقب، قم، ١٣٧٩هـ.
٦. ابن طاووس، علي بن رضي الدين علي بن موسى (ت: ٦٦٤هـ)، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، تحقيق: السيد علي عاشور، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٩.
٧. ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، النص العربي لخطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، بيروت، دار الأضواء، ١٩٩٩م.
٨. ابن كثير، البداية والنهاية، بيروت، دار الفكر، د. ت.
٩. ابن كثير، الحافظ إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مطبعة السعادة، القاهرة، بلا.ت.

١٠. ابن هشام، عبد الملك أبو محمد جمال الدين، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٥ م.
١١. أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت للتأليفات، التراث، دار المفید للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣ م.
١٢. الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة، قم، ١٤٢١ هـ.
١٣. الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، بيروت، دار التعارف، ١٤٠٣ هـ.
١٤. الأمين، محسن، أعيان الشيعة، حققه وأخرجه: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، بلا.ت.
١٥. البحرياني، الشيخ عبد الله، العوالم السيدة الزهراء، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي للتأليفات، ١٩٩٥.
١٦. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف، حققه وعلق عليه: الشيخ محمد باقر المحمودي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٤ م.
١٧. سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، قم، المادي، ٢٠٠٠.
١٨. الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن بن علي بن الحسن، الغيبة، تحقيق: دار الهدایة، بيروت، بلا.ت.
١٩. الصدر، محمد باقر، فدك في التاريخ، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٠٠.
٢٠. الصدر، محمد باقر، فدك في التاريخ، مراجعة: لجنة التحقيق، مطبعة شريعة، قم، بلا.ت.

٢١. الطبرسي، الشيخ حسن بن علي بن محمد، الإحتجاج، تحقيق: تعليق وملاحظات:  
السيد محمد باقر الخرسان، ردمك، قم، ١٩٦٦.
٢٢. الطبرى، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوک، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠.
٢٣. العاملي، جعفر مرتضى، مأساة الزهراء، دار السيرة، بيروت، ١٩٩٧.
٢٤. عباس، إحسان، الخطابة في صدر الإسلام، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨٢ م،  
ص ١٥٩.
٢٥. عبد الرحمن، عائشة، فاطمة الزهراء عليها السلام، دار الهلال، القاهرة، ط ٥، ١٣٨٩ هـ.
٢٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي، ط ٣، دار إحياء  
التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣ م.
٢٧. مغنية، محمد جواد، فاطمة الزهراء أم أبيها، بلاط، بلاط.



## المراة والغزو الثقافي

في ضوء المنهج التربوي للصادقة الزهراء عليها السلام

الباحث

أ.د. خليل خلف بشير

كلية الآداب - جامعة البصرة

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، وبعد: هذا بحث يدرس حالة المرأة في عصرنا الحالي في ظل العولمة والغزو الثقافي مستفيداً من السيرة العطرة لبنت الرسالة وسيدة النساء، الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، وقد قسمت البحث إلى عنوانات فرعية هي:

مدخل عنوانه (في المنهج التربوي الصحيح).

مفهوم الغزو الثقافي أو الفكري وطرقه.

المنهج التربوي للصديقة الزهراء عليها السلام: وقد تعرضت فيه للسيدة الزهراء عليها السلام في أدوارها الثلاثة:

دور الابنة.

دور الزوجة والأم.

دور المرأة.

فضلاً عن دورها السياسي التبلغي داخل البيت وخارجها.

والله ولي التوفيق.

### مدخل: في المنهج التربوي الصحيح:

نظرًا لحاجة الأمة الإسلامية الماسة إلى منهج تربوي سليم، في خضم المنهجيات السائدة في واقعنا المعاصر، وما نتج عنها من مشاكل عندما طرحت على صعيد التطبيق والعمل، وإفادهً من قول الرسول ﷺ (إِنَّمَا تَرَكَ فِيكُمُ الْثَقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعَرْقَى أَهْلَ بَيْتِي؛ مَا إِنْ تَسْكُنْتُ بِهَا لَنْ تَضْلُّوا بَعْدِي أَبْدًا) <sup>(١)</sup>. والسيدة الزهراء علیها السلام، من العترة الطاهرة التي تركتها لنا رسول الله ﷺ (أُسْوَةٌ وَقَدوَةٌ وَمَنَارَةٌ لِكُلِّ مَا نَحْتَاجُهُ فِي هَذَا الزَّمْنِ وَكُلُّ زَمْنٍ). فالمنهج التربوي الصحيح هو ما يتجاوز حدود الزمان والمكان. فمن يكون قريباً من القرآن فمنهجه في بناء الإنسان أحقّ بأن يُتَّبع، وأولى بالعناية، وأجدر بالتطبيق، وإنما فلن يكون استنطاق القرآن وإهمال نظيره، كافياً في طرح المنهج التربوي البديل عن المناهج المستوردة السائدة في مجتمعنا المسلم <sup>(٢)</sup>.

وقد أنتجت التربية الفاطمية عظاماً للبشرية كالإمام الحسن والحسين وزينب علیهم السلام، فإن التربية على القيم الحقة الصحيحة بحسب المعايير الإلهية من شأنه صقل شخصية الطفل بالمح토ى اللازم لنضجه ورشده وغدوه عظيمًا، لكن تلك التربية القيمية لا تؤتي أكلها إلا إذا طُبّقت بالطريقة الصحيحة،... فعندما يكون الأطفال في أسرة ما مشبعين عاطفياً مقدرين في أسرهم، مزودين بالقيم الصحيحة النابعة من الإسلام نكون قد أمننا القاعدة السليمة لنضيج الأطفال بأقل قدر ممكن من العقد، بل لعله دون عقد،...، وهو نهج ميسّر للجميع كما تبيّن من خلال سيرة السيدة فاطمة علیها السلام... <sup>(٣)</sup>.

(١) الفوائد الطوسيّة / الحرس العاملية . ١٩٤

(٢) فاطمة منهاج تربوي، بحث في مجلة المدى، المدرية عبر ياسر الزين، دار المدى للثقافة والإعلام، [/30364/https://al-hodaonline.com/article](https://al-hodaonline.com/article/30364/)

(٣) السيدة فاطمة قدوة وأسوة / مركز المعارف للتأليف والتحقيق، ١٠٥.

وَثُمَّةَ خَطُوطٌ عَرِيفَةٌ يَنْبَغِي لِلْأُمِّ الْمُسْلِمَةِ إِلَيْهَا مُبَدِئًا عَلَى صَعِيدِ التَّرْبِيَةِ، وَمِنْهَا<sup>(١)</sup>:

١- أَنْ تَنْهَضِ الْأُمَّ بِمَسْتَوَاهَا الثَّقَافِيِّ فَمَا دَامَتْ جَاهِلَةً بِالْعَالِيَّمِ وَالْقِيمِ الْدِينِيَّةِ سَتَبْقَى عَاجِزَةً عَنِ التَّرْبِيَةِ وَالْعَطَاءِ.

٢- إِشْرَاكُ الْأَطْفَالِ فِي الْحُضُورِ مَعَ الْآبَاءِ وَالْأَمْهَاتِ فِي مَجَالِسِ الْوَعْظِ الْدِينِيِّ وَالْعُلُومِ لِهِ الْأَثْرُ الْكَبِيرُ فِي صِياغَةِ شَخْصِيَّةِ الْطَّفَلِ وَتَرْسِيقِ قَوْلِ الْخَيْرِ فِي ذَا كَرْتَهِ؛ فَيَكُونُ رَصِيدًا غَنِيًّا يَنْعَكِسُ عَلَى سُلُوكِيَّاتِهِ وَمَعْتَقَدَاتِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

٣- تَطْهِيرُ الْجَوَّ الْمُتَزَلِّيِّ وَإِضْفاءُ الْقَدِيسِيَّةِ عَلَيْهِ، وَتَجْنِيبُ الْأَطْفَالِ كُلَّ مَا مِنْ شَأنَهُ تَدْنِيسُ أَرْوَاحِهِمْ وَعَوَاطِفِهِمُ الشَّفَافَةِ، فَالْبَيْتُ أَنْ يَكُونَ مَحْطًا لِلْمَلَائِكَةِ لَا وَكْرًا لِلشَّيَاطِينِ.

٤- تَرْبِيَةُ الْأَطْفَالِ عَلَى حُبِّ الْآخِرِينَ وَالرَّغْبَةِ فِي فَعْلِ الْخَيْرِ لَهُمْ. فَقَدْ يَكُونُ الطَّفَلُ أَنَانِيًّا أَوْ كَارِهًًا لِلآخِرِينَ، فَعِنْدَئِذٍ لَنْ يَكُونَ إِلَّا نَمْوذِجًا لِلْطَّغَوْيِّ الَّذِينَ تَرَبَّوْا فِي أَحْضَانِ التَّكْبِيرِ وَالْبَغْضِ وَالظُّلْمِ، لَأَنَّ الْأَخْلَاقَ تَنْمُو فِي ذاتِ الإِنْسَانِ حَتَّى تَصْبِحَ جَزِئًا لَا يَتَجَزَّأُ مِنْهُ.

وَسَنُسْلِطُ الضَّوءَ فِي هَذَا الْبَحْثِ عَلَى مَفْهُومِ الْغَزوِ الثَّقَافِيِّ فِي الْلُّغَةِ وَالْأَصْطَلاحِ، وَمِنْ جُوانِيهِ وَآثَارِهِ الْعَقْدِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَانْعِكَاسِهَا عَلَى السُّلُوكِ وَالْأَفْكَارِ الَّتِي تَرُوجُ فِي الْمُجَمَعِ فِي ظَلِّ التَّحْدِيدَاتِ الْرَّاهِنَةِ فِي ضَوْءِ أَحَادِيثِ السَّيِّدَ الزَّهْرَاءِ عليها السلام وَسُلُوكُهَا دَاخِلُ الْبَيْتِ أَوْ خَارِجُهُ، وَقَدْ أَلْقَتْ خَطْبَتَهَا فِي جَمِيعِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ ضُرِبَ ستَارُ بَيْنِهَا وَبَيْنِ الْقَوْمِ رَغْمَ وَجُودِ الْحِجَابِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُتَكَامِلِ لَهُ. وَفِي هَذَا التَّصْرِيفِ درُسٌ مِنْ درُوسِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ الْمَحَافظَةُ عَلَى الْحِجَابِ بِأَعْلَى درَجَاتِ الْمَحَافظَةِ. إِذْنُ فِي الْخُطْبَةِ درُوسٌ وَعَبْرٌ لَا بَدَّ مِنَ الْوَقْوفِ عَلَيْهَا لِلْوُصُولِ إِلَى الْكَمَالَاتِ الْعُلَيَا الَّتِي حَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَيْهَا.

(١) يَنْظَرُ: الْمَرْأَةُ بَيْنَ مَهَامِ الْحَيَاةِ وَمَسْؤُلِيَّاتِ الرِّسَالَةِ / آيَةُ اللهِ الْعَظِيمِ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ تَقِيُّ الْمَدْرِسِيِّ ٦٠-٦٢.

### مفهوم الغزو الثقافي أو الفكرى وطرقه:

عند تصفح المفهوم اللغوي لكلمة (غزو) نجده في المعجمات العربية، فمثلاً ورد في المفردات قول الراغب في مادة غزا (الغزو الخروج إلى محاربة العدو، وقد غزا يغزو غزواً فهو غازٍ وجمعه غزاة وغزّى، قال ﴿أَوْ كَانُوا غَزَّى﴾<sup>(١)</sup>).

وورد في المعجم الوسيط (غزا العدو غزواً وغزواناً: سار إلى قتالهم وانتهاهم في ديارهم فهو غازٍ ج غزاة...والشيء غزواً: طلبه وقصده...)<sup>(٢)</sup>.

نستدلّ مما سبق أنَّ كلمة: (الغزو) في اللغة العربية تعطي معنى: القصد، والطلب، والسير إلى قتال الأعداء، في ديارهم، وانتهاهم، وقهراهم، والتغلب عليهم.

ومصطلح الغزو الثقافي يراد به (أن تقوم مجموعة سياسية أو اقتصادية بالهجوم على الأسس والقيم الثقافية لأمة من الأمم بقصد تحقيق مآربها ووضع تلك الأمة في إسار تبعيتها)<sup>(٤)</sup>، وتعتمد إلى إحلال معتقدات وثقافات جديدة مكان المعتقدات والثقافات الوطنية لتلك الأمة، وهي ممارسة تتسم بالهدوء، وعدم إثارة الضجيج ولفت الانتباه<sup>(٥)</sup>.

ومصطلح الغزو الفكري، قصد به: (إغارة الأعداء على أمة من الأمم، بأسلحة معينة، وأساليب مختلفة، لتدمير قواها الداخلية، وعزائمها وقوماتها. وانتهاب كل ما تملك)<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة آل عمران/ الآية ١٥٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن / الراغب الأصفهاني ٣٦٠.

(٣) المعجم الوسيط، مادة (غزا)، ٦٥٢.

(٤) الغزو الثقافي / المقدمات والخلفيات التأريخية / الإمام الخامنئي ٣٧.

(٥) المصدر نفسه، المكان نفسه.

(٦) في الغزو الفكري / الدكتور أحمد عبد الرحيم الساigh ١/ ٣٣.

والفرق بين الغزو الفكري، والغزو العسكري: أنّ الغزو العسكري فهو لتصفية العقول، والأفهام، لتكون تابعة للغازي في حين الغزو العسكري يأتي للقهر وتحقيق أهداف استعمارية، دون رغبة الشعوب المستعمرة<sup>(١)</sup>، فالغزو الفكري عبارة عن معارك فكرية لا عسكرية، وهو تعبير مجازي يقصد به محاربة الخصم والقضاء عليه بالفكر لا بالسلاح العسكري. ولعلّ الغزو الفكري أشدّ خطراً وأرسخ أثراً من الغزو العسكري<sup>(٢)</sup>؛ لأنّ الأول يستهدف البنية الفكرية للأمة المغروزة؛ ولأنّه متى ما سيطر على أفكارها ومعتقداتها واستطاع تغييرها أو العبث بها ألغى حقيقة وجودها فما حصل في الحقيقة هو إلغاء الهوية التي تمثل الكينونة المعنوية التي مع إلغائها سرعان ما تتغير الكينونة المادية للأمة الغازية باللباس والبناء وغير ذلك، وكذا يحرض هذا الغزو كلّ الحرص على ترسيخ المظاهر الخاصة بكلّ أمة، وتدعى دائمًا لإحياء تراث الأمة المادي لتبقى الأمة خاوية بلا روح لم يبق فيها إلا الإطار<sup>(٣)</sup>.

ويسلك الاستكبار العالمي طرائق عده في الغزو الفكري للشعوب عموماً ويتجه إلى الشباب بشكل خاص للسيطرة عليهم لأنهم البناء الذي تقوم عليه البلدان والأوطان. وغزوهم الفكري يشمل الأخلاق والقيم والعقائد والعلم والمعرفة، ويركزون على مسألة العقيدة والأخلاق أكثر مما من أثر بالغ في توجيهه بوصلة هذا الشعب أو تلك الأمة إلى ما يريدون. و لهم طريقان في غزوهم الشباب وفصلهم عن الدين وهم<sup>(٤)</sup>:

(١) ينظر: في الغزو الفكري / الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح / ٣٣.

(٢) ينظر: أثر الغزو الفكري على الأسرة المسلمة وكيفية مقاومته، رسالة ماجستير، محمد هلال الصادق هلال، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، ١٤٢١-٢٠٠٥م، ص ١٨-٢٠.

(٣) ينظر: الغزو الفكري حقيقته وأبرز وسائله، بحث منشور في الأنترنيت، د. صالح بن عبد الله بن عبد المحسن الفريج، ٥-٦.

(٤) الغزو الثقافي:

**الطريق الأول:** يتمثل بإشاعة الشهوات وفتح طريق الانحلال وتكسير أواصر الحشمة في العلاقة بين المرأة والرجل.

**الطريق الثاني:** يتمثل بالتيار العلمي والفكري، فقد تحول التقدم العلمي إلى وسيلة لسلخ الناس عن الاعتقاد بالدين، واتخذه ذريعة لإطفاء شعلة الإيمان الديني في النفوس.

وبين مدة وأخرى تظهر دعوات ومطالبات تدعو - خداعاً - إلى قضية المساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء والتأسي بنظام الغرب الذي أوصل المرأة إلى أعلى مراتب القيادة وأشركها في كل ما للرجل من أعمال ومهام. وبغض النظر عما منحها الخالق من اختلافات بنوية ونفسية، وما غرسه فيها من وظائف. وقد راحوا يدعون إلى نقل هذه التجربة إلى بلاد المسلمين متذرعين بفشل الرجال في تنمية البلدان الإسلامية وتطويرها، وجعلهم السبب الرئيس في تراجعها على مختلف الصعد، متناسين الإرادة الإلهية في تقسيم الأدوار بين طرف الحياة الرجل والمرأة. ولم يدع هذا الخالق الحكيم مخلوقاته ولا سيما منها البشر دون أن يقدم لها النموذج الأمثل وطالبه بالسير على خطاه وهداه ومنها المرأة، وما تتعرض له من سلب للقيم، وكذا ما تتعرض له من غزو ثقافي غايته إبعاد الفتاة المسلمة عن القدوة الصالحة، وإيجاد بدائل لا تمت للمجتمع الإسلامي بصلة حيث الانفتاح الثقافي. وقد تعرضت شخصية المرأة المسلمة من خلال هذا الغزو إلى شتى حماولات التمزيق والتشويه، مع إبراز صورة للمرأة الغربية واعتبارها النموذج الأمثل للواقع، واستطاعت المرأة المسلمة أن تقف في خندق المواجهة والتحدي للأفكار الاستعمارية، والغزو الثقافي، من أجل أن تفرض لها وجوداً في قبال الموجودات الزائفة، والأيقونات المشوهة التي صنعتها إعلام الغرب الوهبي<sup>(١)</sup>، فضلاً عن الأفكار الوافدة الغربية التي يروج لها الاستكبار العالمي عبر وسائل

(١) ينظر: المرأة وتحديات الغزو الثقافي / السيدة زينب أنموذجاً / محمد الطالقاني، وكالة أنباء برااثا

التواصل الاجتماعي في منع الحجاب والدعوة إلى تحرر المرأة وسفورها وتبرجها، ناهيك عن تغيير مسار المرأة وسلوكها مع زوجها وأولادها وبناتها فعال (الغرب الفاسد أراد أن يخشوا أذهان العالم بفكرة تعرّي المرأة وشخصيتها من خلال الأساليب الخاطئة والمنحرفة التي تتلازم مع تحقيـر جنس المرأة،...)<sup>(١)</sup>، على أنّ السفور يزداد سوءاً يوماً بعد يوم (حتى صرنا نشهد في بعض المجتمعات الإسلامية سفوراً فاضحاً وصل إلى حد التهـكـكـ التامـ، وعـرضـ المرأةـ لمـفاتـنـهاـ بطـريـقةـ مـُسـفـةـ تـجاـوزـتـ الآـدـابـ وـالـقـيمـ وـالـاخـلـاقـيـاتـ كـلـهاـ، وـأـخـطـرـ ماـ فيـ الـأـمـرـ، أـنـ هـذـاـ السـفـورـ قدـ تـحـوـلـ إـلـىـ مـارـسـةـ تـسـتـنـدـ إـلـىـ خـلـفـيـةـ ثـقـافـيـةـ تـرـىـ أـنـ ذـلـكـ حقـّـ منـ حـقـوقـ الـمـرأـةـ)<sup>(٢)</sup>. والغرب بقصد تصدير ثقافته الغربية إلى البلاد كلـهاـ، وهي ثقافة الفساد والتعـريـ، وهذه الصورة الفظيعـةـ لـحـيـاةـ بـعـضـ النـسـاءـ فـيـ الـجـمـعـاتـ الـغـربـيـةـ، لـيـسـ شـامـلـةـ لـجـمـيعـ النـسـاءـ هـنـاكـ، بلـ إـنـ هـذـهـ الحـالـةـ هيـ نـتـيـجـةـ لـلـإـعـلـامـ الـخـاطـئـ)، وـقـدـ وـجـهـ الغـرـيبـيونـ وـأـعـوـانـهـمـ فـيـ الـعـقـودـ الـأـخـيـرـةـ، إـلـىـ شـنـ الـحـمـلـاتـ وـالـحـرـوبـ الـنـاعـمـةـ عـلـىـ الـإـسـلـامـ وـمـفـاهـيمـ وـأـفـكـارـهـ، مـسـتـخـدـمـينـ شـتـىـ الـأـسـالـيـبـ وـالـوـسـائـلـ الـتـيـ توـصـلـهـمـ إـلـىـ مـبـغـاهـمـ وـمـرـادـهـمـ<sup>(٣)</sup> موـجـهـيـنـ أـكـبـرـ ضـرـبةـ إـلـىـ الـمـرأـةـ بـذـرـيعـةـ أـنـهـمـ (يـرـيدـونـ أـنـ يـخـدمـواـ الـمـرأـةـ، ذـلـكـ لـأـنـهـمـ مـنـ خـلـالـ التـهـكـكـ وـنـشـرـ الـفـسـادـ وـالـفـحـشـاءـ وـإـطـلاقـ الـحـرـيةـ الـكـامـلـةـ لـلـمـعـاـشـةـ بـيـنـ الرـجـلـ وـالـمـرأـةـ، قـدـ قـضـواـ عـلـىـ بـنـيـانـ الـأـسـرـةـ؛ فـالـرـجـلـ الـذـيـ يـمـكـنـهـ أـنـ يـطـفـئـ شـهـوـتـهـ بـحـرـيـةـ فـيـ الـجـمـعـ، وـالـمـرأـةـ الـتـيـ يـمـكـنـهـاـ أـنـ تـقـيمـ عـلـاـقـاتـ مـعـ عـدـّـةـ رـجـالـ فـيـ الـجـمـعـ دـوـنـ إـشـكـالـ، لـاـ يـمـكـنـهـاـ أـنـ يـكـوـنـاـ زـوـجـيـنـ جـيـدـيـنـ؛ لـذـلـكـ قـضـيـ علىـ الـأـسـرـةـ)<sup>(٤)</sup>.

(١) الستـرـ وـالـحـجـابـ / مرـكـزـ الـمـعـارـفـ لـلـمـنـاهـجـ وـالـمـتوـنـ الـتـعـلـيمـيـةـ . ١٠٨ .

(٢) المـصـدرـ نـفـسـهـ . ١٠٧ .

(٣) يـنـظـرـ: ٥٧ـ سـبـبـاـ لـرـكـ الحـجـابـ / الشـيـخـ بـسـامـ مـحـمـدـ حـسـينـ . ١٠ .

(٤) دورـ الـمـرأـةـ فـيـ الـأـسـرـةـ / مرـكـزـ الـإـمـامـ الـخـمـيـنيـ الـثـقـافـيـةـ . ١٢ .

وقد عُني القرآن الكريم بالمرأة أيّها عناء، إلى الحد الذي أنزلت فيه سورة طوبيلة مسماً باسم (النساء)، وهذا ما يدل على خطورة العنصر النسائي في المجتمع الإنساني؛ وعلى عناء الإسلام بهذا العنصر والالتفات إلى قضياته. وبالرغم من هذه العناية لهذا العنصر، نجد أنَّ (التاريخ والحاضر قد ظلمها ولم يلتفت إلى خطورة دورها، ذلك لأنَّ المجتمع في العصور القديمة وما يزال، رغم تطور الحياة الفكرية لدى البشر، لا ينظر إليها كعنصر فعال له أهميَّة في نهوض المجتمع وتكامله)<sup>(١)</sup>.

وكانت هناك مجموعة من النساء اللاتي قدمنَ صوراً فدَّة لما على المرأة أن تكونه في هذه الحياة، وما لا شكَّ فيه أن الزهراء عليها السلام كانت على رأس تلك القائمة، فقد كانت البنت الحنون حتى وصفها أبوها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمَّ أبيها لشدة ما كانت تقوم به من دور وجودي في حياته؛ فالآمَّ في اللغة هي أصل الشيء، فكأنَّه يقول أن فاطمة أصل أصيل في حيati وجودي لما حملت من خصائص كمالية عالية في رعاية من حولها وأوْفِهم الرسول الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهي في غاية الحنان والرحمة والرأفة، وهي من خصائص الأمهات وكذلك كانت الزوجة المخلصة التي تنفض عن زوجها (أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ) غبار ومشاق العمل وتشر في روحه البهجة والسرور والراحة وتنشر الأمان والاطمئنان في منزله<sup>(٢)</sup>.

وهناك من يفرق بين الغزو الثقافي والتفاعل مع ثقافة الآخرين من خلال مثال هو عمل جسم الإنسان، فجسم الإنسان يتعاطى مع العناصر الغربية بكيفيتين هما<sup>(٣)</sup>:

(١) المرأة حقوق وحرية وحجاب / مركز الإمام الخميني الثقافية . ١٠

(٢) المرأة تعدد أدوار (الزهراء عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ أنموجاً)، مقال في النت، م.م حياة حسن، جامعة بابل

8493/<https://imhussain.com/arabic/section29>

(٣) ينظر: الغزو الثقافي / المقدمات والخلفيات التأريخية / السيد الخامنئي ٥٧

يتناول الإنسان طعاماً يحتوي على فيتامينات مختلفة، فيختلط الطعام باللعا布 ويدفعه إلى داخل المعدة، وحينئذ تتصّل المعدة ما تراه مفيداً مناسباً للجسم وتترك الباقي، فتدفعه وتلفظه، وهذا التعاطي إيجابي.

يكون التعاطي بأن نأتي بالإنسان فنقidine ثم ندخل إلى بدنها مادة لا يريدها ولا يرغب بها، ففي هذه الحالة لو كان الطبيب عدوًّا لها هي المادة التي يدخلها جسم عدوه؟! وعليه فالمهدف من التبادل الثقافي هو إثراء ثقافتنا وسوقها صوب التكامل في حين الغزو الثقافي يهدف إلى استئصال ثقافتنا واجتناثها.

أما التفاعل أو التبادل الثقافي فضرورة تحتاج إليها الشعوب فليس ثمّ شعب من الشعوب يستطيع الاستغناء عن الإفادة من معارف وثقافات الشعوب الأخرى، ومن خلال التفاعل أو التبادل الثقافي تحول بلد بأكمله إلى الدين الإسلامي كما حصل مع أندونيسيا وماليزيا وأجزاء من شبه القارة عن طريق أفراد قلائل (آحاد)<sup>(١)</sup>.

### المنهج التربوي للصادقة الزهراء

كثيرون الذين وصفوا الزهراء عليها السلام من ذلك قول السيد محمد كاظم القزويني بقوله (فاطمة، وما أدرك من فاطمة؟ شخصية إنسان تحمل طابع الأنوثة لتكون آية على قدرة الله البالغة واقتداره البديع العجيب، فإنَّ الله تعالى خلق محمداً عليه السلام ليكون آية قدرته في الأنبياء، ثم خلق منه بضعة وابنته فاطمة الزهراء لتكون علامه وآية على قدرة الله في إيداع مخلوق أثني تكون كتلة من الفضائل، وجموعة من الموهب فلقد أعطى الله تعالى فاطمة الزهراء أوف حظ من العظمة، وأوْف نصيب من الجلالـة بحيث لا يمكن لأية أثني أن تبلغ تلك المنزلة، فهي من فصيلة أولياء الله الذين اعترفت لهم السماء بالعظمة قبل أن يعرفهم أهل

(١) ينظر: الغزو الثقافي / المقدمات والخلفيات التاريخية، ٦٠-٦١.

الأرض، ونزلت في حقهم آيات محكمات في الذكر الحكيم، تتلى آناء الليل وأطراف النهار  
منذ نزولها إلى يومنا هذا، والى أن تقوم القيمة<sup>(١)</sup>.

وقد كرّم الإسلام المرأة؛ وبالرغم من تأكيده دور الأم وحرمتها في الأسرة، ودور المرأة  
وتأثيرها وحقوقها وواجباتها داخل الأسرة، فهذا لا يعني منها من الإسهام في الحياة  
الاجتماعية والسياسية. وقد كانت الصديقة الزهراء عليها السلام مظهراً جلياً للجمع بين مختلف  
الشؤون فقد كانت حاضرة في وسط المجتمع من خلال أدائها دور الابنة، ودور الزوجة  
والأم، ودور المرأة في المجتمع الإسلامي. ولو حذت نساونا حذو السيدة الزهراء عليها السلام في  
أدوارها الثلاثة لأصبحت نموذجاً مباركاً يشار إليه بالبنان. وفي هذا يصدق قول المتنبي<sup>(٢)</sup>:

لُفْضَلَتِ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا	وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ فَقَدْنَا
وَلَا التَّذْكِيرُ فَخُرُّ لِلْهَلَالِ	فِيمَا التَّأْنِيْثُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ

وسنحاول تسليط الضوء على الأدوار الثلاثة للسيدة الزهراء عليها السلام بما ينسجم مع  
ما تمارسه المرأة من أفعال وسلوكيات في ظل العولمة والغزو الثقافي الذي تمارسه قوى  
الاستكبار العالمي، وكالآتي:

دور الابنة: بعد أن توفي أبناء الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه الطاهر، والقاسم، وإبراهيم في مكة واحداً  
تلوا الآخر شمت الشامتون برسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ووصفوه بالأبتر الذي لا ذرية له؛ فأنزل الله  
تعالى ﴿إِنَّا أَعْظَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَلَا حُرْجَ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ سورة الكوثر:  
١-٣)، ومصداق الكوثر يمثل أشياء عدّة أبرزها الوجود المقدس للصادقة الزهراء عليها السلام  
التي جعلها الله خلفاً مادياً ومعنىًّا للرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه فكانت سبباً لتخليد أبيها وذرره ونهجه

(١) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد / السيد محمد كاظم القزويني ٩.

(٢) ديوان المتنبي ٢٦٧.

ومعارفه بشكل لم يشهد له نظير لدى أي ولد بارز عظيم. فمن ذريتها برب أحد عشر إماماً وكوكباً أحيوا الإسلام، وبيّنوا معارف القرآن، ونشروا المعرفة الإلهية، وأزالوا التحريف عنها<sup>(١)</sup>، وبعد وفاة السيدة خديجة وأبي طالب عليهما السلام مارست السيدة الزهراء عليها السلام دور المساند والمعين لأبيها الذي فقد العم المدافع والزوجة المخلصة، فكانت بحق أم أبيها (إنهما كنية ما أجلّها وأعظمها)! فهي تعبّر عن عمق الارتباط الروحي بين المانح العظيم المقدس، والممنوعة الطاهرة المطهرة بحكم التنزيه عن كلّ رجس ودنس، هذه الكنية هتف ملاً الكون بصدّاه، ونداء لكلّ جيل يتدبّر معناه، وتنبيه للأمة بما ينبغي لها من توقير البتول وحفظ مقامها الشامخ في قلب الرسول<sup>(٢)</sup>، فهي لم تكن تتعامل معه تعامل المعظم للعظيم بعيداً عن المشاعر، بل كان الحب هو الحاكم الثاني على تلك العلاقة، حيث نجد تعلقاً فريداً من الزهراء بأبيها، واهتماماً لا مثيل له. وكانت تسعى في حاجاته على الدوام، فمتى احتاج الرسول إلى أي شيء من طعام ومداواة جروح وإزالة هم نجدها حاضرة بين يديه تلبية دون أن يطلب<sup>(٣)</sup>؛ ولذلك كانت فاطمة في تلك الظروف تمثل الأم والمستشار والممرضة بالنسبة للرسول، على الرغم من كونها صبية عمرها ست سنوات أو سبع سنوات على هذا التحول، ف تكون على هذه الدرجة من الشعور بالمسؤولية، وتكون قدوة للفتيات ليصبح لديهن شعور مبكر بالمسؤولية إزاء القضايا المحيطة بهن، ويتفاعلن معها بنشاط، كان وجه فاطمة ينسرح بوجه أبيها وتنشط قواها وهي تزيل بمنديل العطف والحنان غبار الهم والحزن عن وجه أبيها الذي كان قد تجاوز حينذاك الخمسين من عمره الشريف، قبل أن تزيله بيدها<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: المرأة نصف الدنيا / السيد الخامنئي ٣٣.

(٢) السيدة فاطمة قدوة وأسوة / مركز المعرفة للتأليف والتحقيق ١٠.

(٣) ينظر: السيدة فاطمة قدوة وأسوة ٥٩.

(٤) ينظر: إنسان بعمر ٢٥٠ سنة / الإمام الخامنئي ١٤٢.

وعند التأمل في حياة الصديقة الزهراء عليها السلام في ظل أبيها الرسول محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه نجد معاني عده في كنية (أم أبيها)؛ منها أنها كانت تقوم بمداراة أبيها ورعايتها بأكمل ما يكون - وفي قبال ذلك كان أبوها يحترمها ويجلّها. فعندما تقبل عليه يقول: مرحباً بأم أبيها ويأخذ بيدها ويقبلّها ويجلسها مجلسه. فضلاً عن أن سرور الرسول بفاطمة لا يعادله سرور وفرح، فكان يأنس بوجودها كثيراً فكانت آخر من يودّعه إذا أراد الخروج في سفر، وأول شخص يقبل عليه إذا عاد على أن كلمة (أم أبيها) كلمة عذبة تعدّ من أفضل ما تفوّحت به حنجرة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه. فهي على الرغم من أنها صغيرة ولكنها - في الوقت نفسه - ملوءة بالحب والأمل والاعطف، وكل ما في القلب البشري من الرقة والعذوبة<sup>(١)</sup>.

وعندما كرم الباري عز وجل زوجات النبي بكونهن أمهات المؤمنين صار يخطر في بالهنّ أنهن أفضل من كل النساء، حتى من الصديقة فاطمة عليها السلام؛ ولأجل ذلك كاناها أبوها المصطفى بأم أبيها بمعنى أن فاطمة عليها السلام أفضل من نساء النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه<sup>(٢)</sup>، ويكفيها فخرًا قول المصطفى في حقها: (فاطمة بضعة مني، من سرّها فقد سرني، ومن ساعها فقد ساعني، فاطمة أعز البرية علي)<sup>(٣)</sup>، وكذا قوله (وأما ابتي فاطمة، فإنّها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة مني، وهو نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحى التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محابها بين يدي ربّها جل جلاله زهر نورها لملائكة السباء كما يزهّر نور الكواكب لأهل الأرض)<sup>(٤)</sup>. نستدلّ من الحديثين الشريفين أن المصطفى قد كرم ابنته الزهراء ليس لأنّها ابنته الوحيدة، وإنّما لأنّها أصل ديمومة الإسلام وبقائه. فقد أعطت درساً في الكيفية التي يجب أن تكون عليه الفتاة في التعامل مع والدتها

(١) ينظر: الأسرار الفاطمية / الشيخ محمد فاضل المسعودي . ٢٧١

(٢) ينظر: الأسرار الفاطمية . ٢٧٣

(٣) الأمالي / الشيخ الطوسي . ٢٤

(٤) الأمالي / الشيخ الصدوق . ١٧٥

من بَرٍ ورحمةً وشفقةً ورأفةً وطاعةً، وإدخال السرور على قلب الوالد، موضحةً أنَّ الطريق الأول إلى مرضاة الله هو بَرُّ الوالدين. فتعظيم السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام للرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه تعظيمٌ ممزوجٌ بالحبِّ والعاطفة الصافية، وهو أروع البرّ، فهي لم تكن تتعامل معه تعاملَ العظيمِ للعظيمِ بعيداً عن المشاعر، بل كان الحبُّ هو الحاكم الثاني على تلك العلاقة، فهناك تعلقٌ فريد من الزهراء بأبيها، واهتمامٌ لا مثيل له، لذا كانت تسعى في حاجاته على الدوام، فمتى احتاج الرسول إلى أيِّ شيءٍ من طعامٍ ومداواةٍ جروحٍ وإزالةٍ هم نجد الزهراء حاضرة بين يديه تلبيه دون أن يطلب<sup>(١)</sup>.

وبينبغي الإشارة إلى أنَّه لم تتوافر في غير الزهراء عليها السلام من النساء الصالحات اللاتي تحدث عنهنَّ القرآن الكريم والرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله وسلامه من قبيل آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران اللتين لم تتوافر لهما ظروفُ أسرةٍ كاملةٍ، إذ إنَّ آسيا كانت زوجةً لطاغيةً مستبدّاً هو فرعون؛ فلم تكن قادرةً على أن تعبر عن علاقةً أسريةَ حميمةٍ؟ أما خديجة فقد كان لها دورٌ في الجانب الأسري فهي زوجة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وأم ذريته؛ لأنَّها أم الزهراء عليها السلام/ فهي تشبهها من هذه الناحية بيد أنَّ الزهراء انهازت عن أمّها في الأدوار الأخرى التي مارستها في حياتها، فقد استطاعت أن تحفظ في شخصيتها قضية الموازنة بين هذه الأدوار، والموازنة عنصر مهمٌ جداً لحركة المرأة. فبعض النساء قد يوقفن في جانب من الجوانب، لكنَّ الجمع بين كلِّ الجوانب وإيجاد حالة الموازنة بين جميع الأعمال والأدوار أمرٌ بالغ الصعوبة وقضية مهمة جداً؛ فالزهراء عليها السلام كانت ربةً بيتٍ تطحن الحنطة في بيتها، وتنظف، وهي في الوقت نفسه المرأة العالمة الفاضلة، وكذا المرأة المجاهدة عن مبادئها، وهي المربيَّة لأبنائِها، والمعطية لزوجها كامل حقوقه، والواهبة لأبيها المصطفى خالص اهتمامها حتى كناها بـ(أم أبيها)<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: السيدة فاطمة قدوة وأسوة ٥٨-٥٩.

(٢) ينظر: الزهراء عليها السلام أهداف. مواقف. نتائج / آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم (قدس) ٣٦ - ٣٨.

وقد أولى الإسلام عناية كبيرة بالبنت وكرّمها، حالها حال بنى البشر. قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَمْنَا بَنِي آدَمَ وَهَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ سورة الإسراء / ٧٠)، وعاب على الجاهليين قتلهم البنات، وسبّاها (وأد البنات). قال تعالى ﴿وَإِذَا الْمُؤْعُودَةُ سُيِّلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ سورة التكوير / ٩-٨ وقال الإمام الصادق عليه السلام: (البنات حسنات والبنون نعمة؛ فالحسنات يثاب عليها والنعم يسأل عنها)<sup>(١)</sup>. فالدين الإسلامي منظومة متكاملة من القيم المثل التي أوحى الله بها إلى البشرية لتسعد في الدنيا والآخرة، فهي تتكامل عبر هذه القيم، ولا بدّ من ظرف يستوعب القيم، ومن إطار يصونها، ومن سور يحافظ عليها. ومن دون ذلك يكون من الصعب تصوّر ديمومة هذه القيم أو بقائهما. فالبيت لا يمكن تصوّره من دون سقف أو سور يحميه، وإنّ أول عوامل المحافظة هو بيت الإنسان وعائلته وحيطه الأسري والتربوي. فمن ينمو في محيط عائلي طيب يكون قد أحرز أول عوامل الصيانة لقيمه دون الانهيار، في حين من يعيش بلا أسرة ولا بيت أو يرفض الانتفاء إلى الأب أو إلى الأم أو إلى كليهما معاً سيكون من الصعب عليه وعلى الآخرين تصوّر كيفية محافظته على مبادئه العليا إن لم نقل إنه سيكون عديم المبادئ والقيم إلّا من رحم الله إذ يمكن تعلم القيم والمثل العليا وإدراكتها عن طريق الأسرة الطيبة والجو العائلي الحميد<sup>(٢)</sup>.

دور الزوجة والأم: لما أحسن صحابة الرسول ﷺ بقيمة فاطمة لدى أيّها تباروا لخطبتها منه طلباً للشرف، ورغبة في الكرامة، وحرصاً على التقرب من رسول الله ﷺ، وكان لا بدّ لكتاب قريش أن يتقدموا لطلبها من أيّها، وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وغيرهما<sup>(٣)</sup>، وكان

(١) بحار الأنوار / المجلسي ٩٠ / ١٠١.

(٢) ينظر: المرأة بين مهام الحياة ومسؤوليات الرسالة ٧٢-٧١.

(٣) ينظر: بحار الأنوار ٤٣ / ١٢٥.

الرسول ﷺ يعرض بوجهه عنهم بعد أن يتصل بفاطمة ﷺ نفسها، فتضهر عدم رغبتها ورفضها لفكرة الزواج من هؤلاء، والرسول ﷺ حين يفاتحها بمثل هذا الموضوع هو يعلم من يكون لها كفأاً، لكن الشرع يفرض على الأبااً بيت في موضوع زواج البنات والأولاد دون الاطلاع على مدى رغبتهم. ويستمر الرسول ﷺ بهذا النهج حتى يأتيه النداء الإلهي قال: (أتاني ملك فقال: يا رسول الله، إِنَّ اللَّهَ - تبارك وتعالى - يقرأ عليك السلام ويقول لك: إني (قد) زوجت فاطمة ابنته من علي بن أبي طالب في الملااا الأعلى، فزوجها منه في الأرض)<sup>(١)</sup>، وأسرع أمير المؤمنين ﷺ ليبع درعه بفاسعه بأربعين دارهم ليشتري الأثاث والجهاز المكون من (قميص بسبعة دراهم، ومحار بأربعة دراهم، وقطيفة سوداء خيرية، وسرير مزمل بشريط، وفراشان من جنس مصر، حشو أحد هما ليف، وحشو الآخر من جز الغنم، وأربع مراافق من أدم الطائف حشوها إذخر، وستر من صوف، وحصير هجري، ورحا اليد، ومخضب من نحاس، وسقي من أدم، وقعب للبن، وشيء للماء، ومطهرة مزففة، وجرة خضراء، وكيزان<sup>(٢)</sup> خزف)<sup>(٣)</sup>، وبصفة هذا الجهاز يكونان قد واسيا أقل الناس مالاً، وأعلننا للبشرية جماعة آنه ليس المهم أن يجمع الزوجان الأثاث الفاخر والمداع الجديد، وإنما المهم أن تتعانق القلوب وتتألف النفوس وتلتقي الأرواح وتسود المحبة والوئام. فقد ورد عن رسول الله ﷺ (أفضل نساء أمتي أصبحهن وجهاً وأقلهن مهراً)<sup>(٤)</sup>. ففي مهر الزهراء ﷺ درس تربوي لنا جميعاً: فقد زوج المصطفى أحب الخلق إليه وبصعنته الطاهرة بمهر متواضع كي يفهם الأمة أن المهر العالية ليست في صالحها؛ لما تسببه من تعكير لصفو الحياة الزوجية وزلزلة الوضع الاقتصادي للعائلة فضلاً عما تؤدي إليه من عزوف الشباب

(١) ينابيع المودة لذوي القربي / القندوزي ١٢٥ / ٢.

(٢) ورد في الصاحح / الجوهرى، مادة (كوز)، ٨٩٣ / ٣.

(٣) الأمالي / الشيخ الطوسي ٤١.

(٤) الواقى / الفيض الكاشانى ٦٢ / ٢١.

عن الزواج وما يعقبه من مفاسد اجتماعية وأمراض روحية. ووجدت الزهراء نفسها، وهي في بيت زوجها أمام وظائف جسمية ومسؤوليات عظيمة؛ فبوصفها القدوة الحسنة والأسوة المثلى للمرأة المسلمة كان عليها أن ترسم الطريق لعالم البيت الإسلامي الأمثل، وقد نجحت فضربت أروع الأمثلة في طاعة الزوج ومراعاة حقوقه والإخلاص له والصبر على شفف العيش وقلة ذات اليد، وفي القيام بمسؤوليات البيت وأداء واجبات الأسرة في جوّ من المودة والصفاء والتعاون والوفاء. وفي تربية الأولاد الصالحين فكانت الزهراء عليها السلام نعم الزوجة لأمير المؤمنين عليه السلام لم تعص له أبداً، ولم تخالفه في شيء، ولم تخرج بغير إذنه. وكانت تعينه على طاعة الله، وتفضله على نفسها، تسّرّه إذا نظر إليها فتدخل عليه البهجة والسرور<sup>(١)</sup>.

أما الأئمة فهم (من أهم محطات حياة الأنبياء)، وهو دور لا تستطيع القيام به إلا بالحب والسرور، وهو ما نراه عند سيدتنا فاطمة عليها السلام، التي كانت مبتهجة بأولادها تظلّلهم بحبها وحنانها<sup>(٢)</sup>. فالإمامية كانت من الوظائف الحساسة والمهام الثقيلة التي أقيمت على عاتق السيدة الزهراء عليها السلام، وقد أنجبت خمسة أولاد الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم والحسن الذي أُسقِط قبل ولادته. وقد قدّر الله عزّ وجلّ أن يكون نسل الرسول وذريته من فاطمة عليها السلام كما أخبرنا بذلك رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بقوله (إن الله تعالى جعل ذرية كلّنبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب)<sup>(٣)</sup>.

ولأن التربية هي أعظم أدوار الأم وأهمّها على الإطلاق، فإن السيدة فاطمة عليها السلام قدّمت للبشرية أولاداً صنعوا التاريخ وتسلّموا زمام قيادة البشر؛ فقد أنيطت بالزهراء عليها السلام مهمة لا

(١) ينظر: الآصرة الروحية المقدسة بين الإمام علي والسيدة الزهراء عليها السلام- دراسة نقدية، بحث، د. انتصار عدنان العواد، مجلة العقيدة، ع ٢٥، خريف ٢٠٢٢ م - ١٤٤٤ هـ، ص ٢١.

(٢) السيّدة فاطمة قدوة وأسوة ٩٥.

(٣) الجامع الصغير / السيوطي ١ / ٢٦٢.

تقلّ عن مهمة مبادرتها لأعمال المنزل، تلك هي تربية الأولاد (الحسن، والحسين، وزينب). نستطيع أن نخرج بأسس عامة لنهجها التربوي، فيما يختص تربية الأبناء، وذلك من خلال سلوكياتها مع أولادها. وفي هذا المجال تقدّم لنا السيدة فاطمة عليها السلام مرّة أخرى رائعة من رائع السلوك البشريّ، فللسائل أن يقول، ما هو السر في تربية السيدة فاطمة عليها السلام لأولادها بحيث خرّجت في حضنها صناع التاريخ: الإمام الحسن، والإمام الحسين، وزينب عليهم السلام؟ فال التربية الفاطمية لزينب عليها السلام مثلاً، وهي التي لم تكن معصومة كأخوتها عليهم السلام أهلتها لأن تقوم بدورٍ شّكّل منعطفاً في التاريخ<sup>(١)</sup>.

دور المرأة: إذا تجاوزنا دور الزهراء عليها السلام في إدارة أعمال المنزل وتربية الأولاد إلى مساحات أوسع من ذلك، فنرى أن سيدة النساء قد سجلت عنوانات مهمة لدور المرأة المسلمة في مجمل النشاطات الاجتماعية والسياسية والحربيّة وغيرها، مما يتّناسب مع واقع العصر وحاجاته وظروفه. فقد كانت تعلّم النساء ما يشكّل عليهنّ من الأحكام الشرعية والمعارف الإلهية الضروريّة<sup>(٢)</sup>. فالإسلام ينظم الحياة في تناسق رائع فيوجب المعاش على الرجل، ويعفو المرأة من العمل للتفرغ للبيت حيث تعيني بواجبات الرجل. وفي الوقت نفسه لا يحرّم العمل على المرأة طلباً للمزيد من المال أو كسب العيش، فهي حرّة في ذلك<sup>(٣)</sup>. وقد ضربت الزهراء عليها السلام أروع الأمثلة في ما يجب أن تكون عليه المرأة المسلمة من حصانة وعفة مع أدائها لدورها في داخل المنزل وخارجها على أتم وجه، فهي النموذج الأمثل الذي قدمه الإسلام للمرأة. فمن الحق أن يقتدى بها في كلّ ما أثر عنها من مبادئ العفة والحجاب. فقد روى أنّ النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال لها: أيّ شيء خير للمرأة؟ قالت: (أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل. فضمّها إليه وقال: ذرية بعضها من بعض)<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: السيدة فاطمة قدوة وأسوة ٩٦.

(٢) ينظر: سيدة النساء فاطمة الزهراء / د. علي موسى الكعبي ٧٥.

(٣) ينظر: المرأة في المجتمع الإسلامي / السيد محمد تقى المدرسي ١٣.

(٤) بحار الأنوار ٤٣ / ٨٤.

ويروى أنَّ (فاطمة بنت رسول الله ﷺ، استأذن عليها أمُّها فحجبته، فقال لها النبي ﷺ: لم حجبته وهو لا يراك؟ فقالت: يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأنا أراه، وهو يشم الريح، فقال النبي ﷺ: أشهد أنك بضعة مني) <sup>(١)</sup>.

ولم يمنع الحجاب الزهراء <ص> من أداء دورها الرسالي في الدفاع عن العقيدة الإسلامية والسنة النبوية المطهرة واسترجاع حقّها السليم، فقد وصفها الرواة لما بلغها أنَّ أبي بكر قد أظهر معها فدكاً (لاث خمارها على رأسها واحتسمت بجلبابها وأقبلت في لَّة من حفلتها ونساء من قومها تطأ ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، ففيطت دونها ملاعة، فجلست. ثم أتَت آلة أجهش القوم لها بالبكاء فارتَّجَ المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى سكنت فوراً ففتحت كلامها بحمد الله وأثنت عليه...) <sup>(٢)</sup>.

ولم تكن السيدة فاطمة <ص> شخصية يمكن تهميشها في المجتمع الإسلامي، فقد أسست مع أبيها شخصية أصبحت رقمًا صعباً في الحياة السياسية، ذلك مع أنَّ المجتمع آنذاك لم يكن يعطي المرأة مكاناً أو دوراً ذا أثر في الحياة الاجتماعية؛ ناهيك عن الحياة السياسية. بيد أنَّ الوضع لم يكن كذلك مع السيدة فاطمة <ص>، ففضل العمل الدؤوب للرسول ﷺ في بيان فضائلها ومكانتها وتعظيم شأنها، وبفضل سلوكها الفريد غير القابل للتجاز، لم يعد بإمكان أحد أن يتتجاوز فاطمة <ص> <sup>(٣)</sup>.

ومن مظاهر العفة والخشمة التي سجلتها السيدة فاطمة الزهراء <ص>، وأصبحت سُنة يقتدى بها إلى يومنا هذا هو ما أوصت عند قرب وفاتها أسماء بنت عميس بأن يجعل لها

(١) مستدرك الوسائل / ميرزا حسين النوري الطبرسي . ٢٨٩ / ١٤

(٢) الطرائف في معرفة الطوائف / ابن طاوس . ٢٦٤

(٣) ينظر: السيدة فاطمة قدوة وأسوة . ١٦٨

تابوت مستور كي يحجبها عن أعين الناس. فقد روي أثنا (قالت لأسماء: إني نحلت وذهب لحمي؛ ألا تجعلين لي شيئاً يسترني؟ قالت أسماء: إني إذ كنت بأرض الحبشة رأيتهم يصنعون شيئاً أفالاً أصنع لك، فإن أعجبك أصنع لك؟ قالت: نعم. فدعت بسرير فأكبه لوجهه، ثم دعت بجرائد فشددته على قوائمه ثم جللتة ثوباً فقالت: هكذا رأيتهم يصنعون. فقالت: أصنعي لي مثله. استريني سترك الله من النار) <sup>(١)</sup>.

وفي مسيرة الزهراء عليها السلام رسائل إيمانية تدعو إلى الحجاب والستر في منزلاً، وعند ظهورها في المجالس العامة، وحتى عند وفاتها (سلام الله عليها). فإذا نظرنا إلى الحجاب نظرة دقيقة وبشكل عام وجدناه مرسلًا رسالتين: رسالة للخارج ورسالة للداخل؛ أما التي للخارج، فإن الحجاب لا يرتضي النواظر، وإنّه جُنّة من سهام إبليس حشمةً وعفةً وطهارةً وسلوك حياة. وأما التي للداخل، فإن الحجاب درع يقي، وسور يحمي ما يضفي شعوراً بالأمان الداخلي وبقدر ما يحكي الحجاب عن أخلاق الستر وقيمته بمقدار ما يرتقي لدى هذا الشعور بالأمان النفسي والسلام الروحي. فالحجاب يمنح المرأة شعوراً بالأمان والأمان النفسي، فلماذا تحرم السافرات أنفسهن من الحجاب؟! ولا يعدّ الحجاب امتهاناً لكرامة المرأة، بل هو تكريم لها؛ إذ إنّ ستر الأشياء الغالية كالنقود والجواهر ليس امتهاناً لها بل تكريماً لها، وحفظ من السراق. ففي المجتمع ذئاب جائعة تبحث عن الحمل، أي المرأة التي لا بدّ من سترها حفظاً لشرفها وكرامتها وأنوثتها <sup>(٢)</sup>.

أما دورها التبليغي فقد تجسد من طريقين: داخل البيت وخارجـه؛ أمّا الأول فقد كانت السيدة الزهراء عليها السلام راوية لأحاديث أبيها المصطفى ص، وكانت تدوّن ما تسمعه من رسول الله ص، شأنها شأن أهل البيت ع ولا سيما ما يذكره الرسول ص من أمور في مجالسه

(١) بحار الأنوار / ٤٣ / ٢١٣.

(٢) ينظر: حوار عن المرأة / السيد هادي المدرسي ٢٦-٢٧.

ولقاءاته وشئونه الخاصة، ولو لا تدوينها وحفظها بوساطة أهل البيت عليهم السلام لُحِّرَفَتْ أو فقدت فكانت فاطمة عليها السلام تدون ما تسمعه من رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه الذي كان يزورها ويجلس إليها ويحدثها بأحاديث كثيرة لا سيما التي تتحدث عن الأوضاع المستقبلية وما سيجري لل المسلمين، ومن خلال هذا التدوين تكون لدينا الكتاب الموسوم (مصحف فاطمة)<sup>(١)</sup>.

وكذا امتازت بمعروفة الأحكام الشرعية، وتفسير القرآن الكريم، وكل مفاهيم الإسلام لقرها من أيها بوصفه رسولاً وبمبشراً وداعياً ونديراً الذي قد فسر القرآن الكريم، وبين أحكام الشريعة بكل تفاصيلها وأبعادها، فلم يترك شيئاً خفياً أو محفوظاً عنده<sup>(٢)</sup> فكانت مبلغة من الطراز الأول في تشقيف النساء ثقافة إسلامية صحيحة، وكانت تحرص كل الحرث على اصطحاب أولادها إلى محراب عبادتها في آناء الليل وأطراف النهار، وتعلّمهم بذلك أنواع التبليغ والتهجد، حيث يروي الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: ((رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضحت عمود الصبح، وسمعتها تدعوا للمؤمنات والمؤمنات وتسميهن، وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعوا لنفسها شيء، فقلت لها: يا أماه، لم لا تدعون لنفسك كما تدعون لغيرك؟ فقالت يابني، الجار ثم الدار)<sup>(٣)</sup>. وفي روایة الحديث دلالة واضحة على الإيثار.

أمّا عن الثاني، أي دورها التبلغي خارج البيت، فقد كان سياسياً عقدياً، وقد تمثل بالخطبة السياسية العقدية التي سميت بالخطبة الفدكية، والتي صدحت بها ليس فقط دفاعاً عن قضية فدك، بل كانت دفاعاً عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام. وتُعد الخطبة الفدكية (من أبرز محطّات تجلّيات علم السيدة فاطمة عليها السلام، لما حوتة من مضمون لا يمكن أن يأتي به

(١) ينظر: الزهراء عليها السلام أهداف. مواقف. نتائج ٣٨-٣٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٣٩.

(٣) وسائل الشيعة (آل البيت) / الحر العاملی ٧/ ١١٣.

غير المعصوم الذي يتلقى علومه من العلم المطلق. فيبيّن أنها عاملة بكل شيء، وفي مختلف الأبعاد، على مستوى معرفة الله عز وجل، والمعرفة التاريخية، والمعرفة الاجتماعية، والقراءة الدقيقة للواقع، والمعرفة بأسرار العديد من العبادات والفرائض وعللها... وذلك لتكون حجّتها تامة كاملة على القوم؛ هذا إضافة إلى الأسلوب الذي خرّجت به علمها ذاكر، وهو على درجة من الفصاحة والبلاغة التي لا نظير لها<sup>(١)</sup>.

ومن المحاور التي عرّجت عليها السيدة الزهراء عليها السلام في الخطبة الفدكية<sup>(٢)</sup>:

عرّجت على مقام النبوة، وعظيم صفات الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه ومنتزنه في عالم الآخرة، وركّزت في نسبتها إلى الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه.

بيّنت جهاد النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه وما عاناه، وما وصل المسلمين من فضل بسبب أبيها، وبيّنت كيف كانت حال العرب قبلبعثة النبي.

بيّنت عظمة القرآن ودوره في الهدایة لمن استهدى به.

بيّنت الحكمة من بعض العبادات والواجبات الشرعية.

بيّنت بعض فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام وأنه الخليفة الشرعي للرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه.

فضحت المنافقين المتربيّين بأهل البيت عليهم السلام السوء، الذين أضمروا العداوة للرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه، وانتهزا الفرصة بعد وفاته.

بيّنت مسألة فدك أمام الجميع وعرضت أدلةها، وبيّنت حقّها في فدك، وفي صحة وراثتها النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه والاحتجاج عليهم بكلام الله عز وجل.

استنهضت المسلمين لنصرتها، وقرّعتهم على سكتهم وخذلانهم ولا سيما الأنصار.

(١) السيدة فاطمة قدوة وأسوة ١٥١-١٥٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ١٥٣.

## الخاتمة

أشهم الغزو الثقافي في تشويه الكثير من معالم الثقافة العربية الإسلامية بوساطة تغريب الإنسان وعزله عن قيمه ومبادئه وتعيمه أنموذج من القيم والسلوك وطائق العيش والتدبیر والتفكير الغربي لم تكن موجودة سابقاً في المجتمعات العربية؛ وهذا ينذر بخطورة شديدة في الحفاظ على الموروث الثقافي العربي من الاختراق، وتحدياً للهوية الإسلامية الحقة.

أما التفاعل أو التبادل الثقافي فمحمود لا مذموم، لضرورات تحتاج إليها الشعوب. فليس ثُمَّ شعب من الشعوب يستطيع الاستغناء عن الإفادة من معارف الشعوب الأخرى وثقافاتهم، وعن طريق التفاعل أو التبادل الثقافي تحول بلد بأكمله إلى الدين الإسلامي.

من منهج الزهراء التربوي، ينبغي للبنات أن يكون سلوكهن مع والديهن سلوك المعظم المحبّ، ويحافظن على مكانة والديهن وعلاقتهن المنعوية بهم على كلّ حال، وأن تكون كلّ واحدة منها عطاً على نفسها وتسعى في حوائجها على الدوام، وتكون مكاناً أنس وسكن لأهلها، وتفضل أهلها وحاجاتهم على نفسها، وتكون مدعاه لفخرهم بها.

على البنات تقديم المعايير الأخروية من دين وأخلاق وغيرهما، على المعايير الدنيوية في طالب الزواج، وأن يبقى التهذيب والحياء والعفة الحاكم على جميع تصرّفاتهن، وخلال كلّ ترتيبات الزواج، وأن يكون صداقهن متواضعاً فليس قيمة العروس يشمن صداقها؛ وكذا أن يكون جهازهن متواضعاً ويقتصر على متطلبات الحياة، ولا حظّ فيه للكمالات، وأن يكونن على وعي تام بطبيعة حياتهن المقبلة عليها، ولا سيما الوضع المادي، فيقبلن عليها بانسراح، وأن يبقى الله عزّ وجلّ حاضراً دوماً في حياتهن ولا ينسينه، حتّى في أجمل اللحظات كليلة الزفاف، فيشكرنـه على نعمـه تلكـ. فيكون المنطلق الأساس الذي يحكم

علاقة الرجل بزوجته هو وجهاً العلاقة بالله عز وجل، وأنه آية من آيات الله في هذه الدنيا، وأن لا يدع طريقةً لنعفـات الحياة من الفقر وضيق الوضع الاقتصادي واعتبارات أهل الدنيا إلى الحياة الزوجية، وأن تكون الزوجة سكناً لزوجها على مختلف الصعد، الدينوية والنفسية والروحية، وأن تكون نعم العون لزوجها على الدنيا وعلى طاعة الله وأداء تكليفه، وأن تسره إذا نظر إليها فتحفـ عن التعب وتزيل همه وغمـه، وأن تعتنـ بأمور زوجها بنفسها ما يورث مزيد محبـة وتوادـ، وتكون طيبة العشر وتكـرس الأمور التي تلطفـ العلاقة بينهما، وأن تحـاول جعل علاقتها بزوجها عـلاقة عمـيقة متـينة مبنـية على الثقة والمحـبة فـتعرف أحـواله وتراعـيها، ولا تطالب زوجها بأـيـ أمر يـفوق طاقتـه، وأن تكون مـرهفة الحـسـ، شـديدة المـحرص على عدم إـحداث أيـ إـزعاج لـزوجها فـضـلاً عن أـذـيـته.

علينا العمل على تربية أولاد يكونون صـنـاعـ التاريخ وفقـ التـعـابـير الإـلهـيـةـ، وأن تكون التربية محـاطـةـ بالـحـبـ، مـكـلـلـةـ بالـفـرـحـ والـسـرـورـ، وأن يـشـيعـ الأـطـفـالـ والمـتـزـلـ بالـحـبـ وـتـبـيـنـ لهمـ مـحبـتهمـ منـ خـلـالـ سـلـوكـيـاتـهـمـ معـهـمـ، وأن يـحـافـظـ الوـالـدـانـ عـلـىـ مشـاعـرـ أـطـفـالـهـمـ وـأـنـ تـحرـصـ عـلـىـ أـنـ لـيـتـأـدـواـ عـاطـفـيـاـ، وـأـنـ تـقـدـرـ إـنـجـازـاتـ الـأـوـلـادـ وـمـاـ يـقـومـونـ بـهـ، وـأـنـ يـبـعـدـ عـنـ التـوجـيهـ الـمـباـشـرـ لـلـأـبـنـاءـ فـيـ الـمـسـائـلـ الـعـبـادـيـةـ، وـأـنـ تـكـوـنـ سـلـوكـيـاتـهـمـ قـابـلـةـ لـأـنـ تـشـكـلـ نـمـوذـجاـ وـقـدوـةـ صـالـحةـ لـلـأـوـلـادـ، وـأـنـ يـكـوـنـ مـضـمـونـ التـرـبـيـةـ قـائـماـ عـلـىـ الـقـيـمـ الـحـقـقـ الـتـيـ نـادـيـ بـهـ الـدـينـ، كـالـعـبـادـةـ وـالـارـتـباطـ بـالـلـهـ وـالـنـظـافـةـ، وـأـنـ تـكـوـنـ قـيـمـةـ الـارـتـباطـ بـالـلـهـ هيـ سـيـدةـ الـقـيـمـ الـتـيـ يـرـبـيـ الـأـوـلـادـ عـلـيـهـاـ، وـأـنـ تـكـوـنـ لـقـيـمـةـ الـعـبـادـةـ مـكـانـةـ مـهـمـةـ فـيـ حـيـاتـيـ فـتـشـكـلـ قـيـمـةـ بـارـزـةـ يـمـكـنـ لـلـأـوـلـادـ أـنـ يـتـبـيـنـهـاـ، وـأـنـ تـشـكـلـ النـظـافـةـ قـيـمـةـ مـهـمـةـ وـبـارـزـةـ فـيـ حـيـاتـ الـأـسـرـةـ لـتـشـكـلـ أـرـضـيـةـ صـالـحةـ لـتـبـيـنـهـاـ فـيـ حـيـاتـهـمـ.

التـدـبـيرـ الـمـنـزـلـيـ فـيـ حـقـيقـتـهـ هوـ تـرـبـيـةـ لـأـفـرـادـهـ، وـأـنـ يـحـتـلـ التـدـبـيرـ وـالـعـمـلـ الـمـنـزـلـيـ عـنـ الـزـوـجـةـ المـوـقـعـ الـمـنـاسـبـ فـيـ الـاـهـتـامـ، وـأـنـ تـنـظـمـ شـؤـونـ مـنـزـلـهـاـ وـتـتـوـلـيـ الـمـهـامـ الـتـيـ تـقـدرـ عـلـىـ تـنـفـيـذـهـاـ

بما يعود بالخير على الأسرة جماء، وأن تحافظ على نظافة منزها دوماً، وأن تقسم أعباها المنزلية على الأيام، فلا تشکل تلك الأعمال الشاغل طوال النهار، وأن تحرص على تعلم الحرف التي تساعدها في إدارة شؤون منزها وتسهيل حياتها وحياة عائلتها، كالغزل والخياطة...الخ، وأن تقدم المساعدة على الدوام لأفراد العائلة متى استطاعت في سبيل تأمين راحتهم.

أن يكون للهmarسة العبادية أولوية في حياة الزوجة، وتعتني بتفاصيل العبادة وتولي المستحبات اهتماماً لائقاً فلا تكتفي بالواجب، وأن تعتمد مبدأ الإيثار فتدعو لغيرها قبل دعائهما من تحب ولنفسها، وأن تحول تسبیح الزهراء إلى سلوك عملي للذکر الدائم لله بشرط أن يكون التوازن قانوناً حاكماً في حياتها العبادية، فلا تقع في التفريط أو الإفراط.

أن يكون لقيمة العلم والتعلم أهمية كبيرة ومكانة مهمة في حياة الزوجة، وأن تسعى جاهدة للتعلم دوماً وتحافظ على ما تعلّمت، وأن تعتمد بتزكية العلم من خلال إنفاقه وتبيين معالم الدين الحنيف، وأن تكون حليمة في تقديمها معارفها لآخرين، فهم باب مفتوح لها على رضى الله عز وجل، وأن تسعى لأن تطبق ما تعلّمت في حياتها.

ونحن اليوم في ظل العولمة والدعوات المحرّضة على تفكك الأسرة من دعوة إلى السفور والتبرج وتحرير المرأة، ومساواتها مع الرجل، وتمكين المرأة، بحاجة إلى فكر راج ورشيد كفكرة السيدة الزهراء عليها السلام، وكذلك بحاجة إلى الانفتاح على شخصياتنا؛ لتفيد من مكتون القيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية والمناهي الثقافية ونستثمرها في معالجة مشكلاتنا وما يعترينا من مسائل وإشكالات، بسبب الغزو الثقافي والانفتاح غير الإنساني التي أثر في مجتمعنا اليوم؛ وخير معين ننهل منه للمواجهة هو فكر سيدة نساء العالمين، فشخصيتها المتحركة ليست مجرد خروج ومواجهة وخطاب، وإنما فكر ووعيّة وتبلیغ وإرشاد في

المجالات كافة التي يحتاجها من يريد سلوك الإنسانية الحقة؛ لذا ينبغي للبنات والزوجات والأمهات الاقتداء بالسيدة الزهراء عليها السلام في عفتها وحشمتها وعدم تبرجها وتمييعها، وفي علاقتها بزوجها وإدارة بيتها، وفي حركتها خارج البيت، وفي علاقتها بأبيها ورعايتها له، وفي تنظيم وقتها بما يرضي الله تعالى.

#### الوصيات:

ضرورة فتح دورات حوزوية نسوية بإدارة العتبات المقدسة وتوعية النساء توعية دينية بمسائل الحلال والحرام، لا سيما الحجاب والتبرج والسفور، وواجبات الزوج والزوجة، وما شاكل ذلك.

مخاطبة رئاسة الوزراء ووزير التعليم العالي والبحث العلمي في إلغاء ما يسمى بدائرة تمكين المرأة الكائنة في الجامعات العراقية، لأنّ فيها مفاسد كبيرة على الطالبات.

الحدّ من نشاط مؤسسات المجتمع المدني التي تديرها الولايات المتحدة الأمريكية وأتباعها تحت غطاء إنساني بمساعدة الفقراء والمطلقات والأرامل، وكذا قيامها بسفرات جماعية للبنات والأولاد إلى مناطق سياحية غربية وإدخالهم في دورات من أجل كسبهم للعمل لصالح الغرب، ومن أجل حرف الشباب من الذكور والإثاث عن دينهم ووطنيهم. الاستمرار في إقامة حفلات التخرج في العتبات المقدسة وضرورة إشراك كل العتبات في هذا الأمر حتى نسد الطريق في وجه الحفلات الخليعة والماجنة التي تقيمها الجامعات دون رقابة.

ضرورة تثقيف النساء والرجال بثقافة أهل البيت عليه السلام بدلاً من ثقافة العولمة والسفارات الغربية بإقامة سفرات ترفيهية إلى مراقد أهل البيت عليهم السلام في العراق وإيران وسوريا، وعقد لقاءات مع مراجع الدين العاملين المخلصين، والاستماع إلى توجيهاتهم الرشيدة ونصائحهم السديدة.

## المصادر والمراجع

أولاًً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب المطبوعة:

١. الأسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي، ط١، مؤسسة الأندلس للمطبوعات، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٢. الأimali، الشيخ الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، ط١، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٧هـ.
٣. الأimali، الشيخ الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، ط١، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم، ١٤١٤هـ.
٤. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، ط٢، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٥. حوار عن المرأة، السيد هادي المدرسي، ط٢، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٦. دور المرأة في الأسرة، مركز الإمام الخميني الثقافية، نشر: مركز الإمام الخميني الثقافية، ط٢، شبكة المعارف الإسلامية [www.almaaref.org](http://www.almaaref.org)، ت Shirin Al Thani، ٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ.
٧. ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٨. الزهراء عليها السلام أهداف. مواقف. نتائج، آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم (قدس)، ط١، مطبعة العترة الطاهرة، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الأشرف، شتاء سنة ٢٠٠٦ م.

٩. ٥٧. سبباً لترك الحجاب -عرض ومناقشة، الشيخ بسام محمد حسين، دار المعارف الإسلامية الثقافية، ط١، ISBN ٩٧٨-٤٦٧-٦١٤-٠٨١-١، books@almaaref.org.lb، الطبعة الأولى -٢٠١٩.

١٠. الستر والحجاب، مركز المعارف للمناهج والمتون التعليمية، ط١، دار المعارف الإسلامية الثقافية، شبكة المعارف الإسلامية [www.almaaref.org](http://www.almaaref.org)، ٢٠٢٠ م -١٤٤١ هـ.

١١. السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قدوة وأسوة، مركز المعارف للتأليف والتحقيق، ط١، دار المعارف الإسلامية الثقافية، شبكة المعارف الإسلامية [www.almaaref.org](http://www.almaaref.org)، ٢٠١٨ م -١٤٣٨ هـ.

١٢. سيدة النساء فاطمة الزهراء، د. علي موسى الكعبي، مركز الرسالة، مطبعة ستارة، (د.ت).

١٣. الصلاح، الجوهرى، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط٤، الناشر: دار العلم للملائين - بيروت - لبنان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٤. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس، ط١، المطبعة: الخيام - قم، ١٣٩٩ هـ.

١٥. الغزو الثقافي <https://www.almaaref.org/maarefdetails.php?subcnumber&55=bb&6=supcat&580=cid&13246=id&1778=atid>

١٦. الغزو الشفافي - المقدمات والخلفيات التاريخية، الإمام الخامنئي، مؤسسة دار الولاية،  
بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٧. فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، ط١، دار المرتضى،  
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٥م.
١٨. الفوائد الطوسيّة، الحرّ العاملی، تحقيق: علّق عليه وصحّحه العلامان المتبعان الحاج  
السيد مهدي اللازوردي والشيخ محمد درودي، المطبعة: المطبعة العلمية - قم، سنة  
الطبع: شعبان ١٤٠٣هـ.
١٩. المرأة بين مهام الحياة ومسؤوليات الرسالة، آية الله العظمى السيد محمد تقى المدرسى،  
ط٥، دار البصائر للثقافة والنشر، دار محبان الحسين، جمهورية إيران الإسلامية، قم  
المقدسة، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٥م.
٢٠. المرأة - حقوق وحرية وحجاب، نشر: مركز الإمام الخميني الثقافية، إعداد: مركز  
الإمام الخميني الثقافية، ط٣، الإعداد الإلكتروني: شبكة المعارف الإسلامية \_[www.almaaref.org](http://www.almaaref.org)  
١٤٢٩هـ - تشرين الثاني ٢٠٠٨م.
٢١. المرأة نصف الدنيا - الأبعاد الروحية الاجتماعية التربوية والعاطفية للمرأة، سماحة  
القائد ولی أمر المسلمين السيد علي الخامنئي، إعداد وتحذيب السيد علي عاشور، ط١،  
مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٣-١٢٢٠م.
٢٢. مستدرک الوسائل، میرزا حسین النوری الطبرسی، تحقيق: مؤسسة آل البيت لـ[البيبة](http://www.alibabat.org)  
لإحياء التراث، ط٢، مؤسسة آل البيت لـ[البيبة](http://www.alibabat.org) لإحياء التراث - لبنان،  
١٤٠٨م - ١٩٨٨هـ.

٢٣. - المعجم الوسيط، قام بإخراجه (إبراهيم مصطفى)، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجاشي، ط٢، مكتبة المرتضوي، مطبعة باقري ١٤٢٧ هـ.ق- ١٣٨٥ هـ.ش.

٢٤. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ط٢، الناشر: دفتر نشر، ١٤٠٤ هـ.

٢٥. الوافي، الفيض الكاشاني، تحقيق: مركز التحقيقات الدينية والعلمية في مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، ط١، المطبعة: طباعة أفسط نشاط أصفهان، الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة - أصفهان، محرم الحرام ١٤١٥ هـ.ق، تير ١٣٧٣ هـ.ش.

٢٦. وسائل الشيعة (آل البيت)، الحرّ العاملی، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفة، المطبعة: مهر - قم، ١٤١٤ هـ.

٢٧. ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، ط١، الناشر: دار الأسوة للطباعة والنشر، المطبعة: أسوه، ١٤١٦ هـ.

### الرسائل والبحوث والمقالات:

٢٨. الآصرة الزوجية المقدسة بين الإمام علي والسيدة الزهراء عليهم السلام - دراسة نقدية، بحث، د. انتصار عدنان العواد، مجلة العقيدة، ع٢٥، خريف ٢٠٢٢ م - ١٤٤٤ هـ.

٢٩. أثر الغزو الفكري على الأسرة المسلمة وكيفية مقاومته، رسالة ماجستير، محمد هلال الصادق هلال، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، ٢٠٠٠ م - ١٤٢١ هـ.

٣٠. - الغزو الفكري حقيقته وأبرز وسائله، د. صالح بن عبد الله بن عبد المحسن الفريح،  
بحث منشور في الإنترنيت.
٣١. - فاطمة منهاج تربوي، بحث في مجلة المدى، المدرية عبير ياسر الزين، دار المدى  
[/30364/https://al-hodaonline.com/article](https://al-hodaonline.com/article/30364)
٣٢. - المرأة تعدد أدوار [الزهراء أنموجاً]، مقال في النت، م.م حياة حسن، جامعة  
بابل 8493/<https://imhussain.com/arabic/section29>



إِيْثَارُ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةِ الزَّهْرَاءِ<sup>عَلَيْهَا السَّلَامُ</sup>

مَصْدَاقُ لِصُورِ إِيْثَارِ الْقُرْآنِ

الباحثة

أ.د. خولة مهدي شاكر الجراح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآلته الطيبين الطاهرين، اللهم صل على فاطمة وأبيها وبعلها وبناتها والسر المستودع فيها.

و بعده

إن الإيثار صفة وخلق حسن يجود صاحبه بكل ما عنده مع الحاجة إليه طلباً لرضا الله ورغبة في ثوابه، والمتصرفون به هم الذين أثني عليهم الله جل وعلا في كتابه ووصفهم بالملحين بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

و هذا البحث يتناول بعض صور الإثمار من حياة السيدة الزهراء عليها السلام التي عاشتها بروح التضحية والعطاء في كل لحظة من لحظاتها، فقدمت أروع الدروس وال عبر للأمة الإسلامية والانسانية جماء.

إن الإيثار في حياة السيدة الزهراء عليها السلام قد تجلّى بأروع صوره، لأنّه لم يكن بالنسبة لها تكليفاً شرعاً أو واجباً فرضه الله جلّ وعلا، وإنّما هو نابع من حبّها لله ورغبة في رضاه؛ وهذه أعلى درجات الإيمان. وكلّ ما قدمته من صور الإيثار هو تطبيق ومصداق لهذه الصورة، فتنازلت عن أبسط حقوقها في سبيل سعادة الناس وقدمت طعامها، وظلّت هي وأولادها جوعى موساة لهم. ولما اقتضى الأمر منها التضحية ب حياتها في سبيل حرية الأمة الإسلامية وسعادتها، قدمتها وهي في كامل الرضا والقبول.

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

وقد قسمت بحثي هذا إلى خمسة مطالب مع مقدمة وخاتمة. أما المطلب الأول فقد بحث فيه تعريف الإيثار لغةً واصطلاحاً ثم صوره في القرآن الكريم. وجاء المطلب الثاني فبحث فيه إيثار الزهراء في زواجهما في مهرها وثوب عرسها. أما المطلب الثالث فقد بحث فيه إيثار الزهراء بقوتها وقوتها عيالها بالتصدق على المسكين واليتيم والأسير لثلاثة أيام متواتلة. وفي المطلب الرابع بحث إيثار الزهراء في دعائها لأمة أبيها. ثم المطلب الخامس بحث فيه إيثار الزهراء بنفسها دفاعاً عن الحق في مواجهة الظلم والاستبداد وفي سبيل رضا الله وإعلاء دينه. وجاءت خاتمة البحث في نهاية المطاف متضمنة أهم ما توصل إليه البحث.

آملين القبول والرضا عند سيدتي ومولاتي الزهراء عليها السلام.

## المطلب الأول

### الإيثار وصوره

#### أولاً: الإيثار في اللغة والاصطلاح

##### ١- الإيثار في اللغة:

الأثرة بفتح المهمزة والثاء، الاسم من آثر يؤثر إيثراً إذا أعطى؛ من ذلك قول الرسول الأعظم ﷺ: (إنكم ستلقون من بعدي أثرة فاصبروا)؛ والمراد أن يفضل غيركم عليكم<sup>(١)</sup>.  
وقيل: الإيثار هو التقديم والاختيار والاختصاص<sup>(٢)</sup>؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَالَّهُ لَقَدْ آثَرْتَ اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾<sup>(٣)</sup>؛ أي قدم اختيارك وفضلك علينا<sup>(٤)</sup>، والإيثار تفضيل المرء غيره على نفسه<sup>(٥)</sup>.

##### ٢- الإيثار في الاصطلاح

قال القرطبي (ت ٦٧١هـ): (الإيثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية ورغبة في

(١) ظ: ابن الأثير، المبارك بن محمد بن ابن عبد الكريم (ت ٦٠٦هـ - ١٢٠٩م)، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط٤، مؤسسة اسماعيليان، قم، ١٤٠٥هـ . ١، ٢٢

(٢) المعجم الوسيط، ١، ٥

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٩

(٤) ظ: العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران أبو هلال (ت ٣٩٥هـ - ٤١٠٠م)، الفروق اللغوية، تنظيم: الشيخ بيت الله بيات، ط١، مؤسسة الشريعة الإسلامية التابعية لجامعة المدرسين بقم المقدسة، ١٤١٢هـ . ١٢٤

(٥) نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، نشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٢، كتبت مقدمتها ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، ١، ٥

المحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة<sup>(١)</sup>.

وقال الجرجاني (ت ٨١٦ هـ): (إِيَّاهُ أَنْ يَقُدِّمَ غَيْرَهُ عَلَى نَفْسِهِ فِي النَّفْعِ لَهُ وَالْمُدْفَعِ عَنْهُ، وَهُوَ الْنَّهَايَةُ فِي الْأُخْرَاهِ)<sup>(٢)</sup>.

وقال الشيرازي: (إِيَّاهُ أَنْ يَتَمَنِّي تَنَعُّمَ الْآخَرِينَ بِنَعْمَ اللَّهِ رَغْمَ حَرْمَانِهِ مِنْهُمْ، وَهُوَ مُسْتَعْدٌ لِتَقْدِيمِ مَا عِنْدَهُ لِأَجْلِهِمْ بِغَضْبِ النَّظَرِ عَنْ مَنَافِعِهِ الْشَّخْصِيَّةِ)<sup>(٣)</sup>.

من الواضح أنَّ التعريف الاصطلاحي ينحدر عن الأصل اللغوي، فهما متفقان ولا فرق بينهما. فالإيثار تفضيل وتقديم للغير على النفس، وهو عطاء بلا حدود أو مقابل.

## ثانياً: صور الإيثار في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم صوراً عديدة للإيثار؛ منها ما هو متعلق بالخلق، ومنها ما هو متعلق بالخلق. فأما الإيثار المتعلق بالخلق فهو الأجل والأفضل.

قال ابن القيم (ت ٧٥١ هـ): (إِيَّاهُ الْمُتَعْلِقُ بِالْخَالقِ هُوَ إِيَّاهُ رِضاَهُ عَلَى رِضاِ غَيْرِهِ، وَإِيَّاهُ حَبَّهُ عَلَى حَبِّ غَيْرِهِ، وَإِيَّاهُ خَوْفَهُ وَرَجَائِهِ عَلَى خَوْفِ غَيْرِهِ وَرَجَائِهِ، وَإِيَّاهُ الذَّلِّ لِهِ وَالْخُضُوعُ وَالْاسْتِكَانَةُ وَالْبُرَاءَةُ وَالتَّمْلِقُ عَلَى بَذْلِ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ، وَكَذَلِكَ إِيَّاهُ الْمُطْلَبُ مِنْهُ وَالْمُسْأَلُ وَإِنْزَالُ الْفَاقَاتِ بِهِ عَلَى تَعْلُقِ ذَلِكَ بِغَيْرِهِ)<sup>(٤)</sup>.

(١) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ - ١٢٧٢ م)، الجامع لإحکام القرآن، تحقيق وتصحيح: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (١٤٠٥ - ١٩٨٥ م)، ٤٦، ١٨، ٤٠.

(٢) الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦ هـ - ١٤١٣ م)، التعريفات، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)، ٤٠.

(٣) الشيرازي، ناصر مكارم الأمثل في تفسير كتاب الله المترزل، ط/٢، الأمير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م)، ج ٧ ص ١٢٧.

(٤) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت ٥٧٥ هـ - ١١٧٩ م)، طريق المجرتين وباب السعادتين، ط/٢، دار السلفية، القاهرة، (١٣٩٤ هـ)، ٣٠١.

من ذلك قول السحرة لفرعون في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ تُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾<sup>(١)</sup>.

فالسحرة فضلوا الموت في سبيل رضا الله جلّ وعلا على الحياة في رضا فرعون. وهذا الأمر يحتاج إلى إيمان وصبر كبيرين<sup>(٢)</sup>، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إِنَّ مِنْ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ أَنْ تَؤْثِرَ الْحَقَّ وَإِنْ ضَرَكَ، عَلَى الْبَاطِلِ وَإِنْ نَفَعَكَ، وَأَنْ لَا يَجُوزَ مِنْ طَفْكِ عِلْمِكَ)<sup>(٣)</sup>، وعنه عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: وَعَزْقِي وَعَظَمَتِي وَعَلَوْيِي وَارْتَفَاعَ مَكَانِي، لَا يَؤْثِرُ عَبْدٌ هَوَى عَلَى هَوَى نَفْسِهِ إِلَّا كَفَفَتْ عَلَيْهِ ضَيْعَتِهِ، وَضَمَنَتْ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ رِزْقَهُ، وَكَنْتُ لَهُ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَةِ كُلِّ تَاجِرٍ)<sup>(٤)</sup>.

وهذه هي الصورة الأعلى والأسمى من صور الإيثار، وكلّ صورة من صور الإيثار الأخرى تنبع وتنتهي عن هذه الصورة، فهي الأساس تبعاً لإيمان المسلم؛ فكلما زاد إيمانه زاد تضحية وإيثاراً وعطاءً.

يقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: (تَعَبَّدُوا لِلْدُنْيَا أَيَّ تَعْبِدُ - وَآتَوْهَا أَيَّ إِيَّاثَارٍ -) إشارة إلى علة إيثار الناس للحياة الدنيا على ما عند الله مما وعد به وانقطاعهم إليها وصيرونهم عبيداً لها<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة طه، الآية: ٧٢.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين(ت ١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، (د.ط)، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤، ١٨١.

(٣) البرقي، أحمد بن محمد بن خالد (ت ٢٧٤هـ)، المحسن، تج: جلال الدين الحسيني، ط ١، دار الكتب الإسلامية، طهران (١٣٧٠هـ)، ج ١ ص ٢٠٥ / باب حَقَّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ حَدِيثٌ ٥٧.

(٤) الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن(ت ١١٠٤هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تج: مؤسسة آل البيت للكتاب لإحياء التراث، ط ٢، ١٤١٤هـ، مهر - قم، نشر: مؤسسة آل البيت للكتاب لإحياء التراث بقم المشرفة، ١٥، ٢٧٨.

(٥) البحرياني، ابن ميثم(ت ٦٧٩هـ)، شرح نهج البلاغة، ط ١، جابخانة دفتر تبلیغات إسلامی، ١٣٦٢ش، نشر: مرکز النشر مكتب الإعلام الإسلامي - الحوزة العلمية - قم، ٣، ٨٤.

يقول بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ تَهْنَأُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقْرَأْهُ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَالْتَّقْتِ السَّاقُ إِلَى السَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾<sup>(١)</sup> هو رد عن إثمار الدنيا على الآخرة، يعني النفس إذا بلغت الترقوة، يقال لها: من يرقيك؟ فذلك ابن آدم إذا حلّ به الموت، قال: هل من طيب؟ علم أنه الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها، وأيقن بمفارقة الأحبة والتوات شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة، وأصبح المصير إلى رب العالمين<sup>(٢)</sup>.

أما الإيثار المتعلق بالخلق فهو: (تقديم وتخصيص لمن تؤثره بها تؤثره به على نفسك حتى قيل أن من شرطه الاحتياج من جهة المؤثر إذ لو لم يكن محتاجاً إليه لكان بذلك سخاء وكرماً<sup>(٣)</sup>).

فالتخصيص هنا يشمل كلّ ما يقدمه المسلم من مساعدة مؤثراً مصلحة الآخرين وحاجتهم على مصلحته و حاجته، من ذلك الإيثار بالمال في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبُؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْبُونَ مِنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَاصَّةً وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، يرى الطبرى (ت ٣١٠ هـ) إن هذه الآية نزلت في إثارة الأنصار المهاجرين

(١) سورة القيمة، الآيات: ٢٤ - ٣٠.

(٢) ظ: الفيض الكاشانى، المولى محمد محسن (ت ٩١٠ هـ)، الأصفى في تفسير القرآن، تحرير: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية / محمد حسين درايتى، محمد رضا نعمتى، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، ٢، ١٣٨١؛ المشهدى، محمد بن محمد رضا القمى (ت ١١٢٥ هـ)، كنز الدقائق وبحر الغرائب، تحرير: حسين دركاھي، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، نشر: مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران، ١٤، ٤٢؛ الطهرانى، مير سيد علي الحائرى (ت ١٣٥٣ هـ)، مقتنيات الدرر، الحيدري بطهران، ١٣٣٧ ش، نشر: الشیخ محمد الآخوندی مدير دار الكتب الإسلامية، ٨، ١٢، ٨.

(٣) ابن القيم الجوزية، طريق المجرتين وباب السعادتين، ٢٩٨.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٩.

على أنفسهم حيث يصف الله سبحانه وتعالى الأنصار بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تبُوءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَان﴾ من قبل المهاجرين، (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ) أي الأنصار يعطون المهاجرين أموالهم إيثاراً لهم بها على أنفسهم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةً﴾، ولو كان بهم حاجة وفقة إلى ما آثروا به من أموالهم على أنفسهم<sup>(١)</sup>.

والإيثار بالنفس كما في الجهاد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَوُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وتحتفل درجات الإيثار هنا أيضاً تبعاً للدرجة الإيمان بالله حتى صار من حقيقة الإيمان وأفضل العبادات؛ وهذا ما بينه أمير المؤمنين علي عليه السلام في كلامه في قوله: (الإيثار أفضل عبادة وأجل سعادة)<sup>(٣)</sup>، وقوله عليه السلام: [الإيثار أعلى الإيمان]<sup>(٤)</sup>.

وتتجلى صور الإيثار في حياة السيدة الزهراء بشكل واضح حتى صار نهجاً ثابتاً في كل لحظات حياتها، فهي عليهما السلام حملت هم الرسالة مع والدهما عليهما السلام وكانت تؤثر المسلمين على نفسها وزوجها وأولادها حتى صارت هي وعائلتها رمزاً للإيثار ومصدراً حياً للتضحية والعطاء؛ هذا الإيثار كان نابعاً من حبها لخالقها ورغبة في رضاه، لا طلباً لأمر دنيوي. فكانت أفعالها عليهما السلام دروساً للمسلمين على مر العصور والأزمان.

(١) ظ: الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، جامع البيان عن تأويل آى القرآن، ضبط وتوثيق وتحقيق: صدقى جمیل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ٢٢، ٥٢٧، الميزان، ١٩، ٢٠٦.

(٢) سورة البرة ، الآية: ٢٠٧.

(٣) الليثي الواسطي، علي بن محمد (ق ٦ هـ)، عيون الحكم والمواعظ، تج: حسين الحسيني، ط ١، دار الحديث، طهران، ١٩.

(٤) المصدر نفسه، ٥١.

## المطلب الثاني

### إيثار الزهراء في زواجهما

يمثل الزواج أهم حادث في حياة كل امرأة مهما اختلفت الديانة أو الثقافة، فتجري التحضيرات له قبل فترة طويلة وتنفق فيه الأموال الطائلة، وتغلب عليه إمارات البذخ والإسراف.

أما بالنسبة للسيدة الزهراء عليها السلام فقد جعلت من يوم عرسها درساً بليغاً في الإيثار لكل امرأة في كل زمان، في حادثين لخصت أسباب الإسراف والبذخ في الزواج، وهما المهر ولباس العروس. فقد ورد أنها عليها السلام سمعت بأنّ أباها عليه السلام زوجها وجعل الدرارهم مهراً لها، قالت: يا رسول الله إنّ بنات الناس يتزوجن بالدرارهم فما الفرق بيني وبينهن، أسألك أن ترددّها وتدعوا الله تعالى أن يجعل مهري شفاعة في عصاة أمتك. وفي حديث آخر أنها سالت النبي عليه السلام أن يكون صداقها شفاعة لأمته يوم القيمة، فإذا صارت على الصراط طلبت صداقها<sup>(١)</sup>.

إنّ الأمة الإسلامية حاضرة في قلب السيدة الزهراء في كل وقت، حتى أنها تنازلت عن صداقها وهي محتاجة له، وأثرت نجاة هذه الأمة من ذنبها يوم القيمة.

ولو جئنا إلى المقاييس العادلة لأي فتاة في مثل عمرها وهي تحضر ل يوم زواجهما لو جدنا أن ذلك الفعل بعيد كل البعد، بل من المستحيلات، ولكنها الزهراء ربيبة سيد الإيثار والتضحية الرسول الأعظم محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه.

(١) ينظر: البحرياني، عبد الله بن نور الله (ت ١٣٠ هـ)، عوالم العلوم وال المعارف، ط ٣، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، ١٤١٥ هـ، ١١ / ٤٦٢.

أما بالنسبة لثوب العرس، فهو ما تحلم به كل فتاة وتتمنى لبسه يوم زفافها، إلا أن السيدة الزهراء أنفقته في سبيل الله، فقد ورد عن النبي ﷺ صنع للزهراء قميصاً جديداً ليلاً عرسها وزفافها، وكان لها قميص مرقع، وإذا بسائل على الباب يقول: أطلب بيت النبوة قميصاً خلقاً فأرادت ﷺ أن تدفع إليه القميص المرقع فتذكرت قوله تعالى: ﴿لَن تَنالوا الْبَرَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، فدفعت له الجديد<sup>(٢)</sup>.

أي امرأة ترضى بذلك؟ لو فتشنا عبر الأزمنة والدهور جميعها فلن نجد غير الزهراء ﷺ، فهل اتخذتها نساء المسلمين قدوة؟ بلبس الثوب الخلق المرقع في يوم زفافها؟ فهذا ما لا تطيقه أي امرأة عدا السيدة الزهراء ﷺ، وإنما في تقديم وإيثار مصلحة الزوج وعدم تكلفته وإثقال كاهله بما لا يطيق، أو حتى التصدق بالفائض عن حاجتها من الثياب والمآل لفقراء المسلمين، حتى تكتب من المواليات المتبعة نهج السيدة الزهراء ﷺ.

إن النفقة من الطيب المحبوب للنفوس من أكبر الأدلة على سماحة النفس، واتصافها بمحكمة الأخلاق، ولرحمتها ورقتها، ومن أدل الدلائل على محبة الله، وتقديم محبته على محبة الأموال، التي جبت النفوس على قوة التعلق بها. فمن آثر محبة الله على محبة نفسه، فقد بلغ الذروة العليا من الكمال، وكذلك من أنفق الطيبات، وأحسن إلى عباد الله، أحسن الله إليه ووفقه أعلى وأخلاقاً<sup>(٣)</sup>.

.٩٢ آل عمران،

(٢) ظ: الصفورى، عبد الرحمن بن سلام (ت ٨٩٤ هـ)، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، (د. ط)، المطبعة الكاستلية، مصر، ١٢٨٣ هـ، ٢ / ١٧٥؛ السيد المرعشى (ت ١٤١١ هـ)، شرح إحقاق الحق، تتح وتع السيد شهاب الدين المرعشى التجيى، تص: السيد إبراهيم الميانجى، نشر: كتبية آية الله العظمى المرعشى التجيى، قم (د. ط)، ٣٣، ٣٤٦.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦ هـ)، تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان، تتح: ابن عثيمين، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، بيروت - مؤسسة الرسالة، نشر: مؤسسة الرسالة، ١، ٩٧٠.

إن السيدة الزهراء في حادثة زواجها طبقت صور الإيثار التي ذكرها القرآن الكريم في أمرين؛ أثنا تنازلت عن مهرها وهي في أمس الحاجة إليه، فكانت مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاَةٌ وَمَنْ يُوقَ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وأنفقت ثوب زفافها وهو أحب شيء للفتاة في هذه المناسبة، والذي لم تكن تملك غيره، فكانت مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَن تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يِهِ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

فهذه رسالة السيدة الزهراء للنساء بأن الزواج للمرأة ليس عبارة عن بدلة عرس أو حفلات وبذخ وغيرها من المظاهر الكاذبة التي اعتادت عليها الشعوب، بل هو تأسيس لمجتمع إنساني قائم على القيم والأخلاق؛ وهذا يحتاج إلى تكاتف الجهد وتقديم التضحيات.

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

## المطلب الثالث إيثار الزهراء بقوتها وقوت عيالها

أسست السيدة الزهراء عليها السلام نهجاً خاصاً في الإنفاق والتصدق على الفقراء، فكانت تنفق أغلى ما عندها وليس ما زاد عليه كما بينت في المطلب السابق، حتى إنها كانت تستحي أن يراها أبوها عليه السلام ترتدي الحلي كما هو معتاد عند النساء. فقد روي أنه عليه السلام رآها ترتدي قرطان وقلادة ومسكتين<sup>(١)</sup> فأعرض عنها، فنزعتها وبعثت بها إلى رسول الله عليه السلام وقالت للرسول: (قل له تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول أجعل هذا في سبيل الله)<sup>(٢)</sup>.

فالسيدة الزهراء عليها السلام قدمت رضا الله ورسوله على حق من حقوقها. فالحلي التي كانت ترتديها هي من حق كل امرأة ولم تخرج بها عن عادة النساء، وإنما روح الإيثار والتضحية هي التي تحرك سيدة النساء وتجعلها تتنازل عن أبسط الحقوق في سبيل الله ورغبة في رضاه. ومن أعلى درجات الإيثار عند السيدة الزهراء عليها السلام أنها اعتادت تقديم قوتها وقوت عيالها للفقراء حتى صار من المعتاد أن تبيت هي وعيالها جوعى بعد أن تبرعوا بطعمتهم للمعوزين، فكانت المصدق الأمثل لقوله تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغارب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وأتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وأتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأس والضراء وحين البأس

(١) المسكة بالتحريك: السوار، ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، الإفرقيي المصري (ت ٧١١ هـ - ١٣١١ م)، لسان العرب، ط ٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ / ٤٨٧.

(٢) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت ٣٨١ هـ - ٩٩١ م)، الأimalي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ط ١، نشر قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ٣٠٥.

أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون<sup>(١)</sup>، حيث بينَ الله تبارك وتعالى أنَّ من البر بعد الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والأنبياء.. إطعام الطعام لمحاجيه، وبذله لمريديه، مع حبه واشتهائه والرغبة فيه. وقد جاء به الله تعالى -إطعام الطعام- بعد أركان الإيمان مباشرةً، وفي ذلك دلالة على عظمته وعلو منزلته، وقصة التصدق بالطعام على المسكين واليتيim والأسير خلدتها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُرُّهِ مِسْكِينًا وَأَسِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>، حيث أنفقت السيدة الزهراء وعائلتها طعامهم الوحيد المؤلف من خبز الشعير ثلاثة أيام متواصلة، وذلك بعد أن نذروا الصيام إذا شفي الحسنان عليهم السلام من المرض الذي ألم بهما<sup>(٣)</sup>.

قال الشيرازي: (لم يكن مجرد إطعام، بل إطعام مقررون بالإيثار العظيم عند الحاجة الماسة للغذاء، ومن جهة أخرى فهو إطعام في دائرة واسعة حيث يشمل أصناف المحتاجين من المسكين واليتيim والأسير، وهذا كانت رحمة لهم عامة وخدمتهم واسعة)<sup>(٤)</sup>.

وإنَّ السرَّ في عظمة هذا الإطعام في أنَّ الأمر لم يقتصر على التبرع بطعم الإفطار. فعند دراسة الظروف المحيطة بالحادثة يتبيَّن لنا قيمة هذا العمل وإيجابيته على مر العصور، فالعائلة كانت صائمَة والحسنان مريضان والطعام الذي تصدقوا به لم يكن يوجد غيره في البيت، فأي عائلة مسلمة تفعل هذا في يومنا الحاضر؟ ونحن إذا صمنا صومانا الواجب في رمضان امتلأت موائدنا بأصناف الطعام والشراب، فهلا اقتدينا ببيت الإيثار والعطاء، وقدمنا بعض هذا الطعام للفقراء والمحتاجين؟ لكنَّ الحقَّ أنَّ فضول هذا الطعام الكثير

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٨.

(٣) ظ: الرواندي، قطب الدين (ت ٥٧٣ هـ)، الخرائج والجرائح، تحر: محمد باقر الأبطحي، ط / مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٠٩ هـ، ٢ / ٥٣٩.

(٤) الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٩ / ص ٢٧٥.

نجده على المزابل وفي حاويات القمامات، في الوقت الذي يموت فيه ملايين الجياع في كل عام بسبب ابعاد المسلمين عن هذه الموازين الأخلاقية التي أشاعها أهل البيت عليهم السلام، فقد ورد عن النبي ص أنه قال: (من أفضل الأعمال عند الله إبراد الأكباد الحارة وإشباع الأكباد الجائعة. والذي نفس محمد بيده، لا يؤمن بي عبد يبيت شبعان وأخوه جائع، أو قال وجاره المسلم جائع)<sup>(١)</sup>. وهذه ليست الحادثة الوحيدة التي خلدها القرآن وذكرها الرواة، فقد اعتادت السيدة الزهراء وعيالها إيهار القراء بطعمهم حتى أفوا الجوع تأسياً بجوع القراء من المسلمين وطلباً لرضا الله تعالى. فقد ورد أن رجلاً جاء رسول الله ص فشكى إليه الجوع فبعثه إلى بيوت زوجاته فقلن ما عندنا إلا الماء، فقال رسول الله ص: من لهذا الرجل الليلة فقال علي بن أبي طالب رض: أنا له يارسول الله وأتني فاطمة رض فقال: ما عندك يا ابنة رسول الله، فقالت ما عندنا إلا قوت الصبية لكننا نؤثر ضيفنا، فقال علي رض: يا ابنة محمد نومي الصبية وأطفئي المصباح. فلما جاء الصباح وغدا على رسول الله ص وأخبره أنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَاصَّةً وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

بهذا النهج رب السيدة الزهراء ص ولديها على قيم الإيثار والتضحية والغداء، فهل علمنا أولادنا على هذا الخلق الرفيع؟ وهل غذيناهم ثقافة الإنفاق وتقديم المساعدة؟ على العكس فإنَّ أغلب الأمهات وبداعي الشفقة والرحمة، ومن دون قصد، تربى أبنائهما على الأنانية وحب الذات، فينشأ جيل لا يفكر سوى بملذاته الشخصية، فإذا احتاج المجتمع أو حتى البيت الذي يسكن فيه إلى تقديم بعض التنازلات -وليس التضحية والإيثار- بكل

(١) الطوسي، محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م)، الأimalي، تحر: مؤسسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، دار الثقافة، قم، ١٤١٤ هـ، ٥٩٨.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٣) ظ: الطوسي، الأimalي، ١٨٥.

ما يملك، بان أثر تلك التربية وتخاذل وآثر نفسه، وهذا الدرس بان واصحاً في تربية السيدة الزهراء عليها السلام، فقد قدم الإمام الحسين عليه السلام أعظم مثال للإيثار في واقعة الطف التي خلدها التاريخ عبر العصور والأزمان.

## المطلب الرابع إيثار الزهراء عليها السلام في دعائها

عاشت السيدة الزهراء هموم الأمة الإسلامية في كل لحظة من لحظات حياتها الشريفة، فكانت تفكّر بال المسلمين قبل التفكير ب نفسها، وتهتمّ بحوائجهم قبل حوايجها، حتى انعكس ذلك على دعائها وعبادتها وهي متوجّهة إلى خالقها. فكانت تقدم المسلمين في دعائها وتأثيرهم على نفسها، وهذا خلق أصحاب الرسالات السماوية ومن بلغوا أعلى مراتب الإنسانية. فقد ورد عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام أنه قال: (رأيت أمي فاطمة  عليها السلام قالت في محاربها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضحت عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكرر الدعاء لهم ولا تدعون لنفسها بشيء، فقلت لها يا أماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يابني الجار ثم الدار) <sup>(١)</sup>.

إن السيدة الزهراء في كلمتها هذه تبعـت القيم التي أرساها القرآن الكريم وأكـدـها النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه، وذلك من خلال محورين:

الأول: إعطاؤها الأولوية للجار على الدار، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ <sup>(٢)</sup>. وما ورد عن النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه قال: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظنت أنـه سيورـنه) <sup>(٣)</sup>.

(١) الصـدوـقـ، محمدـ بنـ عـلـيـ بنـ الحـسـينـ بنـ بـابـويـهـ (تـ ٩٩١ـ هـ - ٣٨١ـ مـ)، عـلـلـ الشـرـائـعـ، تـحـقـيقـ: محمدـ صـادـقـ بـحـرـ الـعـلـومـ، (دـ.طـ)، المـكـتبـةـ الـحـيدـرـيـةـ، النـجـفـ، ١٣٨٦ـ هـ - ١٩٩٦ـ مـ، ١٨٢ـ.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٣) الصـدوـقـ، عـلـلـ الشـرـائـعـ، ١ـ، ٥٢ـ، ١٠٨ـ، حـدـيـثـ، بـابـ استـحـبابـ السـوـاـكـ لـاسـيـماـ بـعـدـ الـوـضـوءـ

والثاني: دعاؤها بظهر الغيب للناس سواء كانت تعرفهم أو لا تعرفهم. فقد حث القرآن الكريم في آيات كثيرة على الدعاء والتضرع إلى الله في قوله تعالى: (وَإِذَا سَأَلْكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِي فَلَيْسَتْ حِبْوَانٍ وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشِدُونَ) <sup>(١)</sup>. وما ورد عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: (أوشك دعوة وأسرع إجابة دعاء المرء لأنخيه بظهر الغيب) <sup>(٢)</sup>.

هذا النهج الذي أسست له السيدة الزهراء عليها السلام كان حاضراً في كل حدث من أحداث حياتها القصيرة، فلم تنس الدعاء للمسلمين حتى وهي في مرضها ومحنتها، وتتوشك أن تلاقي ربهما مظلومة شهيدة، فكانت تؤثر العصاة والمذنبين من أممأبيها على نفسها في الدعاء وتستثمر محنتها في طلب العفو والمغفرة لهم، من ذلك دعاؤها عليها السلام عند احتضارها ووفاتها: (اللهم إني أسألك بمحمد المصطفى وشوقه إلي ويعلي علي المرتضى وحزنه علي وبالحسن المجتبى وبكائه علي، وبالحسين الشهيد وكابته علي، وبناتي الفاطميات وتحسرهن علي، أن ترحم وتغفر للعصاة من أممأحمد وتدخلهم الجنة إنك أكرم المسؤولين وأرحم الراحمين) <sup>(٣)</sup>. فالآمة حاضرة في ضمير سيدة الإيثار في يوم فرحتها وسرورها، وفي يوم وفاتها ومفارقتها الحياة، وهذا دليل على أنها حملت هم المسلمين والإنسانية جموع طيلة حياتها.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، أبي جعفر الرازى (ت ٣٢٩ هـ - ٨٤٣ م)، الكافي في الأصول والفروع، تصح على أكبر الغفارى، ط٥، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران ١٣٦٣ هـ - ١٩٧٣ م، ٢، ٥٠٢، حديث ١، باب الدعاء للإخوان بظهر الغيب.

(٣) القيومى، جواد، صحيفـة الزهراء عليها السلام، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران ١٣٧٣ هـ، ٢١٠.

## المطلب الخامس إيثار الزهراء عليها السلام بنفسها

من المعروف بين عامة الناس وخاصتهم أنّ أسمى صور الإيثار وأعظمها تقديم الإنسان حياته ثمناً في سبيل الآخرين ودفعاً عنهم، ثم إن الشهادة في سبيل الله، وفي ساحة المعركة دفعاً عن بيعة الإسلام وإعلاء لكلمته، لها الخصوصية والأجر العظيم عند الله سبحانه وتعالى، كون المجاهد يترك أهله وأولاده وينحرج بنفسه إلى المعركة ليتحقق بجيش المسلمين. لكن هذا الجيش الذي يضم الكثير من الأصناف على مختلف مستوياتهم يشد بعضهم أزر بعض؛ وهذا الأمر يعزز ثقة المقاتل بنفسه ويرفع من معنوياته. وفي معركة الجحاد هذه يواجه المقاتل احتمالين، إما الفوز بالمعركة والعودة متصرّاً، أو الشهادة في سبيل الله. أما السيدة الزهراء عليها السلام فقد خاضت معركتها لوحدها بعد وفاة والدها دفعاً عن حق الله. ألم يواجه المقاتل احتمالين، إما الفوز بالمعركة والعودة متصرّاً، أو الشهادة في سبيل الله؟ فـ«أمّا السيدة الزهراء عليها السلام فقد خاضت معركتها لوحدها بعد وفاة والدها دفعاً عن حق الله». ألم يواجه المقاتل احتمالين، إما الفوز بالمعركة لوحدها دون ناصر أو معين كان يعني قيامها بعملية استشهاديه، وأنّها لن تصل إلى تغيير الواقع الذي فرض على المجتمع الإسلامي آنذاك، وأنّها ستتعرض لأنّشرس هجمة هي وزوجها وأولادها، وأنّها ستذهب شهيدة؛ وكل ذلك لأجل أن تبقى صرختها هذه ضدّ الظلم والاستبداد خالدة للأحرار على مرّ التاريخ لتغرس في نفوسهم روح التضحية والفاء.

لقد وقفت السيدة الزهراء عليها السلام بوجه السلطة المنحرفة بعد وفاة والدها بكل ما تحمل هذه السلطة من ظلم واستبداد وجبروت، مما أدى بها إلى التعرض لأقسى أنواع التهديد والترهيب والاعتداء الذي لم يقتصر على شخصها ومقامها الكريم، وإنما طال زوجها وأولادها ومحبيها، ويمكن بيان تضحيتها وتقديم حياتها في سبيل رضا الله وإعلاء دينه عالياً من خلال مواقف عدّة: منها وقوفها بوجه القوم ومنعهم من دخول دارها لاقتياد

الإمام على عليه السلام وإجباره على البيعة وتهديدهم بحرق الدار ومن فيها<sup>(١)</sup>، مما أدى إلى ضرها بالسوط، وكسر ضلعها، وإسقاط جنينها فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت شهيدة عليها السلام<sup>(٢)</sup>.

ورغم ما أصابها من ألم ومرض بعد هذه الحادثة، لم تتوقف السيدة الزهراء عليها السلام عن واجبها في الدفاع عن الخلافة المغتصبة حتى آخر لحظة من حياتها الشريفة، لأن دفاعها هذا لم يكن من منطلق شخصي، وإنما كان تكليفاً شرعياً كانت ملزمة به، في ظرف غلب فيه العنف وعز الناصر والمعين. فلم يكن من الممكن لغيرها القيام بهذا الدور كونها ابنة رسول الله، ولها المكانة الرفيعة والمقام العالي في قلوب المسلمين. فخرجت إلى المسجد وخطبت بال المسلمين خطبتها الفدكية المشهورة، التي بينت فيها انحراف الأمة عن الطريق بعد وفاة الرسول ص في قوله: (... وأطلع الشيطان رأسه من مغرزة هاتقاً بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً... هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل والرسول لما يقرر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم المحيطة بالكافرين فهيهات منكم وكيف بكم وأنى تؤفكون؟، وكتاب الله بين أظهركم وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟، أم بغيره تحكمون؟، بنس للظالمين بدلاً ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين...)<sup>(٣)</sup>.

(١) ظ: الدينوري ابن قبية (ت ٢٧٦ هـ)، الإمامة والسياسة، تتح: علي الشيري، ط ١، انتشارات الشريف الرضي، إيران، مطبعة أمير، قم، ١٤١٣ هـ؛ المفید، محمد بن محمد بن النعمن (ت ٤١٣ هـ)، الأمالي، تتح: حسين الاستاد ولی، علي أكبر الغفاری، ط ٢، نشر جماعة المدرسین في الحوزة العلمیة، قم، إیران، ١٤١٤ هـ، ٤٩.

(٢) ظ: الهملاي، سليم بن قيس (ت ١ هـ)، كتاب سليم بن قيس، تتح: محمد باقر الأنصاری، ط ٢، مكتبة ودار الحوراء للطباعة والنشر، ١٤٣٠ هـ، ١٥٣.

(٣) الطبری، أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٤٨ هـ - ١٥٣ م)، الاحتجاج، ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ١، ١١٤ - ١١٣؛ وينظر: المعتزلي، عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين ابن الحديدة (ت ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م، ١٦، ٢١١؛ ابن طيفور، أبي الفضل بن أبي طاهر (ت ٣٨٠ هـ)، كتاب بلاغات النساء، (د.ط.)، منشورات مكتبة بصيرقی، قم، إیران، (د.ت)، ١٢.

إن السيدة الزهراء بصر ختها في وجه الظلم أعطت درساً لكل الأحرار في العالم وبيّنت أن الموت على الحق خير من العيش في ذل وهوان، وبوقوفها في وجه الطغاة، وهي المرأة الضعيفة بيدها كانت مصداقاً لقول أبيها ﷺ: (إِنَّ أَفْضَلَ الْجَهَادِ كَلْمَةُ عَدْلٍ) عند إمام جائز<sup>(١)</sup>.

وامتثالاً لأمره في تغيير المنكر، فقد أمر ﷺ أمته جميعاً بذلك في قوله: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فقلبه)، وذلك أضعف الإيمان<sup>(٢)</sup>، فحاولت تغيير الواقع المنحرف بكل ما تملك من أساليب وحجج، رغم حزنها على والدها وألمها عليه. فهلا اقتدينا بها ووقفنا بوجه طواغيت العصر؛ وما أكثرهم في زماننا هذا! بل وقفنا متفرجين خوفاً على رفاهيتنا الشخصية ومن أن يمسنا أي سوء.

لقد قدمت السيدة الزهراء عليها السلام روحها رخيصة وهي في عز شبابها لتهب الحياة للأمة الإسلامية وأجيالها القادمة، فكانت مصداقاً حياً لقوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَبَادِ»<sup>(٣)</sup> قال الشيرازي: إن البائع هو الإنسان، والمشتري هو الله، والبضاعة هي النفس، وثمنها هو رضوان الله تعالى؛ والسبب لأن فئة معينة من الناس يقومون بالأعمال الخارقة في سبيل الله ولا يطلبون عوضاً عن أرواحهم وأنفسهم سوى رضوان الله تعالى. وهذا لطف من الله سبحانه وتعالى أن أوجد مثل هؤلاء الأفراد المضحيين بين الناس، مقابل العناصر الخبيثة، وإنما انهارت أركان الدين والمجتمع<sup>(٤)</sup>.

(١) الكليني، الكافي، ج ٥ / ص ٦٠، باب إنكار المنكر بالقلب.

(٢) البروجردي، حسين، الطباطبائي، (ت ١٣٨٣ هـ)، جامع أحاديث الشيعة، (د. ط)، المطبعة العلمية، قم (١٣٩٩ هـ)، ١٤، ٣٩٨، ٢٩١٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

(٤) ظ: الشيرازي، الأمثل، ج ٢ / ص ٧٤.

## الخاتمة

يُبَيِّنُتْ لَنَا السَّيِّدَةُ الزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ مِنْ خَلَالِ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ دُرُوسًا عَدَّةً نَذَكِرُهَا:

- ١- إِنَّ الإِيَّاثَارَ صَفَةٌ مِنْ صَفَاتِ الْكَمَالِ وَفَضْلِيَّةٌ مِنْ أَعْظَمِ الْفَضَائِلِ الْأَخْلَاقِيَّةِ تَنْشَأُ مِنْ تَعْظِيمِ الْخَالقِ وَحَقَّوْهُ فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ، لِذَلِكَ تَرَاهُ يَضْحَى بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ فِي سَبِيلِ تَأْدِيهِ هَذِهِ الْحَقُوقِ وَنَيْلِ رِضَا اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَلَا يَصِلُ إِلَى الْقُنَاعَةِ إِلَّا بِلُوْغِ أَعْلَى درَجَاتِ الإِيَّاثَارِ.
- ٢- إِنَّ الْزَوْاجَ فِي الْإِسْلَامِ عَقْدٌ إِلهِيٌّ يَتَجَزَّعُ عَنْهُ تَأْسِيسُ الْمَجَمِعِ الْإِنْسَانِيِّ؛ لِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَائِمًا عَلَى الْقِيمِ وَالْأَخْلَاقِ الْعُلِيَّا. وَهَذَا الْأَمْرُ يَحْتَاجُ إِلَى تَكَافُفِ الْجَهُودِ وَتَقْدِيمِ التَّضْحِيَاتِ مِنْ كُلِّ الْطَّرَفَيْنِ.
- ٣- قَدْ يَرِيَ الْبَعْضُ أَنَّ الْحَزْمَ فِي تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ فِي الْمَوَاقِفِ الْمُرْتَبَطَةِ بِالتَّرْبِيَّةِ الْدِينِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ قَسْوَةً. لَكِنَّ مِنَ الْمَهْمَمِ تَوْضِيحُ ثَوَابِ الدِّينِ وَالْمُعْتَقَدِ لِلطَّفَلِ مِنْذُ نَعُومَةِ أَظْفَارِهِ لِيُنْشَأُ وَيَكْبُرُ عَلَى تَقْدِيسِهَا وَاحْتِرَامِهَا وَيَكُونَ مُسْتَعِدًا لِتَقْدِيمِ التَّضْحِيَاتِ فِي سَبِيلِهَا.
- ٤- إِنَّ الْعِبَادَةَ وَالنَّصْرَاعَ إِلَى اللَّهِ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَتَخَذَا الصَّفَةَ الْإِيجَابِيَّةَ وَيَأْتِيَا بِثَمَارِهِمَا إِلَّا إِذَا اتَّسَعَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ فِيهَا وَشَمَلَ أَخْوَتَهُ الْمُسْلِمِينَ بِالدُّعَاءِ، وَطَلَبَ الصَّالِحَ لِلْأَمَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ جَمِيعَهُ، لِأَنَّ بِصَلَاحِهَا وَازْدَهَارِهَا يَعِمُّ الْخَيْرَ عَلَى كُلِّ فَرَدٍ مِنْ أَفْرَادِهَا. إِنَّ تَقْدِيمَ الغَيْرِ فِي الدُّعَاءِ وَطَلَبِ الْحَاجَةِ وَالْمَغْفِرَةِ مِنْ أَرْوَعِ صُورِ التَّقَارِبِ وَالْتَّالِفِ فِي الْمَجَمِعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ.
- ٥- إِنَّ الشُّورَةَ عَلَى الظُّلْمِ وَالْاسْتِبَادِ تَكْلِيفٌ شَرِعيٌّ يَحْتَاجُ إِلَى إِشَاعَةِ رُوحِ التَّضْحِيَةِ وَالإِيَّاثَارِ وَتَقْدِيمِ مَصْلَحةِ الْأَمَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى الْمَصَالِحِ الْشَّخْصِيَّةِ - إِنَّ الْمَرْأَةَ قَادِرَةَ عَلَى الْوَقْفِ بِوَجْهِ الْطَّغَاءِ وَالْمَطَالِبِ بِالْحَقُوقِ الْمُغْتَصَبَةِ، كَيْفَ لَا، وَهِيَ الْمُوَكِّلَةُ بِتَنْشِئَةِ جَيلٍ يَتَصَفُّ بِالْلَوْعَيِّ وَيَعْشُقُ الْحَرَيْرَةَ وَيَرْفَضُ الذَّلِّ وَالْهُوانَ؟!

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١- ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكري姆 (ت: ١٠٦ هـ - ١٢٠٩) النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي محمود محمد الطناحي، ط٤، مؤسسة اسماعيليان، قم (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م).
- ٢- البحرياني، عبد الله بن نور الله (ت (١١٣٠ هـ)، عوالم العلوم والمعارف، ط٣، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، ١٤١٥ هـ).
- ٣- البحرياني، ابن ميسن (ت ٦٧٩ هـ)، شرح نهج البلاغة، ط١، جابخانة دفتر تبليغات إسلامي، ١٣٦٢ ش، نشر: مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي - الحوزة العلمية - قم.
- ٤- البرقي، أحمد بن محمد بن خالد (٢٧٤ هـ)، المحسن، تح: جلال الدين الحسيني، ط١، دار الكتب الإسلامية، طهران (١٣٧٠ هـ).
- ٥- السيد البروجردي، حسين الطباطبائي، (ت) ١٣٨٣ هـ)، جامع أحاديث الشيعة، (د.ط)، المطبعة العلمية، قم (١٣٩٩ هـ).
- ٦- الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦ هـ - ١٤١٣ م) التعريفات، ط١/١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).
- ٧- الحرّ العاملی، الشیخ محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ)، وسائل الشیعه إلى تحصیل مسائل الشریعة، تح: مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤ هـ، مهر - قم، نشر: مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفة.

- ٨- الدينوري ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، الإمامة والسياسة، تحرير علي الشيري، ط١، انتشارات الشريفي الرضي، إيران، مطبعة أمير، قم (١٤١٣ هـ).
- ٩- الرواندي، قطب الدين (ت ٥٧٣ هـ)، الخرائج والجرائح، تحرير محمد باقر الأبطحي، ط١، مؤسسة الإمام المهدى علیه السلام، قم المقدسة، (١٤٠٩ هـ).
- ١٠- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦ هـ)، تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان، تحرير ابن عثيمين، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، بيروت - مؤسسة الرسالة، نشر: مؤسسة الرسالة.
- ١١- الشيرازي، ناصر مكارم الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط٢، الأمير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م).
- ١٢- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت ٣٨١ هـ - ٩٩١ م)، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ط١، نشر قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، قم، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م).
- ١٣- الصدوق، علل الشرائع، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، (د.ط)، المكتبة الحيدرية، النجف، (١٣٨٦ هـ - ١٩٩٦ م).
- ١٤- الصفورى، عبد الرحمن بن سلام (ت ٨٩٤ هـ)، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، (د.ط)، المطبعة الكاستيلية، مصر (١٢٨٣ هـ).
- ١٥- الطباطبائي، محمد حسين (ت ١٤٠٢ هـ)، الميزان في تفسير القرآن، (د.ط)، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة.

- ١٦ - الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٤٨ هـ - ١١٥٣ م)، الاحتجاج، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م).
- ١٧ - الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، جامع البيان عن تأويل آى القرآن، ضبط وتوثيق وتحريج: صدقى جليل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- ١٨ - الطهراني، مير سيد علي الحائري (ت ١٣٥٣ هـ)، مقتنيات الدرر، الحيدري بطهران، ١٣٣٧ ش، نشر: الشيخ محمد الآخوندي مدير دار الكتب الإسلامية.
- ١٩ - الطوسي، محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م)، الأimalي، تحرير: مؤسسة البعلة للطباعة النشر والتوزيع، ط١، دار الثقافة، قم، (١٤١٤ هـ).
- ٢٠ - ابن طيفور، أبي الفضل بن أبي طاهر (ت ٣٨٠ هـ)، كتاب بلاغات النساء، (د.ط)، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، إيران، (د.ت).
- ٢١ - العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، أبو هلال ت ٣٩٥ هـ - ٤١٠٠ م)، الفروق اللغوية، تنظيم الشيخ بيت الله بيات، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسین بقم المقدسة (١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م).
- ٢٢ - الفيض الكاشاني، المولى محمد محسن (ت ١٠٩١ هـ)، الأصفى في تفسير القرآن، تحرير: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية / محمد حسين درايتى، محمد رضا نعمتى، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي.
- ٢٣ - القرطبي، محمد بن أحمد الأنباري (ت ٦٧١ هـ - ١٢٧٢ م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق وتصحيح: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م).

- ٢٤- القيومي، جواد، صحيفه الزهراء البيضا، ط١، مؤسسه النشر الإسلامي، قم، إيران (١٣٧٣ هـ).
- ٢٥- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت ٥٧٥ هـ - ١١٧٩ م)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، ط٢، دار السلفية، القاهرة، مصر (١٣٩٤ هـ).
- ٢٦- الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، أبي جعفر الرازى (ت ٣٢٩ هـ - ٨٤٣ م)، الكافي في الأصول والفروع، تحر: علي أكبر الغفارى، ط٥، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، (١٣٦٣ هـ - ١٩٧٣ م).
- ٢٧- الليثي الواسطي، علي بن محمد (ق ٦ هـ)، عيون الحكم والمواعظ، تحر: حسين الحسيني، ط١، دار الحديث، طهران (د.ت).
- ٢٨- السيد المرعشى (ت ١٤١١ هـ)، شرح إحقاق الحق، تحر وطبع السيد شهاب الدين المرعشى النجفى، تص: السيد إبراهيم الميانجي، نشر: كتبات مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى، قم (د.ط).
- ٢٩- المشهدى، محمد بن محمد رضا القمي (ت ١٢٥ هـ)، كنز الدقائق وبحر الغرائب، تحر: حسين دركاھي، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، نشر: مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران.
- ٣٠- المعترلي، عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين ابن أبي الحميد (ت ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م).
- ٣١- المفید، محمد بن محمد بن النعیمان (ت ٤١٣ هـ)، الأُمَالِي، تحر: حسين الاستاد ولی، علي أكبر الغفارى، ط٢، نشر جماعة المدرسین في الحوزة العلمية، قم، إيران (١٤١٤ هـ).

- 
- ٣٢- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت ٧١١ هـ - ١٣١١ م)،  
لسان العرب، ط ٣، دار صادر، بيروت، (١٤١٤ هـ).
- ٣٣- نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، نشر: مجمع  
اللغة العربية بالقاهرة، ط ٢، كتبت مقدمتها ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- ٣٤- الاهلاي، سليم بن قيس (ت ق ١ هـ)، كتاب سليم بن قيس، تحر: محمد باقر  
الأنصاري، ط ٢، مكتبة ودار الحوراء للطباعة والنشر (١٤٣٠ هـ).

# التأصيل النظري للتنمية البشرية

في فكر الإمام علي عليه السلام

الباحثة

م. د. دنيا جليل محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآلـه الطيبين الطاهرين وصحبه المتوجين، أما بعد..

فإنّ موضوع التنمية البشرية من الموضوعات البالغة الأهمية لما لها من أثر في تغيير الطاقات البشرية وتحثّها على الإبداع والإنتاج، وبعث روح الأمل والنشاط وبلغ السعادة والرفاهية بأكمل صورها. ونحن إذ نرى خبراء التنمية البشرية يحصلون على مراتب الشرف في هذا التخصص، نجد أنّ الإسلام هو أول من أسس وأرسى معلم التنمية البشرية، وأقوال وروايات أهل البيت عليهم السلام تصلح لتنمية البشر إلى يوم القيمة. ولأهمية هذا الموضوع، جاء هذا البحث، ليستنبط قواعد التنمية البشرية من كلمات أمير المؤمنين وسيد المohدين والعارفين الإمام علي عليه السلام ليثبت أنه أول وأفضل خبير بالتنمية البشرية منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، مع أنّ هذا المصطلح لم يظهر إلاّ بعد القرن العشرين. فيمكن أن نصف الدين الإسلامي، بكونه دين التنمية البشرية، إذ يأخذ بأيدي الناس لينمي طاقاتهم ويكشف عن مكنون قدراتهم ويساهم في تكاملهم ويجعلهم في تواصل وعلاقة دائمة مع الله لكي تبعث فيهم القوة والقدرة على استمرارية الحياة بصورة أفضل وبلغ الهدف الأسماى وهو السعادة الأبدية. فتأتي أهمية البحث من أهمية موضوعه، الذي يحمل عنوان: التأصيل النظري للتنمية البشرية في فكر الإمام علي عليه السلام، ذلك لأنّ كلام الإمام عليه السلام يمثل نظريات أصيلة لهذا الفن من خلال وصاياته وحكمه وخطبه وكتبه التي كتبها إلى عماله والولاة على الأمصار في ظلّ حكومته.

وقد استند البحث إلى كتاب نهج البلاغة لاستخراج أقواله عليه السلام. أمّا في مجال التنمية البشرية فقد استندنا إلى مؤلفات الدكتور إبراهيم الفقي في الغالب، كونه يعد المؤسس للتنمية البشرية في الوطن العربي، فضلاً عن المصادر المتنوعة الأخرى.

ويتألف البحث من تمهيد ومبثرين وخاتمة، ثم قائمة المصادر.

سندك في التمهيد تعريف التنمية البشرية وأهميتها ومراحل نشوئها، ثم مقارنة سريعة بينها وبين ما جاء به الإسلام من نظام يؤسس لها، ثم يأتي الكلام في البحث الأول عن تنمية الفرد واهتمام الإسلام به، كونه يمثل مركز الوجود وهو أكرم موجود، ويملك من الطاقات والإمكانات ما يعادل كل الوجود، فيسعى أمير المؤمنين عليه السلام إلى تمييته وتغيير طاقاته ليقدم أفضل ما يستطيع ويصل أرقى ما يكون، وذلك بتطوير عقله ومعرفته ونفسه وتصرفاته التي تشكل بمجموعها الإنسان الأفضل والأكملي في الوجود.

ثم في البحث الثاني ستناقش تنمية المجتمع بالاستناد إلى كلمات الإمام عليه السلام التي سعى من خلالها إلى بناء مجتمع متعدد تتعذر فيه البطالة والفقر والآفات، ويفتهر فيه عدل الولاة ورحمتهم للرعاية وتوفير نظام سياسي واجتماعي وبيئي مناسب لحياة الأمم والشعوب؛ وبهذا تتحقق التنمية البشرية على الصعيدين الفردي والاجتماعي، فتحتحقق السعادة في ظلّ دولة الحق الإلهي.

ثم خاتمة تأتي فيها أبرز النتائج، وأخيراً قائمة المصادر.

هذا ما تم كتابته في هذه العجلة، فما كان فيه من صواب فبتوقيق من الله، وما كان فيه من خلل فالخلل والنقص من سمت العباد. ورحم الله من أخذ بيدي إلى جادة الصواب، ولا أملك غير الشكر لله ولأهل البيت الأطهار، والشكر لكل من علمني ولو حرفاً طيلة مسيري العلمية، والشكر موصول إلى العتبة الكاظمية والقائمين على هذا المؤتمر العلمي لإتاحة الفرصة للكتابة بهذا الموضوع المهم، والحمد لله رب العالمين.

## تمهيد

التنمية البشرية: تعني بناء الإنسان بصورة أفضل، واستثمار طاقاته للوصول إلى الرضا والسعادة، وقيل في تعريفها: «هي المساعدة في توسيع خيارات البشر وقدراتهم على العيش الكريم، وتوسيع المشاركة الديموقراطية، والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، حيث يعد التطوير والتنمية الذاتية جزءاً منها»<sup>(١)</sup>.

ويعُد مصطلح التنمية البشرية من المصطلحات المستحدثة؛ أما نشأتها: فقد مررت التنمية البشرية بمراحل، فكانت في بدايتها -بعد الحرب العالمية الثانية- كلاسيكية ارتبطت بالتنمية الاقتصادية؛ اهتمت برفع الناتج القومي وتطوير المعيشة وتقليل الفقر. ثم انتقلت في مرحلة السبعينيات إلى التسعينيات إلى الارتباط بالعامل الاجتماعي، وحققت تطورات كبيرة في معيشتها. ومع حلول عام ١٩٧٠ م توصلت الأمم المتحدة إلى مجموعة من الحقائق؛ منها أن التنمية البشرية لا بد أن تحقق الرفاهية للإنسان وتتوفر الفوائد للمجتمع، وتهدف إلى بث العدالة وتحقيقها ليشعر الناس بالاستقرار والسعادة<sup>(٢)</sup>.

وللتربية أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع، إذ تساهم في تطوير قدرات الإنسان من خلال دعم التعليم واكتساب المهارات، وتوفير بيئة صحية مناسبة، ورفع مستوى المعيشة، وتمتع الفرد بحقوقه، وتحسين مستوى الأداء واتقان العمل، وتعزيز الثقة بالنفس ورفع المعنويات<sup>(٣)</sup>.

ونحن نرى في الدين الإسلامي، أوامر ونواهي على صعيد الفرد والمجتمع، لو طبقت، لتحقق التنمية البشرية بأوضح صورها.

(١) التنمية البشرية، ستايיש علي، ٥.

(٢) المصدر نفسه، ٨.

(٣) ظ: تدريب وتنمية الموارد البشرية، عبد الكريم أحمد جليل، ١٥ / ١ - ١٧.

وإذا كانت التنمية البشرية في منظور الأمم المتحدة ودول العالم تستهدف الجانب المادي للفرد وتركتز على معدل الإنجاز في مجال الصحة والتعليم والدخل<sup>(١)</sup>، فإنّ الإسلام قد اهتم بالجانب المادي والجانب المعنوي للفرد، وقد أولى الجانب المعنوي اهتماماً كبيراً لما لذلك من أثر في تطوير الفرد وزيادة فرصة نجاحه لتحقّق التنمية لدى الأفراد.

وإذا كانت التنمية البشرية قد نشأت «في سبعينيات القرن العشرين الميلادي وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية»<sup>(٢)</sup>، فإنّ التنمية الإسلامية قد أنسست لقواعد وسلوكيات منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، وتهدف التنمية البشرية للوصول إلى رفاهية المجتمع فهي مبنية على «إتاحة الفرصة للمواطن بأن يعيش نوع الحياة التي يختارها ومزاولة العمل المناسب لها من خلال تزويدهم بالأدوات المناسبة والفرص المواتية للوصول إلى تلك الخيارات»<sup>(٣)</sup>، بينما تهدف التنمية الإسلامية إلى الوصول إلى رفاهية المجتمع والنجاة والسعادة في هذه الحياة والحياة الآخرة.

وما التكاليف الإسلامية والأوامر الإلهية إلّا تطبيقات توصل الأفراد والأمم إلى هذه السعادة والرقي والكمال. وقد اصطلاح على هذه السعادة مؤخراً (التنمية البشرية)، فتشكل التعاليم الإسلامية منظومة متكاملة من السلوكيات التي من شأنها أن تصل بنا إلى أفضل وأرقى تنمية بشرية، إذ الحقوق الشرعية المالية كالخمس والزكوة والصدقات تتحقق التنمية الاقتصادية، والأوامر والنواهي للمكلفين تتحقق التنمية الاجتماعية، ووجوب العدل في الإسلام والإرشادات الأخلاقية تتحقق السعادة في جميع مناحي الحياة (فيما لو طُبِّقَ الإسلام كما ينبغي)، كما إنّ إخفاء موعد الموعود وفلسفة المغيبات كالرزق والحوادث

(١) التنمية البشرية، ٦.

(٢) المصدر نفسه، ٧.

(٣) المصدر نفسه، ٦.

المستقبلية وعمر الإنسان وغيرها من أهم العوامل المساعدة على التنمية البشرية، إذ تجعل الفرد مستمراً في عمل دائم من دون أن يتباhe القلق أو التوتر.

وإذا كان علماء التنمية البشرية قد ذكروا صفات لا بدّ من أن يتمتع بها الفرد ليكون مدرّباً ناجحاً في التنمية، منها: العقل المتفتح والتتمتع بالثقافة العامة والثقة بالنفس والمهارات الشخصية والمشاركة في الأعمال التطوعية والعمل بجدّ ومثابرة بعيداً عن الملل والتحلي بالصبر<sup>(١)</sup> وأن يكون شخصاً مؤثراً ذا إرادة وعزيمة ويملك الحكمة، قادرًا على قيادة فئة واسعة من البشر<sup>(٢)</sup>، فإنَّ أمير المؤمنين عليه السلام يعدّ أول وأكمل وأفضل مؤسس ومدرب تنمية بشرية على الإطلاق. وإذا قيل بحق عالم التنمية البشرية الدكتور إبراهيم الفقي<sup>(٣)</sup>: «د. الفقي هدية من الله لمساعدة البشرية جماء»<sup>(٤)</sup>، فإنَّ الأولياء والأئمة لطف من الله هداية البشرية جماء، والأخذ بأيديهم للوصول إلى الرفاهية والسعادة والنعيم في الدنيا والآخرة.

وقد حقّق أمير المؤمنين عليه السلام مبادئ العدالة وقدّم الأمّة الإسلامية كأفضل ما يكون، فلم يبقَ جائع أو فقير في ظل حكومته. وحينما رأى نصراينياً مكتوفاً يسأل، أمر أن يُفقن عليه من بيت المال<sup>(٥)</sup>؛ فهذا أول تأسيس للرعاية الاجتماعية والضمان الاجتماعي، كما إنه كان يوصي عَمَّالَهُ بِالرَّحْمَةِ لِلرَّعْيَةِ وَرِعَايَتِهِمْ وَالْحَذْرِ مِنَ الشَّهَابَاتِ وَيَمْنَعُ انتِهَاكَ الْحَرَمَاتِ

(١) التنمية البشرية، ٣٨ - ٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ٧٢.

(٣) الدكتور إبراهيم الفقي: مؤسس المركز الكندي للتنمية البشرية، ورئيس مجلس إدارته، دكتور في علم اللياتافيزيقاً من جامعة لوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية، وهو مؤسس علم قوة الطاقة البشرية، ومدرب معتمد للتنمية البشرية من حكومة كيبك بكندا للشركات والمؤسسات، حاصل على ٢٣ دبلوم من أعلى التخصصات في علم النفس والإدارة والتنمية البشرية، له عدة مؤلفات ترجمت على ثلاث لغات؛ وهو أول من ساهم في تأسيس التنمية البشرية وإدخالها إلى الوطن العربي، ظ: سيطر على حياتك، ١٠٧، ١٠٨، والتنمية البشرية، ٢٧.

(٤) سيطر على حياتك، إبراهيم الفقي، ١١٠.

(٥) ظ: الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام، أحمد الرحماني، ٦٨٦.

حتى مع الحيوانات، ويدعو إلى التسامح ونبذ الفرقه والطائفية، حينما كتب عهده إلى مالك الأشتر عندما ولاه مصر، مبيناً أنَّ الإنسان أخو الإنسان في الدين أو نظيره في الخلق<sup>(١)</sup>، وعمل على استعادة الحقوق وإنصاف المظلومين ومنع الجور والظلم<sup>(٢)</sup>، رغم توثر الظروف التي رافقت خلافته عليه السلام وتآزمها، فيمكن أن نطلق عليه عليه السلام المؤسس للتنمية البشرية للفرد والمجتمع، كما سيظهر بين ثنايا هذا البحث.

(١) ظ: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، ٤ / ١٢١ .

(٢) ظ: شرح رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين عليه السلام، شرح حسن علي القبانجي، ٤٦٤ .

## المبحث الأول

### التنمية البشرية على الصعيد الفردي<sup>(١)</sup>

اهتمت الشريعة الإسلامية بالفرد وجعلته محور الوجود وأفضل موجود؛ قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ حَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>، وذلك بسبب العقل والروح التي لها القابلية على التكامل والوصول إلى مراتب أرقى من الملائكة؛ أي إن الإنسان له القابلية على التنمية وبلغ مرتب الكمال التي لا يصلها أي موجود آخر، « فهو موجود قابل للتربية والتأنيب، قادر على سلوك طريق الرشد والتكامل»<sup>(٣)</sup>، وهذه التنمية تتطلب أموراً لتحقيقها. لذلك، أوضحت الشريعة ضوابط وسلوكيات وأخلاقيات؛ بعضها واجب، وبعضها مستحب. ونهت عن أمور؛ بعضها حرام، وبعضها مكروره. فلو سار عليها الفرد، فسيخرج إلى أرقى مدارك الكمال والرقي؛ لذلك اهتمت بالجانب الفردي الشخصي. ولما كانت التنمية الإسلامية تستهدف الفرد من جميع جوانبه، فنجده في الشرع أحکاماً تتعلق بجسم الإنسان، وأخرى تتعلق بعقله وروحه؛ فكانت الأغسال الواجبة والمستحبة وتقليم الأظافر وأخذ الشارب وعدم الإسراف في الطعام وغيرها من الأحكام، أموراً تنموية ترتبط بجسم الإنسان ونظافته وصحته، ومن ثم تنمويته جسدياً.

كما أولت عقله عناية فائقة، ودعت إلى استئثاره واتباع الحجج العقلية والدليل والبرهان. ويظهر ذلك في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ

(١) ظ: التنمية البشرية في نهج البلاغة، صالح جبار القرشي، ١٣٤ - ١٦٠.

(٢) سورة الاسراء، آية: ٧٠.

(٣) العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت للله، جعفر السبعاني، ٣٠.

وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ<sup>(١)</sup>. فالإسلام «وليد التعقل والتفكير، وليس وليد الخيال السارح والجهل الدامس»<sup>(٢)</sup>؛ لذلك وردت روايات كثيرة تؤكد أهمية العقل وحججته. وفي قول الإمام الكاظم عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ عَلَى النَّاسِ حِجَّتَيْنِ: حِجَّةً ظَاهِرَةً وَحِجَّةً باطِنَةً)، فأماماً الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأماماً الباطنة فالعقل<sup>(٣)</sup>، يجعل العقل حجة كما الأنبياء والرسل، فالأنبياء يرشدون العباد (ويذكرونهم منسيّ نعمته، ويتحجّجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول)<sup>(٤)</sup>، أي أنوار المعرفة التي تكشف للإنسان أسرار الكائنات، وترتفع به إلى الإيقان بتصانع الموجودات، وقد تحجب هذه الأنوار بسبب الأوهام والانغماس بالشهوات فيأتي النبيون لإثارة تلك المعارف الكامنة وإبراز تلك الأسرار الباطنة<sup>(٥)</sup>. وقد أوجبت الشريعة على المكلّف المعرفة<sup>(٦)</sup>، والمعرفة مرتكزة في العقول فيأتي الأنبياء ليؤكّدوا تلك المعرفة<sup>(٧)</sup>، ولو لا العقل لما استجاب الفرد للأنبياء، لذلك أصبح العقل مناط التكليف، فروي عنه عليه السلام: (أَوْلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ، قَالَ لَهُ أَقْبَلَ، فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبَرَ، فَأَدْبَرَ، فَقَالَ: مَا خَلَقْتَ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيْيَّ مِنْكَ، لَكَ الْثَّوَابُ، وَعَلَيْكَ الْعَقَابُ<sup>(٨)</sup>). وتواترت في ذلك أحاديث كثيرة<sup>(٩)</sup>، أي إنّ للإنسان قابلية الاختيار

(١) سورة النحل: الآية: ١٢.

(٢) الأمثل في تفسير كلام الله المنزل، الشيرازي، ١٤٤ / ٨.

(٣) الكافي، الكليني، كتاب العقل والجهل / ح ١٦ / ١٢.

(٤) نهج البلاغة، تحرير محمد عبدة، ٥ / ١ / ٢٣.

(٥) ظ: نهج البلاغة، ١ / ٥ / ٢٣ / ١ / هامش ٩.

(٦) ظ: النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، العلامة الحلي، ١٦.

(٧) شرح نهج البلاغة، ١ / ١١٥.

(٨) شرح نهج البلاغة، ١٨٥ / ١٨؛ والمحاسن، البرقي؛ ووسائل الشيعة، الحرس العاملية، ١ / ٤١.

(٩) ظ: الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحرس العاملية، ١ / ١٢١.

بين الفعل والترك بارادته و اختياره<sup>(١)</sup> ، فالله يغض الصيف الذي لا عقل له<sup>(٢)</sup> ، أي الذي لم يستمر عقله ويستكمل معرفته. لذلك ورد أنّ (نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل)<sup>(٣)</sup> ، فيبعث الله الأنبياء، ليثروا دفائن العقول أي لاستكمال المعرفة وتنمية العقل وتطويره.

لذلك نرى في كلمات الإمام على عليه السلام اهتماماً بالغاً بالعقل والمنطق والحجّة، فهو يُعدّ المؤسس لتنمية عقل الإنسان والاهتمام بتطويره وترقيته. ومن قواعده لتنمية العقل ما يأتي:

١ - الاستفادة من العقل والانتفاع من تجارب السابقين للارتفاع والتكميل، ففي قوله عليه السلام: (إِنَّ الشَّقِيقَ مِنْ حُرْمَنْ نَفْعَ مَا أُوقِيَ مِنَ الْعُقْلِ وَالتجْرِيَةِ)<sup>(٤)</sup> ، أي إن الشقيق هو من يخالف الحق<sup>(٥)</sup> ، فيبين أنّ من لم يستخدم عقله كما ينبغي، يحرّم من منفعته ويُخُدُّع ويُبعَدُ الأهواء والشهوات، فيبتعد عن جادة الحق ويتسافل إلى الحضيض الأسفل. وبهذا الصدد يوصي علماء التنمية بتطوير المعرفة وتنمية المهارات<sup>(٦)</sup> وأرشدوا إلى القراءة بكثرة<sup>(٧)</sup> ، وبينوا بأنّ الفرد يمتلك طاقة لا محدودة بداخله<sup>(٨)</sup> ، بينما ذكر الإمام عليه السلام ذلك بقوله:

وَتَرْزَعُمْ أَنْكَ جَرْمُ صَغِيرٌ  
وَفِيكَ انطوى العالم الأَكْبَرُ<sup>(٩)</sup>

فـ«الإنسان في مذهب علي بن أبي طالب هو الصورة المثل للكون الأمثل»<sup>(١٠)</sup>.

(١) تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ١٥.

(٢) ظ: شرح نهج البلاغة، ١٨٥ / ١٨.

(٣) ميزان الحكم، الريشهري، ٣ / ٢٠٣٤.

(٤) نهج البلاغة، ٧٨ / ٣.

(٥) ظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١٨ / ٧٦ / ٧٨.

(٦) التنمية البشرية، ١٤.

(٧) المصدر نفسه، ١٠٢.

(٨) المصدر نفسه، ١٨.

(٩) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام، ابن الدمشقي، ٢ / ١٣٦.

(١٠) روائع نهج البلاغة، جورج جرداق، ٥٥.

٢ - الحث على التأمل والتفكير لأخذ العبرة والموعظة، قال ﷺ من خطبة له في تمجيد الله تعالى: (إِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَانْتَفَعَ بِالْعُبُرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا وَاضْحَىًّا يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِيٍّ<sup>(١)</sup>، وَالضَّلَالُ فِي الْمَغَاوِي<sup>(٢)</sup>)<sup>(٣)</sup>. فَالانتفاع بال عبر وسلوك الطريق الواضح ينجي الإنسان من الانزلاق في الشبهات والمهالك. وقد بين علماء التنمية أهمية الملاحظة والتفاتيش بالنفس وملاحظة السلوك السيء الذي يسلكه الفرد من أجل تغييره<sup>(٤)</sup>، وقد توسيع الإمام عليه السلام بالملاحظة وأمر بـملاحظة سلوك الفرد نفسه - فضلاً عن ملاحظة الآخرين - من أجل تجنب الأخطاء، امثالاً لقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾<sup>(٥)</sup>. ثم تأتي مرحلة أخذ العبرة منهم وتجنب أخطائهم؛ وهذا ما يعبر عنه في التنمية البشرية: باتخاذ القرار، فقيل: «فالحل الأمثل والتلقائي والطبيعي أن تبادر وبلا إبطاء إلى اتخاذ قرار حالي وأنني بتعديل هذا الحال»<sup>(٦)</sup>.

٣ - الاتّباع بالسابقين والاستفادة من تجاربهم وخبراتهم لاستخلاص الفائدة وتنمية العقل واكتساب الخبرة، كما في وصيته لولده الحسن عليه السلام: (أَيُّ بُنْيٍ إِنِّي - وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عَمْرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي - فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسَرَرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عَدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انتَهَى إِلَيْيَّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوْلَاهُمْ إِلَى آخرِهِمْ، فَعَرَفْتُ

(١) المهاوي جمع مهوى، والماوي السقوط والهلاك والذهاب في الانحدار، ظ: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، مادة هوى / ٦١.

(٢) المغاوي جمع مغوى، وهو الضلال والهلاكة والخيبة، ظ: لسان العرب، ابن منظور، مادة غوي / ١٥ / ٤١.

(٣) نهج البلاغة، ٢٩ / ٢ / ٤٢.

(٤) سيطر على حياتك، ٨٣.

(٥) سورة يوسف، من الآية ١٠٩.

(٦) سيطر على حياتك، ٨٢.

صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، فاستخلصت لك من كلّ أمر نخيله)<sup>(١)</sup>، ففيه إرشاد إلى أهمية التفكير للوصول إلى السعادة، وهذا ما أشارت إليه التنمية فاعتبروا الأفكار هي التي تحدد مصير الفرد في الحياة، وهي إما أن تأخذه إلى دروب الخير والأمل أو تأخذه إلى السلبية وضياع الهدف لأنها هي التي تسبب الإدراك والمعنى والقيم والاعتقادات؛ وهي مرجع العقل في التجارب والخبرات<sup>(٢)</sup>.

٤ - الإرشاد إلى مصادر المعرفة: حث الإمام عليه السلام على التعلم والمعرفة، فقال في خطبة له في ابتداء الخلق: (أول الدين معرفته)<sup>(٣)</sup>، وبين مصادر المعرفة، فأمر بتعلم القرآن واتباع أهل البيت عليهم السلام، فقال: (تعلموا القرآن فإنّه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب)<sup>(٤)</sup>، وبين منزلة أهل البيت عليهم السلام بقوله: (هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه؛ هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام)<sup>(٥)</sup>. فهم المصدر النقي للعلم، وهم قادة العباد لتنويرهم بالمعرفة وتخليصهم من الجهالة. ونلاحظ أن التنمية البشرية توصي وتوّكّد أهمية التعلم في تطوير الذات؛ وفي هذا الصدد يذكر إبراهيم الفقي محطات ست للتغيير، منها التعلم لأنّه يرى أنّ الجهل يقف حائلاً دون تحقيق التغيير فلا بدّ من بذل الجهد من أجل التعلم وتثقيف النفس<sup>(٦)</sup>. وقد سبقهم الإمام علي عليه السلام ببيان أهمية التعلم وأثره في التنمية البشرية.

٥ - الصبر: لا يخفى على المسلمين أهمية الصبر ومكانته في الإسلام. يقول أمير المؤمنين عليه السلام في الصبر: (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فمن لا صبر له لا إيمان

(١) نهج البلاغة، ٣٠/٣.

(٢) سيطر على حياتك، ٩٢.

(٣) نهج البلاغة، ١/١.

(٤) المصدر نفسه، ١١٠/٢١٦.

(٥) المصدر نفسه، ٢٣٩/٢٢٢.

(٦) سيطر على حياتك، ٨٣.

له<sup>(١)</sup>، و(الصبر ثلاثة: الصبر على المصيبة، والصبر على الطاعة والصبر عن المعصية)<sup>(٢)</sup>، فيبين الإمام أهمية الصبر وأشكاله والنتائج المترتبة عليه في روايات كثيرة؛ وهذا ما دعت إليه التنمية البشرية. فقد قرروا أهمية الصبر والإصرار من أجل ترسير السلوكيات الصحيحة وتعويذ النفس عليها<sup>(٣)</sup>، وجعل الدكتور إبراهيم الفقي الصبر من مفاتيح النجاح وأطلق عليه: مفتاح الخير<sup>(٤)</sup>.

٦ - تحمل الابتلاءات: يصاب الإنسان بالكثير من الابتلاءات كون الحياة الدنيا دار امتحان واختبار؛ وقد قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُونَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْحُوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَلَا نُفُسٍ وَالشَّمَرَاتِ﴾<sup>(٥)</sup>، وفي هذا الصدد يعلمنا أمير المؤمنين تحمل هذه الابتلاءات بإيجابية والتسليم لله تعالى وحمده عليهما، بقوله: (اللهم لك الحمد على ما تأخذ وتعطي، وعلى ما تعافي وتبتلي)<sup>(٦)</sup>، والابلاء إنزال مرض الإنسان على سبيل الاختبار، كالمرض والفقر والمصيبة. وقد يكون الابلاء بمعنى الاختبار في الخير؛ إلا أنه أكثر ما يستعمل في الشر<sup>(٧)</sup>. وللابلاء أهمية كبيرة في تربية الفرد وتكامله من أجل تفجير الطاقات الكامنة ونقلها من القوة إلى الفعل؛ ويصبح الفرد أكثر قدرة على مواجهة الصعاب والتحديات<sup>(٨)</sup>، وذكر علماء التنمية أهمية الشدائيد في تنمية الإنسان وتطوير ذاته، وقالوا: «الشدائد تزيدك قوة»<sup>(٩)</sup>.

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ح ٥٧/٦٨ .. ٩٥

(٢) المصدر نفسه، ح ٥٧/٦٨ .. ٩٥

(٣) سيطر على حياتك، ٨٥.

(٤) المفاتيح العشرة للنجاح، المفتاح التاسع، ١٤٦.

(٥) سورة البقرة، من الآية ١٥٥.

(٦) نهج البلاغة، ٢/١٦٠ .. ٥٥.

(٧) ظ: المصدر نفسه، ٨/٢٦٨ .. ٢٦٨.

(٨) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١/٤٣٦.

(٩) الثقة والاعتزاز بالنفس، إبراهيم الفقي، ٥٧.

كما نلاحظ اهتمام الإمام عليه السلام بالنفس الإنسانية، وأشار إلى قواعد تؤسس لتكاملها وتنميتها ومن هذه القواعد:

١ - معرفة النفس: كشف الإمام علي عن أهمية معرفة النفس بقوله: (من عرف نفسه فقد عرف ربّه)<sup>(١)</sup>، أي من عرف نفسه بالإمكان والحدث والعجز والاحتياج، فقد عرف ربّه بالوجوب والقدم. فمعرفة النفس من أقوى الأدلة في معرفة الله تعالى، والاستدلال بها على الصانع<sup>(٢)</sup>. وبدون معرفة الله - ولو معرفة إجمالية - يبقى الإنسان متخيطاً في الظلمات لا يدرى ما يفعل وأين يسير، لذلك فإن معرفة النفس واكتشاف الذات له أثر بالغ في تطوير الذات وتحديد الهدف، وقد حرص خبراء التنمية البشرية على معرفة النفس وقالوا أن معرفة النفس بداية كل حكمة، فلأجل تطوير شيء، لا بدّ من معرفته، ولتطوير الذات لا بدّ من معرفتها<sup>(٣)</sup>.

٢ - ترويض النفس: الإمام عليه السلام اهتم بالانضباط الذاتي وترويض النفس لأجل الوصول إلى الرقي والأمان والنجاة من المزالق. قال عليه السلام في كتابه إلى عثمان بن حنيف: (إنما هي نفسى أرورضها بالتقوى لتتأتى آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق)<sup>(٤)</sup>. وقد أشار علماء التنمية البشرية، ومنهم برلين تريسي<sup>(٥)</sup>، إلى أهمية ضبط النفس وترويضها

(١) شرح نوح البلاغة، ٣٣٩ / ٢٠ / ٢٩٢.

(٢) ظ: شرح كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عبد الوهاب، ٩.

(٣) التنمية البشرية، ١٠١.

(٤) نوح البلاغة، ٤٤ / ٣ / ٧١.

(٥) برلين تريسي: مؤلف كتاب: قوة الانضباط الذاتي: هو متحدث ومدرس ومستشار ورائد أعمال ناجح ورئيس شركة برلين تريسي إنترنشيونال، تعمل في مجال التدريب والاستشارات، مقرها في كاليفورنيا، وفي عام ١٩٨١ م بدأ بتدريس مبادئ النجاح في الخطاب والندوات وترجمت كتبه وبرامجها الصوتية وندواته إلى ٣٥ لغة، وساعد عدداً لا يحصى من الناس للخروج من حالة الإحباط وعدم الإنجاز إلى تحقيق النجاح، قوة الانضباط الذاتي، ١١٠.

وبيّنوا أنَّ الانضباط يجعل الفرد قوة مهيبة، وينحنه النجاح، وهو وصفة سحرية تفتح كلَّ الأبواب. ويستطيع الشخص العادي أن يصل إلى مراتب أعلى في وقت وجيز، بخلاف من لم يمتلك الانضباط الذاتي، فلا يرقى رغم توافر الإمكانيات فيه<sup>(١)</sup>. ويقول نابليون هيل: «إذا لم تنتصر على نفسك فسوف تنتصر هي عليك»<sup>(٢)</sup>، واعتبروه أحد المفاتيح العشرة للنجاح<sup>(٣)</sup>.

٣- التحلّي بمحاسن الأخلاق: نجد الإمام علي عليه السلام قد حثَّ على محاسن الأخلاق وتنقية القلب من الرذائل في مواطن كثيرة، ولا سيما في خطبته التي يذكر فيها صفات المتقيين. ومن هذه الصفات: (يعفو عن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، بعيداً فحشه، لِيَنَا قولَه، غائباً منكرَه، حاضراً معروفة، مقبلاً خيرَه، مدبراً شره؛ في الزلزال وقوى، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحبّ، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه، لا يضيع ما استحفظ، ولا ينسى ما ذكر، ولا ينابز بالألقاب، ولا يضار بالحار ولا يشمт بالمصائب، ولا يدخل في الباطل، ولا يخرج من الحق)<sup>(٤)</sup>. فهذه الصفات الحسنة تغرس في النفس سكوناً وتكمالاً ورُقياً، كما تنبئ علماء التنمية البشرية إلى ذلك، فذكروا أنَّ السلوك الخارجي للفرد يتّسق مع صورة الذات التي يطلق عليها (المرأة الداخلية). فعندما تتصرف بطريقة تتّسق مع أعلى القيم بالنسبة لك، تتحسن صورتك عن ذاتك، وتشعر بأنَّك أكثر سعادة وثقة ويعكس سلوكك وذاتك هذه الصورة الداخلية لذاتك ويقبلوك الآخرون ويعاملونك باعتبارك شخصاً ذا شخصية راقية جديرة بالاحترام<sup>(٥)</sup>.

(١) ظ: قوة الانضباط الذاتي، ٦، ٩.

(٢) المصدر نفسه، ٤٢.

(٣) المفاتيح العشرة للنجاح، المفتاح العاشر، ١٥٣.

(٤) نهج البلاغة، ٢/٦٨ - ١٦٤.

(٥) ظ: قوة الانضباط الذاتي، ٣٧.

٣ - إدارة الوقت: نرى الإسلام قد أولى الوقت أهمية بالغة، ودعا إلى استثمار فرصة العمر للنجاة والسعادة الأبدية، وربط الكثير من العبادات بالوقت ليتعلم الإنسان تنظيم وقته واستثماره بالمنافع، وأرشد الإمام علي عليه السلام إلى اغتنام الوقت في حال الغنى والعافية والرخاء للاستفادة منه في الآخرة، قال عليهما السلام: (واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك)<sup>(١)</sup>. كما دعا الإمام علي عليهما السلام إلى استثمار الفرص قبل فوات أوانها، قال: (فالله الله معشر العباد، وأنتم سالمون في الصحة قبل السقم، وفي الفسحة قبل الضيق، فاسعوا في فناك رقابكم من قبل أن تغلق رهائنها)<sup>(٢)</sup>.

كذلك اهتم خبراء التنمية البشرية بالوقت وقررروا أن إدارة الوقت هي الالتزام الأساسي الذي يحدد جودة الحياة، وشبّهوا الوقت بسلعة سريعة التلف لا يمكن تخزينها ولا استبدالها ولا ارجاعها؛ وب مجرد أن تضيع، لا يمكن أن تعود مرة أخرى. فلا بدّ من استغلال الوقت في أمور ذات أهمية بالغة، بدلاً من قضائه في أمور تافهة<sup>(٣)</sup>، ويقول إبراهيم الفقي: «الوقت هو الحياة، هو أثمن ما تملك، وأعظم ما يمكنك استثماره، هو حياتك ودنياك، هو حاضرك ومستقبلك»<sup>(٤)</sup>.

وقد نهى الإمام علي عليهما السلام عن التسويف الذي يؤدي إلى ضياع الوقت، بقوله: (إياكم والتسويف في العمل؛ بادروا به إذا أمكنكم)<sup>(٥)</sup>، وهذا ما تهتم به التنمية البشرية القائلة: «يشترط التحلي بقدر هائل من الانضباط الذاتي للتغلب على التسويف الذي يعوق معظم الناس عن النجاح العظيم، ويقال أن التسويف هو سارق الحياة»<sup>(٦)</sup>.

(١) نهج البلاغة، ٣١ / ٣ / ٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ٥٨ / ٢ / ١١٣.

(٣) ظ: قوة الانضباط الذاتي، ٤٣.

(٤) سيطر على حياتك، ٨٠.

(٥) مستدرك نهج البلاغة، الميرجهاني، ١ / ٢٥٨.

(٦) قوة الانضباط الذاتي، ٤٤.

## المبحث الثاني

### التنمية البشرية على الصعيد المجتمعي

تحقق تنمية المجتمع عن طريق تنمية الأفراد، ثم مساهمتهم في التنمية المجتمعية العامة. ويقصد بتنمية المجتمع: تطويره وجعل أفراده يعيشون حياة أفضل عن طريق معالجة الفقر والبطالة والكسل والمرض وإنها الآفات المجتمعية؟ فلا بدّ من الاهتمام بالجوانب السياسية والاقتصادية وال عمرانية والإدارية التي توفر الأمان والأمان للشعب، فضلاً عن العلاقات المتبادلة بين الأفراد وأواصر التعاون والمحبة والسلام فيما بينهم. فكلما ازدادت علاقات الحبّ والودّ بينهم، ساهم ذلك في رقي مجتمعهم وتكامله، وبالعكس، وهذا يتحقق من خلال عدة طرق ذكرها الإمام علي عليه السلام، ولا يمكن تحقيق تنمية المجتمع ما لم تتحقق تنمية أفراده أولاً؛ لذلك فإنّ التنمية المجتمعية متوقفة على تنمية الذات الفردية، ثم تأتي التنمية المجتمعية تباعاً، ويمكن أن تتحقق عن طريق:

١ - الاهتمام بالجانب الاقتصادي والإداري: اهتم الإمام علي عليه السلام بالجانب الاقتصادي للبلد كونه يشكل الثروة التي تعين الرعية على المعيشة، وكذلك إدارة أمور البلد؛ فكان يوزع بيت المال على الجميع<sup>(١)</sup> ولم يترك فقيراً جائعاً في ظلّ حكومته. وكان يوصي عماله بالمسؤولية تجاه العباد والبلاد، بل المسؤولية حتى عن البقاع والبهائم<sup>(٢)</sup>، ونجد في عهده إلى الأستر النخعي قواعد تؤسس لنظام اقتصادي رائع في عمارة الأرض والرفق بالرعاية، منها قوله: (وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإنّ في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلّا بهم، لأنّ الناس كلّهم عيال على الخراج وأهله. ول يكن نظرك في

(١) ظ: مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي، ٢/٣٢.

(٢) ظ: الأنوار العلوية، جعفر النجاشي، ٤٧٨.

عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارءة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً<sup>(١)</sup>.

كما نرى التنمية البشرية تهتم بهذه الجوانب، كونها عاملًا مهمًا في تحقيق المجتمع السعيد القادر على الإبداع، فهي تؤكد استثمار الموارد والمدخلات والأنشطة الاقتصادية التي تولد الشروءة والإنتاج لتنمية القدرات البشرية عن طريق الاهتمام بتطوير البنى المؤسسية التي تتيح المشاركة والانتفاع بمختلف القدرات لدى كل الناس، وتوفير فرص العمل للأفراد وتقليل البطالة وتضييق الفجوة بين الأغنياء والفقراء مما يعالج حالات الملل والكسيل والخمول الطاغي على فئة الشباب وخلق شخصيات قوية مبدعة ومبكرة ومبتسمة للحياة<sup>(٢)</sup>.

٢ - الاهتمام بالجانب الأخلاقي: اهتم الإمام علي عليه السلام اهتماماً بالغاً بالتحلي بالأخلاق الحسنة، ووردت عنه كلمات كثيرة ترشد الناس إلى محاسن الأخلاق وتنهى عن الصفات الذميمة، فأوصى الإمام عليه السلام بالرفق واللين والرحمة والعفو عند المقدرة والتواضع، وغيرها من السلوكيات التي من شأنها أن تؤسس علاقات طيبة مع الآخرين، مما يعكس إيجاباً على تنمية المجتمع وسعادته وكماله. ومثال على حسن الخلق قوله عليه السلام: (عاتب أخيك بالإحسان إليه، وأردد شره بالإنعم عليه)<sup>(٣)</sup>، فالعتاب القولي قلماً ينفع، وفعل الإحسان يجذب القلوب ويوصل إلى المطلوب<sup>(٤)</sup>. فأمر بالإحسان إلى الشخص المستحق للعتاب، والإنعم على الشخص الذي يصدر منه شرّ؛ وهذا أسلوب رائع يذيب التبغض والشحنة بين أفراد المجتمع ويجوّلها إلى علاقات مودة واحترام، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا

(١) نهج البلاغة، ٥١ / ٣ / ٩٦.

(٢) ظ: التنمية البشرية، ٧٠ - ٧٢.

(٣) نهج البلاغة، ٤١ / ٤ / ١٥٨.

(٤) شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، ٣ / ٣ / ٨١.

السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي يَبْتَلِكَ وَبَيْتُهُ عَدَاوَةً كَانَهُ وَلِي حَمِيمٌ<sup>(١)</sup>. فهذه الأخلاق الحسنة تساعد على تحقيق حالة الاطمئنان الداخلي لدى الفرد وتشعره بالطمأنينة.

وهذا ضروري جداً في فن التنمية البشرية، إذ نلحظ أنّ من عوامل التنمية والسعادة هو تعلّم فن الابتسامة الداخلية، وتعني القدرة على تنمية قيم القبول والرفق والجود وحبّ الذات وحب الآخرين، وهذه هي حالة السلام الداخلي<sup>(٢)</sup>؛ وقد أرشدنا الإسلام على حالة السلام الداخلي هذه منذ قرون من الزمن.

٣- الاهتمام بالجانب الاجتماعي وال التواصل: اهتم أمير المؤمنين عليه السلام اهتماماً بالغاً بوحدة المسلمين والتكافل فيما بينهم ونشر روح التسامح والمحبة والعطاف على الفقراء والعدل وصلة الأرحام، لأنّ الفرد يعيش في هذا المجتمع، يؤثر فيه ويتأثر به، فلا بدّ من أن تُرسم ثقافة التواصل والعطاء بين أفراده، ويجثث التكبر والقطيعة والتدابر من أساسه. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِحْوَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>، لذلك يقول الإمام عليه السلام في وصيته: (وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع)<sup>(٤)</sup>؛ وهذا من شأنه أن يُنشئ مجتمعاً نامياً على أساس المحبة والسعادة والرضا.

وهذا ما نجده لدى فن التنمية البشرية، إذ التفتوا إلى فن تكوين العلاقات لأنّ الإنسان لا يستطيع أن يعيش منعزلاً عن العالم، فهو جزء لا يتجزأ منه فلا بدّ من النجاح في تكوين علاقات مع الآخرين لتكامل مهارات بعضهم بعضًا وتحقق مجموعة من الأفراد هدفاً مشتركاً<sup>(٥)</sup>، كما يوصي علماء التنمية البشرية بالحفاظ على العلاقات وتطويرها وتشجيع

(١) سورة فصلت، آية ٣٤.

(٢) ظ: حياتك الثانية تبدأ حين تدرك أن لديك حياة واحدة، رافائيل جيورданو، ٢٨٤.

(٣) سورة الحجرات، من الآية ١٠.

(٤) نهج البلاغة، ٣ / ٤٦.

(٥) الثقة والاعتزاز بالنفس، ٨٥.

الفريق على بناء علاقات مع الزبائن والممولين والشركاء والاستعداد للمساعدة عند احتياج بعضهم البعض والتواصل بفعالية<sup>(١)</sup>.

كما يعطي الإمام عليه السلام معياراً عظيماً يجعل الناس جميعاً إخوة؛ وهذا يدفع إلى التعاون والترابط ونبذ الفرقة والعمل الجماعي المشترك وغض النظر عن المفادات والعثرات، فيقول: (إِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخْ لَكَ فِي الدِّينِ، إِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ)<sup>(٢)</sup>، وهذا المعيار لم يتوصل إليه علماء التنمية البشرية بعد، وربما يذكرون مستقبلاً.

٤ - الاهتمام بالنشاط البشري وتحديد الهدف: اهتممت الشريعة الإسلامية بنشاط الفرد ومعرفته وتحديد هدف واضح أمامه يسير من أجل تحقيقه. فوجود الإنسان على هذه الأرض هو لأجل أداء رسالته في الحياة. وأجبت عن الأسئلة المصيرية التي تراود نفس الفرد: (من أين أتيت؟ إلى أين أذهب؟ كيف أسير؟) ووردت كلمات توضح كيف يتصرف الفرد في الحياة ليسير نحو السعادة الأبدية. ففي الحديث: (واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)<sup>(٣)</sup>، حيث تحفيز للفرد أن ينشط ويبارد في الأعمال المفيدة ما دام الهدف واضحًا والسعادة ممكنة، ونرى الإمام على عليه السلام يوضح الهدف أكثر ويبينه بلا غموض أو ضبابية، فيقول: (اعملوا ليوم تذخر له الذخائر، وتبلى فيه السرائر)<sup>(٤)</sup>، وتحديد الأهداف للأفراد والجماعات يجعل من المجتمع مجتمعاً تنموياً نشيطاً يبادر لاستثمار الفرص واستغلال الدنيا لسعادة البشرية والوصول إلى أقصى مراتب الكمال.

وقد قررت التنمية البشرية هذا، فلا بد من تحديد الأهداف، إذ لا يمكن أن تتحقق التنمية بدون تحديد هدف واضح فيبقى الفرد في حيرة، سائر.. ولكن إلى أين المسير، فكل

(١) التنمية البشرية، ١٤.

(٢) نهج البلاغة، ٥١ / ٣ / ٨٤.

(٣) جامع أحاديث الشيعة، البروجردي، ح ٢٣ / ١٤ / ٣٤.

(٤) نهج البلاغة، ١٢٠ / ١ / ٢٣٣.

شخص يسير ويمضي؛ فهناك من يمضي إلى طريق معلوم واضح المعالم؛ ومنهم من يغدو متخططاً ليس في جعبته من أسمهم الخير والرؤى المستقبلية الخيرة شيء<sup>(١)</sup>. يقول خبير التنمية: «هل لديك هدف في الحياة؟ كثيرون منا يعيشون الحياة ضائعين، ليس لهم هدف أو هوية أو مهام يتصدّون للقيام بها»<sup>(٢)</sup>، فعدم تحديد الهدف يدخل الفرد، ومن ثمّ المجتمع، نوبة فتور وخمول وكسل؛ وهذا يضرّ بالمصلحة العامة للمجتمع، لذلك كان هذا الجانب مهمًا لدى خبراء التنمية البشرية، وقد أكدته الشريعة منذ نزولها.

٥- العادات الشرعية: إن العادات الشرعية التي تمثل «برنامج للسعادة المادية والمعنوية للإنسان إذ تعرض عليه طريق السمو والتكمال»<sup>(٣)</sup>، تعدّ أفضل البرامج والسلوكيات التي تسير بالفرد والمجتمع نحو الكمال. فالواجبات الشرعية والمستحبات تأخذن نحو السمو والارتقاء، والنواهي والمحرمات تجنبه السقوط والهفوات. على سبيل المثال: في صلاة الجماعة تقف صفوف المصليين، يتساوى فيها الغني والفقير، والقريب والبعيد، في مكان واحد، خلف إمام واحد، متوجهين إلى قبلة واحدة، مما يساهم في تنمية المجتمع وتآخي أفراده؛ لذلك أمر الإمام عليه السلام عدم تفويت الصلاة إلا لعذر كالخروج في القتال، قال: (ولا تসافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة إلا فاصلاً في سبيل الله، أو في أمر تعذر به)<sup>(٤)</sup>. أمّا الصدقات الواجبة والمستحبة والكفارات والمساعدات المالية، فهي تعدّ برنامجاً للتكافل الاجتماعي وصيانة للفقراء من الفقر وال الحاجة؛ ومن ثمّ يؤمن المجتمع من الجرائم التي يمكن أن تنشأ من الفقر، قال عليه السلام في كتاب له إلى بعض عماله، وقد بعثه على الصدقة: ( وإن لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً وحقاً معلوماً، وشرفاء أهل مسكنة وضعفاء ذوي

(١) سيطر على حياتك، ١٤.

(٢) سيطر على حياتك، ١١.

(٣) الأفكار والرغبات بين الشيوخ والشباب، محمد تقى فلسفى، ١٣٤.

(٤) نهج البلاغة، ٦٧ / ٣ / ١٣٠، ووسائل الشيعة، ح ٦ / ٤٠٧.

فافة، وإننا موفوك حّكَ، فوفّهم حقوقهم؛ وإلا تفعل فإنك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة، وبؤساً لمن خصمته عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل. ومن استهان بالأمانة ورتع في الخيانة ولم يترّه نفسه ودينه عنها، فقد أحلّ بنفسه في الدنيا الخزي، وهو في الآخرة أذل وأخزى. وإنّ أعظم الخيانة خيانة الأمة، وأفطع الغش غشّ الأئمة<sup>(١)</sup>. فلو تطهّر المسؤولون عن الخيانة والغشّ، وأدّوا حقوق الفقراء والمساكين والرعاية، فإنّ النتيجة ستكون مجتمعاً تنموياً يعيش أفراده بأمان في ظلّ حكومة عادلة رحيمه؛ وهذا أوضح مظاهر التنمية البشرية في الجانب الاجتماعي.

فضلاً عن أمور أخرى ذكرها الإمام عليه السلام كالتواضع وقضاء حاجات الناس والرفق بالآخرين حتى مع الحيوانات، والعدل بين الرعاية والتعاون والاحترام وبر الوالدين ونصرة المظلوم، وغيرها من الأمور التي لا يسع ذكرها في هذه الوريقات لضيق المقام، تصلح لتنمية المجتمع وتغيير طاقاته الكامنة لخدمة الصالح العام وجعله يعيش حياة أفضل؛ وما هذا إلا تنمية بشرية بالمصطلح الحديث.

## الخاتمة

مفهوم التنمية البشرية هو مفهوم قدّمه القيادات البشرية في القرن العشرين، يهدف إلى تطوير الأفراد والجماعات وتحفيز طاقتهم لحثّهم على الإبداع.

تهدف التنمية البشرية إلى إدارة الوقت واستثمار الفرص والجد والنشاط ورفع المستوى المعيشي وتحقيق الرخاء الاجتماعي في جميع ميادين الحياة.

الدين الإسلامي دين تنموي يهدف إلى تحقيق السعادة للفرد والأمة والبشر في الحياة الدنيا والآخرة.

أسس الدين الإسلامي أسس التنمية منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان.

يعدّ رسول الإسلام محمد ﷺ ووصيه أمير المؤمنين عقبة وأهل البيت الأطهار عقبة المؤسسين الأوائل للتنمية البشرية من خلال تتبع سيرتهم وكلماتهم للبشرية.

بملاحظة أقوال الإمام علي عقبة يظهر جلياً أنه إمام معصوم، وكلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق؛ فدرر عظيمة وتوجيهات قيمة كهذه لا يمكن أن تصدر من عامة البشر.

الإسلام يؤسس لنظام اقتصادي ينعدم فيه الفقر والبطالة، ويسود فيه التكافل الاجتماعي، ويؤاخذ بين أفراده لتحقق الوحدة والمحبة والسلام.

التنمية البشرية في الإسلام لم تقتصر على الجانب المادي فقط، بل أولى الجانب المعنوي أهمية كبيرة.

الإمام علي عقبة لم يقتصر على تنمية البشر فقط، بل اهتم حتى بحقوق الأراضي والحيوانات.

يرى البحث أنّ التنمية البشرية هو فنّ سلوكي وتطبيقي أكثر من كونه نظريات؛ لذا فلا بدّ من توافر أرضية التطبيق على أرض الواقع لتحول النظريات إلى نتائج. وقد نجح أمير المؤمنين عليه السلام في تحقيق التنمية في ظلّ حكومته، كما نجح رسول الله ﷺ من قبله في قيادة الأمة وتحرير عقوها من الجهل والتخلف، واقتلاع العادات الجاهلية، وإحلال العادات الإسلامية؛ وما هذا إلّا تنمية بشرية على الصعيد الفردي والمجتمعي.

## المصادر

### القرآن الكريم

١. الأفكار والرغبات بين الشیوخ والشباب، محمد تقی فلسفی، (د.ت)، (د.ط).
٢. الإمام علی بن أبي طالب عليه السلام، أحمد الرحمانی الهمданی، ط ١، ١٤١٧ هـ، ٦٨٦.
٣. الأمثل في تفسیر کلام الله المنزل، ناصر مکارم الشیرازی، قم، ١٤٠٤ هـ.
٤. الأنوار العلویة، جعفر النقدي، ط ٢، المطبعة الحیدریة، النجف، ١٣٨١ هـ، ١٩٦٢ م.
٥. بحار الأنوار الجامعه لدرر أخبار الأئمه الأطهار، محمد باقر المجلسي، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.
٦. تحف العقول، ابن شعبة الحرّاني (ت ق ٤)، تھ علی أكبر الغفاری، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٤ هـ.
٧. تدريب وتنمية الموارد البشرية، عبد الكریم أحمد جمیل، ط ١، الرياض، ٢٠١٦ م.
٨. التنمية البشرية، ستایش علی، ط ١، مكتبة نور الالكترونية، ٢٠٢٠.
٩. التنمية البشرية في نهج البلاغة، صالح جبار القریشی، ط ١، مؤسسة علوم نهج البلاغة، كربلاء، ٢٠٢٠ م.
١٠. الثقة والاعتزاز بالنفس، إبراهیم الفقی، فری، ٢٠٠٧ م.
١١. جامع أحادیث الشیعه، حسين الطباطبائی البروجردي (ت ١٣٨٣ هـ)، المطبعة العلمیة، قم، ١٣٩٩ هـ.

١٢. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام، محمد بن أحمد بن ناصر الدمشقي، تحرير محمد باقر المحمودي، ط١، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٦هـ.
١٣. حياتك الثانية تبدأ حين تدرك أنّ لديك حياة واحدة، رافائيل جيورданو، ترجمة حسين عمر، ط٤، المركز الثقافي العربي، ٢٠٢٠م.
١٤. روائع نهج البلاغة، جورج جرداق، ط٢، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤٩٧هـ، ١٩٩٧م.
١٥. سيطر على حياتك، إبراهيم الفقي، ط١، دار اليقين، مصر، المنصورة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
١٦. شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ)، تحرير أبو الحسن الشعراوي، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
١٧. شرح رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين عليه السلام، شرح حسن علي القبانجي، ط٢، ١٤٠٦هـ.
١٨. شرح كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عبد الوهاب (ت ق ٦)، تحرير جلال الدين الحسيني، ١٣٩٠هـ.
١٩. العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، جعفر السبحاني، تحرير جعفر الهادي، ط١، مؤسسة الصادق، قم، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
٢٠. الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحرير محمد القائيني، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١٨هـ.
٢١. قوة الانضباط الذاتي، براين ترسبي، مكتبة جرير، السعودية.

٢٢. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، تصحيف علي أكبر الغفاري، ط ٥، دار الكتب الإسلامية، ايران، ١٣٦٣ ش.
٢٣. لسان العرب، بن منظور (ت ٧١١ هـ)، ط ١، أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥ هـ.
٢٤. المحسن، أحمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤ هـ)، تصحيف جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٠ هـ.
٢٥. مستدرك نهج البلاغة (مصابح البلاغة)، محمد حسن الميرجاني (ت ١٣٨٨ هـ)، (د.ط)، ١٣٨٨ هـ.
٢٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، تصحيف عبد السلام محمد هارون، مكتب الاعلام الإسلامي، ايران، ١٤٠٤ هـ.
٢٧. المفاتيح العشرة للنجاح، إبراهيم الفقي، المركز الكندي للتنمية البشرية، ٢٠٠٠ م.
٢٨. مناقب الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ، محمد بن سليمان الكوفي (ت ٣٠٠ هـ)، تصحيف محمد باقر المحمودي، ط ١، مجمع أحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٢ هـ.
٢٩. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ الْكَلَمُ في الكتاب والسنّة والتاريخ، محمد الريشهري، ط ٢، دار الحديث، قم، ١٤٢٥ هـ.
٣٠. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ط ١، دار الحديث، قم، ١٣٧٥ ش.
٣١. النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، العلامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ)، تصحيف المقداد السيوري، ط ٢، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م.
٣٢. نهج البلاغة، خطب الإمام علي عَلَيْهِ الْكَلَمُ، تصحيف محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٢ هـ.
٣٣. وسائل الشيعة، الحرج العاملية (ت ١١٠٤ هـ)، ط ٢، مؤسسة آل البيت، قم، ١٤١٤ هـ.



**التنمية البشرية  
من منظور الخلافة العلوية**

**الباحث**

**د. ذو الفقار جواد ناجي جاسم**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله الذي خلق كُلَّ شيءٍ وقدره، الرزاق الذي يعطي من سأله ومن لم يسأله تحنناً منه وفضلاً، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، وأفضل الصلاة وأتم السلام على على القلب الرحيم، عليه أفضـل الصلاة وأتم التسليم، وعلى آله عليهم السلام كلمة الحق والدليل لإنقاذ البشرية مما هم فيه.

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أكبر من أن يوصف شخصاً أو نهجهاً، فعلى من يريده الكتابة عنه عليه الوضوء بباء الحقيقة، واستنشاق هواء الحرية، والاستضياعة بنور الولاية، والعمل بمنهج البيعة، والخروج من ذلّ المعصية إلى عزّ الطاعة حتى نستطيع الوصول إلى تلك الهمة النورانية التي أوجدها الخالق للخلق لينقلهم من غياب الجب إلى نور الرضا والطاعة. يظهر بشكل واضح وجلٍّ أنَّ الإمام علي عليه السلام كان بحق خليفة الله في أرضه فنجد أثاره واضحة في كلِّ الحضارة الإسلامية من اليوم الأول حتى وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقد الأمة وتحول بها من أرض الحجاز إلى أرض العراق ليشرع بأرض جديدة وبمنهج جديد وبأشخاص جدد، واستثمر كلَّ الطاقات واستنهض كلَّ العزائم والهمم ليقدم أنموذجاً جاماً حول إدارة الدولة، وبناء المؤسسات، وحفظ الناس، وحماية الدين، وصيانة الأفكار، ورعاية الحقيقة. فانتقل عليه السلام بال المسلمين نحو المجتمع المتكامل والمتكافل، فلا يظلم فيه القويُّ الضعيف، ولا يجور الحاكم على المحكوم، وكلَّ الناس أحراز؛ وهم صنفان: أخ في دين أو نظير في خلق. فعدالة النساء تجلَّت بعداته عليه السلام، فاعتنى غاية العناية بالناس -كلَّ الناس- وبالذات الضعفاء والفقراء وذوى الحاجة من المسلمين

وغيرهم، حتى جعل العطاء كما جعله نبي الرحمة محمد ﷺ، ولم يجامِل في دينه ولم تأخذه في الله لومة لائم.

وبناء على ما سبق أحببت أن أجعل بحثي (التنمية البشرية من منظور الخلافة العلوية) إذ اخترت هذا العنوان لأنها فـي قيمة الأفكار العلوية في الحضارة الإسلامية ودورها في بناء المؤسسة الإنسانية وفق رؤية تنموية. لذا تكمن أهمية هذا البحث في توضيح البرامج في الخلافة العلوية لمعالجات المشكلات المجتمعية بشكل عام ومشكلات الإنسان وذوي الاحتياجات الخاصة بشكل أخص.

فيهدف هذا البحث إلى الهدف العام: تقديم قراءة جديدة في النهج العلوى لمعالجة الظواهر المجتمعية التي تخص وترتبط بالإنسان بشكل مباشر على أساس منطقة فاعلة ومنتجة في كل زمان ومكان.

المُدفَّعُ بالْمُدْفَعَةِ: إيضاح قيمة الأفكار العلوية في معالجة الحالات المجتمعية من جانب والبناء المجتمع من جانب آخر وإظهار الطرق والآليات في التغيير والتطوير والتقييم للأفراد للانتقال بهم نحو بيئه صالحة مُنتجة نافعة خالية من الضعف والفتور والجوع والعوز وغيره.

أما خطوة هذا البحث: مقدمة ومبحثين كان المبحث الأول: قيمة الإنسان، والمبحث الثاني: حماية الإنسان، المبحث الثالث: حفظ الإنسان، وثم خاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

## المبحث الأول

### قيمة الإنسان

النظرة الإسلامية العلوية للإنسان: الإسلام العلوى هو إنسانية الإنسان والمعروفة في هذا المنهج هي المحور في خلق الكون<sup>(١)</sup>، والعقل البشري هو المحور في خلق الإنسان<sup>(٢)</sup>، والعلم هو المحور في خلق العقل البشري<sup>(٣)</sup>. فالعلم والعقل صنوان لا يفترقان حتى يصلا إلى بر الحقيقة، ومتى ما افترقا فرط بالدليل والمرشد. فكانت المعرفة هي القاعدة الكبرى لخلق الإنسان، ولها ركنان أساسيان هما: الركن الأول: خلق العقل كما في الحديث القدسي. قال الخالق: (خلق الله) العقل فاستنبطه فقال له أقبل فأقبل، وقال له أدبر فأدبر فقال الله وعزتي وجلالي ما خلقت شيئاً أحب إلى منك؛ بك أثيب وبك أعقاب<sup>(٤)</sup>، الركن الثاني: رُدف العقل بالعلم كما قال الخالق في كتابه العظيم: ﴿وَعَلَمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾<sup>(٥)</sup>، إذ المعرفة هي الحقيقة أو الوقوف عليها أو الوصول إليها. ومن هنا دعا الخالق في آياته المباركة

(١) لما أراد الله تبارك وتعالى أن يخلق آدم عليه السلام أمر جبريل عليه السلام فقال: أتيني من الأرض من زواياها الأربع، من أسودها وأحمرها ومن طيبها وحزتها وسهلها، فلهذا وقع التفاوت بين العباد في الصورة والرحة.

الصحابي، أبو المنذر سلمة بن مسلم العتبى الأزدي (ت: ١١١٨ هـ / ١٥١٢ م)، كتاب الإنسان، ج ١، ص ٢٠.

(٢) كرم بنى آدم بما شاء من نعمته، وفضلهم على كثيراً من بريته، بما ركب فيهم من العقل الذي يستدل به على وحدانيته. البيهقي، المدخل إلى علم السنن، ج ١، ص ١٣.

(٣) إن الاحياء الناطقين والحكماء المتقدمين، فرقوا بين الجماد والحيوان بالحياة، وفرقوا بين البهيمة والانسان بالعقل، وفرقوا بين الشريف والخسيس بالعلم، فالعقل الطبيعي اصل للعقل الكسي الذي يستفاد بالتعلم ويعلم بالدرس والتأمل. الحضرمي، كتاب السياسة او الإشارة في تدبیر الامارة، ص ١٩.

عن نبی الرحمة ﷺ (يعملون الناس الخير ويعطون اجرهم على قدر عقوبهم). الترمذى، رياضة النفس، ص ٦٧.

(٤) الحر العاملی، الجوادر السنیۃ فی الأحادیث القدسیۃ، ص ٢٨٠.

(٥) سورة البقرة: الآية ٣١.

بني الإنسان إلى التفكير والعمل وإعمار الأرض والتکاثر بالنوع والكم معًا أي لا يكون أحدهما على حساب الآخر، وهذا في كل الشرائع. والجليّ أنّ الدين واحد والشرائع متعددة تبعًا للزمان والمكان، وعلى هذا تالت الرسالات والرسل والأنبياء. فجاء نبی الرحمة بخاتم الشرائع، فكان هو الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل والمهيمن على ذلك كله. فكُلّ شيء نريد به خيراً علينا الاحتكام إلى التدرج والنظام والتنظيم، وهي مقومات الإصلاح. فالإسلام يؤكّد قيمة التفكير والتفكير والتنظيم في نقل الإنسان من مكان إلى مكان أفضل كما في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: (التفكير ساعة حير من عبادة سنة)<sup>(١)</sup>، وأيضاً ما قال الشافعی: الفضائل أربع إحداها الحكمة وقوامها التفكير، فالإسلام العلوي أعطى الإنسان الحرية في البحث والتنقيب للوصول إلى الحقائق والقناعة النابعة من الذات<sup>(٢)</sup>، وكل هذا يحتاج إلى وسيلة حاكمة ومحكمة تقرّب من الصواب إن لم تُصب قلب الحقيقة، فالمنطق هو خير وسيلة وأداة للسعی في الوصول، ولتحديد المسار وعدم الخروج عنه وعليه، فالإنسان سلطان الموجودات وسيد المخلوقات والدين سيد السلطان لا سيما الدين الجامع لكل الشرائع كما قال الخالق: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>(٣)</sup>. فالقاسم المشترك بين كل الشرائع والعلوم والمعارف هو الإنسان، ولكن هناك صفات ليكون هذا الإنسان فعلاً هو بقدر المسؤولية التي كلفه بها الخالق للخلافة كما في الحديث القدسي: (عبدي أطعني أجعلك مثلي)<sup>(٤)</sup>، وعن الإمام الصادق عليه السلام: (من أراد عزًا بلا عشيرة، وغني بلا مال، وهيبة بلا سلطان، فلينتقل من ذل معصية الله إلى عز طاعته)<sup>(٥)</sup>، وهنا تظهر عظمة الإنسان ودوره

(١) الغزالی، احیاء علوم الدين، ص ١٧٩٨.

(٢) قسم مطهري الذات إلى أنواع: الفطريّة، الفلسفية، العرفانية، الرسالية، العالمية. مطهري، مرتضى، خليفة الله الإنسان الكامل، ص ٨٨-٩٣.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٤) الحر العاملی، الجوهر السنیة في الأحادیث القدسیة، ص ٢٨٤.

(٥) الصدوق، كتاب الحصالص ١٦٩.

وأهميته في نظر خالقه ولكن يتجلّى أكثر في الحديث القدسي الذي يميز دوره ويتسير كل شيء لأجله: (عبدي خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلني، وهبتك الدنيا بالإحسان والآخرة بالإيمان<sup>(١)</sup>). وفي الحديث القدسي هذا تظهر قيمة الإنسان على جانبيين:

الجانب الأول: خلق الخالق كل شيء في الكون من أجل الإنسان<sup>(٢)</sup>، فهو الأفضل على وجه البساطة من مخلوقات.

الجانب الثاني: وهو الأعظم، إذ خلق الإنسان من أجل الخالق: وهذا فخر ما بعده فخر فعليه أن لا يعبد غيره<sup>(٣)</sup> فالإنسان يمرّ بمراحل حتى يصل إلى الخلافة الحقيقة وإعمار الأرض والبناء التام وهي: (المراحل الجسدية، المراحل النفسية، المراحل العقلية، المراحل الروحية)<sup>(٤)</sup>. وهذه مراحل درست وعمل عليها الإنسان دون الأديان عبر السنين ولم ينجح في تحقيق ما يصبو إليه. والدليل هو أنّ الفكر الإنساني كان يعتبر المال هو محور التطور والازدهار والتقدم في أيّ آمة؛ إلا أنّ مع تقادم الزمن اتضحت أنّ الإنسان هو المحور وأساس في كلّ جانب من جوانب الحياة وبدونه ليس هناك تنمية أو تطور. ومن جانب آخر، فإنّ الدين يمتلك الإحاطة التامة بمصالح الإنسان ومفاسدة كما وصف الخالق المخلوق بالعديد من الألفاظ في القرآن العظيم لإظهار الإحاطة به وبكل جوانب حياته:

(١) الحر العامل، الجوادر السنوية في الأحاديث القدسية، ص ٢٨٤.

(٢) أنك إذا تأملت هذا العالم بفكرك وجدته كالبيت المبني، المعد فيه جميع ما يحتاج إليه، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجم منصوبه كالمصابيح، والجوادر مخزونة كالذخائر، وكل شيء في ذلك معدًّا مهيئًا لشأنه، والإنسان كالمالك للبيت المخول لما فيه، فضروب النباتات لماربه، وأصناف الحيوانات مصرفه لمصالحة. الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله، ص ١٥.

(٣) عن النبي الرحمه ﷺ (لا طاعة لبشر في معصية الله). أبو يعلى الموصلي، المسند الصغير برواية أبي عمرو محمد بن أحمد الحميري، ج ١، ص ٣٣٤. أو في لفظ آخر عن النبي الرحمه ﷺ (لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف). المناوي، كشف المناهج والمناقح في تخريج أحاديث المصابيح، ج ٣، ص ٢٦٧.

(٤) مطهري، خليفة الله الإنسان الكامل، ص ٢٠-٢٨.

١-إنسان: ﴿لَقَدْ حَلَقْنَا إِلَيْهِ إِنْسَانًا فِي أَحْسَنِ تَفْوِيرٍ﴾<sup>(١)</sup>.

٢-إنسي: ﴿وَمَا حَلَقْتُ الْجِنَّةِ وَإِلَيْهِ إِنْسَانٌ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣-بشرى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

٤-الناس: ﴿... جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup>.

٥- ادمي: ﴿يَا أَبَنِي أَدْمَحُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّوا وَاشْرُبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

ومن هذا الآيات المباركة نعرف عظيم خطر الإنسان، وفي الوقت نفسه، عدم السهو أن العقل البشري قاصر عن إدراك كل ما يحتاجه إلا بوجود المعرفة التي تحصنه عن الشهوات والهوى. لذا تبقى تشريعات الإنسان غير شاملة وغير كاملة ويعتليها النقص الظاهر لأن الإدراك الكامل في مصلحة البشر يعود لرب البشر، ولو لا ذلك لكان إرسال الرسل والأنباء والأوصياء عبشاً، وإقامة الشرائع لا جدوى منها إذا كان العقل البشري مدركاً لكل الجزئيات والكلليات والمصالح والمقاصد.

ومن هنا نعرف أنّ بغير الدين لا يستقيم شيء؛ فكيف بنا ونحن في ظل المنهج العلوي، والدين الشامل الخاتم، وقرآن العظيم الذي أكدت آياته القرآنية الكريمة ذلك: ﴿وَرَأَنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى﴾<sup>(٦)</sup>. فالإسلام العلوي كرم العقل

(١) سورة التين: الآية ٤.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٣) سورة يوسف: الآية ٣١.

(٤) سورة الرعد: الآية ١٧.

(٥) سورة الاعراف: الآية ٣١.

(٦) سورة النحل: الآية ٨٩.

بتكرير الإنسان وكرم الإنسان بتكرير العقل؛ فيه ومنه ينشق تكرير العالم على الرغم من أن العقل وسيلة يحتاج إلى مرشد، وقاعدة انطلاق صلبة؛ وبخلافه، يؤدي عدم إعطاء الأمور حقّها إلى إضاعة الحقّ، وهذه الحقيقة التي لا مفرّ منها. فالإنسان وعقله إذا صيغاً بشكل حكم وفق النصوص الدينية الصحيحة الصالحة يكون الناتج عظيماً والعكس صحيح. والأقوال التي سبقت لا تقلل أو تنقص من العقل، بل تفصل وتعطي كل شيء حقّه؛ فمن اقتدى به، ومن احتفظ نحني. فالآحاديث تعطي قيمة للعقل على أن يكون ضمن الحد الواقعى كما جاء عن الإمام علي عليه السلام: (ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل. فنوم العاقل خير من سهر الجاحد)<sup>(١)</sup>، قوله عليه السلام: (حجّة الله على العباد النبي، والحجّة فيما بين العباد وبين الله العقل)<sup>(٢)</sup>. ومن يزحزح العقل عن موضعه هي الغرائز عند زیادتها عن حدّها تنقلب إلى الضدّ. ومن أبرز الغرائز هي «الخلود والسلطة والمال والأولاد والتملك» وهذا ما لا يصحّ ولا ينفع الفرد ما لم يكن ضمن إطار المسؤولية. فيمكن الخروج برأيه هي الفيصل بين العقل البشري ودوره وبين التشريع ودوره ونذهب إلى ما طرّه السيد الصدر في مقارنة العقل البشري المجرد والقوانين الوضعية من جانب والقانون الإلهي التشريعي من جانب آخر: (إنّ البدائل الذي يمكن أن يكون بدليلاً عن الإسلام أحد أمرتين لا ثالث لها: إما عدم النظام في المجتمع إطلاقاً، وإما القانون الوضعي الذي يسنّه البشر بغض النظر عن الرسالات الإلهية، وكلا المطلبيين محل إشكال وليسوا بصحيحين... وتعيين أن نظام الإسلام هو العدل الكامل)<sup>(٣)</sup>، وهنا يفتقد السيد الصدر البدائل السابقة: البديل الأول: عدم وجود النظام إطلاقاً في المجتمع فهذا طبعاً واضح جداً أنه ساقط بنفسه... أي يصبح المجتمع الإنساني شريعة الغاب، البديل الثاني: القانون الوضعي له مصدراً: إما العقل

(١) شيخ الإسلام، حسين، هداية العلم في نظم غرر الحكم، ص ٤٣٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٨١.

(٣) الصدر، محمد محمد صادق، منبر الصدر خطب الجمعة في مسجد الكوفة، ص ١٢٨ - ١٣١.

وإما النقل. إما أن المقنن يحكم عقله في إدراك المطالب ويكتب قانونه، وهذا على أحسن التقاضير. وإما أنه يحكم نفسه وشهواته ومصالحه الخاصة؛ وكلا الأمرين ساقطان... وهناك من قال أن العقل البشري مدرك لشيء من الصواب<sup>(١)</sup> ولشيء من العدل... ولكن بخطوة ثانية هل إن العقل يدرك ذلك في كل الأشياء؟ وكذلك عندنا ما يسمى بالمزاجة<sup>(٢)</sup>، وهنا تتحقق بصورة واقعية لنا أن لا معرفة دون علم، ولا علم دون عقل، ولا عقل دون إنسان، ولا إنسان دون سبب، ولا سبب دون الخالق. فالحق في الخلافة العلوية طريقه واضح وسراجه مُنير وبابه مُشرع، ففيه أهل العلم إذا عملوا صدق فيهم ما قاله الإمام علي عليه السلام:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم	على الهدى من استهدى أدلةً
وقدر كل أمريء ما كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء
فَقُرْبُ عِلْمٍ تَعْشُ حَيَاً بِهِ أَبْدًا	الناس موتى وأهل العلم أحياه <sup>(٣)</sup>

بل وأكثر من ذلك، ما أكدته الأحاديث المباركة؛ قال نبي الرحمة ص: (إنما العلم بالتعلم)<sup>(٤)</sup>، وهنا الخطوة المرحلية الأولى في فهم الحياة والوقوف على مطالبتها ومتطلباتها. وعنـه ص: (مؤنس في الوحدة، وصاحب في الغربية... وزين الأخلاء، يرفع الله به أقواماً... لأن العلم حياة القلوب ونور الأ بصار من العمى وقوة الأبدان من الضعف)<sup>(٥)</sup>، وفيما قسم

(١) سؤال الإمام الحسن عليه السلام (ما حفظت من رسول الله ص قال: حفظت دع ما يرييك إلى ما لا يرييك).  
النسائي، سنن النسائي، ص ٥٧٥.

(٢) صدور حكمين من الشارع وتدفعهما في مقام الامتثال اتفاقاً، إما لعدم القدرة على الجميع بينهما أو لقيام الدليل من الخارج على عدم ارادة الجمع بينهما. الزركشي، البحر المحيط في اصول الفقه، ج ١، ص ١٢٣.

(٣) الغزالى، إحياء علوم الدين، ص ١٤.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، ص ٢٥.

(٥) الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ص ٤٨.

أبو عبد الله عليه السلام الناس إلى ثلات من حيث التعلم والعلم فقال: (عالم ومتعلم وغثاء)<sup>(١)</sup>، فالكون منظم ويظهر تقسيم الأدوار بين العلم والعقل والشريعة ومن هو الحاكم ومن هو المحكوم، كما قال نبي الرحمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ: (الحكمة ضالة المؤمن)<sup>(٢)</sup>، ومن يملك هذا المفتاح يصل إلى مصافي إدراك عظمة الخلق والخلق والحياة والآخرة. وما لا شك فيه ولا ريب أنّ المنهج العلوي هو البوابة الحقيقة لتحقيق الذات. ومثال على ديمومة القواعد العلوية قول الإمام الصادق ع: (حلال محمد صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ حلال أبداً إلى يوم القيمة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيمة)، وإنّ سعي الإنسان في كلّ عصر إلى التغيير والتغيير نحو الأفضل واضح، ومن النماذج الواضح.

(١) الكليني، كتاب الكافي، ج ١، ص ٢٣.

(٢) الصدوق، كتاب الامالي، ص ٢٩٠.

## المبحث الثاني

### حماية الإنسان

الإمام علي عليه السلام يرشدنا إلى أن الحماية والوقاية التي رسمتها الدولة الإسلامية العلوية التي تستمد قواعدها ونصوصها من مصادرها العليا القرآن العظيم والأحاديث القدسية والأحاديث النبوية. وهذه المصادر معصومة من قبل الخالق وهي غير قابلة للتجزئة أو الفصل أو التبعيض لأنها شاملة كاملة نافعة لكل البشر في كل زمان ومكان وتهتم بالإنسان بشكل يجعله الخليفة على وجه هذه الأرض ويكون كما أراده الخالق معمراً لها بالعلم والعمل الصالح، لأن الدنيا دار بلاء وعناء والآخرة دار بقاء. فعليه العمل بما أعطى الإمام علي عليه السلام من الأسس التي لا بد من مراعاتها كي يتحقق العدل والخير بين الناس ولا يظلم أحد أو يحتاج شيء. فيقدم لنا الإمام علي عليه السلام تلك القواعد الكلية الجامدة المانعة في التعامل مع جميع الحالات التي يمكن أن تمر بها الدول ومؤسساتها من جانب، والفرد ومكانته وقيمة الإنسان من جانب آخر، للانتقال به نحو الأفضل بشكل يضمن انحصر جميع العقبات والمشكلات.

#### الأسس العشرة لحقوق الإنسان في الفكر العلوي

أولاً: الإنسان المجرد عن كل التسميات: وهو الإنسان المقدر لذاته لأنّه خليفة الخالق.

ثانياً: الانتماء والولاء للفكرة الصالحة: إصلاح الحقائق المراد إيصالها إلى الفرد.

ثالثاً: التنمية والتطوير والارتقاء: إعداد الفرد بشكل تام ليرتقي بنفسه بكل المستويات.

رابعاً: العدالة الكلية والمساواة: إعطاء الحقوق للناس على أساس ما شرعة الخالق.

خامساً: الحفاظ على الحياة والصحة: إبعاد كل ما يقلل من فرص الإنسان في حياته الطيبة.

سادساً: الإدارة والاقتصاد والعمل: رسم خطط نافعة تحقق الغايات التي تجعل من الفرد منتجًا.

سابعاً: التعليم والتعلم والمعرفة: بناء البشر بطرق تسمو بهم نحو المعالي وتحقيق الذات.

ثامناً: التدريب والإعداد والتهيئة: عملية دفع الفرد ليكون مميزاً بكل شيء في حياته دوماً.

تاسعاً: التقييم والتقويم والمتابعة: كسر حواجز الخوف والتردد والكسل والانطلاق الصحيح.

عاشرأً: التخطيط والتسويق المتعدد: إظهار كل الطاقات بشكل يجعل الفرص والخيارات متاحة للجميع<sup>(١)</sup>.

### الأسس العشرة لحماية الإنسان في الفكر العلوي

أولاً: حماية الدين: إذا أطمئن الفرد على دينه انطلق نحو إصلاح حياته بشكل صحيح.

ثانياً: حماية الروح: إذا أطمئن الإنسان أنه تحت الرعاية يعطي كل ما يستطيع للجميع.

ثالثاً: حماية الحقوق: إعطاء الحقوق وأخذ الواجبات يتحقق توازناً في استمرارية الحياة.

رابعاً: حماية العرض: متى ما شعر الإنسان بالطمأنينة الداخلية والخارجية أبدع في كل شيء.

(١) السلامي، ذو الفقار جواد ناجي، التنمية البشرية في التاريخ الإسلامي في القرن الأول والثاني الهجري، ص ٧٧.

**خامساً**: حماية الأرض: احترام الإنسان وحماية أرضه يجعل منه فرداً صالحاً ومصلحاً ونافعاً.

**سادساً**: حماية المال: الوسيلة الوحيدة التي من خلالها يؤمن الفرد قوته ومن معه للحفاظ على الكيان الاجتماعي المتنوع لمن حوله من أسرة وأفراد.

**سابعاً**: حماية العمل: متى ما استند الإنسان إلى مصدر يحقق له استحقاقه المادي والمعنوي سعى في الحفاظ عليه وتطوره وحمايته.

**ثامناً**: حماية السوق: تلك البيئة التي تجري عبرها كل المعاملات بين الأفراد ومتى ما استقرت استمرت وازدهرت لتعطي ثمارها.

**تاسعاً**: حماية الولد: هو حفظ النسل والخلافة وحفظ ذلك الحق الذي لا يوجد ما هو أهم منه.

**عاشرأً**: حماية المستقبل: هو التخطيط المحكم لعدم الانهيار في المنظومة الكلية والجزئية<sup>(١)</sup>.

من خلال ما تقدم من القواعد الكلية المستنبطة من نهج البلاغة العلوى يكون العمل على محورين أساسين: أولاً حفظ الإنسان من الجانب الحيatic وحمايته من الجانب المادي. ثانياً الانتقال بالإنسان نحو البناء التام للخلافة على وجه هذه الأرض وإصلاحها.

فحماية حياة الإنسان في المنهج الإسلامي العلوى: يعلم الإمام علي عليه السلام كيفية حماية الإنسان، وهو كل فرد يراد به خليفة على وجه هذه الأرض، وإن الأمة القوية تكون قوية في أهلها وأرادتها وأدارتها واتباعها القائد الصالح<sup>(٢)</sup>، القائد الذي يرشدها نحو الخير والحق

(١) المرجع نفسه، ص ٨١.

(٢) عن الإمام علي عليه السلام: أعلم أن الملك العظيم يحسن به أن يكون في تصارييف تدبيره وسياسة أموره متشابه بطبع ثمانية: الغيث والشمس القمر والريح والنار والماء والأرض والموت. للتفصيل أكثر ينظر: الشيرازي، النهج المسلوك في سياسة الملوك ونهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ١٥٢.

لتصبح حضارة وتبني تاريخاً وأجيالاً ويكون لها ترااثها، فكانت الرؤية العلوية المبنية على الحكمة والتخطيط من بناء الفرد، ومن ثم لكل المسلمين، ومن ثم لكل العالم. ويحدث ذلك من خلال مجموعة أسس مهمة في التفكير السليم المرتبط بالعقيدة هي: (النظرة الروحية للحياة والكون بصورة عامة والطريقة العقلية في التفكير والمقياس العملي)<sup>(١)</sup>، وهذا ما حدى بال المسلمين إلى تغيير أفكارهم ثم تغيير أسلوب حياتهم، وهو ما سهل على المنهج العلوى إنجاح الخطة التي وضعها للخلاص من الماضي والانطلاق نحو الدولة الكاملة، حتى أحكم الإمام عليه السلام زمام الأمور وقسم الأدوار وقام بإعطاء الأدوار لإدارة الدولة وتحقيق التوازن داخلها. وهنا بانت ملامح الدولة العلوية التي جعلها الإمام عليه السلام قوية وناجحة من أول لحظة لتكوينها، إذ رسم لها المنهج الصالح بسرعة تامة لأنها شهدت توسيعاً وتغيراً بعد الانتقال إلى الكوفة. ومن أسباب نجاح الدولة العلوية هو وجود مبدأ الشورى رغم وجود العصمة؛ وهذا ما عزز القوة في صفوف المسلمين بما يسمى في يومنا الحكم الديمقراطي. فقد انتهج الإمام عليه السلام الديمقراطية الإنسانية، ومن المعايير التي أوجدها المنهج العلوى في التوظيف لأصحاب المسؤولية في مواقعهم هي: (القوة، الأمانة، استعمال الأصلح، الحفظ، العلم)<sup>(٢)</sup>. ومن هنا نأخذ نموذج الحكم الصالح؛ ومثال على ذلك رسائل الإمام عليه السلام إلى ولاته، و منهم الصحابي مالك الأشتر، والصحابي محمد بن أبي بكر، إذ ورد في هذه الرسائل وصايا إنسانية وإدارية ومضامين عظيمة شهد بها القاصي والداني في كل زمان. ومن أهم المهام الإدارية في رسائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هي تحديد التكليفات، وبيان ما يحصل به التوفيق والسداد، وبيان طبيعة المكان وطبيعة الإدارة فيه، وأيضاً ما قام به الإمام عليه السلام من نقل الخلافة من المدينة المنورة في الحجاز إلى مدينة الكوفة في العراق (هذا العمل يدل على عبرية البطل المجدد، الذي لا يرهبه التجديد ولا يخاف الانبعاث في حياة

(١) الصدر، محمد باقر، كتاب رسالتنا، ص ٣٠-٣٤.

(٢) الأشعري، مقدمة في الإدارة الإسلامية، ص ٢٤٣-٢٣٧.

الأمة. وقد كان صنيعه تجديداً كلياً يكاد يكون ثورة على جفاف الجزيرة العربية وفقراها المذهب، إلى رفاهية العراق وعظمته موارده وسعة ثرواته وجلاله عمارته وكثرة أنصاره<sup>(١)</sup>، وتعدّ هذه خطوة كبيرة في مسيرة الإسلام والخلافة والإدارة الإسلامية، وداعز قوة الدولة وربط الإدارة بالعلم والمعرفة قول نبي الرحمة ﷺ: (من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح)<sup>(٢)</sup>، فبرزت لنا مظاهر عديدة تربط الدولة العلوية بالمعارف والعلوم بجميع المستويات وهي لارتقاء بالفرد وتوظيف قدراته:

- ١-الإدارة العامة: توظيف الجهود العامة توظيفاً لائقاً وفاعلاً وحاملاً للمسؤولية.
- ٢-الإدارة الخاصة: تؤدي دوراً مهمأً في فرض أصول الحلال والحرام في الأعمال.
- ٣-علم الاجتماع: بناء العلاقات الاجتماعية بما يخدم العمل وأسلوب الحياة.
- ٤-علم النفس: التحفيز المعنوي والروحي والمادي وتوجيه انطباعاته السلوكية.
- ٥-القانون: العودة إلى الشريعة الحنيف في كل الأحوال لكبح النفوس الضعيفة.
- ٦-الاقتصاد: تهتم الدولة الإسلامية بالتنمية الاقتصادية لخدمة الناس جميعاً.
- ٧-الطب: تعميق مفهوم التعامل الإنساني الرحيم بين الموظفين والمرضى<sup>(٣)</sup>.

ومن أهم مهام الإدارية للنهوض بالمجتمع مهمة القضاء لذا الإمام علي عليه السلام قسم القضاة إلى أربع: «قاضٍ قضى بالباطل، وهو يعلم أنه باطل فهو في النار، وقاضٍ قضى بالباطل، وهو لا يعلم أنه باطل فهو في النار، وقاضٍ قضى بالحق وهو لا يعلم أنه حق فهو في النار، وقاضٍ

(١) أبو محمد، رضا صاحب، السياسة المالية في عهد الإمام علي عليه السلام، ص ٢٧-٢٨.

(٢) الكليني، كتاب الكافي، ج ٢، ص ٢٩.

(٣) السلامي، ذو الفقار جواد ناجي، التنمية البشرية في التاريخ الإسلامي في القرن الأول والثاني الهجري، ص ١١.

قضى بالحقّ وهو يعلم أنه حقّ فهو في الجنة<sup>(١)</sup>، ونرى ذلك واضحاً في مسألة التدوين أيضاً عند الإمام علي عليه السلام للارتقاء بالمجتمع (أشار على عمر بن الخطاب باتخاذ المиграة مبدأ للتاريخ الإسلامي؛ وهذا الموضوع له أهميته الكبيرة في تدوين الواقع والأحداث وتسهيل الأعمال وتحديد مواعيد الفرائض والمناسك الدينية وما يحتاج إلى تاريخ)<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً من أبرز الأعمال التي قام بها الإمام علي عليه السلام في إدارة الدولة الجديدة في الكوفة خدمة المجتمع فعمل على ثلات جوانب وهي:

أولاًً المباديء الكلية: مبدأ العلاقات الإنسانية؛ مبدأ التواضع؛ مبدأ المساواة؛ مبدأ العدل؛ مبدأ الشورى؛ مبدأ العمل الجماعي؛ مبدأ اختيار الأصلح لأداء العمل؛ مبدأ محاسبة النفس؛ مبدأ الإشراف والمراقبة<sup>(٣)</sup>.

ثانياً التنظيم والاختيار: عزل العمال والولاة السابقين؛ تغيير مكان الحكم وموقعه؛ ملكية الدولة وإعادة جميع الأراضي، خاصة التي أعطاها الخلفاء السابقون من حق المال العام؛ العدل في العطاء من بيت المال كما في سيرة النبي؛ الإصلاح والتغيير في الهيكلية الإدارية للدولة وتقسيماتها؛ الإصلاح المالي وتوزيع الثروة دون تمييز أو قربة، بل بالاستحقاق؛ الإصلاح الاجتماعي وإلغاء القرابة والقبلية، والحاشية القرية من الحاكم؛ اختيار القادة والحكام والقضاة، ومن أهل الخبرة والتجربة، ومن أهل الحزم والعزم والرفق والصلاح، والمتقنين للعمل، ومن بيوت صالحة.

(١) المفید، کتاب المقنعة، ج ١، ص ٤٠.

(٢) ابو حمد، رضا صاحب، السياسة المالية في عهد الإمام علي عليه السلام، ص ٣٠.

(٣) الفکیکی، علی فرحان، مباديء الادارة وفق المنهج القرآنی منهج الامام علي ائمودجاً، ص ٣٩ وما بعده.

ثالثاً الشعب وإصلاحه: ومن جانب آخر رعاية الطبقات المعوزة وتوفير حق لهم من بيت المال ودجهم في المجتمع وزجهم في العمل؛ عدم التفريق بين العمال من المسلمين وغيرهم ومتابعة أمورهم بشكل دائم<sup>(١)</sup>.

وبعد هذا كله نجد المنهج العلوي يقسم الطبقات في المجتمع ليبين لنا دور كل طبقة ومسؤولياتها وهي: «طبقة الجنود، طبقة القضاة، طبقة شرطة الأخلاق، طبقة التضامن الاجتماعي، طبقة العامة، طبقة أهل الجزية، طبقة التجار وأهل الصناعات، طبقة أهل المسكنة وال الحاجة»<sup>(٢)</sup>.

لذا نجد الإمام عليه السلام يضع مجموعة من الوصايا الإدارية المهمة لمن يريد إصلاح المجتمع:

١-(الحاZoom من دارى زمانه، والحاZoom من جاد بيا في يده، ولم يؤخر عمل يومه إلى غده)<sup>(٣)</sup>.

٢-(الاقتصاد ينمي القليل)<sup>(٤)</sup>.

٣-(العجز خطر والعجلة ندامة، الفرص تمرّ مّر السحاب)<sup>(٥)</sup>.

٤-(ولا تكون خازناً لغيرك)<sup>(٦)</sup>.

٥-(من استهان بالأمانة ورتع في الخيانة، ولم ينزعه دينه ونفسه عنها، فقد أحّل نفسه الذلّ والخزي في الدنيا، وهو في الآخرة أذلّ وأخزى)<sup>(٧)</sup>.

(١) الكتاني، صبيح كرم، جودة الادارة في فكر الامام علي، ص ٣٤ وما بعده.

(٢) الزبيدي، نذير هارون، ذو الاحتياجات الخاصة وفئاتهم في عهد الإمام علي عليه السلام مالك الاشت، ص ٦٣.

(٣) الأمدي، غر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٦.

(٥) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ص ٩٩.

(٦) المصدر نفسه، ص ٥٠٣.

(٧) المصدر نفسه، ص ٤٨٥.

٦-(لا تُدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جاناً يضعفك عن الأمور ولا حريضاً يزيف لك الشمرة بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائر شتى يجمعها سوء الظن بالله) <sup>(١)</sup>.

٧-(الصدق بذوي المروءات والأحساب، وأهل البيوتات السابقة، والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم، وشعب من العرف) <sup>(٢)</sup>.

٨-(قولا بالحق، واعمل لأجر، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً) <sup>(٣)</sup>.

٩-(ليس لك أن تقفت في رعية) <sup>(٤)</sup>.

١٠-(اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك) <sup>(٥)</sup>.

١١-(لا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء) <sup>(٦)</sup>.

١٢-(إن ظنت الرعية بك حيفاً، فاصصر لهم بعذرك، واعدل عنك ظنونهم بإصحابك، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك، ورفقاً برعيتك، وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تصويمهم عن الحق) <sup>(٧)</sup>.

١٣-(أحب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسن كما تحب أن يُحسن إليك) <sup>(٨)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ٥٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٦٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٠٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٤٩.

(٦) المصدر نفسه، ص ٥٦١.

(٧) المصدر نفسه، ص ٥٦٥.

(٨) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ص ٥٠٣.

١٤-(البس لهم جلباباً من اللين تشوبيه بطرف من الشدّة، وداول لهم بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء، والإبعاد والإقصاء)<sup>(١)</sup>.

١٥-(فاخفض لهم جناحك، وألين لهم جانبك وابسط لهم وجهك، وآسي بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية)<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٨٥.

## المبحث الثالث

### حفظ الإنسان

البنية الاقتصادية في المنهج العلوى: يرشدنا الإمام على عليه السلام إلى طريقة إعداد الإنسان الذي يكون قادرًا على القيام بكل مهامه على أتم وجه، فأكيد أن المسلمين أخوة ويضرّ المسلمين ما يضرّ الفرد المسلم، وينفع المسلمين ما ينفع الفرد المسلم، وذلك لعدة أسباب:

أولاً: لأنّ الإسلام زرع فيهم هذه القيم،

وثانياً: المنفعة المترتبة في صلاح الفرد هو صلاح المجتمع، وإن المجتمع المسلم قوته ونجاحه في وحدته وتماسك أتباعه ونبجهم الصالح الذي أمر به الخالق.

ثالثاً: المنهج العلوى أوجد نظاماً إدارياً واقتصادياً وتكافلياً قوياً، وفيه حلول لكل القضايا التي تدخل في الجانب المالي والمعاملاتي من أجل سلامه البناء الحضاري للفرد والمجتمع: (أقام الإسلام العلوى سياساته على العدل والمساواة والإخاء، وعمل جاهداً في تحقيق الرفاهية الشاملة لجميع الأمم والشعوب من بني البشر، فرفع مستوى حياتهم الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، ووضع الحدود الكافية برعاية مصالح الناس وتلبية حاجاتهم في مختلف العصور والبلدان)<sup>(١)</sup>.

ومن هنا يتضح أنّ المنهج العلوى واضح ويسير في السلوك، وفيه مبادئ وأسس وأصول عامة وقواعد متزنة ومرنة وواقعية و شاملة وكاملة، تخدم المسار الإنساني. ومن أهم ميزاته: (النظام مستقل، الجزء من الكلّ، تحقيق التراحم والتعاون، تحقيق تكافؤ الفرص، المال وسيلة وليس غاية)<sup>(٢)</sup>، ومن يريد دراسة الاقتصاد العلوى وفهمه، عليه الاطلاع

(١) الحاج حسن، حسين، النظم الإسلامية، ص ٤٣

(٢) المصدر، اقتصادنا دراسة موضوعية تتناول بالنقد والبحث المذاهب الاقتصادية، ص ٣١١

على النظام الإسلامي بشكل شامل والمنهج الاقتصادي بشكل خاص. ومثال على ذلك «حكم الإسلام بحرمة الربا وكيف يربطه الناس بالملكية الخاصة» فمن يريدأخذ المنهج الاقتصادي منفصلاً عن الدين ليدرسه كعلم أو مادة فهو بذلك يحيد عن الصواب لأنّ في الإسلام العلوي ربط بين العقيدة والمنهج والحكم والتشريع والتطبيق والسلوك، وهذا ما جعل من المنهج العلوي الإسلامي منيعاً وقوياً لا تُفكك أجزاؤه ومصدره القرآن العظيم والسنة الشريفة: (إِنَّ الَّذِينَ يَنْظَرُونَ أَنَّ مَسَائِلَ الْحَيَاةِ مُنْفَصَلَةٌ عَنْ بَعْضِهَا وَأَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مَالَهُ الْخَاصَّ بِهِ وَكُلَّ زَوْيَّةٍ أَوْ جَزْءٍ مِنْ حَيَاةِ الْبَشَرِ يَتَّبِعُ حَقْلًا خَاصًّا بِهِ هُؤُلَاءِ يَتَعَجَّبُونَ، وَقَدْ يَنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يَطْرُحُ مَوْضِيَّاً اسْمَهُ الْاِقْتَصَادُ الْإِسْلَامِيُّ، إِنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْإِسْلَامَ وَالْاِقْتَصَادَ أَمْرَانِ مُنْفَصَلَانَ<sup>(١)</sup>، ولهذا نجد أنّ النظام الاقتصادي العلوي مبنيّ على فكرة العمل الصالح والكسب الصالح والنفع العام المرتبط بمراعاة المصالح الخاصة والحقوق والواجبات التي فرضها الخالق على المخلوق وللمخلوق، ويتألف الهيكل العام للاقتصاد العلوي من أركان رئيسة:

١- مبدأ الملكية المزدوجة: المذهب الإسلامي لا يتفق مع الرأسمالية ولا مع الاشتراكية؛ بل يقرّ مبدأ الملكية المزدوجة.

٢- مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدود: السماح للأفراد على الصعيد الاقتصادي بحرية محدودة بحدود من القيم المعنوية والخلقية التي يؤمن بها الإسلام.

٣- مبدأ العدالة الاجتماعية: يتكون نظام توزيع الثروة في المجتمع الإسلامي العلوي من العناصر والضمانات التي تكافل تحقيق العدالة الإسلامية، وانسجامه مع القيم التي يركز عليها<sup>(٢)</sup>.

(١) مطهري، مرتضى، الإسلام والاقتصاد الاقتصاد الإسلامي والربا والتأمين، ص ١٥-١٦.

(٢) المصدر، اقتصادنا دراسة موضوعية تتناول بال النقد والبحث المذاهب الاقتصادية، ص ٢٨٦.

لذلك يتضح للإنسان التصور الكامل نحو الاقتصاد الإسلامي وكيفية ترابطه، وهو تصور كلي شامل: (لا يكفي الانطلاق من مبدأ أنّ الأصل في الأشياء الإباحة مع التقيد بالنصوص الآمرة والمانعة، إنما الفلسفة الاقتصادية تقوم على أساس التصور الإسلامي لعلاقة الإنسان بالله عز وجل وبالكون والحياة)<sup>(١)</sup>، ولأنّ المنهج العلوي يبني الفرد بشكل بنية متكاملة لا تتجزأ لأيّ سبب، فمثلاً بناؤه السلوكي يرجع بالرّبط إلى البناء العقلي، وأيضاً بناؤه النفسي يرجع إلى بنائه العقائدي، وهكذا المنظومة تتكون وتتجمع وتترابط ليكون الفرد كتلة كاملة من القيم والمفاهيم والنظم والأحكام والعقائد والسلوكيات في شتى جوانبها. ومن هنا ينبع لنا فكرة عامة رئيسة للبناء المجتمعي من خلال بناء الأفراد على أساس:

١. الخلقيّة: وهو التوازن والوفرة والتفاوت والتخصص والتكامل والمغایرة والثنائية والحيازة.
٢. السلوكيّة: وهو الدوافع والسلوك والاعتدال والتعفف والتسامي والرضا والتربية والتعليم.
٣. المجتمعية: وهي العدالة والحدّ من الظلم<sup>(٢)</sup> والبنية الاقتصادية والاجتماعية.
٤. الحركية: وهي الطاقات والقيود والقطرة والمنعنة والعادلة، وهنا ينبع لنا الفهم في تقسيم الحاجة في الاقتصاد الإسلامي إلى:
٥. الضروريات: التي لا بدّ منها في قيام مصالح الدين والدنيا.

(١) عطية، جمال الدين، البنوك الإسلامية بين الحرية والتنظيم والتقويم والاجتهاد والنظرية والتطبيق، ص ١٤٥.

(٢) عن النبي ﷺ (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله). البخاري، الأدب المفرد، ص ٤٨.

٦. الحاجيات: التي يفتقر إليها من حيث التوسعة والتيسير.
٧. الكماليات: ما تقتضيه المروءة والأدب بحيث إذا فقدت لا يختل نظام الحياة الضروري<sup>(١)</sup>.

لذا نجد التقسيم في المنهج العلوي لطبيعة الحاجة ونوعها من قبل الفرد:

١. أسباب كونية: الدنيا دار بلاء، الرزق مقسوم، الرزق مشروط بالعمل، الابتلاء من الله.
٢. أسباب شخصية: الذنوب والمعاصي، منع حقوق الناس، الجهل والجهالة، أغذار البطالة.
٣. أسباب اجتماعية: جشع التجار، عدم إعطاء حقوق الأجراء، تحكم القوي بالضعف.
٤. أسباب تنظيمية: عدم التخطيط من قبل الدولة، قلة الاهتمام بالفرد على حساب طبقة معينة، السرقة، عدم إعطاء الحقوق للأفراد، التعدي على حقوق الأجيال واستئنافها<sup>(٢)</sup>.

وعليه فالمنهج العلوي قسم الفقر إلى أنواع متعددة منها: الفقر الذاتي، الفقر الفردي، الفقر المادي والمالي، الفقر النظمي والهيكلـي<sup>(٣)</sup>، لذا نجد الإمام علي عليه السلام أول من أطلق مصطلح «ذوي الحاجات» وهو المطابق إلى مصطلح الحديث «ذوي الاحتياجات الخاصة»؛ وذلك لتفريقهم عن غيرهم من الأفراد فوضّعهم بشكل تام: الذين لا حيلة لهم، المساكين، المحجاجون، أهل البؤس، الزمنى « أصحاب الأمراض المزمنة »، أهل اليتم، ذوي الرقة في السن<sup>(٤)</sup>، عليه لا بد للإنسان أن يؤمـن أن الفقر نعمة والرزق بيد الله والله المالك الحقيقي

(١) الهبيـي، عبد الستار ابراهيم، الاستهلاك وضوابطـه في الاقتصاد الإسلامي، ص ١٤٥-١٥١.

(٢) كوسومـا، يوانـدا، الفقر والفقـراء في ضوء القرآن الكريم؛ دراسة موضوعـية، ص ٤١.

(٣) كوسومـا، يوانـدا، الفقر والفقـراء في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعـية، ص ١٣٤.

(٤) الزبيـيـي، نذير هارـون، ذـو الاحتـياجـات الخـاصـة وفـئـاتـهم في عـهـدـ الإـمامـ عليـ عليـهـ السلامـ ص ٧٢ وما بـعـدهـ.

للمال. لذا يحتاج إلى الزيارة والدعاء وعودة العبد للرب، والتسليم والرضا والتوكل، والعمل الجاد المستمر، وطلب الرزق الحلال، وصلة الرحم، والعطف على الضعيف، والتكافل الاجتماعي، وإعطاء الحقوق الشرعية المالية والصدقات والهبات والايقاعات وغيرها، والتحكم الجيد في خزانة المال العام وعدم التفريط بها، ومحاسبة المقصرين في عملهم ومعاقبة المخالفين للقواعد والقوانين، واستئثار موارد الدولة، وجعلها منتجة في المشروعات المختلفة، والمحافظة على حقوق الأجيال المقبلة، وحفظ الوطن وزيادة الأعمال الخيرية والتطوعية وترشيد الاستهلاك<sup>(١)</sup>، بعد هذا كلّه، الإمام علي عليه السلام يعطينا قواعد كافية لحماية الرعية وحفظ حياتهم:

- ١ - (الطعم يذلّ الأمير)<sup>(٢)</sup>.
- ٢ - (ثمرة الأمل فساد العمل)<sup>(٣)</sup>.
- ٣ - (الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر)<sup>(٤)</sup>.
- ٤ - (دع الإسراف مقتضداً، وأذكر في اليوم غداً، وامسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك)<sup>(٥)</sup>.
- ٥ - (الله الله في الطبقة السفلی من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحاجبين وأهل المؤسى والزمنى فإنّ في هذه الطبقة فاتحاً ومعرضاً)<sup>(٦)</sup>.

(١) كوسوما، يواندا، الفقر والفقراء في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية، ص ١٧٠ . اللوح، عبد السلام ومحمود هاشم، علاج مشكلة الفقر دراسة موضوعية، ص ٣٤٨.

(٢) الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٤٣

(٣) عاشور، ٥٠٠٠ حكمة من حكم الإمام علي عليه السلام، ص ٢٠٣.

(٤) الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٣١

(٥) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة ٤٧٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ٥٦١

- ٦ - (تعهد أهل اليتيم وذوي الرقة في السن من لا حيلة له)<sup>(١)</sup>.
- ٧ - (اجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً، فتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقدّع عنهم جندك وأعوانك من حراسك وأشرافك)<sup>(٢)</sup>.
- ٨ - (لا صحة مع النهم)<sup>(٣)</sup>.
- ٩ - (الشبع يكثر الأدواء)<sup>(٤)</sup>.
- ١٠ - (صلاح البدن الحمية)<sup>(٥)</sup>.
- ١١ - (اهمّ يذيب الجسد)<sup>(٦)</sup>.
- ١٢ - (ينبغي للعاقل أن يتذكر عند حلاوة الغذاء مرارة الدواء)<sup>(٧)</sup>.
- ١٣ - (لا تجلس على الطعام إلا وأنْتَ جائع، ولا تقم عن الطعام إلا وأنْتَ تستهيه، وجود المضغ، وإذا نمت أعراض نفسك على الخلاء، فإذا استعملت هذا استغنيت عن الطبل)<sup>(٨)</sup>.
- ١٤ - (الغمّ مرض النفس والنوم راحة من ألم، والهمّ أحد الهرمين)<sup>(٩)</sup>.

(١) المصدر نفسه، ص ٥٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٦١.

(٣) الإمام علي عليه السلام، ما نعمته عبد الوهاب في شرح كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام، ص ١٤.

(٤) الآمدي، غر الحكم ودرر الكلم، ص ٣٧.

(٥) عاشور، ٥٠٠٠ حكمة من حكم الإمام علي عليه السلام، ص ٣٩٨.

(٦) الآمدي، غر الحكم ودرر الكلم، ص ٦٩.

(٧) عاشور، ٥٠٠٠ حكمة من حكم الإمام علي عليه السلام، ص ٦١٧.

(٨) الصدوق، كتاب الخصال، ج ١، ص ٢٢٩.

(٩) الآمدي، غر الحكم ودرر الكلم، ص ٦٩.

## الخاتمة والنتائج

يمكن القول بشكل جازم إن المنهج العلوي امتلك أدوات جديدة وعديدة ومميزة في حفظ قيمة الإنسان ومقامه والاعتناء به بشكل مستمر منذ البداية حتى النهاية، وعلى جميع الصعد والمستويات، وبنائه بناء جسدياً ونفسياً وعقلياً وروحياً وعلمياً وعملياً وإنتاجياً لينقله من مرحلة إلى مرحلة أخرى، بشكل أفضل يجعله يسمو ويرتقي بالجانب المعنوي والمادي والماضي والأسرى والمجتمعي، فضلاً عن الشخصي، من خلال منظومة مؤسساتية متكاملة تحكم إلى قواعد كلية صالحة لكل زمان ومكان وظرف وبيئة، مشتملة على جميع قيم الإنسان بالاعتماد على القرآن العظيم وسيرة الرسول محمد ﷺ وعمل بشكل واضح على منهجين الأول بناء الإنسان وإعطائه حقوقه والمنهج الثاني بناء المجتمع والارتقاء به. فالإمام علي عليه السلام جعل في دولته قواعد كلية للحماية والوقاية من كل الحوادث والمستحدثات ودعمها بالبرامج الفاعلة المتواصلة، ومنها رسم فكرة الحماية على أساس تحصين الإنسان في جميع مراحل حياته منذ الولادة، بل قبل ذلك وحتى الموت وبعد ذلك وحددها لكل إنسان في دولته حقوقه وواجباته، وشرع ذلك ونشره من خلال ولاته وعماله وقضاطه وغيرهم في جميع الأقطار والأمصار وحمى المسلمين وغيرهم من جميع الحالات التي تنتقل بهم من حال أحسن إلى حال أسوأ، بل وخطط لهم طرق الانتقال من الأسوأ إلى الأفضل بشكل واسع ومنهجي ودقيق ليعطيهم سعة في الخيارات والخيارات.

وعليه يمكن طرح النتائج النهائية للبحث على الشكل الآتي:

أولاً: الإمام علي عليه السلام أوجد انسجاماً تاماً وكاملاً بين بناء الإنسان فرداً، وبين بناء المنظومة التي تحصنه عنصراً في مجتمع.

ثانياً: الإمام علي عليه السلام عالج الحالات الفردية والمجتمعية بشكل خاضع إلى ثلاثة مستويات، الأول معالجة سبب المشكلة، ثانياً معالجة الحالة الآنية، ثالثاً الوقاية المستقبلية لهذه المشكلة والمشاكل المشابهة.

ثالثاً: الإمام علي عليه السلام عالج واحدة من أهم المشاكل المجتمعية الحاجة من خلال الحماية الذاتية الداخلية والخارجية للأفراد والمجتمع.

رابعاً: الإمام علي عليه السلام وضع قواعد ناجحة وناجعة للمعالجات صالحة لكل زمان ومكان وبيئة وظرف على أساس ربط الفرد بالدين والمجتمع والعمل الصالح.

### التوصيات

١. إعادة النظر في الموروث الإسلامي العلوي واستثماره لخدمة البشرية في كل زمان ومكان.
٢. إعطاء الأولوية للمفكرين في سنن قواعد كلية في مجال الإدارة والاقتصاد لحماية الأفراد.
- ٣.أخذ القادة والمخططين في الدول دوماً بالنظام المالي والمادي للإمام علي عليه السلام.
٤. نشر الفكر الإسلامي العلوي في العالم كله كي يعرف الجميع ما يحمله الفكر من حياة كريمة للناس.

## قائمة المصادر والمراجع

\* القرآن العظيم.

١. أبو حمد، رضا صاحب، السياسة المالية في عهد الإمام علي عليه السلام، مركز الأمير عليه السلام لإحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، (العراق-النجف، ٢٠٠٦ م).
٢. أبو يعلى الموصلى، أحمد بن علي المثنى التميمي (ت: ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م)، المسند الصغير أو مسند أبي يعلى الموصلى، برواية أبي عمرو محمد بن أحمد الحميري، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، الطبعة الأولى، (مصر-القاهرة، ٢٠١٧ م).
٣. الأمدي، ناصح الدين أبي الفتح عبد الواحد بن محمد التميمي (ت: ٥٥٠ هـ / ١١٥٦ م)، غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تدقيق وترتيب: عبد الحسن الذهبي، دار الهادي، الطبعة الأولى، (لبنان-بيروت، دون تاريخ).
٤. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م)، الأدب المفرد، تحرير الأحاديث: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة، (لبنان-بيروت، ١٩٨٩ م).
٥. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت: ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م)، صحيح البخاري، تحرير: نوف الجراح، دار الصادر، الطبعة الأولى، (لبنان-بيروت، ٢٠١٠ م).
٦. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت: ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م)، المدخل إلى علم السنن، اعتناء وإخراج: محمد عوامه، دار اليسر، الطبعة الأولى، (مصر-القاهرة، دون تاريخ).
٧. الترمذى، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر (ت: ٣١٩ هـ / ٩٣١ م)، رياضة النفس، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، (لبنان-بيروت، ٢٠٠٥ م).

٨. الحاج حسن، حسين، النظم الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات، الطبعة الأولى (لبنان-بيروت، ١٩٨٧ م).
٩. الحَرَّ العَالَمِيُّ، مُحَمَّدْ بْنُ الْحَسَنِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسِينِ (ت: ٤١٠ هـ / ١٦٩٢ م)، الْجَوَاهِرُ السُّنْنِيَّةُ فِي الْأَحَادِيثِ الْقَدِيسَةِ، مَؤْسَسَةُ الْأَعْلَمِيِّ لِلْمَطَبُوعَاتِ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى، (لبنان-بيروت، ١٩٨٢ م).
١٠. الْحَرَّانِيُّ، أَبُو مُحَمَّدِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسِينِ بْنِ شَعْبَةِ (مِنْ أَعْلَامِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ / الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ)، تَحْفُ الْعُقُولُ عَنْ آلِ الرَّسُولِ ﷺ، تَصْحِيفٌ وَتَعْلِيقٌ: عَلَيْهِ الْأَكْبَرِ غَفارِيُّ، دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى، (لبنان-بيروت، ٢٠٠٥ م).
١١. الْحَضْرَمِيُّ، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْمَرَادِيِّ (ت: ٩٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م)، كِتَابُ السِّيَاسَةِ أو الإِشَارَةُ فِي تَدْبِيرِ الْإِمَارَةِ، تَحْقِيقٌ: مُحَمَّدُ حَسَنُ مُحَمَّدُ حَسَنٍ وَاحْمَدُ فَرِيدُ الْمَزِيدِيِّ، دَارُ الْكِتَبِ الْعُلُومِيَّةِ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى، (لبنان-بيروت، ٢٠٠٣ م).
١٢. الْزَّبِيدِيُّ، نَذِيرُ هَارُونَ، ذُوو الْاِحْتِيَاجَاتِ الْخَاصَّةِ وَفَئَاتِهِمْ فِي عَهْدِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَالِكُ الْاَشْتَرِيُّ، مَؤْسَسَةُ عِلُومِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ، الْعُتْبَةُ الْحَسِينِيَّةُ الْمَقْدِسَةُ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى، (الْعَرَاقُ-كَرْبَلَاءُ، ٢٠١٧ م).
١٣. الزُّرْكَشِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بَدْرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَهَادِرٍ (ت: ٧٩٤ هـ / ١٣٩٢ م)، الْبَحْرُ الْمَحيَطُ فِي أَصْوَلِ الْفَقَهِ، تَحْقِيقٌ: عَبْدُ الْقَادِرِ الْعَانِيُّ، مَراجِعَةٌ: عُمَرُ سَلَمَانُ الْأَشْقَرُ، وزَارَةُ الْأَوقَافِ وَالشُّؤُونِ إِلَيْسَامِيَّةُ، دَارُ الصَّفْوَةِ، الطَّبَعَةُ الثَّانِيَّةُ، (مَصْرُ-الْقَاهِرَةُ، ١٩٩٢ م).
١٤. السَّلَامِيُّ، ذُو الْفَقارِ جَوَادُ نَاجِيُّ، التَّنْمِيَةُ الْبَشَرِيَّةُ فِي تَارِيخِ إِلَيْسَامِيٍّ فِي الْقَرْنِ الْأُولَى وَالثَّانِيِّ الْهَجْرِيِّ، أَطْرُوحَةٌ دَكْتُورَاهُ، الْعَرَاقُ، بَغْدَادُ، جَامِعَةُ الدُّولِ الْعَرَبِيَّةِ، ٢٠٢٢ م.

١٥. الشريف الرضي، نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (تحقيق صبحي الصالح)، ط١، مطبعة الرسول، إيران - قم، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
١٦. شيخ الإسلام، حسين، هداية العلم في نظم غرر الحكم، مؤسسة أنصاريان، الطبعة الأولى، (إيران - قم، ١٩٩١ م).
١٧. الشيرازي، عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر (ت: ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م)، النهج المسلوك في سياسة الملوك ونهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: محمد حسن محمد حسين وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (لبنان - بيروت، ٢٠٠٣ م).
١٨. الصحاري، أبو المنذر سلمة بن مسلم العتبى الأزدي (ت: ٥١٢ هـ / ١١١٨ م)، كتاب الإنسان، تحقيق: محمد إحسان النص، دار المهاجرة، الطبعة الرابعة، (مصر - القاهرة، ٢٠٠٦ م).
١٩. الصدر، محمد باقر، كتاب رسالتنا، تقديم: محمد حسين فضل الله الحسني، مطبعة السهروردي، الطبعة الثالثة، (إيران - قم، ٢٠١١ م).
٢٠. الصدر، محمد محمد صادق، منبر الصدر خطب الجمعة في مسجد الكوفة، تقرير وتنسيق وتحقيق: محسن الموسوي، مؤسسة السيدة المعصومة، الطبعة الأولى، (إيران - قم، ٢٠٠٨ م).
٢١. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت: ٣٨١ هـ / ٩٩١ م)، كتاب الخصال، صححه: علي أكبر الغفاري، منشورات مكتبة الصدوق، الطبعة الأولى، (إيران - طهران، ١٩٨٣ م).
٢٢. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت: ٣٨١ هـ / ٩٩١ م)، كتاب الأimali، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، (لبنان - بيروت، ٢٠٠٩ م).

٢٣. عاشور، علي، ٥٠٠٠ حكمة من حكم الامام علي عليه السلام، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى، (لبنان-بيروت، ٢٠٠٥م).
٢٤. العاني، أسامة عبد المجيد، المنظور الإسلامي للتنمية البشرية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الطبعة الأولى، (الإمارات-أبو ظبي، ٢٠٠٢م).
٢٥. عطية، جمال الدين، البنوك الإسلامية بين الحرية والتنظيم والتقويم والاجتهاد والنظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات، الطبعة الثانية، (لبنان-بيروت، ١٩٩٣م).
٢٦. الغزالى، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت، ٥٠٥ هـ / ١١١١ م)، الحكمة في مخلوقات الله، تحقيق: محمد رشيد قباني، دار إحياء العلوم، الطبعة الأولى، (لبنان-بيروت، ١٩٧٨م).
٢٧. الغزالى، ابو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت، ٥٠٥ هـ / ١١١١ م)، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، (لبنان-بيروت، ٢٠٠٥م).
٢٨. الفكيكي، علي فرحان، مبادئ الإدارة وفق المنهج القرآني، منهج الامام علي أنموذجًا ممثلاً برسالته لمالك الأشتر حين ولاه مصر، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، (العراق-كرلاء، ٢٠١٧م).
٢٩. الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت: ٩٤٠ هـ / ٣٢٩ م)، كتاب الكافي، الأصول، دار الأميرة، الطبعة الأولى، (لبنان-بيروت، ٢٠٠٨م).
٣٠. الكناني، صبيح كرم، جودة الإدارة في فكر الإمام علي، ورقة بحثية، مجلة جامعة أهل البيت، العدد السابع عشر، السنة ١١، ٢٠١٥.
٣١. كوسوما، يواندا، الفقر والقراء في ضوء القرآن الكريم، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة مولانا الملك إبراهيم الإسلامية الحكومية، كلية الدراسات العليا، قسم الدراسات الإسلامية، أندونيسيا، ٢٠١٣م.

٣٢. اللوح، عبد السلام ومحمود هاشم، علاج مشكلة الفقر دراسة موضوعية، ورقة بحثية، مجلة الجامعة الإسلامية، فلسطين، غزة، العدد الأول، المجلد السابع عشر، ٢٠٠٩ م.
٣٣. المجلسي، أبو عبد الله محمد باقر بن محمد تقى الأصفهانى (ت: ١١١١هـ / ١٦٩٩م)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء ودار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، (لبنان-بيروت، ١٩٨٣م).
٣٤. مطهري، مرتضى، الإسلام والاقتصاد- الاقتصاد الإسلامي والربا والتأمين، دار الإرشاد، الطبعة الأولى، (لبنان-بيروت، ٢٠١١م).
٣٥. مطهري، مرتضى، خليفة الله الإنسان الكامل، دار الصفو، ط١، (لبنان-بيروت، ٢٠٠٩م).
٣٦. المفید، محمد بن النعمان العکبری البغدادی (ت: ١٣٤١هـ / ١٠٢٣م)، کتاب المقنعة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسین، الطبعة الثانية، (إیران-قم، ١٤١٠هـ).
٣٧. المناوي، صدر الدين محمد بن إبراهيم السلمي (ت: ١٤٠١هـ / ٨٠٣م)، کشف المناهج والمناقير في تخريج أحاديث المصايح، دراسة وتحقيق: محمد إسحاق محمد إبراهيم، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى، (السعودية-الرياض، ١٤٢٥هـ).
٣٨. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت، ٣٠٣هـ / ٩١٥م)، سنن النسائي، اعتناء: بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، (السعودية، الرياض، د. تاريخ).
٣٩. الهيتي، عبد الستار إبراهيم، الاستهلاك وضوابطه في الاقتصاد الإسلامي، مطبعة الوراق، الطبعة الأولى، (الأردن-عمان، ٢٠٠٥م).

